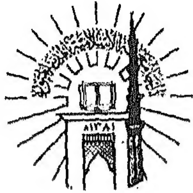
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
المجلس العلمي
مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي



١٧

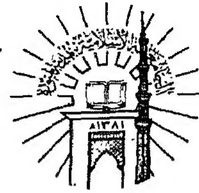
عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي

تأليف

الدكتور صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود

اهداءات ٢٠٠٢
السفير فتحي الجويلي
دمنهور

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
المجلس العلمي
مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي
١٧



عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي

تأليف

الدكتور صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله ، فقد فاز فوزا عظيما ﴾[1] [الأحزاب : ٧٠] .

أمـا بعـد :

فإن خير الحديث كتاب الله عز وجل ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة[2] .

و « يد الله على الجماعة »[3] ونعنى بالجماعة : الذين اجتمعوا على كتاب الله الذى أنزله على رسوله محمد بن عبد الله ﷺ مهيمنا على ما قبله ، وسنة رسوله وهديه ، لأنه ﷺ خاتم النبيين الذى أرسل بكمال الدين وتمام النعمة والكتاب المهيمن والحكمة الجامعة ، إلى قيام الساعة وإلى الناس كافة .

---

(١) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة ، وهى تشرع بين يدى كل خطبة سواء كانت خطبة جمعة أوعيد أو نكاح أودرس أو محاضرة أوبحث أو مؤلف . وهى مأثورة عن رسول الله ﷺ . سنن ابن ماجه ١/٦٠٩ ، مسلم ١/٣٣٦ ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى جـ١ ص٣ .

(٢) اقتباس من حديث شريف عن رسول الله ﷺ ، رواه مسلم فى صحيحه جـ٢ ص٥٩٢ .

(٣) انظر حديثا مرفوعا عن رسول الله ﷺ ، فى كتاب السنة لابن أبى عاصم جـ١ ص٤٠ ، قال الألبانى فى تخريجه : حديث صحيح .

وقد بعثه الله تعالى على حين فترة من الرسل، وعلى حين تفرق بين الناس خصوصا العرب - تفرقا شديدا، وكانوا فى ضلال مبين، كما وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿ وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، و[الجمعة: ٢].

قال ابن كثير: ﴿وإن كانوا من قبل﴾ أي من قبل هذا الرسول ﴿لفي ضلال مبين﴾ أي لفى غي وجهل ظاهر جلي بين لكل أحد(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اعلم أن الله سبحانه وتعالى أرسل محمدا ﷺ إلى الخلق، وقد مقت أهل الأرض: عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، ماتوا - أو أكثرهم - قبل مبعثه. والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي معتصم بكتاب إما مبدل وإما منسوخ، أو بدين دارس، بعضه مجهول، وبعضه متروك، وإما أمي من عربي وعجمي، مقبل على عبادة ما استحسنه وظن أنه ينفعه: من نجم، أو وثن، أو قبر، أو تمثال، أو غير ذلك. والناس فى جاهلية جهلاء، من مقالات يظنونها علما وهي جهل وأعمال يحسبونها صلاحا وهي فساد. وغاية البارع منهم علما وعملا: أن يحصل قليلا من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين مشوبا بأهواء المبدلين والمبتدعين قد اشتبه عليهم حقه بباطله، أو يشتغل بعمل القليل منه مشروع وأكثره مبتدع لا يكاد يؤثر فى صلاحه إلا القليل، أو أن يكدح بنظره كدح المتفلسفة، فتذوب مهجته في الأمور الطبيعية والرياضية وإصلاح الأخلاق حتى يصل إن وصل بعد الجهد الذى لا يوصف إلى نزر قليل مضطرب، لا يروى غليلا ولا يشفى عليلا، ولا يغنى من العلم الإلهي شيئا، باطله أضعاف حقه - إن حصل وأنى له ذلك مع كثرة الاختلاف بين أهله، والاضطراب، وتعذر الأدلة عليه والأسباب(٢).

فأنعم الله عليهم بأن بعث إليهم نبي الهدى ورسول الرحمة بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأظهر الله دينه وجمع عليه المسلمين أمة واحدة، اجتمعت قلوبهم على الصراط المستقيم، وألف الله بينهم بالإسلام على رسوله ﷺ: ولو أنفق ما في الأرض جميعا ما ألف بين قلوبهم ولكن الله ألف بينها بهذه النعمة العظمى، رسوله ودينه.

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/٤٢٤.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم ص٢، ٣.

قال الله تعالى يخاطب رسوله ﷺ : ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

ولما قبض الله رسوله إليه وتوفاه ، لم تزل الأمة المسلمة مجتمعة على دينه الباقي واجتمعت على خليفته أبي بكر، حين بين لهم الحق، وأزاح الاشكال عنهم في موته ﷺ ، وأكد لهم بقاء دينه إلى يوم القيامة ، وكانوا يرجعون إلى بيانه في ما يشكل عليهم لأنه أعلم الأمة بميراث نبيها ولأنه صاحبه الأول وصديق الأمة ، ولذلك اجتمع الناس عليه(١).

واجتمع الناس كذلك على الفاروق، عمر بن الخطاب، حيث أوصى به أبو بكر رضى الله عنهما، فواصل بهم مسيرة الهدى والرشاد يبلغون دين الله مجتمعين أمة واحدة، حتى قصروا قيصر، وكسروا كسرى، وهكذا في بقية زمن الخلفاء الراشدين المهديين رضى الله عنهم، وبعد زمانهم، والمسلمون يلتفون حول أهل السنة والجماعة منهم، وهم سوادهم الأعظم ومركز ثقلهم، ومازالوا على مسيرتهم في إبلاغ دين الله ونشره للناس، حتى بلغوا به مشارق الأرض ومغاربها تماما كما زوى لرسول الله ﷺ ، وأخبر أن ملك أمته سيبلغ ما زوى له منها.

فقد روى مسلم وغيره عن ثوبان: قال: قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لي منها » الحديث(٢).

ثم حدث ما أخبر به رسول الله ﷺ من الفتن وظهورها في الأمة كما روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: كنا عند عمر، فقال أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه. فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل. قال: تلك تكفرها الصلاة والصدقة - ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن

(١) انظر: تاريخ ابن جرير الطبرى جـ٣ ص٢٠٢، ٢٠٣، وتاريخ ابن كثير وما أورد من روايات صحيحة جـ٥ ص٢٤١-٢٥٤.

(٢) صحيح مسلم: جـ٤ ص٢٢١٥، ٢٢١٦.

التى تموج موج البحـــر؟ قال حذيفـــة : فأسكت القــوم . فقلت أنـا . قال : أنت، لله أبــوك . قال حذيفـــة سمعت رســـول الله ﷺ يقــول : « تعـرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا . فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيـه نكتــة بيضــاء حتى تصـير على قلبـين ، على أبيض مثـل الصفـاء فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض ، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا ، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب هواه »[1] .

وقــد بدأت غربــة الإسـلام بعـد مضى قرن الـرسـول ﷺ ، الـذى هو خير القــرون ، ثم مضى القـرن الـذى يليـه ، ثم الـذى يليـه أيضا ، كما روى البخارى فى صحيحه في فضائل أصحاب النبي ﷺ عن عبد الله أن النبي ﷺ قال : « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته »[2] .

وكلما جاء زمـان كان الـذى بعـده شرا منـه ، وكانت غربة الإسلام فيه أشد كما أخبر رسول الله ﷺ ، فيما روى مسلم في صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء »[3] .

هذا فى غالب الأحـوال . وقـد جعـل الله دين محمد ﷺ باقيا إلى قيام الساعة ، فلم يخل الأرض من قائم له بحجتــه أبـــدا ، كما روى مسلم في صحيحـه : « لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة »[4] .

وكـما روى البخـارى في صحيحـه في المنـاقب عن معـاوية رضى الله عنه يقول سمعت النبي ﷺ يقول : « لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك »[5]

وممن يقيم الله بهم الحجـة الأئمـة المجـددون ، فكلما جاء قرن من القرون التى تنطمس فيـه أكثـر معـالم الدين ، ويكاد ينتقض حبله ، وتتعطل معظم أصوله ودعائمه

(١) صحيح مسلم : جـ١ ص١٢٨ .
(٢) جـ٤ ص١٨٩ .
(٣) وكذلك رواه مسلم عن ابن عمر، انظر جـ١ / ١٣٠ ، ورواه غير مسلم من طرق عديدة انظر تخريجه فى كتاب غربة الإسلام ، لابن رجب الحنبلى .
(٤) جـ٤ ص١٤٥٣ .
(٥) جـ٤ ص١٨٧ .

من تلاعب الجهال به، وقبض العلم بموت العلماء، وارتفاع أهل الجهل وترأسهم، بعث الله عز وجل من يجدد لهم تدينهم ويردهم إلى ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وأهل القرون الفاضلة بالدعوة والتعليم وحسن القدوة والجهاد، وذلك مصداق الحديث الشريف الذى رواه أبو داود عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »[١].

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز: هذا الحديث إسناده جيد رجاله كلهم ثقات، وقد صححه الحاكم والحافظ العراقى والعلامة السخاوى وآخرون[٢].

وقال الألبانى: حديث صحيح، والسند صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم[٣].

وقال عبد المتعال الصعيدي - قال السيوطى: اتفق الحفاظ على صحته منهم الحاكم في المستدرك والبيهقي في المدخل، ونص الحافظ ابن حجر على صحته[٤].

وقال الإمام أحمد في خطبة كتابه: «الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله»[٥]:

«الحمد لله الذى امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، (بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد)[٦]، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[٧].

---

(١) سنن أبى داود، جـ٢، كتاب الملاحم باب ١ ص٤٢٤.
(٢) هامش ص١٠ من كتاب: الشيخ محمد بن عبد الوهاب. . تأليف أحمد بن حجر آل بوطامي.
(٣) انظر: تخريج الألبانى لأحاديث كتاب اصلاح المساجد للقاسمى هامش ص٦، وسلسلة الأحاديث الصحيحة جـ٢ ص١٥٠ ورقمه ٥٩٩.
(٤) انظر: المجددون فى الإسلام، تأليف عبد المتعال الصعيدى ص٨، ٩.
(٥) تصحيح الشيخ إسماعيل الأنصارى، نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية.
(٦) ما بين القوسين زيادة من كتاب البدع والنهى عنها لابن وضاح وقد أسند هذه الخطبة إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع اختلاف فى بعض ألفاظها، انظر ص٢، ٣.
(٧) الرد على الجهمية ص١٣، ١٤.

وليس من شرط المجـدد أن يكـون واحـدا بعينه ، أو صنفا خاصا من الناس بل الأمر كما ذكر الشيخ ابن باز أن الحافظ ابن كثير قال في النهاية ـ لما ذكر هذا الحديث ـ ما نصه : «وقد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث والظاهر ـ والله أعلم ـ أنـه يعم حملة العلم من كل طائفـة وكـل صنف من أصناف العلماء ، من محدثين ومفسرين وفقهاء ونحاة ولغويين إلى غير ذلك من الأصناف ، والله أعلم»(١) .

ويقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رحمهم الله تعالى : «وليس من شرطه أن يقبل منه ويستجاب ، ولا أن يكون معصوما في كل ما يقول ، فإن هذا لم يثبت لأحد دون الرسول ﷺ »(٢) .

ويقـول أيضـا : «ولهـذا المجـدد علامـة يعـرفها المتوسمون وينكرها المبطلون ، أوضحها وأجلاها وأصدقها وأولاها محبة الرعيل الأول من هذه الأمة ، والعلم بما كانوا عليـه من أصـول الـدين وقواعده المهمة ، التى أصلها الأصيل وأُسُّها الأكبر الجليل ، معـرفـة الله بصفـاتـه ، بصفات كماله ونعوت جلاله ، وأن يوصف بما وصف به نفسه ، ووصفـه به رسـولـه من غير زيادة ولا تحريف ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، وأن يعبدوه وحـده لا شريـك له ، ويكفـروا بما سواه من الأنـداد والآلهـة . هذا أصـل دين الرسل كافة ، وأول دعوتهم وآخرها ، ولب شعائرهم ، وحقيقة ملتهم ، وفي بسط هذه الجملة من العلم به وبشـرعـه ودينـه وصـرف الـوجوه إليه ، ما لا يتسع له هذا الموضع ، وكل الدين يدور على هذا الأصل ويتفرع عنه»(٣) .

ومن هؤلاء المجددين الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وقد شهد له بذلك الجم الغفير من أكابر أهل العلم والدين ، يذكر الشيخ عبدالرحمن بن قاسم أن أكابر أهل عصر الشيخ شهدوا له بالعلم والدين وأنه من جملة المجددين لما جاء به رسول رب العـالمـين ، وكذلك أهل مصر والشام والعراق والحرمين ، والهند ، وغيرهم ، وتواتر عن فضلائهم وأذكيائهم مدحه والثناء عليه والشهادة له أنه جدد هذا الدين(٤) .

---

(١) من تعليق ابن باز على كتاب «الشيخ محمد . . . لأحمد آل بوطامي ، ص١٠ . وانظر: النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، جـ١ ص٣٩ .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، جـ٣ ص١٥٣ .

(٣) المصدر السابق ، جـ٣ ص١٥٤ .

(٤) الدرر السنية جـ١٢ ص٩ .

وقد ذكره الشيخ محمد رشيد رضا من المجددين[1] وقال: «كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى مجددا للإسلام فى بلاد نجد، بإرجاع أهله عن الشرك والبدع التى فشت فيهم إلى التوحيد والسنة»[2].

وقال أيضا بعد أن ذكر المجددين: «ولقد كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدى من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعوإلى تجريد التوحيد واخلاص العبادة لله وحده بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين ﷺ، وترك البدع والمعاصى، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة»[3].

وكذلك عبدالمتعال الصعيدى عده من المجددين فى كتابه «المجددون فى الإسلام» وترجم له في ذلك الكتاب[4].

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز - بعد ما أشار إلى أئمة الهدى الذين يمن الله بهم فى الفترات - ما نصه: «وكان من جملة هؤلاء الأئمة المهتدين، والدعاة المصلحين الإمام العلامة والحبر الفهامة، مجدد ما اندرس من معالم الإسلام في القرن الثانى عشر والداعى إلى سنة خير البشر، الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي التميمى الحنبلى، طيب الله ثراه، وأكرم في الجنة مثواه»[5].

وقد شهد بذلك، للشيخ محمد بن عبدالوهاب كثيرون، من الثقات العدول غير من ذكرنا هنا، يطول المجال باستقصاء شهاداتهم، والمقصود: إقامة الشهادة بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب من المجددين، وقد قامت ولله الحمد قياما لا يدع شكا في أنه من المجددين، فإنه عالم عامل، ومن أولئك الذين يوجدهم الله لإقامة حجته ووصل حبل الإسلام الممتد من لدن رسول الله ﷺ إلى أن يأتى أمر الله، وكلما مات منهم علم أبدل الله به علما آخر، من أئمة الهدى وأعلام الهداية، ومنارات الإرشاد، وزعماء الإصلاح.

---

(١) تاريخ الإمام محمد عبده، جـ١ ص(ح) فى التصدير، ط / ١٣٥٠هـ.

(٢) الوهابيون والحجاز: ص٦.

(٣) مقدمة الشيخ رشيد رضا للطبعة الثانية لكتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، لمحمد بشير السهسواني ص١١ ط٥/١٣٩٥هـ.

(٤) المجددون فى الإسلام: ص٤٣٧-٤٤١.

(٥) مقدمة الطبعة الثانية لكتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عقيدته السلفية ودعوته الاصلاحية، وثناء العلماء عليه، بقلم أحمد بن حجر آل بوطامى ص٣-٤.

ولقـد تجرد الشيـخ محمـد بن عبـدالـوهاب للدعوة إلى الله على حين غربة من الإسـلام في القـرن الثانى عشر، وكان على بصيرة، حيث كان عارفا بما عليه الصدر الأول، من السلف الصـالـح، خبيـرا بما انحل من عرى الإسلام لدى أهل عصره، وتحولوا عنه فقام مجاهدا، ليرد الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح، في باب العلم النافع والعمل الصالح، والإيمان والإحسان، وترك التعلق على غير الله، من الأنبياء والصـالحـين وعبـاداتهم، والاعتقاد في الأحبار والأشجار، والعيون والغيران، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ ، في الأقوال والأعمال، وهجر ما أحدثه الخلوف والأغيار.

وقيض الله له من آل سعـود الـذين وازروه على نصرة دين الله ورسوله، فأقبلوا على معرفة ما عنده، من العلم والإرادة، حتى إذا عرفوا صدق موافقته للحق، نفذوا ذلك بالسلطان والإدارة، والسيف والعزيمة، يريدون ما عند الله تعالى، فصنع لهم من عظيم صنعـه، وأظهـر لهم من الـدولـة ما ظهـروا به على سائر العرب، وكلما كان الأمـر على السنـة الإسـلامية كلما كان في مزيد عز ونصر وظهور، ونحن لا نزال، ولن نزال ـ إن شاء الله تعـالى ـ ننعم بوارف ظلال عقيـدة السلف الصـالـح التى نشـرهـا هؤلاء، ونصـرهـا هؤلاء، تحت دوحتى العلم والوفاء، دوحة علماء الدعوة ـ من ورثة الشيـخ محمـد بن عبـدالـوهـاب، ودوحـة أنصارها ـ من ورثة الأمير الراشد محمد بن سعود، جزاهم الله خير الجزاء. والحمد لله، العزيز الرحيم.

وقـد اخـتـرت أن يكـون موضـوع رسالتى للدكتوراه: «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، وأثرها في العالم الإسلامى» لأهميتها ولأنه من المجددين فعقيدته عقيـدة سلفيـة، وعقيدة السلف الصالح عقيدة تجديد حية، تواكب الاصلاح والرقى المشروع في كل عصر ومصر، وتساير التقدم والنمو الخيرى المشروع وتزيده زكاء وبرا وشرعية، ولا تعوقه أو تؤخره أبدا، إنها الاعتقاد الجازم بأنه لا يصلح ولا يقبل سوى اتبـاع سبيـل المؤمنـين السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، في هذا الـدين وفي تفسيـره، فتفـوقـوا على الشرق والغرب، وسادوا العالم كله، وكانت كلمتهم هي النـافـذة. وقـد ﴿ **رضى الله عنهم ورضـوا عنه، وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، ذلك الفوز العظيم** ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

وقـال تعـالى: ﴿ **ومن يشـاقق الـرسول من بعد ما تبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم، وساءت مصيرا** ﴾ [النساء: ١١].

قال الإمام مالك: قال عمر بن عبدالعزيز: «سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر فيما خالفها، من اقتدى بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا». قال مالك: أعجبني عزم عمر في ذلك(١).

ومن يتأمل الواقع الذى نعيشه، يدرك أن ما نحن فيه من أمن يفوق ما فيه أهل عصرنا من الدول المجاورة وغير المجاورة، هو من أثر عقيدة الشيخ السلفية، التى دعا إليها وناصره آل سعود عليها، كما يجد المتأمل المنصف إضاءة التاريخ الإسلامى بذلك. وان عقيدة هذا شأنها لا ريب أن البحث عنها والدراسة فيها، أهم موضوع لتحصيل العلم النافع، والمعتقد الصحيح السليم، وآمن شيء هو العلم النافع، والمعتقد الصحيح لأن من استمسك بالعلم النافع والمعتقد الصحيح، عصم من ضلال الكفار وفسادهم الذي نغزى به من الشيوعيين وغيرهم، من الشرق والغرب، تحت شعارات زائفة ودعاوى باطلة لا ينخدع بها إلا من فرغ قلبه وجوارحه، من عقيدة السلف الصالح وسلوكهم.

ومما قاله سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، في أهمية هذا الموضوع: «هذا الأصل الأصيل، والفقه الأكبر، هو أولى ما كتب فيه الكاتبون، وعنى به دعاة الهدى، وأنصار الحق، وهو أحق العلوم أن يعض عليها بالنواجذ، وينشر بين جميع الطبقات، حتى يعلموا حقيقته، ويبتعدوا عما يخالفه». . إلى أن قال: في تعليل أهمية نشره «لعظم شأنه، وشدة الضرورة إليه، ولما وقع بسبب الجهل به في غالب البلدان الإسلامية من الغلو في تعظيم القبور، ولا سيما قبور من يسمونهم بالأولياء، واتخاذ المساجد عليها وصرف الكثير من العبادة لأهلها كالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر، وغير ذلك، ولما وقع أيضا بسبب الجهل بهذا الأصل الأصيل، في غالب البلدان الإسلامية، من تحكيم القوانين الوضعية، والآراء البشرية، والإعراض عن حكم الله ورسوله، الذى هو أعدل الأحكام وأحسنها»(٢).

(١) كتاب الجامع فى السنن والآداب والمغازى والتاريخ، للقيرواني ص١١٧.
(٢) مجلة البحوث الإسلامية، المجلد الأول، العدد الثانى ص٤٥٠-٤٥٥.

لذلك كان موضوع عقيدة الشيخ محمد موضوعا مختارا، وفيما يلي أركز أسباب اختياري له في ثلاثة أسباب فحسب :

١ — إن عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدة تجديد سلفية، اعتقدناها واعتمدناها في ديننا ودنيانا، وهي أساس وحدتنا السعودية، اجتمعنا عليها بعد الفرقة، واهتدينا بها بعد الضلال، وكانت حال أهل نجد، وأهل الجزيرة العربية قبيل ظهور هذا الإمام المجدد بعقيدته السلفية ـ أسوأ الأحوال ـ فقد كانوا متفرقين ومختلفين، يبغي بعضهم على بعض، والإسلام بينهم غريب، والضلال ظاهر والمنكر أصبح معروفا لديهم ومألوفا. وسنبين ذلك في مبحث البيئة قبل ظهوره فيما سيأتي إن شاء الله تعالى. ثم ان الله تعالى جمع أهل نجد بالتوحيد، كما دعا إليه الشيخ وبينه عن عقيدة سلفية سليمة، وأعزهم الله بعد ذلتهم، بالنصر المبين، وأغناهم بعد فقرهم بالخير العميم، واستنارت بينهم سنن رسول الله ﷺ واختفت البدع، وزالت الفرقة، تحت راية التوحيد، التي يحملها أنصار الشيخ من آل سعود، وتطهر الحرمان الشريفان وما جاورهما، من البناء على القبور، ودعاء غير الله، والطغيان، والبدع والخرافات، ونودي في أرجائهما بالعدل والأمان، وبطلت سنن جاهلية، وقوانين جائرة، ما أنزل الله بها من سلطان، وبطلت جوائز القبائل التي يأخذونها على الحجاج إذا مروا بهم، واختفى قطاع الطرق، وسراق الأعراب، فأمنت السبل، واطمأنت البلاد واستقام العباد بتلك العقيدة السلفية، التى أظهرها الشيخ وآل سعود، حتى أصبح السعودي علما، يعرف بهذه العقيدة في الغالب وهذا الظهور يدل على علم الشيخ وصدق أنصاره، ولقد كان علم الشيخ علما أصيلا بميراث رسول الله ﷺ، وخلفه لنا في مؤلفاته ورسائله، وردوده وأجوبته جمعا وتأليفا، وبيانا واستنباطا، ميراثا نبويا، ورثه لمن بعده، كما ورثه هوعن من قبله، ويتوارثه العلماء إلى ما شاء الله تعالى، كما ورد «أن العلماء ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر»[1]. وكان وفاء آل سعود وصدقهم موافقا لمراد الله ورسوله، فكانت الوحدة، ونعمة الأمن والهداية، والعيش والثروة ـ في هذا العهد السعودي الميمون.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، جـ١ ص٢٥.

كما قال الله تعالى : ﴿ الـذين آمنـوا ولم يلبسـوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [الأنعام : ٨٢].

وقد نشأ جيل جديد، وجد نفسه في نعمة هذه الوحدة، ولم يكن يعرف ضدها وأخشى أن يلهـوويغـتر، وينسى سبب نعمتـه فلا يأخذ به، فتنتقض عليه عرى أمنه وهدايته، وتحل عليه بديلاتها، مما يغزوه عبر الأقمار الصناعية وغيرها من عقائد الكفار وأفكارهم . . فلذا رغبت في مشاركة وارثي هذا الإمام المجدد عقيدته السلفية، وعلمه الأصيـل، وولاءه لأنصـار دين الله ورسـولـه، من آل سعـود الكـرام، ومن ذلـك أن أخصص بحثي للدكتوراه فيها وفي أثرها، عسى الله أن يهب لي حظا وافرا، من هذا العلم النـافـع، والمعتقـد السلفي السليم الآمن، ونشـره واظهـاره للنـاس، عن علم واتباع، لا عن تقليد وابتداع، وأسأل الله أن لا يغير ما بنا من نعمة الأمن والهداية، والعيش والثروة والاجتماع والوحدة. والله ذو الفضل والجلال والاكرام .

٢ — الحاجة إلى كتابة عقيدة الشيخ، وعرضها، مجموعة ومرتبة ومنسقة، في رسـالـة جامعيـة، بأسلوب الـدراسات العلمية المنهجية، لتيسيرها ونشرها، والدعوة إليهـا بهذا الأسلوب المألـوف، سيما وقـد تقـاصـرت الهمم، وضعفت النفـوس عن الصبر، على مشقة البحث الطويل، لكثرة المشاغل، ونقص العلم .

وعقيـدة الشيـخ، مبثـوثة في مؤلفاته ومراسلاته، وردوده وأجوبته، واستنباطاته ونبذه وسائر آثاره، في شتى الفنون والعلوم، ولما جمعت مؤلفاته العامة بلغت مجلدات كبيرة وكثيرة، والشيخ رحمه الله، إنما كان يؤلـف بحسب ما تستدعيه حاجات الناس، وتقتضيـه مصالحهم، ويلجىء إليه واقع حياتهم، وحالتهم الاعتقادية، والواقع المؤلم للتصحيـح والاصـلاح، بعقيـدة السلف الصالح، في الأصول والفروع، فهذا جعله يهتم بما هو الأولى والأهم، ومـا ينـاسب أهـل زمـانـه ويـلائمهم؛ ولقـد خاطبهم بما يعقلون ويفهمون، بلهجتهم وأسلوبهم، على أتم وجه وأكمله، ونفع الله بعلمه وعمله .

وأردت أن أقـوم بهذه الـرسـالـة بكتابة عقيدة الشيخ وعرضها، عسى أن يكون ذلـك من المنـاسب لأهل زماننا، فيستدعيهم قراءة وقبولا، وفى صحيح البخارى، فى

كتاب الأدب، باب قول النبى ﷺ «يسروا ولا تعسروا، وكان يحب التخفيف واليسر على الناس»(١).

وفى صحيح مسلم فى كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أوسيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»(٢).

وفى صحيح البخارى، فى كتاب العلم، باب ما يذكر فى المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، عن أنس بن مالك قال: كتب النبى ﷺ كتابا، أو أراد أن يكتب - فقيل له: انهم لا يقرأون كتابا إلا مختوما، فاتخذ خاتما من فضة نقشه (محمد رسول الله) كأنى أنظر إلى بياضه فى يده»(٣).

وقد أورد الخطيب البغدادى، فى كتابه «تقييد العلم» مجموعة طيبة من الأحاديث والأخبار والأقوال والشواهد، عن السلف ترخص بكتابة العلم، وتبين فضلها فى عرضه وحفظه ونشره، وتجميل كتبه وتحسينه. وقال: «قد أوردت من مشهور الآثار ومحفوظ الأحاديث والأخبار عن رسول رب العالمين وسلف الأمة الصالحين صلى الله عليه ورضى عنهم أجمعين، فى جواز كتب العلم وتدوينه، وتجميل ذلك الفعل وتحسينه ما إذا صادف بمشيئة الله قوى شك رفعه، أو عارض ريب قمعه ودفعه»(٤).

٣ — بيان أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هى عقيدة السلف الصالح:

على الرغم من أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هى عقيدة السلف الصالح، ولم يبتدع فى ذلك شيئا، خلاف ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعهم بإحسان، لكن طالما حكم عليه وعلى ما ظهر به من هذه العقيدة بالبدعة، بغير علم وطالما تجعل عقيدته محل أخذ ورد كثير ليس فى العالم البعيد عن دائرة الإسلام. ولكن فى ذات الدائرة الإسلامية، وفيما بين المسلمين أنفسهم.

---

(١) صحيح البخارى جـ٧ ص١٠١.

(٢) صحيح مسلم جـ٤ ص٢٠٦٠.

(٣) صحيح البخارى جـ١ ص٢٤.

(٤) القسم الثالث، الفصل الرابع، ص١١٥، ١١٦ ط٢، ١٣٩٥هـ.

فهل ياترى ؟ ثم ثغرات مبتدعة فى الإسلام فتحت على ابن عبد الوهاب وأتباعه فى عقيدته؟ أم أنها محكمة البناء، صحيحة فى الادعاء، أصيلة فى الانتماء؟ لكن دخل عليها هؤلاء من باب مخالفتها لما كانوا عليه، وكان عليه آباؤهم وأجدادهم، من تقاليد عمياء وعادات جهلاء، فى دينهم واعتقاداتهم، كانت معروفة ومألوفة لديهم، وقد درجوا عليها يعدونها دينا يقربهم إلى الله ويحسبونها قربة مسنونة، فما فجأهم إلا والشيخ يطلع عليهم بما لا يعهدون وبما لا يعرفون، فاستنكروا ولقنهم الشيطان حجج أمثالهم السابقين مثل: «إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون» فمن هنا حكموا على عقيدة الشيخ بالبدعة؟ أو من باب الحسد والبغى دخل عليه أقوام لديهم علم وجاه كما قيل:

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه   فالقوم أعداء له وخصوم

وهذا وذاك من الأبواب المفتوحة، والسنن الجارية فى هذه الدنيا ليبلوا الله أهلها أيهم أحسن عملا؟ وسنة الله فى الذين خلوا من قبل على امتداد التاريخ، والله هو العزيز الغفور.

هذا أيضا مما دفع بى إلى أن استوعب مؤلفات الشيخ وآثاره، فى هذا المبحث ثم استخلص منها عقيدته مباشرة، ليعلم من يقصد الحق أنها عقيدة السلف الصالح، أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية الذين رضى الله عنهم، ورضوا عنه، وأعد لهم جناته التى تجرى من تحتها الأنهار، وان خالفت ما عليه أكثر من يدعى الإسلام، وهم ليسوا من الإسلام فى شىء.

أما من لا يريد الحق فتقوم عليه الحجة بيسر ووضوح «ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حى عن بينة».

نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

والدين النصيحة.

والله المستعان عليه نتوكل وإليه المصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

هذا ولقد كتب عن تاريخ الشيخ وحياته، وفكره، ودعوته، ومؤلفاته، وآثاره وأقوال الناس فيه، الشىء الكثير الجيد، من قبل العلماء، والباحثين، والكتاب وقد استفدت من ذلك كثيرا.

لكنى بالاضافة إلى الأسباب المتقدم ذكرها أردت بهذا البحث أن أدلى بدلوى مع الدلاء، وأن أتطفل على العلماء، وأسهم بسهم مع الفضلاء، تشبها بهم، وحبا لهم، ولمنهجهم وموضوع بحثهم، وإن لم أكن فى مقامهم وسبقهم، فاللاحق يتبع السابق، كما يتبعه من بعده.

وقال الله تعالى: ﴿**ولكل وجهة هو موليها، فاستبقوا الخيرات، أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا، إن الله على كل شيء قدير**﴾ (البقرة: ١٤٨).

وأسأل الله تعالى أن يجزى عنا العلماء، وورثة الأنبياء خير الجزاء... وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الشـــكر:

أحمد الله وأشكره، ولا أحصى ثناء عليه سبحانه وتعالى، بل هو كما أثنى على نفسه عز وجل.

وأمدح رسول الله ﷺ، وأثنى عليه وأشكره، فقد بلغ رسالة ربه ونصح لنا خير النصح، وأتمه، وجاهد فى ذلك جهادا كبيرا، وحرص علينا حرصا بالغا وشملنا الله برأفته ورحمته، فهو الرحمة المهداة، والنعمة العظمى، فجزاه الله عنا خير ما جزى به نبيا عن أمته، وصلى عليه وسلم على الدوام، وعلى آله وأصحابه وأتباعه الرحمة والرضوان.

ثم أشكر المشرف عليّ فى هذا البحث، فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد فقد قام بالارشاد والتوجيه، وأفادنى فى ذلك فائدة كبيرة.

كما أشكر فضيلة الشيخ عبد الله الغنيمان، فإنه شجعنى على المواصلة بفرع العقيدة فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وأشكر الدكتور عبد الله الصالح العثيمين، حيث كَرُمَ وأهدانى نسخة من مؤلفه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وكذلك الزملاء الكرام، سليمان السلومى، وسليمان العرينى، وسليمان السعود، وعبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، ومحمد الفلاح، وجارنا محمد الصافى، فقد أعارونى كتبا استفدت منها.

ولا أنسى وكيل إمارة حائل صديقنا الشيخ مقبل بن شيخنا الشيخ محمد الصالح المقبل فقد صور لى مخطوطا بعنوان الرسائل المرقومة للشيخ محمد بن عبد الوهاب من مكتبة خاصة بحائل.

كما أشكر صهرى، ناصر العتيق، وعمى إبراهيم العبود - على ما قاما به من جلب بعض المراجع من الرياض، وأشكر ولدى عبد الله فقد ساعدنى بما قام به من تخفيف مشاغل البيت عنى.

وعموما أشكر كل من أفادنى فى ذلك، وأسأل الله أن يجزيهم عنى خيرا وهو القريب المجيب.

وأشكر الجامعة الاسلامية فقد وجدت فيها محضنا من محاضن العلم والرعاية حين تشرفت بالانتماء إليها.

وأشكر رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد على ما توزعه من مراجع هامة فى الموضوع كان لى منها نصيب كبير.

كما أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية فقد منحتنى مؤلفات الشيخ فى مجموعة طبعتها وكذلك مجموعة بحوث أخرى عن الشيخ وعقيدته.

وكل ذلك يسر الله لى به الاستفادة والبحث، ولله الحمد.

وأختم بشكر حكومتنا السعودية - فلقد نعمت بظلهم، وتعلمت بمدارسهم ونشأت فى خيرهم، ومنذ نشأتى، وأنا أتقلب فى معاقلهم العلمية والتربوية، منذ الابتدائية السعودية فى المذنب عام ١٣٦٧هـ، إلى الجامعة الاسلامية حاليا، وفى كل معقل نتلقى الميراث النبوى والحجة الرسالية، والعلم النافع فى الدنيا والآخرة، بأمانة وقوة وأمن ورعاية.

والحمد لله رب العالمين والشكر له، والصلاة والسلام على رسول الله فى البدء والختام، فان الله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شىء عليم.



خطة البحث

هذا وقد جعلت موضوع البحث من مقدمة ومدخل وبابين وخاتمة .

فأما المقدمة : فتضمنت بيانا لأهمية الموضوع وأسباب اختيارى له والشكر وخطة البحث .

وأما المدخل : فيشتمل على مبحثين .

الأول : فى البيئة من حول الشيخ فى العالم الاسلامى .

والثانى : مبحث فى حياة الشيخ يتضمن ترجمته ونشأته ورحلاته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ووفاته ورثاءه .

وأما البابان :

فالباب الأول : هو فى عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، ويتضمن أربعة فصول :

الفصل الأول : فى منهج الشيخ رحمه الله تعالى فى عقيدته ودعوته .

الفصل الثانى : فى مجمل عقيدة الشيخ .

الفصل الثالث : فى عقيدة الشيخ فى التوحيد من مقاميه : المقام الخبرى ـ والمقام الطلبى .

الفصل الرابع : هو فى التحذير من نقيض عقيدة السلف الصالح أو نقيض كمالها .

الباب الثانى : فى أثر عقيدة الشيخ السلفية فى العالم الإسلامى ـ ويتضمن خمسة فصول :

الفصل الأول : فى ظهور دعوة الشيخ ، وأسباب ومبادىء تأثيرها .

الفصل الثانى : فى أثرها فى الدور الأول من أدوار دولة أنصارها .

الفصل الثالث : فى أثرها فى الدور الثانى .

الفصل الرابع : فى أثرها فى الدور الثالث .

الفصل الخامس : فى أثرها فى خارج سلطانها من العالم الإسلامى .

وأما الخاتمة : فهى تتضمن خلاصة البحث ونتيجته .

المدخل

ويشتمل على مبحثين :

١ — المبحث الأول : فى البيئة من حول الشيخ فى العالم الإسلامى .

٢ — المبحث الثانى : فى حياة الشيخ - ويتضمن ترجمته ونشأته ورحلاته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ووفاته ورثاءه .

المبحث الأول
فى البيئة من حول الشيخ فى العالم الإسلامى

لقد كانت البيئة من حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى البلدان الاسلامية قد تحولت عن صبغتها الاسلامية فى غالب أحوالها سواء فى العقيدة أوفى السياسة، وقد حدث فى أكثرها ما هو أشد من أحوال الجاهلية الأولى فى العقيدة والسياسة، وما من شك أن المجتمع يفقد رشده وأمنه واستقراره إذا غلبت عليه عقيدة الجاهلية، وظهرت فيه البدع والشركيات .

وهكذا كانت البيئة بصفة عامة التى واجهها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فزار بعض البلدان وشهد بيئتها وبعض البلدان الأخرى التى لم يزرها سمع عنها .

وفيما يلى شىء من تفصيل ذلك :

فى الأحوال السياسية والدينية :

أما فى الأحوال السياسية والدينية فيما سبق ظهور الدولة السلفية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتجاوب الأمير الراشد محمد بن سعود - فكانت كما يلى :

نجــد وأحـــوالها :

أما نجد فانها منذ مدة طويلة قبل ظهور دعوة الشيخ محمد لم تشهد سلطانا قويا صالحا يحكم وجـوده على سير الحـوادث داخلهـا ، ويـوحـد أجزاءها ، ويحدث فيها استقراراً سيـاسيـا وأمنـا شامـلا ، فقـد كانت محكومة بغلبة الأخيضريين العلويين الذين أعلنوا استقلالهم عن الخلافة العباسية واستمر ملكهم على اليمامة حتى غلبهم القرامطة سنة ٣١٧هـ (١)

ويـذكـر حمد الجـاسر فى كتابه (مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ) أن المؤرخين يكـادون يجمعـون على أنـه فى سنـة ٢٥٣ هـ تقريبا استولى الأخيضريون أسرة علوية على اليـامـة ، وكـانـوا سيئى السـيرة فلم يقتصـر ضررهم على إضعاف تلك المدينة وتشتيت أهلهـا عنـد غزوهم إيـاهـا. بل شمـل غيرهـا من مدن نجد فى ذلك العهد وانقشـع أهلهـا من جورهم إلى أرض مصـر ، ولم ينتزع أحد منهم هذه الولاية إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر وهم ذوو شوكة ومن فرقة الزيدية ، فيقولون فى الآذان : (محمد وعلي خير البشر وحي على خير العمل) .

ويقـرر الجـاسر أنه منذ أن حكم هؤلاء الأخيضريون اليمامة وما حولها من نجد إلى قيام الدولة السعودية بنصرة الدعوة الاصلاحية الدينية بعد منتصف القرن الثانى عشر الهجرى واليمامة وما حولها تعيش فترة من التاريخ مجهولة إلا نتفا ضئيلة من بعض المؤرخـين ، لأن حكم الأخيضـريين قضى على مدينة حجر قصبة اليمامة وشرد أهلها وأضعف شأنها ، ثم بزوال الأخيضريين لم تحكم اليمامة حكما قويا ولم تقم فيها أية دولة ذات شأن ليهتم المؤرخون بأمرها ، وبلاد نجد أصبحت كلها مجزأة إلى امارات متفرقة وأصبحت خاضعـــة للدويـــلات الصغـيرة التى حكمت البحـرين والأحســاء مثـل القرامطة والعيونيين والجبريين الذين منهم أجود بن زامل الجبري . وكل هؤلاء اتخذوا الأحساء قاعدة لحكمهم الذى امتد إلى بلاد نجد(٢) .

وكـانت الحـروب بين البلدان النجـديـة قائمـة ، والصراع بين قبائلها المختلفة

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلانى ص٢٨ ، وتاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ محمد . . . تأليف حسين خلف الشيخ خزعل ص٣٦ .

(٢) انظر: مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، بقلم حمد الجاسر ص٦٩-٧٩

مستمرا وحادا وعنيفا ــ ولذا كانت نجد متمزقة بين امارات صغيرة متعادية ومتفككة، فى كل قرية أمير وفى نفس الوقت يتهدده طامع فى امارته وربما يكون أقرب أقربائه(١). فهو خائف ومخيف وسياسته انبثقت من هذه الحالة، وما كان بين امراء القرى فى الغالب وفاق، ولكن كل أمير يتربص بالآخر ويتحين فرص الوثوب عليه، وقد وصل الحال إلى أن القرية الواحدة تتمزق بين أميرين متعاديين أو ثلاثة أو أكثر كل منهم يدعى لنفسه الولاية كما هو شأن حريملاء حيث كانت منقسمة بين قبيلتين كان أصلهما واحد ثم افترقوا إلى حزبين كل منهم يدعى القول له وليس للآخر على الثانى قول، والبلد لا يرأسه رئيس واحد، أو مجموعة متحدة فى هدف واحد، فذلك يزع الجميع ان كان قويا(٢).

وذكر ابن بشر فى سابقة سنة ١١٢٠هـ أن ناصر بن حمد غدر بفوزان أمير التويم أو رئيسه فتولى فى بلد التويم محمد بن فوزان ثم تمالأ عليه رجال فقتلوه منهم المفرع وغيره من رؤساء البلد وهم أربعة رجال فلم يستقم لأحدهم ولاية فقسموا البلد أرباعا كل واحد شاخ فى ربعها فسموا المربوعة أكثر من سنة، قال ابن بشر: (وإنما ذكرت هذه الحكاية ليعرف من وقف عليها وعلى غيرها من السوابق نعمة الإسلام والجماعة والسمع والطاعة ولا نعرف الأشياء إلا بأضدادها فإن هذه قرية ضعيفة الرجال والمال وصار فيها أربعة رجال كل منهم يدعى الولاية على ما هو فيه)(٣).

نجد لم تشهد نفوذا عثمانيا :

ولم تشهد نجد على العموم نفوذا للدولة العثمانية، فما امتد إليها سلطانها(٤) ولا أتى إليها ولاة عثمانيون، ولا جابت خلال ديارها حامية تركية فى الزمان الذى سبق ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ومما يدل على هذه الحقيقة التاريخية استقراء تقسيمات الدولة العثمانية الادارية فمن خلال رسالة تركية عنوانها (قوانين آل عثمان در مضامين دفتر ديوان) يعنى (قوانين آل عثمان فيما يتضمنه دفتر الديوان) ألفها

---

(١) انظر: ابن بشر عنوان المجد فى تاريخ نجد... سابقة سنة ١١١١هـ جـ١/١٢٢-١٢٢٣ وسوابق ابن بشر عموما تبين هذه الأحوال السياسية. وانظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. للدكتور العثيمين.

(٢) انظر: ابن بشر، تاريخ نجد... ١/٩.

(٣) ابن بشر ـ عنوان المجد فى تاريخ نجد جـ١/١٥٨.

(٤) تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلانى.

ـ يمين على أفندي ـ الذي كان أمينا للدفتر الخاقاني سنة ١٠١٨هـ الموافقة لسنة ١٦٠٩م ونشرها ساطع الحصري ملحقا من ملاحق كتابه (البلاد العربية والدولة العثمانية).

من خلال هذه الرسالة يتبين أنه منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري كانت دولة آل عثمان تنقسم إلى (٣٢) ايالة منها (١٤) ايالة عربية وبلاد نجد ليست منها ماعدا الأحساء ان اعتبرناه من نجد[1]. ثم ان نفوذ العثمانيين ما لبث أن ضعف في جزيرة العرب نتيجة لمشاكلهم الداخلية والخارجية[2]، فاضطروا في نهاية الأمر إلى ترك اليمن بسبب ثورة أئمة صنعاء ضدهم، واضطروا إلى مغادرة الأحساء أيضا أمام ثورة زعيم بني خالد براك بن غرير وأتباعه سنة ١٠٨٠هـ [3].

أشـــراف الحجـــاز :

وأما الحجاز فقد كان يحكمه الأشراف تحت سلطان الدولة العثمانية وفي القرن الثاني عشر ابتداء من أوله كان هؤلاء الأشراف في منازعات بينهم وحروب كانت تقوم بين الأخ وأخيه والعم وابن أخيه وتهدر فيها الدماء وتستحل الحرمات. فكان معدل ولاية الأمير على مكة سنة أو سنتين، لكثرة الاغتيال والغدر والخلاف، وكان من هوانهم على السلطان العثماني أنه يوكل أمرهم أحيانا إلى واليه على مصر وكان والي مصر يولي من يشاء ويعزل من يشاء باسم السلطان.

ولقد تعاقب على إمارة مكة خلال القرن الثاني عشر وحده ثلاثون شريفا لم ينعم واحد منهم بالاستقرار وصارت السلطة مثار نزاع لا نهاية له، يفرض أقواهم على الآخرين ويتدخل السلطان التركي أحيانا في النزاع ليجلس على كرسي الحكم أحد الخصوم، ولا يتورع هؤلاء الأمراء المتنازعون عن أن يصلوا بمعاركهم إلى قلب الأماكن المقدسة مخالفين بذلك نصوص القرآن والسنة، وأهملت أمور الدين حتى لم يعد الشريف محل ثقة بأمور الإسلام في نظر المسلمين.

---

(١) انظر: البلاد العربية والدولة العثمانية، ساطع الحصري ص٢٣٠-٢٤٠. وانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، محمد كمال جمعه ص١٣.

(٢) انظر. تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور العجلاني ص٤٧.

(٣) انظر. الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. للدكتور العثيمين ص١٠، ١١. وعنوان المجد، سابقة (١٠٨٠هـ).

هذه حالة شرفاء مكة فى أول ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما كانوا قادرين على عدوانهم على أهل نجد كما كانوا من قبل منذ القرن العاشر الهجرى أو على غير أهل نجد لضعفهم وتخاذلهم وخوف بعضهم من بعض ومع هذا فقد اتخذوا تدابير عدائية فى مكة ضد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عقيدة السلف الصالح ـ فقد اعتبروه وأنصاره وهابية مبتدعة فمنعوهم من الحج، بل أطلقوا عليهم الكفر[1].

الدولة العثمانية فى حكم الزوال :

ولقد كانت الدولة العثمانية بأجمعها وفيما امتدت إليه سلطتها منذ أوائل القرن الثانى عشر للهجرة النبوية فى حكم الزوال قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فقد انهزم سلاطين آل عثمان أمام النمسا وروسيا والبندقية وغيرها من دول النصرانية بتوقيعهم ما يسمى «صلح كارلوفتسى» عام ١١١٠هـ (١٦٩٩م) وهو وثيقة انهزامهم عن حماية بلدانهم الإسلامية من هذه الدول النصرانية المعادية للإسلام والمسلمين، وبموجب تلك الهزيمة طمع الأوربيون بازالة الدولة نهائيا وسموا سلطان آل عثمان «الرجل المريض» واتفقوا على اقتسام تركته لكن اختلفوا فى نصيب كل منهم من هذه التركة التى هى البلاد العثمانية الإسلامية، فكان هذا الاختلاف هو الذى أخرهم عن ازالة شبح السلطان العثمانى مدة من الزمان.

وفى الحقيقة أن السلطان العثمانى أصبح منذ ذلك الوقت ليس له من الأمر فى الدولة العثمانية شىء وإنما لبعض الوزراء الذى كان أصلهم من عناصر أجنبية أوربية ومن يهود الدونمة وماسون سالونيكا المتظاهرين بالإسلام، ومن المعجبين بكفر «النصارى» والحاد القوميين والعلمانيين[2]. حتى انقلبت الدولة العثمانية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال وقام كثير من الولاة والأمراء بالخروج عليها وتكوين

---

(١) انظر: تاريخ مكة، دراسات فى السياسة والعلم والاجتماع والعمران، أحمد السباعى جـ٢ ص٨٠، ٩٣، ص٩٤-١٠١. والبدر الطالع للشوكانى جـ٢ ص٧. وانظر: تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلانى ص٣٠-٣٢.

(٢) انظر: انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية لمحمد كمال جمعه ص١١، ١٢. وانظر: فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام لصالح بن عبد الله العبود. ـ رسالة ماجستير ـ ص٣٦-٥٦.

حكومات مستبدة وضعيفة لا تستطيع اخضاع من فى حكمها، فكثر السلب والنهب وفقد الأمن[1].

ويقول محمد كمال جمعه «وكانت قصور السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة مملوءة بالجوارى والسبايا وكان بعض أولئك السبايا أجنبيات من بلاد أجنبية فكن عيونا لدولهن على الدولة العثمانية»[2].

وقال أيضا: «وقد تعالى سلاطين هذه الدولة على الرعية فإذا خاطبوا الرعية كانوا لا يوجهون الخطاب إليها مباشرة بل يقولون لولاتهم بلغوا عبيد بابنا العالى»[3].

وكانت الدولة العثمانية تؤيد التصوف فى مختلف طرائقه وبصورته التى بعدت عن الإسلام بعدا شاسعا، وكانت قد دخلت من عادات بعضها نصرانية، كالرهبانية، واللعب بذكر الله، وابتداع أساليب فيه، كالرقص والغناء والصياح، والأشعار والتصفيق والمدائح والموالد، وبعضها من الهندوسية أو الفارسية أو اليونانية، كدعوى الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود. والدولة العثمانية كانت ترى هذا اللون من صميم الدين الإسلامى، فكان السلاطين يخضعون لمدعى التصوف ويبالغون فى تعظيمهم، بل يغلون فيهم حتى غلب اعتقاد العامة فيهم على همم العلماء المصلحين. وهذا بالاضافة إلى القباب والقبور والمزارات التى يقصدها الناس بالذبح والنذر والقرب والدعاء وهى منتشرة وكثيرة فى ظل الدولة العثمانية وحمايتها[4].

وهى الدولة التى تعتبر أكبر الدول الإسلامية فى أيامها والتى كان يعد سلاطينها خلفاء للمسلمين، والتى كانت تعتبر دولة سنية ولا يوجد للمسلمين دولة أوسع منها فى ذلك الزمان قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الدولة الصفوية الرافضية :

فالدولة الصفوية المعاصرة للدولة العثمانية فى ذلك الزمان وإن كانت تدعى

---

(١) حاضر العالم الإسلامى - تأليف لوثروب الأمريكى - فى تعليق شكيب آرسلان جـ١/٢٥٩.
(٢) انتشار دعوة الشيخ... ص١٢.
(٣) المصدر السابق... ص١٣.
(٤) انظر: المصدر السابق... ص١٤-١٩.

الإسلام فهى دولة رافضية على مذهب الإمامية وكانت تغالى فى الرفض حتى أنها تحارب الدولة العثمانية لأنها منسوبة إلى السنية أشد الحرب بتحريض نصارى الانكليز، ثم انتهت بمقتل نادر شاه عام ١١٦٠هـ واضطرب أمر بلاد فارس ـ وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى سن الخامسة والأربعين رحمه الله[١].

الدولة المغولية فى الهند :

وكان فى ذلك الزمان يوجد فى الهند الدولة المغولية[٢]. لكنها كانت بقية ورثها أبناء ملك الهند المغولى أكبر خان وقد قرب الشاعر الشيعى المسمى الملا مبارك وولديه، ـ أبا الفائز (وكان شاعرا متصوفا) وأبا الفضل (وكان فيلسوفا على طريقة الصوفية المنحرفة) ـ وجعل فتح الله الشيرازى من أكابر علماء الشيعة من فارس مستشاره الشرعى وهو شديد الوطأة على علماء أهل السنة، وألغى اللسان العربى من بلاطه وجعل الفارسى مكانه وكان ميالا إلى التصوف المنحرف ويراه أرقى طريقة إسلامية وهو على طريقة تصوف أهل وحدة الوجود، وله عقائد أخرى منها تناسخ الأرواح ـ أخذه عن البراهمة[٣].

مما دعا أمثال الشاه ولي الله الدهلوى (ت ١١٧٦هـ) فى نهاية هذا العصر المغولي أن يقوم بجهود تكسر الجمود وتطلق العقول لتتمشى مع صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان[٤]. لكن انتهت دولة المغول فى الهند، وطمعت البرتغال الكافرة فى مسلمى الهند بسبب فساد ملوك هذه الدولة المغولية، وقامت حروب داخلية كثيرة وتغلب فيها الهندوس واستعمرتها شركة الهند الشرقية الانجليزية حوالى سنة ١١٧٥هـ[٥].

---

(١) انظر: المصدر السابق ص١٩، ٢٠.

(٢) انظر: الموسوعة العربية الميسرة فيها كلمة عن (مغول) وأنهم ظهروا بزعامة جنكز خان ثم ادعوا الإسلام كما هو معروف تاريخيا.

(٣) انظر: حاضر العالم الإسلامى، تأليف لوثروب الأمريكى جـ٤/ ٣٠٩-٣٠٩. وموجز تاريخ تجديد الدين واحيائه، للمودودى ص٦٩-٧٩. وحركة الانطلاق الفكرى وجهود الشاه ولي الله الدهلوى فى التجديد لمحمد إسماعيل السلفى ص٥٦.

(٤) حركة الانطلاق الفكرى ص٦، ص٢٧٠، ٢٧١ ـ موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه للمودودى ص٧٩، ٨٠.

(٥) انظر: المصدر السابق انتشار دعوة الشيخ. . . ص٢٠، ٢١.

وهذا يبين لنا كيف كان حال المسلمين فى الهند قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

فى المغــرب الأقصى :

وكان فى المغرب الأقصى دولة العلويين الذين بدأ حكمهم عام ١٠٧٥هـ ومع أنهـا دولـة مغـربيـة اقتصرت على إقليم المغـرب كانت غير سليمـة بسبب الفتن بين العرب والبربر والصوفية المنحرفة المنتشرة خصوصا الطريقة الشاذلية والبدع فى الدين[١].

فى غــرب أفـريقيا :

وكـان فى غرب أفـريقيـا مجمـوعة امارات الهوسا، التى كان أمراؤ ها قد انتسبوا إلى الإسلام ولكن أكثرهم لم يكن ملتزما به، وكانت البدع والطرق الصوفية خصوصا القـادريـة منتشـرة بين قبـائـل الهـوسا من المسلمين، والكثير من رعايا امارات الهوسا مايزالون على الوثنية، ويسود الجميع روح العصبية للقبيلة إلى جانب الفساد والمظالم فى امارات الهوسا والحروب المستمرة بينها[٢].

فى أواســط آســيا :

وفى أواسـط آسيـا، كانت روسيـا النصـرانية فى عهد بطرس الأكبر قد استولت على من ينتسب إلى الإســلام فى تركستـان الشـرقيـة. وكـان هؤلاء المنتسبـون إلى الإسلام فى وادى نهر سيحون يكونون إمارات متفرقة مما أدى إلى ضعفها أمام مطامع روسيا النصرانية، وكانت البدع والطرق الصوفية خصوصا النقشبندية منتشرة هناك.

فى الصــين :

وفى الصـين شقي من ينتسب إلى الإسـلام بحكم أسـرة المـانشو التى عملت على إرضاء البوذيين بمضايقة المسلمين.

---

(١) انظر: المصدر السابق... ص٢١، ٢٢.
(٢) انظر: المصدر السابق... ص٢٢، ٢٣.

فى أندونيســيا :

وفى أنـدونيسيـا لم يؤلف المتسبـون إلى الإسـلام دولة قوية تلم شملهم ولكن كونوا ممالك صغيرة سادتها الخلافات الداخلية وانتشرت فيها البدع ومخلفات جاهلية الهنود والصين الخرافية القديمة، وتغلبت على مقدراتهم الشركة الهولندية[1].

وهكذا كان حال أهل البلدان الإسلامية فى أول القرن الثانى عشر الهجرى.

وبمقـارنـة شرك المشـركـين فى زمان الشيخ بشرك مشركى أهل الجاهلية الأولى فإننـا نجـد أن مشـركى الجـاهليـة الأولى يشـركون فى الرخاء ويخلصون الدعاء لله فى الشدة ـ أما مشركو هذا الزمان فإنهم يشركون فى الرخاء والشدة على حد سواء.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «القاعدة الرابعة أن مشركى زماننا أغلظ شركا من الأولين ـ لأن الأولين يشركون فى الرخاء ويخلصون فى الشدة، ومشركو زمـاننـا شركهم دائـما فى الرخاء والشدة. والدليل قوله تعالى: ﴿ **فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون** ﴾ [العنكبوت: ٦٥] اهـ من القواعد الأربع.

وكـان الـواقـع المشهود والذى سجله أهل التاريخ هو أن كثيرا ممن يعبد الأولياء وأضـرحـة المشـائـخ والسـادة إنـما يفـزعـون فى حال الشـدة وحلول المصائب بهم إلى الاستغاثة بمعبوداتهم من دون الله من جني وولي ومعتقد، فهويهتف بدعاء غير الله ان قام وان قعـد، ترى الـرافضى ان حمل شيئـا ثقيـلا هتف يستعـين فيقـول ياعلى أو ياحسـين، ومثله من يعبـد وليـا أو غيره كمن يهتف ويستهـل بالبدوى، وعبد القادر، ورسول الله ﷺ يدعوهم فى حال الشدائد والكوارث راجيا منهم كشف ضره وشفاء مريضه.

هذا فضلا عن حال السرور والرخاء ـ فإنه فى تلك الحال يتقرب إلى معبوداته بما لا يصلح إلا لله تعالى، يرجو مزيد رخائه، ودوام سروره، فهوعلى الشرك دائم فى كل أحواله بخلاف المشركين الأولين الذين ذكر الله قصتهم فى القرآن الكريم كما ذكرنا آنفا.

---

(١) المصدر السابق ص٢٣-٢٥.

ومن تَتَبَّع آثار الشيخ القولية يمكن استبيان صورة للحالة التى واجهها رحمه الله ورآها منحرفة عن الدين الحق الذى جاء به رسول الله محمد ﷺ ـ وقدمنا قوله من القواعد الأربع فى بيان الحد الذى وصل إليه شرك المشركين فى زمانه وهو أمر واقع قد رصده أهل التاريخ ولا يزال باقيا فى البلدان التى لم تستنر بالدعوة إلى توحيد الله بالعبادة كما دعا رسول الله ﷺ ، كالذى يفعل عند البدوى بمصر وعند مشاهد الرافضة بايران والعراق وغير ذلك.

قال الشيخ فى معنى (لا إله إلا الله) إنها نفي الألوهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات حتى محمد ﷺ حتى جبريل فضلا عن غيرهما من الأولياء والصالحين، وأن هذه الألوهية هى التى تسميها العامة فى زماننا السر والولاية والإله معناه الولي الذى فيه السر وهو الذى يسميه الفقراء الشيخ ويسميه العامة السيد وأشباه هذا، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن الإنسان يلتجيء إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله، فالذى يزعمه أهل الشرك فى زماننا أنهم وسائط هم الذين يسميهم الأولون الآلهة. والواسطة هو الإله فقول الرجل لا إله إلا الله إبطال للوسائط.

ثم ان الشيخ جعل يبين أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ـ وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحي ولا يميت ولا يدبر الأمر إلا الله كما قال تعالى: ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله**﴾ [يونس: ٣١]. قال ومع هذا الاقرار يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفا من الله عز وجل ـ ومع هذا لم يدخلهم فى الإسلام ولم يحرم دماءهم وأموالهم لأنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية وهو أنه لا يدعى إلا الله وحده لا شريك له ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره، لا ملك مقرب ولا نبى مرسل فمن استغاث بغيره فقد كفر ومن ذبح لغيره فقد كفر ومن نذر لغيره فقد كفر.

والشيخ يبين ذلك ليشخص مشابهة جاهلية أهل زمانه فى اعتقادهم لأولئك الذين كانوا فى زمان رسول الله ﷺ وزيادتهم عليهم فيقول: فإن قال قائل من المشركين نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر لكن هؤلاء الصالحين مقربون ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم نريد بذلك الوجاهة والشفاعة

وإلا فنحن نفهم أن الله هو المدبر، فقل كلامك هذا مذهب أبى جهل وأمثاله فإنهم يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والأولياء يريدون ذلك.

كما قال الله تعالى: **﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾** [الزمر:٣].

وكما قال تعالى: **﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾** [يونس: ١٨].

إلى أن قال الشيخ رحمه الله ـ إذا عرفت هذا وتأملته جيدا فقد تبين لك صفة الإسلام الذى دعا إليه نبيك ﷺ وتبين لك أن كثيرا من الناس عنه بمعزل وتبين لك معنى قوله ﷺ «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ».

ثم يحث رحمه الله على الكفر بالطواغيت ومعاداتهم وبغضهم وبغض من أحبهم وجادل عنهم ومن لم يكفرهم وقال ما على منهم أو قال ـ ما كلفنى الله بهم فقد كذب هذا على الله وافترى فقد كلفه الله بهم وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم.

ثم قال الشيخ: «ولنختم الكلام بآية ذكرها الله فى كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرا من الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ـ قال الله تعالى: **﴿وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾** [الأسراء: ٦٧].

فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشائخ فلم يدعوا أحدا منهم ولم يستغيثوا به بل أخلصوا لله وحده لا شريك له واستغاثوا به وحده فإذا جاء الرخاء أشركوا.

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا، ولعل بعضهم يدعى أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف أوعبد القادر الجيلانى وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير وأجل من هؤلاء مثل رسول الله ﷺ فالله المستعان.

وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة مثل شمسان وادريس ويقال له الأشقر ويوسف وأمثالهم . اهـ (١).

ويقول الشيخ رحمه الله فى رسالته إلى أهل الرياض ومنفوحة وهو اذ ذاك مقيم فى العيينه بعد أن بين لهم معنى (لا إله إلا الله) كما سبق ـ إذا عرفتم ذلك فهؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهل الخرج وغيرهم مشهورون عند الخاص والعام بذلك وأنهم يترشحون له، ويأمرون به الناس ـ كلهم كفار مرتدون ـ عن الإسلام ومن جادل عنهم أو أنكر على من كفرهم، أوزعم أن فعلهم هذا لوكان باطلا فلا يخرجهم إلى الكفر ـ فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق لا يقبل خطه ولا شهادته ولا يصلى خلفه، بل لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم .

ويقرر الشيخ رحمه الله تعالى وجود متصوفة اتحادية فيقول :

وكذلك أيضا من أعظم الناس ضلالا متصوفة فى معكال وغيره، مثل : ولد موسى بن جوعان وسلامة بن مانع وغيرهما يتبعون مذهب ابن عربى وابن الفارض . وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربى من أئمة أهل مذهب الاتحادية ، وهم أغلظ كفرا من اليهود والنصارى، فكل من لم يدخل فى دين محمد ﷺ ويتبرأ من دين الاتحادية فهو كافر برىء من الإسلام، ولا تصح الصلاة خلفه ولا تقبل شهادته .

ويبين الشيخ رحمه الله حالة علماء السوء الذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له ـ إذا رأوا من يعلم الناس ما أمرهم به محمد ﷺ من شهادة أن لا إله إلا الله ـ وما نهاهم عنه مثل الاعتقاد فى المخلوقين الصالحين وغيرهم، قاموا يجادلون ويلبسون على الناس، ويقولون كيف تكفرون المسلمين؟ كيف تسبون الأموات آل فلان أهل ضيف، آل فلان أهل كذا وكذا؟ ومرادهم بهذا لئلا يتبين معنى لا إله إلا الله ، ويتبين أن الاعتقاد فى الصالحين النفع والضرر ودعاءهم كفر ينقل عن الملة فيقول الناس لهم انكم قبل ذلك جهال، لأى شىء لم تأمرونا بهذا؟

---

(١) انظر: نص هذا البيان فى روضة ابن غنام جـ١ / ١٧٥ـ١٧٨ ، وتحرير الأسد لروضة ابن غنام ط١ ١٣٨١هـ مط المدنى ص٤٦٧ـ٤٧١، ومجموعة التوحيد، ط السلفية بمصر ص٢٥٠ـ٢٥٣ والدرر السنية ط٢ جـ٢ ص٥٨ـ٦١ . وزيد رضى الله عنه مدفون بنجد، والزبير رضى الله عنه مدفون بالبصرة فكان أكثر المعاصرين للشيخ يستغيثون بهما، وبالجيلانى، بل فى نجد يستغيثون بأناس يدعون إلى عبادة أنفسهم مثل شمسان وادريس ويوسف كما ذكر الشيخ هنا وفى غيره.

ويبـين الشيـخ أن من جهـالتهم بمعنى لا إلـه إلا الله أنهم إذا رأوا من يعلم الشيوخ والصبيان أو البدو شهادة أن لا إله إلا الله قالوا: قولوا لهم يتركون الحرام.

قال الشيخ رحمه الله وهذا من عظيم جهلهم فانهم لا يعرفون إلا ظلم الأموال وأمـا ظلم الشـرك فلا يعرفونه ـ وقد قال الله تعالى: ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾ وأين الظلم الذى إذا تكلم الإنسان بكلمة منه، أومدح الطواغيت أوجادل عنهم خرج من الإسـلام ولـو كان صائما قائما؟ من الظلم الذى لا يخرج من الإسلام بل إما أن يؤدى إلى صاحبه بالقصاص وإما أن يغفره الله؟ ا. هـ (وقد سجل تحتها عبد الله بن عيسى فقـال بعـد أن حمد الله وصلى على رسولـه وسلم (ﷺ) ـ يقول العبد الفقير إلى الله تعـالى عبـد الله بن عيسى بن عبـد الرحمن: إن أول واجب على كل ذكر وأنثى معرفة شهـادة أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له ـ ثم مضى ابنَ عيسى يقرر شأنها ويدلل عليهـا من كتـاب الله تعـالى ويحث على معـرفتهـا ويبين حكم من أشرك فيها إلى أن قال: (فـالله الله عبـاد الله لا تغـتـروا بمن لا يعـرف شهـادة أن لا إلـه إلا الله وتلطـخ بالشرك وهو لا يشعر فقد مضى أكثر حياتى ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم، فلله الحمـد على ما علمنـا من دينـه ولا يهولنكم اليوم أن هذا الأمر غريب)[1] إلى أن قال (وأما الاتحادى ابن عربى صاحب الفصوص المخالف للنصوص وابن الفارض الذى لدين الله محارب وبـالبـاطـل للحق معـارض فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير الـرسـول سبيـلا وانتحـل طريق المغضـوب عليهم والضـالـين المخالفين لشريعة سيد المرسلين) إلى قوله (فإن لم يتب إلى الله من انتحل مذهبهما وجب هجره عن الولاية إن كان ذا ولاية من إمامة أوغيرها فإن صلاته غير صحيحة لا لنفسه ولا لغيره ـ فإن قال جاهل أرى عبد الله توه يتكلم فى هذا الأمر فيعلم أنه إنما تبين لى الآن وجوب الجهاد فى ذلك علي وعلى غيرى ـ لقوله تعالى: ﴿**وجاهدوا فى الله حق جهاده**﴾ إلى أن قال (ملة أبيكم إبراهيم) ا. هـ [2].

---

(١) انظر: الرسالة التى أرسلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أهل الرياض ومنفوحة وهو إذ ذاك مقيم فى بلد العينيـة، ومـا سجله عليهـا الشيخ عبد الله بن عيسى قاضى الدرعية فى روضة ابن غنام ١/ص١٤٥ـ١٥٠، وفى تحرير الأسد ص٣٤١ـ٣٤٨. وانظر: الدرر السنية جـ٨ ص٧٠ـ٧٣.

(٢) المصدر السابق روضة ابن غنام ص١٥٠.

ويبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ما عليه أكثر البوادى عنزه وآل ظفير وأمثالهم من عدم إقرارهم بالبعث وعدم اتباعهم كتاب الله وأنهم يقولون: ان كتاب الله عند الحضر وأنهم غايفينه ومتبعون ما أحدث أباؤ هم مما يسمونه الحق، ويفضلونه على شريعة الله وفيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض كسب الشرع أوسب الأذان إذا سمعوه ومع ذلك صرح من يدعى العلم وأنه من العلماء أنه لا يوجد فى الجزيرة رجل واحد كافر(١).

وقد بين الشيخ غلط الكثير فى ستة أصول عظيمة من أصول الدين بينها الله تعالى بيانا واضحا للعوام فوق ما يظنه الظانون فقال ما خلاصته:

أولا: إخلاص الدين لله ـ قد أظهر الشيطان لهم أن الاخلاص تنقص للصالحين وتقصير فى حقوقهم وأظهر لهم الشرك بالله فى صورة محبة الصالحين واتباعهم.

ثانيا: أمر الله بالاجتماع فى الدين ونهى عن التفرق.. ثم صار الأمر إلى أن الافتراق فى أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه فى الدين، وأن الأمر بالاجتماع لا يقوله إلا زنديق أو مجنون.

ثالثا: السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدا حبشيا.. ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعى العلم فكيف العمل به؟

رابعا: بيان العلم والعلماء من تشبه بهم وليس منهم.. ثم صار هذا أغرب الأشياء وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل ـ وأما العلم الذى فرضه الله على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون وصار من أنكره وعاداه وجد فى التحذير عنه والنهى عنه هو الفقيه العالم.

خامسا: بيان الله للأولياء وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعدائه المنافقين والفجار.. ثم صار الأمر عند أكثر من يدعى العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أن الأولياء لابد فيهم من ترك اتباع الرسول ﷺ ومن اتبعه فليس منهم ولابد من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم، ولابد من ترك الإيمان والتقوى، فمن تقيد بالإيمان والتقوى فليس منهم.

(١) انظر: الرسالة التى أرسلها الشيخ إلى محمد بن عيد من مطاوعة ثرمداء فى روضة ابن غنام ١٠٧/١ ـ وفى تحرير الأسد لروضة ابن غنام ٢٨٣-٢٨٩.

سادسا : كشف شبهة الشيطان ـ وهى أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق الموصوف بكذا وكذا ـ أوصافا لعلها لا توجد تامة فى أبى بكر وعمر فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضا حتما لا شك ولا إشكال فيه ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق وإما مجنون لأجل صعوبة فهمهما.

فسبحان الله وبحمده ـ كم يبين الله سبحانه شرعا وقدرا خلقا وأمرا فى رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات العامة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(١).

وكان بعض الناس فى عهد الشيخ يتحايل بطريقة الوقف أو الهبة أو القسمة لحرمان النساء من حقهن تحايلا وصفه الشيخ فى إحدى رسائله بقوله (إذا أراد الإنسان أن يقسم ماله على هواه، وفر من قسمة الله، مثل أن يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل ولا تأكل منه إلا حياة عينها، أو يريد تفضيل بعض أولاده على بعض، أو يريد أن يحرم نسل البنات إلى أن قال: (ويفتى له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة بر تقرب إلى الله ويوقف على هذا الوجه قاصدا وجه الله) ووصف الشيخ هذا (بالجنف والاثم) وشدد النكير على فاعله وأقام الأدلة الشرعية على بطلانه(٢).

وقدمت هذه النقول التى اخترتها مما كتبه الشيخ نفسه وصدق على بعضها ابن عيسى قاضى الدرعية أمثلة صادقة واضحة لواقع البيئة من حول الشيخ وحال الناس فى زمانه (رحمه الله) من دين الله الذى بعث به رسوله محمد بن عبد الله ﷺ.

تصوير ابن غنام للواقع الدينى :

ويذكر المؤرخ حسين بن غنام حالة الناس قبيل قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة إلى الإسلام الذى أرسل الله به رسوله محمد بن عبد الله ﷺ ـ وأورد هنا خلاصة لذلك :

---

(١) انظر الدرر السنية جـ١ ص٩٩-١٠١.

(٢) انظر: فتوى الشيخ فى إبطال وقف الجنف والاثم فى مؤلفات الشيخ ـ القسم الخامس، الشخصية رقم ١٢ ص٧٨-٨٥. وانظر: روضة ابن غنام ١/١٢٤-١٢٩. وانظر: حمد الجاسر، المرأة فى حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٢.

فى مطلع القرن الثانى عشر الهجرى كان أكثر الناس قد انهمكوا فى الشرك وارتدوا إلى الجاهلية وانطمست بينهم أنوار الإسلام والسنة، لذهاب أهل العلم والبصيرة وغلبة أهل الجهل واستعلاء ذوى الأهواء والضلال ـ نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلال ظانين أنهم أدرى بالحق وأعلم بطريق الهدى.

عدلوا عن عبادة الله وحده إلى عبادة الأولياء والصالحين من الأموات والأحياء يستغيثون بهم فى النوازل والكوارث، ويقبلون عليهم فى الحاجات والرغبات، ويعتقدون النفع والضر فى الجمادات كالأحجار والأشجار، ويعبدون أهل القبور ويصرفون لهم الدعاء والنذور فى حالتى الضراء والسراء سواء زائدين على مشركى الجاهلية الأولى حيث كانوا إذا مسهم الضر لا يدعون إلا الله مخلصين له الدين ـ أما إذا نجاهم الله فهم مشركون. لكن هؤلاء أحبوا أوثانهم من دون الله محبة أعظم من محبتهم لله سرت فى سويداء قلوبهم وبدت على صفحات وجوههم وألسنتهم وجوارحهم وبذلوا أعمارهم وحياتهم فى دفع الحق ومن يبديه ـ وهذا ليس فى قطر دون آخر ولكنه فى غالب الأقطار، كما أنه ليس فى أول زمن الشيخ فحسب، بل كان بدؤه من قديم حيث التغيير والابتداع والاختلاف بعد زمان رسول الله ﷺ وزمان من بعده، من أهل القرون الفاضلة ثم تعاقبت العصور وتوالت السنون والغي يزداد والضلال ينتشر حتى جاء من اعتقد أن الدين هو ذلك الضلال والبدع لأنهم وجدوا آباءهم وأجدادهم وأسلافهم عليه فقالوا إنا على آثارهم مقتدون.

وقد نص على ذلك كثير من العلماء فى كتبهم المصنفة فيما حدث من البدع والحوادث وما غير من منار الدين وشعائر الإسلام.

كان فى بلدان نجد من ذلك أمر عظيم، يأتون عند قبر ريد بن الخطاب فى الجبيلة فيدعونه لتفريج الكرب، وكشف النوب، وكان عندهم مشهورا بذلك ومذكورا بقضاء الحوائج.

وكانوا يزعمون أن فى قريوة فى الدرعية قبور بعض الصحابة فعكفوا على عبادتها وصار أهل تربتها أعظم فى صدورهم من الله.

وفى شعيب غبيراء يزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور وهو مكذوب يأتون من المنكر عنده ما لا يعهد مثله.

وكان الرجال والنساء يأتون بليدة الفدا لفحل النخل الذى فيها ويفعلون عنده أقبح الأفعال ويتبركون به ويعتقدون فيه، فكانت المرأة إذا تأخرت عن الزواج تأتيه فتضمه بيديها ترجو أن يفرج عنها كربها وتقول: يافحل الفحول أريد زوجا قبل الحول.

وكانت طوائف من الناس تنتاب شجرة الطرفية يتبركون بها ويعلقون الخرق عليها إذا ولدت المرأة ذكرا لعله يسلم من الموت.

وفى أسفل الدرعية غار كبير يزعمون أن امرأة تسمى بنت الأمير أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت فانفلق لها الغار وأجارها من ذلك السوء فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويبعثون بصنوف الهدايا إليه.

وكان عندهم رجل يزعمونه من الأولياء اسمه (تاج) سلكوا فيه سبيل الطواغيت، فصرفوا إليه النذر، وتوجهوا إليه بالدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضر، وكانوا يأتونه لقضاء شؤونهم أفواجا وكان هو يأتى إليهم من بلدة الخرج إلى الدرعية لتحصيل ما تجمع من النذور والخراج وكان أهل البلاد المجاورة يعتقدون فيه اعتقادا عظيما حتى خافه الحكام وهاب أعوانه وحاشيته الناس فلا يتعرضون لهم بما يكرهون، ويدعون فيه دعاوى فظيعة وينسبون إليه حكايات قبيحة وكانوا لكثرة ما تناقلوها وأذاعوها ـ يصدقون ما فيها من مين وزور، زعموا أنه أعمى وأنه يأتى من بلده الخرج من غير قائد يقوده وغير ذلك من الحكايات والاعتقادات التى ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم، وأعرضوا عن اخلاص الدعاء لله وحده رب العالمين.

وأما ما يفعل فى الحرم المكى الشريف ـ زاده الله رفعة وتشريفا ـ فهويزيد على غيره كثيرا ففى تلك البقاع المطهرة تأتى جماعات الأعراب من الفسوق والضلال والعصيان ما يملأ القلب أسى وحزنا ـ فلقد انتهكت فيه المحرمات والحدود، تظاهر بذلك جم غفير ولم يكن لأهل العلم تغيير، بل صادموا الحق «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق».

فمن ذلك: ما يفعل عند قبة أبى طالب، وهم يعلمون أنه حاكم متعد غاصب كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم خراجا فإن أعطى ما أراد انصرف وإلا عاداهم وحاربهم فصاروا يأتون قبره بالسماعات والعلامات يستغيثون به عند حلول

المصائب ونزول الكوارث. وكذلك ما يفعل عند قبر المحجوب، يعظمون أمره ويحذرون سره ويطلبون عنده الشفاعة ومغفرة الذنوب.

وان التجأ سارق أو متعد أو غاصب إلى أحد هذين القبرين لم يتعرض له أحد بما يكره، ولا يخشى معاقبة - أما ان تعلق جان - مهما تكن جنايته صغيرة - بالكعبة فإنه يسحب منها سحبا لا يرعون للكعبة حرمة.

ومن ذلك أيضا: ما يفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنها فى سرف وعند قبر خديجة رضى الله عنها فى المعلاة - من اختلاط النساء بالرجال وفعل الفواحش والمنكرات، وارتفاع الأصوات عندهما بالدعاء والاستغاثة وتقديم الفدية، مما لا يسوغ لمسلم أن يبيحه فضلا عن أن يراه قربة وعبادة.

وكذلك ما يأتونه عند قبر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بالطائف من هذه الأمور التى تشمئز منها نفس الجاهل فكيف بالعالم؟

يقف عند قبره المكروب والخائف متضرعا مستغيثا فى حالة عبوديته، وينادى أكثر الباعة فى الأسواق: «اليوم على الله وعليك يا ابن عباس» ثم يسألونه ويسترزقونه.

وأما ما يفعل عند قبره عليه الصلاة والسلام من الأمور العظيمة المحرمة - كتعفير الخدود، والانحناء، والسجود خضوعا وتذللا، واتخاذ ذلك القبر عيدا - فهو أعم من أن يخفى، وأعظم من أن يذكر، لشهرته وشيوعه. وقد لعن الرسول ﷺ فاعله، وكفى بذلك زجرا ووعيدا ونهى عما يفعل عنده الآن غالبُ العلماء، وغلظوا فى ذلك تغليظا شديدا.

ويكل اللسان عن وصف ما يفعل عند قبر حمزة، وفى البقيع وقبا، ويعجز القلم عن بيانه مهما يكتفى بذكر القليل منه:

وليس يصح فى الأذهان شىء　　　إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما ما يفعل فى جدة فقد عمت به البلوى وبلغ من الضلال والفحش الغاية، فعندهم قبر طوله ستون ذراعا عليه قبة، يزعمون أنه قبر حواء، وضعه بعض الشياطين من قديم وهيأه، فيجبى عنده السدنة من الأموال كل سنة ما يكاد أن لا يخطر بالبال، ولا يدخل إنسان ليسلم على أمه إلا عجل بتقديم الدراهم - وكيف

لا . . أيبخل أحد من اللئام فضلا عن الكرام ، ببذل بعض حطام الدنيا فى سبيل الدخول على أمه والسلام عليها .

وعندهم معبد يسمى العلوى ، فاقوا فى تعظيمه جميع الخلائق : فلو دخل قبره سارق أو غاصب أو قاتل لم يعترضه مؤمن ولا فاسق بمكروه ، ولم يجرؤ أحد أن يخرجه منه ، فمن استجار بتربته أجير ، ولم ينله أحد من الحكام بأذى .

وفى سنة ١٢١٠هـ عشر بعد المائتين والألف اشترى تاجر من أهل جدة أموالا من تجار الهند والحسا القادمين تزيد على سبعين ألف ريال فانكسر بعد أيام وأفلس وتغيرت حاله ولم يبق عنده ما يقابل نصف الذى عليه ، فهرب إلى ذلك المعبد مستجيرا ، فلم يتقدم إليه من الناس شريف ولا وضيع ولا كبير ولا صغير ، وترك بيته وما فيه من مال ومتاع ، ولم يرزأ بقليل ولا كثير ، حتى اجتمع التجار ورأوا أن ينظروه وييسروا عليه ، وجعلوا المال عليه نجوما فى سنين ، وكان بعض أهل الدين من المشيرين بذلك .

وأما ما يجرى فى بلدان مصر وصعيدها من الأمور التى ينزه الإنسان عن ذكرها خصوصا عند قبور الصلحاء والعباد ، كما ذكرها الثقات فى نقل الأخبار وروايتها فأكثر من أن يحصى .

فمنها : أنهم يأتون قبر أحمد البدوى وقبور غيره من العباد والزهاد والمشهورين بالخير فيستغيثون ويندبون ويسألونهم المدد ويستحثونهم على كشف المصائب ، ويتداولون بينهم حكايات ، وينسبون إليهم كرامات ، ويحكون فى محافلهم خرافات من أفحش المنكرات فيقولون فلان استغاث بفلان - فسارع إلى إغاثته . وفلان شكا لصاحب ذلك القبر حاله فأغاثه وكشف عنه ضره . وفلان شكا إليه حاجته فأزال عنه فقره . وأمثال هذا الهذيان الملىء بالزور والبهتان .

ويصدر هذا الكلام فى تلك البلاد وهى مملوءة بالعلماء وذوى التحقيق والعرفان ، ويبقى ذلك المنكر لا يزال بل ربما تنشرح له صدورهم .

وأما ما بفعل فى بلدان اليمن من الشرك والفتن ، فأكثر من أن يستقصى - فمن ذلك ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر عندهم يسمى الهادى ، كانوا يغدون عليه جميعا

ويـروحـون يدعـونـه ويستغيثـون به ، فتأتيه المرأة إذا تعسر حملها أو كانت عقيما فتقول عنده كلمة عظيمة قبيحة ـ فسبحان من لا يعاجل بالمعاقبة على الذنوب .

وأمـا أهـل برع فعندهم البرعي ، وهورجل يرحل إلى دعوته كل دان وقاص ، ويؤتى إليـه من مسـيرة أيـام وليـال لطلب الاغاثة وشكاية الحال ، ويقيمون عند قبره للزيارة ويتقربون إليه بالذبائح ، كما حقق أخباره من شاهدها .

وأمـا أهـل الهجرية : فعندهم قبر يسمى علوان وقد أقبل عليه العامة فى نوائب الزمان واستغاث به منهم كل لهفان ويسميه غوغاؤ هم منجى الغارقين ، وأغلب أهل البر والبحر منهم يطربون عند سماع ذكره ويستغيثون به وان لم يصلوا إلى قبره وينذر له فى الـبر والبحـر وعنـد أهـل بلده نذورا تزيد عن الحصر ويفعلون عند قبره السماعات والمـوالـد ويجتمـع عنـده أنـواع من المعـاصى والمفـاسـد وليس فى أقطار اليمن مثله فى الاشتهار ، وهم فى حضرته أمور يفعلونها تدينا كطعنهم أنفسهم بالسكاكين والدبابيس ويقولون وهم يرقصون طربين وقد ملأ الوجد ألبابهم «يا سادتى قلبى بكم معنى» .

وأمـا حال حضـرمـوت والشحر ويافع وعدن : فقد ثوى فيهم الغى والضلال ، عندهم العيدروس يفعل عند قبره من السفه والشرك ما يكفى ذكر مجمله .

يقول قائلهم : «شيء لله يا عيدروس . . شيء لله يا محي النفوس» .

وأما بلدان الساحل فعندهم الكثير :

أهـل المخـا عنـدهم الشاذلى ـ أكثرهم يدعوه ويستغيث به ، ولا تفتر ألسنتهم عن ذكره قعودا وقياما وينتابون تربته وحدانا وجمعا .

وأهـل الحـديـدة عنـدهم الشيخ صديق يعظمونه ويغلون فيه إلى أنه لا يمكن احـد أن يركب البحـر أو ينـزل منـه إلى البر حتى يجيء إليه ويسلم عليه ويطلب منه الاعانة والمدد فيما أراد .

وأما أهل اللحية فعندهم الزيلعى واسمه عندهم الشمس لأن قبره ليس عليه قبة ، يصرفون إليه جميع النذور ويعظمونه ويدعونه أشد ما يكون ذلك عبادة وضراعة ، ويحكى عنـه أهـل البـادية منهم أنه كان رسولا فى حاجة فأراد أن يدخل بلده والشمس متدلية للغروب فقال لها قفى فوقفت وسمعت قوله وامتثلت فدخل بلده نهارا .

وعندهم قبر رابعة مشهور لا يحلفون يمينا صادقا إلا بها .

وفى أراضى نجران الطامة المعضلة وهو الرئيس المعروف بالسيد فقد أتى أهل نجران وما يليهم من الأعراب والقبائل من تعظيمه والغلو فيه والاعتقاد الشركى ما أفضى بهم إلى الضلال والالحاد، صرفوا له من أنواع العبادة سهما وجعلوا فيه للألوهية قسما حتى كادوا يجعلونه لله ندا وكان عندهم بذلك الحال شهير ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وأما فى حلب ودمشق وأقصى الشام وأدناه فهو مما لا يوقف له على حد ولا يمكن ضبط قدره بحسب ما يحكيه من يشاهد ذلك أو يراه من العكوف على عبادة القبور وصرف القربان إليها والنذور والمجاهرة بالفسوق والفجور وأخذ المكوس واحلال الدستور الوضعى محل الشريعة الربانية وتنظيم عمل البغايا ووضع الخراج عليهن من مهورهن الخبيثة .

وفى الموصل وبلدان الأكراد وما يليها من سائر البلاد وفى العراق عموما وفى المشهد وبغداد خصوصا ما لا يقدر على حصره وتعداده مما يفعل عند قبر الإمام أبى حنيفة ومعروف الكرخي والشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنهم من الدعاء والاستغاثة بهم والطلب منهم فى سائر الأوقات والأزمان ـ ويحصل من التعظيم والتذلل عندهم والخضوع أعظم مما يصدر بين يدى الله فى الصلاة ، واشتهر عندهم أن كثيرا ممن يفعل ذلك وجرب وجد أنهم لقضاء الحوائج ترياق مجرب .

وأما مشهد علي رضى الله عنه فقد صيرته الرافضة (لعنها الله) وثنا يعبد ، يدعونه بخالص الدعاء من دون الله تعالى ويصلون له فى قبته ويركعون ويسجدون ، وليس فى قلوبهم من تعظيم الله معشار ما فيها لعلي رضى الله عنه ـ يحلفون بالله الأيمان الكاذبة ولا يخافون ، أما علي فلا يحلف به أحدهم كاذبا أبدا ، ويجزمون أن عنده مفاتح الغيب . ولهذا يقولون ان زيارته أفضل من سبعين حجة ، ولقد غلوا فيه وأتوا من الشرك أعظم مما فعل النصارى بالمسيح سوى دعوى الولدية ، وزخرفوا على قبره قبة مذهبة .

ومثل ذلك الشرك يفعل عند مشهد الحسين والكاظم .

ولقد شب فيهم على ذلك الكفر الرعاع والأطفال وشابوا عليه ، فلا يسمع بينهم ذكر لله وإنما ديدنهم ذكر علي والحسين وبقية الآل . . . وكفى بها ذكر حجة عليهم فى خروجهم عن الإسلام .

وكـذلـك جميـع قرى الشـط والمجـرة ومـا حول البصرة وما توسط فيها من تلك القبب والمشـاهـد كقـبر الحسن البصـرى والـزبير رضى الله عنهما يطلبون منهما الفرج ويصرفون لهما من العبادة الدعاء والاستغاثة عند الشدائد. لا يجحد ذلك إلا مباهت مكابر.

وأمـا فى القطيف والبحـرين: فالبدع الرفضية الشركية والمشاهد الوثنية التى لا تكاد تخفى على أحد من الناس.

وعلى العمـوم فإن من رأى أفعـال النـاس فى بلاد المسلمـين مما أشـرنا إليه وهو عارف بالإيـمان تبـين له غربـة الإسـلام فى ذلـك الزمان، وصير ورة الحظوظ الدنيوية والشهوات النفسية غايتهم ومقصدهم وسرهم فى الخلق والايجاد.

وهذا فى الغالب الأكثر وليس عليه جميع المسلمين حيث أن الله تعالى لا يجمع الأمـة على ضلالـة ولا يعمهـا بالسفاهة والجهالة كما ثبت ذلك فى صحيح الأخبار عن النبى ﷺ ـ وكـما أخـبر أيضـا أن فى أمتـه أنـاسا لا يزالون بهديه يستمسكون إلى قيام السـاعـة كما أن أكثـرهم فى أزمنـة الغـربـة مخطئـون وعن هدى الـرسول ﷺ ومنهاجه منحـرفـون... وهـذا مما زينـه الشيطـان واقتضتـه الطباع الناقصة والنفوس البشرية ـ حتى ان ذلـك يوجـد من بعض العلماء المنتسبـين إلى أحـد المـذاهب المتعصبين فلا يقبلون من الـدين رأيـا ولا روايـة إلا ما كان لأصحـابهم به عمـل أودرايـة ـ فيرفض السنن النبـوى واتبـاعـه ولو عرف أن الحق ليس مع مذهبه، وقد يحمله التعصب على الطعن فى الأئمـة وثلبهم وكـذلـك من المتعبدة والمتصوفة من يرى طريقة العلم سفاهة وضـلالا ويـدعى أن العلماء لم يشـربوا من صافى الشريعة ومعينها. كبرت فرية وكذبة من هؤلاء المتصوفة.

وقـال ابن غنـام: عن الذبح للجن تقربا إليهم ـ وقصد الذابح أن يبرأ مريضه من شكـواه: ـ «ومن العجب أن ذلـك يفعـل فى بلدان العارض وغيرها لا ينكره أحد من علمائهم على من فعله بل منهم من يفتى الجهال بذلك ويقول: اذبحوا على هذا الصبى أوهذا المـريض ذبيحـة سوداء للجن ولا تسمـوا عليها وقصده بذلك أن الجن يزيلون ذلك المرض إذا ذبحت لهم تلك الذبيحة. فلما أظهر الله هذا الشيخ ونهى عن ذلك وبلغ الناس كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم أن ذلك كفر وردة ينكر ذلك

عليه من يزعم أنه من العلماء فهل يشك أحد من العلماء أن ذلك كفر وشرك وعبادة للجن . . نعوذ بالله من الطبع على القلب»(١) .

انتهى ما أردت تلخيصه وتحريره من روضة ابن غنام فى وصف البيئة التى كانت من حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله زمانا ومكانا(٢) .

وصف الشيخ عبد اللطيف غربة الدين :

ومثل ذلك ذكره الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن فى نبذته المفيدة عن حال جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين أتى على وصف أهل عصره ومصره وقرر أن غربة الإسلام قد اشتدت بينهم وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية من الجهل والتقليد والاعراض عن السنة والقرآن وقبول أحاديث الكهان والطواغيت ، والآثار الموضوعات والحكايات المختلقة والمنامات كما يفعله أهل الجاهلية ، وكثير منهم يعتقد النفع والضر فى الأولياء والصالحين والأوثان والأصنام والشياطين والأحجار والجمادات فيستغيثون بهم ويتعلقون ويتبركون بآثارهم وقبورهم فى جميع الأوقات حتى نسوا الله فأنساهم أنفسهم .

واستمر الشيخ عبد اللطيف فى وصف البيئة على نحو ما وصف ابن غنام رحمهما الله تعالى(٣) .

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن فى نصيحة للإمام فيصل بن تركى «ومن طاف البلاد وخبر أحوال الناس منذ أزمان متطاولة عرف انحرافهم عن هذا الأصل الأصيل (ويعنى به معرفة الله بصفات كماله ونعوت جلاله ووصفه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وعبادته وحده لا شريك له والكفر بما سواه من الآلهة والأنداد) وبعدهم عما جاءت به الرسل من التفريع والتأصيل فكل بلد وكل قطر وكل جهة فيها نعلم فيها من الآلهة التى عبدت مع الله بخالص العبادات وقصدت من دونه

---

(١) روضة . . . ١/١٣٧، ١٣٨ .

(٢) انظر: تاريخ ابن غنام، روضة الأفكار، جـ ١ ص ص ٥-٢٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ . وتحرير الاسد لروضة ابن غنام، ص ص ١٠-١٩ ، وص ٢٠-٢٦ .

(٣) انظر: الرسائل والمسائل جـ ٣/٣٨١-٣٨٨ .

فى الرغبات والرهبات ما هو معروف مشهور لا يمكن جحده ولا انكاره، بل وصل بعضهم إلى أن ادعى لمعبوده مشاركة فى الربوبية بالعطاء والمنع والتدبيرات، ومن أنكر ذلك عندهم فهو خارجى ينكر الكرامات وكذلك فى باب الأسماء والصفات رؤساؤهم وأحبارهم معطلة وكذلك يدينون بالالحاد والتحريفات وهم يظنون أنهم من أهل التنزيل والمعرفة باللغات، ثم إذا نظرت إليهم وسبرتهم فى باب العبادات رأيتهم قد شرعوا لأنفسهم شريعة لم تأت بها النبوات. وهذا وصف من يدعى الإسلام منهم فى سائر الجهات»[1].

كلام ابن بشر عن فُشُو الشرك :

وقال المؤرخ ابن بشر ما نصه: «وكان الشرك إذ ذاك قد فشا فى نجد وغيرها وكثر الاعتقاد فى الأشجار والأحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذر لها الاستعاذة بالجن والذبح لهم. ووضع الطعام لهم وجعله لهم فى زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم والحلف بغير الله. وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر.

والسبب الذى أحدث ذلك فى نجد ـ والله أعلم ـ أن الأعراب إذا نزلوا فى البلدان وقت الثمار وصار معهم رجال ونساء يتطببون ويداوون، فإذا كان فى أحد من أهل البلد مرض أو فى بعض أعضائه أتى أهله إلى متطببة ذلك القطين من البادية فيسألونهم عن دواء علته فيقولون لهم: اذبحوا له فى الموضع الفلانى كذا وكذا، إما خروفا بهيما أسود وإما تيسا أصمع، وذلك ليحققوا معرفتهم عند هؤلاء الجهلة ـ ثم يقولون لهم: لا تسموا الله على ذبحه. وأعطوا المريض منه كذا وكذا وكلوا منه كذا وكذا ـ واتركوا كذا وكذا فربما يشفى الله مريضهم فتنة لهم واستدراجا. وربما يوافق وقت الشفاء، حتى كثر ذلك فى الناس وطال عليهم الأمد فوقعوا بهذا السبب فى عظائم ـ وليس للناس من ينهاهم عن ذلك فيصدع بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ورؤساء البلدان وظلمتهم لا يعرفون إلا ظلم الرعايا والجور والقتال لبعضهم بعضا»[2].

---

(١) الرسائل والمسائل جـ ٣/١٥٧.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ١/٦، ٧.

قـول الشـيخ ابن بـاز ـ عن الحـالة الدينيـة :

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز: «كان أهل نجد قبل دعوة الشيخ على حالة لا يرضاها مؤمن، كان الشرك الأكبر قد انتشر فى نجد حتى عبدت القباب والأشجار وعبـدت الغـيران وعبـد من يدعى بالـولاية وهو من المعتوهين أو المجانين، واشتهر فى نجـد السحـرة والكهنـة وسؤالهم وتصديقهم وليس هناك منكر إلا من شاء الله وغلب على الناس الاقبال على الدنيا وشهواتها وقل القائم لله والناصر لدين الله. وهكذا فى الحرمين الشريفين وفى اليمن اشتهر فيها ذلك الشرك وبناء القباب على القبور ودعاء الأولياء والاستغاثة بهم. وفى اليمن من ذلك ما لا يحصى ما بين قبر وما بين غار وبين شجرة وبين مجذوب ومجنون يدعى من دون الله ويستغاث به مع الله وكذلك مما عرف فى نجـد واشتهـر دعـاء الجن والاستغـاثـة بهم وذبح الذبائح لهم وجعلها فى الزوايا من البيوت رجاء نجدتهم وخوف شرهم»[1].

كلام الشيخ ابن حميد ـ عن الانحراف الواقع :

ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد بعد أن تحدث عن أسباب رؤية الشيخ محمـد بن عبـد الوهاب للواقع من حوله: «كل ذلك قد أعطاه النظر الفاحص لما عليه قومـه وبنـو جلدتـه ومن جاورهم من البلدان من الانحـراف عن طريق الإسـلام الصحيـح يصـل فى بعض الحـالات إلى الشـرك الأكبر المخرج من الملة. فقد رأى فى تلك المنـاطق مرتعـا للخـرافـات والعقائد الفاسدة التى تتنافى مع أصول الدين فكان هنـاك قبـور تنسب إلى بعض الصحـابـة يقصـدهـا النـاس ويطلبـون منها حاجاتهم ويستغيثون بها لرفع كروبهم وقضاء حاجاتهم ولقد وصلت الحال فى بعضهم أن اتجهت العـوانس من النسـاء إلى فحـل من فحـول النخـل يرددن بعبارة مسجوعة: (يافحل الفحـول أريـد زوجـا قبـل الحـول) وكما انتشرت هذه الخرافات فى نجد رأى مثلها فى الحجـاز وفى البصـرة والـزبـير وسمـع مثلها فى عدن واليمن فوزن هذه الأفعال المنكرة بميـزان الـوحيـين كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ وأصحابه المتقين فرآهم فى بعد عن منهـج الـدين وروحـه ـ حيث رأى أنهم لم يعرفوا لماذا بعث الله الرسل؟ ولماذا بعث الله

---

(١) محمد بن عبد الوهاب، دعوته وسيرته، محاضرة للشيخ عبد العزيز ابن باز، الدار السعودية للنشر، ص ص٢٣-٢٤.

محمـدا للنـاس كافـة؟ رآهم غيروا أصول الدين وفروعه إلا القليل . . هذه اشارة إلى وضعهم الديني»[1].

ويذكر الشيخ البسـام :

أن بيئة العالم الإسلامي من حول الشيخ محمد «بيئة جاهلة جافية، متقاطعة متباعدة»[2].

وصف الأمير الصنعاني ـ ظهور البدع وطغيان الضلال :

وإذا تجاوزنـا علماء الـدعوة من نجد والتمسنا ما يقوله العلماء من غيرهـم ـ فإننا نجـد الأمـير محمـد بن إسمـاعيـل الصنعاني يصف ظهور المبتدعات وطغيان الضلال وغربة الدين في قصيدته البائية المشهورة فيقول:

طغى المـاء من بحـر ابتداع على الورى ... فلم تنـج منـه مركـب وركـاب
وطـوفـان نوح كان في الـفـلك أهـله ... فنـجـاهـم والـغـارقـون تبـاب
فأنـى لنـا فلك ينـجـي وليـتـه ... يطـير بنـا عما نراه غراب
وأيـن إلـى أيـن المطـار وكـل ما ... على ظهـرهـا يأتيـك منـه عجـاب
نسـائـل من دار الأراضي سيـاحـة ... عسـى بلدة فيـهـا هدى وصـواب
فيـخـبر كل عن قبـائـح ما رأى ... ولـيس لأهـلـيـهـا يكـون متـاب
لأنهـم عدوا قبـائـح فعـلهـم ... محاسـن يرجـى عنـدهـن ثواب
كقـوم عراة في ذرا مصـر ماعـلا ... على عورة منهـم هنـاك ثيـاب
يدورون فيـهـا كاشـفـي عوراتهـم ... تواتـر هذا لا يقـال كذاب
يعـدون في مصـر من فضـلائـهـم ... دعـاؤهـم فيـها يرون مجاب
وفـيـهـا وفـيـهـا كل ما لا يعـده ... لسـان ولا يدنـو إلـيـه خطـاب
وفي كل مصـر مثـل مصـر وإنـما ... لكـل مسـمـى والجـمـيـع ذئـاب
ترى الـدين مثـل الشـاة قد وثبت لها ... ذئـاب ومـا عنـه لهن ذهـاب
لقـد مزقـتـه بعـد كل ممزق ... فلم يبـق منـه جثـة واهـاب

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته، للشيخ عبد الله بن حميد مطبوعة ضمن هداية الناسك ومعه مجموعة رسائل الطبعة السابعة ١٣٩٨هـ، ص ص ٩١-٩٢.

(٢) علماء نجد، خلال ستة قرون ٤٢/١.

وليس اغتراب الدين إلا كما ترى — فهل بعد هذا الاغتراب إياب
فيا غربة هل يرتجى منك أوبة — فيجبر من هذا البعاد مصاب
فلم يبقى للراجى سلامة دينه — سوى عزلة فيها الجليس كتاب

ويعنى بالكتاب القرآن الكريم إلى أن قال يصف موقف أهل الأرض مما حواه القرآن الكريم :

ولكن سكان البسيطة أصبحوا — كأنهم عما حواه غضاب
فلا يطلبون الحق منه وإنما — يقولون من يتلوه فهو مشاب
فإن جاءهم فيه الدليل موافقا — لما كان للآباء إليه ذهاب
رضوه وإلا قيل هذا مؤول — ويركب فى التأويل فيه صعاب
تراه أسيرا كل حبر يقوده — إلى مذهب قد قررته صحاب

هذا ما يصف به الأمير الصنعانى أهل زمانه من بعدهم عن كتاب الله وعدم رجوعهم إليه ولكن يسخرونه فى تقرير مذاهبهم التى جعلوها هى الأصول التى يَزِنُون بها دينهم أما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ففى غربة شديدة فى أراضى المسلمين وبلدانهم وأمصارهم وحل محلها فى الظهور والاشتهار المبتدعات والعصبية للمذاهب المخالفة .

والشيخ الصنعانى معاصر للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وزمانه هو زمانه ـ ولقد أثنى على الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقصيدة مطلعها :

سلام على نجد ومن حل فى نجد — وان كان تسليمى على البعد لا يجدى

وفى هذه القصيدة أيضا بيان صورة صحيحة للبيئة التى كانت فى ذلك الزمان كقوله يتحدث عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويصف ما لاقاه من ضلال الناس :

ويعمر أركان الشريعة هادما — مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله — يغوث وودّ بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها — كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا فى سوحها من عقيرة — أهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل — ومستلم الأركان منهن باليد

إلى آخر ما أنشده رحمه الله من هذه القصيدة الجيدة ، وقد ذكر انكاره للغلو الذى اشتمل عليه دلائل الخيرات وقد نهى الرسول ﷺ عن الغلو ولكن الجهال

صيروا دلائل الخيرات أعظم من القرآن ، فأقبلوا على تلاوته هاجرين لكتاب الله القرآن العظيم .

ثم ذكر بدعة التعصب للمذاهب المخالفة للدليل حتى أن من خالفها لدليل من القرآن والسنة يناله من المتعصبين كل الأذى بأنياب الأفاعى والسباع وأسواط الذم والغيبة والجفاء والتنقيص بلا حق ولا ذنب سوى أنه يتابع رسول الله ﷺ فى الرد إلى وحي الله المنزل ـ هذا الذى عده الجهال ذنبا ـ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ثم ذكر بدعة التصوف وطريقة ابن عربى وضلالهم المنتشر إلى أن قال رحمه الله تعالى :

ومن يطلب الانصاف يدلى بحجة ... ويرجع أحيانا ويهدى ويستهدى
وهيهات كل فى الديانة تابع ... أباه كأن الحق فى الأب والجد
وقد قال قبلهم كل مشرك ... فهل قدحوا هذى العقيدة من زند
كذا أصحاب الكتاب تتابعوا ... على ملة الآباء فردا على فرد
وهذا اغتراب الدين فاصبر فانني ... غريب وأصحابى كثير بلا عد
إذا ما رأونى عظمونى وان أغب ... فكم أكلوا لحمى وكم مزقوا جلدى[1]

هذه شهادة من عالم أهل اليمن الأمير محمد بن إسماعيل الصنعانى الحسينى .

ومن اليمن أيضا نورد شهادة من أحد علمائها الموثوقين هو العالم المحقق الشيخ حسين بن مهدى النعمي المتوفى سنة ١١٨٧هـ يصف لنا البيئة وواقع الناس فى زمانه فيقول :

ان ما فشا فى العامة ، ومن امتاز عنهم بالاسم فقط ، هو كون هجّيراهم عند الأموات ومصارع الرفات : دعاؤهم والاستغاثة بهم ، والعكوف حول أجداثهم ورفع الأصوات بالخوار ، واظهار الفاقة والاضطرار ، واللجأ فى ظلمات البحر ، والتطام أمواجه الكبار ، والسفر نحوها بالأزواج والأطفال . والله قد علم ما فى طي ذلك كله من قبيح الخلائق والأفعال ، وارتكاب ما نهى الله عنه واضاعة حقوق ذى العزة والجلال ، والالتجاء المحقق إلى سكان المقابر فى فتح أرحام العقام ، وتزويج الأرامل والأيامى من الأنام واستنزال السحائب والأمطار واستماحة المآرب والأوطار ، ودفع المحاذير من المكاره والشدائد ، والاناخة بأبوابها لنيل ما يرام من الحوائج والمقاصد وبالجملة : فأى مطلب أو مهرب .

---

(١) ديوان الصنعانى ص ١٨-٢٢ ، ص ١٢٨-١٣٣ .

ترى هنالك ربع المشهد مأهولا ، وقد قطعت إليه المهامه وعورا وسهولا والنداء لساكنه : أن يمنح أويريح ، والتأدب والخضوع والتوقير والرغبة ، ومشاعر الرهبة . وينضاف إلى ذلك ـ خصوصا فى الزيارات فى الأعياد والموالد ـ نحر الأنعام ، وترك الصلاة وصنوف الملاهى ، وأنواع المعاصى للمليك العلام ، وكثير ون لا طمع فى حصرهم ، ولعلهم العموم ، إلا من شاء الله : ان لم تلد زوجة أحدهم أوطال مرض مريض منهم ، أوصاب امرأة التوق إلى النكاح ، أوقحطت الأرض ، أودهمهم نازل من عدو ، أوجراد أوغيرهما أوراموأمرا عناهم تحصيله . فالولي فى كل ذلك نصب العين ، وإذا جرى المقدور بنفع أودفع ضر ، أوحصول مكروه كان المركوز فى عقيدتهم التى لا يتحولون عنها : أن ذلك ثمرة الاستغاثة به ، والانابة إليه فى الأولين . ودليل ضعف الاعتقاد ، أو اختلال شرط من المنيب أونحوهما فى الثالث . فصار مدار التصرف والحصول له خاصة ، أومع الله فى شيىء دون شىء .

وحاصل معتقدهم : أن للولي اليد الطولى فى الملك والملكوت . كما سيأتى تحقيق هذا وشرح وقوعه فى أفعال من على هذه العقيدة ، وذكر ألفاظهم مبينة مفسرة مصرحة بما حكيناه عنهم ، وانهم قد ذهبوا هذا المذهب المشروح آنفا فى سكان التراب ، وانزلوهم هذه المنزلة المحكية من مساواة رب الأرباب وقد سردنا بعضها للبيان ولئلا يتمكن الخصم من جحود ، أويقدر على مدافعة ، وليعرف كل سامع لما نمليه : أن القائل «بان العوام قد يقع منهم عبارات موهمة ، وقصارى أمرهم : التوسل» اما غالط أوخالط ، أوجاهل للدين . وإلا فما بعد هذا؟

ثم مضى يشرح افراد وقائع هذا الشرك وذكر ألفاظهم الصريحة فى مقارفة الشرك والاعتقاد فى المقبورين إلى أن قال :

«وشواهد هذا ظاهرة فى حالاتهم تلك . بحيث أن جماهير من العامة لا يحصون فى أقاليم واسعة وأقطار متباعدة ، ونواحى متباينة ، لما كانوا قد نشأوا لا يعرفون إلا ما وجدوا عليه من قبلهم من الآباء والشيوخ من هذه العقائد الوثنية والمفاسد . فتجدهم إذا شكى أحدهم على الآخر نازلة نزلت ، فلعله لا يخطر له في بال ، إلا : هل قد ذهبت إلى الولي؟ وقد يضرب له الأمثال بأن فلانا كان أمره كذا ، وفلانا كان أمره كذا ، حتى أنسوا بهذا الباب أكثر مما يصفه الواصف ، وبقدر أنسهم به تناسوا ما رسمه لهم الرسول الحكيم الناصح الأمين ، وجهلوه بالمرة ، وانطمست لديهم معالمه .

وبعضهم قد يعرف شيئا من ذلك ولكنه يؤثر عليه ما ذكر: إما لعدم وثوقه بذلك وإما لغلبة انفعال نفسه لخاطر السوء، وإما لسلطان العادات والتقليد، وبعضهم - وهو أقلهم كفرا يجعل البابين محلا صالحا مدخلا للدفع والنفع، حتى انا شاهدنا ما لا يحصى قدره الآن: إذا سقطت دابة أحدهم، أو عثر هو أو بغتته حادثة من هذا القبيل: نادى ببديهة الحس: يا هادياه يا ابن علوان، يا جيلانى.

ويقول: ومن عجيب ما أتته العامة من طرائف هذا الباب وغرائبه الفاحشة، التى زعم ذلك المخادع القائل «انها مجرد توسل وعبارة موهمه» ما شاهدناه بالمعاينة مكتوبا على راية مشهد من المشاهد «هذه راية البحر التيار. فلان بن فلان، به أستغيث وأستجير، وبه أعوذ من النار» وإلى هذا اللفظ زيادة تركتها، لأنى لا استثبتها الآن. وهى من هذا النمط المستطرف.

ومن عجيب طرائفهم فى هذا الباب: قول بعضهم من قصيدة. وهى شىء يقشعر منه الجلد، وإنما حكيناه لما زعم شيوخهم المخادعون: انها عبارة موهمة بمنزلة لغو اليمين.

يا سيدى يا صفى الدين يا سندى	يا عمدتى، بل ويا ذخرى ومفتخرى
أنت الملاذ لما اخشى ضرورته	وأنت لى ملجأ من حادث الدهر
امدد بمواد اللطف منك، وكن	لى الكفيل بكشف الضر ونيل الظفر
وامنن علي بتوفيق وعافية	وخير خاتمة مهما انقضى عمرى
وكف عنا اكف الظالمين إذا	امتدت بسوء وامر مؤلم نكر
فاني عبيدك الراجي لودك ما	آمله يا صفى السادة الغرر
وقد مددت يد الرجوى على ثقة	منى لنيل الذى املت من وطرى

انتهى المراد نقله منها.

فلا ندرى: أى معنى اختص به الخالق بعد هذه المنزلة من كيفية مطلب أو تحصيل مأرب؟ وماذا أبقى هذا المشرك الخبيث لخالقه من الأمر؟ فإن كان هذا، أو ما يعطى شيئا منه «عبارة موهمة بمنزلة لغو اليمين» فعلى السفسطة السلام.

فإن المشركين أهل الأوثان ما يؤهلون كل ما عبدوه من دون الله لشىء من هذا ولا لما هو أقل منه، كما سنشرح لك حالهم إن شاء الله تعالى[١].

---

(١) انظر: معارج الألباب فى مناهج الحق والصواب ص ص ١٨٥-١٨٩ فقد شرح حالهم فى ذلك الموضع.

ومن غرائب شرك العامة فى هذا الباب : ما حدثنا به الثقات الاثبات عن حى من الأعراب ، حضرت أحدهم الوفاة ، فقيل له : قل لا إله إلا الله . فقال : أين الله؟ قل : ياعمراه . كذا حدث أولئك ذلك سيد الحيّ بمجمع من أهل المحل ، على وجه اليقين المشهور عندهم .

ومن ذلك : أن حيا من أهل البوادى إذا أرسلوا أنعامهم للمرعى . قالوا : فى حفظك يا فلان ، يعنون ساكن مشهدهم ، وإنهم إذا أرادوا السفر إلى جهة استأذنوه والعمل فى الجواب على سادن المشهد ، حتى انه إذا اشتد المرض برجل من العامة شد رحاله إلى قبر الولى يستجير به ، أو عنده من الموت .

ومن ذلك : أن امرأة كف بصرها ، ومات ولدها ، فنادت وليها : أما الله فقد صنع ما ترى ، ولم يبق إلا حسبك فى .

ومن ذلك : وهو من أشهر عجائبهم المعلومة ، فى نواحى من البلدان ـ شراؤ هم الأولاد ـ بزعمهم ـ من الولى بشىء معين ، فيبقى ثمنه رسما جاريا ، يؤدى كل عام لصندوق الولى ، وإن كانت امرأة ، فمهرها له ، أو نصف مهرها ، إذ هى مشتراة منه ولعله يفقد شىء من هذا فى بعض النواحى ، فكم له من أخوات عند التصفح .

ومن ذلك ـ وهو من طرائفهم الشهيرة أيضا ـ ترك أشجار ومراع حول المشهد ، لمكان قربها منه ، مع الحاجة الشديدة إليها . فتبقى على مر الأزمان سائبة .

ومن عجائبهم : ما حدث به جمع من أهل الدين : أنه وقع فى زيارة بعض المشاهد اجتماع خلق كثير من الرجال والنساء والأطفال . فكان هناك من القبائح ما منه السجود للمعتقد .

شاهد ذلك الجمع ما ذكر عيانا . فلعل هذا : «عبارة موهمة ، بمنزلة اللغو فى اليمين» !

ثم يقول : ولو كان المتكلم بهذا فى غير مكة ـ شرفها الله تعالى ـ لجوزنا : أنه لم يبلغه ، ولم ير شيئا من هذه الضروب التى سردناها ، أو نظائرها .

ومن ذلك ـ وهو من غرائب الانحلال من الدين ـ أن جماعة من العامة خرجوا من مسجد بجوار مشهد ، بعد أن صلوا فريضة من المكتوبات . فدخلوا المشهد . فرفعوا وضموا ، وركعوا إلى جدار القفص .

ومن ذلك ـ وهو أيضا من طرائف ما يحكى ـ أن رجلا سأل من فيه مسكة من عقل فقال: كيف رأيت الجمع لزيارة الشيخ؟ فأجابه: لم أر أكثر منه، إلا فى جبال عرفات إلا أنى لم أرهم سجدوا لله سجدة قط، ولا صلوا مدة الثلاثة الأيام فريضة.

فقال السائل: قد تحملها عنهم الشيخ.

قلت: وباب «قد تحمل عنهم الشيخ» مصراعاه ما بين بصرى وعدن، قد اتسع خرقه وتتابع فتقه، ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد، وساكن البلد والمشهد، وهو أمر شهير فى العامة، ولعل هذا عند هذا المخادع الخائن لنفسه وللناس «عبارة موهمة» كما قال.

فقل لى: أى ملة ـ صان الله ملة الإسلام ـ لا يمانعها كل ذلك، ولا يدافعها؟

قلت: ولقد أذكرنى هذا ما سمعت بعض الأفاضل يحدث به: أن رجلين قصدا الطائف من مكة المشرفة، وأحدهما يزعم: أنه من أهل العلم، فقال له رفيقه ـ ببديهة الفطرة ـ: أهل الطائف لا يعرفون الله، إنما يعرفون ابن عباس.

فأجابه: بأن معرفتهم لابن عباس كافية. لأنه يعرف الله.

ويضاهيها: ما حكاه لنا بعض من جاور بالبلد الحرام: أن رجلا كان ببعض المشاهد بمكة، فقال لمن عنده: أريد الذهاب إلى الطواف. فقال له بعض كبرائها: مقامك هنا أكرم.

وما شئت بهذا الطغيان المجاوز، وبالله لو ذهبنا ننقب عما يحادون الله به من هذه الجهالات، وما يجترىء عليه السفهاء هنالك. لحصلنا على ما يفوت الطاقة ضبطه الا تكلفا ـ إن كان ـ وفى الناس من يخالف الله، ويستحى من معارضة الكتاب والسنة بالسماجة والقحة، وفى الناس من يتحاشى عن الافراط ـ وإذا لم تستح فاصنع ما شئت.

ويقول: ومن طريف أخبارهم: أن منهم من يمرض، فيلازم المشهد، يستجير به من ذلك المرض، ويتوصل إلى زوال ما به من الداء الذى أضناه، وخصوصا إذا كان من نوع المانيخوليا، أو أمراض العقل ـ قائلا بلسان الحال والمقال أيضا (وإذا مرضت فهو يشفين).

يقول: ومنهم من يمكث فى المشهد أياما محبوسا بلا صلاة قط، زاعما أنه فى حبس الولي وقيده، ولا يطلقه إلا لحاجته، وما فى عقله الذى تقوم به الحجة عليه

اختلال وإنما فسدت فطرة الأغلف بطارىء العوائد، حتى كأنه لا يعقل ومن طريف أقـوالهم فى أوليـائهم: أنـه يضـرب من تظلم منـه، أوشكى به إليـه - بصيغـة المبنى للمفعول فيهما - ويعزل الوالى إذا لم يزره، ويهب الولد إذا جومعت المرأة عند مشهده، ويسلب السـلاح ويقيـد ويفـك الأسـرى والمحبّسـين، ويهدى الضالين ويجير القوم، ويترك بنادقهم قصبا، وعاقلهم خنثى، لا أنثى ولا ذكر، ويعاقب من أخذ من ضريحه ورقـة للتـبرك بها فى الحـال، حتى صار فى بعض الجهـات: ان المـرأة لا تدخـل عنـد زوجهـا، حتى تزور الـولى - وأن رجـلا زعم أن وليـا نبه عليه فى النوم: أن يبنى عليه قبة - قال: فبنيت خوفا منه.

قلت: وباب تنبيه الأموات - أى باضافة تنبيه إلى فاعله - كباب «تحمل الشيخ الصلاة وغيرها» فى السعة والشيوع. والله يغلقها كلها بنصر دينه.

ومن عجيب أمـرهم: ان امـرأة جاءت قبرا - فجعلت تقول: ياسيدى بعت ما لي ورحلت إليك من مسافة كذا، سألتك بالله أن تشفى ولدى فانى جارة الله وجارتك.

ويقول: ان القوم سحبت عليهم العادات والخيالات، وتعفى فى قلوبهم رسوم الفطر والأديان، وجر الشيطان أذياله عليها. ما هم بالمحل الذى يزعمه لهم الخابطون.

ومن أذيال مصيبة المشاهد - التى أصيب بها الإسلام وشعائرها - ما ظهر وانتشر فى العـامـة فى جهـات كثيرة. كما هومعلوم مشـاهـد: أن المساجد ربما تكون متر وكة مهجـورة وفيهـا من التراب والعيدان والأوساخ، وزبل الأنعام، وحراق التمباك وغير ذلـك ما يجعلهـا مزابـل ومشـاهـد الأمـوات: محترمة مكرمة، مجمرة بالظفر والعطور، مفروشة بالسجاد الفاخر وعلى القبور ستور الحرير الثمينة، وبها الشمعدانات الفضية ما جعلها مرعية مقامة متحاماة.

وسرد أشياء كثيرة إلى أن قال: فهذه قطرة سردناها ليعلم الأغبياء ما صار عليه الحـال مما لا يحصى كثـرة، وجميـع سكـان البسيطة - إلا من أنقذ الله - قد مسهـم هذا المرض المضني، وعمهم هذا الداء العضال، وان تفاوتوا فى الايغال والاغراق فى هذه الضـلالـة، فكـل - إلا من شاء الله - قد أخـذ بحظـه، وشـارك فى أصل المعنى، من تعليق أمـرهم بسكـان القبـور فى جملة أمـرهم، وأمـا تفاصيلها: فغير مقدورة، فلقد

أحيوا هذه المشاهد بالتردد والدعاء، والنداء والعكوف، والمثول والتأدب، والتوقير والخضوع مما لا يحصل بعضه فى بيوت الله والصلاة المكتوبة، إلا ما لا نسبة بينه وبين ما فى عرصات المشاهد، بحيث ينتابها ويهبط إليها ويحبها ويسمح بالبذل الكثير لها، ويضيع لأجلها ولده وأهله.

وكثير من الناس لا يقوم فى حق الله تعالى برائحة من ذلك. ولا يعرف الصلاة ولا المساجد، وهو اللائق بمن سلك تلك السبيل، ثم يتكلمون بها يناسب حالاتهم هذه، من مثل: أكرمنا الشيخ، أو بين لنا إشارة، أو حصل لنا ما نطلب، ونجانا مما نهرب، وشفى مريضنا، وأنزل الغيث لنا، إذ قصدناه وسألناه.

ويقول: هذا مذهب عامة المقابريين.

ويقول: وأما الحاذقون بها - فهل أتتك أنباؤ هم؟ انهم يقولون: هؤلاء المقربون هم المخصوصون من الله بالإمداد والملقى إليهم مقاليد التصرف والتصريف فى عالم الايجاد ومن حبي بهذه الحبوة بذلنا له محض التأليه والصبوة، وما سألناه ودعوناه إلا امرأً مُكّنَ منه، وصُرِّفَ فيه، وَوُلِّيَ نظره وتدبيره بولاية عامة تمكينية.

فالسؤال والاستغاثة، وما هو من واديهما هو من ذى أهلية تامة قائمة صالحة لتأهيلنا إياها جميع ما أنكر منا من معاملتها.

والواقف بنا على مجرد التوسل فقط - كما قيل أيضا على عامتنا - هو فى القضية عامى، أو واهم وللحقيقة التى نحن بها غير محقق ولا فاهم. انتهى.

«فهذه الدسيسة هى - فيما علمنا - روح البحث - وسر المسألة عند حذاقهم السابقين فى الصناعة. وقد شافهنى بذلك أحد خواصهم الموسومين بالفقه والفطنة فى هذا الباب زعما منه أنه قد امتطى صهوة التحقيق، وارتقى ذروة التدقيق. أترى هذا من محاسن الكلام؟ ألا تقول: برأ الله عنه ملة الإسلام، وقدسها عن وضر هذا العار والملام؟

ثم يقول: وإذا فقهت هذا: انتقلت منه - إن شاء الله تعالى - إلى فهم ما يؤثر عن قوم ممن يدعى المحبة والقرب والولاية، ودعاويهم الطويلة العريضة المشروحة فى مؤلفاتهم ومنظومهم ومنثورهم.

وممن شرح عنهم بعضا مما أشرنا إليه ما نقله تقى الدين الفاسى فى تاريخ مكة، والمحقق الأهدل فى شرح دعاء أبى حربه، وقبله القاضى إسماعيل بن أبى بكر المقرى

الشاورى الشرحى الزبيدى الشافعى، وقصيدته الرائية مشهورة فى هذا المعنى. وغير ما ذكرنا أيضا كثير يفوت حصرهم.

ويقول: ولقد سمعنا فى هذا المقام حكاية شنيعة، وهى: ان بعض كبراء الصوفية ركب البحر ومعه مريده، فهاجت ريح خيف منها. فجعل الأستاذ يقول: يا الله فطفق المريد يقول كذلك. فكاد يغرق. فأشار إليه الأستاذ أن يهتف باسمه ففعل فنجا. وهى مشهورة عند كثير من الناس، ولا أعرف الآن موضعها فأنقلها بصفتها[1].

ويقول: ان هذا شىء لا يختص به الواحد والاثنان، ولا البلدة ولا البلدتان. ولا القطر ولا القطران، بل عم أمر المشاهد وعبادة الأموات البلاد من أقصاها إلى أقصاها، حتى آل الأمر إلى أن عاد غصن الشرك غضا طريا، ويبلغنا من ذلك الكثير، الذى لا تحويه السطور، سوى ما سمعناه وشاهدناه. ونحن ببلد أقل شىء فيها هذا القبيل بحمد الله - بل لكاد يلتحق بالمعدوم بالنظر إلى ما سواها، وإلا فمن سكن بفرس، والمخا، وصعده وغيرها من قطرنا هذا خاصة، كيف سواه؟ رأى العجب، ان كان قلبه حيا.

وبالجملة: فأمر العامة فى هذا النحو غريب بالنسبة إلى الإسلام، فان كل من عرف الحقيقة، ونظر إلى ما صاروا إليه من ذلك: **وجد المضادة لله وتوحيده فاشية فى كثير من أفعالهم وأقوالهم، وتقلبهم وتصرفاتهم. والطمع فى حصره طمع فى محال، كضبط الريح والبحر، وهو ظاهر شهير على رؤوس الخلائق.**

وإنما جهل قدره ومنافاته، لما دعت إليه الرسل، لما تعفت رسوم شرعهم عند الأكثرين ولأنسهم بكثير من أضدادها، وبضدها تتبين الأشياء.

ويقول: «وما سقنا هذه الكلمات عن العامة إلا على سبيل المثال». ويذكر أن

---

(١) وقال محمد حامد الفقى: نقلها الشعرانى فى الطبقات عن الحنفى الذى ضمه بمصر وأنه كان يذهب كل يوم بعد العصر، فيجتاز النيل من الشاطىء الشرقى إلى الغربى مشيا على الماء هو وتلاميذه. ويقول لهم: قولوا: ياحنفي. فقال واحد منهم يا الله: فغرق. فأخرجه الحنفى وأنبه على أن دعا الله (نفس المرجع ص ٤/ ١ هامش).

هذا واقـع وكثـير جدا فى البلدان الإسـلاميـة ـ وتـركت شيئـا كثـيرا وهاما من وصفه واخباره خشية الاطالة واحيل عليه[1].

وهذه شهادة ثالثة من عالم آخر هو الإمام الشوكانى المشهور، من أهل اليمن، ومن أعلام أهل السنة الموثوقين نقتطفها من مؤلفاته كمؤلفه: «كتاب الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد» يقرر وجود المعتقدين فى الولي والقبر والمشهد ممن ينسب إلى الإسـلام ويـزعم انـه من المسلمـين، وأن هذا هو الشرك بالله لأن الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئا يختص به سبحانه سواء اطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه الجاهلية أو أطلق عليه اسما آخر[2].

ويقول: «ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه حجرا أو شجرا أو ملكا أو شيطانا كما كان يفعل ذلك أهل الجاهلية. وبين أن يكون إنسانا من الأحياء أو الأمـوات كما يفعله الآن كثـير من المسلمـين، وكل عالم يعلم هذا ويقر به فان العلة واحـدة، وعبـادة غير الله تعـالى وتشـريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد وللحى كما يكون للميت».

إلى أن قال: «وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها واعتقـاد أنهـا تضـر وتنفـع، فالاستغاثة بها عند الحاجة والتقرب لها فى بعض الحالات بجزء من أموالهم وهذا كله قد وقع من المعتقدين فى القبور فإنهم قد عظموها إلى حد لا يكون إلا لله سبحانه بل ربما يترك العاصى منهم فعل المعصية إذا كان فى مشهد من يعتقـده أو قريبـا منـه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت، وربما لا يتركها إذا كان فى حرم الله أو فى مسجد من المساجد أو قريبا من ذلك، وربما حلف بعض غلاتهم بالله كاذبا ولم يحلف بالميت الذى يعتقده.

وأما اعتقادهم أنها تضر وتنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدع أحد منهم ميتا أو حيا عند استجلابه لنفع أو استدفاعه لضر قائلا يا فلان افعل لي كذا وكذا وعلى الله وعليك وأنا بالله وبك.

وأما التقرب للأموات فانظر ماذا يجعلونه من النذور لهم وعلى قبورهم فى كثير

---

(١) انظر: معارج الألباب فى مناهج الحق والصواب، تأليف العلامة المحقق حسين بن مهدى النعمى، ص ص ١٦٩ـ١٨٥.

(٢) الدر النضيد فى اخلاص كلمة التوحيد ص ١٨.

من المحلات ولو طلب الواحد منهم أن يسمح بجزء من ذلك لله تعالى لم يفعل، وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء.

(فإن قلت) إن هؤلاء القبوريين يعتقدون أن الله تعالى هو الضار النافع والخير والشر بيده، وإن استغاثوا بالأموات قصدوا إنجاز ما يطلبونه من الله سبحانه (قلت) وهكذا كانت الجاهلية فإنهم كانوا يعلمون أن الله هو الضار النافع وأن الخير والشر بيده وإنما عبدوا أصنامهم لتقربهم إلى الله زلفى كما حكاه الله عنهم فى كتابه العزيز، نعم إذا لم يحصل من المسلم إلا مجرد التوسل الذى قدمنا تحقيقه فهو كما ذكرناه سابقا[1]

ولكن من زعم أنه لم يقع منه إلا مجرد التوسل وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده فى أحد من المخلوقين وزاد على مجرد الاعتقاد فتقرب إلى الأموات بالذبائح والنذور وناداهم مستغيثا بهم عند الحاجة فهذا كاذب فى دعواه أنه متوسل فقط فلو كان الأمر كما زعمه لم يقع منه شىء من ذلك والمتوسل به لا يحتاج إلى رشوة بنذر أو ذبح ولا تعظيم ولا اعتقاد لأن المدعو هو الله سبحانه وهو أيضا المجيب ولا تأثير لمن وقع به التوسل قط بل هو بمنزلة التوسل بالعمل الصالح[1] فأي جدوى فى رشوة من قد صار تحت أطباق الثرى بشىء من ذلك وهل هذا إلا فعل من يعتقد التأثير اشتراكا أو استقلالا. ولا أعدل من شهادة أفعال جوارح الإنسان على بطلان ما ينطق به لسانه من الدعاوى الباطلة العاطلة، بل من زعم انه لم يحصل منه إلا مجرد التوسل وهو يقول بلسانه يا فلان مناديا لمن يعتقده من الأموات فهو كاذب على نفسه ومن أنكر حصول النداء للأموات والاستغاثة بهم استقلالا فليخبرنا ما معنى ما نسمعه فى الأقطار اليمنية من قولهم يا ابن العجيل يازيلعى. يا ابن علوان. يا فلان وهل ينكر هذا منكر أو يشك فيه شاك؟ وما عدا ديار اليمن فالأمر فيها أطم وأعم، ففى كل قرية ميت يعتقده أهلها وينادونه وفى كل مدينة جماعة منهم حتى أنهم فى حرم الله ينادون يا ابن عباس. يا محجوب. فما ظنك بغير ذلك ـ فلقد تلطف إبليس وجنوده أخزاهم الله تعالى لغالب أهل الملة الإسلامية بلطفة تزلزل الأقدام عن الإسلام. . . فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(١) الإمام الشوكانى، هنا يخالف جمهور السلف الصالح، فيجيز التوسل بذوات الصالحين. والصواب عدم جوازه، كما عليه الجمهور. (انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الثالث الفتاوى رقم ١٤ ص ص ٦٨-٦٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعـد أن يقـرر الإمـام الشوكانى أن ما يفعله القبوريون من الدعاء والاستغاثة والتقـرب بأنـواع القـرب إلى غير الله تعـالى من الأموات وغيرهم انه هو الشرك . ولا يتفطن له أهـل العلم لا لكـونـه خفيا فى نفسه ، بل لاطباق الجمهور على هذا الأمر، وكونه قد شاب عليه الكبير، وشب عليه الصغير ، وهو يرى ذلك ويسمعه ولا يرى ولا يسمـع من ينكـره ، بل ربـما يسمـع من يرغب فيه ، ويندب الناس إليه ، وينضم إلى ذلك ما يظهره الشيطان للناس ، من قضاء حوائج من قصد بعض الأموات الذين لهم شهرة ، وللعامة فيهم اعتقاد ، وربما يقف جماعة من المحتالين على قبر ويجلبون الناس بأكـاذيب يحكـونهـا عن ذلك الميت ليستجلبوا منهم النذور ، ويستدروا منهم الأرزاق ، ويقتنصـوا النحـائـر ويستخـرجـوا من عوام النـاس ما يعود عليهم وعلى من يعولونه ، ويجعلون ذلك مكسبا ومعاشا وربما يهولون على الزائر لذلك الميت بتهويلات ويجعلون قبره بما يعظم فى عين الواصلين ويوقدون فى المشهد الشموع ويوقدون فيه الأطياب ، ويجعلون لزيـارتـه مواسم مخصوصة يتجمع فيها الجمع الجم فيبهر الزائر ويرى ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق وازدحامهم وتكالبهم على القرب من الميت والتمسح بأحجـار قبره وأعـواده والاستغـاثـة به والالتجـاء إليه وسؤ اله قضاء الحاجات ونجاح الطلبـات مع خضـوعهم واستكـانتهم وتقريبهم إليه نفائس الأموال ونحرهم أصناف النحـائـر فبمجمـوع هذه الأمـور مع تطـاول الأزمنة وانقراض القرن بعد القرن يظن الإنســان فى مبـادىء عمـره وأوائل أيامه أن ذلك من أعظم القربات وأفضل الطاعات ثم لا ينفعه ما تعلمه من العلم بعد ذلك بل يذهل عن كل حجة شرعية تدل على أن هذا هو الشرك بعينه وإذا سمع من يقول ذلك أنكره ونبا عنه سمعه وضاق به ذرعه لأنه لا يبعد كل البعد أن ينقل ذهنه دفعة واحدة فى وقت واحد عن شىء يعتقده من أعظم الطـاعـات إلى كونـه من أقبـح المقبحـات وأكـبر المحـرمـات مع كونـه قد درج عليه الأسـلاف ودب فيـه الأخـلاف وتعاودته العصور، وتناوبته الدهور، وهكذا كل شىء يقلد الناس أسلافهم ويحكمون العادات والتقاليد المستمرة ، وبهذه الذريعة الشيطانية والـوسيلة الطـاغـوتية ، بقى المشرك من الجاهلية على شركه ، واليهودى على يهوديته ، والنصـرانى على نصـرانيتـه ، والمبتـدع على بدعتـه ، وصـار المعـروف منكـرا والمنكر معـروفـا ، وتبـدلت الأمـة بكثـير المسـائـل الشـرعية غيرها ، وألفوا ذلك ومرنت عليه نفوسهم ، وقبلته قلوبهم وأنسوا إليه حتى لو أراد من يتصدى للارشاد أن يحملهم على المسـائـل الشـرعيـة البيضـاء النقيـة التى تبـدلـوا بها غيرهـا لنفروا عن ذلك ولم تقبله طبـائعهم ، ونـالـوا ذلـك المرشد بكل المكروه ، ومزقوا عرضه بكل لسان ، وهكذا كثير

موجود فى كل فرقة من الفرق لا ينكره إلا من هو منهم فى غفلة(١).

ويقول : حافظ وهبه

كانت نجد ـ من الوجهة الدينية ـ كسائر الأمصار الأخرى : مرتعا للخرافات والعقائد الفاسدة التى تتنافى مع أصول الدين الصحيحة. فقد كان كثير من القبور التى تنسب إلى الصحابة يحج الناس إليها. ويطلبون منها حاجاتهم، ويتوسلون بالمقبورين إلى دفع كروبهم فكانوا فى الجبيلة يؤمون قبر زيد بن الخطاب لتحسين حالهم وإجابة ملتمسهم كما كان أهل الدرعية التى صارت فيما بعد معقل التوحيد ومقر حكم آل سعود ـ يضرعون إلى مثل هذه القبور لمثل هذه الأغراض. وأغرب من ذلك توسلهم بفحل النخل فى بلدة (منفوحة) واعتقادهم أن من تؤمه من العوانس تتزوج لعامها. فكانت من تقصده تقول (يا فحل الفحول، أريد زوجاً قبل الحُول) وكان فى الدرعية غار يقدسونه ويزعمون أنه كان ملجأ لاحدى بنات الأمير التى فرت هاربة من تعذيب بعض الطغاة واتخذت فى أحد الجبال الصخرية مأوى لها فانشق لها الكهف بمعجزة لتأوى إليه.

فهذه الروايات تكشف عما كانت عليه نجد من العقيدة الدينية الفاسدة.

ومن حيث السياسة : فقد كانت ولايات العرب منقسمة إلى ولايات عديدة، يحكم كل واحدة منها أمير لا تربطه وجاره أية رابطة.

ومن أشهر هؤلاء الأمراء بنو خالد فى الأحساء، وآل معمر فى العينية، والأشراف فى الحجاز، وآل سعود فى الدرعية، والسعدون فيما بين النهرين، وغيرهم.

وقد كان سكان بلاد العرب، وهم الحضر ـ فى حروب دائمة مع البدو سكان البادية وكذلك الأمراء على قدم الاستعداد عندما تسنح الفرص للتعدى على جيرانهم إذا بدا من هؤلاء الجيران ضعف أو عدم استعداد.

أما من حيث الأحكام : فلم يكن هناك قانون أو شريعة الا ما قضت به أهواء الأمراء وعمالهم(٢).

---

(١) كتاب الدر النضيد فى اخلاص كلمة التوحيد ص ص ١٨ـ٢٠، ص ص ٢٦ـ٢٩.

(٢) جزيرة العرب فى القرن العشرين، ص ص ٣١٩ـ٣٢٠.

وإذا ما تجاوزنا أمثال هؤلاء من علماء المسلمين فاننا نجد ما يقوله المنصفون من غيرهم مطابقا لهذه الأقوال الصادقة فى وصف البيئة من حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والتى أسلفنا أمثلتها، ونسوق فيما يلى مثالا لأقوال المنصفين، هوما يقوله لوثروب ستودارد الأمريكى، فى كتابه «حاضر العالم الإسلامى» بترجمة الأستاذ عجاج نويهض، وتعليقات شكيب أرسلان، ففى الجزء الأول فى الفصل الأول تحت عنوان: «اليقظة الإسلامية» ما نصه: «فى القرن الثامن عشر الميلادى، كان العالم الإسلامى قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدنى والانحطاط، أعمق دركة، فأربد جوه وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب، وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربى، واستغرقت الأمم الإسلامية فى اتباع الأهواء والشهوات، وماتت الفضيلة فى الناس وساد الجهل، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال، فليس يرى فى العالم الإسلامى ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين، كسلطان تركيا . . .» الخ.

إلى أن قال: «وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء فألبست الوحدانية التى علمها صاحب الرسالة، سجفا من الخرافات، وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد من الأدعياء الجهلاء، وطوائف الفقراء والمساكين، يخرجون من مكان إلى مكان يحملون فى أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات، ويرغبون فى الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور وغابت عن الناس فضائل القرآن، فصار يشرب الخمر والأفيون فى كل مكان، وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء، ونال مكة المكرمة، والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام، فصار الحج المقدس الذى فرضه النبى[1] على من استطاعه ضربا من المستهزءات، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين، وهبطوا مهبطا بعيد القرار، فلوعاد صاحب الرسالة إلى الأرض فى ذلك العصر، ورأى ما كان يدهى الإسلام لغضب، وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين، كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان» اـ هـ.

---

(١) هكذا قال الكاتب الأمريكى! والحقيقة: أن الحج فرضه الله تعالى ورسوله ﷺ.

وعنـد ذلـك علق الأمـير شكيب أرسـلان على وصفـه هذا للعـالم الإسـلامى بقـولـه : «لـو أن فيلسـوفا نقريسا من فلاسفة الإسلام أومؤرخا عبقريا بصيرا بجميع أمـراضـه الاجتـماعيـة ، أراد تشخيص حالتـه فى هذه القـرون الأخـيرة ، ما أمكنه أن يصيب المحز، وأن يطبق المفصل تطبيق هذا الكاتب الأمريكى ستودارد»[1].

إقــرار خصـوم الشيـخ بالانحـراف :

ثم إذا التفتنـا إلى غير المنصفـين نجـد أن خصوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ممن يزعمـون أنهم علماء لا ينكـرون حالـة النـاس الـدينيـة السيئة ولا السياسية ، ولا ينكـرون وجـود القباب على القبور، ووجود تقديس أشجار وأحجار وغيران ونحوها ، ووجـود أوليـاء مزعـومـين ، ووجـود من يدعـو مثـل ذلك من دون الله وينذر له ويذبح ويتقرب إليه بأنواع من العبادة لا ينكرون عموم البلوى بهذه المظاهر المنحرفة فى نجد وفى غيرهـا بل يؤكـدونهـا ويقررون أن السواد الأعظم عليها تبريرا لها ، إنهم يحاولون التـماس مشـروعيتهـا وتسـويغهـا وتخطئـة الشيـخ بل تضليله فى إنكـارها كقولهم : إن الصالحين لهم شفاعة تطلب منهم أمواتا وأحياءا وكقولهم : إن الرسول ﷺ هو الواسطة فيدعونه ليتوسط لهم عند الله ويشفع فيجيب دعاءهم ويقربهم ، وكقولهم : إن الشرك لا يتصور وقوعه فى بلاد المسلمين ، وأن المسلم لا يرتد مهما عمل ، فاذا قال لا إله إلا الله فهو مسلم ولو دعا الأولياء ، واستغاث بهم فى كشف الضرا ، ومثل قولهم : المعين لا يكفرا ، ونحو هذا من تبريرات فاسدة وتلبيسات قبيحة ولو كانت غربة الدين غير واقعـة وانحـرافـات الأكثـر غير صحيحـة لكـان هؤلاء المعارضون أسرع الناس بيانا وتقـريـرا لشيـوع الإسـلام وتأريخـا له ، كيف لا؟ وهـم الحـريصـون على تفنيد أقوال ـ الشيـخ وتسفيـه حركتـه ، لكن الـواقـع بهتهم ، والحـال فضحهم ، فراحـوا يبررون ويؤولـون ويلتمسـون المعـاذيـر، ويحتجـون بالآبـاء والأجـداد ، والتقاليد والعادات ، وموضوعات الحديث وضعيفها ، ومشتبهات القضايا والمقولات ، تاركين محكم الأدلة ، وواضح الآيات ، لأغراض فى نفوسهم ، وشهوات فى صدورهم ، وأمراض فى قلوبهم .

وكيف نذهب بعيـدا ، وقـد أنكـر علماء السنـة العـدول ، ما شهـدوا عليـه من حوادث حدثت فى الدين ، ووقعت بين المسلمين ، وبين أيدينا مصنفاتهم منذ القديم من الـزمـان ، يفندون هذا الواقع المؤلم ، وينكرونه ، ويُعَيّنُونه بالانكار والابطال ، مثل

---

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامى ، ط الحلبى ، ١٣٥٢هـ ، جـ ١/٢٥٩ـ٢٦٠ .

تعظيم القبور، وبناء القباب عليها والمشاهد، واتخاذها مساجد ومعابد، وعبادة أهلها من دون الله. بأنواع من العبادة، كدعائها والذبح لها والتقرب إليها بأنواع القرابين والصدقات.

ومن هؤلاء الأئمة: محمد بن وضاح القرطبي (١٩٧-٢٨٦هـ) في كتابه البدع والنهي عنها، ومحمد بن سحنون (٢٠٢-٢٥٦هـ)، وأبوزكريا، يحيى بن عون، المتوفى سنة ٢٩٨هـ في الرد على أهل البدع، وكذلك الأئمة الأربعة يردون على أهل البدع، وأتباعهم كذلك، فهذا الإمام أحمد في رده على الجهمية والزنادقة، ومن أتباعه - ابن تيمية وابن القيم الحنبليان وردودهم شهيرة، والشيخ قاسم بن قطلوبغا ولد سنة ٨٠٢هـ وتوفي سنة ٨٧٩هـ ويعرف بقاسم الحنفي. كيف كان رده على أهل البدع بدعهم؟ خصوصا في شرحه كتاب درر البحار، للقونوي الحنفي في اختلاف المذاهب الأربعة[1].

وهذا الإمام الطرطوشي المتوفى ما بين سنتي (٥٢٠-٥٢٥هـ) من المالكية في كتابه: «الحوادث والبدع» الذي نشر بتحقيق، محمد الطالبي، وطبعته دار الأصفهاني بجدة.

وأبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ من الشافعية، في كتابه: «الباعث في انكار البدع والحوادث»، والشاطبي في كتابه «الاعتصام»، ومحي الدين البركوي الحنفي في رسالته التي ألفها: «في زيارة القبور» - وغيرهم من العلماء، ألفوا رسائلهم، وأنكروا ما وقع من الحوادث، واشتد نكيرهم على غلاة القبور، حتى نسبوا أعمالهم إلى الشرك الأكبر والكفر. وماتوا قبل أن يخلق الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقد ذكر غالب هؤلاء العلماء وأمثالهم أن الشرك عم الابتلاء به في زمانهم، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، وذكروا أن الدين عاد غريبا[2].

ولننظر ما قرره الفقهاء من كل مذهب، من نواقض الإسلام في باب أحكام الردة مما يدل على أن هذه الناحية لها معنى واقعي، ليس من باب الخيال بعيدا عن الأحداث الواقعة لأن ذلك ليس من شأن فقهاء المسلمين، بل شأنهم مواجهة

---

(١) انظر: الضوء اللامع، للسخاوي، جـ د/ ١٨٤-١٩٠، والفوائد البهية في تراجم الحنفية، للكنوي، ص ٩٩.

(٢) انظر: روضة ابن غنام جـ ١/ ٧٤-٩٥، ص ١١٥-١٢١.

الأحداث بأحكام فقهية من الإسلام ، وكل أولئك الفقهاء العلماء ، يعالجون ما حدث فى زمانهم ، ولا شك أن البلاء ازداد سوءا ، كلما مر الزمان من بعدهم خاصة فى أول القرن الثانى عشر الهجرى.

وقد أطلت النفس ، فى بيان صفة البيئة ، قبيل ظهور الشيخ ، لبيان أن الشيخ رحمه الله ظهر على بيئة ، عاد الإسلام فيها غريبا ، ومن يمارس أعمال الشرك هم الأكثر الغالب خلافا لما يذهب إليه الدكتور العثيمين من أن ابن غنام متحمس للدعوة ـ وابن بشر كذلك فكان هذا التحمس من الأمور التى دفعتهما إلى اصدار أحكام على الحالة التى كان عليها النجديون من حيث العقيدة تنقصها الدقة وأنه من المقارنة بين المصادر المختلفة يبدو أن الحالة الدينية التى كانت سائدة فى نجد آنذاك لم تكن بالصورة التى أظهرتها بها المصادر المؤيدة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] ـ وقال بالحرف الواحد : «ربما كان تحمس ابن غنام لهذه الدعوة المباركة من الأمور التى دفعته إلى تعميم حكمه على أهل نجد قبل ظهورها ليوضح مقدار فضلها»[2]، وقال عن ابن بشر أيضا : «وابن بشر كما هو واضح من تأمل تاريخه ـ كان أيضا من المتحمسين لدعوة الشيخ وأنصارها ، وموقف كهذا قد يؤدى إلى اصدار أحكام تنقصها الدقة»[3] . وهذا غير صحيح .

فابن غنام وابن بشر لم يصدرا حكما عاما وهذا واضح للقارىء من تاريخهما كما بيناه فى النقل عنهما آنفا ، ولم ينفردا بما ذكراه عن حالة نجد وغيرها الدينية والسياسية قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما بيناه من كلام الصنعانى والبسام وغيرهما قبل قليل . ولم ينكر أحد من ابن غنام وابن بشر ، أوغيرهما ، وجود علماء فى الفقه ووجود مسلمين غير أن وجودهم لم يقض على اعتقاد أكثر الناس بالطواغيت أمثال تاج وشمسان وحسين وأدريس ، وبالأشجار والأحجار والقبور والقبب وتقديس الصالحين والأولياء وعبادتهم ـ كما قضى عليه وجود الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمناصرة الأمير محمد بن سعود فى نجد وما حولها ـ أما ما بعد فلا يزال ـ كما هو الشأن

---

(١) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حياته ، وفكره ، للدكتور العثيمين ، تحت بحث الحالة الدينية فى نجد ، ب : العقيدة وأركان الإسلام ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

(٢) مجلة الداره ع ٣ ، س ٤ شوال ١٣٩٨هـ .

(٣) المصدر السابق .

فى مصر، وغيرها إلى يومنا هذا، فوجود العلماء فيها أهل الدراية والتحقيق، لم يقطع المظاهر المنافية للإسلام من مجتمعهم.

وقد سبقنى إلى هذه الملاحظة الأستاذ صالح محمد الحسن فى تعقيبه حول مقال الدكتور العثيمين فى مجلة الدارة ـ فقد لاحظ أن الدكتور العثيمين حين بحث الناحية العقيدية ذلك الزمن فى مقاله أنهى تحليله بأن هناك جهلة يمارسون أعمالا شركية لكن عدد هؤلاء كان فيما يظهر قليلا ـ.

وأن هذه النتيجة تشكيك فى الدور الذى قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب من محاربة مظاهر الشرك والعودة بالأمة إلى الكتاب والسنة عقيدة وسلوكا ومنهاج حياة، وتظهر الشيخ محبا للزعامة لأن الناس كانوا على العقيدة السليمة إلا النزر اليسير منهم[1].

---

(١) مجلة الداره، ع ١ س ٥ ربيع الثانى ١٣٩٩هـ ص ص٣٥٢ـ٣٥٨.

المبحث الثانى
حياة الشيخ .. خصوصا الناحية العلمية

المترجمون للشيخ :

ترجم للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كثير من المؤرخين والأدباء والكتاب وأصحاب التراجم والعلماء كثرة لم تقع إلا للأعلام المجددين ، بل لو استقرأنا عدد التراجم للعلماء والأعلام فى جميع الميادين الإسلامية من بعد عصره لوجدنا أن ترجمة الشيخ تأخذ أعلى رقم من بين هذه التراجم ، وقل أن تجد كتاب تاريخ أو تراجم لأهل عصره ، أو ليقظة المسلمين الحديثة وحاضر العالم الإسلامى ، أو لآل سعود على الخصوص إلا وتجد للشيخ ترجمة أو شيئا منها ، وبين يدى ما يزيد عن خمسين كتابا وبحثا لم يخل واحد منها عن ذكر شىء من ذلك وسأذكر بعضها فى هذا البحث بشىء من البيان وأختار منها ما أعتبره من المراجع الأساسية لترجمة الشيخ .

أ ــ مراجع أساسية :

أولها : «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام ، والغزوات البيانية والفتوحات الربانية» للشيخ حسين ابن غنام المتوفى سنة ١٢٢٥هـ .

قال حمد الجاسر عنه وعن تاريخه هذا : «وكان أول من قام بذلك ـ يعنى تدوين تاريخ قيام الدعوة من نجد ـ عالم جليل من بلاد الاحساء قدم الدرعية قاعدة تلك الحركة لينهل من معين علم الداعية الأول الإمام محمد ، هو الشيخ حسين بن غنام ، (توفى ١٢٢٥هـ) فألف كتابه الذى يعتبر المصدر الأول لبيان حقيقة تلك الدعوة ، بما نشره من رسائل الشيخ وآرائه ، وكتبه ، ولتصوير ما قام به حملتها من جهاد وكفاح»[1] .

وتقع هذه الترجمة من تاريخ ابن غنام فى الصفحات من ص ٢٥ إلى ص ٥٠ ، ط الأهلية عام ١٣٦٨هـ ، وفى تحرير الأسد لتاريخ ابن غنام ص ٧٥ـ٨٥.

---

(١) مقدمة تاريخ ابن عيسى ، ط. دار اليمامة ص ٥، ٦.

والثانى هو : «عنوان المجد فى تاريخ نجد» تأليف المؤرخ عثمان بن عبد الله بن بشر المولود سنة ١٢١٠ والمتوفى سنة ١٢٩٠هـ [١].

قال ابن بسام عن المؤلف : «صار اتجاهه إلى التاريخ لاسيما تاريخ نجد»[٢]، وقال عن تاريخه : «هذا التاريخ هو أنفس وأجمع وأوثق وأعدل ما صنف من تواريخ نجد»[٣] وتقع ترجمة الشيخ من هذا التاريخ فى جـ ١ ص ص ٦ـ١٥، ص ص ٨٩ـ٩٦.

والثالث : هو مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الثالث، تأليف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن المولود عام ١٢٢٥هـ والمتوفى سنة ١٢٩٣هـ ، والذى رتب هذه المسائل وبوبها هو تلميذه سليمان بن سحمان المولود عام ١٢٦٦هـ والمتوفى عام ١٣٤٩هـ ، وقد أخذ الشيخ عبد اللطيف عن أبيه وأبوه أخذ عن جده الشيخ محمد المترجم له، وكذلك أخذ عن الشيخ حسين بن غنام[٤].

ولا شك أن الشيخ عبد اللطيف مصدر معتمد لهذه الترجمة ولكل ما يتعلق بالشيخ المترجم له باعتبار موقعه من النسب والعلم .

وتقع ترجمة جده فى ص ص ٣٧٨ـ٣٨٩ من رسائله هذه .

والرابع : الدرر السنية فى الجزء الثانى عشر جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ومن مشائخه الشيخ سليمان بن سحمان وقد جمع واستوعب وهو ثقة ضابط ، وكان مولده عام ١٣١٩هـ وتوفى عام ١٣٩٢هـ[٥].

وتقع ترجمة الشيخ فى مجموعه فى جـ ١٢ ص ٣ـ٢٥ .

ب ـــ مراجع فرعية :

والبقية من هذه المراجع سأترك ذكرها هنا وان كنت قد استفدت منها لكن ليست هى الأساسية وفى الغالب هى عيال على ما تقدم ، وسأذكرها عند موضع الاستفادة منها إن شاء الله تعالى ، وقال حمد الجاسر: «إن سيرة الإمام المجدد الشيخ

---

(١) المصدر السابق .

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون ، جـ ٢ ص ٧٠١ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر تراجمهم فى المصدر السابق جـ ١ .

(٥) عبد الله البسام علماء نجد خلال ستة قرون ، جـ ٢ ص ٤١٤ .

محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ قد عنى تلاميذه وأبناؤه وأحفاده وتلاميذهم من علماء نجد بتدوينها تدوينا كاملا»[1].

وقال أيضا: «وهم فى الحقيقة أدرى من غيرهم بحياة هذا العالم الجليل كما قيل: أهل مكة أدرى بشعابها»[2].

وعلى هذا الأساس بنيت اختيارى للمراجع واعتبارى للأساسى منها.

جـ — مراجع أعرضت عنها:

وأعرضت عن مثل كتاب «لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب» لمؤلف مجهول طبع، بيروت ١٣٨٧هـ نشر بتحقيق، أبى حاكمه، وتلقاه كثير من الناس ـ أعرضت عنه للأسباب التالية:

أ ـ إنه لمؤلف مجهول، ويظهر منه روح معادية لعقيدة السلف الصالح، والروح المعادية للحق تحمل صاحبها على ترويج الأكاذيب واختلاق الأخبار، ألف سنة ١٢٣٣هـ [3]. وهذا هو تاريخ حلول النكبة التى أصيب بها أهل الدرعية على يد طاغية مصر ومن ورائه الترك وأعداء المسلمين من أوربا والانكليز، مما يدل على أن الكتاب ألف كجزء من حملة الباطل على الدرعية ولكن الله رد كيدهم وأبقى ميراث الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفى ولله الحمد كما قال تعالى: ﴿**يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**﴾ [الصف: ٨].

ب ـ وما فيه من صدق فهو قليل جدا وموجود فى غيره من المصادر الموثوقة فنحن فى غنى عنه، وما قصد بذكر المشتهر منه إلا لَبسُ الحق بالباطل كما هى طريقة أهل الكتاب المنحرفين والكهان والعرافين يأتون بكلمة واحدة من الصدق مشهورة ويضيفون إليها مائة كلمة من الكذب مجهولة ليروجوا هذا الكذب ويوهموا الناس أنه كله صدق، وعلى كل فلا يعتمد على رواياته لكذبه الواضح وتزييفه وقائع تاريخية معلومة.

جـ ـ ومصداق ذلك أن دارة الملك عبد العزيز قامت بطبعه مرة أخرى

---

(١) مجلة العرب، الجزء العاشر، السنة الرابعة ربيع الثانى ١٣٩٠هـ ص ٩٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٤٤.

(٣) انظر: صورة آخر صفحة من مخطوط لمع الشهاب فى ص (ي) من مطبوعته بتحقيق وتعليق ابن عبد اللطيف وص ٢١٨ من نفس المطبوع.

لتمحيص الأخطاء والتنبيه إلى تزييفه الوقائع والحقائق التاريخية بقلم محققه عبد الرحمن بن عبد اللطيف وقد بسط الكلام حول هذا: عبد الواحد راغب، في مقاله في مجلة الدارة ع ٢، س ٢، ص ٢٣٨-٢٤٩.

د ـ وكان حمد الجاسر قد سئل عن رأيه في هذا الكتاب فقال: «أرى أن كتاب «لمع الشهاب» ألف استجابة لرغبة المستر (ريس) أو أحد موظفي الانكليز في الخليج ذلك أن هذا الكتاب يحوي ثناء على الإنكليز ووصفا لأعدائهم من العرب في الشارقة وغيرها بأوصاف كان موظفو الإنكليز في ذلك العهد يطلقونها عليهم، وهي غير صحيحة.

وفي الكتاب كثير من التحريف والكذب في الأنساب وفي الوقائع التاريخية مما يدل على أن كاتبه كان قد استوحى كثيرا مما فيه من مخيلته وأضاف إلى ذلك وقائع وحوادث كانت معروفة ومشهورة في ذلك الوقت، وخلط بعضها بما لا يتفق مع الحقيقة، وأبرز الكتاب بصورة تجعله مقبولا عند القارىء فهو برغم ما فيه من المعلومات الباطلة عن أنساب أهل نجد وعن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعن نسب آل سعود وأخبارهم مع ما في كل ذلك من الأباطيل ففي الكتاب ثناء طيب يحمل القارىء على أن يحسن الظن بالمؤلف ويعتقد أنه يكتب بتجرد وانصاف. لا أقول هذا متحيزا أو متأثرا بأية عاطفة ولكنني أقوله مقررا لحقيقة تاريخية هو أنه لا يصح التعويل على ما في هذا الكتاب ما لم توجد نصوص أخرى تؤيده، وكثير مما فيه يخالف النصوص التاريخية المعروفة»[1].

والأمر هو كما قال الأستاذ المحقق حمد الجاسر، من أن هذا الكتاب ونحوه. لا يصح التعويل على ما فيه.

نسبه :

هو : محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن

---

(١) العرب، الجزء العاشر، السنة الرابعة ربيع الثاني ١٣٩٠هـ ص ٩٤١. وانظر: نقدا لكتاب لمع الشهاب بتحقيق الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمه في مجلة العرب الجزء التاسع، السنة الأولى، ربيع الأول سنة ١٣٨٧هـ ص ص ٩٥٣-٩٥٧.

علوى بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد ابن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبى سود بن مالك بن حنظله بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مربن أدبن طابحة بن إلياس بن مضربن نزاربن معد بن عدنان. أما والدة الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ فهى بنت محمد بن عزاز المشرفي الوهيبي التميمي فهي من عشيرته الأدنين[١].

وهناك اختلاف طفيف فى نسب الشيخ إلى «مشرف» ففى سرد ابن بشر[٢]، وعبد الرحمن المغيرى[٣] لنسب الشيخ يصير «مشرف» الجد السابع للشيخ، قالا: «محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف» فقد سقط اسمان من أسماء أجداده هما: «محمد» ثم «بريد» بين «بريد» الأول و «مشرف» ويبدو أن عبد الله بن يوسف الشبل قد تبع ابن بشر فى سرده لنسب الشيخ عندما ترجم له[٤].

أما عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ فى كتابه: «مشاهير علماء نجد وغيرهم»[٥] وفى كتابه: «علماء الدعوة»[٦]، وعبد الله بن عبد الرحمن البسام فى كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون»[٧] فقد زادا فى سردهما لنسب الشيخ عن سرد ابن بشر والمغيرى الجد السابع «محمد» ونقص الجد الثامن «بريد»، كما هو الثابت فى سرد المؤرخ الأقدم حسين بن غنام[٨]. والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن[٩]، والشيخ راشد ين على بن جريس الحنبلى[١٠]، والمؤرخ إبراهيم بن عيسى[١١]،

---

(١) علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن بسام جـ ١/ ص ٢٦.

(٢) عنوان المجد ١/ ٨٩، ط. مكة.

(٣) الكتاب المنتخب فى ذكر قبائل العرب، ص ١٦٣.

(٤) فى كتابه: الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته ص ١٦، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

(٥) ط ١، ص ١٦.

(٦) ص ٦.

(٧) ١/ ٢٥.

(٨) روضة الأفكار ١/ ٢٥.

(٩) الرسائل والمسائل ٣/ ٣٧٩.

(١٠) مثير الوجد فى معرفة ملوك نجد ص ص ٣١، ٣٢.

(١١) تاريخ بعض الحوادث ص ١٢٥، ١٢٦.

والفقيه إبراهيم بن ضويان[1]، والشيخ عبد الرحمن بن قاسم[2] والشيخ حمد الجاسر[3] - ففي سردهم جميعا لنسب الشيخ يصير «مشرف» الجد التاسع، فيقولون: «محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف».

وعلى ما يبدو أن إبراهيم بن عبيد في تاريخه «تذكرة أولى النهى والعرفان»[4] ومحمد العقيلي في بحثه[5] الذي قدمه لمؤتمر اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وغيرهما[6] قد تبعوهم في سردهم لنسب الشيخ، وكذلك الدكتور عبد الله العثيمين ذكر أن «مشرفا» هو الجد التاسع للشيخ - ولكنه حين سرد نسب الشيخ أسقط اسم جده الثالث «محمد» ولعله أسقطه سهوا[7]، إلا أن يكون قد تبع الحيدري في كتابه «عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد» فالحيدري قد أسقط اسم جده الثالث «محمد» واعتبر العدّ يبدأ من أب الشيخ لا من جده.

والذي أثبته الشيخ حسين بن غنام ومن أتى بعده ممن ذكرنا هو الراجح لأنهم أكثر عددا وفيهم من هو أتم ضبطا وأقدم تاريخا.

وأما من «مشرف» إلى «ريس» فان ابن غنام لم يذكر ما بعد «مشرف» من نسب الشيخ وإنما وقف في نسبه على «مشرف»[8]، وكذلك الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن[9].

---

(١) رفع النقاب مخطوط، لوحة ٧٤ عن مجلة الدارة ع ٢، س ١٣٩٨ه ص ٩٧.

(٢) الدرر السنية جـ ١٢ ص ٣.

(٣) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ٤٦٩/١.

(٤) جـ ١٣/١.

(٥) ص ١٣.

(٦) انظر البحوث المقدمة لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب المنعقد في الفترة من ١٤٠٠/٤/٢١ إلى نهاية ١٤٠٠/٤/٢٧، مجلد «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية» بحث الشيخ إسماعيل الأنصاري وبحث الشيخ يوسف جاسم الحجي.

(٧) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ص ٢٣.

(٨) روضة الأفكار: ٢٥/١.

(٩) الرسائل والمسائل ٣٧٩/٣.

ولكن ابن بشر[١]، وإبراهيم بن صالح بن عيسى[٢]، وعبد الرحمن بن قاسم[٣]، وحمد الجاسر[٤]، وعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ[٥]، وعبد الله بن عبد الرحمن البسام[٦] يتفقون على أنه هكذا: «مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس» ويخالفهم عبد الرحمن المغيرى[٧]، وتركى آل ماضى[٨] ـ فى اسم والد مشرف «عمر» ففى مؤلفيهما أنه «عمرو» والراجح «عمر» لا «عمرو» لأنه هكذا فى مؤلفات ابن بشر وابن عيسى وابن قاسم ومن معهم كما ذكرنا ـ وهم أضبط وأكثر.

كما يخالف كل من سبق ذكره إبراهيم بن ضويان[٩]، وصاحب التوضيح عن توحيد الخلاق فى جواب أهل العراق[١٠]. فى اسم «ريس» ففى مؤلفيهما أنه «ادريس» والراجح أنه «ريس» لا «ادريس» لأن من ضبطه «ريس» أضبط وأكثر.

وقال المؤرخ إبراهيم بن عيسى: «وأما المشارفة أولاد مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر، فمنهم آل الشيخ المعروفين فى الرياض»[١١].

وأما من ريس إلى «عقبة» ومن عقبة إلى «مر» ـ فيقول ابن عيسى: «قال الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع: وهذا النسب من ريس إلى عقبة، منقول من خط محمد بن أحمد بن محمد بن منيف بن بسام (بن) منيف القاضى، ومن خط علماء الوهبة المعروفين المعتبرين، مثل الشيخ أحمد بن محمد بن بسام، والشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصير، والشيخ سليمان بن علي (جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب) والشيخ أحمد بن محمد البجادى، والشيخ عبد المحسن بن علي بن شارخ المشرفى

(١) عنوان المجد، ١/٨٩.
(٢) تاريخ بعض الحوادث... ص ٢٢٣، ٢١١.
(٣) الدرر السنية جـ ١٢ ص ٤،٣.
(٤) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ١/٤٦٩.
(٥) مشاهير علماء نجد ص ١٦.
(٦) علماء نجد خلال ستة قرون ١/٢٥.
(٧) الكتاب المنتخب فى ذكر قبائل العرب ص ١٦٣.
(٨) تاريخ آل ماضى ص ١٠.
(٩) رفع النقاب عن تراجم الأصحاب مخطوط لوحة ٧٤، عن مجلة الدارة، ع ٢ رجب ١٣٩٨هـ ص ٩٧.
(١٠) مطبعة العامرة الشرقية سنة ١٣١٩هـ ص ١٦.
(١١) تاريخ بعض الحوادث... ص ٢٢٣.

وغيرهم. ومن «عقبة» إلى «مر» منقول عن ابن الكلبي وياقوت الحموى، قال ابن الكلبي: وكان عقبة شريفا[1] أى فى قومه.

كما نقل ابن عيسى أن الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع يقول: «ان ابن منصور ليس بمأمون فى نقله عن علماء الوهبة من أن أحدهم إذا وصل فى نسبه إلى مسعود قال هو أخو غيلان ذى الرمة بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة» الخ. وينكر ذلك ويقول: «الذى وقفنا عليه ورأيناه بخطوطهم خلاف ما نقله عنهم ابن منصور، إنما هو: مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد» ... الخ[2].

وهناك اختلافات أخرى شاذة مثل السقط والتصحيفات التى وقعت فى كتاب إبراهيم الحيدرى المسمى: «عنوان المجد فى بيان، أحوال بغداد والبصرة ونجد» فقد أسقط اسم جده الثالث «محمد» وصحف اسم جده «بريد» إلى «بريز» واسم جده «معضاد» إلى «بعضاد» واسم جده «زاخر» إلى «ذاخر» [لوحة ٣١٤-٣١٥] ومثل ما فى معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة فقد قال: «محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن أحمد بن راشد بن يزيد بن محمد بن يزيد ابن مشرف التميمى النجدى»[3] فقد أسقط اسم «علي» ثم «محمد» بين «سليمان» و«أحمد» وأبدل «بريدا» بيزيد فى الموضعين، وهذا غير صحيح.

وبعض المترجمين أعرض عن تفصيل نسب الشيخ كالزركلي فى كتابه «الأعلام ...» واقتصر على قوله: «محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمى النجدى»[4].

وبالجملة التى لا خلاف عليها خلافا معتبرا أن الشيخ ينسب فيقال: «المشرفي» نسبة إلى جده «مشرف» وأسرته آل مشرف، ويقال: «الوهيبي» نسبة إلى جده «وهيب» جد الوهبة، والوهبة يجتمعون فى محمد بن علوى بن وهيب. وهم بطن كبيرٌ من حنظلة، وحنظلة بيت من بيوت بنى تميم الأربعة الكبار كما قال غيلان ذو الرمة:

---

(١) المصدر السابق، ص ٢١٢، وانظر: الكتاب المنتخب فى ذكر قبائل العرب لعبد الرحمن المغيرى، ص ١٦٤ - وتاريخ آل ماضى ص ١٢، ١٣، وعلماء نجد خلال ستة قرون للبسام ٢٥/١.

(٢) تاريخ بعض الحوادث ... ص ٢١٧-٢١٩، وانظر: مثير الوجد فى معرفة أنساب ملوك نجد، تأليف راشد بن علي الحنبلى، ص ص ٣٠-٣٢.

(٣) جـ ٢٦٩/١٠.

(٤) جـ ٧/ ١٣٧-١٣٨.

يعـد الـنـاسبـون إلى تميم بيـوت المجـد أربعـة كبـارا
يعـدون الـربـاب وآل سعـد وعـمـروا ثم حنظلة الخيـارا

ويقال: (التميمى) نسبة إلى (تميم) أبى القبيلة الشهيرة[1]، والتى ورد فيها ما رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب العتق[2]، فى الباب الثالث عشر، وفى كتابه المغازى[3] فى الباب الثامن والستين، ومسلم فى صحيحه فى كتاب فضائل الصحابة[4]، فى الباب السابع والأربعين ورقم الحديث ١٩٨ عن أبى هريرة واللفظ هنـا لمسلم: عن أبى زرعـة قال: قال أبـو هريـرة: لا أزال أحب بنى تميم من ثلاث سمعتهن من رسـول الله ﷺ ـ سمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «هم أشـد أمتى على الـدجـال» قال: وجـاءت صدقـاتهم فقـال النبى ﷺ: «هـذه صدقات قومنا» قال: وكانت سبية منهم عند عائشة ـ فقال رسول الله ﷺ: «أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل».

ويتضح من سرد نسب الشيخ المتقدم أنه يلتقى مع نسب الرسول ﷺ فى إلياس ابن مضر.

أسـرته العلميـة:

انه منذ القرن العاشر الهجرى زمن أجود بن زامل ملك الأحساء ونواحيه تلمع أسماء علماء من آل مشرف كالقاضى عبد القادر بن بريد المشرفى، وكان أحمد بن محمد بن مشـرف فى أشيقـر ممن أخـذ عن أحمـد بن يحى بن عطـوة وعن أبى النجـاموسى الحجاوى مصنف الاقناع وزاد المستقنع وغيرهما[5].

---

(١) انظر: البسام، علماء نجد خلال ستة قرون ١/ ٢٥، ٢٦ وعبد الرحمن المغيرى، الكتاب المنتخب فى ذكر قبائل العرب ص ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، تركى بن ماضى، تاريخ آل ماضى ص ١١.

(٢) جـ ٣ ص ١٢٢.

(٣) جـ ٥/ ص ١١٥، ١١٦.

(٤) جـ ٤ ص ١٩٥٧.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد ١/ ٢٢، ٢٣، فى سابقة (٩٤٨)، وابن بسام، علماء نجد، ١/ ٣١٠، والدكتور العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. ص ٢٤.

جـــــده :

وفى القرن الحادى عشر الهجرى نجد أن جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو القاضى سليمان بن علي بن مشرف أكبر عالم فى نجد ذلك الزمن، ويتحدث المؤرخ إبراهيم بن عيسى عن مكان ولادته ونشأته وأعماله وتنقلاته فيقول: «ولد فى بلد أشيقر ونشأ بها وقرأ على علمائها ولازم منهم أجلهم الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف وبرع ودرس ومهر فى الفقه ثم طلبه أهل روضة سدير قاضيا لهم فأجابهم إلى ذلك فانتقل من أشيقر وسكن عندهم فنشر العلم فى الروضة وحث الناس على التعلم ورغبهم فيه وانتفع به خلق كثير واتفق أنه حصل بينه وبين بعض رؤ ساء البلد كلام فغضب الشيخ من ذلك وانتقل إلى العيينة واستوطنها وتولى قضاءها وباشره بعفة وصيانة» أ ـ هـ [(١)].

ويصف ابن بشر مكانته العلمية فيقول: «كان سليمان رحمه الله تعالى فقيه زمانه متبحرا فى علوم المذهب وانتهت إليه الرئاسة فى العلم، وكان علماء نجد فى زمانه يرجعون إليه فى كل مشكلة من الفقه وغيره رأيت له سؤالات عديدة وجوابات كثيرة، وصنف كتابا فى المناسك، وذكر لى أنه شرح الاقناع فلما علم أن منصور البهوتى شرحه أتلف سليمان شرحه»[(٢)]، وقال ابن بسام عن فتاوى الشيخ سليمان «بلغ المحفوظ منها الآن أكثر من أربعمائة جواب مفرقة فى بعض المطبوعات، وأكثرها لا يزال مخطوطا»[(٣)] أ ـ هـ .

وقد رأيت فى مجموعة الرسائل والمسائل النجدية أجوبة له على مسائل من الفقه بلغت احدى وثلاثين مسألة[(٤)].

وقال البسام عن شرحه الاقناع: «وقد شرح الاقناع فلما حج سنة (١٠٤٩هـ) تسع وأربعين وألف وجد الشيخ منصور البهوتى حاجا فأطلعه على شرحه فتأمله الشيخ سليمان ثم قال: وجدته مطابقا لما عندى إلا فى مواضع يسيرة وأتلف شرحه عليه»[(٥)].

---

(١) نقلا عن ابن بسام، علماء نجد، ١/٣١٠.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ١/٦٢.
(٣) علماء نجد، ١/٣١٢.
(٤) انظرها فى: جـ ١/ ٥١٠ـ٥٢٠.
(٥) علماء نجد، ١/٣١١.

ويـزيـد المؤرخ إبـراهيم بن عيسى فى وصف مكـانتـه العلمية فيقول: «وكتب بخطه الحسن المضبوط النير كتبا كثيرة من كتب الفقه وغيرها وحصل كتبا كثيرة نفيسة فى كل فن وعلى كل كتـاب منهـا خطـه بتهميش وتصحيـح وإلحاق فوائد وتنبيهات مما يدل على أنه طالعها جميعها مطالعة تأمل وتفهم» أ ـ هـ [١].

وقـال الـدكتـور العثيمـين: «يـوجـد خطـه فى مكتبة برلين (ms – idbg. 4/22) لكتـاب جلاء الأفهـام فى فضـل الصلاة على خير الأنام تأليف شمس الدين الزرعي وهو مكون من ٢٢٠ ورقة»[٢].

توفى الشيخ سليمان بن علي فى سنة تسع وسبعين وألف (١٠٧٩هـ)[٣]، فى بلد العيينة[٤].

وكان قد أخذ عنه العلم والفقه جماعة، وتتلمذ له خلق كثير تخرجوا على يديه وانتفعوا به منهم أبناءه عبد الوهاب وإبراهيم وغيرهما[٥].

وقـال الشيـخ عبـد الله البسـام: «المعـروف أن الشيخ سليمان بن علي لم يبق له عقب الآن إلا من قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب»[٦].

ولنـا أن نقـول: وكـذلك ميراث الشيخ سليمان بن علي العلمى بقى فى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من ذريته وغيرهم ـ ومنهم انتشر كما هى سنة الله تعالى فى عباده المحسنين، يجيبهم إذا نادوه ودعوه، وينجيهم من الكرب، ويجعل البقاء فى ذريتهم.

قال تعـالى: ﴿**ولقـد نادانـا نوح فلنعم المجيبون، ونجيناه وأهله من الكرب العظيم، وجعلنا ذريته هم الباقين، وتركنا عليه فى الآخرين، سلام على نوح فى العالمين، إنا كذلك نجزى المحسنين**﴾[٧].

---

(١) نقلا عن البسام، علماء نجد، ١/ ٣١٠، ٣١١.

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . ص ٢٤.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ١/ ٦٢، وابن عيسى تاريخ . . ص ٦١، ٦٢.

(٤) ابن بسام، علماء نجد ١/ ٣١٢.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ١/ ٦٢، ٦٣، والسحب الوابلة عن مجلة العرب س ١٢ ص ٦٧٠.

(٦) علماء نجد خلال ستة قرون ١/ ١١١.

(٧) سورة الصافات: ٧٥ـ٨٠.

والـــــــده :

وعبـد الـوهـاب بن الشيخ سليمان هوأبو الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب ـ ولـد فى العيينـه ونشأ بها على تربيـة أبيه بالعلم والفقه من صغره وكما أخذ عن والده الشيخ سليمان فقد أخذ عن غيره أيضا من علماء العيينة حتى أدرك فى الفقه كأبيه وولي قضـاء العيينـة مكان أبيه[1] . وقد رأيت له جوابا فى مجموعة الرسائل والمسائل النجدية على سؤ ال وجهه إليه عبد الله بن أحمد بن سحيم عن أحوال منكرة من أناس يسمون أنفسهم فقـراء يدخلون فى النـار ويضـربـون أنفسهم بالحـديد ويقفزون من السطوح ويلعبون بذكر الله حيث يفعلونه كنبح الكلاب . . . فأجاب بأن هؤلاء فسقة شياطين منـافقـون وأفعـالهم منكرة وبعضها كفر بلا ريب يتعوذ المسلمون بالله من أفعالهم وأن أهـل حرمـة وأضرابهم الذين اتبعوهم وجادلوا عنهم لا يصلى خلف أحدهم ولا تقبل شهادته ويحث على إنكار مثل ذلك باليد واللسان ، واستدل بأدلة سديدة مما يدل على أصالة علمه وفقهه[2] .

وفى هذه الأسرة العلمية من آل مشرف ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

مـــولده ونشـــأته العلميـــة ومواهبــه :

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وخمس عشرة (١١١٥هـ) من هجرة المصطفى ﷺ [3] ، على ما هو معروف[4] ، فى بلدة العيينة على الصحيح[5] ، وكما ذكرنا فى أسرة علمية ، تعلم القرآن وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين ، وكـان حاد الفهم وقـاد الـذهن ذكى القلب سريـع الحفظ[6] ، قرأ على أبيه فى الفقه ، وكان رحمه الله تعالى فى صغره كثير المطالعة فى كتب التفسير والحديث وكلام العلماء فى أصل الإسلام فشرح الله صدره فى معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد ١/٢٣٥ .

(٢) انظر: المسائل والرسائل النجدية ١/٥٢٣-٥٢٥ .

(٣) ابن غنام ، روضة الأفكار ١/٢٥ وابن بشر، عنوان المجد ، سابقة (١١١٥هـ) جـ ١/١٣٨ .

(٤) الشيخ عبـد العـزيـز بن باز، محاضـرة عن الشيـخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٩-٢٠ . وانظر: البيان الواضح لأسرة الشيخ ـ تأليف عبد الله بن إبراهيم بن عبد العزيز آل الشيخ ص ٥ .

(٥) الدكتور العثيمين، الشيخ محمد . . . ص ٢٥ ، ومسعود الندوى، محمد بن عبد الوهاب . . . ص ٣٦.

(٦) روضة ابن غنام جـ ١/٢٥ .

طريقه(١)، وجد فى طلب العلم وأدرك وهوفى سن مبكرة حظا وافرا من العلم حتى ان أبـاه كان يتعجب من فهمـه ويقـول: «لقـد استفـدت من ولـدى محمـد فوائـد من الأحكـام»(٢) وكتب أبـوه إلى بعض اخـوانه رسالة نوه فيها بشأنه وفهمه الجيد وأنه بلغ الاحتلام قبل إكمال اثنتى عشرة سنة من عمره ورآه أهلا للصلاة بالجماعة إماما لمعرفته بالأحكام، وزوجه بعد البلوغ مباشرة ثم طلب من أبيه الحج إلى بيت الله الحرام فأذن له فحـج وقصـد المـدينة وأقام فيها شهرين ثم رجع بعد ذلك إلى أبيه فى العيينة وأخذ يدرس الفقه على مذهب الإمام أحمد على والده، ورزق مع قوة الحفظ سرعة الكتابة بحيث انه يخط كراسا بخط واضح فى الجلسة الواحدة بلا سأم ولا تعب مما يحير أصحـابـه(٣)، ويقـول عبـد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: «وقد كتب بخط يده كثيرا من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية لا يزال بعضها موجودا بالمتحف البريطانى بلندن»(٤).

وقـال حفيـده وتلميـذه الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «لما قدم جده سليمان بن علي من الروضة ونزل العيينة كان أفقه من نزل نجدا فى وقته فتخرج عليه خلق كثير من أهل نجد منهم ابناه عبد الوهاب وإبراهيم، وكان المتولى للقضاء فى العارض أبو عبد الوهاب وكان عمه يسافر إلى ما حولهم من البلاد لحاجتهم إليه فى الافتاء وما يقع بينهم من بيع العقارات وكان عليه اعتمادهم فيما كتبه وأثبته، وأكثر إقامته مع أخيه عبد الوهاب فظهر شيخنا بين أبيه وعمه، فحفظ القرآن وهو صغير، وقرأ فى فنون العلم، وصـار له فهم قوى وهمة عاليـة فى طلـب العلم فصـار يناظر أباه وعمه فى بعض المسائل بالدليل على بعض الروايات عن الإمام أحمد والوجوه عن الأصحاب فتخرج عليهما فى الفقـه ونـاظـرهما فى مسائل قرأها فى الشرح الكبير والمغنى، والانصاف لما فيهما من مخالفة ما فى متن المنتهى والاقناع»(٥).

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد فى تاريخ نجد ٦/١.

(٢) روضة ابن غنام ٢٥/١.

(٣) روضة ابن غنام جـ ١/٢٥-٢٦.

(٤) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٨، وانظر: عبد الحليم الجندى، «الامام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفى» دار المعارف ص ٩١.

(٥) الدرر السنية ٩/٢١٥.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: «أمده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ، وقوة الادراك وعدم النسيان، سمع الحديث، وأكثر فى طلبه، وكتب ونظر فى الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصل غيره، برع فى تفسير القرآن، وغاص فى دقائق معانيه، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع فى الحديث وحفظه، فقل من يحفظ مثله مع سرعة استحضاره له وقت إقامة الدليل، وفاق الناس فى معرفة الفقه، واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين بحيث انه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل بما يقوم دليله عنده، تمسك بأصول الكتاب والسنة، وتأيد باجماع سلف الأمة[1].

وهكذا نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشأة علمية فأبوه القاضى كان يحثه على طلب العلم ويرشده إلى طريق المعرفة، ومكتبة جده العلامة القاضى سليمان بن علي بأيديهم وعمه إبراهيم أكثر إقامته مع أخيه عبد الوهاب، فيلتقى به ابن أخيه محمد بن عبد الوهاب ويأخذ عنه، وبعض أقارب الشيخ الآخرين من آل مشرف وغيرهم من طلاب العلم، وبيتهم فى الغالب ملتقى طلاب العلم وخواص الفقهاء سيما الوافدين باعتباره بيت القاضى، ولابد أن يتخلل اجتماعاتهم ولقاءاتهم مناقشات ومباحث علمية يحضرها محمد بن عبد الوهاب والقضايا التى كان أبوه ينظر فيها فإن قربه يمكنه من معرفة مجرياتها[2]، وهو قد أنعم الله عليه بالادراك العميق والحفظ القوى والذكاء الممتاز والرغبة الطموح، والجد فى اكتساب معالى الغايات وان كانت بعيدة، فما له لا يدرك الحظ الوافر والبلغة العظيمة من العلم النافع والميراث النبوى الكريم؟ لقد أتم الله عليه نعمته ورزقه إدراك بعض الأرب من العلم، فى بلده وأخذ ما عند علماء نجد ووصلوه بسندهم، ولكن همته العالية وطموحه الوثاب، كان يحفزه على البحث الدائب والدراسة المتواصلة، والتفكير النافع والمناقشة البناءة مع العلماء والطلبة وغيرهم، فلا يقنع بما اقتنع به سابقوه ويقتنع به معاصروه.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «وقد أخبر شيخنا رحمه الله تعالى أنه كان فى ابتداء طلبه العلم، وتحصيله فى فن الفقه وغيره لم يتبين له الضلال الذى كان الناس

(١) الدرر السنية ١٢/٨.

(٢) انظر: الدكتور العثيمين، الشيخ محمد عبد الوهاب . . . ص ٢٦، ٢٧.

عليه من عبادة غير الله، من جن أو غائب، أو طاغوت، أو شجر أو حجر أو غير ذلك ثم إن الله جعل له نهمة في مطالعة التفسير والحديث، وتبين له من معاني الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة أن هذا الذي وقع فيه الناس من الشرك أنه الشرك الذي بعث الله رسله، وأنزل كتبه بالنهي عنه، وأنه الشرك الذي لا يغفره الله لمن لم يتب منه فبحث في هذا الأمر مع أهله وغيرهم من طلبة العلم فاستنار قلبه بتوحيد الله الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه»[1].

أثر البيئة في توجيه الشيخ علميا :

لقد أبصر الشيخ البيئة من حوله بواقعها والناس في حياتهم ودينهم على الغالب في تناقض وتصادم مع ما نشأ عليه من علم وما عرفه من الحق على يد أبيه ومن خلال مطالعته لكتب المحققين من علماء السلف الصالح، فما يتعلمه من أبيه ومن ميراث العلماء في واد والحياة الواقعة والعمل الجاري من الناس على العموم والغالب في واد آخر، بل في مصادمة ومناقضة مع حياته العلمية الخاصة التي ورثها من متصل اسناد العدول وحملة العلم النبوي من لدن رسول الله ﷺ إليه اتصالا متينا لا يتطرق إليه انقطاع ولا انفصام. ذلك أن البيئة في نجد على الخصوص كما هي في سائر البلاد الأخرى على العموم - بيئة جاهلية، بيئة خرافة وبدعة، امتزجت بالنفوس فأصبحت جزءا من عقيدتها إن لم تكن هي عقيدتها. وقد بينا ذلك في المبحث السابق بفضل الله تعالى[2]. ولا شك أن بيئة هذه عقيدتها مناقضة لعقيدة السلف الصالح، مناقضة للإسلام، الذي يتربى عليه الشيخ في محضن خاص من المحاضن التي يحفظ الله بها دينه، ويقيم على الناس بها حجته استمرارا لرسالة خاتم أنبيائه ورسله محمد بن عبد الله ﷺ .

ولابد أن يخرج الشيخ إلى هذه البيئة ويعاملها بمقتضى سنة الله في خلقه، الذي خلق الموت والحياة ليبلو الناس أيهم أحسن عملا وهو العزيز الغفور، والشيخ بين أمرين إما أن يستسلم للبيئة ويصبح مثل الآخرين فتكون نفسه وقلبه وروحه ميدانا للمتناقضات وصراعها واختلاط البدعة والوهم بعقيدته السليمة ودينه القيم

(١) الدرر السنية ٩/٢١٨. وانظر: ابن بشر، عنوان المجد ١/٦.
(٢) انظر: ص ص ٢١-٤٨ من هذا المبحث.

وحيـاتـه الطيبة، وتصبح الجاهلية سائدة فى نفسه كالأكثر الغالب من الناس. وإما أن يصمم على محاربـة الخـرافة المنتشرة والبدعة الشائعة، والجاهلية الجاثمة الثقيلة، وما أثقلها من كابوس جاثم، إنها حياة أغلبية المجتمع من حوله، التى تضغط بقوة على من يحيا بالإسلام ونوره.

ولكن قد اختار الشيخ رحمه الله وجزاه خيرا أن يقوم لله قومة إنصدعت لها جبال الجاهلية، وتقطعت بها غيوم الباطل وشبهاته ـ فعزم على تنحية البدع من الحياة التى حولـه وإيقـاظ النـائمـين، وتنبيـه الغـافلين، والعمـل على نشر الإسلام والنور، من الكتاب والسنة وسيرة الصالحين.

توجـه الشـيخ للرحلـة فى طلب العلم :

قال ابن بشر: «فلما تحقق الشيخ معرفة التوحيد ونواقضه، وما كان وقع فيه كثير من الناس من هذه البدع المضلة صار ينكر هذه الأشياء، واستحسن الناس ما يقول، لكن لم ينهوا عما فعل الجاهلون، ولم يزيلوا ما أحدث المبتدعون» أ ـ هـ [1].

هنا توجه الشيخ للرحلة فى طلب العلم للتسلح بسلاح ماض قاطع ـ فإن إنكار الشيـخ لهذه الأمـور الشـائعة جعلته فى مواجهة للمعارضة من علماء السوء وتلبيساتهم وشبهـاتهم، وتأليب العـامـة عليه، وتهمتهم إياه بالانحراف والجهل. فكان كل ذلك يزيد تفكيره، وحرصه على تحصيل العلم وادراك الحق فلابد أن يرحل فى طلب العلم وتحقيق ما شرح الله له صدره من حقيقـة هذا الـدين القيم على أيـدى حملتـه العدول الـذين لن تخلو منهم الأرض ولن ينقطـع منهم زمـان إلى قيـام السـاعـة فليرحل إلى مظانهم فى أقطار البلاد الإسلامية حيث انهم لا يحصرون فى مكان دون آخر ولا زمان دون زمـان. فان للعلماء بقـايـا، وفى الـزوايـا خبـايـا، وحجة الله قائمة وذكره محفوظ ومـيراث رسـول الله ﷺ مضبـوط فى الكتب والصـدور يحمله : ن كل خلف عدولـه، ويتـوارثـه جيـل بعـد جيل، ورب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ليرحل الشيخ فى طلب العلم والتسلح بسلاحه فان الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب على المسلم أن يتعلم

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد ٦/١، ٧، وانظر الرسائل والمسائل النجدية للشيخ عبد اللطيف ٣٣٩/٣، ٣٤٠.

من دين الله ما يصير له سلاحا يقاتل به هؤلاء الشياطين الذين يصدون عن سبيل الله ويقطعون الطريق إليه، كما يقول الشيخ[1].

لذلك قرر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يرتحل من بلده العيينة يطلب العلم والنصرة واعداد العدة من النور والحكمة، «ولعله يجد من يساعده على ما عرف من دين الإسلام»[2].

وقال الشيخ: «كنت عند الشيخ ابن سيف يوما فقال لي تريد أن أريك سلاحا أعددته للمجمعة؟ قلت: نعم ـ فأدخلني منزلا عنده فيه كتب كثيرة وقال: هذا الذى أعددنا لها»[3].

رحـــلاته العلميـــة :

خط سيرها، والأماكن التى رحل إليها، وزمانها ـ وشيوخه ـ وتحصيله ـ ونتيجة ذلك.

قال المؤرخ ابن بشر عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «فلما رأى أنه لا يغنى القول، ولم يتلق الرؤ ساء الحق بالقبول تجهز من بلد «العيينة» إلى حج بيت الله الحرام ـ فلما قضى حجه سار إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام»[3].

يفيد كلام ابن بشر هذا أن الشيخ بدأ رحلاته العلمية من العيينة إلى الحجاز فحج بيت الله الحرام أولا ثم سار إلى المدينة ثانيا.

وعلى ما يظهر من كلام ابن غنام وكلام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن أن الشيخ كان قد حج قبل هذه الحجة التى ذكرها ابن بشر بداية رحلة الشيخ فى طلب العلم، قال ابن غنام ينسب عن والد الشيخ أنه يقول عنه: «وقد تحققت أنه بلغ الاحتلام قبل اكمال اثنتى عشرة سنة على الاتمام . . . وزوجته بعد البلوغ فى

(١) انظر: كشف الشبهات تقديم علي الصالحى ص ٢٠.

(٢) الرسائل والمسائل النجدية، للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن جـ ٣/ ٣٤٠.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد ١/ ٧.

(٤) انظر الرسائل والمسائل النجدية للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج٣/ ٣٣٩، ٣٤٠.

ذلـك العـام ثم طلب منى الحج إلى بيت الله الحرام ، فأجبته بالاسعاف بدلك المرام فحـج وقضى ركن الإسـلام وأدى المنـاسـك على التمام ثم قصد مدينته عليه الصلاة والسلام وأقام فيها شهرين ثم رجع بعد ذلك فائزا بأجر الزيارة والمناسك»[1] .

ثم ذكـر ابن غنـام أن الشيـخ بعد رجوعه من المدينة إلى العيينة أخذ فى القراءة على والده فى الفقه ، على مذهب الإمام أحمد ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم إلى ما يليـه من الأقطـار وزاحم فيه العلماء الكبار ، فوطىء الحجاز والبصرة لذلك مرارا وأتى الأحساء لتلك الأوطار»[2] .

ويقـول الشيـخ عبـد اللطيف أيضـا : «وبعـد بلوغ الشيخ سن الاحتلام قدمه والده فى الصلاة ورآه أهلا للائتمام ، ثم طلب الحج إلى بيت الله الحرام ، فأجابه والده إلى ذلك المقصد والمرام ، وبادر إلى قضاء فريضة الإسلام وأداء المناسك على التمام ، ثم قصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وأقام بها قريبا من شهرين ، ثم رجع إلى وطنه قرير العين ، واشتغل بالقراءة فى الفقه على مذهب الإمام أحمد رحمه الله ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم»[3] .

فيتضـح من كلام ابن غنـام والشيـخ عبد اللطيـف أن حجته الأولى كان يدفعه إليها واجب أداء ركن الإسلام وفريضته لما توفرت شروطها ببلوغ الشيخ ألا وهى حج بيت الله الحرام أما هذه الحجة التى ذكرها ابن بشر بداية رحلاته العلمية فواضح أنها كانت بعـد أن قرر مغـادرة العيينـة لطلب العلم ، وبنحـو ما حررتـه ، يقـول مسعـود النـدوى ما نصـه : «وكـان قد تشـرف بحـج بيت الله الحرام وكانت مركزية الحجاز قد أثـرت فى نفسـه وحينـها فكر فى طلب العلم قصد الحجاز» إلى أن قال : «حج بيت الله الحرام وزار المسجد النبوى مرة ثانية ثم حضر مجالس العلماء وانقطع لطلب العلم»[4] .

---

(١) روضة ابن غنام ١/٢٦ .

(٢) المصدر السابق نفس الموضع .

(٣) الرسائل والمسائل النجدية ٣/٣٧٩، ٣٨٠ .

(٤) محمد بن عبد الوهاب ، مصلح مظلوم ومفترى عليه ، تأليف مسعود الندوى ، ص ٣٨ .

وقال الدكتور العثيمين: «الواضح مما ذكره كل من ابن غنام وابن بشر أن الحجاز كانت أولى الجهات التى سافر إليها محمد بن عبد الوهاب فى سلسلة رحلاته العلمية»(١).

وقال أيضا: «كانت ذكريات حجة الشيخ الأولى لا تزال عالقة فى ذهنه، وكان ما شاهده فى الحرمين كافيا لاقناعه بأن تكون خطوته الأولى فى أسفاره العلمية إلى الحجاز، وقد بدأ هذه الخطوة بالسفر إلى مكة المكرمة، حيث حج مرة ثانية»(٢).

ولا مانع من أن يكون الشيخ قد تلقى عن بعض المشائخ فى المدينة فى حجته الأولى وان لم يكن قد أطال الاقامة فيها كما فعل فى المرة الثانية، بل اننا لنجد ذلك فى كتابات الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ فى العدد الأول والثانى والثالث من مجلة راية الإسلام، ففيها أن الشيخ رحل إلى مكة وحج، ثم إلى المدينة وتلقى فيها على بعض المشائخ ثم عاد إلى العيينة، ثم رحل إلى مكة وأقام بها وتلقى فيها عن بعض المشائخ، ثم إلى المدينة وأطال المكث فيها ورأى ما أفزعه من الأعمال المنافية للشرع عند حجرة النبي ﷺ، ثم رحل إلى البصرة(٣).

والشيخ على ما يروى ابن بشر من رحلته العلمية خرج من المدينة ـ بعد أن أقام فيها ماشاء الله يطلب العلم ـ إلى نجد، ومن نجد تجهز إلى البصرة يريد الشام فلما وصل البصرة جلس فيها يقرأ عند عالم من أهل المجموعة ـ قرية من قرى البصرة ـ فى مدرسة فيها(٤).

ويذكر حفيد الشيخ وتلميذه الشيخ عبد الرحمن بن حسن فى معرض رده على ابن منصور الذى يفتخر برحلته إلى البصرة والزبير ليقول: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يتخرج على أشياخ فى العلم ـ قال الشيخ عبد الرحمن: إن الشيخ أيضا

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره، الدكتور عبد الله الصالح العثيمين ص ٣٠.
(٢) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٣) انظر: مجلة راية الإسلام، العدد الأول، ص ٣٤.
(٤) عنوان المجد. . . ١/ ٨،٧.

سافر إلى البصرة غير مرة كل مرة يقيم بين من كان بها من العلماء، فما الذى يخص ابن منصور بأخذ العلم منها دونه إذا كان الكل قد سافر إليها»(١).

ويقول عبد الرحمن بن حسن: «ثم إن شيخنا رحمه الله تعالى بعد رحلته إلى البصرة رحل إلى الأحساء ثم رجع من الأحساء إلى البصرة»(٢).

ويذكر ابن بشر أن الشيخ تجمع عليه أناس فى البصرة من رؤسائهم وغيرهم فآذوه أشد الأذى وأخرجوه منها وقت الهجيرة فلما خرج وتوسط فى الدرب فيما بينها وبين بلد الزبير أدركه العطش وأشرف على الهلاك وكان ماشيا على رجليه وحده فوافاه صاحب حمار مكارى يقال له أبو حميدان فسقاه وحمله على حماره حتى وصل الزبير»(٣).

وقال عبد الرحمن بن حسن: «ان الشيخ خرج من البصرة إلى نجد قاصدا الحج فحج رحمه الله، فلما قضى الحج وقف فى الملتزم وسأل الله أن يظهر هذا الدين بدعوته وأن يرزقه القبول من الناس فخرج قاصدا المدينة مع الحجاج يريد الشام فعرض له بعض سراق الحجيج فضربوه وسلبوه وأخذوا ما معه وشجوا رأسه وعاقه ذلك عن مسيره مع الحجاج فقدم المدينة بعد أن خرج الحاج منها ثم رجع إلى نجد فقام فيهم يدعوهم إلى التوحيد» أ ـ هـ باختصار(٤).

ويؤيد هذا الكلام كلام ابنه عبد اللطيف فى الرسائل والمسائل(٥)، وكلام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم فى الدرر السنية فى ترجمته للشيخ»(٦).

فكلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن هذا واضح وصريح فى أن الشيخ خرج من البصرة إلى نجد قاصدا الحج فحج ووقف فى الملتزم وسأل الله أن يظهر هذا الدين بدعوته وأن يرزقه القبول من الناس ثم خرج من مكة قاصدا المدينة مع الحجاج ليسافر منها إلى الشام مع حاج الشام ولكن فاته ركب الشام بسبب ما تعرض له من

---

(١) الدرر السنية ٩/٢١٥.
(٢) الدرر السنية ٩/٢١٦.
(٣) ابن بشر، عنوان المجد ١/٨.
(٤) الدرر السنية ٩/٢١٥-٢١٦.
(٥) الرسائل والمسائل النجدية ٣/٣٤٠.
(٦) الدرر السنية، تراجم ١٢/٥.

لصوص البادية، سراق الحجيج وحين قدم المدينة لم يدركهم، وسواء بقى فى المدينة أو لم يبق بها فانه رجع إلى نجد من المدينة وقام يدعو أهل نجد إلى التوحيد، فلم لا تكون هذه حجة ثالثة، حيث كانت الثانية هى بداية رحلاته العلمية على ما قدمنا من رواية ابن بشر ولم ينفها ابن غنام ولا ابن حسن فكذلك تكون هذه على ما يروى ابن حسن ولم ينفها ابن بشر الحجة الثالثة.

ويؤيد هذا أن ابن غنام يذكر أن الشيخ وطىء الحجاز والبصرة لطلب العلم مرارا[1]، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن قال أيضا: «رحل إلى البصرة والحجاز مرارا»[2]، فقولهما «مرارا» يدل على أكثر من مرتين.

كما يؤيد هذا أيضا أن بعض المصادر تذكر «أخذ الشيخ عن علي الداغستانى واجازة الداغستانى له»[3].

وعلى ما يقرر مسعود الندوى أن الداغستانى ولد سنة ١١٢٥هـ واحتل مكانا عاليا فى علماء دمشق ورحل إلى المدينة ليروى عن الشيخ محمد حياة السندى، ورجع إلى الشام سنة ١١٥٠هـ [4] وأن الشيخ بدأ رحلته العلمية فى العشرين من عمره[5] - أى فى عام ١١٣٥هـ تقريبا فليس من المعقول أن يكون الشيخ أخذ عن الداغستانى ابن عشر فقط ولكن من المعقول أن يكون أخذ عنه بعد أن أمضى بضع عشرة سنة فى طلب العلم راحلا إلى نجد والبصرة وعائدا إلى الحجاز وقد تم للداغستانى عشرين سنة ونيفا وأمكنه أن يحتل مكانا عاليا فى علماء دمشق وأن يأتى للمدينة ليروى عن شيخها السندى فيلتقى به الشيخ فى هذه المرة ويأخذ عنه ويستجيزه ما معه من علم أهل الشام، فهذا دليل على أن الشيخ ختم رحلته العلمية بالحج والزيارة بالاضافة إلى كلام ابن حسن الصريح بذلك والمتقدم قبل قليل. والله أعلم.

---

(١) روضة ابن غنام ١/٢٦.

(٢) الرسائل والمسائل ٣/٣٨٠.

(٣) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب... بقلم أحمد بن حجر آل بوطامى ص ١٧. وقبله ابن قاسم فى الدرر السنية ١٢/٤، وقبلهما صاحب التوضيح محمد بن علي بن غريب، فى التوضيح عن توحيد الخلاق... ص ١٦، ١٧.

(٤) محمد بن عبد الوهاب... ص ٣٩ هامش ٣.

(٥) محمد بن عبد الوهاب... ص ٣٨.

وقـال الشيـخ عبـد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عن جده الشيخ محمد بن عبـد الـوهـاب: «وكـان قد عزم وهو بمكة أن يصل الشام مع الحاج فعاقه عنهم عائق فقـدم المـدينـة وأقام بها ثم ان العليم الحكيم رده إلى نجد رحمة لمن أراد أن يرحمه بمن يؤويه وينصره وقدم على أبيه وصنوه وأهله ببلد حريملاء فناداهم بالدعوة إلى التوحيد»[1].

وقال ابن بشر: «ثم ان الشيخ أراد أن يصل إلى الشام فضاعت نفقته التى معه فانثنى عزمـه عن المسـير إليـه. لما أراد الله سبحانه الذى يعلم السر وأخفى أن يمضى أمـره ويعلى كلمتـه ويجمـع أهـل نجد بعد تفرقهم على إمام واحد، يزيل عنها شعائر الكفر والبدع»[2].

وقـال ابن قاسم: «ثم ارتحـل يريـد الشـام فحصل له عائق لما اقتضته الحكمة الربانية من ظهور هذا الدين فى البلاد النجدية فقصد نجدا ووجد والده قد ارتحل إلى بلدة حريملاء»[3].

وكل هذه النصوص تصرح بأن الشيخ انثنى عزمه عن الشام وعاد إلى نجد لما أراد الله سبحـانـه وتعـالى أن يرحمهم به، وأمـا ما فهمه الدكتور العثيمين من قول ابن بشر عن الشيخ: «ثم انه خرج من الأحساء وقصد بلد حريملاء»[4] من أن الأحساء كانت آخـر المـواطن لرحـلات الشيـخ ولـو للحج وأنه لم يرحل بعد رحلته العلمية إلى الحرمين، وأن عودته النهائية إلى حريملاء لم تكن من المدينة ـ فإن هذا المفهوم مرجوح لما قدمناه والله أعلم.

وخـلاصـة ما تقـدم أن الشيخ رحمه الله رحل إلى خارج وطنه لطلب العلم إلى الحجـاز ثم إلى البصـرة وإلى الأحسـاء ثم البصـرة أيضـا والـزبـير ثم إلى الحجاز ولم يتمكن من الرحلة إلى الشام وعاد إلى نجد يدعوهم إلى التوحيد. وهذا ما نطمئن إليه.

---

(١) الرسائل والمسائل النجدية جـ ٣/ ٣٤٠.

(٢) ابن بشر ١/ ٨.

(٣) الدرر السنية ١٢/ ٥.

(٤) عنوان المجد ١/ ٨.

ويـذكـر الـدكتـور محمد عبد الله ماضى أن الشيخ : سافر إلى بغداد[١]، وكذا يذكـر الـدكتـورعبـد الـرحيم عبـد الرحمن عبد الرحيم[٢]، وعبد الحليم الجندي[٣]، وإبراهيم فصيح صبغة الله الحيدرى[٤]، والله أعلم .

زمـان رحـلات الشـيخ العلميـة :

أما الزمن لهذه الرحلات العلمية، فليس فيه بيان دقيق وهو مجال اجتهاد .

فيرجح الدكتور العثيمين أن مغادرة الشيخ بلدته العيينة لطلب العلم تمت قبل بلوغـه عشـرين سنـة من العمـر[٥] . كما قرر نحوه مسعود الندوى فى كتابه : «محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه»[٦] .

وكذلك يرجح الدكتور العثيمين أن الشيخ كان فى الأحساء فى الزمن الذى بين عامي ١١٤٤، ١١٤٨هـ لأن ابن غنام أورد رسالة بعثها الشيخ أثناء اقامته الأخيرة فى العيينـة يدعـوا لى الله إلى العـالم عبـد الله بن عبـد اللطيف وممـا جاء فيهـا أن الشيخ اجتمع به من نحو «عشر سنين» كما فى المخطوطة لتاريخ ابن غنام بخط صالح المـرشـد[٧] . ومن المعلوم أن الشيـخ كان فى العيينة بين سنتى ١١٥٤هـ ، ١١٥٨هـ ، وكذلك يرجح الدكتور العثيمين عودة الشيخ النهائية من رحلته العلمية إلى حريملاء كان بين سنـتـى ١١٤٤-١١٤٩هـ ـ لأن ابن بشـر ذكـر أن الشيـخ بقى مع أبيـه فى حريمـلاء مدة سنـين ولعـل صيغـة الجمـع هنـا توحى بأن ذلـك كان أكثـر من ثلاث سنوات، وذكر ابن بشر أن أبا الشيخ توفى سنة ١١٥٣هـ[٨] .

---

(١) النهضات الحديثة فى جزيرة العرب، فى المملكة العربية السعودية ص ٤٣ .

(٢) الدولة السعودية الأولى ص ٣٣ .

(٣) الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفى ص ٩٢ .

(٤) عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، خ، لوحه ٣٢٧ .

(٥) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور العثيمين ص ٢٩ .

(٦) ص ٣٨ .

(٧) انظر مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الرسائل الشخصية ص ٢٥٠ هامش رقم ٢ وص ٣، وانظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . للدكتور العثيمين ص ٤٠، وتحرير الأسد لروضة ابن غنام ص ٢١٣ هامش ١ .

(٨) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . للدكتور العثيمين ص ٤٠ .

أى أن الشيخ قضى ما بين إحدى عشرة وست عشرة سنة فى السفر والترحال لطلب العلم وتحقيق مسائل عقيدة السلف الصالح .

وقبل هذه الرحلة وأثناءها أخذ الشيخ عن مشائخ فضلاء، وعلماء أجلاء فى نجد والمدينة والبصرة والأحساء، وحصل على إجازات منهم وكتب كثيرا من كتب السنة وكتب ابن تيمية وابن القيم، وكان ينكر ما يراه مخالفا للإسلام إنكارا لفت الأنظار إليه وانفرد به انفرادا جعله مستهدفا بالأذى والاخراج كما حصل له فى البصرة .

وفيما يلى تفصيل هذه الجملة :

شيوخه وما أخذه عنهم من فنون العلم :

١ — فى نجد :

كما سبق أن ذكرنا أن الشيخ تلقى العلم فى نشأته العلمية فى بلدة «العيينة» على والده الشيخ عبد الوهاب قاضى العيينة، وعلى عمه الشيخ إبراهيم ـ وهما أخذا عن أبيهما علامة الديار النجدية ومرجع علمائها الشيخ سليمان بن علي[1]، ولا يستبعد أخذه عن غير والده وعمه ولكننا نستطيع تسمية أبيه وعمه فحسب فنجعل والده أول شيخ له نترجمه هنا فنقول :

١ — الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ سليمان بن علي .

ولد فى مدينة العيينة ـ قاعدة بلدان نجد إذ ذاك وكان والده الشيخ سليمان بن علي علامة نجد فى زمنه هو قاضى العيينة فشب فى بيت علم وفضل واشتغل بالعلم من صغره فأخذ عن والده وعن غيره من علماء العيينة ونجد كالشيخ محمد بن ناصر حتى أدرك لاسيما فى الفقه، فانه فقيه لا كأبيه ودرس وأفتى وكتب عن بعض المسائل الفقهية كتابات حسنة وولى قضاء العيينة فمكث فيه مدة طويلة .

قال عبد الله بن بسام : «وقد رأيت له أحكاما عام ١١٢٠هـ[2] ثم ترك قضاء العيينة حين عزله خرفاش بن معمر عام ١١٣٩هـ وانتقل إلى حريملاء ونزلها وتولى

(١) انظر: ص ٧٣-٧٩ من هذا البحث.

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون ج ٣/ ٦٦٩ .

القضاء فيها حتى توفى عام ١١٥٣هـ رحمه الله تعالى وقد ربى ابنه الشيخ محمد تربية علمية كما ذكرناه قريبا»[١].

٢ — والشيخ الثانى هو : الشيخ إبراهيم بن الشيخ سليمان بن علي.

ولد سنة ١٠٧٠هـ سبعين وألف فى بلدة العيينة وكان والده الشيخ سليمان بن علي قاضيها كما ذكرنا فى ترجمة أخيه الشيخ عبد الوهاب قبله ، وأخذ عن أبيه وعن غيره من العلماء حتى حصل خصوصا فى الفقه وكتب من كتب الفقه شيئا كثيرا بيده وخطه حسن مضبوط وقد ولى القضاء فى بلدة أشيقر وقال البسام «رأيت له حكما فى بعض عقاراتها»[٢].

وتوفى سنة ١١٤١هـ وخلف ابنه عبد الرحمن المتوفى سنة ١٢٠٦هـ وانقطع عقبه[٣].

٢ — فى الحجـــاز :

هل درس على علماء مكة ؟

يذكر الشيخ عبد العزيز بن باز أنه أخذ عن بعض علماء الحرم الشريف[٤].
ويقول الدكتور العثيمين : «وتشير بعض المصادر إلى أنه درس على علماء الحرمين وهذا يعنى أنه درس فى كل من مكة والمدينة ولكن عدم ذكر المصادر لأى عالم درس محمد بن عبد الوهاب عليه فى مكة يرجح أنه لم يدرس فيها مدة تستحق العناية والبحث»[٥].

ولكنى وجدت فى بعض المصادر أن الشيخ أخذ عن الشيخ عبد الله بن سالم البصرى وهو مكي[٦].

---

(١) انظر: المصدر السابق جـ ٣/٦٦٩-٦٧٠، وص (٩٣) من هذا البحث.
(٢) علماء نجد خلال ستة قرون جـ ١/١١٠هـ .
(٣) المصدر السابق، ص ١١١ .
(٤) محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، محاضرة، الدار السعودية للنشر ص ٢٠ .
(٥) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . ص ٣٠ .
(٦) المختصر من كتاب نشر النور والزهر فى تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ٢/٢٤٧. وفهرس الفهارس ١/١٣٦ .

وفيما يلى ترجمته وبيان أخذ الشيخ عنه :

٣ — الشيخ عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسى البصرى أصلا المكى مولدا ومدفنا الشافعي ، مسند الحجاز عمدة المحققين[١].

ولد سنة ١٠٥٠هـ أو١٠٤٩هـ ، أو١٠٤٨هـ وتوفى سنة ١١٣٤هـ [٢]، الإمام المحدث الحافظ[٣]، تأهل للعلم فى مكة ومات فيها، ترجم له العلامة الشيخ عابد السندى الحنفي فقال: وأما إمام الحديث والمقدم فى عصره الشيخ عبد الله بن سالم البصرى فهو إمام عصره - إلى أن قال: جمع فى علم الحديث بين الرواية والدراية وبلغ من التحقيق أكمل غاية، وصنف التصانيف الفائقة، وقرأ فى المسجد الحرام عدة كتب، من جملتها البخارى ومسلم والسنن الأربع، وقرأ البخارى أيضا بتمامه فى جوف الكعبة الشريفة[٤] مرتين وقرأ مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى جميعه فى الروضة الشريفة فى ستة وخمسين مجلسا سنة ألف ومائة واحدى وثلاثين[٥].

وقال الكتانى : قد اتفقوا على أنه حافظ البلاد الحجازية[٦]، وأخذ عن عدة مشائخ منهم العلامة محمد بن علاء الدين البابلى ، وجل أخذه عنه[٧]، ومن مناقبه تصحيحه للكتب الستة حتى صارت نسخه هى المرجع ، وجمع مسند الإمام بعد أن فرقته الأيدى وصححه وبمصر فى خزانة الشيخ محمد بن محمدالأمير المالكى نسخة من مسند الإمام أحمد بخطه مصححة ، وجمع من تفسير الكتب ما لا يوجد عند غيره[٨]، وتفرد باقراء جميع الكتب الستة وهو صاحب الامداد بمعرفة علو الاسناد، اسم لفهرس جُمع فى أسانيده، فى نحوثلاث كراريس طبع بالهند، من جمع ولده الشيخ سالم متداول بين المشائخ[٩]، وقد أخذ عنه من أهل الحرمين والشام والمشرق واليمن ما لا يحصى عددهم[١٠].

---

(١) فهرس الفهارس ١/١٣٦، والمختصر من كتاب نشر الروض والزهر ٢/٢٤٦.

(٢ ـ ٥) فهرس الفهارس ١/١٣٦، والمختصر ٢/٢٤٦. ولعله يريد بجوف الكعبة حجر إسماعيل عليه السلام فهو من الكعبة. وهذا من الغلو الذى لا مدح فيه.

(٦) فهرس الفهارس ١/١٣٦هـ .

(٧) المختصر ٢/٢٤٧.

(٨) المرجع السابق باختصار.

(٩) فهرس الفهارس ١/١٣٦ باختصار.

(١٠) المختصر . . . ٢/٢٤٧.

حدث عنه شيوخ العصر وشيوخ المشائخ منهم المعمر محمد بن حياة السندى نزيل المدينة المنورة، ومنهم العلامة إسماعيل بن محمد العجلونى وغيرهما(١).

وهذا الشيخ يعتبر الشيخ الثالث للشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد شيخه الأول أبيه عبد الوهاب وشيخه الثانى عمه إبراهيم ابنى الشيخ سليمان بن علي علامة نجد وتقدمت ترجمتهما وبيان عن أسرته العلمية(٢)، والدليل على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن هذا الشيخ المترجم هو ما جاء فى فهرس الفهارس للكتانى عند ذكره ثبت «حصر الشارد من أسانيد محمد عابد السندى» المتوفي سنة ١٢٥٧هـ بالمدينة، فقال الكتانى عن محمد عابد هذا: «وروى كتاب القرى لقاصد أم القرى عن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدى عن أبيه إمام الطائفة الوهابية النجدية عن البصرى»(٣).

فهذا يدل بوضوح على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أخذ عن البصرى وأما تعقيب الكتانى باستبعاده ذلك لأن ابن عبد الوهاب إنما عاصر البصرى بنحو عشرين سنة وهو بنجد والبصرى بمكة، ولأن المعروف لديه هو أن ابن عبد الوهاب إنما أخذ عن طبقة كبار تلاميذ البصرى وتلاميذ تلاميذه كعلي الداغستانى الدمشقى وعبد اللطيف الأحسائى ومحمد العفالقى(٤)، فلا يتم، لأن الكتانى لم يذكر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حج وزار المدينة وأقام بها شهرين وهو فى الثالثة عشرة من عمره أى فى سنة ١١٢٧هـ تقريبا. وهذه المدة كان الشيخ البصرى فيها حيا يرزق يقوم بالتدريس، فقد كانت وفاته عام ١١٣٤هـ على ما يثبته الكتانى(٥)، وهو الثابت فى تراجم أفاضل مكة(٦) وسبق ذكره قبل قليل(٧)، فاذا تذكرنا هذا علمنا امكان لقاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب واتصاله بالشيخ البصرى، فلا محل لتعقيب الكتانى باستبعاد ذلك فيما يرى فالحجة فيما روى. ويكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب آخر

---

(١) المختصر . . . ٢/٢٤٨-٢٤٩ باختصار. وفهرس الفهارس ١/١٤٩، ١٤٠ باختصار أيضا.
(٢) انظر: ص ص ٧٣-٨٩ من هذا البحث.
(٣) فهرس الفهارس ١/١٣٦.
(٤) المصدر السابق.
(٥) فهرس الفهارس ١/٢٧١.
(٦) المختصر . . . ٢/٢٤٦.
(٧) انظر: ص ٩٠ من هذا البحث.

تلاميـذ البصـرى موتـا لأنه توفى سنة ١٢٠٦هـ ، وما يقوله الكتانى من أن آخرهم فيها يحفـظ موتـاً الشمس محمـد بن عبـد الله المغـربى غير صحيـح لأن المغربى مات سنة ١٢٠١هـ . والله أعلم[١] .

في المدينـــة المنـــورة :

«كانت المدينة المنورة ملتقى العلماء وطلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية كان بعض هؤلاء يأتى إليها فيستقر فيها . وكان بعضهم يأتى إليها فيقيم فيها فترة ثم يغادرها إلى وطنه وقد ضمت فى تلك الفترة بالذات علماء درس عليهم وتأثر بهم عدد ممن أصبحت لهم أدوار مهمة فى بلدانهم»[٢] .

وكـان المنـاخ التعليمى فيهـا كما هو فى مكـة مختلفا عما ألفه الشيخ محمد بن عبد الـوهـاب فى مسقـط رأسه العيينة . فبينما كان الاهتمام فى بلده منصبا تقريبا على الفقه الحنبلى كان فى مكـة والمـدينـة شامـلا لكثـير من العلوم والفنون . وإذا كان العلماء فى العيينـة محصـورين عددا ونـوعيـة فانهم فى الحجاز كانوا كثيرين فى عددهم مختلفين فى مشـاربهم وأنـواع علومهم . وكـان ذلـك الـوضـع الجـديد فرصة عظيمة للوافد الحاج ليدرس ما يحب من فنون المعرفة ويحضر دروس من يختاره من المشائخ[٣] .

وفيما يلى تراجم من أخذ عنهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب من علماء بالمدينة المنورة :

٤ — الشيـخ العـالم عبـد الله بن إبـراهيم بن سيف من آل سيف رؤسـاء بلد «المجمعة» والد إبراهيم مصنف العذب الفائض شرح ألفية الفرائض[٤] .

قال ابن عيسى عن الشيخ عبـد الله بن إبـراهيم هذا : «انتقل أبوه إبراهيم بن

---

(١) انظر: فهرس الفهارس . . . ١/ ٢٧١ ، وانظر للمقارنة بحث إسماعيل الأنصارى المقدم لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ص ١٠-١١ .

(٢) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حياته وفكره للدكتور عبد الله العثيمين ص ص ٣٠، ٣١ .

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٣٠ .

(٤) طبع الطبعـة الأولى سنـة ١٣٧٢هـ قال فى مقـدمتـه عن نفسه : «المشرقى أصلا ، والمدنى مولدا ودارا والحنبلى مذهبا ، والسلفى معتقدا» ص ٣ .

سيف بن عبد الله الشمرى من بلد المجمعة بعد أن قام على بيته وجعل بعضه مسجدا وهو المعروف اليوم بمسجد إبراهيم فى بلد المجمعة، وبعضه حفر فيه بئراً لوضوء الناس، وبعضه بستانا للبئر المذكورة، وأوقف بعض عقاره على إمام المسجد المذكور، وسكن فى المدينة المنورة»[١].

وقال عبد الله بن بسام: «قرأ على الشيخ فوزان بن نصر الله النجدى»[٢] وقال عنه صاحب السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة: «من أفاضل الفقهاء قرأ على علماء المدينة المنورة ثم ارتحل إلى الشام فقرأ على علامتها وشيخ الحنابلة بها أبى المواهب، وسكن فى المدينة إلى أن مات وأخذ عنه جمع»[٣].

وقال عنه عبد الرحمن الانصارى المتوفى سنة ١١٩٧هـ فى كتابه: «تحفة المحبين والأصحاب فى معرفة ما للمدنيين من الأنساب» له قصيدة فريدة فى ذم الدخان وشربه[٤]، ذكر ابن بسام أن مطلعها:

يا مولعا بدخان النار تشربه ... وتدعى الحل فيه هات برهانا
أورد عليه دليلا كى تحلله ... لا فلسفات وتغليطاً وبهتانا[٥]

وتوفى الشيخ عبد الله بن سيف فى المدينة عام ١١٤٠هـ[٦] رحمه الله تعالى وهو رابع شيخ من مشائخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقد وجدت فى كتاب الحِطّة (لصديق حسن خان: ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن عبد الله بن إبراهيم النجدى تلميذ الشيخ أبى المواهب الحنبلى»[٧].

---

(١) ابن عيسى، تاريخ بعض الحوادث . . . ص ٣٣، ٣٤.
(٢) علماء نجد خلال ستة قرون جـ ٢/٥٠٢.
(٣) نقلا عن مجلة العرب جـ ٩ و١٠ س ١٢ عام ١٣٩٨هـ، ص ٦٥٥.
(٤) انظر بيت الفرضى من ذلك الكتاب ص ٣٨٦-٣٨٧ ط تونس ١٣٩٠هـ. ابن بسام، علماء نجد خلال ستة قرون جـ ٢/٥٠٤.
(٥) ابن بسام علماء نجد خلال ستة قرون جـ ٢/٥٠٣.
(٦) ابن بسام، علماء نجد خلال ستة قرون ٢/٥٠٤.
(٧) الحطة فى ذكر صحاح ستة، ط عام ١٣٩٧هـ، لاهور، ص ص ١٦٦-١٦٨.

ولقد أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن المترجم كثيرا من العلم وصارت بينهما محبة وكان بمحمد بن عبد الوهاب حفيا وبذل جهدا كبيرا فى تثقيفه وتعليمه. وكان من أكبر عوامل توثيق الروابط بينهما وتمكين المحبة توافق أفكاره ومبدءه مع تلميذه فى عقيدة التوحيد والتألم مما عليه أهل نجد وغيرهم من عقائد باطلة وأعمال زائفة(١).

وقال الشيخ محمد عن شيخه هذا: «كنت عنده يوما ـ فقال لي: تريد أن أريك سلاحا أعددته للمجمعة؟ قلت: نعم ـ فأدخلني منزلا عنده فيه كتب كثيرة وقال هذا الذى أعددنا لها»(٢). وقد ذكرنا ذلك قبل قليل(٣).

وأول حديث سمعه منه، الحديث المشهور المسلسل بالأولية. نقل ابن غنام من خطه ما نصه: «حدثنى الشيخ عبد الله بن إبراهيم بمنزله بظاهر المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عن شيخ الإسلام ومفتى الشام أبى المواهب الحنبلى اجازة قال أخبرنا والدى تقى الدين عبد الباقى الحنبلى وهو أول حديث سمعته منه، قال أخبرنا به المعمر الشيخ عبد الرحمن البهوتى الحنبلى، وهو أول حديث سمعته منه، قال أخبرنا به شيخنا جمال الدين يوسف الأنصارى الخزرجى، وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به والدى شيخ الإسلام زكريا الأنصارى، وهو أول حديث سمعته منه، قال أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلانى، وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا الصلاح محمد بن محمد الحكرى الصوفي الخازن، وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقى، وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الصدر أبو الفتح الميدومى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى وهو أول حديث سمعته منه، قال أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الحافظ إسماعيل بن صالح النيسابورى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به والدى أبو حامد صالح المؤذن وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ... أحمد بن حجر آل بوطامى، ص ١٦.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد فى تاريخ نجد ١/٧.
(٣) انظر: ص ٨١ من هذا البحث.

الزيادى، وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يحى بن بلال البزاز وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا سفيان بن عيينه وهو أول حديث سمعته منه عن عمر بن دينار عن أبى قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ـ قال رسول الله ﷺ : «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» تفرد به سفيان ولا يصح سنده عن من فوق سفيان(١) والله أعلم.

وحدث الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف أيضا بالمسلسل بالحنابلة، قال رحمه الله «حدثنى الشيخ عبد الله بن إبراهيم الحنبلى بمنزله بظاهر المدينة النبوية عن شيخ الإسلام ومفتى الشام أبى المواهب بن تقى الدين عبد الباقى الحنبليان عفى الله عنهما ـ اجازة عن والده تقى الدين المذكور قال أخبرنا شيخنا عبد الرحمن البهوتى الحنبلى ـ قال أخبرنا الشيخ تقى الدين بن النجار الفتوحى صاحب منتهى الارادات أخبرنا والدى شهاب الدين أحمد قاضى القضاة الحنبلى أخبرنا بدر الدين الصفدى القاهرى الحنبلى أخبرنا عز الدين أبو البركات الحنبلى أخبرنا أبو علي حنبل بن عبد الله الرصافى قال أخبرنا أبو القاسم هبة الله الحنبلى قال أخبرنا أبو الحسن بن علي الحنبلى قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلى قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الإمام أحمد الحنبلى قال حدثنى أبى أحمد بن محمد بن حنبل إمام كل حنبلى عن ابن (أبى)(٢) عدى عن حميد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ـ قال رسول الله ﷺ «إذا أراد الله بعبده خيرا استعمله ـ قالوا كيف يستعمله؟ ـ قال: يوفقه لعمل صالح قبل موته» هذا حديث عظيم قد وقع ثلاثيا للإمام أحمد رضى الله عنه(٣).

---

(١) انظر: البحث المقدم لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الشيخ إسماعيل الأنصارى ص ٥ ـ ٦. والحديث صححه الترمذي والحاكم وحمل السخاوي تصحيحهما على ماله من المتابعات والشواهد المقاصد الحسنة ص ١٠٠ رقم ٨٨.

(٢) الزيادة التى بين القوسين من شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد للسفارينى ج ١/٧٩٩.

(٣) روضة ابن غنام ١/٢٦، ٢٧، وقد شرحه السفارينى فى كتابه نفثات صدر المكمد وقرة عين المسعد لشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، ج ١/٧٩٩، وانظر: الدرر السنية للشيخ عبد الرحمن بن قاسم ١٢/٤، وبحث إسماعيل الأنصارى ص ٧.

وقد أجاز الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من طريقين[1].

وقد أجازه أيضا الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف فى كل ما حواه ثبت الشيخ عبد الباقى أبى المواهب الحنبلى قراءة وتعلما وتعليما من صحيح البخارى بسنده إلى مؤلفه وصحيح مسلم بسنده إلى مؤلفه وشروح كل منهما وسنن الترمذى بسنده وسنن أبى داود بسنده وسنن ابن ماجه بسنده وسنن النسائى الكبرى بسنده وسنن الدرامي ومؤلفاته بالسند وسلسلة العربية بسندها عن أبى الأسود عن علي بن أبى طالب كرم الله وجهه وكتب النووى كلها وألفية العراقى والترغيب والترهيب والخلاصة لابن مالك وسيرة ابن هشام وسائر كتبه ومؤلفات ابن حجر العسقلانى وكتب القاضى عياض وكتب القراءات وكتاب الغنية لعبد القادر الجيلى وكتاب القاموس بالسند إلى مؤلفه ومسند الإمام الشافعى وموطأ مالك ومسند الإمام الأعظم ومسند الإمام أحمد ومسند أبى داود ومعاجم الطبرانى وكتب السيوطى وفقه الحنابلة وسلسلتها وأصولهم[2].

ثم ان الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف وصل حبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحبل الشيخ المحدث محمد حياة السندى وعرفه به وبأهله فأقام الشيخ عنده وأخذ عنه[3].

٥ — الشيخ الإمام العالم الكبير المحدث محمد حياة بن إبراهيم السندى المدنى. أحد العلماء المشهورين الربانيين وعظماء المحدثين ولد فى اقليم السند ونشأ وقرأ العلم على الشيخ محمد معين بن محمد أمين السندئ من تلامذة الشاه ولي الله الدهلوى رحمه الله ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين فحج ثم توطن المدينة المنورة ولازم

---

(١) روضة ابن غنام ١/٢٦، وانظر: الدرر السنية ١٢/٤ للشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

(٢) التوضيح عن توحيد الخلاق .. ص ١٧، وانظر: مقال الشيخ عبد الله بن حميد ص ٩١، وانظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ... بقلم أحمد آل أبوطامى ص ١٦، وقد خلط بين الرواية بالحديث المسلسل بالأولية وبين الاجازة من طريقين وهما أى الرواية والاجازة شيئان منفصلان.

(٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ... أحمد بن حجر آل بو طامى ص ١٦.

الشيخ الكبير أبا الحسن محمد بن عبد الهادى السندى المدنى صاحب الحواشى على دواوين السنة الستة وأخذ عنه وجلس مجلسه بعد وفاته أربعا وعشرين سنة(١).

وفى كتاب: «مشاهير علماء نجد وغيرهم» لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: أن محمد حياة السندى المدنى هو صاحب الحاشية المشهورة على صحيح البخارى(٢) وكذلك فى كتاب تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد، تأليف محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر الأحسائى الأنصارى(٣).

والصحيح أن صاحب الحاشية هو شيخ محمد حياة السندى لا هو كما قدمنا، وكما فى حاشية السندى على البخارى المطبوع بكراجى من ترجمته(٤). وحصل الشيخ محمد حياة السندى على اجازة من الشيخ عبد الله بن سالم البصرى المالكى صاحب الامداد فى علو الاسناد(٥).

وأخذ عن الشيخ أبى الطاهر محمد بن إبراهيم الكردى والشيخ حسن بن علي العجيمى وغيرهم.

وأخذ عنه سوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشيخ أبو الحسن بن محمد صادق السندى والشيخ أحمد بن عبد الرحمن السندى والشيخ محمد سعيد صقر والشيخ عليم الله بن عبد الرشيد اللاهورى المدفون بدمشق والشيخ خير الدين بن محمد زاهد السورتى والشيخ محمد فاخر بن محمد يحى العباسى وغلام على آزاد البلجرامى والشيخ علاء الدين السورى وغيرهم(٦).

---

(١) مقدمة تحفة الأنام فى العمل بحديث النبى عليه السلام للشيخ السندى بقلم محمد عطاء الله حنيف ص ٧٩.

(٢) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٧.

(٣) القسم الأول، أشرف على طبعه وعلق عليه بعض الحواشى حمد الجاسر، ط ١، ١٣٧٩هـ المكتب الإسلامى ص ١٢٥.

(٤) حاشية السندى على صحيح البخارى المطبوع بكراجى عام ١٣٨١هـ نشر نور محمد ص ٢.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ١/٢٦، سابقة ١١٦٥هـ، وانظر مقدمة تحفة الأنام . . . بقلم محمد عطا الله حنيف ص ٧٩، وص ٩٠ من هذا البحث.

(٦) انظر: مقدمة تحفة الأنام . . . ص ص ، ٨٠. وانظر: ابن بشر، عنوان المجد . . . ١/٢٦.

قال ابن بشر: «كان له اليد الطولى فى معرفة الحديث وأهله ومحبته وصنف مصنفا سماه تحفة الأنام فى العمل بحديث النبى عليه أفضل الصلاة والسلام - وله مصنفات غيرها رأيت له مصنفا عجيبا شرحا على الأربعين النووية سماه «تحفة المحبين فى شرح الأربعين»[(١)].

وله رسالة بعنوان: «الايقاف على سبب الاختلاف» وقد طبعت ضمن مجموع يضم ثلاث رسائل رسالته هذه ورسالة أخرى هى تحفة الأنام التى أورد ذكرها ابن بشر ورسالة الاتباع للقاضى علي بن علي بن محمد بن أبى العز الحنفى تحت اشراف المكتبة السلفية بلاهور[(٢)].

ويضيف عبد الغفور عطار إلى مؤلفاته: مقدمة فى العقائد[(٣)] ويذكر له صاحب سلك الدرر محمد خليل المرادى: شرح الترغيب والترهيب، و«مختصر الزواجر، وشرح الحكم العطائية والحكم الحدادية وشرح الأربعين حديثا من جمع الملا علي القارى، وتوفى رحمه الله يوم الأربعاء السادس والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين ومائة وألف ودفن بالبقيع»[(٤)] وقيل توفى سنة خمس وستين ومائة وألف . . . والله أعلم[(٥)].

وكان الشيخ محمد حياة من المنكرين للبدع فى الدين وللأعمال الشركية.

قال ابن بشر: «وحكى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقف يوما عند الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون عند حجرة النبى ﷺ فرآه محمد حياة فأتى إليه فقال الشيخ ما تقول فى هؤلاء؟ قال: (إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون)[(٦)].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد . . . ١/٢٥، ٢٦.

(٢) طبعة أولى عام ١٤٠١هـ .

(٣) محمد بن عبد الوهاب، هامش ص ٣٧.

(٤) سلك الدرر للمرادى جـ ٤/٣٤، وفهرس الفهارس . . . ١/٢٦٤، ٢٦٥، ومقدمة تحفة الأنام . . . ص ٨٠.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، سابقة ١١٦٥هـ . ١/٢٥، ٢٦، وانظر: مسعود الندوى محمد بن عبد الوهاب . . . ص ٣٩.

(٦) ابن بشر، عنوان المجد . . . ١/٧.

وكان أيضا من المعارضين للتعصب للمذاهب الفقهية وترك الحديث الصحيح المحكم الذى لم ينسخ للالتزام بالمذهب، قال الشيخ صالح بن محمد العمرى الفلانى : (١١٦٦هـ - ١٢١٨هـ) قال شيخ مشائخنا محمد حياة السندى : «اللازم على كل مسلم أن يجتهد فى معرفة معانى القرآن وتتبع الأحاديث وفهم معانيها وإخراج الأحكام منها فان لم يقدر فعليه أن يقلد العلماء من غير التزام مذهب لأنه يشبه اتخاذه نبيا وينبغى له أن يأخذ بالأحوط من كل مذهب ويجوز له الأخذ بالرخص عند الضرورة - وأما بدونها فالأحسن الترك - أما ما أحدثه أهل زماننا من التزام مذاهب مخصوصة لا يرى ولا يجوز كل منهم الانتقال من مذهب إلى مذهب فجهل وبدع وتعسف، وقد رأيناهم يتركون الأحاديث الصحاح غير المنسوخة ويتعلقون بمذاهبهم من غير سند . . . إنا لله وإنا إليه راجعون» أ - هـ [١].

هذا هو الشيخ محمد حياة السندى ومنهاجه السلفى، والذى صار الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من تلامذته الخواص ومكث عنده زمنا[٢]، وأخذ عنه علما نبويا نافعا فى المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : «وكان له أكبر الأثر فى توجيهه إلى إخلاص توحيد عبادة الله، والتخلص من رق التقليد الأعمى، والاشتغال بالكتاب والسنة»[٣].

٦ — الشيخ إسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى الشافعى .

ولد بعجلون سنة (١٠٨٧) سبع وثمانين بعد الألف للهجرة، وأخذ العلم عن الشيخ أبى المواهب مفتى الحنابلة بدمشق وعن كثير من المشائخ الكبار، وأجازه الشيخ عبد الله بن سالم البصرى المكى والشيخ أبو الحسن السندى ثم المدنى وغيرهما وألف المؤلفات المفيدة منها «كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس». وله : «حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بكمل الرجال»[٤].

---

(١) ايقاظ همم أولى الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار ص ٧٠.

(٢) انظر : محمد بن عبد الوهاب . . . لمسعود الندوى ص ٣٩، وابن بشر عنوان المجد . . . ١/ ٧.

(٣) مصباح الظلام تصحيح محمد حامد الفقى ص ١٣٩.

(٤) فهرس الفهارس . . . ١/ ٢٦٩

وكـانت وفـاتـه بدمشق فى شهـر المحرم الحرام سنة اثنتين وستين ومائة وألف[1] (١١٦٢هـ) رحمه الله، وقد ذكره من مشائخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشيخ عبد القـادر بن أحمـد المعـروف بابن بدران الـدمشقى فى كتابه «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل» فى (ص ٢٣٠) والشيخ عبد الرحمن بن قاسم فى الدرر السنية (جـ ١٢/٤).

ولعله التقى به فى مكة أو المدينة وقد ثبت أن العجلونى رحل إلى الحجاز وأخذ عن المشـائـخ بمكـة كالبصرى، والقلعى مفتى مكة، وغيرهما ـ وعن المشائخ بالمدينة كالسنـدى أبى الحسن صاحب الحـاشية على صحيح البخارى والبر زنجى وغيرهما ـ وأقـرأ صحيـح البخـارى فى روضـة المسجـد النبـوى وأعـاد له الـدرس المـرادى من تلاميذه»[2] والله أعلم.

٧ — وأخذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن الشيخ على أفندى بن صادق بن محمد بن إبراهيم بن محب الله حسين بن محمد الحنفى الداغستانى[3]. ولد فى سنة ١١٢٥هـ.

قال صاحب التـوضيـح: «والشيخ الداغستانى هو شيخ مشائخ الشام بأجمعهم بعـد الشيـخ أبى المواهب والشيخ إسماعيل العجلونى» أ ـ هـ[4] ـ فقد ورثهما فى العلم والمكـانـة، وكـان يحتل مكانا عاليا فى علماء دمشق ـ أخذ عن الشيخ محمود بن عبد الله الأنطاكى، وعن الشيخ عبد الكريم الأفندى والشيخ أيوب الداغستانى ثم رحل إلى الحجاز وجاور بالمدينة وروى عن الشيخ محمد حياة السندى وطلب العلم ومكث مدة واستفاد منه عشرات من الناس ثم رجع إلى الشام سنة ١١٥٠هـ.

---

(١) ملخص من سلك الـدرر للمـرادى ١/٢٥٩-٢٧٢، وانظـر: الجزء الأول من كتـاب «كشف الخفـاء ومزيل الالباس للعجلونى، ص ص ٢-٦.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) التـوضيـح عن توحيـد الخـلاق . . . ص ١٦، ١٧، وابن بدران فى المـدخـل ص ٢٣٠، والكتانى فى فهـرس الفهـارس ١/٢٧١، وانظـر: الدرر السنية ١٢/٤، وانظر: بحث إسماعيل الأنصارى ص ٩ المقدم لمؤتمر اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٤) التوضيح عن توحيد الخلاق . . . ص ١٦، ١٧.

وقد أخذ عنه الشيخ لما اجتمع به فى المدينة المنورة، وأجازه بمثل ما أجازه الشيخ عبد الله بن إبراهيم بها فى ثبت أبى المواهب[1].

وتقدم ذكر إجازة الشيخ عبد الله له[2]. أصيب بالفالج سنة ١١٩٦هـ وانقطع فى داره وتوفى سنة تسع وتسعين ومائة وألف[3] (١١٩٩هـ) رحمه الله تعالى.

ولكن مسعود الندوى يستبعد تتلمذ الشيخ محمد أو استفادته منه، ويعلل ذلك بأنه كان صغيرا جدا أثناء إقامة الشيخ ابن عبد الوهاب فى المدينة المنورة[4].

غير أننا اذا تذكرنا أن الشيخ عبد الرحمن بن حسن قرر بأن جده وشيخه الشيخ محمد بن عبد الوهاب حج وزار المسجد النبوى بعد رحلته العلمية إلى البصرة والأحساء وكانت عودته النهائية من هذه الرحلة العلمية من المدينة المنورة[5].

وتذكرنا أن الدكتور العثيمين رجح أن عودة الشيخ إلى حريملاء كانت قبل سنة (١١٤٩هـ)[6] فمن الجائز أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد لقى الشيخ على الداغستانى فى ذلك الزمن حيث كان موجودا فى المدينة قبل عام (١١٥٠هـ)، وللشيخ الداغستانى من العمر ما يزيد على عشرين سنة وهذا ليس سن صغير جدا بل سن من يمكن الأخذ عن صاحبه فيه وان كان الآخذ أكبر منه بنحو عشر سنوات كالشيخ ابن عبد الوهاب فى حرصه وتواضعه لطلب العلم، كما أن هذا الفارق فى السن لا يمنع من تبادل المعرفة وأخذ أحدهم عن الآخر سيما وأن الداغستانى قد أتى من الشام ليأخذ عن شيخ المدينة محمد حياة السندى وفى الغالب أن طالب العلم مثله لا يرحل من بلده يطلب العلم حتى يستوفى ما عند علماء بلده، وقد ذكر بعلو مكانه بين علماء دمشق واستفادة عشرات الناس منه. والله أعلم.

٨، ٩، ١٠ — وكذلك أخذ عن الشيخ عبد الكريم أفندى الداغستانى وهو ابن عم الشيخ علي أفندى المتقدم ذكره وكذلك أخذ عن الشيخ محمد البرهانى، وعن

---

(١) التوضيح ... ص ١٦، ١٧. والشيخ محمد بن عبد الوهاب ... بقلم أحمد آل أبو طامى ص ١٧.
(٢) انظر: ص ٩٦ من هذا البحث.
(٣) سلك الدرر ٣/٢١٥.
(٤) محمد بن عبد الوهاب ... ص ٣٩.
(٥) انظر: ص ٨٥ من هذا البحث.
(٦) انظر: ص ٨٧ من هذا البحث.

الشيخ عثمان الديار بكرى نزيل المدينة المنورة، وحرر على أيديهم علم التوحيد وأمره عندهم فأقروه وكذلك محمد السفارينى أرسل إليه وهو بالشام نسخة فأقرها.

ذكر ذلك صاحب التوضيح عن توحيد الخلاق فى جواب أهل العراق(١).

وقال مسعود الندوى: وكذلك فى بعض الكتب ذكر استفادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من المحدث الكبير محمد بن سليمان الكردى المدنى المتوفى عام ١١٩٤هـ إلا أن السنين والأحوال تشهد بعكس هذا - بالاضافة إلى سكوت التواريخ المعتمدة المعاصرة حيث لم يذكر ابن غنام ولا ابن بشر تتلمذه عليه وإنما تفرد بذكره أحمد زينى دحلان فقط (فى كتابه الذى سماه، الدرر السنية ص ٣٥-٤٢). ولكن كتابه هذا وكذلك كتابه خلاصة الكلام فى أمراء البلد الحرام - مليء بالأخطاء بل الافتراءات حتى ان القلب لا يرضى أن يقبل هذه الرواية التى لا تضر شيئا. ثم ان السنين تشهد بخلافه فمحمد بن سليمان الكردى توفى سنة ١١٩٤هـ عن عمر سبع وستين سنة كما فى سلك الدرر (٤/ ١١١، ١٢) وهكذا تكون ولادته فى سنة ١١٢٧هـ تقريبا ويكون صغير السن أيام طلب الشيخ وتتلمذه عليه بعيد. أ - هـ بتصرف قليل(٢).

والقول بصغر سنه مبنى على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدأ رحلته العلمية عام ١١٣٥ تقريبا وهو فى سن العشرين إلى الحجاز مكة والمدينة(٣). ثم لم يعد إليه بعد بضع عشرة سنة قضاها فى رحلاته العلمية أى فى حدود سنة ١١٤٩هـ تقريبا، ولكن كما قلنا بأن الشيخ عبد الرحمن بن حسن قرر بأن جده وشيخه محمد بن عبد الوهاب حج وزار المسجد النبوى وكانت عودته من رحلته العلمية نهائيا من المدينة المنورة، وإذا علمنا ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب عاد إلى حريملاء حيث كان فيها أبوه وبقي معه سنوات حتى توفى أبوه عام ١١٥٣هـ فمعنى ذلك أن عودته النهائية من المدينة المنورة كانت فى حدود سنة ١١٥٠هـ فيمكن أن يكون التقى بالشيخ المحدث الكبير محمد بن سليمان الكردى فى هذا الزمن وعمر الشيخ الكردى ينيف على عشرين سنة وهذا سن لا يمنع الاستفادة منه وان يكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يزيد عليه فى السن كما حررناه فى شأن الشيخ علي أفندى الداغستانى قبل هذا.

(١) ص ١٩.
(٢) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم . . . ص ٤٠ بالاضافة إلى هامشها رقم ١.
(٣) المرجع السابق ص ٣٨.

وأما كون دحلان لا يصمتن القلب لخبره فنعم لأنه صاحب وسوسة وافتراءات وعداوة للإسلام، وليست لديه أمانة فى نقله ودينه(١).

وأما سكوت التواريخ المعتمدة المعاصرة كابن غنام وابن بشر عن ذكر أخذ الشيخ عن الكردى فليس دليلا على عدم أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عنه ولعل سكوتهم عن ذكره بسبب ما نسبه أحمد زينى دحلان إليه: أنه من المعارضين لما يعتقده الشيخ محمد بن عبد الوهاب من عقيدة السلف الصالح(٢). فان صدق دحلان وقد يصدق الكذوب خصوصا إن كان الصدق موافقا لهواه فإن الكردى ممن لا يختاره الشيخ محمد بن عبد الوهاب للأخذ عنه لأن فى صحيح مسلم فى المقدمة عن محمد بن سيرين، قال: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم» وفيه عن ابن المبارك بنحوه وعن ابن سيرين أيضا قال: لم يكونوا يسألون عن الاسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم» فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم(٣).

وقد بوب النووى لهذه الآثار وغيرها فى شرحه فى صحيح مسلم «باب بيان أن الاسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب، وانه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرمة».

ولسنا نحكم على الكردى بمجرد خبر دحلان، ولكن نبين حكم افتراض أن دحلان صدق بخبره عنه على ضوء منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفي فى اختياره لمشائخه الذين يأخذ عنهم، ويجوز أن الكردى ترك ذكره لعدم اشتهار أخذ الشيخ عنه أو للاختصار أو لغير ذلك.. الله أعلم.

وذكر صاحب التوضيح أن الشيخ أخذ عن عبد اللطيف العفالقى الأحسائى وأن عبد اللطيف أجاز الشيخ فى كل ما حواه ثبت عبد الباقى أبى المواهب الحنبلى قراءة وتعلما وتعليما من كتب السنة بأسانيدها إلى مؤلفيها والعربية والقراءات وفقه الحنابلة والشروح والأصول بمثل ما أجازه كل من الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف والشيخ علي أفندى الداغستانى(٤).

---

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، تأليف محمد بشير السهسوانى ص ١٢-١٤.

(٢) ما يسمى «الدرر السنية فى الرد على الوهابية، تأليف أحمد بن زينى دحلان ص ص ٣٥-٣٩.

(٣) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٤، ١٥.

(٤) التوضيح عن توحيد الخلاق . . . ص ص ١٦، ١٧، والكتانى فى فهرس الفهارس ١/ ٢٧١.

وتقـدم ذكـر ذلـك مفصـلا[١]، وكذلك ذكر الشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامى ونص على هذا فى كتابه «الشيخ محمد بن عبد الوهاب. . .»[٢].

وأيضا فقد ذكر كل من صاحب التوضيح والكتانى وأحمد بن حجر آل أبو طامى أن الشيـخ محمـد بن عبد الوهاب أخذ عن محمد العفالقى الأحسائى، وقد عده أحمد بن حجـر آل أبـو طامى وسـابقـه عبد اللطيف العفالقى من شيوخ الشيخ فى المدينة[٣] والله أعلم.

ولم أقف على ترجمة لعبد اللطيف العفالقى الأحسائى.

وكـذلـك محمـد العفـالقى الأحسائى إلا أن يكون هو محمد بن عبد الرحمن بن عفالق، فهذا له ترجمة فى السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لمحمد بن عبد الله بن حميـد نشـرتها مجلة العرب ضمن ما نشرت من تراجمه[٤]، وترجم له عبد الله البسام فى كتابه علماء نجد خلال ستة قرون[٥].

وذكر ابن بسام انه ولد سنة ١١٠٠هـ ورحل إلى المدينة وأخذ عن علمائها ومنهم عبـد الله بن إبـراهيم بن سيف وتـوفى بالأحسـاء عام ١١٦٣هـ وهـو ممن عادى دعـوة الشيـخ محمـد بن عبد الوهاب إلى عقيدة السلف الصالح وكتب له رسالة يتعنت فيها بأسئلة عن سورة العـاديـات، ماذا فيهـا من المجـاز والاستعـارة والكناية وغيرها؟ من التعنتـات التى ليست مما يدخـل فى تحقيق ما يجب لله تعـالى على عبـاده من توحيـده بالعبادة واخلاصها له. هذا المقام الذى لم يصل إليه ابن عفالق وأشياعه[٦].

---

(١) انظر ص ٦-٩ وص ١٠١ من هذا البحث.

(٢) ص ١٧.

(٣) التوضيح . . . ص ص ١٦، ١٧، والكتانى فى فهرس الفهارس ١/ ٢٧١، والشيخ محمد . . . آل أبو طامى ص ١٧.

(٤) مجلة العرب الجزء التاسع والعاشر السنة الثانية عشرة الربيعان سنة ١٣٩٨هـ ص ٧١٩-٧٢٠.

(٥) ج ٣/ ٨١٨-٨٢١.

(٦) انظر: المصدر السابق ٣/ ٨٢٠.

٣ — فى البصـــرة :

١١ — ذكر الشيخ عثمان بن بشر فى عنوان المجد فى تاريخ نجد أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب «تجهز إلى البصرة يريد الشام، فلما وصلها جلس يقرأ فيها عند عالم جليل من أهل المجموعة قرية من قرى البصرة فى مدرسة فيها ـ قال ابن بشر: «ذكر لى أن اسمه محمد المجموعى، فأقام مدة يقرأ عليه وينكر أشياء من الشركيات والبدع وأعلن بالانكار واستحسن شيخه قوله، وقرر له التوحيد وانتفع به، وأخبرنى شيخنا القاضى عثمان بن منصور الناصرى. قال: أخبرنى رجل فى مجموعة البصرة بأن أولاد ذلك العالم الذى قرأ عليه الشيخ محمد هم أحسن أهل بلدهم بالصلاح ومعرفة التوحيد، وهذا والله أعلم ببركة اجتماع الشيخ بوالدهم»[(١)].

وقد نقل ابن غنام أن الشيخ رحمه الله قد سمع الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة وقرأ بها النحو وأتقنه وكتب الكثير من اللغة والحديث فى اقامته تلك، وكان أكثر لبثه لأخذ العلم بالبصرة ومع ذلك فقد كان يدعو إلى توحيد الله بالعبادة ويزجر وينكر على من يدعو غير الله تعالى، ويبين أن دعاء الأولياء ليس من محبتهم الصالحة وإنما محبتهم هي اتباع هديهم، وحصل بمجلسه أن رجلا يذكر مشروعية دعاء الصالحين والأولياء فأغلظ عليه الشيخ وزجره فتغير وجه ذلك الرجل وجال واستغرب وقال إن كان ما يقوله هذا الإنسان حقا فالناس ليسوا على شيء من زمان. ونقل ابن غنام قول الشيخ: وكان ناس من مشركى البصرة يأتون الي بشبهات يلقونها علي فأقول وهم قعود لدي: لا تصلح العبادة كلها إلا لله فيبهت كل منهم فلا يتكلم»[(٢)].

وذكر حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن: أنه «جالس علماء البصرة وتميز بالأخذ عمن لا يتهم فى حقه بالكذب والزور، وصنف فى البصرة كتاب التوحيد أخذه من الكتب التى فى مدارس البصرة من كتب الحديث[(٣)].

---

(١) عنوان المجد . . . ١/٧، ٨.

(٢) روضة ابن غنام، ١/٢٧، ٢٨.

(٣) الدرر السنية ٩/٢١٥.

٤-لقــاؤه شــــيوخ الأحســـــاء :

ذكر كل من الشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ عثمان بن بشر أن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحل إلى الأحساء فذكر ابن حسن أنه وجد فى الأحساء فحول العلماء منهم : الشيخ عبد الله بن فيروز أبو محمد الكفيف ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ما سر به، وأثنى على عبد الله هذا بمعرفته بعقيدة الإمام أحمد[١].

ولـد سنـة ١١٠٥هـ ومن مشـائخه الشيخ.فوزان بن نصر الله وخاله الشيخ عبد الـوهـاب بن سليمان بن على وهو ابن عمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ وتوفى سنة ١١٧٥هـ ـ وكـان سلفي العقيـدة[٢]، أمـا ابنه محمد الكفيف فهو من المعادين لعقيدة السلف الصالح التى دعا إليه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[٣]، رغم أن محمد ابن فيروز بينه وبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب آصرة القرابة فى النسب وآصرة القرابة فى الصهـر ولكن فرقت بينهم العقيـدة التى وفق للسـلامـة فيهـا الشيـخ محمد بن عبد الوهاب دون الآخر[٤].

وذكـر الشيـخ عبـد الـرحمن بن حسن والشيخ عثمان بن بشر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حضر مشائخ الأحساء ومن أعظمهم عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشـافعى الأحسـائى القـاضى فنزل عنده فطلب منه أن يحضر الأول من فتح البارى على البخـارى، ويبـين له ما غلط فيـه الحـافـظ فى مسألة الإيمان، وبين أن الأشاعرة خالفـوا ما صدر به البخـارى كتـابـه من الأحـاديث والآثار، وبحث معهم فى مسائل ونـاظـر، وهـذا مشهـور يعرفه أهل الأحساء وغيرهم من أهل نجد[٥]، وذلك قبل أن يعلن الشيـخ محمـد إنكاره الشرك فى نجد وقبل أن تبرز معارضة أهل الأحساء للشيخ ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف المذكور وجرت بينه وبين الشيخ مكاتبات فى

(١) الدرر السنية ٩/٢١٦.
(٢) ابن بسام، علماء نجد خلال ستة قرون ٢/٦٢٧، ٦٢٨.
(٣) المصدر السابق ٣/٨٨٢.
(٤) انظر المصدر السابق ١/٣١٣.
(٥) الدرر السنية ٩/٢١٦، عنوان المجد جـ ١/٨، وانظر له ذكرا فى كتاب تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد، تأليف محمد بن عبدالله آل عبدالقادر قسم ١/١٢٥، ٢/٧٤.

ما بعد حول عقيدة السلف الصالح لا شك أن الصواب كان مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1].

هل للشيخ مشائخ فى بغداد والموصل ؟

قال إبـراهيم فصيـح صبغة الله الحيدرى : ان والده أخبره أن الشيخ محمد قدم بغداد وأخذ أيضا عن جد جده صبغة الله الحيدرى ولذا لما رجع جده أسعد الحيدرى من مكة على طريق الدرعية إجتمع بالشيخ وجلس عنده فى الدرعية ثلاثة أشهر[2].

وفى بحث قدمه اللواء الركن محمود شيت خطاب لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود بعنوانُ : «الإمام محمد بن عبد الوهاب فى مدينة المـوصـل» يحقق ما ذكره المؤرخ ياسين بن خير الله العمرى الموصلى فى كتابه «غرائب الأثـر» أن الإمـام محمـد بن عبد الوهاب قدم الموصل وقرأ العلم على العلامة ملا حمد الجميلى وأخذ عنه الكثير[3]، ويقول: «لا يقلل من أهمية رحلة الإمام محمد بن عبد الوهاب العلمية إلى الموصل وأثرها فى تكوينه العلمى واتجاهه الفكرى إغفال المصادر والمراجع التى ترجمت وأرخت لدعوته، لهذه الرحلة العلمية إلى هذه المدينة العلمية، ولعل أهم أسباب إغفالها هو نشر كتاب «غرائب الأثر» متأخرا فى سنة ١٣٥٩هـ لمؤرخ غير متهم فى صدقه وأمانته، وكان نشر هذا الكتاب بعد صدوره مجهولا بالنسبة للذين كتبـوا بعـد إخـراجـه للنـاس، والواقع أن كتاب : «غرائب الأثر» مجهول بالنسبة لأكثر الباحثين العراقيين فلا عتب على الباحثين من غير العراقيين عربا وأجانب»[4].

ولكن الـدكتـور العثيمين وهو لم يذكر هذا الكتاب من مراجعه فلعله ممن يجهله يقول : «وعلى أية حال فان النتيجة التى يطمئن إليها الباحث من مقارنة جميع المصادر السـابقـة أى التى ذكـرهـا ـ حول أسفار محمد بن عبد الوهاب خارج نجد هى الأخذ

---

(١) انظر: روضة ابن غنام ١/٥٠-٦٠.

(٢) عنـوان المجـد فى بيـان أحوال بغداد والبصرة ونجد، لوحة ٣٢٧. وانظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدكتور العثيمين ص ٣٨.

(٣) ص ١، مجلد حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية.

(٤) ص ٣، نفس المصدر السابق.

برواية المؤرخين المؤيدين له»[1] وكان الدكتور العثيمين قد قال: إن «المصادر المقربة من محمد بن عبد الوهاب لا تذكر أن رحلاته العلمية خارج نجد تجاوزت ثلاثة أمكنة: الحجاز والأحساء والبصرة»[2] قال: «لسببين رئيسيين ـ أحدهما أنهم أدرى بتفاصيل حياته من غيرهم، كما قال الشيخ حمد الجاسر، والثانى أنهم حرصوا كل الحرص على تدوين جميع فضائله ـ ومن المعروف أن السفر فى طلب العلم فضيلة. ولو كان الشيخ محمد قد سافر إلى بلدان غير التى ذكروا لما توانوا فى تدوين ذلك وتفصيله»[3] أ ـ هـ.

ولكن عدم ذكر المصادر المقربة على حد تعبير الدكتور العثيمين رحلة الشيخ إلى ما سوى الحجاز والأحساء والبصرة لا يعنى عدمها فمن الجائز أن الشيخ وصل بغداد والموصل لاسيما وهما آنذاك أكبر مدن العراق ويستقطبان قسما من علماء المسلمين وطلاب العلم لأنهما من المراكز العلمية[4].

وكون المؤرخين المؤيدين للشيخ أدرى بتفاصيل حياته من غيرهم، وأنهم حرصوا كل الحرص على تدوين جميع فضائله لا يحتم ذكرهم لجميع أسفاره فى طلب العلم وهم لم ينفوا سفره إلى ما سوى ذلك ولم يحددوا سفره بما ذكروا، وإنما ذكروا ما يستحق الذكر وهو المهم الذى حصل فيه الشيخ على بغيته من أسفاره فاقتصروا على ذكره وذكر من وقع عليهم اختياره من الشيوخ الفحول فى علم أهل السنة والجماعة، أما المشائخ الآخرون فى الأماكن الأخرى كبغداد والموصل. فيجوز أنهم ليسوا ممن اختاره الشيخ للأخذ عنه والتلقى منه ولذا أهمل المؤرخون المؤيدون ذكرهم وذكر بلدانهم، واختيار العلماء يتطلب بحثا طويلا وترحالا كثيرا وصبرا جميلا والله أعلم.

رحلات الشيخ لم تتجاوز الحجاز والعراق والأحساء:

أما ما تجاوز الحد من أنه سافر إلى الشام كما ذكره خير الدين الزركلى فى الأعلام وإلى فارس وإيران وقم وأصفهان كما يذكره بعض المستشرقين ونحوهم فى

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . ص ٣٩.

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٦.

(٣) المصدر السابق ص ٣٩.

(٤) انظر: بحث «الإمام محمد بن عبد الوهاب فى مدينة الموصل لمحمود شيت خطاب ص ٥.

مؤلفـاتهم المعـروفـة بالأخطـاء ومجانبة الحقيقة كمرجليوث فى دائرة المعارف الإسلامية وبرائجس وهيوجز وزويمر وبالغريف وكتاب «لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الـوهـاب»[1] ومن تأثـر به فهـو أمـر غير مقبـول لأن حفيد الشيخ ابن حسن وابنه عبد اللطيف وابن بشر نصوا على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يتمكن من السفر إلى الشـام كما قدمنـا[2]. وأمـا زعم أن الشيـخ رحل إلى فارس وإيران وقم وأصفهان فان عبـد الحليم الجنـدى يذكـر فى كتـابـه: «الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفى» أنه ناقش فى هذه الواقعة الشيخ عبد العزيز بن باز فى الرياض فأنكر ما أورده المؤلفون من رحلة الشيخ إلى كردستان وإيران وقرر أنه تلقى هذا عن أشياخه ومنهم حفدة الشيخ وبخاصة شيخه محمد بن إبراهيم[3].

ويلاحظ أن كثيرا ممن ذكر هذه البواطل عن رحلات الشيخ اعتمد على كتاب «لمع الشهاب».

قال حمد الجـاسـر: «ولا تفوت الاشارة إلى أن كثيرا ممن كتبوا عن الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ إنخدعوا بما جاء فى كتاب «لمع الشهاب» ومن أولئك الأستاذ أحمد أمين فى كتـابـه «زعـماء الاصـلاح فى العصـر الحـديث»[4] ومنهم الأستاذ حسين بن خلف بن الشيـخ خزعـل الـذى سرد كتـابـه «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»[5] كلما جاء فى ذلك الكتاب من ذكر رحلات الشيخ إلى بلاد الأكراد وإيران والشام ومصر معولا على هذا الكتاب الذى لا يصلح التعويل عليه.

وبالاجمال فقد حرص مترجموا الشيخ محمد، على تدوين كل ما يتصل برحلاته وبأسـماء العلماء الـذين تلقى العلم عنهم، وبـذكر البلاد التى زارها ويكادون يتفقون على عدم صحة ما ورد فى كتاب «لمع الشهاب» من ذلك[6].

---

(١) انظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه لمسعود الندوى ص ٤٠، ٤١. وانظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور العثيمين ص ٣٦-٣٩: وانظر: الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفى لعبد الحليم الجندى ص ٩٢. وجزيرة العرب لحافظ وهبه ص ٣١٩.

(٢) انظر: ص ١٠٦ من هذا البحث.

(٣) الإمام محمد بن عبد الوهاب .. ص ٩٢ هامش ١.

(٤) انظر: ص ١٠ من كتاب: زعماء الاصلاح فى العصر الحديث تأليف احمد أمين.

(٥) انظـر: ص ٥٦، وص ١٣٨، ١٣٩، وص ١٤٣-١٤٤، وص ٤٠٥ من كتـاب تاريخ الجزيرة فى عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تأليف حسين خلف الشيخ خزعل.

(٦) العرب، الجزء العاشر، السنة الرابعة ربيع الثانى ١٣٩٠هـ ص ص ٩٤٣، ٩٤٤.

ويقول الدكتور منير العجلانى : «أخذت عن اللمع» : دائرة المعارف الإسلامية وطائفة كبيرة من المستشرقين، ثم نقل عن هؤلاء أحمد أمين والعقاد وغيرهم من الكتاب العرب[1].

وقال فى موضع آخر: «نقل عن هذا الكتاب أكثر المستشرقين، ثم أخذ عنهم كثير من كبار المؤلفين العرب، ومن المؤسف أنهم تعلقوا بروايته الكاذبة عن رحلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى العجم»[2].

وقال فى موضع ثالث: «أما ادعاء اللمع أن الشيخ سافر إلى مصر ودرس فى الأزهر فخبر مختلق ولم يأخذ به أحد».

ومما يكشف كذب صاحب اللمع ويضعف قيمة رواياته: «حساب التواريخ . . فقد زعم أن الشيخ محمدا خرج من نجد وله من العمر سبع وثلاثون سنة، وأعاده إلى نجد بعد عشرين سنة أو أكثر، فكان عمره فى زعمه سبعاً وخمسين سنة، ونحن نعرف أن الشيخ ولد عام ١١١٥هـ فتكون سنة عودته إلى نجد، فى رواية اللمع سنة (١١٧٢) . . . أى بعد انقضاء خمس عشرة سنة على إقامته الثانية فى الدرعية . وهذا وراء العقل[3].

الشيخ لم يدرس اللغتين الفارسية والتركية :

وأما زعم أن الشيخ درس اللغتين الفارسية والتركية والحكمة المشائية ؟ والفلسفة والتصوف ولبس جبة خضراء فى أصفهان فليس بثابت بل إنه أمر باطل، ويستبعد أن يتعلم الشيخ لغة أعجمية ليس مضطرا لها وقد استغنى بالعربية وهى لغة السلف الصالح من المسلمين والتى نزل بها القرآن ودونت بها السنة وفى اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية آثار عن بعض السلف الصالح تقتضى كراهة ذلك من غير حاجة ولا مصلحة دينية[4].

---

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ١٩٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤٦.

(٣) المرجع السابق ص ٢٠١.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ص ص ٢٠٤-٢٠٧.

وليس فى مؤلفات الشيخ وآثاره ما يدل على شىء من هذا بل إنها على المنهج السلفى بعيدة كل البعد عن مخالفة طريقة الرسول ﷺ وأتباعه.

ثم إن من ذكر ذلك عن الشيخ كان ممن انخدع بمثل كتاب «لمع الشهاب»[1] ومؤلف لمع الشهاب وأمثاله «أرادوا من ذكر مثل هذه الأخبار الباطلة أن الشيخ جاء بما جاء به من أفكار فلسفية وبشرية لا تستند على الوحى المنزل من عند الله تعالى وقد بين هذه النقطة حمد الجاسر حيث قال «ولو ساغ التعليل لأمكن القول بأن مؤلف «لمع الشهاب» أراد من ذكر وصول الشيخ إلى أصفهان أمراً غير مطابق للواقع، وخاصة حينما يقول بأن الشيخ درس الحكمة الاشراقية، ذلك أن هذا المذهب الفلسفى يقوم على أساس أن المعارف والعلوم تكتسب بطرق رياضية بحتة، ولا تنال بطريق التعليم والممارسة. ولكى يستخلص أن الشيخ تأثر بهذه الفلسفة فأتى بأشياء جديدة أراد أن يدخلها فى مذهبه والشيخ برىء من ذلك فكل ما جاء به قد استقاه من منابعه العذبة الصافية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال علماء السلف الصالح، وهو أبعد الناس عن الشطحات الصوفية والأفكار المادية الفلسفية التى لا تقوم على أساس من النقل الشرعى الصحيح، وأنا أقرر هذا كقضية تاريخية مجردة تقوم على أساس ما عرف عن الشيخ وآرائه التى لا يجهل كل مؤرخ أصولها، غير متأثر بأية عاطفة[2].

ويذكر الدكتور منير العجلانى أن: «صلاح العقاد ينكر أقوال اللمع، فيما يتصل باقامة الشيخ فى بلاد العجم ودرسه فيها الفلسفة والتصوف» لسببين:

السبب الأول ـ جهل الشيخ التام باللغة الفارسية.

السبب الثانى ـ أننا لا نجد فى كتابات الشيخ أثرا لهذه الدراسات المزعومة فى الفلسفة والتصوف.

قال الدكتور العجلانى: «وهذا رأينا أيضا»[3].

وقال الدكتور العجلانى أيضا: «أما القول بأن الشيخ كانت له (شخصية)

---

(١) انظر: ص ص ٦٧-٦٨ من هذا البحث.

(٢) مجلة العرب، الجزء العاشر، السنة الرابعة ربيع الثانى ١٣٩٠هـ ص ٩٤٤.

(٣) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٢٠٠.

ثانية . . اختفت تماما ، كما يزعم صاحب اللمع ، فنوع من الهذيان تورط فيه صاحب اللمع وورط فيه غيره»[1] .

نتيجة رحلاته العلمية وأخذه عن المشائخ :

لقد كانت رحلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلمية وأخذه عن أهل العلم ومشائخه موفقة ومفيدة «وكانت على جانب كبير من الأهمية ، وكان أثرها واضحا فى زيادة معرفة الشيخ»[2] وتسلحه بسلاح العلم الغالب أهله بإذن الله تعالى وتقوية يقينه وزيادة إيمانه وتوسيع مداركه وفهمه وثقافته العامة فى الدين والدنيا وقد حصل علم التوحيد الذى هو حق الله على العبيد وعلم ما يناقضه كماله الواجب ، أو يكون ذريعة إلى ذلك وحرره كتابا . وأمره عند شيوخ أفاضل وجهابذة أكابر منهم المشائخ الشاميون الشيخ على أفندى الداغستانى وابن عمه الشيخ عبد الكريم أفندى الداغستانى ، والشيخ محمد البرهانى والشيخ عثمان الديار بكرى نزيل المدينة المنورة والشيخ محمد السفارينى نزيل نابلس أرسل إليه نسخة فأمرها وأقرها وهو من غير مشائخه الذين قد ذكروا ، وكلهم ادركوا كلامه وأقروه وحرروه وأجازوه ، ولكن عذرهم عدم المساعدة من أمير أو غيره[3] .

وبالجملة فما إن أتم رحلاته إلا وقد فتح الله عليه بحصيلة من العلوم الشرعية كبيرة .

قال ابن بدران : «امتلأ وطابه من الآثار وعلم السنة وبرع فى مذهب أحمد»[4] .

وحين رجع إلى أبيه بعد رحلته العلمية كان فى مستوى علمى لا يقل عن مستوى أبيه ان لم يزد عليه وإن كانت بعض المصادر تذكر أنه أخذ يدرس على والده بعد استقراره فى حريملاء[5] فهذا من باب أدبه وتواضعه مع والده وشيخه الأول .

وعلى كل فان الشيخ لم يعد من رحلاته إلا وقد اقتنع بأنه قد أخذ قدرا من

---

(١) نفس المرجع السابق والموضع .

(٢) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور عبد الله الصالح العثيمين ص ٢٩ .

(٣) التوضيح عن توحيد الخلاق ص ١٩ .

(٤) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ص ٢٣٠ .

(٥) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . الدكتور العثيمين ص ٤٠ ، ٤١ .

العلم والبصيرة كافياً للدعوة بما علم إلى الله على بصيرة كما هى سنة رسول الله ﷺ التى لاشك فى اتباعه لها.

هذا وقد أطلت النفس فى هذه المباحث عن تحصيل الشيخ العلمى ورحلاته وشيوخه واستطردت بتراجم بعضهم مما له صلة بمعلومات الشيخ ـ كل ذلك لبيان مكانته العلمية الأصيلة وتحصيله الكبير وهو أمر لائق فى هذا المدخل.

عـودة الشيخ من رحلاته العلمية إلى حريملاء :

بعد أن أتينا فى المباحث المتقدمة على ذكر رحلات الشيخ العلمية وذكرنا خط سيرها والأماكن التى رحل إليها وزمانها وشيوخه وتحصيله ـ نذكر هنا عودته من هذه الرحلات العلمية المباركة، وكما تقرر فى المباحث المتقدمة كانت عودته من المدينة المنورة إلى حريملاء[1] حيث كان والده قد انتقل إليها من العيينة بسبب أن أمير العيينة الجديد الملقب خرفاش بن معمر لم يرق له بقاء الشيخ عبد الوهاب فى القضاء، فعزله عنه فغادرها الشيخ عبد الوهاب إلى حريملاء، وتولى قضاءها وأقام بها فأقام الشيخ محمد بعد عودته من رحلته العلمية فى حريملاء مع أبيه يدرس عليه ويدعو إلى التوحيد، ويبين بطلان دعوة غير الله وكانت دعوة غير الله من أشجار وغيران وقبور وجن ونحو ذلك منتشرة كثيرا فى نجد وفى البلدان الإسلامية عموما فى ذلك الزمان كما بينا فى المبحث عن هذه البيئة، المتقدم، وسبقت الاشارة إلى ذكر أنها من العوامل الأساسية فى دفع الشيخ إلى استكمال عدته من العلم النافع والرحلات الطويلة فى سبيل تحصيله[2].

ولما توفى والده عام ١١٥٣هـ، اعلن الدعوة إلى تصحيح العقائد السائدة بعقيدة السلف الصالح، لكن لم تكن حريملاء صالحة لأن تكون منطلقا لدعوته، فانتقل منها فيما يقارب عام ١١٥٥هـ إلى العيينة وقد ناصره أميرها عثمان بن معمر أول الأمر ثم خذله فانتقل الشيخ إلى الدرعية والتقى بأميرها الراشد محمد بن سعود فقام بنصرته ووفى بعهده وأتم وعده فأظهر الله عقيدة السلف الصالح ونصر الله أهلها وتوفر الشيخ لنشرها، وتدريس العلوم النافعة، وتأليف الكتب المفيدة فى أصول

(١) انظر: ص (٨٥) من هذا البحث.

(٢) انظر: ص (٧٩) من هذا البحث.

الإسلام وفروعه على طريقة السلف الصالح وانطلاقا من العقيدة السلفية السليمة، وقد أخذ عن الشيخ جموع كثيرة وخلف من تلاميذه العلماء الكبار الذين قاموا بأدوار مهمة عظيمة، وخلف أتباعا وأنصارا ودولة ملأ ذكرهم الأسماع فى الخافقين، وعظم شأنهم بين العالمين.

وسيأتى لذلك مزيد بيان إن شاء الله فى باب أثر عقيدة الشيخ السلفية فى العالم الإسلامى.

تلاميذ الشيخ ومن أخذ عنه من العلماء:

فى هذا المبحث لا نريد استقصاء كل من أخذ عن الشيخ واستفاد أى فائدة، إنما نقصد من أخذ عن الشيخ حتى تخرجوا على يديه واستكملوا العلم النافع فى مدرسته السلفية وصاروا قضاة وعلماء ودعاة ولم نذكر مثل الإمام محمد بن سعود وابنه عبد العزيز وحفيده سعود بن عبد العزيز، فهم وإن كانوا قد أخذوا عن الشيخ مباشرة وحضروا مجالس دروسه وأحيوا ما بينه لهم من السنة وأقاموا ما أوضحه لهم من معالم الإسلام فلشهرتهم وارتفاع مقامهم حتى صاروا أئمة فى هذا الشأن اكتفينا بما سبق من الاشارة وما سيأتى إن شاء الله فى باب أثر عقيدة الشيخ فى العالم الإسلامى، فلم ننظمهم هنا مع تلاميذ الشيخ والمتربين على يديه، والمتخرجين فى مدرسته.

كذلك لم نذكر من استفاد من علم الشيخ عن طريق المراسلة وعن طريق كتبه وانتشار علمه ودعوته فهذا النوع لا يضبط كثرة ولا يندرج تحت هذا المبحث (ولكن ربما يناسب ذكره فى بحث أثر عقيدة الشيخ فى العالم الإسلامى).

وفيما يلى بيان من وجدناه معدودا من تلاميذ الشيخ المباشرين وصاروا من العلماء والقضاة وشيوخ العقيدة السلفية من بنيه وبنى بنيه وغيرهم من علماء النواحى والأقطار[1]، مع ما سيأتى إن شاء الله تعالى عنهم فى بيان أثر عقيدة الشيخ السلفية باعتبارهم من المتأثرين بها والحاملين لها والناشرين لعقيدة السلف الصالح.

١ ــ الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. أخذ عن أبيه واستكمل فنون العلم وفاق بالمعرفة أقرانه، توفى سنة ١٢٢٤هـ [2].

---

(١) انظر: ابن بشر، عنوان المجد ... ٩٢/١.

(٢) الدرر السنية ٤٦/١٢. ومشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٢٨.

٢ ــ الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . أخذ عن أبيه فكان آية فى العلم ومعرفته ومعرفة فنونه[١] . ولد فى الدرعية سنة ١١٦٥هـ وتوفى بمصر سنة ١٢٤٢هـ[٢] .

٣ ــ ومن تلاميذ الشيخ ابنه الأكبر الشيخ علي فكان عالما جليلا ورعا ديّنا فقيها يضرب به المثل فى بلد الدرعية .

يقول عبد الرحمن بن عبد اللطيف ، الغالب على الظن أن الشيخ علي توفى سنة ١٢٤٥هـ بمصر[٣] .

٤ ــ ومن تلاميذه الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو الابن الرابع ، يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم «ولم أقف له على وفاة ولكنه موجود سنة ١٢٥١ فى مصر وتوفى فيها»[٤] .

٥ ــ وممن أخذ عن الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر ـ فكان عالما جليلا وتوفى فى مكة المكرمة سنة ١٢٢٥هـ [٥] .

٦ ــ وممن أخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلم عبد العزيز بن عبد الله ابن إبراهيم الحصين الناصرى التميمى . فقد أخذ عن الشيخ وعن ابنائه وغيرهم فى الدرعية بعد أن سبق له أخذ الفقه أولا عن الشيخ إبراهيم بن محمد بن إسماعيل فى بلده شقراء . وتوفى رحمه الله فى ١٢ رجب سنة ١٢٣٧هـ [٦] .

٧ ــ ومن تلاميذه الشيخ سعيد بن حجى ـ رحل إلى الدرعية فقرأ على الشيخ كما أخذ عن ابنى الشيخ حسين وعبد الله وقرأ على الشيخ حمد بن ناصر بن معمر وغيرهم من علماء الدرعية ـ توفى عام ١٢٢٩هـ [٧] .

---

(١) عنوان المجد فى تاريخ نجد ٩٣/١.
(٢) الدرر السنية ٤٥/١٢ . ومشاهير علماء نجد ص ٤٩ . هامش ص ٢١٢-٢١٣ من عنوان المجد ج ١، ط المعارف ١٣٨٧هـ .
(٣) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٥١ . وانظر الدرر السنية ٤٧/١٢ .
(٤) الدرر السنية ٤٦/١٢ .
(٥) الدرر السنية ٤٧/١٢ . وابن بشر فى عنوان المجد ٩٤/١.
(٦) ابن بشر، عنوان المجد . . . ٢٣٢/١-٢٣٤ . والدرر السنية ٥٠/١٢.
(٧) عنوان لمجد . . لابن بشر ٩٤/١. وعلماء نجد خلال ستة قرون لابن بسام ٢٧٣/١ .

٨ ــ ومن تلاميذ الشيخ محمد بن سويلم[١]. ولد فى الدرعية ونشأ فيها. فأخذ يتلقى العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن ابنيه العالمين حسين وعبد الله وغيرهما.

قال ابن بسام ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله[٢].

٩ ــ ومن تلاميذ الشيخ، الشيخ عبد الرحمن بن خميس. الإمام فى قصر آل سعود[٣].

١٠ ــ وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشيخ عبد الرحمن بن نامى[٤]. ولد فى مدينة العيينة ونشأ بها ثم قرأ على علمائها، وكان ممن استجاب لدعوة الشيخ محمد إلى عقيدة السلف الصالح فهاجر إليه فى الدرعية وقرأ عليه واستفاد منه كما قرأ على الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد فأدرك ادراكا جيدا، وفى أول عام ١٢٣٤هـ أرسل إبراهيم باشا إلى الأحساء أمراءه السابقين آل عريعر فقتلوا حتى أئمة المساجد، وقبضوا على الشيخ عبد الرحمن بن نامى فأخذوا ماله ثم قتلوه ضمن من قتلوا ظلما وعدوانا فانتقل إلى ربه شهيدا رحمه الله[٥].

١١ ــ وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ محمد بن سلطان العوسجى[٦]. ولد فى بلدة ثادق ونشأ فيها ثم رحل إلى الدرعية، فشرع فى القراءة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ثم على ابنه الشيخ عبد الله وعلى الشيخ الفقيه حمد بن ناصر بن معمر حتى حصل فى التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول هذه العلوم. وتوفى فى الأحساء عام ١٢٢٣هـ[٧].

١٢ ــ وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا حسين[٨].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد . . . ١/٩٤.
(٢) علماء نجد خلال ستة قرون ٣/٧٩٩.
(٣) ابن بشر، عنوان المجد . . . ١/٩٤.
(٤) ابن بشر، عنوان المجد . . . ١/٩٤.
(٥) ابن بشر، عنوان المجد . . . ١/٢١٢-٢١٣. وعلماء نجد خلال ستة قرون لابن بسام ٢/٤٣٢.
(٦) ابن بشر، عنوان المجد . . . ١/٩٤.
(٧) علماء نجد خلال ستة قرون ٣/٨٠٩.
(٨) ابن بشر، عنوان المجد . . . ١/٩٤.

ومما يقول البسام : ولد فى بلدة أشيقر إحدى مدن الوشم ونشأ بها ثم رحل إلى المجمعة فى طلب العلم فأخذ الفقه عن قاضيها الشيخ أحمد بن محمد التويجرى ثم رحل إلى الدرعية وكانت آهلة بالعلماء الذين على رأسهم الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وابنه العلامة الشيخ عبد الله فتلقى العلم عنهما ولازم دروسهما حتى أدرك ، ولم أقف على تاريخ وفاته[1] .

١٣ ــ وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ حسن بن عبد الله بن عيدان[2] . قدم الدرعية فى أوج عزها ، فقرأ على الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلى غيره من علماء الدرعية كالشيخ عبد الله بن الشيخ والشيخ حمد بن ناصر بن معمر وغيرهما . توفى عام ١٢٠٢هـ [3] رحمه الله تعالى .

١٤ ــ وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ العالم عبد العزيز بن سويلم العرينى[4] . ولد فى الدرعية ، فلما شب وأخذ مبادىء الكتابة والقراءة شرع فى طلب العلم فتلقاه عن الإمام محمد بن عبد الوهاب ، ومازال مجدا فى تحصيله عليه وعلى ابنه الشيخ عبد الله حتى أدرك وتفقه . وتوفى فى بريدة فى ذى القعدة عام ١٢٤٤هـ [5] .

١٥ ــ وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ حمد بن راشد[6] . رحل إلى الدرعية لطلب العلم فأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن غيره من علماء الدرعية فأدرك فى الأصول والفقه . والظاهر أنه توفى فى آخر ولاية الإمام سعود فى سدير[7] .

---

(١) علماء نجد خلال ستة قرون ٣٩٨/٢ .
(٢) ابن بشر، عنوان المجد . . . ٩٤/١ .
(٣) علماء نجد خلال ستة قرون ٢١٤/١ .
(٤) ابن بشر، عنوان المجد . . . ٩٤/١ .
(٥) علماء نجد خلال ستة قرون . . ٤٦٣/٢ . وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد لمحمد القاضى ٢٥٤/١-٢٥٥ .
(٦) ابن بشر، عنوان المجد . . . ٩٤/١ .
(٧) علماء نجد خلال ستة قرون . . . ٢٢٣/١ .

١٦ ـ وكذلك أخذ عن الشيخ ابن ابنه عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ فى صغره[١]. وكم يذكر الشيخ عبد الرحمن قراءته على جده ويعبر عنه بلفظ شيخنا[٢] ـ وتتلمذ على الشيخ وأخذ عنه خلق كثير ممن لم نذكرهم.

قال ابن بشر: وأخذ عن الشيخ من القضاة ممن لا يحضرنى الآن عده ـ عدد كثير ـ وأخذ عنه ممن لم يل القضاء من الرؤساء والأعيان ومن دونهم الجم الغفير[٣].

ويقول الشيخ إبراهيم بن ضويان فى مخطوطته: «رفع النقاب عن تراجم الأصحاب»: «وأخذ عنه خلق ممن لم ينصب للقضاء يبلغون مائتين ـ وأخذ عنهم أضعاف أضعافهم»[٤].

مؤلفات الشيخ :

ذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم فى ترجمته للشيخ فى الجزء الثانى عشر من الدرر السنية من مؤلفاته ما يلى :

١ ـ كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد.
٢ ـ كتاب كشف الشبهات.
٣ ـ كتاب أصول الإيمان.
٤ ـ كتاب فضائل الإسلام.
٥ ـ كتاب فضائل القرآن.
٦ ـ كتاب السيرة المختصرة.
٧ ـ كتاب السيرة المطولة.
٨ ـ كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه.

---

(١) عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر ١/٩٣،٩٤.
(٢) سيأتى عن الشيخ عبد الرحمن بيان مفصل، فى باب أثر عقيدة الشيخ فى الفصل الثالث باعتباره شيخ عقيدة السلف الصالح فى الدور الثانى لدولة انصارها. فاقتصرنا هنا على ما ذكر.
(٣) عنوان المجد فى تاريخ نجد ١/٩٤،٩٥.
(٤) اللوحة ٧٤، ٧٥، تصوير مجلة الدارة، ع ٢/ رجب ١٣٩٨هـ .

٩ ـ كتاب مختصر الانصاف والشرح الكبير .
١٠ ـ كتاب مختصر الصواعق .
١١ ـ كتاب مختصر فتح البارى .
١٢ ـ كتاب مختصر الهدى .
١٣ ـ كتاب مختصر العقل والنقل .
١٤ ـ كتاب مختصر المنهاج .
١٥ ـ كتاب مختصر الإيمان .
١٦ ـ كتاب آداب المشى إلى الصلاة .

كتـــاب التوحيـــد :

أمـا كتـاب التـوحيد ، فهو الموجود بين أيدينا بعنوان : «كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد» ، والمصادر التاريخية تدل على أنه من أول مؤلفات الشيخ[(١)] .

فيـذكـر ابن غنـام : أن الشيـخ صنف كتـاب التـوحيد فى حريملاء أثناء إقامته الأولى فيها يدعو إلى التوحيد وينشر أعلامه[(٢)] .

بينـما يذكـر الشيـخ عبد الرحمن بن حسن : أن جده صنف «كتاب التوحيد» فى البصرة أخذه من الكتب التى فى مدارس البصرة من كتب الحديث[(٣)] .

ويمكن الجمـع بين ما ذكـراه بأن ابن غنـام : كان أول علمـه بهذا الكتـاب مصنفـا ، حين قرىء على مؤلفـه الشيـخ فى حريمـلاء ، ولم يعلمه مصنفا قبل ذلك ، سيـما وأن حريمـلاء هى أول ما نشـر الشيخ منها أعلام التوحيد الذى صنف من أجله هذا الكتاب ، وقرىء عليه فيها وانتشرت نسخه إلى سائر البلدان من حريملاء ، وما نفى ابن غنام أن يكون الشيخ قد استفاد كتاب التوحيد من كتب الحديث فى مدارس

(١) انظـر : الشيـخ محمـد بن عبـد الـوهاب ، حياته وفكره ، للدكتورعبد الله بن صالح العثيمين ، الفصل الرابع ، ص ص ٨١-١١٠ .
(٢) روضة ابن غنام ١/ ٣٠ .
(٣) الدرر السنية : ٩/ ٢٢٥ .

البصـرة، ولا أن يكـون الشيـخ قد فكـر فى تأليفـه قبل وجوده فى حريملاء إلا أنه يجوز اعتبـار حريمـلاء آخر مكان تم فيه تأليف هذا الكتاب الهام، والفراغ من تهذيبه حتى استـوى على بنـائـه الذى بقى عليه إلى اليوم. وأما الشيخ عبد الرحمن بن حسن فقد قال بها علم من جمع الشيخ لمادته من كتب الحديث بمدارس البصرة، وتخطيطه لبنائه، ورسـوم أبـوابـه لاسيما والشيخ عبد الرحمن حفيد المؤلف وتلميذ له، وقد قرأ فى مؤلفه هذا عليه من أوله إلى أبواب السحر[1]. ويؤيد هذا أن صاحب «التوضيح عن توحيد الخـلاق فى جواب أهـل العـراق» يذكر أن كتاب التوحيد هذا قد حرر وأمر عند شيوخ الشـاميـين كالشيـخ علي أفنـدى الـداغستانى وابن عمه الشيخ عبد الكريم، والشيخ عثمان الديار بكرى نزيل المدينة المنورة، والشيخ محمد السفارينى نزيل نابلس أرسلت إليـه نسخـة منـه وغـيرهم من شيـوخ الشيخ ومن غير شيوخه[2]. وذلك أثناء رحلاته العلميـة، فذلـك يدل على أن كتـاب التـوحيـد قد نشأ تأليفـه لدى الشيخ منذ وقت مبكر، ومازال يتم وينمو حتى استتم فى حريملاء.

وقـد لقي الكتـاب قبـولا عظيـما لدى العلماء والمتعلمـين، واعتنوا به وخدموه، فأولهم المعـاصـرون لمؤلفـه، تلقوه عنه بلهف وشوق، فقرأوا أبوابه عليه، وحفظوها، واستمعـوا شرحـه منه وتقـريـره عليـه، مباشرة، واستمرت العناية به إلى يومنا هذا، استنسخـه النـاس وطبعوه مراراً عديدة، ولا تحصى كثرة نسخه المنتشرة فى العالم. وقد أثنى عليـه العلماء ثنـاء جميـلا[3]، ومن ذلك ما يقول ابن بشر: «ما وضع المصنفون فى فنه أحسن منه، فانه أحسن فيه وأجاد، وبلغ الغاية والمراد»[4]. ووصفه الشيخ سليمان بن حمدان بقوله: «كتاب بديع الوضع عظيم النفع، لم أر من سبقه إلى مثاله أو نسج فى تأليفه على منواله، فكل باب منه قاعدة من القواعد ينبنى عليها كثير من الفوائد، وأكثـر أهـل زمـانه قد وقعوا فى الشرك الأكبر والأصغر، واعتقدوه دينا فلا يتاب منه ولا يستغفر، فألفه عن خبرة ومشاهدة للواقع، فكان لذلك الداء كالدواء النافع»[5].

---

(١) الدرر السنيه: ١٢/١٨.

(٢) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق . . . ص ١٩.

(٣) انظر: الدرر السنية جـ ٩/٢١٥.

(٤) عنوان المجد . . . جـ ١/٩٢.

(٥) الدرر النضيد على أبواب التوحيد، تأليف سليمان بن عبد الرحمن الحمدان، المقدمة ص ٥.

وكثـرت الشـروح والتعليقات عليه، فمنها تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن الشيخ عبـد الله بن الشيـخ محمـد بن عبد الوهاب، إلا أنه لم يتم، فكان تمامه من تهذيب الشيخ عبد الرحمن بن حسن بدءا من قوله: «باب ما جاء في المصورين»[1] إلى نهايـة الكتـاب، ومنهـا فتح المجيد شرح كتاب التوحيد «وهو تهذيب وتقريب وتكميل لتيسـير العـزيـز الحميد»، مع زيادة بعض النقول المستحسنة، تتميما للفائدة، وضعه الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ. وغير ذلك من الشروح والتعليقات المستمرة إلى الآن.

ويوجد هذا الكتاب ـ كتاب التوحيد ـ مخطوطا بالمكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٤٦٥/٨٦، كما يوجد مخطوطا بمكتبة الشيخ عبد الله الابراهيم التويجرى الخاصة ببريـدة، ضمن مجمـوعـة بخـط الشيخ عبد الله بن رشيد بن فرج. وبالمكتبة العلمية الصالحية بمسجد أم خمار بعنيزة، والناسخ: محمد بن منصور بتاريخ ٢٧/٤/١٣٠٢هـ[2]، وأفـاد الشيـخ البسـام أنـه يوجد لشرحه (فتح المجيد) مخطوطة فرغ من كتـابتهـا عام ١٢٨٤ بقلم عبـد العزيز بن صالح الصيرامي أي أنها كتبت في حيـاة المؤلف وخطهـا جميـل وواضـح وهي خاليـة من الأخطاء ومكتوب عليها توقيف زوجـة الإمـام فيصـل بن تركي ومنهـا هذه العبـارة: «الوكيل على ذلك ابنها محمد بن فيصل جرى ذلك في جمادى الأولى من سنة سبع وثمانين بعد المائتين والألف» أ ـ هـ مما كتبه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام من قرار تفصيلي عن هذه الرسالة إلى أمين المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة.

كشـــف الشـــبهات:

وأمـا كشف الشبهـات، فهـو رسـالـة عامة صنفها الشيخ جوابا لكثير من شبه المعـارضـين، التي أدلـوا بها على النـاس، وصـدوهم بها عن الإسـلام بألسنتهم وفي مصنفاتهم المنشورة[3].

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص ٦٣٢ الهامش.

(٢) انظر: مجلة البحث العلمي واحياء التراث الإسلامي، ع ٢ عام ١٣٩٩هـ ص ص ٣٤١، ٣٤٢، ٣٥١، ٣٥٢.

(٣) روضة ابن غنام، ١/٦١. وتحرير الأسد، ص ٢٣٣. و«الشيخ محمد بن عبد الوهاب...» للدكتور العثيمين، ص ٧٧.

أولهـا :

«إعلم رحمك الله تعالى أن التوحيد: هو افراد الله بالعبادة . . .»

يوجد لها نسخة مخطوطة عاصر كاتبها الشيخ المؤلف، وكان الفراغ من كتابتها وقت الظهر من يوم الخميس غرة شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٦هـ ، أى بعد وفاة المؤلف بعشر سنوات بخط أحمد بن عيسى بن بكرى، وهى محفوظة فى خزانة كتب دار المطبعة السلفية بالقاهرة برقم (٥١٣٨)[١].

ويوجد لها مخطوطة أخرى بالمكتبة السعودية بالرياض برقم ٨٢/٢٦٩. ومخطوطات أخرى[٢]، وهى مطبوعة متداولة.

وكتاب فضائل الإسلام :

هو كتاب فضل الإسلام الذى أوله: «باب فضل الإسلام» ويدور على بيان الإسلام وأنه سنة الرسل وليس بدعة.

يوجد مخطوطا من نسخ عديدة منها برقم ٨٢/٢٩٦ بالمكتبة السعودية بالرياض، ومنها بالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية، قسم المخطوطات تحت رقم ٢٩ ضمن مجموعة كتب أخرى، ونسخ أخرى كثيرة[٣]. وهو مطبوع متداول.

وكتاب أصول الإيمان، وقد زاد فيه بعض أولاده زيادة حسنة.

يوجد هذا الكتاب مخطوطا برقم ٨٦/٤٥٩ بالمكتبة السعودية بالرياض وفى غيرها[٤]. وهو مطبوع متداول.

وكتاب فضائل القرآن، يوجد له مخطوطتان: إحداهما تحت رقم ٨٦/٤٦٠ والأخرى تحت رقم ٨٦/٥١٦ فى المكتبة السعودية بالرياض، وهو عبارة عن مقدمة، جعلت فى أول ما جمعه ابن قاسم فى تفسير القرآن من مجموعته الدرر السنية جـ ١٠ ص ٣ وما بعدها.

---

(١) انظر: طبعة السلفية لـ «مجموعة التوحيد» ص ص ٢١٨-٢٣٤ .

(٢) مجلد البحث العلمى، ع ٢، س ١٣٩٩هـ ص ص٣٤١، ٣٥٢، ٣٦١، وع ٣ س ١٤٠٠هـ ص ٤٤١، ٤٤٦، ٤٤٧ .

(٣) مجلة البحث العلمى، ع ٢ س ١٣٩٩هـ ص ٣٤٠، وع ٣ س ١٤٠٠هـ ص ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٧ .

(٤) المصدر السابق ع ٢ س ١٣٩٩هـ ص ٣٤١ وع ٣ س ١٤٠٠هـ ص ٤٤٣، ٤٤٤ .

وفى مؤلفات الشيخ القسم الرابع، التفسير فى أوله كمقدمة بلغت (٤٠) ص.

مختصر سيرة الرسول ﷺ.

يوجد له مخطوطتان فى المكتبة السعودية بالرياض إحداهما بخط الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان رحمه الله تحت رقم ٨٦/٥١٨ - والثانية لم يسم كاتبها تحت رقم ٨٦/٤٩ وهو مطبوع متداول.

ويلاحظ أن ابن قاسم ذكر من مؤلفات الشيخ كتاب السيرة المختصرة وكتاب السيرة المطولة تبعا لابن غنام حيث ذكر أن من مؤلفات الشيخ: كتاب السيرة المختصرة وكتاب السيرة المطولة نحو مجلد[1]. فقول ابن غنام نحو مجلد كأنه يعنى المختصرة والمطولة كلاهما نحو مجلد. سيما وأن الموجود بين أيدينا للشيخ هو بعنوان مختصر سيرة الرسول ﷺ المطبوع بمطبعة السنة المحمدية وفى أوله مقدمة ذكرها الدكتور الضبيب بعنوان: «قصص الأولين والآخرين وما فيها من العبر والفوائد»[2] وطبعت مفردة ضمن الدرر السنية[3].

ومختصر سيرة الرسول ﷺ يوجد مخطوطا بعنوان: «مختصر سيرة ابن هشام والناسخ محمد بن سيف بن خالد، مفردا عن تلك المقدمة فى المكتبة العلمية العامة ببريدة وفى المكتبة السعودية بالرياض، ويذكر الدكتور العثيمين أن هذه المقدمة موجودة فى المتحف البريطانى[4].

ولم نطلع على كتابين للشيخ فى اختصار السيرة وإنما الموجود هو مختصر سيرة الرسول ﷺ هذا المطبوع الذى أوله: «الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. إعلم رحمك الله ...».

أما المختصر الأطول الموجود فهو من تأليف عبد الله بن الشيخ وليس من تأليف الشيخ والله أعلم.

---

(١) روضة ابن غنام، ١/٥٠.

(٢) الضبيب، سجل ببليوجرافى ص ٤٨.

(٣) ط ٢ جـ ٨/ من ص ٣-٢٤.

(٤) انظر: الشيخ محمد ... للدكتور العثيمين ص ٨٦-٨٨.

كتاب : **مجموع الحديث على أبواب الفقه :**

أوله : «بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين ـ والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

١ ــ عن أبي سعيد قال : قيل يا رسول الله أنتوضأ من بئر بضاعه وهي يلقى فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن؟ فقال رسول الله ﷺ : «الماء طهور لا ينجسه شيء» حسنه الترمذي وصححه أحمد .

لقد ورد ذكر هذا الكتاب ضمن ما ذكره ابن غنام من مصنفات الشيخ[(١)] . وطبع لأول مرة ضمن مؤلفات الشيخ التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمناسبة انعقاد مؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في قسم الحديث ، وشغل أربعة أجزاء كبار بتحقيق الدكتور خليل ملا خاطر ، والدكتور محمود ابن أحمد الطحان عن مخطوطة واحدة حسب معرفة الأمانة العامة للأسبوع[(٢)] . ويوجد في المكتبة السعودية بالرياض مخطوطة له تحت رقم ٨٦/١٨٦[(٣)] .

والكتاب كبير الحجم يقارب كتاب المنتقى لابن تيمية الجد ، بلغت فيه الأحاديث المرفوعة والموقوفة حوالي ستة وأربعين ألف حديث عدا الآثار من أقوال التابعين وفتاوى الأئمة المجتهدين ، والكتاب واسع في ذكر أحاديث الأحكام وفتاوى التابعين والأئمة والاجماع والتصحيح والتحسين والتضعيف وما قيل في الرواة المختلف في الاحتجاج بهم[(٤)] .

أما كتاب **مختصر الانصاف والشرح الكبير** فيوجد له مخطوطات كثيرة بمكتبات القصيم وحائل[(٥)] ، والرياض[(٦)] ، وقد طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة في ٥١٢ ص ثم طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود ضمن مؤلفات الشيخ في ٧٩٢ ص طبعة أخرى .

---

(١) انظر : روضة ابن غنام جـ ١ ص ٥٠ .
(٢) انظر : مؤلفات الشيخ ، قسم الحديث ، جزء ١ ص ٥ .
(٣) انظر : الشيخ محمد ، لابن عثيمين ، هامش ص ٩٤ وفيهْ وصف للمخطوطة .
(٤) انظر : مؤلفات الشيخ ، قسم الحديث ١/٢-٤ .
(٥) مجلة البحث العلمي ، عدد ٢ / ٣٣٢-٣٤٣ ، عدد ٣/٤٤٧ .
(٦) مؤلفات الشيخ ، القسم الثاني ، الفقه ، المجلد الأول ص ٥ .

وكتاب **مختصر الهدى** :

هو مختصر زاد المعاد لابن قيم الجوزيه، حوى خلاصة أصله ووفى بمقصوده، ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن أن شيخه وجده الشيخ محمد بن عبد الوهاب نسخ أصله الهدى النبوى فى المدينة بيده[1].

يوجد له مخطوطات اثنتان بالمكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٨٦/٤٨ وتحت رقم ٨٦/٤٩[2]، والثالثة بمكتبة مسجد أم حمار بعنيزة[3]، وأشار الدكتور عبد الله العثيمين إلى نسخة خطية هى الرابعة كتبها محمد بن سيف بن خميس سنة ١١٩٧هـ عنوانها مختصر الهدى النبوى - ولكن لم يذكر مكان وجودها[4]، ومخطوطتان إحداهما للشيخ عبد الرحمن بن محمد آل الشيخ، والثانية مخطوطة بمكتبة زهير الشاويش[5].

وقد طبعه المكتب الإسلامى فى بيروت عام ١٣٩١ فى ١٢ + ٤٠٨ ص، وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود ضمن مؤلفات الشيخ، القسم الرابع فى ٣٥١ ص.

أما آداب المشى إلى الصلاة :

فيوجد له خمس نسخ خطية اثنتان منها بالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية تحت رقم ٢٩/١٦٣ ورقم ٢٧/١٤١ والمكتبة السعودية تحت رقم ٨٦/٢٦٩[6]، وبمكتبة الشيخ عبد الله الابراهيم التويجرى ببريدة[7]وبمكتبة الشيخ عبد الرحمن الملق بحائل[8].

وطبع بالمطبعة السورتية ببمبى، ١٣٣٦هـ ، وفى القاهرة بمطبعة المنار، ١٣٤٠ وضمن مجموعة متون بمطبعة السلفية عام ١٣٤٥هـ من ص ٦٥-١٢٧، وطبع

---

(١) الدرر السنية : ٢١٦/٩ .
(٢) مؤلفات الشيخ الإمام، القسم الرابع.
(٣) مجلة البحث العلمى، عدد ٢ عام ١٣٩٩هـ ص ٣٥١.
(٤) الشيخ محمد . . . للدكتور العثيمين هامش رقم ٢ ص ٨٩.
(٥) الطبعة الأولى من مختصر الهدى النبوى بمطبعة المكتب الإسلامى ص ص، د، ط، ى.
(٦) انظر: مؤلفات الشيخ، الفقه، غلاف آداب المشى إلى الصلاة.
(٧) مجلة البحث العلمى، عدد ٢ سنة ١٣٩٩هـ ص ص ٣٤١-٣٤٢.
(٨) مجلة البحث العلمى، عدد ٣ سنة ١٤٠٠هـ ص ص ٤٤٦-٤٤٧.

باشـراف محمـد بن مانـع بمكة المكرمة المطبعة الماجدية ١٣٦٧هـ [١]، وتوالت طبعاته المدرسية حيث كان مقررا على تلاميذ المرحلة الابتدائية ـ وهو مأخوذ من شرح الاقناع المسمى كشـاف القنـاع عن متن الاقنـاع كما ذكـره ابن بشر فى تاريخه عند كلامه على مؤلفات الشيخ[٢].

ويظهـر هذا من المقـارنـة بين آداب المشى إلى الصلاة هذا وبين كشاف القناع عن متن الاقناع.

آداب المشى إلى الصلاة، عنوان لا يدل على كل مضمون الكتاب:

لقـد أفـرد كتـاب آداب المشى إلى الصـلاة بهذا العنـوان فى نسخـه المخطوطة والمطبـوعـة وهـو عنـوان أول أبـواب الكتـاب، حيث انـه يبدأ بباب آداب المشى إلى الصلاة، ويثنى بباب صفة الصلاة، وهكذا حتى يتم عشرين بابا فى الصلاة والزكاة والصيـام فأصبـح مضمـون الكتاب لا يقتصر على مدلول العنوان، كما أن العنوان لا يدل على كل ما تضمنـه الكتـاب، فهـل هذا من وضـع الشيخ نفسه أم لا؟ والجواب هو: أن الـذى يظهـر عدم قصـد الشيخ فى اختصاره الكتاب أن يقتصر على مضمون هذا العنوان، ولكنه قصد أن يختصر جزءا فى فقه الصلاة والزكاة والصيام على المنهج الـدراسى المجـزأ لتسهيل دراسته على طلاب العلم كما هو الشأن من قديم فى تقسيم الفقه إلى عبادات ومعاملات وغير ذلك. فأخذ هذا الجزء طابع الكتاب وأخذ عنوان أول أبـوابـه فيـما تعارف عليه طلاب العلم بينهم، وصار من باب تسمية الشىء باسم جزئـه، وذلـك من مجازات التسميـة، ويؤيـد ما ذكرنا أن هذا الجزء يبدأ مباشرة بباب آداب المشى إلى الصـلاة مما يبـين أنـه يبنى على أبـواب سابقـة. وهى الأبواب التى احتوت عليهما رسالة شروط الصلاة وكتاب الطهارة.

ولـذا فقـد علق الشيخ محمد بن مانع على هذا العنوان «باب آداب المشى إلى الصلاة» بقوله: «لم يذكر المصنف رحمه الله كتاب أحكام الوضوء وشروط الصلاة قبل

---

(١) انظر: الضبيب ببليوجرافى، ص ١١١، المواد ٥٥٣ـ٥٥٦.

(٢) عنوان المجد . . . ٩٢/١، ومجلة البحث العلمى عدد ٣ عام ١٤٠٠ ص ٢٦. وانظر للمقارنة ص ٢ من كتـاب آداب المشى . . ط جامعـة الإمـام ضمن مؤلفـات الشيـخ القسم الثانى الفقه. وص ٣٧٨ من كتاب كشـاف القنـاع. وص ٥ من آداب المشى. وص ٣٨١ من الكشـاف. وص ١٨ من الآداب. وص ٤٨١ من الكشاف. . الخ.

باب آداب المشى إلى الصلاة اكتفاء برسالة شروط الصلاة المتضمنة لذلك كله . وقد جرت العادة بقراءتها قبل هذا الكتاب فكأنها جزء منه» أ ـ هـ (١) .

كتاب أحكـــام الطهـــارة :

قد تضمن أحكام الطهارة فى المياه والآنية والاستنجاء والوضوء والمسح والغسل والتيمم ، والحيض والنفاس وما إلى ذلك .

طبعتـه جامعـة الإمام محمد بن سعود فى (٤٣ ص) لأول مرة ، ضمن مؤلفات الشيـخ بتصحيـح الشيـخ صالـح الأطـرم وزميله ، ويقولان انهما استندا فى نسبته إلى الشيخ محمد إلى فهارس المكتبة السعودية المدون فيها باسمه مخطوطا تحت رقم ٨٦/٥٢٠ .

ويقـولان : «إن أسلوب المخطـوطـة يتطـابق تمامـاً مع أسـاليب كتابات الشيخ وتصـانيفـه ورسائله رحمه الله تعالى وخاصة كثرة الاشارة إلى اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية»(٢) .

رسالة شروط الصلاة وأركانها وواجباتها :

يوجـد لها مخطـوطـة بالمكتبـة السعـوديـة بالرياض تحت رقـم ٨٦/٢٦٩ . وهى مطبوعة متداولة ، ومن المقررات المدرسية .

وقد أحسنت جامعة الإمام محمد بن سعود صنعاً فى ترتيبها هذه الأجزاء الثلاثة حيث طبعتهـا هكـذا : كتـاب الطهـارة ، ثم : شروط الصلاة ، ثم : آداب المشى إلى الصـلاة فكأن القـائمين على إعدادها تنبهوا للمناسبة والتى أرادها الشيخ ، لولا أنهم طبعـوا ملخصـا لشـروط الصـلاة بعـد آداب المشى إلى الصلاة معنوناً بعنوان أحكام الصـلاة ، وكـان حقـه أن يقـدم قبـل آداب المشى إلى الصـلاة ، لأنه خلاصة موجزة لشروط الصلاة المذكورة قبله ، ولعل ملاحظة العناوين فقط تسبب عنه هذا الخطأ .

---

(١) انظـر : ص ٣ من الطبعـة التى نشـرهـا محمـد سعيـد كمال لهذا الكتـاب كـمقـرر على السنة السادسة الابتدائية بتعليق محمد بن مانع مدير المعارف العام .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الثانى ، الفقه ، المجلد الثانى ، كتاب أحكام الطهارة . ص ٣ .

أمـا ما ذكـره الشيـخ ابن قاسم من مؤلفـات الشيـخ الأخـرى وهى مختصـر الصـواعق، ومختصـر فتح البـارى ومختصـر العقـل والنقل، ومختصر الايمان، ومختصر المنهـاج - فما وجـدتهـا مخطوطة ولا مطبوعة إلا أن يكون مختصر المنهاج هورسالة فى الرد على الـرافضـة التى نشـرتهـا جامعـة الإمام محمد بن سعود لأول مرة بتحقيق الدكتور ناصر الرشيد، وإنه ليحتمل أن يكون هو المراد بمختصر المنهاج المنسوب للشيخ حيث أن مبـاحثـه شبيهـة بمبـاحث منهـاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية وجاء فى أوله بعد المقدمة القصيرة: «فهذا مختصر مفيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب».

لكن هذه الـرسـالـة مستخلص قصيـر جدا، لا نسبة بينها وبين المنهاج. وهذه الرسالة هى غير رد ابن الشيخ، الشيخ عبد الله على الرافضة والزيدية.

رسـالة فى الـرد على الرافضة:

طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود ضمن مطبوعاتها لمؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، بتحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد ويذكر المحقق أنه لم يسبق لها أن طبعت[١]. وطبعت طبعة ثانية مفردة باشراف دار المأمون للتراث ١٤٠٠هـ. وجاء فى أولها بعد مقدمة قصيرة بحمد الله والصلاة على رسوله قول هذا نصه: «فهذا مختصر مفيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب» فلعله هو مختصر المنهاج الذى ذكره ابن قاسم[٢]، وغيره من مؤلفات الشيخ، والمنهاج هومنهاج أهل السنة رد على الرافضة لابن تيمية، وهـذا المختصـر غير رد ابنـه عبـد الله على الـرافضـة والـزيدية. وبلغ عدد صفحاته مطبوعا ٥٦ صفحة ويشمل مطالب أو مباحث هى: الوصية بالخلافة، وانكار خلافة الخلفـاء، دعـوى الرافضة ارتداد الصحابة، ونقص القرآن، والسب والتقية، وسبهم عائشـة، وتكفـير من حارب عليـا واستهانتهم بأسماء الصحابة، وانحصار الخلافة فى اثنى عشر، والعصمة، وخلافهم فى خروج غيرهم من النار، ومخالفتهم لأهل السنة، والرجعة، ومشابهتهم اليهود والنصارى والمجوس وغير ذلك.

وقـال عبـد الـرحمن بن قاسم: «ولـه (أى الشيـخ) رسـائـل وأجوبة فى التوحيد والنصـائـح وأجـوبة فى الفقه كثيرة ومفيدة تقدمت فى هذا الكتاب (أى الدرر السنية)

(١) انظر مقدمته لمختصر سورة الأنفال، ملحق المصنفات، مؤلفات الشيخ ص ٣.

(٢) انظر: الدرر السنية جزء ١٢، تراجم، ترجمة الشيخ، ص ؟؟؟؟

على حسب الترتيب وله من المسائل المستنبطات من كتاب الله ما يقصر عنه فهم الفحول الأفاضل، ولا يقدر على ابرازه ذوو التدقيق من الأماثل تكلم على غالب السور واستنبط منها من الفوائد ما لم يسبق له» أ ـ هـ [1].

وقد قمت بتتبع أجزاء الدرر السنية لمعرفة ما هو للشيخ من متفرقات الأجوبة والرسائل والفوائد ثم قمت بتحديد مواضعها من هذا المجموع الكبير بأرقام الصفحات.

وفيما يلى بيان احصائى بذلك مرتبا حسب ترتيب جامع الدرر السنية :

فى الأجوبة النجدية ـ الطبعة الثانية عام ١٣٨٥هـ، مطابع المكتب الإسلامى :

١ ـ الجزء الأول :

وهو فى العقيدة ويقصد التوحيد العلمى الخبرى فيه للشيخ أربعة وثلاثون جوابا من ص ٢٨-١١٠. فيساوى عدد صفحات ما للشيخ فى هذا الجزء ٨٢ صفحة.

٢ ـ الجزء الثانى :

وهو فى التوحيد ويقصد بذلك توحيد القصد والطلب الذى هو توحيد العبادة ـ فيه للشيخ خمسة وأربعون جوابا من ص ٣-٧٣ + ص ١٧٦.

فيساوى عدد صفحات ما للشيخ فى هذا الجزء ٧١ صفحة.

٣ ـ الجزء الثالث :

وهو فى الأسماء والصفات ـ فيه للشيخ جواب واحد من ص ٨١ـ ٨٥. فيساوى عدد صفحات ما للشيخ فى هذا الجزء ٤ صفحات.

٤ ـ الجزء الرابع :

وهو :

أ ـ فى الأصول الفقهية : فيه للشيخ أربعة أجوبة من ص ٣-٦.

ب ـ وفى العبادات : للشيخ أربعة وأربعون جوابا وموضوعا من ص ٦٩-٧٢، ص ٧٨، وص ٧٩-٨٠، ص ٨٢، ص ٩٨، ص ١٠٥،

(١) الدرر السنية ١٢/ ١٨، ١٩.

ص ١٠٩-١١٠، ص ١١٤، ص ١٣١، ١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣-١٤٨، ١٤٩، ١٦١-١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٩٣، ٢٢٨، ٢٤١، ٢٤٢ ،٢٥٠، ٢٧٨-٢٧٩، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٢٥-٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩-٣٣٠، ٣٣٩-٣٤٠، ٣٥٠، ٣٨٥، ٣٩٤، ٤١٠، ٤١٤.

ومن أهم ما فيها رسالة : شروط الصلاة وأركانها وواجباتها التى نشرت فى غير الدرر السنية كثيرا وضمن مجموعات أخرى مختلفة(١).

فيساوى عدد صفحات ما للشيخ فى هذا الجزء ٦١ صفحة تقريبا.

٥ ـ الجـزء الخامس :

وهو فى البيع والربا والسلم والقرض والضمان والحجر والشركة والمساقاة والاجارة والغصب والشفعة واللقطة والوقف والهبة أو العطية والفرائض.

فيه للشيخ خمسة وخمسون جوابا تقع فى : ص ص ١٠، ١٢، ١٦، ١٨، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤١-٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٥٨، ٥٩، ٦١-٦٣، ٧٠، ٧٣، ٨٣، ٨٩، ١٠٢، ١٠٤، ١١٨، ١٢٠-١٢١، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٠، ١٦١، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٢، ٢٠٢، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٣٠٧-٣٠٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٥٦-٢٦٥، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤.

ويساوى عدد صفحات ما كتبه الشيخ فى هذا الجزء ٦٧ صفحة تقريبا.

٦ ـ الجـزء السادس :

وهو فى النكاح ـ فى : وليمة العرس، الطلاق، الظهار، العدد، الرضاع، النفقات، الجنايات، الديات، الزكاة، القضاء، القسمة، الدعاوى والبينات، الشهادات. فيه للشيخ ٢٨ جوابا.

فى ص ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٧، ٣٨٨. ٣٨٩، ٣٩٠، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٨، ٤٣٧، ٤٤٥، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٩١-٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٥، ٥١٩، ٥٢٠.

(١) انظر: الضبيب ببليوجرافى ص.ص ١١٢-١١٤، المواد ٢٦٥-٥٨٠.

ويساوى مجموع ما للشيخ من الصفحات ٣١ صفحة تقريبا فى هذا الجزء.

٧ ــ الجــزء السابع :

وهو ـ كتاب الجهاد ـ فيه للشيخ اثنا عشر موضعا.

تقــع فى الـصـفـحـات : ٣، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٥٠-٥٦، ٥٧، ٢٣٩، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٨٨.

ويساوى عدد مجموع صفحات ما للشيخ فى هذا الجزء ١٩ صفحة تقريبا.

٨ ــ الجــزء الثامن :

وهـو فى حكم المـرتـد ـ فيـه للشيخ تسعة وعشرون موضعا أولها كتاب : مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد. تقع فى الصفحات : ٣ ـ ٤٩ ـ ٥١، ٥٢ ـ ٦١ ـ ٧٥، ٧٦-٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠-٩٧، ٩٨-١٠٧، ٢٤٤، ٢٤٥.

ويساوى عدد صفحات ما للشيخ فى هذا الجزء ٩٦ صفحة تقريبا.

٩ ــ الجــزء التاسع :

وهو فى : «مختصرات الردود» وليس فيه للشيخ شىء.

١٠ ــ الجــزء العاشر :

وهو فى تفسير القرآن ـ فيه للشيخ ثمانية وسبعون موضعا ـ تقع فى الصفحات : ٣-١٠، ٢٦، ٢٧-٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٩-٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥-٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤-٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠-٦٢، ٦٣-٧٠، ٧١، ٧٢، ٨١-٨٦، ٩١-١٠٢، ١٠٤-١٦٠، ١٦٢-١٧٨، ١٨٣-٢٠٠.

ويساوى مجموع صفحات ما للشيخ فى هذا الجزء ١٥٠ صفحة.

١١ ــ فى «النصائح» وليس فيه للشيخ شىء.

١٢ ــ فى الـتراجم ـ وفيـه ترجمـة للشيخ بقلم مؤلف وجامع الدرر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

ويصبح مجموع صفحات ما للشيخ فى هذه الأجزاء كلها = ٨٢ + ٧١ + ٤ + ٦١ + ٦٧ + ٣١ + ١٩ + ١٥٠ = ٤٨٥ صفحة.

وهـذه تسـاوى مجلدا كبـيرا لو جمعت وضمت مع بعضها. وقد نبه جامع الدرر السنية أنه لم يتعرض إلا للفتاوى والرسائل وما كان مختصرا نحو الكراستين فأقل، أما

الـردود والكتب الكبـار المشهـورة المتـداولـة ، فهى مستقلة على حدتها ، مستغنية عن اثباتها فى هذا المجموع .

هذا ومن مؤلفات الشيخ ورسائله الجديرة بالتنويه أيضا ما يلى :

رسالة : ثلاثة الأصول وأدلتها :

ويظهر أن هذا العنوان هو أول ما عنونت به هذه الرسالة ، فاذا لاحظنا طبعاتها الأولى نجـد أن عنـوانهـا هكـذا كما دون أعـلاه ، فمثلا طبعتها ضمن مجموعة نشرها عيسى بن رميـح سنـة ١٣٣٨هـ ، وطبعتهـا سنـة ١٣٤٠هـ بمطبعة المنار وطبعتها سنة ١٣٤٥هـ بالمطبعـة السلفيـة بالقـاهـرة ضمن مجمـوعـة متون[١] ، كلها بهذا العنوان ، وكذلك إذا لاحظنا تعبيرات بعض المؤرخين والعلماء عنها فانهم يعبرون عنها بهذا العنوان[٢]

وقـد عنـونت هذه الـرسـالـة بعناوين تختلف بترتيب ألفاظها ، وبالألفاظ ذاتها وبالاختصار والطول ، فمرة بعنوان : «ثلاثة الأصول»[٣] وأخرى : «ثلاثة الأصول وأدلتهـا»[٤] وثـالثـة : «الأصـول الثـلاثة وأدلتها»[٥] ورابعة : «الأصول الثلاثة الواجبة على كل مسلم ومسلمـة»[٦] وخـامسـة : «تلقين أصول العقيدة للعامة»[٧] وسادسة : «أصول الدين الإسلامى»[٨] وسابعة : «مبادىء الإسلام»[٩] .

وهـذه العنـاوين موضـوعهـا واحـد وإن اختلفت محتوياتها طولا وقصرا وبسطا وإيجازا يوجـد لها مخطـوطـة تحت رقم ٨٦/٢٦٩ فى المكتبـة السعـودية بالرياض وتبدأ بعض نسخهـا ببيـان الأصـول الثـلاثـة بلا مقـدمـات وبعض نسخهـا المطـولـة تبدأ

(١) انظر : الضبيب ، ببليوجرافيا ، الأصول الثلاثة ، ص ٢٩ .
(٢) انظر : تاريخ ابن بشر ، ط مكة ، جـ ١ / ص ١٤ .
(٣) انظر : حاشية ثلاثة الأصول ، الغلاف .
(٤) انظر : المجموعة السعودية تصحيح ابن حميد ، ص ٢٢١ .
(٥) انظر : الأصول الثلاثة ، الغلاف .
(٦) انظر : مجموعة التوحيد ص ٢٦٢ .
(٧) انظر : المصدر السابق ، ص ٢٥٧ .
(٨) انظر : أصول الدين ، ترتيب الطيب ، الغلاف .
(٩) انظر : مبادىء الإسلام ، الغلاف .

بمقدمات قصار ثلاث مرتبطة تستهل الأولى والثانية بقوله : «إعلم رحمك الله» والثالثة بقوله : «إعلم أرشدك الله لطاعته».

القواعــد الأربــع :

فى تمييز المسلم من المشرك ـ مطولة ومختصرة، وأول المطولة : «أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك فى الدنيا والآخرة وأن يجعلك مباركا أينما كنت». توجد مخطوطة بالمكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٢٦٩ / ٨٦ وبالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت ١٤٢ ورقم ١٦٣ مع المجموعة رقم ٢٩ . وهى مطبوعة متداولة فى مجموعة التوحيد وغيرها.

كتاب : مســائل الجاهليــة :

التى خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية ـ يوجد له مخطوطات بمكتبات خاصة[1]. وهو مطبوع متداول بتعداد مختلف لهذه المسائل اختلافا سهلا فى الزيادة والنقص ولا يضر ذلك لأن الكتاب صحيح النسبة إلى الشيخ ـ والزيادة والنقص إنما هو فى تعداد المسائل.

فبعض النساخ يجعل المسألتين والثلاث واحدة والبعض الآخر يجعل لكل مسألة عدداً خاصا كما يفعل الشيخ الألوسى فى الرابعة والخمسين والخامسة والخمسين وهكذا.

كتاب : مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد :

يوجد مخطوطا بالمكتبات الخاصة[2]. وهو مطبوع متداول، وجعله جامع الدرر السنية فى أول جزء حكم المرتد وما جعل له عنوانا.

وابن غنام ذكر أن الشيخ أرسل هذا الكتاب لأهل العيينة يبطل ما موه به سليمان بن عبد الوهاب فى كتابه إليهم وما جعل له عنوانا.

---

(١) مجلة البحث العلمى ع ٣ س ١٤٠٠هـ ص ص ٤٤٣-٤٤٤.

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول العقيدة، هامش ص ٢٨٦-٢٩٤ ومجلة البحث العلمى عدد ٢ س ١٣٩٩هـ ص ٣٤١، وع ٣ س ١٤٠٠هـ ص ٤٤١، وص ٤٤٤.

وكتاب الكبـــائر :

أوله : كتاب الكبائر، وقول الله تعالى : ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ، نكفر عنكم سيئاتكم﴾ الآية .

يوجد مخطوطا فى ثلاث نسخ : مخطوطة مكتبة الشيخ محمد بن إبراهيم ومخطوطة محمد بن عبد اللطيف، ومخطوطة الحصين[(١)]، ونسخ أخرى[(٢)]، وهومطبوع متداول .

الخطب المنبرية له ولبعض أحفاده :

هذا الكتـــاب مطبـــوع طبعـات مختلفـة فطبعـة أم القـرى سنـة ١٣٤٥هـ فى ٨٣ ص، وطبعة السلفية بلا تاريخ فى ٩٠ + ٢ ص تحتوى على خمس وسبعين خطبة وعنـوانهـا: خطب إمـام الـدعـوة الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأحفاده وبعض تلاميـذه . وطبعـة جامعـة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية وتحتوى على ثمان وثلاثين خطبة بعنوان الخطب المنبرية للشيخ محمد بن عبد الوهاب فى ٦٦ ص .

كتـاب بعنـوان : هذه أحـاديث فى الفتن والحوادث التى أخبر النبى ﷺ أنها ستكون بعده جمعها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

يوجـد له مخطـوطـة فى المكتبـة السعـوديـة بالـريـاض تحت رقم ٨٦/٥٢٥ ذكر ناسخها أنه نقلها من خط المؤلف نفسه .

وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود لأول مرة ضمن مؤلفات الشيخ بتحقيق محمد محرز حسن سلامه وزميله فى ٢٩١ صفحة، ويذكر المحققان أن أصله المخطوط ضم أحاديث فى موضوعات عدة بدون تبويب لها أو مراعاة لوحدة الموضوع ولم يكن فى أوله خطبة الكتاب مما يغلب على الظن أنه كان مسودة فى دور الاعداد لم ينل حظه من التبويب أو التنسيق وأنهما وضعا لها أبوابا تعين وحدة الموضوع أخرجاها اخراجا حسنا ييسر الانتفاع بها. . الخ[(٣)].

---

(١) انظـر: ص ٣ من كتـاب الكبـائـر، ط رئـاسـة إدارات البحـوث العلمية وهامش ص ٣ من مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب الكبائر.

(٢) مجلة البحث العلمى ع ٣ س ١٤٠٠هـ ص ص ٤٤٢-٤٤٤ .

(٣) مؤلفات الشيخ، قسم الحديث، المجلد الثالث، ص ١٠ .

كتاب أحكام تمنى المــوت :

هو مجموعة أحاديث تتناول أمورا تتعلق بالموت والقبر، وحالة الأرواح المقبوضة فى البرزخ، ليست مبوبة بعناوين سوى الفهرس الذى هو من عمل المصحح، ويظهر أنه اختصار لكتاب الروح لابن قيم الجوزيه.

أولـه : الحمـد لله رب العـالمين، اللهم صلى على محمد وآله وصحبه وسلم، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فان كان لابد متمنيا ، فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى . . . ».

طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لأول مرة عن نسخة مصورة من مخطـوطـة بالمكتبـة السعـوديـة بالرياض برقم ٩٦/٧٧١ بتصحيح ومقابلة الشيخ عبد الـرحمن بن محمـد السـدحـان وزميله، ضمن مؤلفـات الشيـخ بقسم الفقـه فى ٧٨ صفحة، ويذكر الدكتور العثيمين أنه يوجد له مخطوط فى مكتبة لايدن بهولندا تحت رقم ٢٤٧٩[١].

وقـد صنفـه المصنفـون فى قسم الفقـه وهـو عبـارة عن مجموعة أحاديث فى أمور تتعلق بالموت وما بعده إلى البرزخ !

مختصر تفسير سورة الأنفال :

طبعتـه لأول مرة جامعـة الإمام ضمن مؤلفات الشيخ ضمن ملحق المصنفات فى ٢٨ ص بتحقيق الـدكتـور ناصـر بن سعـد الـرشيـد من مخطوطة فى مكتبة الأوقاف ببغـداد صورهـا مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بكلية الشريعة بمكة ويظهـر أنـه مختصـر من مجموعة تفاسير كابن كثير والطبرى وابن الجوزى وغيرهما من تفاسير السلف الصالح[٢].

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره، ص ص ٩٣، ٩٤.

(٢) انظر: الصفحات: ١٠، ١١، ١٢ وما بعدها. ط جامعة الإمام.

كتاب بعنوان : هذه مسائل لخصها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية :

أوله : «(١) ان قوله : «إنما الأعمال بالنيات» عام، خلافا لما عليه أكثر الشراح . . » وهو شامل لمسائل عديدة فى التوحيد بجميع أنواعه وفى الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، وتبلغ هذه المسائل عدد مائة وخمس وثلاثين مسألة .

وهو أثر من آثار الشيخ يبين لنا مدى تحصيل الشيخ العلمى ودراسته الجادة لمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وانتمائه الأكيد إلى مدرسته السلفية الجامعة للمعقول والمنقول كما هى روح الإسلام، فهووثيقة تدل على مصدر عظيم من مصادر الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلمية .

ويوجد مخطوطا بالمكتبة السعودية بالرياض برقم ٨٦/٦٧٨ وصورة من هذه المخطوطة فى مكتبة الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ[١] .

وقد طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود بمراجعة محمد بن عبد العزيز النمي وزميله فى ١٩٩ صفحة[٢] .

أربع قواعد تدور عليها الأحكام :

أولها : قال الشيخ محمد رحمه الله : «هذه أربع قواعد من قواعد الدين التى تدور الأحكام عليها . . . » .

توجد مخطوطة ضمن مجموعة فى المكتبة السعودية برقم ٨٦/٨٩ وقد طبعت ضمن الدرر، وضمن مؤلفات الشيخ .

مبحث الاجتهاد والاختلاف :

مختصر من كتاب أعلام الموقعين لابن القيم، الجزء ٤، ص ص ١١٩-١٦٢ .

يوجد مخطوطا بالمكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٧٧٢-٨٨٦ وقد طبع ضمن مؤلفات الشيخ .

---

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، طبعة جامعة الإمام ص ٩ .
(٢) المصدر السابق .

رسالة في إبطال وقف الجنف والاثم :

أولها : «هذه كلمات جواب الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجنف والاثم ونحن نذكر قبل ذلك صورة المسألة، ثم نتكلم على الأدلة . . . ».

طبعت بعنوان : «فتوى لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، مع مذكرة في قضية المحرومين»، لأحمد محمد شاكر، طبعتها دار المعارف بالقاهرة، سنة ١٣٧٢هـ ، وطبعت ضمن روضة ابن غنام جـ ١/ ص ص ١٢٤-١٣٨، وضمن مؤلفات الشيخ وطبعات أخرى[1].

وقد قام المسؤولون بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بجمع وطبع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره بمجموعة خاصة انفردت بمؤلفات الشيخ فقط وتميزت بذلك عن المجاميع الأخرى، وبسبقها إلى طبع ونشر مؤلفات للشيخ لم تطبع من قبل.

وعدد مجلدات هذه المجموعة التي سميت باسم : «مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» اثنا عشر مجلدا، فالأول في العقيدة والآداب الإسلامية مجلد واحد.

وخمس مجلدات في الحديث.

ومجلدان في الفقه.

ومجلد في التفسير ومختصر زاد المعاد.

ومجلد في مختصر سيرة الرسول ﷺ .

والفتاوى.

ومجلد في الرسائل الشخصية.

ومجلد في ملحق المصنفات.

فأما مجلد العقيدة والآداب الإسلامية فهي القسم الأول ويتضمن :

كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وثلاثة الأصول، والقواعد الأربع، وفضل الإسلام وأصول الايمان، وكتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، ومجموعة رسائل في التوحيد والايمان : هي مسائل الجاهلية وشرح ستة مواضع من السيرة وتفسير كلمة

---

(١) انظر: الضبيب، آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب، سجل ببليوجرافي. ص ص ١١١-١١٢.

التـوحيـد، وتلقـين أصـول العقيدة للعامة وثلاث مسائل، ومعنى الطاغوت والأصل الجامع لعبادة الله وحده وبعض فوائد سورة الفاتحة ونواقض الإسلام ومسائل مستنبطة من قول الله تعـالى : ﴿وأن المسـاجـد لله فلا تدعـوا مع الله أحـد﴾ وثـمان حالات استنبطها الشيخ من قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى﴾ الآية، وستة أصول عظيمة مفيدة، ورسالة فى توحيد العبادة وكتاب الكبائر.

وأما مجلدات الحديث فهى تتضمن :

مجموع الحديث فى الأحكام على أبواب الفقه أربعة أجزاء، طبع لأول مرة فى هذه المجموعة وهو جيد مفيد واسع فى ذكر الأحكام والآثار.

ومجلدا فى أحـاديث الفتن والحـوادث، وأشراط الساعة، وخروج الدجال، وما جاء فى المهـدى ونـزول عيسى عليـه السـلام، وغـير ذلـك. والمجلدان فى الفقه فهما القسم الثانى أحدهما مختصر الانصاف والشرح الكبير.

والثـانى يتضمن نبـذا فى الأصـول الفقهيـة وكتـاب الطهـارة وشـروط الصلاة وأركانها وواجباتها وآداب المشى إلى الصلاة، وأحكام الصلاة، وأحكام تمنى الموت، وأحـوال الأرواح، والقـبر والأهوال من السنة والأثر. وكان الأنسب أن يوضع فى قسم الحديث لأنه مجموعة أحاديث.

ومجلد التفسـير ومختصـر زاد المعـاد فهـو القسم الرابع فى فضائل القرآن وتفسير آيـات من القـرآن الكـريم من سورة الفـاتحـة حتى سورة الناس، وهذا التفسير أشبه باستنبـاط فوائـد من الآيـات التى وقـع عليها الاختيار- ويتضمن مختصر زاد المعاد فى الهدى النبوى لابن القيم اختصره الشيخ.

ومجلد مختصـر السـيرة والفتـاوى فهـو القسم الثـالـث يتضمن : مختصـر سيرة الرسول ﷺ، وفتاوى ومسائل للشيخ متفرقة.

ومجلد الـرسـائل الشخصية فهى القسم الخامس، وتشتمل على رسائل الشيخ الشخصيـة فى بيـان عقيـدتـه وحقيقة دعوته ورد ما الصق به من التهم الباطلة، وبيان أنـواع التـوحيـد ومعنى لا إلـه إلا الله وبيـان ما يناقضها من الشرك فى العبادة، وبيان الأشياء التى يكفر مرتكبها ويجب قتاله والفرق بين فهم الحجة وقيام الحجة وتوجيهات عامة للمسلمين فى العقيدة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وآخر هذه المجلدات الاثنى عشر مجلد ملحق المصنفات يتضمن مسائل لخصها الشيخ من كلام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ومختصر تفسير سورة الأنفال، والرد على الرافضة، وبعض فوائد صلح الحديبية، والخطب المنبرية .

هذا وقد قام بتصنيف هذه المؤلفات واعدادها للتصحيح الشيخ عبد العزيز بن زيد الرومى والدكتور محمد بلتاجى والدكتور سيد حجاب وطبعت طبعة خاصة باسم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعد أن صححت وحققت بواسطة لجان علمية مكونة من العلماء المتخصصين ذوى الصلة الوثيقة بنوع وطبيعة ما يراجعونه من مؤلفات الشيخ ومن ذوى الخبرات فى البحوث العلمية قدر الاستطاعة(١) .

ولكن عند تفقدى لمؤلفات الشيخ فى هذه المجموعة القيمة لم أجد قليلا من آثار الشيخ ضمنها، كمختصر تفسير سورة الاخلاص والمعوذتين، لابن القيم .

وهذا يوجد مخطوطا بمكتبة الآثار العامة ببغداد تحت رقم ٣٥١٧٩(٢) .

وكنبذ ومسائل ورسائل للشيخ هى موجودة فى الدرر السنية جمع ابن قاسم مثل تفسير الاستعاذة وهى فى الدرر السنية ج ١٠/ ص ص ٣٥-٣٦ وتفسير أول سورة البقرة: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ الآيات وهى فى الدرر السنية ج ١٠ ص ص ٣٩-٤٢، ج ١ ص ص ٥٩-٦٢، ص ٧٨-٨٠، ص ص ٩٥-٩٩، ص ١٠٧، ص ١٠٢، ١٠٥ .

ومسائل فى التوحيد وهى فى الدرر السنية ج ٢ ص ص ٣٨-٣٩، ص ص ٤٢-٤٦، ص ص ٥٠-٥٢، ص ٦٦، ج ٦ ص ص ٤٩٥-٤٩٦، وج ٧ ص ص ٣٤٦-٣٤٧، وج ٨ ص ٨٧ وغير ذلك .

ورسالة شخصية موجهة من الشيخ محمد إلى الشيخ عبد الله بن عيسى أولها: «من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وما ذكرت أن الحمولة زعلين من تلك الكلمة . . » وهى فى الدرر السنية ج ٧ ص ص ٢٨-٢٩ .

ورسائل فى معنى لا إله إلا الله :

---

(١) انظر: تقديم أمانة المؤتمر لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية، ص ص ٥-٦ .

(٢) فهرس المصورات الميكروفيلمية ، التابعة لمركز البحث العلمي واحياء التراث الإسلامى بكلية الشريعة بجامعة أم القرى، رقم ١٢٣ .

عنوان الأولى : «هـذه كلمات في بيـان شهـادة أن لا إله إلا الله وبيان التوحيد الذى هو حق الله على العبيد» وهى موجودة ضمن الدرر السنية ج ٢ ص ص ٥٢-٥٨ .

والثانية أولها : «هذه كلمات فى معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» وتوجد فى الدرر السنية ج ٢ ص ص ٤٤-٤٨ .

والثـالثـة بعنـوان : «فـرض معـرفـة شهادة أن لا إله إلا الله قبل فرض الصلاة والصوم» وتوجد فى الدرر السنية ج ٢ ص ٦١ .

والـرابعـة : أن معنى لا إله إلا الله نفى وإثبات تنفي أربعة أنواع وتثبت أربعة أنواع . وتوجد فى الدرر السنية ج ٢ ص ٦٢ .

والخـامسـة : فى كلمـة التـوحيـد ـ أولهـا : «إعلم أرشـدك الله أن الله خلقـك لعبادته» وتوجد فى الدرر السنية ج ٢ ص ص ٦٢-٦٥ .

وجـواب سؤ ال عن معنى أبيـات أولها : أول واجب على الإنسان معرفة الإله باستيقان . وتوجد فى الدرر السنية ج ١ ص ص ٦٩-٧١ . وغير ذلك قليل .

ورسـالـة فى التقليد الممنوع والمأذون فيه والمباح ، واتباع الدليل للشيخ محمد بن عبد الوهاب وهى موجودة فى روضة ابن غنام ، ج ١ ص ص ٤٢-٤٦ .

وهى مخطـوطـة بالمكتبـة العـامـة بتطـوان بالمغرب الأقصى ، ونقلت صورة عن صورتها من الشيخ حماد الأنصارى .

وحصـل فى التصنيف قليـل من الخطأ الفنى كوضـع كتـاب أحكام تمنى الموت «وهو عبارة عن مجموعة أحاديث فى قسم الفقه .

وكتكـرار بعض آثـار الشيـخ كما وقـع تكـرار نبـذة فى اتبـاع النصوص طبعته فى القسم الثانى ، الفقه ، المجلد الثانى ص ٣ ثم كررت فى القسم الثالث ، الفتاوى ص ٩٧ .

وكـما يوجـد فى القسم الثانى ، الفقه ، المجلد الثانى ص ص ١١-١٢ هومكرر فى القسم الثالث الفتاوى فى ص ص ٢٧-٤٠ .

وكما وقع فى تفسير سورة طـه من ص ض ٢٦٣-٢٦٨ فى القسم الرابع هوبعينه الـذى وقـع فى القسم الثالث ، الفتاوى ص ص ٧٥-٧٩ ، وفى تفسير سورة هـود من

ص ١٢٠-١٢٣ فى القسم الرابع هو بعينه الذى وقع فى القسم الثالث، الفتاوى، ص ص ٥-٨ وغير ذلك قليل.

ولم ينفرد شىء من المراجع الأخرى كتاريخ ابن غنام ومجموعتى التوحيد والحديث ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية بأجزائها الأربعة بذكر شىء من مؤلفات الشيخ ليس فى مجموعتى الدرر السنية، ومؤلفات الشيخ، وهما أشمل ما ظهر حتى الآن من مجاميع لمؤلفاته.

تحقيق نسبة بعض الرسائل الشخصية من آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

يقول الدكتور عبد الله العثيمين : إن بعض الرسائل المضافة إلى ما ورد فى تاريخ ابن غنام ليس فيها ما يرجح كونها من رسائل الشيخ نفسه، ويمثل بالرسالة التى أرسلها الشيخ إلى عالم من أهل المدينة، والرسالة التى بعثها الشيخ إلى عبد الله الصنعانى والرسالة التى بعثها الشيخ إلى أهل المغرب، ورسالة رابعة جواب من الشيخ عن كتاب لم يقف على اسم كاتبه.

فيقول عن الأولى التى أرسلها الشيخ إلى عالم من أهل المدينة بأنها لم ترد إلا فى الدرر السنية، ولم يذكر اسم العالم الذى أرسلت إليه ولم ينص فيها أنها من الشيخ كما هى عادته حيث يبدأ رسائله بعبارة: من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان.

وقال عن الثانية التى بعثها الشيخ إلى عبد الله الصنعانى مثلما قال عن الأولى وزاد بأن فيها شبها كبيرا بأجزاء من الرسالة التى كتبها عبد الله بن الشيخ محمد عند دخوله مكة المكرمة مع سعود بن عبد العزيز من حيث الأسلوب والمضمون، فلعل فى هذا ما يرجح أن الذى كتب الرسالة إلى الصنعانى هو الشيخ عبد الله بن محمد وليس أباه.

وقال عن الثالثة التى بعثها الشيخ إلى أهل المغرب انه من الواضح عدم رجحان كونها له لانفراد صاحب الدرر السنية بايرادها وعدم النص فيها على اسم مرسلها، ولأنه من غير المحتمل أن يكون اهتمام زعماء الدعوة بالمغرب قد بدأ قبل استيلائهم على الحجاز ملتقى الوافدين إلى بيت الله الحرام، وأن هذه الرسالة قد شاعت فى تونس زمن الباى حموده باشا. وقد ذكرت المصادر التونسية وصولها إلى ذلك القطر بعد أن تكلمت عن الأمور التى قام بها سعود بن عبد العزيز فى الحجاز، وهذا

يتلاءم مع القول بأن الاهتمام بالمغرب ناتج عن الوجود السعودي فى الحجاز، وعلى هذا الأساس فانه من المحتمل جدا أن تكون هذه الرسالة أيضا من كتابة الشيخ عبد الله بن محمد، وكان الدكتور العثيمين قد قال عنها فى كتابه عن الشيخ «والحقيقة أن هذه الرسالة كانت من الإمام سعود بن عبد العزيز إلى قادة المغرب بعد استيلائه على الحجاز، وقد لقيت رسالة سعود هذه نوعا من التأييد فى المغرب الأقصى، لكنها لقيت معارضة فى تونس» (الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور عبد الله العثيمين ص ٩٩).

وقال عن الرابعة وهي جواب الشيخ عن كتاب لم يقف على اسم كاتبه انه ورد فيها ما يثير انتباه الباحث ذلك أنه ورد فيها ما يشير إلى أنها قد كتبت وعبد الله المويس لا يزال حيا لكن ورد فيها ما نصه: «فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله» قال: ولو فرض أن دعوة الشيخ قد بدأت فى نجد حوالى سنة ١١٤٥هـ فان الرسالة حسب العبارة السابقة تكون قد كتبت خطيا سنة ١١٨٥هـ تقريبا ومن المعروف أن المويس قد توفى قبل هذا التاريخ بعشر سنين.

انتهى ما لخصته من ملاحظات الدكتور العثيمين على صحة ما ينسب للشيخ من بعض الرسائل الشخصية[1].

والجواب عن هذه الملاحظات هو أن دعوى انفراد صاحب الدرر السنية وهو الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بايرادها دعوى لاتتم لاسيما وأنه جمع مجموع الدرر السنية عن مجموعات مشائخه الشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقرى واعانه على ذلك الجمع شيخه محمد بن إبراهيم تحريرا وتهذيبا واعادة وابداء، وقرأ أكثره على شيخه محمد بن عبد اللطيف، وعلى شيخه سعد بن حمد بن عتيق[2].

فهو فى الدرر السنية لم ينفرد بشىء، وإنما أثبت فيها ما وافق عليه عدد من العلماء كما ذكرنا أسماءهم وقامت دار الافتاء بطبع هذه الدرر السنية مرتين وتوزع على

---

(١) انظر: بحثا بعنوان «الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب» من إعداد الدكتور عبد الله بن صالح العثيمين ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود لسنة ١٤٠٠هـ ص ص ١-٥.

(٢) انظر: الدرر السنية ١/ ٢٠-٢١.

طلبة العلم من غير نكير بل تقابل بالاستحسان والقبول، ثم ان الدكتور العثيمين لم يبين لنا فى الشيخ عبد الرحمن بن قاسم شيئا يجعلنا نتوقف فيما ينفرد به لو حصل ذلك الانفراد، والذى نعلمه عن ابن قاسم أنه موثوق لدى علماء الدعوة وغيرهم ممن عاصره ولقيه وعرفه فتبين بذلك أن قول الدكتور العثيمين بأن صاحب الدرر السنية انفرد فيما لم يذكر فى غيرها غير صحيح وكذلك اضعافه صحة نسبة ما ينفرد به لو كان ذلك فان صاحب الدرر رجل موثوق.

وأما ما يفهم عن الدكتور العثيمين بأن الرسالة التى لم يذكر فيها اسم من أرسلت إليه ولم ينص فيها أنها من الشيخ كما هى عادته حيث يبدأ رسائله بعبارة: من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان أنه يتوقف فى نسبتها إلى الشيخ فهذا لا يثير أدنى شك فى نسبتها مادامت تنسب إليه لأن عدم ذكر اسم من أرسلت إليه وعدم النص فيها من محمد بن عبد الوهاب لا يعنى أن الشيخ لم يكتبها ويرسلها مفتوحة لينتفع بها العموم ويجوز أن اسم المرسل والمرسل إليه حذفا لدفع مفسدة ونحو ذلك بعد أن انتهى الغرض من ذكرهما.

وأما حكاية الشبه بين ما يكتبه الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما ينسب للشيخ محمد بن عبد الوهاب من الرسالة إلى أهل المغرب. وأن هذا الشبه يشكك فى النسبة فان الأمر بالعكس وهو أن هذا الشبه يؤكد النسبة - فالشيخ عبد الله هو ابن الشيخ محمد وتلميذه والآخذ عنه فلم لا يشبه أباه ؟ فى كل أسلوبه ومضمونه ؟

أما قطع الدكتور بعدم احتمال أن يهتم الشيخ بالمغرب وغيره من بلاد المسلمين قبل الحجاز فقد كانت بداية دعوة الشيخ فى غير الحجاز، وكانت دعوته صالحة للجميع كيف ما اتفق من غير ترتيب بلد على بلد أو جماعة دون أخرى لأن الشأن هو قبولها، ولقد كان قبول دعوة الرسول ﷺ فى الضعفاء قبل الأشراف. ومن المدينة قبل مكة وهذا ما يجعل الشيخ غير آبه بترتيب قطر على قطر وإنما يهمه أن يقبل منه، وكون رسالة الشيخ إلى أهل المغرب شاعت فى تونس زمن الباى حموده باشا وكون المصادر التونسية ذكرت وصولها إلى ذلك القطر بعد أن تكلمت عن الأمور التى قام بها سعود فى الحجاز فهذا لا يدل على أن الشيخ لم يكن قد كتبها وأرسلها إلى أهل المغرب فى زمنه وكونها لم تنتشر فى تونس إلا متأخرة وبعد قيام الأمور السعودية فى الحجاز لا يثير

الاستغراب ولا يقدح فى نسبتها للشيخ لأنه أمر طبيعى فالناس يشيع بينهم أثر من عظم شأنه ولو بعد وفاته بزمن طويل .

وقول الدكتور العثيمين والحقيقة أن هذه الرسالة كانت من الإمام سعود قول لم يحقق بأدلة كافية فى الوصول إلى هذه الحقيقة ومخالفة الحقيقة المذكورة. وما ذكره الدكتور العثيمين عن اجابة الشيخ على كتاب لم يقف على اسم كاتبه بأنه ورد فيها ما يدل على أنها كتبت والمويس لا يزال حيا ثم ورد فيها ما يدل على انها كتبت بعد وفاة المويس فهذا غير صحيح لأن ما ورد فيها من قوله : «فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله» لا يدل على أن الرسالة كتبت بعد وفاة المويس حسب ما استنتجه العثيمين بناء على حسابه أن سباب المويس للدين إنما بدأ حين بدأت دعوة الشيخ حوالى سنة ١١٤٥هـ ، والمويس مات سنة ١١٧٥هـ قبل تمام الأربعين، فان ما ورد من قول الشيخ فى ذلك الجواب يعنى المويس : «فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله» لا يعنى أن حساب الأربعين سنة ابتدأ منذ بدء دعوة الشيخ بل ابتدأ قبل ذلك، ثم ان الشيخ كان قد ظهر له فساد ما عليه أكثر أهل عصره من علماء السوء وغيرهم منذ كان فى العيينة أى قبل سنة ١١٣٥هـ .

وبهذا يندفع ما أورده الدكتور العثيمين من ملاحظات اعتراضية حول صحة نسبة بعض الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

تحقيق نسبة رسالة فى مبحث الاجتهاد والتقليد للشيخ :

ويقول الدكتور عبد الله العثيمين كذلك : «وقد أظهر البحث أنها جزء من كتاب الإمام ابن قيم الجوزيه أعلام الموقعين» أى أنها نسبت إلى الشيخ وليست من عمله[1]. ولكن للشيخ أثره الواضح فى اختصارها يتبين بأول مقارنة بينها وبين أصلها فى الكتاب المذكور، ومن المعلوم أن اختصار المطول غرض من أغراض التأليف ونوع منه، فلا وجه للاعتراض على نسبتها مختصرة من آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب لعدم الفطنة إلى عمل الشيخ فيها.

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره، للدكتور عبد الله العثيمين ص٩٩ .

تحقيق عدم نسبة كتاب نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين :

أما هذا الكتاب، فقد نسبه الدكتور العثيمين للشيخ[1]، لأنه طبع منسوبا إلى الشيخ ضمن مجموعة الحديث النجدية طبعة المنار والسلفية وقطر، ويذكر من مؤلفات الشيخ كما فى السجل الببليوجرافى الذى عمله الدكتور أحمد محمد الضبيب وفى غيره كثير لكنه لم يطبع ضمن مجموعة جامعة الإمام محمد بن سعود لمؤلفات الشيخ، وقد حقق نسبته الشيخ إسماعيل الأنصارى فذكر أنه نص كتاب الأدب من مشكاة المصابيح للخطيب العمرى التبريزى وأيد تحقيقه هذا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بجوابه له وأنقل منه ما يختص بذلك بنصه: «نعيد إليكم تحقيقكم الجيد عن كتاب نصيحة المسلمين ونفيدكم أنه قد اتضح لنا من هذا التحقيق المرفق أن كتاب النصيحة فى مجموعة الحديث النجدية ليس من مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بل هو قطعة من المشكاة كما ذكرتم وضعها بعض تلاميذه أو بعض طلاب العلم عن حسن قصد ضمن المجموعة (يعنى كتاب مجموعة الحديث النجدية) لقصد الفائدة» أ ـ هـ .

ويمكن أن بعض أحفاد الشيخ وجده بخط الشيخ فظن أنه له .

وكذلك رسالة فى أنواع التوحيد وأنواع الشرك والكفر التى أولها: «الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى . . .» نسبت للشيخ محمد بن عبد الوهاب فى مجموعة التوحيد ط الهند ص ص ٢ـ٥ وط مكة ص ص ٩ـ١١ وط دمشق ص ص ٣ـ٩ وفى الدرر السنية ج ٢ / ٣٤ـ٣٧ وفى مؤلف الرويشد ج ٢ / ٣٠ـ٣٥ وفى السجل الببليوجرافى لمؤلفات الشيخ وآثاره الذى أعده الدكتور أحمد الضبيب .

ولكنها نسبت للشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ ضمن مجموعة التوحيد ط السلفية بمصر وهى طبعة محققة وقد قررت ضمن مقرر التوحيد للسنة الخامسة الابتدائية فى معارف المملكة العربية السعودية بعنوان: «الرسالة المفيدة المهمة الجليلة للشيخ عبد الرحمن بن حسن» قام بطبعها عمر عبد الجبار. ولم تذكر ضمن مؤلفات الشيخ التى قامت بجمعها وطبعها جامعة الإمام محمد بن سعود. ولذا فمن المحتمل أنها من مؤلفات حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن .

(١) المصدر السابق، ص ٩٢.

وكذلك رسالة جوابية بعنوان :

« أوثـق عـرى الايمـان »

أولها : «الحمـد لله رب العـالمين ، إعلم أولا أيـدك الله تعالى بتوفيقه أن أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله . . .» .

توجـد فى مجموعة التوحيد ، ط . دمشق ، ص ص ١٥٨-١٧٨ منسوبه للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وتـوجد فى مجموعة التوحيد ، ط السلفية ، ص ص ٣٦٦-٣٧٦ منسوبه لحفيده سليمان بن عبد الله بن الشيخ .

والتحقيق أنهـا ليست للشيـخ محمـد بدليل ما ورد من استشهاد مؤلفها بما عزاه للشيخ محمد فى نفس هذه الرسالة الجوابية فى ص ١٦٩ من المجموعة المشتملة عليها ، ط . دمشق وفى ص ٣٧١ من ط . السلفيـة ، ونصـه : «قـال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب . . . الخ» .

وفـــاته :

وفى ست ومـائتـين وألف من هجـرة المصطفى ﷺ توفى الشيـخ محمـد بن عبد الوهاب رحمه الله .

قال ابن غنـام كان ابتـداء المرض به فى شوال ثم كانت وفاته فى يوم الاثنين من آخـر الشهـر[١] وكذا قال عبد الرحمن بن قاسم[٢] ، أما ابن بشر فيقول كانت وفاته آخر ذى القعدة من السنة المذكورة[٣] ، وقول ابن غنام أرجح لتقدمه فى الزمن على ابن بشر ومعاصرته للشيخ وشهوده زمن وفاته ، وتدوينه لتاريخه وقد رثاه ، وابن بشر ينقل عن ابن غنام فلعله نقل ذلك وسها فى نقله ، والأمر سهل .

ولقد كان للشيخ من العمر نحو اثنتين وتسعين سنة على اعتبار أن ولادته كانت فى سنـة خمس عشـرة ومـائـة وألف من الهجـرة ، وتوفى ولم يخلف دينارا ولا درهما ، فلم

---

(١) روضة ابن غنام ٢/١٥٤ .

(٢) الدرر السنية ١٢/٢٠ .

(٣) عنوان المجد . . . ١/٩٥ .

يوزع بين ورثته مال ولم يقسم[١]، وقد رثاه الشعراء وأثنى عليه العلماء، قال ابن قاسم عن يوم جنازته «وكان يوما مشهودا، وتزاحم الناس على سريره، وصلوا عليه في بلدة الدرعية، وخرج الناس مع جنازته الكبير والصغير»[٢]. قال الإمام أحمد: «قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز»[٣].

ثناء العلماء ورثاءهم :

قال الشيخ عبد الله البسام، وقد رثاه الشعراء وأثنى عليه العلماء، وتداول الرسائل فيه المسلمون[٤]. وهذا صحيح، ولو ذهبنا نذكر ذلك لطال المبحث، ولكن نكتفي ببعضه.

ولعل مرثيه تلميذه ومؤرخه الشيخ حسين بن غنام خير ما يرسم لنا مشاعر الجمهور الكبير الذي شيع جنازته، ومشاعر المسلمين حوله لما أصيبوا بموته، ورحيله عن أتباعه وتلاميذه والآخذين عنه ـ فنوردها لذلك. قال ابن غنام يرثيه :

إلى الله في كشف الشدائد نفزع ... وليس إلى غير المهيمن مفزع
لقد كسفت شمس المعارف والهدى ... فسالت دماء في الخدود وأدمع
إمام أصيب الناس طرا بفقده ... وطاف بهم خطب من البين موجع
وأظلم أرجاء البلاد لموته ... وحل بهم كرب من الحزن مفظع
شهاب هوى من أفقه وسمائه ... ونجم ثوى في الترب واراه بلقع[٥]
وكوكب سعد مستنير سناؤه ... وبدر له في منزل اليمن مطلع
وصبح تبدى للأنام ضياؤه ... فداجي الدياجي بعده متقشع
لقد غاض بحر العلم والفهم والندى ... وقد كان فيه للبرية مرتع
فقوم جلا عنهم صدا الرين فاهتدوا ... فأسماعهم للحق تصغي وتسمع

---

(١) روضة ابن غنام ٢/١٥٥.

(٢) الدرر السنية ١٢/٢٠.

(٣) نقل ذلك الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام أحمد في مؤلفه تاريخ الإسلام، التي أفردها منه أحمد محمد شاكر ونشرها في جزء خاص، ص ٨١. وقال ابن كثير: «وقد صدق الله قول أحمد في هذا» (البداية والنهاية جـ ١٠/٣٤٢) يعني كثرة مشيعي جنازة أحمد وعدم احتفال أحد بموت عيون مخالفيه كابن أبي دؤاد وهو رئيس قضاة الدنيا والمريسي وغيرهما.

(٤) علماء نجد خلال ستة قرون ١/٤٤.

(٥) البلقع: الأرض القفر التي لا شيء بها.

وقـــوم ذوو فقــر وجـــهــد وفـــاقـــة ... حووا واقـتنـــوا ما فيــه للعيش مطمـــع
لقــد رفــع المــولــى به رتبــة الهــدى ... بوقــت به يعـلى الـضـــلال ويــرفــع
أبـــان له من لمعـــة الحـــق لمحـــة ... أزيـــل بها عنـــه حجـــاب وبـــرقـــع
سقـــاه نمـــير الـــفـهــم مولاه فارتـــوى ... وعـــام بتـــيـــار المـــعـــارف يقطـــع
فأحيى به التـــوحيـــد بعـــد انـــدراســه ... وأقـــوى به من مظلم الشـــرك مهيـــع[1]
فأنـــوار صبـــح الحـــق باد سنـــاؤ هـــا ... ومـــصـــبـــاحـــه عال وريـــاه ضيـــع[2]
سما ذروة المـــجـــد الـــتى ما ارتـــقـى لها ... سواه ولا حاذاه فيـــهـــا سمـــيـــدع[3]
وشـــمـــر فى منهـــاج سنـــة أحمـــد ... يشـــيـــد ويحـــى ما تعـــفـــى ويـــرقـــع
وينـــفى الأعـــادى من حماه وســـوحـــه ... ويـــدمـــغ أربـــاب الضـــلال ويـــدفـــع
ينـــاظـــر بالآيـــات والـــســـنـــة التى ... أمـــرنـــا إلـــيهـــا فى التـــنازع نرجـــع
فأضحت به السمحـــاء يبسم ثغـــرهـــا ... وأمـــســـى محيـــاهـــا يضـــيء ويـــلمـــع
وعـــاد به نهج الـــغـــوايـــة طامـــســـا ... وقـــد كان مسلوكـــا به الناس تربـــع[4]
وجـــرت به نجـــد ذيـــول افتخـــارهـــا ... وحـــق لها بالألمـــعـــى ترفـــع
فآثـــاره فيـــهـــا سوام[5] سوافـــر ... وأنـــواره فيـــهـــا تضـــيء وتـــسطـــع
لقـــد وجـــد الإســـلام يوم فراقـــه ... مصـــابـــا خشـــينـــا بعـــده يتـــصـــدع
وطـــاش ذوو الأحـــلام والفضـــل والنهى ... وكـــادت له الأرواح تترى وتـــتـــبـــع
وطـــارت قلوب المـــسلـــمين بيـــومـــه ... وظـــنـــوا به أن الـــقـــيـــامـــة تقـــرع
فضـــجـــوا جميـــعـــا بالـــبكـــاء تأســـفـــا ... وكـــادت قلوب بعـــده تتـــفـــجـــع
وفـــاضـــت عيـــون واستـــهلت مدامـــع ... يخالطـــهـــا مزج من الـــدم يهمـــع
بكـــتـــه ذوو الحـــاجـــات يوم فراقـــه ... وأهـــل الهـــدى والحق والـــدين أجمـــع
فما لى أرى الأبـــصـــار قلص دمعـــهـــا ... ولـــيســـت على فقـــده تهمى وتـــدمـــع
ومـــا لى أرى الألبـــاب تبـــدى قســـاوة ... ولـــيـــســـت على ذكـــراه يومـــا توجـــع

(١) أقـوى: مبنى للمجهـول ومعناه أقفـره وأخلاه. ومهيع: طريق بين - والمعنى أن الشيخ رحمه الله بسببه أقفر وأخلى طريق الشرك المظلم فلا يسلك.
(٢) ضيع: على وزن: صيب - من ضاع المسك أى تحرك فانتشرت رائحته.
(٣) السميدع بفتح السين السيد الموطأ للأكناف.
(٤) تربع أى تحل وتنزل.
(٥) سوام: أى علامات يهتدى بها.

لقـد غدرت عين تضن بمائـهـا   عليـه وكـبـد قد أبـت لا تقطـع
يحق لأرواح المـحـبـين أن ترى   مقـوضـة لما خلت منـه أربـع
وتـتـلو سريـرا فوقـه قمـر الهـدى   وشـمس المعـالى والـعـلوم تشيـع
فما بالهـا قرت بأشـبـاح أهـلهـا   ولم تك فى يوم الـوداع تودع
فيـا لك من قبر حوى الـزهـد والتقى   وحـل به طود من الـعـلم مترع[1]
لئن كان فى الـدنيـا له القـبر موضع   فيـوم الجـزا يرجى له الخـلد موضـع
سقى قبره من هاطـل العفـو ديمـة[2]   وبـاكـره سحـب من الـبر تهمـع
وأسكنـه بحبـوحـة الفـوز والـرضا   ولا زال بالـرضـوان فيـهـا يمتـع[3]

وهنـاك مرثيـة لمحمد بن علي الشوكانى ، قاضى صنعاء والعالم المشهور يرثى بها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وهى مرثية بليغة مؤثرة تبلغ أكثر من مائة بيت ، وتعتـبر من أصـدق ما يصـور مشاعر علماء أهل السنة سيما الذين ليسوا داخل سلطان دولـة الـدعوة وأفصحوا عن مشاعرهم وارائهم من مكان بعيد عن المجاملة والمداراة لا سيما بعد الموت والله أعلم .

ونورد من هذه المرثية بعضا نكتفى به عن طولها ـ قال رحمه الله :

مصـاب دهـا قلبـى فأذكـى غلائـلى   وأصـمـى بسـهم الافتجـاع مقـاتلى

إلى أن قال :

مصـاب به ذابـت حشـاشـة مهجتى   وعـن حمله قد كل متـنـى وكـاهـلى

إلى أن قال :

مصـاب به الـدنيـا قد اغبر وجههـا   وقـد شمـخت أعـلام قوم أسـافـل

إلى أن قال :

به هد ركـن الـديـن وانـبـت حبلـه   وشـيـد بنـاء الـبغى مع كل باطـل
وقـام على الإسـلام جهـرا وأهـلـه   نعـيـق غراب بالمـذلـة هائـل

---

(١) المعنى حل بالقبر طود مترع من العلم . والطود : الجبل العظيم والمترع الملآن .

(٢) الديمة : المطر الذى ليس فيه رعد ولا برق أقله ثلث النهار أو ثلث الليل وأكثره ما بلغ من العدة . مختار الصحاح .

(٣) روضة ابن غنام ٢/١٥٥،١٥٦ ، وتاريخ ابن بشر ١/٩٥،٩٦ .

وسـيـم منـار الاتـبـاع لأحمـد ... هوان انهـدام جاء من كل جاهـل
وهـبـت لنـار الابـتـداع سمائم ... بسـم لنـفس الـديـن مرد وقـاتـل

إلى أن قال :

فقـد مات طود العلم قطب رحى العـلا ... ومـركـز أدوار الـفحـول الأفـاضـل
ومـاتـت علوم الـديـن طرا بمـوتـه ... وغـيـب وجـه الحق تحت الجنـادل
إمام الهدى ماحى الردى، قامع العدى ... ومروى الصـدى من فيض علم ونـائل

إلى أن قال :

امـام الـورى علامـة العصر قدوتى ... وشيـخ الشيـوخ الحـبر فرد الفضـائـل
(محـمـد) ذو المجـد الـذى عز دركـه ... وجـل مقـامـا عن لحوق المطـاول
إلى (عبـد الـوهـاب) يعـزى وانـه ... سلالـة أنـجـاب زكـى الخـصـائـل

إلى أن قال :

لقـد أشـرقت نجـد بنـور ضيـائـه ... وقـام مقـامـات الهـدى بالـدلائـل

إلى أن قال :

ولم يأل جهـدا فى نصـيـحـة مسـلم ... برأى وتـدبـير وحـسـن تعـامـل
يجازى باحـسـان اسـاءة غيره ... وبـالجـاه عن مستـوجـه غير باخـل
تقمص بالتقـوى وبـالخشيـة ارتـدى ... ولم يمض منـه الـعـمـر فى غير طائـل
ومـن شأنـه قمـع الـضـلال ونصـره ... لمن كان مظـلومـا ولـيس بخـاذل

إلى أن قال :

ففيم استبـاح أهـل الضـلال لعـرضـه ... ومـا نكـسـت أعـلامـه بالأراذل
ولـيس له شىء عن الله شاغـل ... ولا عن وصـال الاعـتـبـار بغـافـل
فلولاه لم تحرز رحـى الـديـن مركـزا ... ولا اشـتـد للإسـلام ركن المعـاقـل
ولا كان للتـوحـيـد واضـح لا حب ... يقيم اعـوجـاج السـير من كل عادل
فما هو إلا قائـم فى زمـانـه ... مقـام نبـى فى إمـاتـة باطـل

إلى أن قال :

وآهـا على تحقيـقـه فى دروسـه ... وتـوضيحـه للمعضـلات المشـاكـل
فمـن للبـخـارى بعـده ولمسـلم ... يبـين المـخـبـا منهـا للمـحـاول
ومـن ذا لتـفسـير الكتـاب؟ ومن ترى ... لأحكـام فقـه الـدين من للرسـائـل؟
ومـن لمسـانيـد سمت ومـعـاجم ... وكشف لثام الحكم عنـد النـوازل؟
ومـن للمعـانـى والبيـان ومنطـق ... وردع أخى الجهـل الغـوي المجادل؟
ومـن لك بالأصـلين واللغـة التـى ... بها أنـزل الـقـرآن أشـرف نازل؟
ومـن بعـده للصـدع بالحـق قائـم ... بجـد ولا يخشـى ملامـة عاذل؟
أفـق يامـعيـب الشيـخ ماذا تعيبـه ... لقـد عبت حقـا وارتحلت ببـاطـل
نعـم ذنبـه التـقـليـد قد جذ حبلـه ... وفـل التعصب بالسيـوف الصـواقـل
ولمـا دعـا الله فى الخـلق صارخـا ... صرختم له بالقـذف مثـل الـزواجـل
أفـيـقـوا أفيـقـوا انـه ليس داعيـا ... إلـى ديـن آبـاء به وقـبـائـل
دعـا لكـتـاب الله والسـنـة التـى ... أتـانـا بها طه الـنـبـى خير قائـل

إلى أن قال يخاطب أولاد الشيخ وآل سعود :

فيـا سائـر الأولاد للشيـخ إنـنـى ... أعـزيكمـوا مع ذى انتساب ابن وائـل
وأوصيكم بالصـبر طرا وبـالـرضـا ... بجـارى القضـاء فى عاجـل ثم آجـل
بتـسـليـم أمـر الله ثم احـتسـاب ما ... لديـه تعـالـى من أجـور جزائـل

إلى أن قال يخاطبهم :

وأنـتـم بحـمـد الله عنـه خلائـف ... بعـلم وفضـل شامـخ القـدر شامـل
وانـا لنـرجـوا أن تكـونـوا أئـمـة ... بكـم يقـتـدى فى دينـه كل فاضـل
ولـلخـير والأحسـان من كل وجهـة ... تحث إليـكـم مضمـرات الـرواحـل

إلى أن قال :

عليـكـم سلام الله ما هب ناسـم ... وجمّـل زاكـى ذكـركـم كل عاطـل
وأوفى الـشـنـا منى عليكم مكـررا ... وأزكـى تحيـات سوام كوامـل
وأضعـافهـا للمقـرنـين كلهمـوا ... هداة الـورى من محتـدي فرع وائـل
هم النـاس أهـل البـاس يعرف فضلهم ... جميـع بنـى الـدنيـا فما للمجـادل
لقـد جاهـدوا فى الله حق جهـاده ... إلـى أن أقـامـوا بالـضبـا كل مائـل

إلى أن ختمها بقوله :

وأزكى صلاة الله ثم سلامه على المصفى الهادى كريم الشمائل
محمد المختار من فرع هاشم وآل وأصحاب كرام أفاضل

وتبلغ أكثر من مائة بيت(١).

رحم الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجزاه خيرا، عن الإسلام والمسلمين.

(١) الدرر السنية ١٢ / ٢٠-٢٤، تذكرة أولى النهى والعرفان لإبراهيم ابن عبيد ١ / ٥٠-٥٤، وانظر: أثر الدعوة الوهابية . . . لمحمد حامد الفقى، ص ٧٨-٨٠، و : «الشعر يواكب الدعوة» لعبد الله بن خميس بحث قدمه إلى أسبوع الشيخ ص ٢. والإمام الشوكانى مفسرا، رسالة دكتوراة، أعدها محمد حسين الغمارى، بجامعة أم القرى، ص ٣٢.

الباب الأول

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

الفصل الأول
في بيان منهج الشيخ رحمه الله تعالى في عقيدته ودعوته

توطئة :

منهج السلف الصالح

لعل من المناسب هنا أن أمهد بذكر نبذة من منهج السلف الصالح فى اعتقادهم السليم وعلمهم النافع وعملهم الصالح، والأصول التى يعتمدون عليها فى ذلك ويرجعون إليها عند الاختلاف حتى نرى على ضوئها منهج الشيخ رحمه الله تعالى ونعلم أنه منهج السلف الصالح وأن الشيخ متبع غير مبتدع ناهج منهج العلماء المجددين المنصورين ولم يأت بشىء من الدين ليس على منهج الأوائل المصلحين.

يذهب السلف الصالح رضى الله عنهم إلى أن أصل أصول العلم والهدى هو الوحى إلى النبى محمد بن عبد الله ﷺ الذى هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبى بعده ولا رسول.

قال الله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ (النساء: ١٦٣).

وقال رسول الله وخاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ : « ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله أومن أوآمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أنى أكثرهم تابعا يوم القيامة »[1].

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبى ﷺ : «بعثت بجوامع الكلم» جـ٨/ص١٣٨ . وفى كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحى ، جـ/ص٩٧. =

والوحى يشمل القرآن الكريم والسنة الشريفة . قال الله تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ .

ولذا والله أعلم بدأ الإمام البخارى صحيحه بذكر الوحى وكيف كان بدؤ ه إلى رسول الله ﷺ .

ونورد من هذا الوحى آيات وأحاديث تستمد منها أصول العقيدة الصحيحة :

قال الله تعالى : ﴿ **ويرى الذين أوتو العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد** ﴾ (سبأ : ٦) .

وقال تعالى : ﴿ **أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، إنما يتذكر أولوا الألباب** ﴾ (الرعد : ١٩) .

وقال تعالى : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد** ﴾ (إبراهيم : ١) .

وقال تعالى : ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته يزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ (الجمعة : ٢) .

وقال تعالى : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ (التوبة : ١٢٢) .

وفى صحيح البخارى فى كتاب التوحيد ، باب ما جاء فى دعاء النبى ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى[1]، ورواه فى مواضع أخرى فى صحيحه ، وفى صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام[2] «عن ابن عباس قال : لما بعث النبى ﷺ معاذا إلى نحو أهل اليمن قال له : إنك تقدم على

= ورواه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته .

ورواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ٢/٣٤١ ، ٤٥١ ، واللفظ هنا للبخارى رحمهم الله تعالى .

(١) جـ٨/١٦٤ .

(٢) ١/٥٠ .

قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات فى يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس» واللفظ للبخارى.

وفى صحيح البخارى فى كتاب العلم فى باب فضل من علم وعلم - عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به »[١].

ورواه مسلم فى صحيحه[٢]، فى كتاب الفضائل فى باب بيان مثل ما بعث النبى ﷺ من الهدى والعلم.

ورواه الإمام أحمد فى المسند[٣].

ما ينبنى على ذلك من أصول العلم :

وينبنى على ذلك من أصول العلم ما يلى :

١ ـ أن الذين أوتوا العلم يرون أن الله تعالى بعث محمدا ﷺ رسولا يدعو إليه بإذنه جميع الثقلين بأن يقولوا لا إله إلا الله بعثه بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، بعثه الله بالهدى ودين الحق الكامل الذى تمت به نعمة الله ورضيه دينا إلى قيام الساعة ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون، وسراجا منيرا ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ويجب على الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم وعقيدتهم إلى ما بعث الله به رسوله وأنزله عليه من الكتاب والحكمة والسنة بلا حرج ولا تردد ولا

---

(١) جـ١/٢٨.
(٢) جـ٤/١٧٨٧.
(٣) جـ٤/٤٩٩.

توقف، فمن تعارض عنده ما جاء به الرسول ﷺ وآراء الرجال فقدمها عليه أو توقف فيه أو قدحت فى كمال معرفته فهو أعمى عن الحق(١)، وليس ممن أوتوا العلم.

٢ ــ وينشأ من هذا أصل آخر هو أن البصير العاقل يعلم قطعا أن رسول الله ﷺ قد بلغ رسالته هذه وبينها أصولها وفروعها، البلاغ المبين، والبيان البليغ وأدى أمانته خير أداء، ونصح لأمته أخلص النصح، وجاهد فى سبيل الله حق الجهاد وما قبضه الله إليه إلا وقد علم أمته جميع أبواب الاعتقاد والتعبد، وعلم أمته كتاب الله ومثل كتاب الله معه من سنته المطهرة الشريفة وعلم أمته كل شىء من دينهم حتى آداب قضاء الحاجة(٢).

وبالجملة فقد دلهم على الخير كله وحذرهم عن الشر كله حتى تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ولا يزيغ عنها بعده إلا هالك(٣)، من بدء الخلق حتى يدخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه(٤).

وأمره الله أن يقول: ﴿ **هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ (يوسف: ١٠٨).

ووصى أمته بكتاب الله وسنته، ما ان تمسكوا بهما فلن يضلوا، فصلوات الله وسلامه عليه.

وكان قد حث أمته على أن يبلغ الشاهد منهم الغائب(٥) فرب مبلغ أوعى من سامع(٦)، ودعا لمن سمع مقالته فوعاها وأداها كما سمعها أن يلبسه الله النضرة ويوصله إلى نضرة الجنة(٧).

٣ ــ ولأن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل إلى الناس كافة وتوفى بعد

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ط السلفية بمكة سنة ١٣٤٨ ص ٦.

(٢) اشارة إلى ما رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه فى كتاب الطهارة وأحمد فى المسند ٤٣٧/٥ أن سلمان قيل له قد علمكم نبيكم ﷺ كل شىء حتى الخراءة. فقال أجل . . . الحديث.

(٣) انظر: كتاب السنة لابن أبى عاصم وتخريجات الألبانى جـ١ ص ٢٦-٢٧.

(٤) صحيح البخارى، جـ٤ / كتاب بدء الخلق / باب ١ / ص ٧٣، وانظر: فتح البارى جـ٦ ص ٢٩٠-٢٩١، وانظر: أول الحموية لابن تيمية.

(٥) انظر: السنة للمروزى، ص ٩،١٠.

(٦) انظر: البخارى: ١/ كتاب العلم، باب قول النبى ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع.

(٧) انظر: دراسة حديث «نضر الله امرءا سمع مقالتى . . .» رواية ودراية بقلم عبد المحسن بن حمد العباد ص ١٨٤.

أن بلغ رسالته ورسالته باقية إلى قيام الساعة لجميع الثقلين، فإن العاقل البصير يعلم قطعا أن الذى ورث العلم عنه وخلفه فى أمته هم صحابته الذين معه واختارهم الله لصحبته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ثم الذين اتبعوهم بإحسان ثم أئمة الهدى وأعلام الهداية الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، ثم من يرثهم ويخلف من بعدهم ويتبع سبيلهم بإحسان وان تكن أزمانهم أزمان فترات وغربة فإن حجة الله لا تزال قائمة ورسالة محمد ﷺ مستمرة يحملها من كل خلف عدوله[1] إلى قيام الساعة كما ذكر الإمام البخارى فى «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيحه: باب قول النبى ﷺ لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم» ثم أورد حديث معاوية قال سمعت النبى ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وإنما أنا قاسم ويعطى الله ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة أو حتى يأتى أمر الله»[2].

وإذا كان هذا معلوما فمن المعلوم امتناع أن يكون خير أمة رسول الله ﷺ وأفضل قرونها ومن تبعهم بإحسان قد قصروا فى هذا الواجب أو كانوا غير عالمين وغير قائلين بالحق المبين، ومن المعلوم كذلك عدم جواز أن يكون المخالفون لهم أعلم بالحق منهم وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء، الذين وهبهم الله من العلم بالكتاب والسنة وجودة الاسناد وصحته ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم[3].

معـــنى الســلفية :

إن المراد من التعبير بالسلفية هو اتباع طريقة السلف الصالح من هذه الأمة المسلمة، الذين هم أهل السنة والجماعة ومعنى ذلك هو الاجماع المحتج به لأنه الاجتماع على اتباع سنة رسول الله ﷺ وآثاره باطنا وظاهرا واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، واتباع وصية رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: كتاب: «البدع والنهى عنها» تأليف محمد بن وضاح القرطبى ففيه أن رسول الله ﷺ قال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه انتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين» أ ـ هـ. وانظر تخريجه فى الهامش ص ١، ٢ تحقيق محمد أحمد دهمان، ط ٢ دار البصائر دمشق سنة ١٤٠٠هـ.

(٢) صحيح البخارى جـ٨ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٩٦ باب ١٠ ص ١٤٩.

(٣) انظر: الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ص ٢-٧.

فى ذلك حيث قال: « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » ويعتقدون بأن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدى محمد ﷺ على هدى كل أحد فى أى زمان وأى مكان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة أهل الجماعة لأن الجماعة هى الاجتماع وضدها الفرقة وان كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين»[1].

وقال أيضا فى ختام العقيدة الواسطية: «لما أخبر النبى ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة، وفى حديث عنه أنه قال «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى» صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولوا المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة وفيهم الأبدال وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبى ﷺ «لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة» أ ـ هـ.

وقال ابن كثير: «هم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين من قديم الدهر وحديثه كما رواه الحاكم فى مستدركه أنه سئل رسول الله ﷺ عن الفرقة الناجية من هم؟ قال: «من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابى» أ ـ هـ [2].

وفى جامع الترمذى فى كتاب الإيمان فى باب افتراق هذه الأمة أورد الترمذى تفسير رسول الله ﷺ للناجية عن عبد الله بن عمرو بقوله: «ما أنا عليه وأصحابى» وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب مفسر، لا نعرفه إلا من هذا الوجه،

---

(١) العقيدة الواسطية، ط السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٧هـ، ص ٣٤ وحديث عليكم بسنتى رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أحمد وأبو داود وا بن ماجه وسكت عنه أبو داود ونقل المنذرى تصحيح الترمذى وأقره (تحفة الأحوذى جـ٧ ص ٤٤٢).

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٤٣٣.

وقال المباركفورى فى سنده «عبد الرحمن بن زياد الأفريقى وهو ضعيف، فتحسين الترمذى له لاعتضاده بأحاديث الباب، وحديث عبد الله بن عمرو ـ هذا أخرجه أيضا الحاكم وفيه «ما أنا عليه وأصحابى»[1].

وقال الألبانى: «هذه الرواية فيها ضعف، وحسنها الترمذى فى الإيمان»[2]، وقد أخرجه محمد بن نصر المروزى فى كتابه «السنة»[3] والآجرى فى كتابه «الشريعة» من طريقين لكن عن عبد الرحمن بن زياد[4]. وهو حسن كما قال الترمذى لتوجيه المباركفورى.

وقد أورد الشاطبى فى كتابه الاعتصام أقوال الناس فى معنى الجماعة المرادة بالنصوص وحصرها فى خمسة أقوال، قال: «فهذه خمسة أقوال دائرة على اعتبار أهل السنة والاتباع وأنهم المرادون بالأحاديث، فلنأخذ ذلك أصلا ويبنى عليه معنى آخر»[5].

وتلك الأقوال الخمسة نقلها عن السلف الصالح أمثال ابن مسعود وابن المبارك، وعمر بن عبد العزيز والشافعى والطبرى وهى عند تأملها متفقة كما قال الشاطبى دائرة على اعتبار أهل السنة والاتباع أنهم هم الجماعة، الفرقة الناجية المرادون بالأحاديث الثابتة فى كل زمان ومكان إلى أن يأتى أمر الله تعالى.

طريقة السلف الصالح فى العلم والدين:

نجد فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار أصحابه وتابعيهم نصوصا صحيحة صريحة تبين طريق الفرقة الناجية فى العلم والدين، وتحث على لزومه.

قال الله تعالى: ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

قال محمد بن نصر المروزى فى مؤلفه «السنة» يفسر هذه الآية: «أخبرنا الله أن طريقه واحد مستقيم وأن السبل كثيرة تصد من اتبعها عن طريقه المستقيم، ثم بين لنا

---

(١) تحفة الأحوذى جـ٧ ص ٤٠٠.
(٢) تصحيح الألبانى على هامش شرح الطحاوية ص ٤٣٢.
(٣) ص ١٥، ١٦.
(٤) ص ١٨.
(٥) الاعتصام، جـ٢ ص ص ٢٦٠ـ٢٦٥.

النبى ﷺ ذلـك بسنتـه فحـدثنا اسحاق ـ ثم ساق سنده إلى ـ عبد الله بن مسعود قال خط لنا رسول الله ﷺ خطا ثم قال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله وقـال هذه سبـل على كل سبيـل منهـا شيطـان يدعـو إليه وقرأ: ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** . . . ﴾ الآية.

ثم ذكر المروزى روايات أخرى بهذا المعنى، وفيها زياة تفسير الصراط المستقيم بالإسـلام وبكتـاب الله، وعن أبى العـالية، قال هو النبى ﷺ وصاحباه أبو بكر وعمر وقال الحسن: «صدق أبو العالية ونصح»[1].

وقال ابن كثير فى تفسيره: «قال علي بن طلحه عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **ولا تتبعـوا السبـل فتفـرق بكـم عن سبيله** ﴾ وفى قولـه: ﴿ **أن أقيمـوا الـدين ولا تتفرقوا فيـه** ﴾ ونحـو هذا فى القـرآن، قال: «أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفـرقـة وأخـبرهم أنه انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله» ونحو هذا «قاله مجاهد وغير واحد».

ثم أورد ابن كثـير عن الإمـام أحمـد بسنده إلى ابن مسعود رضى الله عنه قال: «خـط لنـا رسـول الله ﷺ خطا بيده ثم قال: (هذا سبيل الله مستقيما) وخط عن يمينه وشمـالـه ثم قال: (هـذه السبـل ليس منهـا سبيـل إلا عليه شيطان يدعو إليه) ثم قرأ: ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾»[2].

وأورد ابن كثير رواية الحاكم من طريقين عن ابن مسعود وتصحيح الحاكم إياه من الطريقين على شرط البخارى ومسلم، كما أورد ابن كثير رواية أبى جعفر الرازى وورقاء وعمرو بن أبى قيس ويزيد بن هارون ومسدد والنسائى وابن حبان وابن جرير لهذا الحـديث عن ابن مسعـود كذلـك، وقول الحاكم: «وشاهد هذا الحديث حديث الشعبى عن جابـر من غير وجـه معتمـد» وأورده ابن كثير بتفصيل سنده إلى أن قال: «والعمـدة على حديث ابن مسعـود مع ما فيـه من الاختلاف ان كان مؤثرا» ثم أورده موقوفا على ابن مسعود من روايتين لابن جرير وابن مردويه، ثم أورد نحوه من حديث

---

(١) السنة، تأليف محمد بن نصر المروزى المتوفى ٢٩٤هـ، ص ص ٥ـ٨.

(٢) انظره فى المسند ١/ ٤٦٥، وهو فى سنن الدارمي جـ١/ ص ٦٧، ٦٨.

النواس بن سمعان مرفوعا من رواية الإمام أحمد والترمذى والنسائى وقول الترمذى: «حسن غريب»[١].

وهو فى سنن ابن ماجة عن جابر[٢].

وفى سنن أبى داود فى كتاب السنة، فى باب لزوم السنة[٣]، وفى جامع الترمذى فى أبواب العلم عن رسول الله ﷺ فى باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة[٤]، وفى سنن ابن ماجة فى المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين[٥].

وفى سنن الدارمى فى باب اتباع السنة[٦]. وفى المسند للإمام أحمد[٧]، وفى كتاب السنة لابن أبى عاصم، باب ما أمر به من اتباع السنة وسنة الخلفاء الراشدين[٨]، عن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الله وعليكم بالسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا وانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء من بعدى الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة».

قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح[٩]، وقال المباركفورى: «وسكت عنه أبو داود ونقل المنذرى تصحيح الترمذى وأقره»[١٠]، ونقل النووى تصحيح الترمذى مقرا له فى الأربعين النووية، وكذلك شارح الطحاوية وقال الألبانى فى الهامش: «صحيح كما قال الترمذى»[١١].

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ٢/ ص ١٩٠-١٩١.

(٢) جـ١/٦.

(٣) جـ٢/٥٠٦.

(٤) تحفة الأحوذى جـ٧/ ٤٣٨-٤٤٢.

(٥) ج١/، ص ١٥، ١٦، ١٧.

(٦) جـ١ ص ٤٤، ٤٥.

(٧) جـ٤ ص ١٢٦.

(٨) جـ١ ص ٢٩-٣٠.

(٩) تحفة الأحوذى جـ٧ ص ٤٤٢.

(١٠) المصدر السابق.

(١١) شرح الطحاوية ط ٤، ١٣٩٢هـ هامش ص ٤٣١، وقال الألبانى عنه أيضا صحيح فى كتاب السنة لابن أبى عاصم (رقم ٣١-٣٤) جـ١ ص ١٩-٢٠ وفى ارواء الغليل جـ٨ ص ١٠٧ ورقم الحديث (٢٤٥٥) وانظر من خرجه هناك.

وعن عمر أن النبى ﷺ قال: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فان الشيطان مع الواحد، وهو من الأثنين أبعد ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة».

وعن أسامة بن شريك عن النبى ﷺ قال: «يد الله مع الجماعة» أخرجهما ابن أبى عاصم فى كتاب السنة فى باب ما ذكر عن النبى ﷺ من أمره بلزوم الجماعة واخباره أن يد الله على الجماعة وصححهما الألبانى[1].

وفى صحيح البخارى، فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة فى باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، حديث موقوف ونصه بعد سياق سنده إلى مرة الهمدانى يقول: «قال عبد الله ـ وهو ابن مسعود[2] ـ : (ان أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين)[3].

وقد ورد أوله فى كتاب الأدب فى باب الهدى الصالح من صحيح البخارى أيضا[4]، وفيه: «قال ابن عون ثلاث أحبهن لنفسى ولاخوانى هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها والقرآن أن يتفهموه ويسألوا عنه، ويدعوا الناس الا من خير»[5].

وقد فسر الإمام البخارى قول الله تعالى: ﴿ **واجعلنا للمتقين إماما** ﴾ فقال: «أئمة، نقتدى بمن قبلنا ويقتدى بنا من بعدنا»[6].

وبالجملة نعلم أن طريقهم فى العلم والدين هو الاتباع ومجانية الابتداع يخلصون قصدهم لله تعالى ويتعلمون العلم النافع وهو العلم بالله وبرسوله وبدينه الذى ارتضاه ويقولون بما علموا ويكلون علم ما لم يعلموا إلى عالمه، ولا يقولون بغير

---

(١) جـ١/ ٣٩-٤٤.

(٢) انظر: فتح البارى جـ١٣/ ص ٢٥٣، وانظر ص ١ من هذا البحث، فقد تقدم تخريجه فى صحيح مسلم هناك.

(٣) جـ٨/١٣٩.

(٤) جـ٧/ ٩٥، ٩٦.

(٥) صحيح البخارى، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ جـ٨/ ١٣٩.

(٦) جـ٨/١٣٩ من صحيح البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

علم يقفون من الأمور أحد ثلاثة مواقف حسب انقسام هذه الأمور بالنسبة إليهم إلى ثلاثة أقسام :

أمر تبين أنه حق ورشد وحلال فيأخذون به ويدعون إليه .

وأمر تبين أنه باطل وغى وحرام فيجتنبونه وينهون عنه ، وهذا هو المحكم .

والأخير هو الأمر المشتبه فيتقونه ويقفون فيه كما فى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه أن النبى ﷺ يقول : «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى»(1) .

وكما قال الله تعالى : ﴿ **هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب** ﴾ (آل عمران : ٧) .

وفى صحيح البخارى فى التفسير باب (منه آيات محكمات) وقال مجاهد الحلال والحرام . وأخر متشابهات : يصدق بعضه بعضا كقوله تعالى : ﴿ **وما يضل به إلا الفاسقون** ﴾ وكقوله جل ذكره : ﴿ **ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون** ﴾ وكقوله : ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى** ﴾ زيغ : شك ، ابتغاء الفتنة : المشتبهات ، والراسخون يعلمون : يقولون آمنا به .

ثم ساق بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ **هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات . . .** ﴾ الآية .

قالت قال رسول الله ﷺ : «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»(2) .

---

(1) رواه البخارى فى صحيحه ، فى كتاب الإيمان فى باب فضل من استبرأ لدينه وتمامه « . . . يوشك أن يواقعه الا وان لكل ملك حمى ، ألا ان حمى الله محارمه ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» .

(2) جـ٥/ ص ١٦٥ ، ١٦٦ . رواه مسلم فى كتاب العلم ، باب النهى عن اتباع متشابه القرآن ، والتحذير من متبعه ، والنهى عن الاختلاف فى القرآن جـ٤ ص ٢٠٥٣ . وأبو داود فى سننه فى كتاب السنة ، باب النهى عن الجدال واتباع المتشابه من القرآن جـ٢ ص ٥٠٤ .

وقـال ابن كثـير : «يخبر تعـالى أن فى القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أى بينـات واضحـات الـدلالـة لا التبـاس فيها على أحد ، ومنه آيات أخر فيها اشتباه فى الـدلالـة على كثـير من النـاس أوبعضهم ، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس ، ولهذا قال تعالى : ﴿ هن أم الكتاب ﴾ أى أصله الذى يرجع إليه عند الاشتباه ﴿ وأخر متشابهات ﴾ أى يحتمل دلالتهـا موافقـة المحكم وقـد تحتمـل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد» إلى أن قال : «نص عليه محمد بن اسحق رحمه الله حيث قال منه آيات محكمات فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه»(١) .

وهـذا هو الاحكـام الخـاص ببعض القرآن والتشابه الخاص ببعضه الآخر ويرد المتشابه إلى المحكم كما تقدم بيانه .

أما الإحكام العام والتشابه العام الذى وصف الله به كل القرآن كما قال تعالى : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ﴾ (هود : ١) .

وكما قال تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى ﴾ (الزمر : ٢٣) .

فمعنى الاحكـام الاتقـان فالقرآن كله متقن يصدق بعضه بعضا ولا يتناقض . ومعنى التشابه تماثله وتناسبه وتوافقه فإذا أمر بأمر فى موضع ففى الموضع الآخر إنما يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته وكذلك النهى إذا لم يكن هناك نسخ ، وإذا أخبر بثبوت شىء لم يخبر بنقيضه وإذا أخبر بنفى شىء لم يثبته .

وهـذا يصـدق على السنـة الشريفة وعلى إجماع المسلمين فان شيئا من ذلك لا ينـاقض الآخـر كما لا ينـاقض بعضـه بعضا ، ولكن قد يشتبه منه شىء على كثير من الناس ـ فالموفق للصراط المستقيم يرده إلى المحكم البين ، وهذا هو حكمه .

أمـا ما عدا الـوحى ففيـه القـول المختلف الـذى ينقض بعضـه بعضـا ، يثبت الشىء تارة وينفيـه أخـرى ، أو يأمر به وينهى عنه فى وقت واحد ، ويفرق بين المتماثلين فيمدح أحدهما ويذم الآخر(٢) .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٣٤٤،٣٤٥ .

(٢) انظر : التدمرية ، القاعدة الخامسة ص ٣٨ـ٤٠ لابن تيمية .

وجماع الأمر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «أن الكتاب والسنة يحصل منهما الكمال والهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والالحاد فى أسماء الله وآياته ، ولا يحسب الحاسب أن شيئا من ذلك يناقض بعضه بعضا البتة»[1] .

وقال الشاطبى : «فان الذى عليه كل موفق بالشريعة أنه لا تناقض فيها ولا اختلاف فمن توهم ذلك فيها فلم يمعن النظر ولا أعطى وحى الله حقه» ولذلك قال الله تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ؟** ﴾ فحضهم على التدبر أولا ثم أعقبه ﴿ **لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾ فبين أنه لا اختلاف فيه والتدبر يعين على تصديق ما أخبر به»[2] .

أصول السلف الصالح :

إن أصول السلف الصالح التى يصدرون عنها ويرجعون إليها عند الاختلاف ويردون إليها عند التنازع ، وينزلون على حكمها ويعتمدون عليها فى العلم والدين تتلخص فيما يلى :

المصدر الأول : كتاب الله تعالى وهو كلامه أصدق الكلام ولا أصدق منه .

المصدر الثانى : السنة الشريفة وهى هدى محمد ﷺ خير الهدى ولا هدى خير منه . وهى التى تفسر القرآن وتبينه ، وهى مثل القرآن فى الحجة ولا تناقضه .

المصدر الثالث : الاجماع (اجماع المسلمين) وهم الجماعة أهل السنة الذين لا يجتمعون على ضلالة . والاجماع الذى ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح من القرون الثلاثة الأولى وأما بعدهم فكثر الاختلاف وانتشرت الأمة .

المصدر الرابع : القياس : ينبنى القياس على الثلاثة المصادر المتقدمة . فهذه الثلاثة هى موازين أهل السنة والجماعة يزنون بها كل شىء ولا يزنونها بشىء ، وهذا هو معنى القياس ، فانهم يزنون بهذه الثلاثة المتقدم ذكرها طردا وهو التسوية بين

---

(١) الحموية ص ٧٩ تصحيح محمد عبد الرزاق حمزة ، ط المدنى .

(٢) الاعتصام جـ٢ ص ٣١٧ .

المتماثلات، وعكسا وهو التفرقة بين المختلفات، يزنون بذلك جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال وأقوال وأحوال باطنة وظاهرة مما له تعلق بالعلم والدين.

نصوص تبين أن الاختلاف واقع فى الأمة :

ومما أخبر به رسول الله ﷺ أن أمته تتفرق إلى فرق كثيرة :

قال الإمام الشاطبى فى كتاب الاعتصام(١) : «صح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك وتتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» وخرجه الترمذى هكذا.

وفى رواية أبى داود قال : «افترق اليهود على احدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على احدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة»(٢).

نصوص تبين ماذا يختلفون فيه وسبب الاختلاف وذمه وذم أهله ومصيرهم :

فى صحيح البخارى فى كتاب التوحيد حديث فيه قول النبى ﷺ «ان . . . قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لأن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»(٣).

وهذا الحديث فى مواضع كثيرة من صحيح البخارى وغيره.

وفى صحيح البخارى أيضا فى كتاب الفتن : «باب تغير الزمان حتى يعبدوا الأوثان» وفيه حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذى الخلصة وذو الخلصة طاغية دوس التى كانوا يعبدون فى الجاهلية»(٤).

---

(١) جـ٢/١٨٩.

(٢) انظره فى : سنن أبى داود، ط الحلبى، جـ٢/٥٠٣، وانظر تصحيح الألبانى له فى هامش شرح الطحاوية ص ٥٧٨.

(٣) جـ٨/١٧٨.

(٤) جـ٨/١٠٠ وانظره فى كتاب السنة لابن أبى عاصم جـ١/٣٨.

وفى كتاب السنة لابن أبى عاصم وصححه الألبانى عن معاوية رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله ﷺ يوما فذكر: «ان أهل الكتاب قبلكم تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة فى الأهواء، ألا وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة فى الأهواء كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة، ألا وانه يخرج فى أمتى قوم يهوون هوى يتجارى بهم ذلك الهوى كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يدع منه عرقا ولا مفصلا إلا دخله».

وأخرجه ابن أبى عاصم من طرق متعددة[1]، ومثل ذلك فى سنن أبى داود كتاب السنة[2].

وقال الإمام الشاطبى فى قوله تعالى: ﴿**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء**﴾.

«وهى آية نزلت عند المفسرين فى أهل البدع، ويوضحه من قرأ: (ان الذين فارقوا دينهم) والمفارقة للدين بحسب الظاهر إنما هى الخروج عنه، وقوله: ﴿ **فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم؟** . . . ﴾ الآية وهى عند العلماء منزلة فى أهل القبلة وهم أهل البدع وهذا كالنص إلى غير ذلك من الآيات»[3].

وأورد ابن أبى عاصم أحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى منها عن سنان بن أبى سنان أنه سمع أبا واقد الليثى يقول: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حديثوا عهد بكفر - وكانوا أسلموا يوم الفتح - قال فمررنا بشجرة فقلنا يا رسول الله اجعل ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فلما قلنا ذلك للنبى ﷺ قال الله أكبر قلتم والذى نفسى بيده، كما قالت بنوا إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال: انكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من قبلكم» ورواه ابن عيينة ومالك أيضا.

قال الألبانى اسناده حسن وصحح الحديث بشواهد أخرى (جـ ١/٣٦، ٣٧).

ومنها ما رواه مسلم فى كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى[4] عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم

---

(١) انظر: جـ١ ص ٧-٩، ص ٣٢-٣٦.
(٢) انظر: جـ٢ ص ٥٠٣-٥٤٦.
(٣) جـ٢/١٩٥.
(٤) انظره: فى جـ٤/٢٠٥٦ ترتيب فؤاد عبد الباقى.

شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لسلكتموه» قالوا يارسول الله من اليهود والنصارى؟ قال: «فمن إذا»(١).

وقال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ **ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾ (الروم: ٣٢) وهذه الأمة اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة وهم أهل السنة والجماعة»(٢).

مما تقدم نعلم أن الاختلاف والتفرق فى الدين فتنة، وهو أمر واقع فى أصل الدين وفى توحيد الله بالعبادة، وفى معنى العبادة كما اختلف الذين من قبل فى ذلك، وهو أصل محكم فيما أنزل الله على النبى وأرسله به ﷺ لا يتناقض ولا يختلف ولا يتضاد، ولكن الناس هم يختلفون . . وأقبح اختلاف ما كان بسبب الأهواء المخالفة لما جاء به رسول الله ﷺ وهى أصل المحدثات فى الدين والبدع المذمومة التى يتعبد بها أصحابها وكل واحدة من هذه المحدثات لها أتباع هم فرقة من الفرق الكثيرة التى أخبر الرسول ﷺ أنها تبلغ فى أمته ثلاثا وسبعين فرقة كلها فى النار إلا الجماعة التى تمسكت بالكتاب والسنة فى تعبدها لله تعالى، ولم تتعبد لربها بما ليس عليه أمر رسول الله ﷺ فى باطنها وظاهرها فهى الجماعة الناجية والفرقة الفائزة.

---

(١) انظر كتاب السنة لابن أبى عاصم جـ١/ ٣٦-٣٧.
(٢) تفسير ابن كثير، جـ٤/ ٤٣٣.

مَنْهَجُ الشَّيْخ

ومنهج الشيخ رحمه الله هو منهج السلف الصالح، ويوافق تماما ما ذكرناه فى هذا التمهيد من منهجهم رضى الله عنهم.

الشيخ يرى أن الله سبحانه وتعالى نصب الأدلة وبين الآيات الدالة عليه وأعطى الفطر ثم العقول ثم بعث الرسل وأنزل الكتب، كلها دالة عليه ومعرفة به سبحانه وتعالى ومن آياته القرآن الكريم الذى تحدى الله بسورة من مثله فقال: ﴿ **وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار** ... ﴾ الآية (البقرة: ٢٣، ٢٤).

وقد ضرب الله فى هذا القرآن الأمثال الجلية وبين البيان الواضح، وحمد نفسه على هذا البيان، ومع وضوح الأدلة فالأكثر جهال ـ قال تعالى: ﴿ **ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون ، ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾[1] (الزمر: ٢٧-٢٩).

والله سبحانه قطع العذر وأقام الحجة بانزال هذا الكتاب وارسال الرسول ﷺ وابقاء دينه لا خير إلا دل عليه ولا شر إلا حذر منه إلى قيام الساعة والخير الذى دل عليه هو التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذى حذر منه هو الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه، بعثه الله إلى الناس كافة وافترض الله طاعته على جميع الثقلين: الجن والإنس[2].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ١٤٥ والزمر ص ٣٢٨، والأعراف ص ٧٦ والعلق ص ٣٧١. وملحق المصنفات، ومسائل ملخصة عن ابن تيمية مسألة رقم ٥٢-٥٤ ص ص ٣٩، ٤٠. ورقم ٦٠ ص ٤٣، والخطب المنبرية ص ص ١٣، ١٤ وص ص ٢٢، ٢٣، وص ص ٥١، ٥٣، ٥٨-٦٠.
ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢ ص ص ١٧، ١٨.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٨ ص ٢٧١. والقسم الأول، العقيدة ثلاثة الأصول، ص ١٩٤.

ويقـول رحمـه الله تعـالى فى جواب أفتى به حين سئـل رحمه الله تعالى عن قوله تعالى ﴿ قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ﴾[1] الآية . فأجاب رحمه الله :

«إعلم رحمك الله أن الله سبحانه عالم بكل شىء ، يعلم ما يقع على خلقه وما يقعـون فيـه ، ومـا يرد عليـه من الواردات إلى يوم القيامة . وأنزل هذا الكتاب المبارك الذى جعله تبيانا لكل شىء ، وجعله هدى لأهل القرن الثانى عشر ومن بعدهم ، كما جعله لأهـل القـرن الأول ومن بعـدهـم . ومن أعظم البيـان الـذى فيـه بيـان الحجج الصحيحة ، والجواب عما يعارضها ، وبيان بطلان الحجج الفاسدة ونفيها . فلا إله إلا الله ماذا حرمـه المعـرضـون عن كتـاب الله من الهدى والعلم ! ولكن لا معطى لما منع الله . وهذه التى سألت عنها فيها بيان بطلان شبهة يحتج بها بعض أهل النفاق والريب فى زماننا هذا فى قضيتنا هذه .

وبيـان ذلـك : أن هذه فى آخـر قصـة آدم وإبليس ، وفيهـا من العـبر والفـوائد العظيمة لذريتهما ما يجل عن الوصف ، فمن ذلك : أن الله أمر إبليس بالسجود لآدم ، ولو فعل لكان فيه طاعة لربه وشرف له ، ولكن سولت له نفسه أن ذلك نقص فى حقه إذا خضع لواحد دونه فى السن ودونه فى الأصل على زعمه ، فلم يطع الأمر ، واحتج على فضله بحجـة وهى : أن الله خلقـه من أصـل خير من أصـل آدم ، ولا ينبغى أن الشـريف يخضـع لمن دونـه ، بل العكس فعـارض النص الصـريح بفعل الله الذى هو الخلق ، فكان فى هذا عبرة عظيمة لمن رد شيئا من أمر الله ورسوله واحتج بما لا يجدى . فلما فعل لم يعذره الله بهذا التأويل ، بل طرده ورفع آدم ، وأسكنه الجنة . فكان مع عدو الله من الـذكـاء والفطنـة ودقة المعرفة ما يجل عن الوصـف ، فتحيل على آدم حتى ترك شيئا من أمر الله ، وذلك بالأكل من الشجرة ، واحتج لآدم بحجج . فلما أكل لم يعذره الله بتلك الحجج ، بل أهبطه إلى الأرض ، وأجلاه من وطنه ، ثم قال : ﴿ اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى ﴾[2] يقول تعالى : لاجلينكم عن وطنكم ، فان بعـد هذا كلام وهـو أنى أرسـل إليكم هدى من عنـدى لا أكلكم إلى رأيكم ولا رأى علمائكم ، بل أنزل عليكم العلم الواضح الذى يبين الحق من الباطل

---

(١) سورة طه : آية ١٢٥ .

(٢) سورة طه : آية ١٢٣ .

والصحيح من الفاسد، والنافع من الضار ﴿ **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾[1].

ومعلوم أن الهدى هو هذا القرآن. فمن زعم أن القرآن لا يقدر على الهدى منه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد فقد كذب الله بخبره أنه هدى فانه على هذا القول الباطل لا يكون فى حق الواحد من الآلاف المؤلفة، وأما أكثر الناس فليس هدى فى حقهم، بل الهدى فى حقهم أن كل فرقة تتبع ما وجدت عليه الآباء. فما أبطل هذا من قول. وكيف يصح لمن يدعى الإسلام أن يظن بالله وكتابه هذا الظن ؟

ولما عرف سبحانه أن هذه الأمة سيجرى عليها ما جرى على من قبلها من اختلافهم على الأكثر من سبعين فرقة، وأن الفرق كلها تترك هدى الله إلا فرقة واحدة، وأن كل الفرق يقرون أن كتاب الله هو الحق لكن يعتذرون بالعجز، وأنهم لو يتعلمون كتاب الله ويعملون به لم يفهموه لغموضه ـ قال: ﴿ **فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾ وهذا تكذيب هؤلاء الذين ظنوا فى القرآن ظن السوء. قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة.

وبيان هذا أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم لو تركوا طريقة الآباء، واقتصروا على الوحى لم يهتدوا بسبب أنهم لا يفهمون، كما قالوا: (قلوبنا غلف)، فرد الله عليهم بقوله ﴿ **بل لعنهم الله بكفرهم** ﴾[2] فضمن لمن اتبع القرآن أنه لا يضل كما ضل من اتبع الرأى، فتجدهم فى المسألة الواحدة يحكون سبعة أقوال أو ستة ليس منها قول صحيح، والذى ذكره الله فى كتابه فى تلك المسألة بعينها لا يعرفونه.

والحاصل أنهم يقولون: لا نترك القرآن إلا خوفا من الخطأ، ولم نقبل على ما نحن فيه إلا للعصمة فعكس الله كلامهم، وبين أن العصمة فى اتباع القرآن إلى يوم القيامة.

وأما قوله: (ولا يشقى) فهم يزعمون أن الله يرضى بفعلهم ويثيبهم عليه فى الآخرة، ولو تركوه واتبعوا القرآن لغلطوا وعوقبوا. فذكر الله أن من اتبع القرآن أمن من المحذور الذى هو الخطأ عن الطريق، وهو الضلال، وأمن من عاقبته وهو الشقاء فى

---

(١) سورة النساء: آية ١٦٥.

(٢) سورة البقرة: آية ٨٨.

الآخرة. ثم ذكر الفريق الآخر الذى أعرض عن القرآن فقال: ﴿ **ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا** ﴾(١) وذكر الله هو القرآن الذى يبين الله لخلقه فيه ما يحب ويكره، قال الله تعالى: ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين** ﴾(٢) الآيتين. فذكر الله لمن أعرض عن القرآن وأراد الفقه من غيره عقوبتين، احداهما: المعيشة الضنك، وفسرها السلف بنوعين، **احدهما**: ضنك الدنيا ـ وهو أنه ـ ان كان غنيا ـ سلط عليه خوف الفقر وتعب القلب والبدن فى جميع الدنيا حتى يأتيه الموت، ولم يتهن بعيش.

الثانى: الضنك فى البرزخ وهو عذاب القبر. وفسر الضنك فى الدنيا أيضا بالجهل، فان الشك والحيرة لهما من القلق وضيق الصدر ما لهما، فصار فى هذا مصداق لقوله فى الحديث عن القرآن: «من ابتغى الهدى من غيره أضله الله» فبان لك أن الله عاقبهم بضد قصدهم، فانهم قصدوا معرفة الفقه فجازاهم بأن أضلهم وكدر عليهم معيشتهم بعذاب قلوبهم لخوف الفقر وقلة غنى أنفسهم، وعذاب أبدانهم بأن سلط عليهم الظلم والفقر وأغرى بينهم العداوة والبغضاء. فان أعظم الناس تعاديا هؤلاء الذين ينتسبون إلى المعرفة، ثم قال تعالى: ﴿ **ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ والعمى نوعان: عمى القلب وعمى البصر. فهذا المعرض عن القرآن ـ لما عميت بصيرته فى الدنيا عن القرآن ـ جازاه الله أن حشره يوم القيامة أعمى. قال بعض السلف: أعمى عن الحجة لا يقدر على المجادلة بالباطل كما كان يصنع فى الدنيا ﴿ **قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا** ﴾ فذكر الله أنه يقال له: هذا بسبب اعراضك عن القرآن فى الدنيا وطلبك العلم من غيره. قال ابن كثير فى الآية (ومن أعرض عن ذكرى ـ أى خالف أمرى وما أنزلته على رسولى. أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه ﴿ **فان له معيشة ضنكا** ﴾ أى: فى الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح ولا تنعم. وظاهره أن قوما أعرضوا عن الحق وكانوا فى سعة من الدنيا فكانت معيشتهم ضنكا، وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخالفا لهم معاشهم من سوء ظنهم بالله. ثم ذكر كلاما طويلا، وذكر ما ذكرته من أنواع الضنك. والله سبحانه وتعالى أعلم»(٣).

---

(١) سورة طه: آية ١٢٤.

(٢) سورة الزخرف: آية ٣٦.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ١٦ ص ص ٧٥-٧٩، والقسم الرابع، التفسير ص ص ٢٦٣-٢٦٨.

فبناء على هذا فالشيخ رحمه الله تعالى يرى كما يرى السلف رضى الله عنهم أن أصل أصول العلم والهدى هو ما جاء به رسول الله ﷺ من العلم بالله والعلم برسوله ﷺ والعلم بدين الإسلام بأدلته، لأن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، ان هو وحى يوحى، قال تعالى: ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده** ﴾[1] (النساء: ١٦٣).

وقال الله تعالى: ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون** ﴾ (يوسف: ١٠٢).

قال الشيخ: «فيه الرد على مخالفى الرسل فى قولهم: ﴿ **لولا يكلمنا الله** ﴾ (البقرة: ١١٨) - أو نحو ذلك، لأن الرسل ماأتو الأمم إلا بالوحى[2]، وخاتم الرسل محمد بن عبد الله ﷺ أوحى الله إليه هذا القرآن وآتاه مثله معه من السنة، والله تعالى بين دلالة نبوة رسوله ﷺ بالتحدى بأقصر سورة من القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ **وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار** ... ﴾ الآية[3]. (البقرة: ٢٤).

وبشهادة علماء أهل الكتاب كما فى قوله: ﴿ **أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل** ﴾ (الشعراء: ١٩٨)، وبكون أهل الكتاب يعرفونه كما فى قوله تعالى: ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفرو** ... ﴾ الآية. وغير ذلك من الآيات التى تقطع الخصم وتدل على أن محمدا ﷺ رسول الله يوحى إليه بالعلم والهدى كما أوحى إلى من قبله وخص بالقرآن الذى قال الله فيه: ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾.

قال الشيخ فى تفسير ذلك ما حاصله: ذلك الكتاب الكامل الذى لا شك فيه، وأن الهداية به للمتقين خاصة فمن لا يتبعه ليس هو من المتقين، وفيه الرد على

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة ثلاثة الأصول ص ١٨٥-١٩٥، ومسائل الجاهلية ص ٣٣٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ١٧٧.

(٣) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢ ص ١٧.

قول الشياطين من شياطين الإنس ممن يدعى العلم أن القرآن لا يفسر[1].

وأجاب الشيخ عن اختلافهم فى الكتاب العزيز وهل يجب تعلمه واتباعه على المتأخرين لامكانه؟ أولا يجوز للمتأخرين لعدم امكانه؟ بأن الكتاب العزيز حكم بينهم بالحكم الذى هو قول الله تعالى: ﴿ **وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا** ﴾ (طه: ١٠٠).

وقوله تعالى: ﴿**ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾ الآيات. (طه: ١٢٤-١٢٧).

وقوله تعالى: ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين**﴾ (الزخرف: ٣٦)[2].

وكذلك أمر رسول الله ﷺ هو مثل القرآن - كما قال تعالى: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ (الحشر: ٧).

وقال تعالى: ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾ (النور: ٥٤).

وقال تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله** ﴾ (آل عمران: ٣١).

فمن أراد أن يهتدى ويكون محبوبا عند الله فليقبل ما آتاه الرسول ﷺ وينتهى عما نهى عنه ويطيعه فيما أمر.

قال ﷺ: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخارى ومسلم، وفى رواية مسلم «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»[3].

يقول الشيخ: «وأما متابعة الرسول ﷺ فواجب على أمته متابعته فى الاعتقادات والأقوال والأفعال، فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله فما وافق منها قبل وما خالف رد على فاعله كائنا من كان، فان شهادة أن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه فيما أخبر به وطاعته ومتابعته فى كل ما أمر به.

---

(١) انظر: الدرر السنية فى الأجوبة النجدية جـ١٠ ص ص ٣٩-٤٠.

(٢) الدرر السنية جـ٤/ص ٦.

(٣) انظر: صحيح البخارى، جـ٣ ك الصلح ب ٥ ص ١٦٧، وصحيح مسلم جـ٣ ك الأقضية ص ص ١٣٤٣، ١٣٤٤.

وقد روى البخارى من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى - قيل: ومن يأبى - قال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»[1].

ويقول: «فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين وما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء كأبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل رضى الله عنهم أجمعين لكى تتبع آثارهم»[2].

ومن منهج الشيخ: أن طلب العلم فريضة على كل ذكر وأنثى، وأنه شفاء للقلوب المريضة، كما قال تعالى: ﴿ **فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾[3] (طه: ١٢٣)، وأن العلم قبل العمل ومقدم عليه، وهو امامه وسائقه والحاكم عليه[4].

ويريد بالعلم، العلم بما أمر الله به ونهى عنه أى العلم بالتوحيد والإيمان، أى معرفة الله، ومعرفة نبيه محمد بن عبد الله ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة والعمل بتلك المعرفة[5].

ومفتاح العلم فى ذلك هو الدليل كما فى قوله تعالى: ﴿ **لولا يأتون عليهم بسلطان بين** ﴾ (الكهف: ١٥) وأول الآية: ﴿ **هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين** ﴾ قال الشيخ: فهذه المسألة مفتاح العلم وما أكبر فائدتها لمن فهمها[6].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٢ ص ٨٤ ورقم ٧ ص ٤٨، ورقم ١٦ ص ١٠٦. وانظر: صحيح البخارى، جـ٨ ك الاعتصام ب ٢ ص ١٣٩.

(٢) المصدر السابق رقم ١٦ ص ص ١٠٦-١٠٧ من الرسائل الشخصية.

(٣) الدرر السنية، جـ١ ص ٩٨، جـ٤ ص ١٦٨. ومؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق ص ٣٦٩.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٣٦.

(٥) الدرر السنية، جـ٢ ص ص ٣-١٢. ومؤلفات الشيخ الإمام، القسم الأول، ثلاثة الأصول ص ص ١٨٥-١٨٦. والرسالة الخامسة ص ص ٣٧٤-٣٧٥. والقسم الرابع، التفسير، آل عمران ص ٥٠، ويوسف ص ١٥٣، ١٦٣، ١٦٤. ومختصر زاد المعاد ص ٧٧.

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٢٤٤. وانظر: ص ص ٢٨-٢٩، ص ص ٤٠،٤١، ص ص ٥٣-٥٤، وص ص ٥٩-٦٣، ص ٣٢٣، ص ١٣١، وص ٣٧١.

ويرى الشيخ أن اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة هدى الرسول ﷺ وما جاء به، فانه لا سبيل إلى الفلاح إلا على يديه، ولا إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهته، فأى حاجة فرضت وضرورة عرضت، فضرورة العبد إلى هدي الرسول ﷺ فوقها بكثير . . .

وإذا كانت السعادة معلقة بهديه ﷺ فيجب على كل من أحب نجاة نفسه أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن خطة الجاهلين.

والناس فى هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم[1]. فهو لا يريد علما غير نافع ولا علما مجردا عن العمل، ولا يقصد غير ما أمر الله به ونهى عنه.

يقول رحمه الله: «إذا أمر الله العبد بأمر، وجب فيه سبع مراتب: الأولى العلم، والثانية محبته، الثالثة العزم على الفعل، الرابعة العمل، الخامسة كونه يقع على المشروع خالصا صوابا، السادسة التحذير من فعل ما يحبطه، السابعة الثبات عليه»[2].

وفى كتاب أصول الإيمان للشيخ عقد أبوابا فى شأن العلم، هى: باب التحريض على طلب العلم وكيفية الطلب، وباب قبض العلم، وباب التشديد فى طلب العلم للمراء والجدال وباب التجوز فى القول وترك التكلف والتنطع. أورد تحتها أحاديث مناسبة عن رسول الله ﷺ، يتبين منها الحث على طلب علم ما أنزله الله على رسوله ﷺ، من الهدى والعلم، لوجه الله تعالى خالصا، وبيان كيفية طلب العلم، وما هو العلم وما ينبغى أن يقصد به[3].

ويعتقد الشيخ أن هذا أهم ما على الإنسان معرفته والعمل به قبل كل معرفة وعمل، فانه أصل العلم وقاعدته وأن هذا العلم والإيمان فى مكانهما من ابتغاهما وجدهما إلى يوم القيامة[4].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ١٣.

(٢) الدرر السنية جـ٢ ص ٣٨.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ص ٢٦٦-٢٧٦.

(٤) الدرر السنية ط ٢، جـ١ ص ٩٣، وص ٩٧. ومؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق ص ٣٧٠، والقصص ص ٢٨١.

فلا يزال العلماء بذلك يوجدون، فان الحق لا ينقطع كلية، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجته، إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، كما هى البشارة المحمدية بأن الحق لا يزول بالكلية، كما زال فيما مضى، بل لاتزال عليه طائفة وأنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة[1].

ومن منهجه فى إزالة الشبهة أن يتبع عادة السلف الصالح، فمن عادتهم أنهم يزيلون الشبهة بسؤال العلماء، وأن العلماء يجيبون السائل بما يزيل شبهته، وذلك أنهم ينسبون الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط[2]، لعمق علمهم[3] ولا يخفى أن المقصود بالسلف الصالح وبالعلماء هنا أنهم الصحابة والتابعون، فان هذه القاعدة التى اعتادها السلف الصالح، ويبينها الشيخ فى مؤلفاته لينبه على أنها قاعدة منهجية يتبعها المسلمون فى سير حياتهم، وهى مستنبطة من الآثار الواردة عن الصحابة وعن التابعين، ولما حدث فى نفوس بعض الناس إشكال فى القدر لبعدهم عن العلم النبوى، اتجهوا إلى صحابة النبى ﷺ، كابن عمر، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت ونحوهم فهم العلماء[4].

ومن عادة هؤلاء السلف الصالح، أنهم يبدأون بالأهم فالأهم والتنبيه على التعليم بالتدريج كما رسم ذلك رسول الله ﷺ: حين بعث معاذا إلى اليمن فقال له «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» - وفى رواية: «إلى أن يوحدوا الله، فان هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم . .» الحديث متفق عليه - ونحوه من حديث بعث علي إلى خيبر ليفتحها متفق عليه[5].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان ص ص٦٨-٧٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء فى منكرى القدر ص ١٣٧، وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ص ٢٠-٢٢.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، التوحيد، باب من حقق التوحيد ص ١٧.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ص ١٣٥-١٣٧.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ص ٢٠-٢٢.

ويقول رحمه الله : «إذا أردت البحث عن هدى الله الذى جاء من عنده، فانك تبتدى بالأسهل فالأسهل، وأسهل ما يكون وأهمه القصص التى قص الله علينا عن الأنبياء وأممهم، وأول ما تبتدى به من القصص التى قص الله، قصة أبيك آدم وإبليس، وما ذكر الله عنهم وكون آدم لما اعترف بذنبه وتاب، تاب الله عليه، وأكثر الناس يظنون أن الاعتراف بالذنب مذلة، ويستهزؤ ن بمن أقر بذنبه واعترف وتاب منه، وكون إبليس لعنه الله لما احتج بالقدر ولم يعترف بذنبه أن الله طرده وآيسه من رحمته، وكون أكثر الناس يظن أن فعل إبليس هو الذى يرضاه الله، ويزدرى على من فعل فعل آدم، نعوذ بالله من سوء الفهم.

ويقول أيضا : «ينبغى للمعلم أن يعلم الإنسان على قدر فهمه، فإن كان ممن يقرأ القرآن أوعرف أنه ذكى، فيعلم أصل الدين وأدلته، والشرك وأدلته، ويقرأ عليه القرآن، ويجتهد أنه يفهم القرآن فهم قلب، وان كان رجلا متوسطا ذكر له بعض هذا، وان كان مثل غالب الناس، ضعيف الفهم، فيصرح له بحق الله على العبيد، مثل ما ذكر النبى ﷺ لمعاذ، ويصف له حقوق الخلق، مثل حق المسلم على المسلم، وحق الأرحام وحق الوالدين، وأعظم من ذلك حق النبى ﷺ، وأفرضه شهادتك له أنه رسول الله، وأنه خاتم النبيين، وتعلم أنك لو ترفع واحدا من الصحابة فى منزلة النبوة صرت كافراً، فإذا فهم ذلك فقل حق الله عليك أعظم وأعظم، فاذا سأل عن حق الله فاذكر له انك تعبده، ولا تصير مثل البدوى، وأيضا تخلص له العبادة، لا تكون مثل من يدعوه ويدعوا غيره، أويذبح له ولغيره، أويتوكل عليه وعلى غيره، وكل العبادات كذلك وتعرفه أن من أخل بهذا حرمت عليه الجنة، ومأواه النار، ولوظن أنه ما يشرك، فاذا عرف التوحيد ولا عمل به، ولا أحب وأبغض فيه ما دخل الجنة، ولو ظن أنه ما أشرك لأن فائدة ترك الشرك تصحيح التوحيد، ومن أعظم ما تنبهه عليه التضرع عند الله، والنصيحة واحضار القلب فى دعاء الفاتحة إذا صلى»[1].

وينبغى للعالم إذا سأله العامى عما لا يحتاج إليه، أوسأله عما غيره أهم منه، أن يفتح له بابا إلى المهم. ولا يحقر عن التعليم من يظنه أبعد الناس عنه، ولا يستبعد فضل الله عليه، فان الرجلين (اللذين مع يوسف فى السجن) من خدام الملوك الكفرة، بخلاف من يقول: ليس هذا بأهل للعلم، وتعليمه اضاعة للعلم[2].

---

(١) الدرر السنية جـ١ ص ٩٨-٩٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ص ١٤٧-١٤٨.

فإن من يهتم بالعلم ويسأل عنه، هو الذى ينتفع به، فلا يعرض عنه، أما من لا يهتم به فهو الذى لا ينتفع[1].

ويبين الشيخ أن من أساليب العلماء، أنهم يخرجون المسألة للمتعلم بالاستفهام عنها لقوله ﷺ : «أتدرون ماذا قال ربكم؟» فى حديث زيد بن خالد قال: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على أثر سماء كانت س الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: أتدرون ماذا قال ربكم؟»[2] ومن أسلوبهم، أنهم يصنفون الكتب فى بيان الحق، والدعوة إليه، وبيان ما هو من عند الله على الحقيقة، ولا يصنفون الكتب الباطلة، ولا ينسبون إلى الله الباطل، كما هو أسلوب الجاهلين[3].

ومن منهج الشيخ رحمه الله، أنه يحدث الناس بما يعرفون، أخذا بقول علي رضى الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟» رواه البخارى، وقد أورده الشيخ فى كتاب التوحيد[4].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن فى شرحه: «وقد كان شيخنا المصنف رحمه الله لا يحب أن يقرأ على الناس إلا ما ينفعهم، فى أصل دينهم وعباداتهم ومعاملاتهم، الـذى لا غنى لهم عن معرفته، وينهاهم عن القراءة فى مثل كتب ابن الجوزى: كالمنعش، والمرعش، والتبصرة، لما فى ذلك من الاعراض عما هو أوجب وأنفع، وفيها ما الله به أعلم مما لا ينبغى اعتقاده والمعصوم من عصمة الله»[5].

ومما استنبطه الشيخ من قصة آدم وإبليس أن فى القصة شاهدا لما ذكر فى الحديث: «ان من العلم جهلا»[6] أى من بعض العلم ما العلم به جهل، والجهل به هو العلم فان اللعين من أعلم الخلق بأنواع الحيل التى لا يعرفها، مع أن الله علمه الأسماء كلها، فكان ذلك العلم من إبليس هو الجهل، وفى الحديث: «ان الفاجر

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ١٣١.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٨٥-٨٧.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، مسائل الجاهلية، ص ٣٤١.
(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٠٦.
(٥) فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد ص ٤١٤.
(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٩٤ والحديث رواه أبو داود عن بريدة ويروى (ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا).

خب لئيم وأن المؤمن غر كريم»[1] وأبلغ من ذلـك وأعم منـه قول الملائكة: ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾ فقيل لهم ما قيل وعوتبوا، فكانت توبتهم أن قالوا: ﴿ **سبحانك لا علم لنـا إلا ما علمتنـا** ﴾ (البقرة: ٣٢) فكان كما لهم ورجوعهم عن العتب، وكمال علمهم أن أقروا على أنفسهم بالجهل إلا ما علمهم سبحانه، ففى هذه القصة شاهد للقاعدة الكبرى فى الشريعة المنبه عليها فى مواضع منها قوله ﷺ : «وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها»[2].

والشيـخ يبـين أن أهم وأنفـع شىء هو معرفة قواعد الدين على التفصيل، فان أكثر الناس يفهم القواعد ويقر بها على الاجمال، ويدعها عند التفصيل[3].

مثل من يقول: التوحيد زين والدين حق، فاذا تبين له أن من التوحيد والدين تكفير المشرك وقتاله على ذلك، ترك هذا الأمر لأنه لا يوافق هواه[4].

ويبين الشيخ أن الكلام ينحصر فى مسألتين من العلم:

الأولى:

أن الله بعث محمـدا ﷺ لاخـلاص الـدين، لا يجعـل معـه أحـد فى العبـادة، والتأله، لا ملك ولا نبى، ولا قبر، ولا حجر، ولا شجر، ولا غير ذلك.

الثانية:

وجـوب اتبـاع سنة رسول الله ﷺ فى الاعتقادات والأقوال والأفعال كما قال الله تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ ﴿ آل عمران: ١٠٦).

---

(١) رواه أبو داود (كتاب الأدب) والترمذى (كتاب البر) كما رواه أحمد فى مسنده ٣-٢٩٤.

(٢) راجـع فى هذا المعنى: الـترمـذى (كتـاب اللبـاس) وابن ماجـه (كتاب الأطعمة)، وصحيح البخارى (كتاب الاعتصام) وصحيح مسلم (كتاب الفضائل). وراجع تفسير قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم** ﴾ سورة المائدة: ١٠١ فى كتب التفسير الكبيرة، (مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٩٤).

(٣) مؤلفـات الشيـخ، القسم الثـانى، الفقـه، المجلد الثانى ص ص ١٠-١٥، ومجموعة رسائل مخطوطة بالمكتبـة العـامـة بتطوان المغرب صورتها عند الشيخ حماد الأنصارى بعنوان مسألة فى رجل تفقه لوحة ٤. ومؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٣١.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٧ ص ١٨٣.

وتـرك ابتـداع ما ليس من سنتـه ﷺ فى عبـادة الله تعـالى ، لقـولـه ﷺ : «من أحـدث فى أمـرنـا هذا ما ليس منـه فهو رد» رواه البخارى ومسلم ، وفى رواية مسلم : «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» .

فتـوزن أقـوال النـاس وأفعـالهم البـاطنـة والظاهرة ، فى عبادة الله تعالى بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله ، فما وافق منها أقوال الرسول ﷺ وأفعاله قبل وما خالف رد على فاعله كائنا من كان[1] .

ويقول الشيخ بعد كلام له فى تقرير طلب العلم بالسنة والعمل بها : «وقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة ومعرفة ما أراد بذلـك كما كان عليـه الصحـابة والتابعون ومن سلك سبيلهم ، وكلما يحتاج إليه الناس فقـد بينـه الله ورسـولـه ﷺ بيـانا شافيا كافيا ، فكيف أصول التوحيد والإيمان ، ثم إذا عرف ما بينـه ﷺ نظر فى أقـوال النـاس ومـا أرادوا بها فعـرضت على الكتاب والسنة والعقـل الصـريـح الـذى هو موافق للرسـول ﷺ فانـه الميزان مع الكتاب فهذا سبيل الهـدى ، وأمـا سبيـل الضـلال والبـدع والجهـل فعكسـه أن تبتـدع بدعة بآراء رجال وتأويلاتهم ، ثم تجعل ما جاء به الرسول ﷺ تبعا لها وتحرف ألفاظه وتؤوَّل على وفق ما أصلوه وهؤلاء تجدهم فى نفس الأمـر لا يعتمـدون على ما جاء به الـرسول ﷺ ، ولا يتلقون منه الهدى ، ولكن ما وافقهم منه قبلوه ، وجعلوه حجة لا عمدة وما خالفهم منه تأولوه كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، أو فوضوه كالذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى»[2] .

وليعلم طالب العلم أن العـوام محتـاجـون إلى كلام أهل العلم من تحقيق هذه المسائل ونقل كلام العلماء .

وقـد نوه ﷺ ، بأن دينـه يصـير بعده غريبا ، فقال ﷺ : «عليكم بسنتى وسنة الخلفـاء الـراشـدين المهـديـين من بعـدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» .

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٩٦ ، ص ١٠٦ .
(٢) الدرر السنية ، ط ٢ ، جـ٢ ، ص ٨ .

وأن أمة محمد ﷺ ، تفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها فى النار إلا واحدة ، ثم ذكر الشيخ أمثلة من ظهور البدع ، التى انما تحدث فى حال غربة الإسلام[1]. ليحدد منهجه فى مقاومة البدع وابطالها.

كما يحدد الشيخ نوع من يكون معه الكلام فى ذلك فيقول: «إنما كلامنا مع رجل يؤمن بالله واليوم الآخر، ويحب ما أحب الله ورسوله، ويبغض ما أبغض الله ورسوله، لكنه جاهل قد لبست عليه الشياطين دينه، ويظن ان الاعتقاد فى الصالحين حق، ولو يدرى انه كفر يدخل صاحبه فى النار ما فعله، ونحن نبين لهذا ما يوضح له الأمر، فنقول: الذى يجب على المسلم: أن يتبع أمر الله ورسوله ويسأل عنه، والله سبحانه أنزل القرآن، وذكر فيه ما يحبه ويبغضه، وبين لنا فيه ديننا وأكمل، وكذلك محمد ﷺ أفضل الأنبياء، فليس على وجه الأرض أحد أحب إلى أصحابه منه وهم يحبونه أحب من أنفسهم وأولادهم ويعرفون قدره ويعرفون أيضاً الشرك والإيمان، فإن كان أحد من المسلمين فى زمن النبى ﷺ قد دعاه أو نذر له أو ندبه، أو أحد من أصحابه، جاء عند قبره بعد موته، يسأله أو يندبه، أو يدخل عليه، للالتجاء له عند القبر، فاعرف أن هذا الأمر صحيح حسن، ولا تطعنى، ولا غيرى، وإن كان إذا سألت، إذا أنه تبرأ ممن اعتقد فى الأنبياء والصالحين، وقتلهم وسباهم وأولادهم، وأخذ أموالهم، وحكم بكفرهم، فاعرف أن النبى ﷺ ، لا يقول إلا الحق، والواجب على كل مؤمن اتباعه فيما جاء به.

أما من يصر على دعوة الصالحين، والاستغاثة بهم، والنذر لهم، وصير ورة الإنسان فقيرا لهم، ويقول إن هذا أمر حسن، ولو ذكر الله ورسوله ﷺ أنه كفر، فهو مصر بتكذيب الله ورسوله، ولا خفاء فى كفره، فليس لنا معه كلام[2].

ومنهج الشيخ فى الاستدلال على التوحيد وتفسيره: بالبراهين القاطعة، التى احتج الله بها على خلقه، واستدل بها رسل الله، ومن تبعهم على التوحيد. فيستدل الشيخ بربوبية الله العامة لجميع العالمين، وبآثار صفات الله فى مخلوقاته، وبصفة الإله

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٧ ص ص ٤٦-٤٨.

(٢) الدرر السنية جـ١/٥٢، مؤلفات الشيخ، الشخصية، رسالة رقم ٨ ص ص ٥٢، ٥٣ ورقم ٧ ص ٤٨، ٤٩.

واختصاص الله بها، فلا إله غيره، وبسائر صفات الكمال لله تعالى، التى انفرد بها، والدالة على وحدانيته.

ويستدل بنبوة محمد ﷺ، وبعثته لبيان التوحيد، وبيانه البيان البليغ، وتمام رسالته، ونصرته وظهور دينه.

ويستدل بالوحى المنزل على رسول الله ﷺ، المعجز منه وهو القرآن والصحيح من السنة قولا وفعلا وتقريرا.

ويستدل بمخلوقات الله تعالى، وعبوديتها له طوعا وكرها.

وفى ذلك يسلك الشيخ طريقة القرآن فى البرهنة على التوحيد التى هى عقلية وشرعية، عقلية حيث أن العقل يشهد بصحتها، وشرعية حيث أن الشرع جاء بها، وما ترك الشيخ فيما علمت مسلكا من مسالك الاستدلال إلا وقد سلكه، فالشيخ أحيانا يذكر الوحدانية، ثم يذكر دليلها، وأحيانا: يذكر الدليل، ثم يذكر الوحدانية عقب ذكر الدليل، وأحيانا: لا يذكر الوحدانية، ولا دليلها، ولكن يذكر فقر المخلوقات، وحاجتها وعدمها، وما إلى ذلك من صفاتها، التى تشهد بعبوديتها، وعدم استحقاقها لشىء من العبادة، وأحيانا: يذكر غنى الله سبحانه، وقدرته، وحكمته، وعلمه، وسائر صفات الكمال، التى انفرد بها، وكلها تشهد باستحقاقه لكل العبادة بجميع أنواعها واختصاصه سبحانه بهذا الحق، وكل هذه المسالك يأخذها الشيخ من القرآن الكريم والسنة المطهرة، والشواهد التاريخية، وكلام العلماء وإجماع أهل العلم.

ومما يسترعى الانتباه: أن الشيخ فى احتجاجه واستدلاله، يسلك الطريقة المثلى فى ذلك، فيستدل بالمعلوم إلى المجهول، وبالمسلم به إلى المنازع فيه، وبما أقر به الخصم على ما جحده، وبالمجمع عليه على المختلف فيه، فلننظر إليه فى قوله تعالى: **﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله، قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله، ان أرادنى الله بضر، هل هن كاشفات ضره؟ أو أرادنى برحمته هل هن ممسكات رحمته؟ قل حسبى الله، عليه يتوكل المتوكلون ﴾ (الزمر: ٣٨).**

يقول الشيخ: فيها بيان أن عندهم من العلم ما تقوم به الحجة، وأن المجمع عليه يدل على المختلف فيه، ومجادلة المبطل بالحق الذى يسلمه، وأنه تسليم لا

يجحدونه بل يقرون به للخصم، والتعجب من الإنكار مع هذا الإقرار، والإلزام الذى لا محيد عنه وأن هذا كاشف لشبهتهم[1].

إلى غير ذلك من ما سيأتى تفصيله، فى مبحث استدلال الشيخ على توحيد الألوهية إن شاء الله تعالى.

أما ما يسمى: قضية إثبات وجود الله تعالى - فان الشيخ لم يشغل نفسه بذلك كما فعل من يتكلم فى التوحيد، من أهل الكلام وغيرهم، لأن وجود الله ثابت مشهود لا شك فيه ولا ريب، والخلق مفطورون على الاقرار بذلك، بل يقرون بتوحيد الله فى الربوبية، كما قال تعالى: ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** ﴾ (الزمر: ٣٩).

وقال تعالى: ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله** ﴾ (الروم: ٣٠). وقال تعالى: ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا: بلى، شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة، انا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك أباؤنا من قبل، وكنا ذرية من بعدهم، أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟** ﴾ (الأعراف: ١٧٢، ١٧٣).

قال الشيخ: «ليس المراد معرفة الإله الاجمالية، يعنى معرفة الإنسان أن له خالقا، فانها ضرورية فطرية، بل المراد معرفة الإله، هل هذا الوصف مختص بالله ؟ لا يشركه فيه ملك مقرب، ولا نبى مرسل، أم جعل لغيره قسطا منه؟

فأما المسلمون أتباع الأنبياء، فاجماعهم: على أنه مختص، كما قال الله تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول، إلا نوحى إليه: أنه لا إله إلا أنا، فاعبدون** ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

والكافرون يزعمون أنه هو الإله الأكبر، ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده، والمتكلمون ممن يدعى الإسلام، أضلهم الله عن معرفة الإله»...

ثم ذكر الشيخ أنه يفسرون الإله: بأنه القادر، وأن الألوهية هى القدرة[2]، وعلى كل فالشيخ يعتبر الاقرار بقدرة الله، وبربوبيته أمرا فطريا ضروريا بدهيا، وهو

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٣٣٠، ٣٣١.

(٢) الدرر السنية، جـ١ ص ٧٠.

الدليل القاطع كما قال تعالى: ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون ﴾[1] (النحل: ١٧).

فهو الذى يستدل به على اختصاص الله تعالى بصفة الإله، فكيف يحتاج إلى دليل؟ وهو الدليل؟ لا شك أن الدليل لا يحتاج إلى دليل.

ولئن كانت ربوبية الله الظاهرة المشهودة بالمحسوس والمنظور والفطرة، تحتاج إلى دليل فإنه لا يصح ثبوت شىء على الإطلاق.

كما قيل:

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما ما يقوله الشيخ فى افتتاحية رسالة له، تشتمل على قواعد أربع يتميز بهن المسلم من المشرك، ونصه: «الحمد لله الذى يستدل على وجوب وجوده ببدائع ما له من الأفعال المنزه فى ذاته وصفاته عن النظائر والأمثال، أنشأ الموجودات فلا يعزب عن علمه مثقال»[2].

فالشيخ ينبه على دلائل وحدانية الله بالألوهية من صفاته وأفعاله وربوبيته المشهودة، لأن الشيخ لا يقصد مجرد إثبات وجوده وربوبيته، بمعنى أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمور إلا الله، بل مقصوده كما ذكرنا الاستدلال بربوبيته على وحدانيته فى الألوهية بدليل أن هذه الرسالة تشتمل على قواعد أربع يتميز بهن المسلم من المشرك وخلاصتهن:

١ ــ بيان أن الله أبدع خلقنا.
٢ ــ لنعبده.
٣ ــ ان الشرك يفسد العبادة.
٤ ــ أن العبادة على السنة[3].

إذا تقرر هذا فمن العبث الاشتغال بإثبات الثابت، وتحصيل الحاصل، ومن الخطأ أن نتفقد هذا العبث فى منهج الشيخ، الجاد فى دعوته وعقيدته، أو اذا لم نجده نحاول ليّ بعض الجوانب الأخرى لتكون مقصود الشيخ بهذا الذى افتقدناه.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٢٠٤.
(٢) الدرر السنية، ط ٢، جـ٢، ص ٣.
(٣) انظر المرجع السابق.

إن الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسـلام لم يجيئـوا أقـوامهم ليثبتـوا ثابتـا ، ويعلموا معلوما ولم يأمروا أهل ملتهم أن يقولوا : «الله موجود» ولا أن يقولوا : «لا موجود إلا الله» فهذا يفضى إلى وحدة الوجود الباطلة ، وصفة الوجود ليست أخص وصفه ، كما هى ربـوبيتـه للعـالمـين ، فكونه رب العالمين هو من أخص وصفه سبحانه ، لذا فان الرسل أمروا قومهم بأن يقولوا : «لا إله إلا الله» وبينوا لهم أن هذا القول بصدق هو المطلوب ، واستـدلـوا بربـوبيـة الله للعالمين ، التى هى معلومة من أخص وصفه سبحانه لديهم ، واحتجـوا على قومهم بذلـك ، كما قال الله تعـالى : ﴿ **قالت رسلهم : أفي الله شك فاطر السموات والأرض ؟** ﴾ (ابراهيم : ١٠) .

فكـانت حجتهم عليهم لله بالغـة ، فالصـلاة والسـلام عليهم ولا سبيل لأهل السنة والجماعة والشيخ منهم ـ أن يعدلوا عن منهاجهم .

ولـذا فالشيـخ يذكـر توحيـد الـربـوبية ليستدل به لأنه معلوم ـ على توحيد الله بالألوهية وكم كرر فى هذا الأمر وقرر .

وأمـا ما ينقـل عن المـلاحـدة والشيـوعـين ، من أنهم لا يقـرون بالربوبية ، بل ينكـرون وجـود الله ، فإن هذا الصنف من المخلوقـات لا تنفـع معهم أدلة ، ولا تنجح فيهم حجة ، ولا يصح ويثبت فى أذهانهم أي علم ، فمن العبث الاشتغال بأفكارهم والرد عليها ، لأنهم مردوا على الجحود والكفر ، فطبع الله على قلوبهم ، وازدادوا كفرا بعد كفر ، وظلمة فوق ظلمة وفسادا فوق فساد ، فالمنهج تجاههم هو : الاعراض عنهم والإقبـال على تقـريـر التوحيد على منهاج الرسل ، وكما قرروه والمضي فى هذا السبيل بكـل قوة ، ومن غير التفـات إلى المعـانـدين المكـابرين ﴿ **وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها** ﴾ (الأنعام : ٢٥) .

وتقـريـر توحيـد الله تعالى وإثباته على منهاج الرسل ، يفيد إثبات وجود الله مع مزيـد التأييـد والقـوة ، والـوفـاء بالمقصود ، ولا أنفع علاجا ودواء لداء إنحراف الفطرة وفسـادهـا من تقرير التوحيد ، كما قرره الرسول ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان فقد تعـاملوا مع خلق الله بما أمـر الله وأرضـوا الله فيمن أسخطـه فيهم وفى غيرهم فأقـاموا حدود الله وطبقوا شريعته على جميع الأحوال . فكانوا هم الغالبون بإذن الله .

ويقول الشيخ : إن التأويل الفاسد فى رد النصوص ليس عذرا لصاحبه ، كما أنه سبحـانـه لم يعـذر إبليس فى شبهتـه التى أبـداها كما يُعذر من خالف النصوص متأولا

مخطئا، بل كان ذلك التأويل زيادة فى كفره. ومثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه ويبينوا له الحق كما يفعلون مع المخطىء المتأول، بل يبادر إلى عقوبته بالعقوبة التى يستحقها بقدر ذنبه، وإلا أعرض عنه ان لم يقدر عليه، كما كان السلف الصالح يفعلون هذا وهذا، فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته فعل به ما فعل، ولما عتب على الملائكة فى قيلهم أبدى لهم شيئا من حكمته وتابوا، وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله ﷺ فى غزوته التى فتح الله له فيها مكة، فإنه لما أعطى المؤلفة قلوبهم ووجدت عليه الأنصار عاتبهم واعتذروا وقبل عذرهم، وبين لهم شيئا من الحكمة، ولما قال له ذلك الرجل العابد (اعدل) قال له كلاما غليظا، واستأذن بعض الصحابة فى قتله ولم ينكر عليه، لكن ترك قتله لعذر ذكره(١).

ويزيد الشيخ ذلك أيضاحا فيقول: «إن الشبهة إذا كانت واضحة البطلان لا عذر لصاحبها، فإن الخوض معه فى إبطالها تضييع للزمان وإتعاب للحيوان، مع أن ذلك لا يردعه عن بدعته، وكان السلف لا يخوضون مع أهل الباطل فى رد باطلهم كما عليه المتأخرون، بل يعاقبونهم إن قدروا وإلا أعرضوا عنهم.

وقال أحمد لمن أراد أن يرد على أحدهم: اتق الله ولا تنصب نفسك لهذا، فإن جاءك مسترشداً فأرشده(٢).

ويقول الشيخ: إن فى قول الله تعالى: ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم** ﴾ (البقرة: ١٣٦-١٣٧). إن فى هذا الكلام غاية انصاف الخصم وإن الذى لا ينقاد له ليس داؤه جهالة بل مشاقة وإنك إذا أنصفته وأصر، فهو سبب لانتقام الله منه(٣).

ويستنبط الشيخ من قصة آدم وإبليس أنه لا ينبغى للمؤمن أن يغتر بالفجرة، بل يكون على حذر منهم، ولو قالوا ما قالوا، خصوصا أولياء الشيطان الذين تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته، فإن اللعين حلف ﴿ **إنى لكما لمن الناصحين** ﴾.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٩٢.
(٢) المصدر السابق ص ٩٣.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ص ٣٩-٤٠.

ومنها أن زخرفة القول قد تخرج الباطل فى صورة الحق كما فى الحديث: «إن من البيان لسحرا»[1] فإن اللعين زخرف قوله بأنواع منها تسمية الشجرة شجرة الخلد، ومنها تأكيد قوله: ﴿ إني لكما لمن الناصحين ﴾ وغير ذلك مما ذكر فى القصة، فينبغى للمؤمن أن يكون من زخرف القول على حذر، ولا يقنع بظاهره حتى يعجم العود[2].

وكما قدمنا أن منهج الشيخ هو منهج السلف الصالح، فإنه فى إعراضه عن مبحث الوجود والإستدلال عليه، لأنه أمر مسلم به، ولأنه هو الدليل على توحيد العبادة المطلوب، والذى من أجله فقط أرسلت الرسل، فقد اتبع منهج كبار الأئمة فى بيان التوحيد، وإقامة الأدلة عليه، مثل الإمام أبى حنيفة وغيره من أئمة المذاهب الأربعة الكبار.

قال ملا علي القارى فى شرح الفقه الأكبر لأبى حنيفة: «وقد أعرض الإمام عن بحث الوجود اكتفاء بما هو ظاهر فى مقام الشهود، ففى التنزيل: ﴿ **قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض** ﴾ ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** ﴾ فوجود الحق ثابت فى فطرة الخلق كما يشير إليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها** ﴾ ويومىء إليه حديث: «كل مولود يولد على الفطرة».

وإنما جاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لبيان التوحيد، وتبيان التفريد، ولذا أطنفت كلمتهم وأجمعت حجتهم على كلمة: لا إله إلا الله، ولم يؤمروا بأن يأمروا أهل ملتهم بأن يقولوا: الله موجود، بل قصدوا إظهار أن غيره ليس بمعبود رداً لما توهموا وتخيلوا حيث قالوا: ﴿ **هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ - و - ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾.

على أن التوحيد يفيد الوجود مع مزيد التأييد. ثم العقائد يجب أن تؤخذ من الشرع الذى هو الأصل[3].

---

(١) رواه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ص ٩٣، ٩٤.

(٣) شرح ملا علي قارى للفقه الأكبر لأبى حنيفة ص ١٠.

وقال ملا علي قاري: حكى عن أبى حنيفة رحمه الله أن قوما من أهل الكلام أرادوا البحث معه فى تقرير توحيد الربوبية فقال لهم: أخبرونى قبل أن نتكلم فى هذه المسألة عن سفينة فى دجلة تذهب فتمتلىء من الطعام والمتاع وغيره بنفسها وتعود بنفسها فترسى بنفسها وتتفرغ بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد؟ فقالوا: هذا محال لا يمكن أبدا، فقال لهم إذا كان هذا محالا فى سفينة، فكيف فى هذا العالم كله علوه وسفله؟ انتهى(1).

ولقد أحسن أبو العتاهية فى قوله:

فواعجبا كيف يعصى الإلـه … أم كيف يجحده الجاحد
ولله فى كل تحريكة … وتسكينة أبدا شاهد
وفى كل شىء له آية … تدل على أنه واحد(2)

وأما من بلي بشىء من وسوسة التسلسل فى الفاعلين ـ فإن الشيخ يرشد إلى ما أرشد إليه رسول الله ﷺ حيث أرشد من بلى بشىء من وسوسة التسلسل فى الفاعلين إذا قيل له: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ أن يستعيذ بالله وينته ويقرأ ﴿ **هو الأول والأخر والظاهر والباطن، وهو بكل شىء عليم** ﴾ وكذلك قال ابن عباس لأبى زميل ـ وقد سأله: ما شىء أجده فى صدرى؟ قال: ما هو؟ قال: قلت: والله لا أتكلم به، فقال: أشىء من شك؟ قلت: بلى، قال: ما نجا من ذلك أحد، فإذا وجدت فى نفسك شيئا، فقل: ﴿ **هو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم** ﴾. فأرشدهم بالآية إلى بطلان التسلسل ببديهة العقل وأن سلسلة المخلوقات فى ابتدائها تنتهى إلى أول ليس قبله شىء كما تنتهى فى آخرها إلى آخر ليس بعده شىء، كما أن ظهوره: هو العلو الذى ليس فوقه شىء، وبطونه هو أنه ليس دونه واسطة، فليس دونه شيء سبحانه.

ولو كان قبله شىء يكون مؤثراً فيه لكان هو الرب الخلاق، فلابد أن ينتهى الأمر إلى خالق غني عن غيره، وكل شىء فقير إليه، قائم بنفسه، وكل شىء قائم

(1) شرح ملا علي قارى على الفقه الأكبر لأبى حنيفة ص ٩.
(2) نقلا من شرح ملا علي قارى على الفقه الأكبر لأبى حنيفة ص ٩.

به ، موجـود بذاتـه ، قديم لا أول له ، وكـل ما سواه فوجوده به بعد عدمه ، باق بذاته ، وبقاء كل شيء به[1].

ثم يرشد الشيخ إلى : أن ما يقع فى القلب من خواطر الشيطان لا يضر، بل هو صريح الإيمان إذا كان مع الكراهة أخذاً من قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا** ﴾ الآية[2].

فسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، هو خالق كل شيء وما سواه مخلوق .

والشيخ حين يجعل أصله فى علم التوحيد ، هو التمسك بالكتاب والسنة ومجانبة الهـوى والبـدعـة ولزوم طريق أهل السنة والجماعة الذى كان عليه الصحابة والتابعون ومضى عليه السلف الصالحون يكون متبعا للعلماء السابقين غير مبتدع .

وإذا قسم التوحيد إلى نوعين ، هما توحيد الربوبية ـ ويدخل فيه إثبات الأسماء الحسنى وصفـات الكـمال على ما جاء فى الشـرع ، وهـو القسم العلمى الخـبرى من قسمي التوحيد وتوحيد الألوهية أو توحيد العبودية ـ الذى هو القسم الطلبى الارادى ، وإذا بين أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية دون العكس فى القضية ليس هذا القول من الشيخ لمتابعته ابن تيمية ، أو علماء الحنابلة ، أو علماء أهل السنة من المالكية والشـافعيـة فحسب بل لأن الفرق بين العلم والعمل والخبر والطلب يجده الإنسان فى نفسه ضرورة حتى إن الفرق بين هذا النوع والنوع الآخر معروف عند العامة والخاصة وعنـد أصنـاف المتكلمـين فى العلم ، كما ذكـر ذلك الفقهاء فى كتاب الإيمان وكما ذكره المقسمون للكلام من أهل النظر والنحو والبيان فذكروا أن الكلام نوعان : خبر وانشاء فالخبر علمي والانشاء طلبى . وليس المراد بالتقسيم أن له أنواعاً متباينة بل إن الشيخ يعتقـد أن أنـواع التـوحيـد متلازمة يلزم من الاقرار ببعضها كالربوبية الأقرار بجميعها ويرى أن توحيد الألوهية يتضمن التوحيد كله كما سيأتى ص ٢٤٨ .

وإذا بحثنـا عن محققى علماء الحنفيـة فيـما حققـوه من السنـة النبـويـة الشريفة نجدهم يقسمون التوحيد إلى نوعين :ـ

---

(١) مؤلفـات الشيخ ، القسم الـرابع ، مختصر زاد المعاد ص ص ١٥٢ـ١٥٣ ، وانظر: ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة رقم ٤٠ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، يوسف ص ١٨٠ .

هذا أبو جعفر أحمد الطحاوى المتوفى سنة ٣٢١هـ قبل ابن تيمية يذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى وأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصارى وأبى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى فيقول: «نقول فى توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: أن الله واحد لا شريك له، ولا شىء مثله، ولا شىء يعجزه، ولا إله غيره»[1].

فقوله: «لا شىء مثله» فى توحيد الصفات والأسماء «ولا شىء يعجزه» فى توحيد الربوبية والقدرة، وكل ذلك فى توحيد المعرفة والاثبات.

«ولا إله غيره» فى توحيد الألوهية وذلك فى توحيد الطلب والارادة قال شارح الطحاوية ابن أبى العز الحنفى المتوفى سنة ٧٤٦هـ: «ثم التوحيد الذى دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: توحيد فى الاثبات والمعرفة وتوحيد فى الطلب والقصد»[2].

بل إن من المتأخرين من الأحناف من يقرر ما قرره الشيخ محمد بن عبد الوهاب قبل أن يولد.

وهذا ملا علي بن سلطان القارى الحنفى المتوفى سنة ١٠١٤هـ قبل ميلاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمائة سنة يقرر ما قرره الشيخ من نوعى التوحيد، فقال فى شرحه الفقه الأكبر لأبى حنيفة «أقول: فابتداء كلامه سبحانه وتعالى فى الفاتحة بالحمد لله رب العالمين، يشير إلى تقرير توحيد الربوبية المترتب عليه توحيد الألوهية المقتضى من الخلق تحقيق العبودية» إلى أن قال:

«والحاصل أنه يلزم من توحيد العبودية توحيد الربوبية دون العكس فى القضية لقوله تعالى: ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾.

وقوله سبحانه حكاية عنهم: ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾.

بل غالب سور القرآن متضمنة لنوعى التوحيد، بل القرآن من أوله إلى آخره فى بيانهما وتحقيق شأنهما، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمى الخبرى، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادى الطلبى.

---

(١) العقيدة الطحاوية، ط المكتب الإسلامى ص ص ١٧-١٨.

(٢) شرح الطحاوية ص ٨٨.

وإما أمر ونهى وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل بهم فى الدنيا وما يكرمهم به فى العقبى فهوجزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم فى الدنيا من النكال وما يحل بهم فى العقبى من العذاب والسلاسل والأغلال فهوجزاء من خرج عن حكم التوحيد ـ فالقرآن كله فى التوحيد وحقوق أهله وثوابهم، وفى شأن ذم الشرك وعقوق أهله وجزائهم، فالحمد لله رب العالمين توحيد، الرحمن الرحيم، توحيد، مالك يوم الدين، توحيد، إياك نعبد وإياك نستعين، توحيد، إهدنا الصراط المستقيم، توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، صراط الذين أنعمت عليهم (وهم أهل التوحيد) غير المغضوب عليهم ولا الضالين، الذين فارقوا التوحيد عنادا وجهلا وافسادا.

وكذا السنة تأتي مبينة ومقررة لما دل عليه القرآن، فلم يحوجنا ربنا سبحانه وتعالى إلى رأى فلان وذوق فلان ووجد فلان فى أصول ديننا ـ ولذا نجد من خالف الكتاب والسنة مختلفين مضطربين ـ بل قال الله تعالى: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾.

فلا نحتاج فى تكميله إلى أمر خارج عن الكتاب والسنة، كما قال الله تعالى: ﴿ **هذا بلاغ مبين** ﴾

وقال الله تعالى: ﴿ **أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم** ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[1].

وأظنه نقل عن شارح الطحاوية ابن أبى العز الحنفى[2]. لأنه حنفى وشارح الطحاوية نقله عن ابن القيم فى مدارج السالكين[3].

وليس سبب الخلاف بين الشيخ وخصومه هو تقسيم التوحيد إلى نوعين وبيان الفرق بينهما كما يذهب إليه الدكتور العثيمين[4]، وانما الخلاف بينه وبين خصومه، هو

---

(١) شرح ملا علي بن سلطان محمد القارى الحنفى المتوفى ١٠١٤ على الفقه الأكبر لأبى حنيفة ص ص ٩-١٠.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ص ص ٨٨-٨٩.

(٣) جـ١ ص ص ٣-٢٨.

(٤) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور عبد الله العثيمين ص ص ١٠٨-١١٠.

أنه يقول: «ما يدعى إلا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى فى كتابه: ﴿ **فلا تدعوا مع الله أحداً** ﴾ (الجن: ١٨)، وقال فى حق النبى ﷺ: ﴿ **قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا** ﴾ (الجن: ٢١).

ولما ذكر الشيخ لهم أن هذه المقامات التى فى الشام والحرمين وغيرهما أنها على خلاف أمر الله ورسوله، وأن دعوة الصالحين والتعلق بهم هو الشرك بالله الذى قال فيه: ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار** ﴾ (المائدة: ٧٢).

لما أظهر لهم هذا أنكروه وكبر عليهم، وقالوا: جعلنا مشركين. وقالوا: هذا ليس اشراكا. هذا هو مرتكز الخلاف بين الشيخ وخصومه[1]، ولو أن خصوم الشيخ أقروا بتوحيد الله فى هذا وتابوا مما كانوا عليه من دعاء غير الله ما كان الشيخ ليطالبهم بالتفريق بين نوعي التوحيد، كيف! والشيخ يرى أن لفظ الربوبية يأتى بمعنى الألوهية كما فى قوله تعالى: ﴿ **وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا: ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا اذا شططا** ﴾ (الكهف: ١٤).

قال الشيخ: «قولهم ربنا رب السموات والأرض» هذه الربوبية هى الألوهية[2].

والشيخ حين يفرق بين توحيد الربوبية والألوهية، إنما ليبين أن الربوبية لما تفسر بأشهر معانيها الذى هو فعل الرب، وحين تؤتى بتوحيد الربوبية على هذا التفسير أى اعتقاد أن الله واحد فى فعله فإنه لا يكفى عن الإتيان بتوحيد الألوهية والذى منه افراد الله بالدعاء لأن المشركين زمن الرسول ﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية هذا ومع ذلك لم يدخلهم فى الإسلام، لأنهم لم يأتوا بتوحيد الألوهية ـ على ما سيأتى بيانه بالتفصيل فى المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

وقد بين الشيخ منهجه فى الأحكام فى نبذة كتبها بعنوان: «أربع قواعد تدور عليها الأحكام» وتتلخص فى الآتى:

١ ـ تحريم القول على الله بلا علم.

٢ ـ أن كل شىء سكت عنه الشارع فهو عفو.

---

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٤ ص ٣٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الكهف ص ٢٤٣.

٣ ـ أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بالمتشابه طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج.

٤ ـ أن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات، فمن لم يفطن لهذه القاعدة ويريد أن يتكلم على كل مسألة بكلام فاصل فقد ضل وأضل[١].

والشيخ يرى أن الصواب فى المسائل المشكلة عدم الجزم بشىء بل يقول: (الله أعلم) مثل ما قال أهل الكهف: ﴿ **قالوا ربكم أعلم بما لبثتم** ﴾ (الكهف: ١٩).

وكما أمر الله باسناد الأمر إلى علمه: ﴿ **قل ربى أعلم بعدتهم** ﴾ فالسكوت عنها هو العلم والمتكلم بلا علم ينكر عليه[٢].

والله تبارك وتعالى نهى عن افتراء الكذب عليه والقول عليه بلا علم والمحاجة والمجادلة بغير علم وقول ما ليس للقائل به علم مطلقا ـ قال الله تعالى: ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾ (الاسراء: ٣٦).

والذى يجب العلم به أن كل ما قال الرسول ﷺ حق يجب الإيمان به ولو لم يعرف الإنسان معناه، وأنه لا تضاد ولا تناقض فى كلام الله وكلام الرسول ﷺ كما أنه ليس بين كلام الرسول ﷺ وكلام الله أى مناقضة[٣].

والأدلة الصحيحة لا تتناقض، بل يصدق بعضها بعضا، لكن قد يكون أحدهما أخطأ فى الدليل لأنه إما استدل بحديث لم يصح، وإما لأنه فهم من كلمة صحيحة مفهوما مخطئا.

وحاشا كلام الله وكلام رسوله ﷺ من التضاد، بل كله حق يصدق بعضه بعضا والواجب على المؤمن فى مثل هذا أن يحسن الظن بكلام الله وكلام رسوله ويقول كما أمر الله: ﴿ **آمنا به كل من عند ربنا** ﴾ (آل عمران: ٧). فاذا تبين له الحق فليقل به وليعمل به، وإلا فليمسك وليقل الله ورسوله أعلم[٤].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثانى، الفقه، المجلد الثانى، ص ٣ـ١٠، والقسم الرابع، التفسير، الأعراف ص ص ٧٧، ٨٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الكهف ص ص ٢٤٥، ٢٤٧.

(٣) الدرر السنية، ط ٢، جـ٦ ص ص ٤٩٥، ٤٩٦، مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ص ٣٤، ٣٥، وص ص ٤٤، ٤٥.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٠، ومؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٣٤.

نعم قد يرد حديثان متضادان ولكن أحدهما ليس بصحيح، وقد يكون أحدهما ناسخا لكنه قليل جدا ومع ذلك لا يرد المنسوخ إلا قد يرد ما يبينه[1].

وينبغي لطالب العلم أن يتفطن لصورة المسألة فى الدليل الذى يدل عليها ويجيل نظره فى ذلك فان كثيراً من الأغاليط وقعت فى مسألة واضحة جدا ويستدل الغالط على غلطه بشيء من القرآن والسنة وهو لا يدل على ذلك كما فعل الرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم.

قال الله تعالى: ﴿ **هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات** ﴾[2] الآية (آل عمران: ٧).

فينبغى رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الاشكال، وللمفتى أن يستفصل اذا احتاج لذلك[3].

فان الله تعالى ابتلى الناس بالمتشابه كما ابتلاهم بالمحكم ليعلم من يقف حيث وقفه الله ومن يقول على الله بلا علم. ولو بلغ الإنسان من العلم ما بلغ لكان ما علمه قليلا بالنسبة إلى ما لم يعلمه. فقد قال تعالى: ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾[4] (الاسراء: ٨٥).

وقد توقف الشيخ فى الافتاء عن معنى قوله: «الشؤم فى ثلاث» الخ وقال: «لم يتبين لى معناه، والله أعلم بمراد رسوله ﷺ.

وفى جواب، هل المراد حفظ القرآن مع حفظ المعانى؟ فى ما ورد من الفضل فى حفظه؟ قال الشيخ: «لا يحضرنى جواب يفصل المسألة».

وفي اغلاق الباب عند الجذاذ ووقت الحصاد قال: «فلا أجسر على الجزم بتحريمه» وفي موضع قال: «فلا أتجرأ على الجزم بتحريمه» وفي معنى عقد اللحية ـ قال: «لا أعلمه» وفي مقصود الحسن بتفسير الجبت برنة الشيطان ـ قال «لا أعرف مقصود الحسن» وفي الفرق بين الروح والرحمة ـ قال: «لا أعرفه».

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٣٤.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ص ٤٠، ٤١.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٣٩.
(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ص ٣٤، ٣٥.

وفي مسألة اذا لم يعرف هل هذا وقف على من يرث أم لا ولكن الافاضة على أنه ممن يرث قال: «فأنا لا أدرى عن هذه المسألة لكن أرى لك التوقف عنها ولا ينزع من يد من يأكله إلا ببينة، وغير ذلك[1].

ويرى أنه لا غنى للمسلم عن معرفة أمور أهل الجاهلية الكتابيين والأميين التى خالفهم فيها رسول الله ﷺ - فالضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء، والحق لا يتبين إلا بالباطل[2]. وأنه قد يكون لأهل الباطل والشرك علوم كثيرة وكتب وحجج، ويفرحون بما عندهم من العلم، ومن حكمة الله أن جعل منهم أعداء للرسل وأتباعهم وهم شياطين الجن والإنس[3]، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا.

ومن أمورهم أن التقليد بالباطل هو القاعدة الكبرى لجميع أهل الجاهلية أولهم وآخرهم كما قال تعالى: ﴿ **وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ (الزخرف: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿ **واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير** ﴾ (لقمان: ٢١).

فأتاهم رسول الله ﷺ بقول الله تعالى: ﴿ **قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنه** ﴾ (سبأ: ٤٦).

وقول الله تعالى: ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون** ﴾ (الأعراف: ٣)[4].

لذا فالشيخ لا يرتضى مناهج الجاهلية ولا قياساتهم واستدلالاتهم الفاسدة ولا حججهم الباطلة مثل استدلالهم على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء كقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿ **أنؤمن لك واتبعك الأرذلون** ﴾ (الشعراء: ١١١).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ص ٣٨، ٣٩، ٥٣، ٥٤، ٧٣، ٩٠، ٩٧، ١٠٥.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية ص ٣٣٣، والقسم الرابع، التفسير، الفاتحة، ص ص ١٥، ١٦.

(٣) المصدر السابق، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ص ١٥٩-١٦٠. والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٢ ص ص ١٥٥-١٥٧.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية ص ٣٣٦.

وقــولـه عنهم : ﴿ أهؤلاء من الله عليهم من بيننـا ﴾ (الأنعـام : ٥٣) ـ فرد الله استدلالهم بقوله : ﴿ أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ (الأنعام : ٥٣).

ومثل اقتدائهم بفسقة العلماء والعباد أمثال من قال الله فيهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾ (التوبة : ٣٤).

وقـال تعـالى : ﴿ لا تغلوا فى دينكم غير الحق ، ولا تتبعـوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل ﴾ (المائدة : ٧٧).

ومثل استدلالهم على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم.

ومثـل استـدلالهم بالقيـاس الفاسد، وإنكارهم القياس الصحيح واستدلالهم على الحق بقوم ضالين غير أنهم أعطوا قوى فى الأفهام والأعمال وفى الملك والجاه والمال فرد الله ذلـك بقـولـه : ﴿ ولقد مكناكم فيما إن مكناهم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئـدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصـارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ (الأحقاف : ٢٦).

واعتقـادهم فى مخاريق السحـرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين واعتياضهم كتب السحر عن ما أتاهم من الله ، كما ذكر الله ذلك فى قوله : ﴿ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتـاب كتـاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ (البقرة: ١٠١-١٠٢).

ونسبتهـم البـاطـل إلى الأنبياء فرد الله عليهم بمثل قوله : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ وبمثل قوله : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ﴾ (آل عمران : ٦٧).

وقـدحهم فى الصـالحين بفعل سيىء من بعض المنتسبين إليهم كقدح اليهود فى عيسى ، وقدح اليهود والنصارى فى محمد ﷺ[1].

وتحريفهم كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ، وتصنيفهم الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله كما قال الله عنهم ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ﴾ (البقرة : ٧٩).

---

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية رقم ٨-١٣، ١٦-٢٥.

ولا يقبلون من الحق إلا الذى مع طائفتهم، ومع ذلك لا يعملون بما تقوله طائفتهم[1]. ولكن يثبتـون أهـواءهم وظنـونهم ويعـرضـون عما جاءت به الـرسـل فيصبحون على خلاف ما جاءت به الرسل من النفى والاثبات يثبتون ما نفته الرسل وينفـون ما أثبتتـه الـرسـل، ويعتـذرون عن إعراضهم عن ما جاءت به الرسل بعدم الفهم كقولهم: ﴿ قلوبنا غلف ﴾ ﴿ يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول ﴾[2].

ويلحـدون فى أسماء الله الحسنى وصفـاتـه ويعطلون الله من صفـات الكـمال والعظمـة والجـلال وينسبـون إليـه النقـائص سبحـانـه وقـد ينـزهـون أنفسهم عنها، ويجحـدون القـدر أو يحتجـون به على معارضة الشرع، ويسبون الدهر[3]، ويعملون الحيـل الظـاهرة والباطنة فى دفع ما جاءت به الرسل وقد يقرون بالحق ليتوصلوا بذلك إلى دفعـه، ويلقبـون أهـل الهـدى بالصبـاة والحشـوية، واذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكـوى إلى الملوك وأهـل النفـوذ يرمـون أصحاب الحجة الغالبة بالفساد فى الأرض وانتقاص الملك وتبديل الدين[4].

كما قال تعالى عن فرعون أنه قال: ﴿ إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفسـاد ﴾ (غـافـر: ٢٦) ـ وقـال عن قومـه أنهم قالـوا: ﴿ وقال الملأ من قوم فرعـون أتـذر موسى وقـومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك، قال سنقتل أبناءهم ونستحى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾ (الأعراف: ١٢٧).

ودعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم كمن ينتسب إلى إبراهيم مع اظهارهم ترك اتباعه[5].

لقـد كان الشيـخ ينطلق من إسـلامه وإيمانه ومن منهجه السلفى فى كلامه على التـوحيـد فلم يشغل نفسه بما شغل به أهل البدع أنفسهم. كالمتكلمين المعرضين عن طريقة الرسل واتباعهم من سلف الأمة وأئمتها فاشتغلوا ببدع من الكلام والاستدلال كالجوهر والعرض والتحيز والجهة ونحو ذلك من الألفاظ التى لم يرد نفيها ولا إثباتها بالوحى.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، رقم ٢٦ـ٢٩.
(٢) المرجع السابق رقم ١ـ١٥.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، رقم ٣٧ـ٤٦.
(٤) انظر مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية رقم ٥٣، ٥٩، ٦٢، ٦٧.
(٥) انظر: المصدر السابق رقم ١٢٠، ١٨.

وينقل الشيخ عن شيخ الإسلام ابن تيمية : أن ابن سريج لما سئل عن التوحيد ذكر توحيد المسلمين ، ثم قال : وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض فى الجواهر والأعراض ، وإنما بعث النبى ﷺ بإنكار ذلك . وكلام السلف والأئمة فى ذم الكلام وأهله مبسوط فى مواضعه .

ومن ذلك ينقل من كلام أبى الوفاء بن عقيل قال : «أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا ما عرفا الجوهر والعرض فان رأيت أن طريقة أبى على الجبائى وأبى هاشم خير لك من طريقة أبى بكر وعمر فبئس ما رأيت» أ ـ هـ[1] .

ولذا فالشيخ يرى أن المتكلمين أهل شك وريب ولم ينتهوا من مباحثهم إلى طمأنينة وقضوا حياتهم وفارقوا الحياة وهم فى حيرة واضطراب واختلاف وأمر مريج وقول مختلف ، وقال : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «وتجد عامة هؤلاء الخارجين عن منهاج السلف من المتكلمة والمتصوفة يعترف بذلك ، إما عند الموت وإما قبل الموت . والحكايات فى هذا كثيرة معروفة .

هذا أبو الحسن الأشعرى : نشأ فى الاعتزال أربعين عاما يناظر عليه ، ثم رجع عن ذلك وصرح بتضليل المعتزلة وبالغ فى الرد عليهم .

وهذا أبو حامد الغزالى مع فرط ذكائه وتألهه ومعرفته بالكلام والفلسفة وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف ينتهى فى هذه المسائل إلى الوقف والحيرة ويحيل فى آخر أمره على طريقة أهل الكشف ، وان كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحديث وصنف إلجام العوام عن علم الكلام .

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى قال فى كتابه الذى صنفه فى أقسام اللذات «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفى عليلا ، ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة أهل القرآن أقرأ فى الاثبات ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ ، ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ .

وأقرأ فى النفى : ﴿ **ليس كمثله شىء** ﴾ ، ﴿ **ولا يحيطون به علما** ﴾ ، ﴿ **هل تعلم له سميا** ﴾ .

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٢٠ ص ص ١٣١ ، ١٣٢ .

ثم قال: ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى وكان يتمثل كثيرا:

نهاية إقدام العقول عقال | وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا | وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا | سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وهذا إمام الحرمين ترك ما كان ينتحله ويقرره واختار مذهب السلف، وكان يقول «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو أنى عرفت أن الكلام يبلغ بى إلى ما بلغ ما اشتغلت به» وقال عند موته لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت فيما نهونى عنه. والآن ان لم يتداركنى ربى برحمته فالويل لابن الجوينى، وها أنذا أموت على عقيدة أمي - أو قال - عقيدة عجائز نيسابور.

وكذلك قال أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستانى: «انه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم» وكان ينشد:

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها | وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر | على ذقن أو قارعا سن نادم

وابن الفارض - من متأخرى الاتحادية - صاحب القصيدة التائية المعروفة بنظم السلوك، وقد نظم فيها الاتحاد نظما رائق اللفظ، فهو أخبث من لحم خنزير فى صينية من ذهب وما أحسن تسميتها بنظم الشكوك، الله أعلم بها وبما اشتملت عليه، وقد نفقت كثيرا وبالغ أهل العصر فى تحسينها والاعتداد بما فيها من الاتحاد - لما حضرته الوفاة أنشد:

ان كان منزلتى فى الحب عندكم | ما قد لقيت فقد ضيعت أيامى
أمنية ظفرت نفسى بها زمنا | واليوم أحسبها أضغاث أحلام

والخلاصة: «أن أهل الكلام يردون باطلا بباطل»(١).

ويقول الشيخ عن مناهج المخالفين من أهل الكلام للرسل، فى معرض رسالته إلى ابن عبد اللطيف: «ومما يهون عليك مخالفة من خالف الحق وإن كان من أعظم

---

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١١٩ ص ص ١٢٧-١٤٠. ونقض المنطق، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ص ص ٦٠-٦٢، وانظر: شرح ملا علي بن سلطان محمد القارى الحنفى على الفقه الأكبر للإمام أبى حنيفة ص ص ٥-٨ ط ٢، ١٣٧٥هـ، الحلبى.

الناس وأذكاهم وأعظمهم جاها وأتبعه أكثر الناس تذكر ما وقع فى هذه الأمة من افتراقهم فى أصول الدين وصفات الله تعالى ، وما وقع فيه من الجهل والمحذور غالب من يدعى المعرفة وما عليه المتكلمون من التناقض والحيرة وتسميتهم طريقة رسول الله ﷺ حشوا وتشبيها وتجسيما ، مع أنك إذا طالعت فى كتاب من كتب أهل الكلام مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل أحد وهو أصل الدين تجد الكتاب من أوله إلى آخره لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله ولا حديث عن رسول الله ﷺ - اللهم إلا أن يذكره ليحرفه عن مواضعه ، وهم معترفون أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحى بل من عقولهم ومعترفون أنهم مخالفون للسلف فى ذلك مثل ما ذكر فى فتح البارى فى مسألة الإيمان على قول البخارى ، وهو قول وعمل ويزيد وينقص فذكر إجماع السلف على ذلك وذكر عن الشافعى أنه نقل الاجماع على ذلك ، وكذلك ذكر أن البخارى نقله ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يرده .

فان نظرت فى كتاب التوحيد فى آخر الصحيح - فتأمل تلك التراجم - واقرأ فى كتب أهل العلم من السلف ومن أتباعهم من الخلف ونقلهم الاجماع على وجوب الإيمان بصفات الله تعالى وتلقيها بالقبول وأن من جحد شيئا منها أوتأول شيئا من النصوص فقد افترى على الله وخالف إجماع أهل العلم ونقلهم الاجماع على أن علم الكلام بدعة وضلالة حتى قال أبوعمر بن عبد البر أجمع أهل العلم فى جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات لا يعدون عند الجميع من طبقات العلماء .

قال الشيخ : «انهم ابتدعوا كلاما من عند أنفسهم وكابروا به العقول أيضا» .

ويقول الشيخ : «إن أهل الكلام وأتباعهم من أحذق الناس وأفطنهم ولهم من الذكاء والحفظ والفهم ما يحير اللبيب وهم وأتباعهم مقرون أنهم مخالفون للسلف مع هذا ، وأيضا فهم عاجزون عن الرد على الفلاسفة إفكهم وباطلهم لكون مذهبهم فاسدا فى نفسه ومخالفا للعقول مع مخالفته لدين الإسلام والكتاب والرسول وللسلف كلهم حتى ان بعض أئمتهم المتكلمين لما ردوا على الفلاسفة فى تأويلهم آيات الأمر والنهى مثل قولهم المراد بالصيام كتمان أسرارنا والمراد بالحج زيارة مشايخنا ، والمراد بجبريل العقل الفعال وغير ذلك من إفكهم رد عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام فقال لهم الفلاسفة أنتم جحدتم علو الله

على خلقه واستواءه على عرشه مع أنه مذكور في الكتب على ألسنة الرسل، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم وغيرهم من أهل الملل فكيف يكون تأويلنا تحريفا وتأويلكم صحيحا؟ فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب عن هذا الايراد».

ثم يخاطب الشيخ ابن عبد اللطيف فيقول: «وأنا أدعوك إلى التفكير في هذه المسألة وذلك أن السلف قد كثر كلامهم وتصانيفهم في أصول الدين وإبطال كلام المتكلمين وتفكيرهم وممن ذكر هذا من متأخرى الشافعية البيهقى والبغوى وإسماعيل التيمى ومن بعدهم كالحافظ الذهبى، وأما متقدموهم كابن سريج والدارقطنى وغيرهما فكلهم على هذا الأمر ففتش في كتب هؤلاء فان أتيتنى بكلمة واحدة أن منهم رجلا واحدا لم ينكر على المتكلمين فلا تقبل منى شيئا أبدا، ومع هذا كله وظهوره غاية الظهور راج عليكم حتى ادعيتم أن أهل السنة هم المتكلمون والله المستعان[1].

وفي معرض رد الشيخ على بعض أهل الكلام تفسيرهم الإله أنه القادر على الاختراع وأن الألوهية هي القدرة فاذا أقروا بذلك فهومعنى لا إله إلا الله ونفيهم الصفات بوهم أن التوحيد لا يتم إلا بنفيها، ومن أثبتها سموه مجسما - يقول الشيخ في سبب هذا الضلال: «وأصل هذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين** ﴾».

وذكر الرحمن هو القرآن فلما طلبوا الهداية من غيره أضلهم الله، وقيض لهم الشيطان فصدهم عن أصل الأصول ومع هذا يحسبون أنهم مهتدون.

وبيان ذلك أنه ليس المراد معرفة الإله الإجمالية يعنى معرفة الإنسان أن له خالقا فإنها ضرورية فطرية بل معرفة الإله هل هذا الوصف مختص بالله لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل أولغيره قسط منه، فأما المسلمون أتباع الأنبياء فاجماعهم على أنه مختص كما قال تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾.

والكافرون يزعمون أنه هو الإله الأكبر ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده، والمتكلمون ممن يدعى الإسلام أضلهم الله عن معرفة الإله . . .

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الرسائل الشخصية رقم ٣٧ ص ص ٢٦٢-٢٦٥ بتلخيص وتوضيح قليل. وانظر: الدرر السنية جـ١ ص ٦٩-٧١.

وذكر الشيخ: «أن العجب العجاب ظنهم أن الألوهية هى القدرة، وأن معنى قولك لا إله إلا الله أى لا يقدر على الخلق إلا الله، اذا فهمت هذا تبين لك عظم قدرة الله على إضلال من شاء مع الذكاء والفطنة كأنهم لم يفهموا قصة إبليس ولا قصة قوم نوح وعاد وثمود وهلم جرا ـ كما قال شيخ الإسلام فى آخر الحموية أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء وأوتوا علوما وما أوتوا فهوما، وأوتوا سمعا وأبصارا وأفئدة، ﴿ **فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن** ﴾[1].

ولذا لم يشغل الشيخ نفسه بمناهج أهل الكلام وابتعد عن بدعهم المذمومة واعتصم بمنهج السلف الصالح فى اعتقاده وعلمه.

وهكذا يرفض الشيخ منهج أهل الكلام المبتدع فى التوحيد والاعتقاد ـ ولا يعنى ذلك أن الشيخ لا يعتبر العقل الصريح بل العكس فان الشيخ رحمه الله كما قدمنا يعتبر القياس الصحيح ويثبته ويرد على منكريه ويرفض منهجهم، فما دام القياس صحيحا فالشيخ يثبته سواء كان قياس طرد، وهو التسوية بين المتماثلات أو قياس عكسى، وهو التفرقة بين المختلفات فالشيخ يثبته مادام صحيحا. والشيخ يستدل بالقاعدة الكلية على المسائل الجزئية[2].

ويعتبر القاعدة التى هى خاصية العقل هى ارتكاب أدنى الشرين لدفع أعلاهما وتفويت أدنى الخيرين لتحصيل أعلاهما من الأمور الشرعية[3].

وقد تقدم إيرادنا قول الشيخ رحمه الله تعالى: «ثم إذا عرف ما بينه الرسول ﷺ نظر فى أقوال الناس وما أرادوا بها فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح الذى هو موافق للرسول ﷺ فإنه الميزان مع الكتاب فهذا سبيل الهدى»[4].

ويقول الشيخ: «وما جئنا بشىء يخالف النقل ولا ينكره العقل»[5].

هذا وقد أشاع أعداء التوحيد عن الشيخ منهجا ليس من منهجه، وافتروا عليه

---

(١) الدرر السنية، ط ٢، جـ١ ص ص ٦٩ـ٧١.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق ص ٣٧٢.

(٣) مؤلفات الشيخ، التفسير، البقرة، ص ٢٣.

(٤) انظر: ص ٢٣٢، ٢٣٣ من هذا البحث، والدرر السنية جـ٢ ص ٨.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٤ ص ٩٨..

مسلكا لم يسلكه وحيث ان الشيخ بنفسه قد أجاب عن افتراءات أعدائه عليه وبين أنه لا أساس لها من الصحة كما شخص أسباب هذه الافتراءات فأذكرها هنا مكتفيا بأجوبة الشيخ حيث انها تعتبر جانبا من منهجه، ويجدر بنا أن ننبه إلى أن جميع المفتريات والاشاعات التى أثيرت تنبثق من تلك المفتريات التى أجاب عنها الشيخ، مما يجعلنا نعتبر جواب الشيخ صالحا لكل ما قيل عنه من بعده أيضا.

وفيما يلى تلخيص لأجوبة الشيخ عما نسب إليه أنه انتهجه :

فالشيخ يقول : «أشاعوا عنا أنا نسب الصالحين وأنا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب وذكروا عنا أشياء يستحى العاقل من ذكرها»[1].

ويقول الشيخ : «إذا تبين هذا فالمسائل التى شنع بها منها ما هو من البهتان الظاهر وهى (قوله) إنى مبطل كتب المذاهب، وقوله إنى أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، (وقوله) إنى أدعى الاجتهاد، (وقوله) إنى خارج عن التقليد، (وقوله) إنى أقول : إن اختلاف العلماء نقمة، (وقوله) إنى أكفر من توسل بالصالحين، (وقوله) إنى أكفر البوصيرى لقوله : ياأكرم الخلق، (وقوله) إنى أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول ﷺ هدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب، (وقوله) إنى أنكر زيارة قبر النبى ﷺ ، وأنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم، وإنى أكفر من يحلف بغير الله، فهذه اثنتا عشرة مسئلة جوابى فيها أن أقول :

(سبحانك هذا بهتان عظيم) ولكن قبله من بهت محمدا ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم، ويسب الصالحين (تشابهت قلوبهم)، وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيرا فى النار، فأنزل الله تعالى فى ذلك ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون** ﴾ الآية أ ـ هـ [2].

وأما مسألة التكفير ـ فالشيخ يجيب بأنه لا يكفر بالعموم، ولا يكفر جميع الناس ممن لم يتبعه، ولا يزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ولا يقول إن الناس من ستمائة سنة

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٦ ص ٤٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٦ ص ٤٠ ورقم ١٧ ص ١٤٤ ورقم ١١ ص ٦٤ ورقم ٨ ص ٥٢ ورقم ١ ص ١٢ ورقم ٥ ص ٣٧ ورقم ٤٢ ص ٢٨٨ ورقم ٧ ص، ص ٤٧، ٤٩، وصيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص ص ٤١٢-١١٥ .

ليسوا على شيء[١]. ولا يكفر بالظن، فمن أظهر الإسلام وما تيقنا أنه أتى بناقض لا يكفر لأن اليقين لا يرفع بالظن[٢].

ولا يكفر الشيخ بالموالاة يعنى أنه لا يقول من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن فى بلده أنه ما يكفيه حتى يجيء عندنا ويوالينا بل مراده اتباع دين الله ورسوله ﷺ فى أى أرض كانت، ولا يقول ان الذى ما يدخل تحت طاعتى فهو كافر، بل يقول: نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك، وأهله فهو المسلم فى أى زمان وأى مكان[٣].

ولا يكفر الجاهل الذى لم تقم عليه الحجة[٤]، ولا يكفر من يحلف بغير الله، ولا يكفر من توسل بالصالحين[٥]، ولا يكفر ابن الفارض بعينه ولا ابن عربى بعينه[٦]، ولا يكفر البوصيرى لقوله ياأكرم الخلق[٧].

ولقد بين الشيخ هذا أتم بيان حيث قال: «وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم انا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على اظهار دينه، وأنا نكفر من لم يُكَفِر[٨] ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه - يعنى زعمهم انه يكفر من لم يقم عليه الحجة ونحو ذلك - يقول الشيخ: فكل هذا من الكذب والبهتان الذى يصدون به الناس عن دين الله ورسوله. وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذى على عبد القادر والصنم الذى على قبر أحمد البدوى وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل[٩] ﴿ **سبحانك هذا بهتان عظيم** ﴾[١٠] (النور: ١٦).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٥ ص ٣٧ ورقم ٧ ص ٤٨ ورقم ١٥ ص ١٠١، ورقم ١ ص ١٢ ورقم ١١ ص ٦٤.

(٢) المرجع السابق رقم ٣ ص ص ٢٤، ٢٥.

(٣) المرجع السابق رقم ١٠ ص ٦٠ ورقم ٩ ص ٥٨ ورقم ٣ ص ص ٢٥، ٢٧.

(٤) المرجع السابق رقم ٣ ص ٢٥.

(٥) المرجع السابق رقم ١١ ص ٦٤ ورقم ١ ص ١٢.

(٦) المرجع السابق رقم ١ ص ١٢.

(٧) المرجع السابق رقم ١١ ص ٦٤ ورقم ١ ص ١٢.

(٨، ٩، ١٠) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى، ص ١١، وروضة ابن غنام ١/١٧٩-١٨١، والدرر السنية ١/٦٦. وقوله: لا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل، أى لا نكفر من لم يكفر من كفرناه لعدم توفر دليل كفره لديه مثل توفره لدينا والله أعلم.

وأما القتال فيقول الشيخ فيه: «وأما القتال فلم نقاتل أحدا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة وهم الذين أتونا فى ديارنا ولا أبقوا ممكنا، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وكذلك من جاهر بسب دين الرسول ﷺ بعد ما عرفه»(١).

وقد أجاب الشيخ لما سأله الشريف عما يقاتلون عليه وعما يكفرون به الرجل؟ بجواب خلاصته: «أن أول الأركان الخمسة للإسلام الشهادتان، وقد أجمع العلماء على كفر تاركها ووجوب قتاله، أما الأربعة الباقية، فاذا أقر الإنسان بها وتركها تهاونا فالشيخ يقول: فنحن وان قاتلناه على فعلها فلا نكفره بتركها، لأن العلماء اختلفوا فى كفر التارك لها كسلا من غير جحود»(٢).

والشيخ يكفر من كفر باجماع المسلمين وهو الذى قامت عليه الحجة، ولا يكفر من لم تقم عليه الحجة.

وفى بيان هذه النقطة من عقيدة الشيخ ننقل ما لخصه الشيخ وارتضاه عن ابن تيمية رحمه الله فيقول: «لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين الخمر كقدامة وأصحابه ظنوا أنها تباح لمن عمل صالحا على ما فهموا من آية المائدة، اتفق علماء الصحابة كعمر وعلي وغيرهما على أنهم يستتابون، فان أصروا على الاستحلال كفروا وان أقروا بالتحريم جلدوا، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداء لأجل الشبهة حتى يبين لهم الحق فان أصروا كفروا، ولهذا كنت أقول للجهمية الذين نفوا أن يكون الله فوق العرش أنا لو وافقتكم كنت كافرا، وأنتم عندى لا تكفرون، لأنكم جهال، ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الأحياء ولا الأموات ولا الأنبياء ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بلفظ الاستعاذة ولا غيرهما كما أنه لم يشرع لهم السجود لميت، ولا إلى غير ميت ونحو ذلك بل نعلم أنه نهى عن ذلك كله، وأنه من الشرك الذى حرمه الله ورسوله، لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين، لم يكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ ، ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل دين الإسلام الا تفطن

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية، رقم ٥ ص ٣٨.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ٢ ص ص ٩، وروضة ابن غنام ١/ ١٧٩ـ١٨١ والدرر السنية ١/ ٦٥ـ٦٧.

له، وقال هذا أصل دين الإسلام، وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: هذه أعظم ما بينته لنا[1].

وفى موضع آخر يقول الشيخ فى تلخيصه عن ابن تيمية رحمه الله: «كل من استفرغ وسعه استحق الثواب، وكذلك الكفار ممن بلغته دعوة النبى ﷺ فآمن به وبما أنزل عليه، واتقى الله ما استطاع، كما فعل النجاشى وغيره، ولم تمكنه الهجرة ولا التزام جميع الشرائع لكونه ممنوعا من الهجرة، ومن اظهار دينه، وليس عنده من يعلمه الشرائع فهذا مؤمن من أهل الجنة، كما كان مؤمن من آل فرعون مع قومه، وكامرأة فرعون، بل وكما كان يوسف مع أهل مصر، فانهم كفار ولم يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من الإسلام فانه دعاهم إلى التوحيد والإيمان، فلم يجيبوه ـ قال تعالى: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به﴾ (غافر: ٣٤).

إلى أن قال الشيخ: وكثيرا ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضيا بل وإماما وفى نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها فلا يمكنه، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وعمر بن عبد العزيز عودى، وأوذى على بعض ما أقامه من العدل، وقيل إنه سم على ذلك، فالنجاشى وأمثاله سعداء فى الجنة، وإن لم يلتزموا من شرائع الإسلام ما لا يقدرون عليه بل يحكمون بالأحكام التى يمكنهم الحكم بها.

إلى أن قال الشيخ بعد أن ذكر أحكام الفوائت من الصلاة وغيرها: ان الحكم لا يثبت إلا مع التمكن من العلم، وأنه لا يقضى ما لم يعلم وجوبه، وهذا يطابق الأصل الذى عليه السلف وهو أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، فالوجوب مشروط بالقدرة، والعقوبة لا تكون إلا على ترك مأمور وفعل محظور، وبعد قيام الحجة»[2].

وبذلك يتبين أن الشيخ لا يكفر أحد بعينه إلا إذا قامت عليه الحجة غير أنه يبين من هم الذين لم تقم عليهم الحجة فيقول: «إن الذى لم تقم عليه الحجة، هو الذى حديث عهد بالإسلام، والذى نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك فى مسألة خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف، وأما أصول الدين التى أوضحها الله وأحكمها فى كتابه فان حجة الله هى القرآن فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة».

---

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١٠٥ ص ص ٩٩، ١٠٠.
(٢) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١٢١ ص ص ١٤٢-١٤٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويفرق الشيخ بين قيام الحجة وفهمها في جوابه لبعض من أشكل عليهم هل قامت الحجة على من بلغه القرآن أولا؟ فيقول: «ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فان أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم كما قال تعالى: ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ (الفرقان: ٤٤)، وقيام الحجة، وبلوغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم (هو) ببلوغها إياهم وان لم يفهموها.

ويقول الشيخ: إن أشكل عليكم ذلك فانظروا قوله ﷺ في الخوارج: « أينما لقيتموهم فاقتلوهم » وقوله: « شر قتلى تحت أديم السماء »[1]

---

(١) الدرر السنية، جـ٨ ص ٩٠-٩١.

وانظر صحيح البخاري، جـ٨ ص ٥٢ ك ٨٨/ب ٦ وفيه: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة».

وفي سنن ابن ماجة جـ١ ص ٦٢، المقدمة باب ١٢ ولفظه حدثنا سهل بن أبي سهل ثنا سفيان بن عيينة، عن أبي غالب، عن أبي أمامه يقول: شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتيل من قتلوا، كلاب أهل النار - . . . . - قلت: يا أبا أمامه - هذا شيء تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ».

قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات بعد أن أورده مطولا عما في ابن ماجة، مجمع الزوائد جـ٦ ص ص ٢٣٣-٢٣٤.

وفي مجمع الزوائد للهيثمي أيضا « . . . فاقتلوهم هم شر البرية» قال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

وفي صحيح البخاري جـ٨ ص ٥١ ك ٨٨/ب ٦ قال البخاري: «وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح، وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار، وقال سنده صحيح.

وقال أيضا وقد ثبت في الحديث الصحيح المرفوع عن مسلم من حديث أبي ذر في وصف الخوارج «هم شرار الخلق والخليقة».

وعند أحمد بسند جيد عن أنس مرفوعا مثله، وعند البزار من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: ذكر رسول الله ﷺ الخوارج فقال: هم شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي. وسنده حسن. وعند الطبراني من هذا الوجه مرفوعا هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة.

وفي حديث أبي سعيد عند أحمد «هم شر البرية».

وفي رواية عبد الله بن أبي رافع عن علي عند مسلم «من أبغض خلق الله إليه».

وفي حديث عبد الله بن خباب يعني عن أبيه عند الطبراني «شر قتلى أظلتهم السماء وأقلتهم الأرض».

وفي حديث أبي أمامه نحوه وعند أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي برزه مرفوعا في ذكر الخوارج «شر الخلق والخليقة يقولها ثلاثا».

وعند ابن أبي شيبة من طريق عمير بن اسحق عن أبي هريرة «هم شر الخلق».

قال الحافظ ابن حجر: «هم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين» انظر: فتح الباري جـ١٢ باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ص ص ٢٨٣-٢٨٦.

قال الشيخ : مع كونهم فى عصر الصحابة ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم ومع اجماع الناس أن الذى أخرجهم من الدين هو التشدد والغلو والاجتهاد وهم يظنون أنهم يطيعون الله وقد بلغتهم الحجة ولكن لم يفهموها ، وكذلك قتل علي رضى الله عنه الذين يعتقدون فيه وتحريقهم بالنار مع كونهم تلاميذ أصحابه مع عبادتهم وصلاتهم وصيامهم وهم يظنون أنهم على حق ، وكذلك اجماع السلف على تكفير غلاة القدرية[1] ، وغيرهم مع شدة عبادتهم وكونهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولم يتوقف أحد من السلف فى تكفيرهم لأجل كونهم لم يفهموا فان هؤلاء كلهم لم يفهموا[2] .

ويقصد الشيخ بفهم الحجة أى عقلها وعلى هذا فالأنواع والأعيان ممن بلغه القرآن والسنة وقامت عليه بهما الحجة فلم يسلم يكفر ببلوغ كلام الله إليه وكلام رسول الله ﷺ وخلوه من الموانع التى يعذر بها أما كونه لم يعقل الحجة كعقل أبى بكر وعمر فلا يعذر بذلك .

يقول الشيخ رحمه الله تعالى : فاذا كان المعين ، يكفر اذا قامت عليه الحجة فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله ﷺ مثل فهم أبى بكر رضى الله عنه بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شىء يعذر به فهو كافر كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن مع قول الله : ﴿ **وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه** ﴾ (الأنعام : ٢٥) وقوله : ﴿ **ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون** ﴾ (الأنفال : ٢٢)[3] .

وقول الله تعالى : ﴿ **أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** ﴾ (الفرقان : ٤٤) ، وقال تعالى حكاية عن أهل جهنم : ﴿ **لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير** ﴾ (تبارك : ١٠) .

---

(١) غلاة القدرية : هم الذين ينكرون علم الله المتقدم وكتابته السابقة لمقادير الخلائق قبل أن يخلقهم . قال القرطبى : ولا شك فى تكفير من يذهب إلى ذلك فانه جحد معلوم من الشرع بالضرورة ، لذلك تبرأ منهم ابن عمر وابن عباس وغيرهما من الصحابة ، وكان أول من ظهر ذلك عنه بالبصرة معبد الجهنى ، فلما بلغ الصحابة قولا هؤلاء تبرأوا منهم وأنكروا مقالتهم ، انظر تيسير العزيز فى شرح كتاب التوحيد ص ص ٦٢١، ٦٢٣ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٣٦ ص ص ٢٤٤-٢٤٥ ورقم ٣٤ ص ص ٢٣٢-٢٣٤ ، الدرر السنية جـ٨ ص ص ٩٠-٩١ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٢٣ ص ص ٢٢٠-٢٢١ ورقم ٣٦ ص ص ٢٤٤-٢٤٥ ، والدرر السنية جـ٨ ص ص ٩٠، ٩١ .

وقـال تعـالى : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسـرين أعـمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ (الكهف: ١٠٣-١٠٤).

وهكذا كل من بلغه الحكم الشرعى من المسلمين فقد قامت عليه الحجة ببلوغ الحكم الشـرعى إليـه وان لم يعقـل حكمتـه وأسـراره ومعنـاه فهومسلم عليه أن يلتزم الحكم الشرعى ، والمـرجـع فى الأحكـام الشـرعية هوعلم علماء الإسلام المشهود لهم بذلك من قرآن وسنة واجماع وقياس.

ومـرجـع الحكم على أعيان الناس بتركهم الحكم الشرعى كترك أحد المعينين الالتـزام بالتـوحيـد ومـع ذلـك يُكَفِّرُ من التزم التوحيد ويصد الناس عن التوحيد بعد معـرفتـه أنـه دين الله ودين رسـوله ﷺ ولا يفرح به ولا يحبه ولا يحب أهله ولا يتبرأ من الشرك وأهله فهذا مرجعه إلى علم الخاص والعام ممن يقبل خبرهم وعلمهم[1].

ولـما احتـج بعض الناس على الشيخ فى تكفيره من قامت عليه الحجة الرسالية بفهم فهمـه على غير وجهـه من كلام شيـخ الإسلام ابن تيمية نقل الشيخ كلام شيخ الإسـلام ابن تيميـة بعينـه وبـين أنـه لا متعلق لأحد بشىء من كلام هذا الإمام فقال الشيـخ رحمـه الله : «وأنـا أذكـر لفظـه الـذى احتجـوا به على زيفهم». قال رحمـه الله تعالى : «انا من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير أوتبديع أوتفسيق أو معصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التى من خالفها كان كافرا تارة وفـاسقـا أخـرى وعـاصيـا أخـرى - انتهى كلامه - وهذا صفة كلامه فى المسألة فى كل موضع وقفنا عليه من كلامه لا يذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الاشكال أن المراد بالتوقف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة وإذا بلغته حكم عليه بما تقتضيه تلك المسألـة من تكفـير أوتفسيق أومعصيـة وصرح رضى الله عنه أيضا أن كلامه أيضا فى غير المسـائـل الظـاهـرة فقال فى الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منه الـردة عن الإسـلام كثيرا قال: وهـذا ان كان فى المقـالات الخفيـة فقد يقال إنه فيها مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التى يكفر تاركها لكن هذا يصدر عنهم فى أمور يعلم الخـاصـة والعـامـة من المسلمـين أن رسول الله ﷺ بعث بها وكفر من خالفها مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم فان هذا أظهـر شعـائـر الإسـلام ومثـل إيجاب الصلوات الخمس وتعظيم شأنها ومثل

---

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣١ ص ص ٢٠٤-٢١٠.

تحريم الفواحش والربى والخمر والميسر ثم تجد كثيرا من رؤ وسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف فى دين المشركين كما فعل أبوعبد الله الرازى (يعنى الفخر الرازى)[1] قال وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين ـ انتهى كلامه . يعنى ابن تيمية ، ثم علق الشيخ على كلامه بقوله :

فتأمل هذا وتأمل ما فيه من تفصيل الشبهة التى يذكرها أعداء الله لكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا[2] .

ومن أراد مزيد بيان وإيضاح فى منهج الشيخ فى التكفير فنحيله على كتاب «مصباح الظلام» فى الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام ، تأليف الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، أمر بطبعه الأمير سعود بن عبد العزيز آنذاك ، الملك فيما بعد ، وصححه وعلق عليه محمد حامد الفقى ـ رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية .

قال الشيخ عبد اللطيف فى أوله : وقد رأيت لبعض المعاصرين كتابا يعارض به ما قرر شيخنا من أصول الملة والدين ، ويجادل بمنع تضليل عباد الأولياء والصالحين ، ويناضل عن غلاة الرافضة والمشركين ، الذين أنزلوا العباد بمنزلة الله رب العالمين وأكثر التشبيه بأنهم من الأمة ، وأنهم يقولون لا إله إلا الله ، وأنهم يصلون ويصومون ، ونسى فى ذلك عهود الحمى[3] ، وما قرره كافة الراسخين من العلماء ، وأجمع عليه الموافق والمخالف من الجمهور والدهماء ، ونص عليه الأكابر والخواص من اشتراط العلم والعمل فى الاتيان بكلمة الاخلاص ، والحكم بموجب الردة على فاعل ذلك من سائر العبيد والأشخاص ، وسمى كتابة «جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة»[4] ومراده بالأمة

---

(١) ، (٢) لم يصرح الشيخ عبد اللطيف باسم مؤلفه ، لأن الكتاب وجد فى تركة عثمان بن منصور وشهد عدلان أنه بخطه ، ثم ظهر الكتاب ، فى بريدة ، وزعم من وجد عنده أنه تصنيف عثمان بن منصور فأخذه الشيخ محمد بن عمر آل سليم معه إلى الرياض عام ١٢٩١هـ فرد عليه الشيخ عبد اللطيف بهذا الرد.

انظر: علماء نجد خلال ستة قرون ، جـ٣ ص ص ٦٩٨ ، ٦٩٩ .

وقوله : عهود الحمى . يعنى حمى التوحيد كما حماها رسول الله ﷺ .

(٣) ، (٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد ص ص ٢٨٩-٢٩٠ . وانظر: نقض المنطق ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ص ٤٥-٤٧ .

وقال الذهبى عن الفخر الرازى: «رأس فى الذكاء والعقليات ، لكنه عرى من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة . . . وله «كتاب السر المكتوم فى مخاطبة النجوم ، سحر صريح ، فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى» (ميزان الاعتدال جـ٣ ص ٣٤٠ ولسانه جـ٤ ص٤٢٦) .

هنا من عبد آل البيت وغلا فيهم وعبد الصالحين ودعاهم واستغاث بهم، وجعلهم وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم ـ هذا مراده ـ ولكنه أوقع عليهم لفظ الأمة ترويجا على الأغمار والجهال. ولبسا للحق بالباطل، وهويعلم ذلك وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفترين.

قال تعالى: ﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين ﴾ فلكل مفتر نصيب منها بحسب جرمه وعلى قدر ذنبه. وقد رأيت على هذا الرجل من الذلة والمهانة مدة حياته ما هوظاهر بين يعرفه من عرفه.

وقد بين الشيخ عبد اللطيف هذه المسألة فى منهج الشيخ بيانا واسعا، ورد على من افترى عليه فى هذه النقطة ردا كافيا واستغرق رده ثلثمائة وتسعاً وخمسين صفحة من القطع الوسط.

وقد تناول هذه النقطة الشيخ حسين بن غنام فى تاريخه، وقال: ان الشيخ كان ملتزما بالمنهج السوى ولم يتسرع لسانه بتكفير أناس أشربت قلوبهم بالمعاصى وبما كانوا عليه من القبائح الشركية حتى نهضوا عليه وعلى جماعته وصاحوا بتكفير من يدعوإلى دين الله ورسوله، وقالوا ان كان الذى نفعل من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور من تلك الأزمان شرك وكفر فنحن كفار، وخافوا أن يظهر أمره فإذا ظهر خافوا أن يحكم عليهم بما تسرعوا هم به عليه فأشاعوا أن ابن عبد الوهاب يجعلكم كفارا ويكفر كل الناس بقصد التنفير والتحذير(١).

والحقيقة: ـ أن منهج الشيخ يتركز على أربع نقاط اشتهر بها:

١ ـ بيان التوحيد، والدعوة إليه على حين غربته، فى أناس وزمان لم يكن قد طرق آذان أكثرهم هذا البيان، وأظهر لهم الشيطان أن الاخلاص وإفراد الله بالعبادة تنقص للصالحين وتقصير فى حقوقهم فصدق عليهم إبليس ظنه، فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين(٢).

تنقص للصالحين وتقصر فى حقوقهم فصدق عليهم إبليس ظنه، فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين(٢).

---

(١) انظر: روضة ابن غنام جـ١ ص ص ٣٣-٣٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣ ص ص ٢٤، ٢٥ ورقم ٥ ص ٣٦، وانظر: القسم الأول، العقيدة، ص ٣٩٣.

٢ ــ بيان الشرك والبراءة منه والتحذير عنه ولو كان فى كلام وعمل من ينتسب إلى العلم والعبادة من دعوة غير الله أوقصده بشىء من العبادة ولوزعم الزاعمون أنهم يريدون بذلك القصد شفاعة هؤلاء المدعوين أو المقصودين بشىء من العبادة عند الله فى زمان وأناس يظن أكثرهم أن هذا أفضل القربات وأجل الطاعات لأن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك فى صورة محبة الصالحين واتباعهم فأشربت قلوبهم هذا الشرك والعياذ بالله[1].

٣ ــ تكفير من بان له التوحيد وأنه دين الله ورسوله ﷺ ثم أبغضه ونفر الناس عنه وجاهد فى صد الناس عن الدخول فيه. وكذا من عرف الشرك وأن رسول الله ﷺ بعث بانكاره وأقر بذلك ثم مدحه وحسنه للناس وزعم أن أهله لا يخطئون لأنهم السواد الأعظم.

٤ ــ الأمر بقتال هؤلاء المشركين خاصة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله كما قال تعالى: ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين** ﴾ (البقرة: ١٩٣).

وفى الأنفال قال الله تعالى: ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير** ﴾[2](الأنفال: ٣٩).

وهذا بعد إقامة الحجة عليهم من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع السلف الصالح من الأئمة كما قدمنا.

قال الشيخ: «فلما اشتهر عنى هؤلاء الأربع صدقنى من يدعى أنه من العلماء فى جميع البلدان فى التوحيد وفى نفى الشرك، وردوا علىَّ التكفير والقتال»[3].

ويقولون: التوحيد زين والدين حق، إلا التكفير والقتال. والشيخ يقول: «إعملوا بالتوحيد ودين الرسول ﷺ، ويرتفع حكم التكفير والقتال»[4].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣ ص ٢٤-٢٥، ورقم ٥ ص ٣٦. وانظر: القسم الأول، العقيدة، ص ٣٩٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٥ ص ١٠٤ ورقم ١٦ ص ص ١٠٤، ١٠٧ ورقم ٥ ص ٣٦ ورقم ١٤ ص ٩٥ ورقم ٢٢ ص ١٥٠ ورقم ٣ ص ص ٢٤، ٢٥.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣ ص ٢٤، ٢٥.

(٤) المرجع السابق رقم ٢٧ ص ١٨٣.

ومع أن الشيخ يجل الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن رجب والذهبى وابن كثير وغيرهم من أئمة السلف رضى الله عنهم، فليس الشيخ رحمه الله إمعةً يقلد شيخ الإسلام أوغيره تقليدا أعمى ويتعصب له ولكن يلتزم طريق رسول الله ﷺ ويعتقد أن رسول الله ﷺ لا يقول إلا الحق، وكلٌ قوله يعمل به ولا يُطرح منه شىء وأما ما عداه فيؤخذ من قوله ويترك حتى شيخ الإسلام ابن تيمية يترك قوله إذا غلط فيه. يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى ذلك: على أن الذى نعتقده وندين الله به ونرجوا أن يثبتنا عليه انه لو غلط هو أو أجل منه فى هذه المسألة وهى مسألة المسلم إذا أشرك بالله بعد بلوغ الحجة أو المسلم الذى يفضل هذا على الموحدين أو يزعم أنه على حق أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر الذى بينه الله ورسوله وبينه علماء الأمة أنا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله من تكفيره ولو غلط من غلط فكيف والحمد لله ونحن لا نعلم عن واحد من العلماء خلافا فى هذه المسألة. وإنما يلجأ من شاق فيها إلى حجة فرعون ﴿ **فما بال القرون الأولى** ﴾ أو حجة قريش ﴿ **ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة**)[1].

وننقل عن الشيخ حسين بن مهدى النعمى الصنعانى شهادة بذلك فقال رحمه الله: «قالوا: إن قائل تلك المقالة ـ وهى اتجاه وجوب تخريب المشاهد ـ قلد ابن تيمية فى ذلك. ومن تدبر أصول القوم: وجدهم دلوا على أنهم من جملة العامة. ولا أدرى من أين جاء لهم ذلك؟ نعم هو نتيجة من نتائج الحكم بتعذر الاجتهاد.

ومن حق الباحث: أن يدلى بما يوافق خصمه على صحته، أو بحجة قاهرة، تؤذن أن دفعها مكابرة، وأن التمسك بمعارضها قصور، أو ضلال.

وكون من ذكروه قلد ابن تيمية: بطلانه معلوم غير موهوم، لما أنه ينهى عن التقليد وينادى بمنعه[2]. ولأن عامة مباحثه مبنية على تحرير المقام بمبلغ نظره، وإن كان لا سبيل إلى رفع الخطأ جملة فى كل بحث.

وذلك منه من دون تقليد لابن تيمية ولا غيره، ولا احتجاج بقول أحد قط، أو

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد، ص ص ٢٩٠-٢٩١.

(٢) يقصد التقليد الذى يحمل على ترك ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة بعد معرفته لأن فلانا قال بخلافه أى تقليد شخص بلا حجة.

التـدين به من دون استبـانتـه منـه حسبـما علم . وليس معصوما كغيره أيضا . ولأنه فى خصوص هذه المسألة أبرز حجته ، وحرر من البرهان ما استطاع .

فأى معنى لقولكم أنه قلد ابن تيمية؟ والحال أنكم لم تأتوا عن أنفسكم ولا فيما نقلتم شيء يقـابـل بعض ما أقـامـه فى هذه المسألـة من أدلة الكتاب والسنة ، التى لا يردهـا إلا مشـاق لله ولـرسـولـه؟ ولأنـه قد ناقض ابن تيمية فى كثير من المسائل ذهب إليها ، لظهور ضعف كلامه عنده . فلو كان واقفا على تقليده - كما وقفتم على رسوم شرح المنهـاج[1] وغـيره - لما فعل . فما باله يسوغ لنفسه تقليد ابن تيمية فى هذه المسألة دون غيرهـا؟ فلقـد حكيتم عجبا . وقد قرأنا عليه وعرفنا مذهبه وأنتم لا تعرفونه ، إنما يبلغكم عنـه ما يبلغ ، فتأخـذون فى مضـادتـه بلا بصـيرة ، ولا وازع لكم عن الـرجم بالظنون والأوهام ، ولا علم يهدى إلى تمييز الصحيح من ذى السقام .

فالعتب عليكم : أترضون أن يكون من خطاب ما لا يفهم ؟

وكفى دليـــلا على تنكبكم الصـواب : ذكـركم الأقـوال من فروع المـذهب فى مقابلة مناهى صريحة صحيحة مشهورة فى الصحاح وغيرها ، ثم تعرضكم لشيخ من شيـوخ الإسـلام ، وإمـام من جلة الأئمة الأعلام - وهو ابن تيمية - بأنه ضال مضل ، ومـا كان - رحمـه الله تعـالى - أهلا لهذا . والرجل أمره شهير ، وأقواله ومذاهبه يتناقلها الجم الغفير . وما مثله يحتاج إلى كشف عن رفيع محله ، وقد تعرض له ولتلميذه الإمام محمـد بن أبى بكـر بن أيـوب الـزرعى - وهو ابن قيم الجوزيه - رحمه الله تعالى بعض القـائلين . وهما إمـامـان جليـلان لاحقـان بأمـاثـل السلف . كالشـافعى ، وأحمـد ، وإسحاق ، وغيرهـم ، ومؤلفاتهما وتراجمهما ونقل أهل العلم لأقوالهما ومذاهبهما ونفائس تحقيقهما : كافية شافية مقنعة لمن عدل وأنصف[2] .

والشيـخ يرفض الاختـلاف والتنـازع فى أمـور ترجـع كلهـا إلى الصواب ، وما يحصـل النـزاع فيهـا والاختـلاف إلا لقلة العلم والجهـل بتفـاصيـل المسـائل وقواعد الأحكام الشرعية وهو الذى يسمى اختلاف التنوع .

وأورد الشيخ بعض القواعد لذلك مثل : اذا سن النبى ﷺ أمرين وأراد أحد أن

(١) المنهاج : كتاب فقه معتمد عند الشافعية .

(٢) معارج الألباب فى مناهج الحق والصواب ، تأليف الشيخ حسين بن مهدى النعمى ص ١٠٣-١٠٤ .

يأخذ بأحدهما ويترك الآخر أنه لا ينكر عليه كالقراءات الثابتة، ومثل الذين اختلفوا فى آية فقال أحدهما ألم يقل الله كذا؟ وقال الآخر: ألم يقل الله كذا؟ وأنكر النبى ﷺ عليهم، وقال كل منكما محسن، فأنكر الاختلاف وصوب الجميع فى الآية[1].

ويبين الشيخ أن هذا المنهج الذى سار عليه ليس من عنده، أو من كتاب وجده ليس عليه عمل، أو عن أهل مذهبه، ولكنه أمر الله تعالى ورسوله ﷺ واجماع العلماء فى كل مذهب من المذاهب الأربعة.

ومن يؤمن بالله واليوم الآخر لا ينبغى له أن يعرض عن هذا لأجل أهل زمانه، أو أهل بلده، أو لأجل أن أكثر الناس فى زمانه أعرضوا عنه[2].

ويقول الشيخ فى رسالته إلى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف: «وأما ما ذكر لكم عنى فانى لم آته بجهالة بل أقول ولله الحمد والمنة وبه القوة اننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين، ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفى أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبى وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التى أوصى بها أول أمته وآخرهم وأرجو أنى لا أرد الحق إذا أتانى، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه ان أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلها على الرأس والعين ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتى حاشا رسول الله ﷺ فانه لا يقول إلا الحق وصفة الأمر غير خاف عليكم ما درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون وأتباعهم والأئمة كالشافعى وأحمد وأمثالهما ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم وكذلك ما درج عليه من سبقت له من الله الحسنى من أتباعهم، وغير خاف عليكم ما أحدث الناس فى دينهم من الحوادث وما خالفوا فيه طريق سلفهم، ووجدت المتأخرين أكثرهم قد غير وبدل، وسادتهم وأئمتهم وأعلمهم وأعبدهم وأزهدهم مثل ابن القيم والحافظ الذهبى والحافظ العماد ابن كثير والحافظ ابن رجب قد اشتد نكيرهم على أهل عصرهم».

ثم يستطرد الشيخ رحمه الله قائلا: «فاذا استدل عليهم أهل زمانهم بكثرتهم

---

(١) الدرر السنية، ط ٢ جـ٤/٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٨ ص ٥٣.

واطباق الناس على طريقتهم قالوا هذا من أكبر الأدلة على انه باطل لأن رسول الله ﷺ قد أخبر أن أمته تسلك مسالك اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة حتى لودخلوا جحر ضب لدخلتموه، وقد ذكر الله فى كتابه أنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأنهم كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هذا من عند الله وأنهم تركوا كتاب الله والعمل به وأقبلوا على ما أحدثه أسلافهم من الكتب وأخبر أنه وصاهم بالاجتماع، وأنهم لم يختلفوا لخفاء الدين بل اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴿ **فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾ (المؤمنون: ٥٣)، والزبر الكتب، فاذا فهم المؤمن قول الصادق المصدوق: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» وجعله قبلة قلبه تبين له أن هذه الآيات وأشباهها ليست على ما ظن الجاهلون أنها كانت فى قوم كانوا فبانوا، بل يفهم ما ورد عن عمر رضى الله عنه أنه قال فى هذه الآيات مضى القوم وما يعنى به غيركم، وقد فرض الله على عباده فى كل صلاة أن يسألوه الهداية إلى صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم الذين هم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. فمن عرف دين الإسلام وما وقع الناس فيه من التغيير له عرف مقدار هذا الدعاء وحكمة الله فيه[1].

وفى مخاطبته لابن عبد اللطيف يقول: «وان أردت النظر فى أعلام الموقعين، فعليك بمناظرة فى أثنائه عقدها بين مقلد وصاحب حجة، وإن ألقى فى ذهنك أن ابن القيم مبتدع وأن الآيات التى استدل بها ليس هذا معناها فاضرع إلى الله وأسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق وتجرد إلى الله ناظرا أومناظرا، واطلب كلام أهل العلم فى زمانه مثل الحافظ الذهبى وابن كثير وابن رجب وغيرهم ومما ينسب للذهبى رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأى فقيه

فإن لم تتبع هؤلاء فانظر كلام الأئمة قبلهم كالحافظ البيهقى فى كتاب المدخل، والحافظ ابن عبد البر والخطابى وأمثالهم. ومن قبلهم كالشافعى وابن جرير وابن قتيبة وأبى عبيد فهؤلاء إليهم المرجع فى كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف . . . وتأمل ما فى كتاب (الاعتصام)[2] للبخارى وما قال أهل العلم فى شرحه، وهل يتصور شىء

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٧ ص ص ٢٥٢-٢٥٣.
(٢) يعنى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيح البخارى جـ٨ ص ١٣٧.

أصرح مما صح عنه ﷺ أن أمته ستفترق على أكثر من سبعين فرقة أخبر أنهم كلهم فى النار إلا واحدة، ثم وصف تلك الواحدة أنها التى على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه[1].

ويقول الشيخ لمن خالفه: الكتب عندكم انظروا فيها ولا تأخذوا من كلامى شيئا لكن إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ، الذى فى كتبكم فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس.

ويذكر أيضا أن هذا الذى أنكروا عليه وأبغضوه وعادوه من أجله إذا سألوا عنه كل عالم فى الشام واليمن أوغيرهم يقول: هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أن أظهره فى مكانى لأجل أن الدولة ما يرضون، وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاكم فى بلده ما أنكره بل لما عرف الحق اتبعه، هذا كلام العلماء[2]. وحاصل ما يقرره الشيخ أمران:

فالأمر الأول: هو قوله: لا تطيعونى ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله ﷺ الذى فى كتبكم.

والأمر الثانى: أن كل عاقل مُقِرّ بِهِ لكن ما يقدر أن يظهره.

ويقول الشيخ: «فنحن ولله الحمد متبعون غير مبتدعين»[3] مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة. على مذهب أهل السنة والجماعة، الذى هو على أمر الله ورسوله ﷺ.

وعليه الرسول ﷺ وصحابته والتابعون وأتباعهم، وإجماع علماء المسلمين وأئمة الدين ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم ودرايتهم مثل الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقه كالأئمة الأربعة، أبى حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى ورضي عنهم أجمعين، وكذلك ما درج عليه الأعلام من أتباع هؤلاء الأئمة فنحن على ذلك وإن خالفنا غالب الناس فى ما أحدثوا فى دينهم من الحوادث لأننا على ما كان عليه أهل السنة والجماعة الذين

---

(١) المصدر السابق ص ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٤ ص ٣٢ ورقم ٢٨ ص ١٨٩ ورقم ٨ ص ٥٥.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٥ ص ٣٦ ورقم ٦ ص ٤٠، ٤١.

هم الفرقة الناجية وهم سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وإن صرنا غرباء، فطوبى للغرباء(1).

ويخص الإمام أحمد بن حنبل بالذكر لأنه إمام أهل السنة فهو يعتقد اعتقاده جملة وتفصيلا ويحمد الله على ذلك.

وكان كثيرا ما يتمثل بثلاثة أبيات هي :

بأى لسان أشكر الله إنه ... لذو نعمة قد أعجزت كل شاكر
حبانى بالإسلام فضلا ونعمة ... على وبالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل ... عليها اعتقادى يوم كشف السرائر(2)

ويقول الشيخ عبد الله بن الشيخ فى رسالته التى كتبها لما دخلوا مكة سنة ١٢١٨هـ «مذهبنا فى أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتنا طريقة السلف التى هى الطريق الأسلم بل والأعلم والأحكم خلافا لمن قال طريق الخلف أعلم»(3).

وأما فى الفروع فهو أيضا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل يقول الشيخ : «وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها»(4).

ويقول الشيخ عبد الله بن الشيخ فى رسالته التى كتبها لما دخلوا مكة سنة ١٢١٨هـ منتصرين : ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيها إلا أننا فى بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا

---

(1) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٧ ص ص ٢٥٢-٢٥٩ ورقم ١ ص ١٢ ورقم ١٦ ص ١٠٦، ١٠٧ ورقم ٢٨ ص ١٨٩ ورقم ٨ ص ٥٣، ٥٤، ٥٥ ورقم ١١ ص ٧٣، ٧٤ ورقم ١٤ ص ٩٦، ٩٨ ورقم ١٧ ص ١١١ ورقم ٥ ص ٣٦ ورقم ٣٤ ص ٢٣٥-٢٣٧ ورقم ٢٢ ص ١٥٠ ورقم ٣٨ ص ٢٧٢-٢٧٣ ورقم ٤ ص ٣٢ ورقم ٣٩ ص ٢٧٧ ورقم ٧ ص ٤٨ ورقم ٤٧ ص ٣٠٨، ٣٠٩، ومؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ص ٣١، ٣٥ ص ص ٨٨، ٨٩ والقسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص ٢٨٥، وص ٣١١-٣١٤-٣٢٤، مجموعة الرسائل النجدية جـ١/ ص ٣٢.

(2) ابن بشر، عنوان المجد، جـ١/ ٩١.

(3) الدرر السنية، ط ٢، جـ١، ص ١٢٦.

(4) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٧ ورقم ٦ ص ص ٤٠، ٤١.

معـارض بأقـوى منـه وقـال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب كأرث الجد والأخوة فانا نقدم الجد بالأرث وان خالف مذهب الحنابلة(١).

والشيخ يرى أن إطلاق القول: بأنه لا إنكار فى مسائل الاجتهاد غير مسلم به ولكن يلزم قيده ببعض مسائل الخلاف التى لم يتبين فيها الصواب، أما بعضها الآخر الذى تبين فيه الصواب فلا يسوغ مخالفتها بل ينكر على المخالف كائنا من كان(٢).

ويستنبـط الشيـخ من تعاليم الرسول ﷺ لأمير الجيش أو السرية الذى أمره إذا حاصـر أهـل حصن فأرادوه أن ينـزلهم على حكم الله فلا ينـزلهم، ولكن ينزلهم على حكمه فانه لا يدرى أيصيب فيهم حكم الله أم لا ؟. رواه مسلم.

قال الشيـخ فيـه كون الصحـابى يحكم عنـد الحـاجة بحكم لا يدرى: أيوافق حكم الله أم لا ؟(٣).

ويقـول الشيـخ عبـد الله بن الشيـخ: «ولا مانع من الاجتهاد فى بعض المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد وقد سبقَ جمع من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم فى بعض المسائل مخالفين للمذاهب الملتزمين تقليد صاحبه(٤).

وأمـا كتب المتأخـرين رحمهم الله فان الشيـخ يذكـر أنهـا عنـده وعنـد أصحـابه ويعملون بما وافق النص منها وما لا يوافق النص لا يعملون به(٥).

وأما المذاهب الأخرى فان الشيخ عبد الله بن الشيخ يقول أيضا: «إن مذاهب غير الأربعـة ليست منضبطـة كالـرافضة والزيدية والامامية ونحوهـم ولا نقرهـم ظاهرا على شيء من مذاهبهـم الفاسدة»(٦).

---

(١) الدرر السنية، ط ٢، جـ١، ص ١٢٦.
(٢) الدرر السنية، ط ٢، جـ٤/ ص ص ٤، ٥،
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٤٣.
(٤) الدرر السنية، ط ٢، جـ١ ص ١٢٧. وانظر: مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٦ ص ٤١.
(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٥ ص ١٠٠.
(٦) الدرر السنية، ط ٢، جـ١، ص ١٢٦.

وهكذا فان الشيخ لا يتعصب للمذاهب من غير حجة ولا يقلد أحدا من غير دليل ولكنه ينشد الحق ويدور معه حيث دار ويتبع من اتبع الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة وقول جمهورها ولا يعارض أمر الله ورسوله بالرأى[١]، وينصف خصمه فيقول «وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم (يعنى علماء البلد الحرام) على دين الله ورسوله أنى متبع لأهل العلم وما غاب عنى من الحق وأخطأت فيه فبينوا لى، وأنا أشهد الله أنى أقبل على الرأس والعين والرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل»[٢].

ويقول فى رسالته إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى: «فأنا ولله الحمد لم آت الذى أتيت بجهالة، وأشهد الله وملائكته أنه أتانى منه (يعنى والده عبد الله بن عيسى) أو ممن دونه فى هذا الأمر كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين وأترك كل قول إمام اقتديت به حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يفارق الحق[٣]، ولا ينجى إلا اتباعه ﷺ»[٤].

ويرد الشيخ على من يرى أن من سلك هذا المسلك فقد نسب نفسه إلى الاجتهاد وترك الاقتداء بأهل العلم بأن هذا المسلك هو فى الحقيقة الاقتداء بأهل العلم، فانهم قد وصوا الناس بذلك، ومن أشهرهم كلاما فى ذلك الإمام الشافعى وإذا خالف الشيخ من أجل الدليل عالما من علماء الشافعية أو غيرهم فإنه لم يخالفه وحده من غير إمام سابق قد خالفه من أجل الدليل بل قد اتبع من هو مثل ذلك العالم الذى قد خالف واتبع الدليل والنص من الوحى ويقول الشيخ: «لم أستدل بالقرآن والحديث وحدى حتى يتوجه على ما قيل (من أنى نسبت نفسى إلى الاجتهاد) ولا خلاف فى أن أهل العلم اذا أجمعوا: وجب اتباعهم، ولكن الشأن إذا اختلفوا هل

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الاعراف، قصة آدم وإبليس ص ٨٥، القسم الثالث، الفتاوى ص ٣٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٦ ص ٤٢، رقم ٧ ص ٤٨ ورقم ١٥ ص ١٠٠ ورقم ١٩ ص ص ١٢٦، ١٢٧ ورقم ٢٠ ص ١٣٠، ١٤٠-١٤١ ورقم ١١ ص ٧٢-٧٦ ورقم ٢٤ ص ١٦٧ ورقم ٢٢ ص ص ١٥٧، ١٥٨ ورقم ٢١ ص ص ١٤٤-١٤٥ ورقم ٢٨ ص ١٨٩ ورقم ٣٢ ص ٢١٢ ورقم ٤٥ ص ٣٠١.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٩ ص ٢٧٦-٢٧٧. وانظر رقم ٣٧ ص ٢٥٢.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٤ ص ٣٣ ورقم ١ ص ١٢ ورقم ٦ ص ٤٠.

يجب قبول الحق ممن جاء به ورد المسألة إلى الله والرسول ﷺ مقتدين بأهل العلم؟ أو ننتحل قول بعضهم من غير حجة ونزعم أن الصواب فى قوله؟

فالشيخ رحمه الله على المذهب الأول يدعو إليه ويناظر عليه، وهو الحق كما قال الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾[1] (النساء: ٥٩).

ويقول فى رسالته إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعى مذهبا من علماء الأحساء: انى إذا خالفت قول عالم فقد خالفت قوله لقول من هو أعلم منه أو مثله إذا كان معه الدليل ولم آت بشىء من عند نفسى فان سمعتم أنى أفتيت بشىء خرجت فيه من إجماع أهل العلم توجه عليَّ القول[2].

وفى جواب من الشيخ حسين والشيخ عبد الله ابنى الشيخ لما سئلا عن عقيدة الشيخ فى العمل فى العبادة قالا: «عقيدة الشيخ رحمه الله تعالى التى يدين الله بها هى عقيدتنا وديننا الذى ندين الله به وهو عقيدة سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم باحسان وهو اتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وعرض أقوال العلماء على ذلك، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله قبلناه وأفتينا به، وما خالف ذلك رددناه على قائله وهذا هو الأصل الذى أوصانا الله به فى كتابه حيث قال: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ الآية - أجمع المفسرون على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، وأن الرد إلى الرسول هو الرد إليه فى حياته، وإلى سنته بعد وفاته والأدلة على هذا الأصل كثيرة فى الكتاب والسنة ليس هذا موضع بسطها، وإذا تفقه الرجل فى مذهب من المذاهب الأربعة ثم رأى حديثا يخالف مذهبه فاتبع الدليل وترك مذهبه كان هذا مستحبا بل واجب عليه إذا تبين له الدليل ولا يكون مخالفا لإمامه الذى اتبعه فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد رضى الله عنهم أجمعين.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١١ ص ٦٢، ٦٣ ورقم ٣٧ ص ٢٥٢-٢٦٢ والقسم الثالث، الفتاوى ص ٢٧ وص ص ٣١-٣٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٧ ص ٢٦٥ بتصرف قليل مع الحفاظ على المعنى.

قال الإمام مالك رحمه الله كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .
وقال الشافعي رحمه الله لأصحابه إذا صح الحديث عندكم فاضربوا بقولي الحائط وفي لفظه إذا صح الحديث فهو مذهبي .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول: ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ أتدري ما الفتنة ـ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ، وقال لبعض أصحابه لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا الشافعي وتعلموا كما تعلمنا ، وكلام الأئمة في هذا كثير جدا مبسوط في غير هذا الموضع . وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل في المسألة يخالف القول الذي نص عليه العلماء أصحاب المذاهب فنرجو أنه يجوز العمل به لأن رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا ، وإنما أخذوا الأدلة من أقوال الصحابة فمن بعدهم ولكن لا ينبغي الجزم أن هذا شرع الله ورسوله ﷺ حتى يتبين الدليل الذي لا معارض له في المسألة ، وهذا عمل سلف الأمة وأئمتها قديما وحديثا والذي ننكر هو التعصب للمذهب وترك اتباع الدليل ، اذا تبين فهذا الذي أنكرناه وأنكره العلماء في القديم والحديث[1] .

ويرى الشيخ أنه ينبغي ، للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله ﷺ في مسائل الخلاف ، والعمل بذلك ، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا ، لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله ـ هذا طريق المنعم عليهم . أما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم . وأما اتخاذهم أربابا من دون الله ، إذا قيل قال الله قال رسوله قيل هم أعلم منا ـ فهذا هو طريق الضالين[2] .

ويقول : «بالجملة فمتى رأيت الاختلاف فرده إلى الله والرسول ، فاذا تبين لك الحق فاتبعه ، فان لم يتبين واحتجت إلى العمل ، فقلّد من تثق بعلمه ودينه»[3] .

---

(١) الدرر السنية ط ٢ ، جـ١ ص ص ١٢٢ ، ١٢٣ ومؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١١ ص ص ٦٢ ، ٦٣ ورقم ٣٧ ص ص ٢٥٩-٢٦٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى ص ٩٧ والقسم الثاني ، الفقه ، المجلد الثاني ، ص ١٠-١٣ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى ص ٣٣ والقسم الخامس ، الشخصية رقم ١١ ص ص ٦٢-٦٣ .

وقد بين الشيخ رحمه الله تعالى فى بعض رسائله التقليد الممنوع والمأذون فيه والمباح فقال: وأما القول فى التقليد واتباع الدليل فان الله سبحانه فرض علينا فرضين :

الأول : اتباع رسول الله ﷺ وترك ما خالفه فى كل شىء وأن الإنسان لا يؤمن حتى يحكمه فيما شجر بينه وبين غيره.

والفرض الثانى : أن الله فرض علينا فى كل مسألة تنازعنا فيها أن نردها إلى الله والرسول كما قال تعالى : ﴿ **فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول** ﴾ وخاطب بها جميع المؤمنين المجتهد وغيره، ولكن نقول الواجب عليك تقوى الله ما استطعت وذلك أن تطلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة على قدر فهمك فما عرفت من ذلك فاعمل به وما لم تعرفه واحتجت فيه إلى تقليد أهل العلم قلدتهم، وما أجمعوا عليه فهو الحق، وما تنازعوا فيه، رُدَّ إلى الله والرسول، وأما أخذ الإنسان ما اشتهت نفسه ووجد عليه آباءه وترك ما خالفه من كلام أهل العلم وغفلته عن كلام الله ورسوله، واستهزاؤه بمن طلب ذلك، فهذا هو الضلال الذى أنكرنا والأدلة على هذا من كلام أهل العلم أكثر من أن تحصر ثم أخذ يسوق كلام ابن رجب فى الطبقات فى ترجمته ابن هبيرة وقوله : إذا ذكرت لأحدهم الدليل قال ليس هذا مذهبنا. وما قاله الشيخ تقى الدين ابن تيمية فى جواب سؤال وجه إليه عن المقلد لبعض الأئمة إذا رأى حديثا يخالف إمامه(١).

وأجاب الشيخ عن اتباع بعض الناس للمذهب أنه اتباع لبعض المتأخرين لا للأئمة ومثل بالحنابلة مع أنهم من أقل الناس بدعة قال: فأكثر الاقناع والمنتهى مخالف لمذهب أحمد ونصه فضلا عن سنة رسول الله ﷺ ونصها(٢).

ومع ذلك فالشيخ وأبناؤه وحملة الدعوة لا يفتشون على أحد فى مذهبه، ولا يعترضون عليه إلا إذا خالف نصا جليا، وفى مسألة يحصل بها شعار ظاهر من شعائر الإسلام فانهم يأمرونه بالتزام النص.

يقول الشيخ عبد الله بن الشيخ : «ولا نفتش على أحد فى مذهبه ولا نعترض

---

(١) انظر: روضة ابن غنام جـ١ ص ص ٤٢-٤٦. وانظر: نص جواب شيخ الإسلام ابن تيمية فى الفتاوى جمع بن قاسم جـ٢٠ ص ص ٢١٠-٢١٦.

(٢) الدرر السنية، ط ٢، جـ٤/ ص ٦.

عليه إلا إذا اطلعنا على نص جلى مخالف لمذهب أحد الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعار ظاهر كامام الصلاة فنأمر الحنفى والمالكى بالمحافظة على نحو الطمأنينة فى الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح دليل ذلك، بخلاف جهر الإمام الشافعى بالبسملة فلا نأمره بالاسرار، وشتان بين المسألتين، فإذا قوى الدليل أرشدناهم بالنص، وإن خالف المذهب، وذلك يكون نادراً جدا[1].

والشيخ يرى أن الموافقة أفضل ولو كان على المفضول من المذاهب، مثل : إذا أم رجل قوما، وهم يرون القنوت أو يرون الجهر بالبسملة، وهو يرى غير ذلك والأفضل ما رأى، فموافقتهم أحسن، ويصير المفضول هو الفاضل[2].

والشيخ وأتباعه اذا فسروا شيئا من القرآن، إنما يفسرونه بكلام رسول الله ﷺ، وكلام أصحابه ليس لهم إلا النقل[3].

والشيخ وأصحابه وأتباعه يعتنون بكتب أهل العلم، ويحرصون على كتب أهل الحديث ويحترمون علوم الأمة الإسلامية، ولا يأمرون بإتلاف شيء منها أصلا إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس فى الشرك، أو يحصل بسببه خلل فى العقيدة الإسلامية، على أنهم لا يفحصون عن مثل ذلك، إلا إن تظاهر به صاحبه معانداً أتلف عليه وما حصل مما اتفق لبعض البدو فى إتلاف بعض كتب أهل الطائف إنما صدر منه لجهله، وقد زجر هو وأمثاله عن مثل ذلك[4].

والشيخ وأتباعه يستعينون على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة، ومن أجلها لديهم، تفسير ابن جرير الطبرى، وتفسير ابن كثير الشافعى، وكذا البغوى، وغيرهم، وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين، كالعسقلانى والقسطلانى، على البخارى، والنووى على مسلم، والمناوى على الجامع الصغير، ويحرصون على كتب الحديث خصوصا الأمهات الست، وشروحها ويعتنون بسائر الكتب فى سائر

---

(١) الدرر السنية، ط ٢، جـ١ ص.ص ١٢٦، ١٢٧.

(٢) الدرر السنية، جـ٤/ ص ٦.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٢١.

(٤) الدرر السنية، جـ١/ ص ١٢٧. ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١٢، ورقم ٥ ص ٣٧.

الفنون أصولاً وفروعا، وقواعد وسيراً ونحوا وصرفا وجميع علوم الأمة[1].

والشيخ نفسه يحذر من تفاسير المحرفين للكلم عن مواضعه فانها القاطعة عن الله وعن دينه[2].

وبالجملة فلا ينكر الشيخ وأتباعه إلا ما خالف أمر الله ورسوله ﷺ، وطريقة الصحابة وأتباعهم[3]. ويرون أن الاجماع حجة لأدلة القرآن الكريم والسنة المطهرة[4]، لكن ينكر الشيخ على من يفسر الجماعة والسواد الأعظم، الذين لا يجوز مخالفتهم والشذوذ عنهم، بأنهم الكثرة على الباطل، كما يحدث فى أزمان غربة الإسلام وفتراته، وكالذى حصل فى زمان الشيخ، ويبين أن معنى الأحاديث التى فيها إجماع الأمة والسواد الأعظم، والتحذير من الشذوذ عنهم إنما هو باجماع أهل العلم كلهم: «الجماعة الذين كانوا على الحق فى القرون الفاضلة، قبل أن يحدث الفساد فأولئك هم الجماعة فمن كان على مثل ما كانوا عليه فهو مع الجماعة وإن كان وحده، لأن الله أوضح بطلان الاحتجاج بالكثرة على القلة من أهل الحق فى غير موضع من القرآن من ذلك قوله تعالى فى سورة الأنعام ﴿ **وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله، ان يتبعون الا الظن وان هم إلا يخرصون** ﴾ (الآية: ١١٦).

وقوله تعالى: ﴿ **قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم** ﴾[5] (ص: ٢٤).

ولأن رسول الله ﷺ أخبر أن الإسلام سيعود غريبا فكيف يأمرنا باتباع غالب الناس؟ وكذلك الأحاديث الكثيرة منها قوله ﷺ: «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة» فهل بعد هذا البيان بيان؟ وينقل الشيخ من كلام أهل العلم ما يوضح به هذا المنهج السلفى السليم فيقول: قال ابن القيم رحمه الله فى (اعلام الموقعين): واعلم أن الاجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وان كان وحده وان خالفه أهل الأرض.

---

(١) الدرر السنية، جـ١ ص ١٢٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، المصدر السابق ص ٢٥٩.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٣٦.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ١٨.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٣٧.

وقال عمرو بن ميمون سمعت ابن مسعود قال : «عليكم بالجماعة فان يد الله مع الجماعة» وسمعته يقول : «سيلى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن وقتها فصل الصلاة وحدك» وهى الفريضة «ثم صل معهم فانها لك نافلة» . قلت : ياأصحاب محمد ، ما أدرى ما تحدثون قال : وما ذاك؟ قلت : تأمرنى بالجماعة ثم تقول صل الصلاة وحدك . قال : ياعمرو ابن ميمون ، لقد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية ، أتدرى ما الجماعة؟ قلت : لا ، قال : جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة! والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك .

وقال نعيم بن حماد : إذا فسدت الجماعة فعليك بما كان عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة ، وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ ، وقال بعض الأئمة وقد ذكر له السواد الأعظم أتدرى ما السواد الأعظم هو محمد بن أسلم الطوسى وأصحابه فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة : هم الجمهور ، فجعلوهم عياراً على السنة ، وجعلوا السنة بدعة ، وجعلوا المعروف منكرا ، لقلة أهله ، وتفردهم فى الأعصار والأمصار ، وقالوا : «من شذ شذ فى النار» وما عرف المختلفون أن الشاذ : ما خالف الحق ، وإن كان عليه الناس كلهم إلا واحد ، فهم الشاذون ، وقد شذ الناس كلهم فى زمن أحمد بن حنبل ، إلا نفرا يسيرا فكانوا هم الجماعة ، وكانت القضاة يومئذ والمفتون والخليفة وأتباعهم كلهم هم الشاذون ، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة ، ولما لم يتحمل ذلك عقول الناس ، قالوا للخليفة : يا أمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون على الباطل ، وأحمد وحده على الحق ، فلم يتسع علمه لذلك ، فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل ، فلا إله إلا الله ، ما أشبه الليلة بالبارحة - انتهى كلام ابن القيم[1] .

قال الشيخ : «هذا كلام الصحابة فى تفسير السواد الأعظم ، وكلام التابعين ، وكلام السلف ، وكلام المتأخرين حتى ابن مسعود ذكر فى زمانه أن أكثر الناس فارقوا الجماعة ، وأبلغ من هذا الأحاديث المذكورة عن رسول الله ﷺ من غربة الإسلام

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية ص ص ٢٣٥-٢٣٧ بتصرف قليل . وانظر موضع ما لخص ونقل منه الشيخ فى أعلام الموقعين ، جـ٣/٤٠٩-٤١٠ وقد اكملت ما يخل بالمعنى من سقط ، وانظر : القسم الرابع ، التفسير ص ١٤٧ .

وتفـرق هذه الأمـة أكثـر من سبعـين فرقة كلها فى النار إلا واحدة، فأى شىء يرد على رسول الله ﷺ ، والعلماء بسنته»[1].

وهكذا يرسم الشيخ رحمه الله منهجه فى أصول الدين، والذى هو منهج السلف الصالح الموافق للمعقول والمنقول، وللإسلام والسنة والكتاب والرسول ﷺ . ويبين منهج المخالفين ويرفضه ويحذر عنه لأنه بدعة وضلالة وفاسد فى نفسه ومخالف للمعقول ولدين الإسلام والكتاب والرسول وللسلف كلهم.

وبعد هذا الاستعراض لمنهج الشيخ يمكن إيجاز منهجه بالنقاط التالية :

١ ـ العلم بالله وبرسوله ﷺ ودين الإسلام بأدلته كما هو الواجب على كل مسلم ومسلمة ـ والعمل بهذا العلم ـ والدعوة إلى ذلك ـ والصبر على الأذى فى ذلك.

٢ ـ اعتبار أن مصدر العلم بالدين أصوله وفروعه، مسائله ودلائله، علومه وأعماله، هو الوحى إلى النبى ﷺ من قرآن أو سنة، وكذلك إجماع سلف الأمة من أهل السنة والجماعة يعتبر حجة يجب الأخذ بها.

٣ ـ الاقبال على القرآن والسنة وطلب الهدى منهما، واتباعهما وتقديمهما على جميع ما خالفهما مهما كان أمره، وعدم الاعراض عنهما بحجة أنه لا يفهمهما إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا، أوصافاً لعلها لا توجد تامة فى أبى بكر وعمر، وليست الآراء المتفرقة والأهواء المختلفة، والعقول البشرية ومناهج أهل الكلام والفلسفة، والمعرضين عن الكتاب والسنة، مصدر علم وهداية، بل هى مصدر ضلال وغواية.

٤ ـ اتباع الرسول ﷺ فى سنته واتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده. واحترام علماء الأمة وأئمتها المشهود لهم بالسنة والاستقامة كالأئمة الأربعة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وغيرهم، والاستفادة من فقههم وعلمهم.

٥ ـ ترك الابتداع ومجانبة البدع وإزالتها وهجر أهلها ورفض بدعهم وبيان مساوئها والتحذير منها.

٦ ـ بيان ما هو العلم؟ ومن هم العلماء؟ ومن هم الأولياء؟ وبيان من تشبه بهم

(١)،(٢) المصدر السابق.

وليس منهم كما بين الله فى كتابه وسنة رسوله ﷺ ، نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعـامتهم ، بعـد أن صار العلم عنـد أكثر الناس هو البدع والضلالات ومن بين العلم الصحيح يتهم بالزندقة والجنون .

٧ ـ وزن جميع أقوال الناس وأعمالهم وإراداتهم وما يحدث من الحوادث بالقرآن والسنة وإجماع سلف الأمة من أهل السنة والجماعة فما لم يخالف ذلك قبل ، وما خالف فهـو البـدعـة المردودة ، وهذا حسب منهج أهل السنة والجماعة ، فان العقل الصريح لا يخالف النقـل الصحيـح ، وهـو الميزان الذى أنزله الله مع الكتاب ، وذلك صالح لكل زمان ومكان وحال .

والخـلاصـــة : أن الشيـخ محمـد بن عبـد الوهاب يذهب مذهب أهل السنة وينهج منهجهم ويسلك طريقتهم فى علمه وعمله ، وقد وافق فى منهجه وطريقته المنهج السلفى علما وعمـلا والله أعلم ، ومن بيـان منهـج الشيـخ محمـد بن عبـد الـوهاب فى عقيـدتـه وميـادين تطبيقهـا ننتقـل إلى الفصل الذى بعده فى بيان مجمل عقيدة الشيخ محمد السلفية .

الفصل الثاني

مجمل عقيدته

أصـــول الإيمـــان :

يقول الشيخ : «أصول الإيمان ستة أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره»(١) .

ويقـول يخاطب جماعـة كتب إليهم عما يعتقده : «أشهد الله ، ومن حضرني من المـلائكـة وأشهـدكم أني اعتقـد ما اعتقدته الفرقة الناجية ، أهل السنة والجماعة ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره»(٢)أ ـ هـ .

ويقـول الشيـخ يدعـو إلى الإيـمان : «وإذا قيل لك ما الإيمان فقل هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره كله من الله والدليل قولـه تعـالى : ﴿ **آمن الـرسـول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** ﴾ ودليل القدر قوله تعالى : ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾(٣) .

هذه العبارة التي عبر بها الشيخ بيانا واعتقادا ودعوة قد تضمنت أصول الإيمان الستة المذكورة في حديث جبريل(٤) . وقد ألف الشيخ كتابا في أصول الإيمان ، اشتمل على أبواب عديدة ، يورد تحت كل باب ما يناسبه من النصوص وأكثرها من الحديث الشريف(٥) .

---

(١) الـدرر السنيـة ، جـ ١ ص ٩١ ، ومؤلفـات الشيـخ ، القسم الأول ، العقيـدة ، تلقـين أصول العقيدة للعامة ، ص ص ٣٧٢-٣٧٣ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الرسائل الشخصية، ص ٨ .

(٣) الدرر السنية ط ٢ ، جـ ١ ص ٨٨ .

(٤) انظـر: مؤلفـات الشيـخ، القسم الأول، العقيـدة ص ١٩٢ ، ومؤلفـات الشيـخ، القسم الـرابـع ، التفسير، ص،ص ٨٤، ١٠٠ .

(٥) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ص ٢٢٩ .

ويقول الشيخ: إن الإيمان بالأصول الستة هو الإيمان الشرعي[1].

الإيمـــان بالله تعالى :

إن الشيـخ يؤمن بالله، يثبت وجـوده، وأنـه متصف بصفـات الجلال والعظمة والكمال منزه من كل عيب ونقص، وأنه المستحق للعبادة كلها، لا إله غيره ولا رب سواه.

ويعتقد أن من الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه وعلى لسان رسـولـه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيـل ومن غير تشبيـه ولا تمثيـل - بل يعتقـد أن الله سبحـانـه وتعـالى كما قال عن نفسه ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وقال تعالى: ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين** ﴾.

يقـول الشيـخ فنـزه نفسـه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل «فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ولا أحـرف الكلم عن مواضعـه، ولا ألحـد في أسمائه وآياته، ولا أكيف، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه لأنه تعالى أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا وأحسن حديثا، لا سمي له، ولا كفو له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه» ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[2]، والله أحد وهو الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد[3].

ويقول الشيخ: «التوحيد نوعان: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية».

أمـا توحيـد الـربوبية فهو : أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم، والاقرار بهذا حق، لابد منه، لكن لا يدخل الرجل في الإسلام، لأن أكثر الناس مقرون به.

قال الله تعالى: ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض، أم من يملك السمع**

(١) الدرر السنية، ط ٢، جـ ١ ص ١٠٤، مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق، ص ٣٧٢.

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية، ١ ص ٨.

(٣) مؤلفـات الشيـخ، ملحق المصنفـات، مسـائـل ملخصـة رقم ١٠، ص ١٢، وانظر: الدرر السنية، ط٢، جـ٣ ص٢٠٧-٢٦٢، جواب الشيخ حمد بن ناصر بن معمـر وكـان قد سئل عن اعتقـاد الشيخ في بعض نصوص الصفات.

والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ـ فقل أفلا تتقون ﴾ (يونس : ٣١).

ويقول الشيخ: «إن هذا التوحيد هو الذى أقر به الكفار، ويستدل بالآية المذكورة».

ويقول الشيخ: «وأما توحيد الألوهية فهو : اخلاص العبادة لله وحده عن جميع الخلق لأن الإله فى كلام العرب هو الذى يقصد للعبادة، وكانوا يقولون : ان الله سبحانه هو إله الآلهة، لكن يجعلون معه آلهة أخرى، مثل الصالحين والملائكة وغيرهم، يقولون: ان الله يرضى هذا ويشفعون لنا عنده. فاذا عرفت هذا معرفة جيدة تبين لك غربة الدين وقد استدل عليهم سبحانه باقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم، لأنه اذا كان هو المدبر وحده، وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة ـ فكيف يدعون معه غيره مع اقرارهم بهذا؟[1].

اذا فتوحيد الألوهية هو : أن لا يعبد العبد إلا الله وحده ولا يشرك معه فى العبادة أحدا لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، فضلا عن من دونهما. وهذا هو الذى يدخل الرجل فى الإسلام[2]. وذلك أن من أتى به فقد أتى بتوحيد الربوبية لأنه متضمن له ، وهو من نتائج توحيد الربوبية الواجبة[3].

أما توحيد الأسماء والصفات : وهو الاقرار بها كما وردت فى الكتاب والسنة نفيا وإثباتا من غير تمثيل ولا تعطيل، ولا تحريف فى اللفظ والمعنى عن ظاهره اللائق بالله تعالى ولا تكييف ، فان الشيخ يجعله مع توحيد الربوبية بجامع أنهما نوع واحد هو : توحيد المعرفة والاثبات.

ويقول الشيخ : وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية، ولا توحيد الألوهية إلا بالاقرار بالصفات، لكن الكفار أعقل ممن أنكر الصفات[4]. ذلك أن العلم بأسماء الله وصفاته هو أصل العلوم، وبمعرفتها يستدل على التوحيد[5].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى مسألة رقم ٧ ص ٤٢.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية، رسالة ١١ ص ص ٦٤، ٦٥ ورسالة ٢٢ ص ص ١٥٠، ١٥١.
(٣) المصدر السابق رقم ١٨ ص ص ١٢٠-١٢٢.
(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ٧ ص ٤٢.
(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق ص ٣٧٢.

وأن التوحيد لا يكون إلا عن العلم بأنه لا إله إلا الله بيقين، والشهادة بذلك نطقا باللسان مع تصديق القلب، وعمل الجوارح بمقتضاه، وهذا يعنى المعرفة التامة بتفرد الله فى ربوبيته وأسمائه وصفاته، كما عليه المسلمون من أهل السنة والجماعة، أتباع رسول الله ﷺ، الذى هو أعلم الأمة برب العالمين ووحدانيته.

وقد بين السلف أن العبادة إذا كانت كلها لله فلا تكون إلا باثبات الصفات والأفعال فمن شهد أن لا إله إلا الله، لابد أن يثبت الصفاتَ، لأنه يشهد أن لا معبود بحق إلا الله وكون الله تعالى هو المعبود وحده، يدل على علمه العظيم، وقدرته العظيمة، وهاتان الصفتان أصل جميع الصفات، ومن هنا يثبت جميع الصفات، بخلاف من ظن أن معنى لا إله إلا الله، أى لا يقدر على الخلق إلا الله، فان الأمر يؤول به إلى انكار الصفات أيضا[1]. لأن منكر الألوهية هو منكر لحقيقة الربوبية والأسماء والصفات ولا يغلط فى توحيد الألوهية إلا من لم يعط توحيد الربوبية حقه[2].

وأهل الجاهلية وإن أقروا بتوحيد الربوبية فإنهم لم يعطوه حقه وهو توحيد العبادة فلذلك كانوا مشركين ولم ينفعهم توحيد الربوبية حيث لم يعطوا حقه[3].

أما منكر الصفات فإنه منكر لحقيقة الألوهية فإن من شهد أن لا إله إلا الله صدقاً من قلبه لابد أن يثبت الصفات والأفعال، ولذا آل الأمر بمن ينكر الصفات إلى إنكار الرب[4] تعالى.

ويقرر الشيخ أن الربوبية والألوهية يجتمعان فى اللفظ فيفترقان فى المعنى، ويفترقان فى اللفظ فيجتمع المعنيان فى لفظ كل واحد من اللفظين المفترقين، أى يفترقان إذا ذكرا معا كما فى قوله تعالى: ﴿ **قل أعوذ برب الناس ملك الناس، إله الناس** ﴾ وكما يقال رب العالمين وإله العالمين وإله المرسلين. ويجتمعان عند الإفراد كما فى قوله: ﴿ **الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله** ﴾ (الحج: ١٦٤). وقوله: ﴿ **قل أغير الله أبغى ربا** ﴾ (الأنعام: ١٦٤). وقوله: ﴿إن

(١) انظر: الدرر السنية، جـ ١، ص ص ٦٩-٧١ ومؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى، ص ٤٢-٤٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٨ ص ص ١٢٠-١٢٢.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية، رسالة رقم ١٨ ص ص ١٢٠-١٢٢.

(٤) انظر: الدرر السنية، ط ٢، جـ ١ ص ص ٧٠-٧١.

الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ (فصلت: ٣٠، الأحقاف: ١٣). وكما فى قولهم: ﴿ **ربنا رب السموات والأرض** ﴾ (الكهف: ١٤). وكما فى قول القائل: من ربك؟ وقول الملكين فى القبر من ربك؟ ومعناه من إلهك؟ لأن الربوبية التى أقربها المشركون ما يمتحن أحد بها.

فالربوبية فى هذا ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الاقتران ـ قال: فينبغى التفطن لهذه المسألة، مثاله الفقير والمسكين: نوعان فى قوله: ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين** ﴾ (التوبة: ٦٠) ـ ونوع واحد فى قوله: (افترض الله عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم)[١].

فعلى هذا يقرر الشيخ أن الربوبية إذا قرن ذكر لفظها مع الألوهية تكون قسيمة للألوهية وتفسر بأشهر معانيها وهو أنها تعنى فعل الرب مثل الخلق والرزق والأحياء والاماتة وإنزال المطر وإنبات النبات وتدبير الأمور.

وكذا الألوهية تفسر بأشهر معانيها، وهو أنها تعنى فعل العبد التعبدى مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والرغبة والرهبة والنذر والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة[٢].

ويقول الشيخ فى تلازم الربوبية والألوهية فى جواب حين سئل رحمه الله: ما قول الشيخ فى تسمية المعبودات أربابا: إذ الرب يطلق على المالك، والمعبود على الإله وكل اسم من أسمائه جل وعلا له معنى يخصه بالتخصيص دون التداخل بالتعميم.

الجواب: الرب والإله فى صفة الله تبارك وتعالى متلازمة غير مترادفة، الرب من الملك والتربية بالنعم، والإله من التأله وهو القصد لجلب النفع ودفع المضرة بالعبادة. ولذلك صارت العرب تطلق الرب على الإله، فسموا معبوداتهم أربابا من دون الله لأجل ذلك أى لكونهم يسمون الله ربا بمعنى إلها[٣].

والإله اسم صفة لكل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق وهو الله

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢ ص ١٧ والقسم الرابع، التفسير، الكهف، مسألة ٧ ص ٢٤٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، الرسالة الرابعة، تلقين أصول العقيدة للعامة ص ٣٧١، والقسم الخامس، الشخصية رقم ٧ ص ٤٧.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ٨ ص ٤٣.

تعالى، وهو الذى يخلق ويرزق ويدبر الأمور، والتأله التعبد[١].

وقـول الله تعـالى: ﴿ إلـه النـاس ﴾ أي معبودهم الذى لا معبود لهم غيره فلا يدعى ولا يرجى ولا يخلق ولا يرزق إلا هو، فخلقهم وصورهم وأنعم عليهم وحماهم مما يضـرهم بربـوبيته، وقهرهم وأمرهم ونهاهم، وصرفهم كما يشاء بملكه واستعبدهم بالالهية الجامعة لصفات الكمال كلها[٢].

ويقـرر الشيـخ أن النهي عن الشـرك والأمـر بلا إله إلا الله ليس أحدهما مكررا للآخر، بل هما أصلان كبيران، وإن كانا متلازمين.

والنهي عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت ولا إله إلا الله تستلزم الإيمان بالله، وقد قرن الأنبياء بين النهي عن الشرك والأمر بالتوحيد[٣].

والتوحيد مبنى على أن الله واحد فى ملكه وأفعاله لا شريك له، وهذا هو توحيد الـربـوبيـة وواحـد فى ذاتـه وصفـاتـه لا نظير له، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات، وواحـد فى الاهيتـه وعبـادتـه لا ند له، وهـذا هو توحيـد الألوهية، وهذه الأنواع على ترتيبها متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر فما ذاك إلا لأنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب، فهى وحدة مترابطة، وبهذا يتبين المراد بتنويع التوحيد وأنه ليس كل نوع يمكن أن يؤتى به منفصلا عن الآخر.

وان شئت قلت التوحيد نوعان: توحيد فى المعرفة والاثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد فى الطلب والقصد، وهو توحيد الالهية والعبادة، كما فعل الشيخ رحمه الله تعالى تبعا لشيخ الإسلام ابن تيمية[٤].

ولا خلاف بين أهل السنة والجماعة أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فان اختل شىء من هذا لم يكن الرجل مسلما.

فان عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٣٨٧-٣٨٨.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٣ ص ١٦٣.

(٤) انظر التدمرية أولها، وإبطال التنديد للشيخ حمد بن عتيق ص ٣، ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١١ ص ص ٦٤، ٦٥ ورقم ١٨ ص ص ١٢٠-١٢٢ ورقم ٢٢ ص ص ١٥٠-١٥١.

وإن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا، وهو لا يعتقده بقلبه، فهو منافق خالص، وهو شر من الكافر ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾ (النساء: ١٥٤) ـ وهذا كثير أيضا(١).

وهكذا يقرر الشيخ التلازم بين توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الألوهية ويقول: بأن الله تعالى يعرف عباده بتقرير ربوبيته، ليرتقوا بها إلى معرفة إلهيته، التى هى مجموع عبادته على مراده نفيا وإثباتا، علما وعملا، جملة وتفصيلا، ويقول: «فاعلم أن أهم ما فرض على العباد معرفة أن الله رب كل شيء ومليكه ومدبره بإرادته، فاذا عرفت هذا فانظر ما حق من هذه صفاته عليك، بالعبودية، بالمحبة والاجلال والتعظيم والخوف والرجاء والتأله المتضمن للذل والخضوع لأمره ونهيه(٢)، فان الله قد استعبد الناس بالالهية الجامعة لصفات الكمال كلها(٣).

ويقول الشيخ: فى سورتى الاخلاص بيان العقيدة السلفية الصحيحة(٤)، وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل وتوحيد المعرفة والارادة وتوحيد الاعتقاد والقصد(٥). وسميتا بسورتى الاخلاص لأن ﴿ قل هو الله أحد ﴾ خلصت قارئها من الشرك العلمى، كما خلصته ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ من الشرك العملى، ولما كان العلم قبل العمل وهو إمامه وسائقه والحاكم عليه، كانت ﴿ قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ تعدل ربع القرآن(٦).

وقد جعل السلف سورة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ أصلاً فى الرد على المشبهة والمعطلة، وفى التمييز بين مثبتى الرب الخالق الأحد الصمد، ومن المعطلين، من قوله: ﴿ الله أحد الله الصمد ﴾(٧).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص ص ١٧٩-١٨٠ والقسم الرابع، التفسير، الحجر ص ١٩٦ والقسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ٩٦، والدرر السنية ج ٢ ص ص ٦٢، ٦٣، جـ ٨ ص ٨٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٥ ص ١٧٤.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، الناس ص ص ٣٨٧-٣٨٨.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٨.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٣٥.

(٦) المصدر السابق ص ص ٣٥، ٣٦.

(٧) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٠ ص ١/٢، ورقم ٩٢ ص ص ٨٠، ٨١.

فـ ﴿ قل هو الله أحـد ﴾ السـورة متضمنـة لما يجب اثباته له تعالى من الأحدية المنافية لمطلق الشركة بوجه من الوجوه.

ونفي الولد والوالد المقرر لكمال صمديته وغناه وأحديته.

ونفي الكفء المتضمن لنفي الشبيه والمثيل والنظير.

فتضمنت اثبـات كل كمال، ونفي كل نقص، ونفي اثبـات شبيـه له أو مثيل فى كمالـه، ونفي مطلق الشـرك، وهـذه الأصـول هى مجامع التوحيد العلمى الذى يباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك(١).

كما جعلوا سورة ﴿ قل يا أيها الكـافـرون ﴾ أصـلا فى التمييز بين من يعبد الله وبـين غيره وإن أقـر كل منهـما بأن الله رب كل شيء ومليكـه، والتمييز بين المخلصين وبين المشركين من قوله: ﴿ لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾(٢).

والتـوحيـد أعظم الفرائض، أعظم من فريضة الصلاة والزكاة والصوم، كما أن الشرك أعظم المحرمات، أعظم تحريما من الزنا والسرقة والكبائر.

والتوحيد رأس أعمال أهل الجنة، كما أن رأس أعمال أهل النار الشرك بالله تعالى(٣).

والشيـخ يعتقـد: أن الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهل الشرك(٤).

فالتـوحيـد هو دين الفطـرة، التى فطـر الله الناس عليها: قال تعالى: ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (الروم: ١٣٢).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ص ٣٥، ٣٦.

(٢) المصدر السابق، مسألة رقم ٨٢ ص ٥٧ ورقم ٩٢ ص ٨٠، ٨١.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٣٠ - مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص ١٧٢، وص ٣٨١، ومعنى الطاغوت ص ٣٧٦ والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢٨ ص ١٨٩. ومؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ص ص ٢٠-٢٢، وشرح ستة مواضيع من السيرة ص ص ٣٥٣-٣٥٥.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، ثلاثة الأصول ص ١٨٩.

وهـو الصـراط[1] المستقيم كما قال تعالى : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ (الأنعام : ١٥٣).

وهـو شهـادة الحق والعمـل بمقتضـاها ، كما فى الصحيح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنـــه أن رسـول الله ﷺ قال : «الإسـلام أن تشهـد أن لا إلـه إلا الله ، وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلا».

وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وهو أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك[2].

وهو الذى بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ.

قال تعـالى : ﴿ **فلولا كان من القـرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم** ﴾ (هود : ١١٦).

وعن أبى هريـرة رضى الله عنـه مرفـوعا : «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطـــوبى للغـــربـــاء» رواه مسلم ورواه أحمـد من حديث ابن مسعـود وفيـه : ومن الغرباء؟ قال : «النزاع من القبائل ، وفى رواية الغرباء الذين يصلحون اذا فسد الناس ـ وللترمـذى من حديث كثـير بن عبـد الله عن أبيـه عن جده : طوبى للغـرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتى»[3].

وفى حديث عمـرو بن عبسـة السلمى الـذى فى صحيـح مسلم (المجلد الأول ص ٥٦٩ ، باب اسلام عمرو بن عبسة) أنه لما جاء إلى رسول الله ﷺ بمكة قال له : ومـا أنت؟ فقـال رسـول الله ﷺ : أنـا نبى ـ فقـال له : وما نبى؟ فقال رسول الله ﷺ أرسلنى الله ـ فقال : بأى شىء أرسلك؟ قال : أرسلنى بصلة الأرحام وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شىء ـ فقال له : ومن معك على هذا. قال : حر وعبد.

قال الشيـخ فى هذا الحـديث أن عمـرو بن عبسـة فهم المـراد من التـوحيد وأنه توحيـد الله بعبـادتـه وحـده لا شريك له وكسر الأوثان ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، فضل الإسلام ص ٢٠٣ـ٢٢٢.

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، ثلاثة الأصول ص ص ١٨٩ـ١٩١ ، فضل الإسلام ص ٢٠٩.

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٣ وص ص ١٥ـ١٧ وأصول الإيمان ص ٢٧١ـ٢٧٢ ، ومفيد المستفيد ص ص ٢٨٤ـ٢٨٥.

بشـدة العـداوة وتجـريد السيف، وأن هذا أمر كبير غريب، ولأجل هذا قال من معك على هذا؟ قال: «حـر وعبـد» فأجـابه أن جميع العلماء والعباد والملوك والعامة مخالفون له، ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر، فهذا أوضح دليل على أن الحق قد يكون مع أقل القليـل، وأن البـاطـل قد يملأ الأرض. ولله در الفضيـل بن عياض رحمه الله ـ حيث يقـول: لا تستـوحش من الحق لقلة السـالكـين، ولا تغـتر بالبـاطل لكثرة الهالكين، وأحسن منه قوله تعالى: ﴿ **ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين** ﴾[1].

وهـو ملة إبـراهيم، الـذى كان أمـة قانتـا لله حنيفا، ولم يك من المشركين، وهو الأسوة الحسنة التى أخبر بها الله فى كتابه فقال تعالى: ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبـراهيم والـذين معـه ، اذ قالـوا لقـومهم إنا برءاء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ (الممتحنة: ٤).

وقـد سفـه نفسـه من رغب عن هذه الملة، فلا خير إلا فيهـا، ولا شر إلا فيـما خالفهـا، حنيفيـة فى التـوحيـد سمحـة فى العمـل إلى قيـام السـاعة، ووسعت جميع الناس، فأمروا باتباعها ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾.

وأمـر رسـول الله ﷺ باتبـاعهـا كما قال تعـالى: ﴿ **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين** ﴾ (النحل: ١٢٣).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل نبى ولاة من النبيـين وان وليي أبى خليـل ربى» ثم قرأ: ﴿ **ان أولى النـاس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولي المؤمنين** ﴾ رواه الترمذى[2] فى التفسير والإمام أحمد فى المسند[3].

ويقـول الشيـخ: «وتأمـل أن الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل الشرك، وإن لم يعادهم فهو منهم وان لم يفعله»[4].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد، ص ص ٢٨١ـ٢٨٥.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، فضل الإسلام ص ٢١٩.
(٣) انظر: تحفة الأحوذى ص ٣٤٤ ومسند أحمد: ١/ ٤٠١، ٤٣٠.
(٤) مؤلفات التوحيد، القسم الأول، مفيد المستفيد ص ٢٩٧.

ويزيد الشيخ هذا المعنى إيضاحا فى ثمان حالات إستنبطها من قوله تعالى : **﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ، ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك إذا من الظالمين ﴾** (يونس : ١٠٤) .

قال رحمه الله : فيه ثمان حالات :

الأولى : ترك عبادة غير الله مطلقا ولو جادله أبوه وأمه بالطمع الجليل والاخافة الثقيلة كما جرى لسعد رضى الله عنه مع أمه .

الحالة الثانية : أن كثيرا من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه لا يفطن لما يريد الله من قلبه من اجلاله ورهبته ، فذكر هذه الحالة بقوله : **﴿ ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم ﴾** .

الحالة الثالثة : ان قدرنا أنه ظن وجود الترك والفعل فلابد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة ، ولو لم يقض هذا الغرض إلا بالهرب عن بلد فيها كثير من الطواغيت الذين يبلغون الغاية فى العداوة ، حتى يصرح أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم .

الحالة الرابعة : ان قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث ، فقد لا يبلغ الجد فى العمل بالدين ، والجد والصدق هو اقامة الوجه للدين .

الحالة الخامسة : ان قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع ، فلابد له من مذهب ينتسب إليه ، فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية ، ويترك كل مذهب سواها ، ولو كان صحيحا ففى الحنيفية عنه غنية .

الحالة السادسة : إنا إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس فلابد أنه يتبرأ من المشركين فلا يكثر سوادهم .

الحالة السابعة : ان قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست ، فقد يدعو من غير قلبه نبيا أو غيره لشىء من مقاصده ولو كان دَيِّناً يَظنُّ أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا خصوصا عند الخوف أنه لا يدخل فى هذه الحال .

الحالة الثامنة : ان ظن سلامته من ذلك كله ، لكن غيره من إخوانه فعله خوفا أو لغرض من الأغراض هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من

الظالمين، أويقول كيف يكفر وهو يحب الدين ويبغض الشرك؟ وما أعز من يتخلص من هذا، بل ما أعز من يفهمه، وان لم يعمل به، بل ما أعز من لا يظنه جنونا[1].

ومن ذلك يستنتج الشيخ أن أصلَ الدين وقاعدته أمران :

الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه.

الثانى : الانذار عن الشرك فى عبادة الله والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله[2].

وهذا هو الذى بعثت به الرسل إلى أممهم، كما قال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾[3] (النحل : ٣٦).

الإيمــان بالملائكــة :

والشيـخ يؤمن بالملائكـة ويصدق بوجودهم ويعتقد أنهم عباد لله مكرمون، لا يسبقـون الله بالقـول، وهم بأمـره يعملون، والله يعلم ما بين أيـديهم ومـا خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشية الله مشفقون[4].

وقال الشيخ فى كتاب أصول الإيمان باب ذكر الملائكة والإيمان بهم : ثم يستدل على الإيمـان بهم بقـول الله تعـالى : ﴿ **ليس الـبر أن تولـوا وجـوهكم قبـل المشـرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** ﴾[5] (البقرة : ١٧٧).

ويستـدل الشيـخ بقـول الله تعـالى : ﴿ **وكم من ملك فى السمـوات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾[6] (النجم : ٢٦).

---

(١) مؤلفـات الشيـخ، القسم الأول، العقيـدة، كتـاب التوحيد باب «أيشركون ما لا يخلق شيئا» ص ٤٧ والرسالة الحادية عشرة، ص ص ٣٩٠-٣٩٢ والقسم الرابع، التفسير، يونس ص ص ١١٣-١١٤، وتبت ص ٣٨١.

(٢) الدرر السنية، ط ٢، جـ ٢ ص ١٢.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ٧ وص ١١.

(٤) القسم الـرابـع، التفسـير، الأعـراف ص ٨٤، وتفسـير آيـات ص ٣٧٧، والقسم الأول، مسـائـل الجاهلية، ص ٣٥٠، وأصول الإيمان، ص ـ ص ٢٤٨-٢٥٥. وانظر: تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٧٦.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٤٨.

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ٥١.

ويؤمن الشيخ بكل ما ورد من وصفهم وذكرهم وأصنافهم وأعيانهم فى القرآن الكريم والسنة الشريفة. قال فى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ **حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ، وهو العلى الكبير** ﴾ (سبأ : ٢٣).

ثم أورد الشيخ حديثا من صحيح البخارى[1]، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «إذا قضى الله الأمر فى السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك، حتى إذا فزع عن قلوبهم، قالوا : ماذا قال ربكم؟ قالوا : الحق، وهو العلى الكبير» الحديث.

قال الشيخ فيه تفسير الآية وسبب سؤالهم عن ذلك، وأن الغشى يعم أهل السموات كلهم[2].

ويقول الشيخ فى كلامه عن الفوائد من قصة آدم وإبليس : «ومن فوائدها الدلالة على الملائكة وعلى بعض صفاتهم[3]، وذكر الشيخ من صفاتهم أنهم يتنزلون على الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا بأن لا يخافوا ولا يحزنوا ويبشروا بالجنة التى كانوا يوعدون ـ قال تعالى : ﴿ **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون** ﴾ (فصلت : ٣٠). ومنهم مقربون ومع ذلك، هم عبيد الله تعالى لا يستنكفون من ذلك كما قال تعالى : ﴿ **لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون** ﴾ (النساء : ١٧٢).

وقال تعالى : ﴿ **وله من فى السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ (الأنبياء : ١٩، ٢٠).

وجعلهم الله رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع قال تعالى : ﴿ **جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع** ﴾ (فاطر : ١).

ومنهم حملة العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كما قال تعالى : ﴿ **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا** ﴾ (غافر : ٧).

---

(١) صحيح البخارى، جـ ٥ ص ٢٢١.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص، ص ٤٨-٥٠.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٨٤، ٩١.

وقد خلقوا من نور كما فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «خلقت الملائكة من النور، وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» رواه مسلم وغيره[١].

وهم كثيرون ـ قال الشيخ ـ لما ثبت فى بعض أحاديث المعراج أنه ﷺ رفع له البيت المعمور الذى هو فى السماء السابعة وقيل السادسة بمنزلة الكعبة فى الأرض وهو بحيال الكعبة حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الأرض وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم[٢].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ : «ما فى السماء موضع قدم إلا عليه ملك ساجد، أو ملك قائم»، فذلك قول الملائكة: ﴿ وإنا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبحون ﴾ (الصافات: ١٦٥، ١٦٦).

قال الشيخ رواه محمد بن نصر وابن أبى حاتم وابن جرير وأبو الشيخ[٣].

وقد وصف بعضهم بعظمة خلقه، كما فى الحديث عن جابر رضى الله عنه ـ قال ـ قال رسول الله ﷺ : «أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» رواه أبو داود، والبيهقى فى الأسماء والصفات والضياء فى المختارة[٤].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، باب ذكر الملائكة عليهم السلام والإيمان بهم، ص ٢٤٨. وانظر: البداية والنهاية فى التاريخ لابن كثير جـ ١/ص ٥٨، ورواه مسلم فى الزهد جـ ٤ ص ٢٢٩٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ص ٢٤٨ وص ٢٤٩ ـ وانظر: صحيح البخارى، جـ ٤، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ص ٧٧-٧٨ ـ والبداية والنهاية لابن كثير جـ ١/ص ص ٤٤، ٤٥ وتفسير ابن كثير جـ ٣ ص ص ٢-٢٤.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٤٩، وانظر: تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٢٣ ص ١١٢ ـ والبداية والنهاية لابن كثير، جـ ١ ص ٤٦، وقال البخارى: قال ابن عباس (لنحن الصافون) الملائكة، صحيح البخارى جـ ٤ ص ٧٧.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ٢٤٩، وانظر: سنن أبى داود جـ ٢ ص ٥٣٤، وانظر: مختصر سنن أبى داود للمنذرى جـ ٧ ص ١١٧، رقم ٤٥٦٠، وفى عون المعبود حاشية سنن أبى داود قال: «والحديث اسناده صحيح» ثم قال: «والحديث أخرجه أيضا، المقدسى فى المختارة والبيهقى فى كتاب الأسماء والصفات، وسكت عنه المنذرى» (ج ٤ ص ٣٧٣).

وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية، جـ ١ ص ٤٦، وص ١٣.

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد: «رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح» جـ ١/ ٨٠.

ومن سادتهم جبريل عليه السلام قد وصفه الله تعالى بالأمانة وحسن الخلق والقوة فقال تعالى: ﴿ علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى ﴾ (النجم: ٥، ٦).

ومن شدة قوته رفع مدائن قوم لوط عليه السلام، وكن سبعا بمن فيهن من الأمم وكانوا قريبا من أربعمائة ألف وما معهم من الدواب والحيوانات، وما لتلك المدائن من الأراضى على طرف جناحه حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فهذا هو شديد القوى وقوله ذو مرة أى ذو خلق حسن وبهاء وسناء وقوة شديدة قال معناه ابن عباس رضى الله عنهما.

وقال غيره : ذو مرة أى ذو قوة.

وقال تعالى فى صفته: ﴿ إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين، مطاع ثم أمين ﴾ (التكوير: ١٩-٢٠).

أى له قوة وبأس شديد، وله مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند ذى العرش المجيد، ﴿مطاع ثم﴾ أى مطاع فى الملأ الأعلى ﴿أمين﴾ أى ذى أمانة عظيمة.

ولهذا كان السفير بين الله وبين رسله.

وقد كان يأتى إلى رسول الله ﷺ فى صفات متعددة، وقد رآه على صفته التى خلقه الله عليها مرتين وله ستمائة جناح روى ذلك البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله رضى الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فى صورته له ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم. قال الشيخ اسناده قوى[1].

وللبخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبرائيل

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٠.

وانظر: تفسير ابن كثير، جـ ٤ ص ص ٢٤٧-٢٤٩، ٤٧٩، ٤٨٠ - والبداية والنهاية له أيضا جـ ١ ص ٤٧ - وتفسير ابن جرير الطبرى جـ ٢٧ ص ص ٤٢، ٤٣، جـ ٣٠ ص ٨٠ - وصحيح البخارى، جـ ٤ كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ص - ص ٨٠-٨٤.

«ألا تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزلت: ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا** ﴾[1] (مريم: ٦٤).

ومن ساداتهم ميكائيل عليه السلام وهو موكل بالقطر والنبات[2].

ومن ساداتهم إسرافيل وهو صاحب الصور أي الذى ينفخ فى الصور.

وروى الترمذى وحسنه والحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر فينفخ» قالوا: فما نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»[3].

وجبرائيل وميكائيل وإسرافيل من المختارين المصطفين من الملائكة كما قال النبى ﷺ: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة»[4] قال ومن ساداتهم ملك الموت ولم يجىء مصرحا باسمه فى القرآن ولا فى الأحاديث الصحيحة وقد جاء فى بعض الآثار تسميته بعزرائيل والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير: وقال إنهم بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أقسام، فمنهم حملة العرش ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة وهم المقربون كما قال تعالى: ﴿ **لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون** ﴾ (سورة النساء الآية: ١٧٢).

ومنهم سكان السماوات السبع يعمرونها عبادة دائمة ليلا ونهارا - كما قال تعالى: ﴿ **يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ (سورة الأنبياء الآية: ٢٠).

ومنهم الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور. قال الشيخ: «قلت: الظاهر أن

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٥١، وانظره: فى صحيح البخارى، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة جـ ٤ ص ٨٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٢، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير، جـ ١ ص، ص٤٩، ٥٠.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٥٢، وانظر: مسند أحمد ٧٣/٣، والترمذى فى أعلا صحائف تحفة الأحوذى جـ ٧ ص ص ١١٧-١١٨ وقال صاحب تحفة الأحوذى: وأخرجه الحاكم وصححه (نفس الجزء والصفحة).

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٨، وانظر: صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، جـ ١ ص ٥٣٤.

الـذين يتعـاقبون إلى البيت المعمور سكان السموات، ومنهم موكلون بالجنان وإعداد الكـرامـات لأهلهـا وتهيئـة الضيـافـة لسـاكنيها، من ملابس ومآكل ومشارب ومصاغ ومساكن وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومنهم المـوكلون بالنـار «أعـاذنـا الله منهـا» وهـم الـزبانية ومقدموهم تسعة عشر وخازنها مالك وهو مقدم على الخزنة وهم المذكورون فى قوله تعالى: ﴿ قال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ﴾ (سورة المؤمن الآية: ٤٩).

وقال تعالى: ﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ﴾ (الزخرف: الآية٧٧).

وقـال تعـالى: ﴿ عليهـا ملائكـة غلاظ شداد، لا يعصـون الله ما أمـرهـم ويفعلون ما يؤمرون ﴾[1] (سورة التحريم الآية: ٦).

وقال تعالى: ﴿ عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ــ إلى قوله: ــ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ (سورة المدثر الآية: ٢٠، ٢١).

ومنهم الموكلون بحفظ بنى آدم كما قال تعالى: ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ (سورة الرعد الآية: ١١).

قال ابن عباس ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء أمر الله خلوا عنه.

وقال مجاهد ما من عبد إلا وملك موكل يحفظه فى نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منها شىء يأتيه يريده إلا قال له وراءك إلا شىء يأذن الله تعالى فيه فيصيبه.

ومنهم المـوكلون بحفـظ أعـمال العباد كما قال تعالى: ﴿ إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾ (سورة ق الآية: ١٧).

وقـال تعـالى: ﴿ وإن عليكم لحافظـين كرامـا كاتبـين يعلمـون ما تفعلون ﴾ (سورة الانفطار الآية: ١٠-١٢).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٥٣. وانظر: البداية والنهاية جـ ١/ ص ٥٠.

قال الحافظ بن كثير ومعنى اكرامهم أن يستحى منهم فلا يملى عليهم الأعمال القبيحة التى يكتبونها فإن الله خلقهم فى خلقهم وأخلاقهم . ثم قال ما معناه إن من كرمهم أنهم لا يدخلون بيتا فيه كلبا ولا صورة ولا جنب ولا تمثال ولا يصحبون رفقة معهم كلب أو جرس[1] .

وروى مالك والبخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادى؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون» وفى رواية أن أبا هريرة قال : اقرأوا ان شئتم : ﴿ **وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهودا** ﴾ (سورة الأسراء الآية : ٧٨) .

وروى الإمام أحمد ومسلم حديث : «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» .

وفى المسند والسنن حديث : «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع» والأحاديث فى ذكرهم عليهم السلام كثيرة جدا[2] .

الإيمان بكتب الله :

والشيخ يؤمن بكتب الله ويصدق بأنها كلام الله ، وأنها حق ونور وهدى ، وما سمى الله منها كالتوراة والانجيل والزبور يؤمن بها بأسمائها ، كما يؤمن بأن لله كتبا أخرى لا يعلم أسماءها وعددها إلا الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى : ﴿ قولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، أصول الإيمان ص ٢٥٤ ، وانظر : البداية والنهاية فى التاريخ لابن كثير ١/٥٤ ، ٥٥ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، أصول الإيمان ص ٢٥٥ . وانظر : تاريخ ابن كثير البداية والنهاية ج ١ ص ص ٥٣-٥٨ حيث اقتبس منه الشيخ كثيرا مما هنا وصحيح البخارى جـ ٤ ص ٨١ وصحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٧٤ .

مسلمــونَ ، فان آمنـوا بمثـل ما آمنتم به فقـد اهتـدوا وان تولـوا فانـما هم فى شقـاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ (البقرة: ١٣٦-١٣٧).

قال الشيخ رحمه الله فيها أمر الله أن نقول ما ذكر فى الآية وليس هذا من إظهار العمـل الـذى إخفـاؤ ه أفضـل، والإيـمان بجميع المنزل وعدم التفريق بين أحد منهم والتصـريـح بالإسـلام وبـاخلاص ذلك لله وليس هذا من الثناء على النفس، بل من بيان الدين الذى أنت عليه، ولهذا قال بعض السلف ينبغى لكل أحد أن يعلم هذه الآية أهل بيته وخدمه، وفيها التصريح بأن الإيمان هو العمل[1].

ويعتقد الشيخ أن القرآن، هو الكتاب لا ريب فيه، كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ[2].

وأنـه الكتـاب الكـامل المهيمن على الكتب السابقة لا ريب فيه هدى للمتقين الـذين يؤ منـون بالغيب ويقيمـون الصلاة، وينفقون مما رزقهم الله وقول الله تعالى: ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾.

قال الشيخ: «هذا من عطف الخاص على العام»[3].

وفى قولـه تعـالى: ﴿ كتـاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكـرى للمؤمنـين اتبعـوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ﴾ (الأعراف: ٢، ٣).

يقول الشيخ: فى ذلك وصف القرآن بأنه كتاب منزل إلى النبى ﷺ والنهى عن الحـرج بفـاء التفـريـع: ﴿ كتـاب أنـزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه ﴾ وذكر الحكمـة فى ذلـك وهى الانـذار العام والذكر الخاص، والأمر باتباعه والتحريض على ذلك بأنه منزل إلينا من ربنا: ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ والنهى عن اتباع ما سواه[4].

---

(١) مؤلفـات الشيـخ، القسم الـرابـع، والتفسـير ص ص ٣٩، ٤٠، والقسم الأول، العقيـدة، مسائل الجاهلية ص ٣٥٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ٩.

(٣) الدرر السنية، جـ ١٠ ص ٣٩، ٤٠.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ٩٦.

وقـول الله تعـالى : ﴿ **تلك آيـات الكتاب المبين ، إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، نحن نقص عليـك أحسن القصص بما أوحينـا إليـك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين** ﴾ (يوسف : ١-٣) .

يستنبط الشيخ من هذه الآيات أن القرآن كاف عما سواه من الكتب ، وأنه المراد بأحسن القصص لا قصة يوسف وحـدها ، وأن قوله : ﴿ **تلك آيات الكتاب المبين** ﴾ أى هذه آيات الكتاب المبين الواضح الذى يوضح الأشياء المبهمة ـ وقوله : ﴿ **لعلكم تعقلون** ﴾ أى تفهمـون معـانيـه والقصص مصـدر قص الحـديث يقصـه قصصا أى بايحـائنـا إليـك هذا القرآن ـ وقوله : ﴿ **لمن الغافلين** ﴾ أى الجاهلين به . وهذا مما يبين جلالـة القـرآن ، لأن فيـه دلالة على أن علمه ﷺ من القرآن ، وفيه دلالة على جلالة الله وقـدرتـه ، ودلالة على عظيم نعمته على نبيه ﷺ وفيه دلالة على كذب من أدعى أن غيره من الكتب أوضح منه[1] .

وفى قوله تعالى : ﴿ **تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ، ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ (الحجر : ١ ، ٢) .

يقـول الشيـخ ما معنـاه بأن فيهـا الـترغيب فى القـرآن بجمعـه بين الوصفين : الكتـاب وقـرآن مبـين ، فقـوله الكتاب معرّف بالألف واللام لاستغراقه معنى الكتاب وقرآن مبين[2] . والذكر هو القرآن ، وقد حفظه الله عن شياطين الجن والإنس ، حفظا كافيـا فى تصـديق الـرسـول ﷺ عن انزال الملائكة كما يقترح المعاندون ، قال تعالى : ﴿ **وقالوا : يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون ، لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصـادقـين . ما ننـزل المـلائكـة إلا بالحق ومـا كانوا إذا منظرين . إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[3] (الحجر : ٩٦) .

وفى قوله تعالى : ﴿ **ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم** ﴾ (الحجر : ٨٧) .

قال الشيـخ : فيهـا : المنة بايتاء السبع المثانى والقرآن العظيم ، وفيه التعزية عما

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ١٢٧-١٢٨ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ١٨٣ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ص ١٨٤-١٨٥ .

أصـابـه وعـما صرف عنـه[1]. والقـرآن الكـريم تبيـان لكل شيء كما قال الله تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ﴾ (النحل : ٨٩).

فمن ابتغى الهدى من غيره ضل كما قال تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ، وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴾[2] (الزخرف: ٣٦-٣٧).

ويقول الشيخ : وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذى جعله ﴿ تبيانا لكل شيء وهـدى ورحمـة وبشرى للمسلمين ﴾ (النحل : ٨٩). فلا يأتى صاحب باطل بحجة إلا وفى القـرآن ما ينقضهـا ويبـين بطـلانهـا، كما قال تعالى : ﴿ ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾ (الفرقان : ٣٣).

قال بعض المفسرين هذه الآية عامة فى كل حجة يأتى بها أهل الباطل إلى يوم القيامة[3].

ويبـين الشيـخ موقف المؤمن من متشـابـه القـرآن فيقـول: «ان الأمـر العظيم والفـائـدة الكبـيرة لمن عقلهـا قوله تعالى : ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكـمات هن أم الكتـاب ، وأخـر متشـابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ (آل عمران : ٧).

وقـد صح عن رسـول الله ﷺ أنـه قال : «اذا رأيتم الـذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»[4] وهو عن عائشة رضى الله عنها ـ متفق عليه.

ففى هذا نعلم أن الله ذكـر فى كتـابـه أن الـذين فى قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه.

ونقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبى ﷺ لا يخالف كلام الله . . . فالشيخ يرد المتشابه إلى المحكم، ويؤمن بالجميع ويعلم أن المتشابه لا يناقض المحكم.

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ١٩٥.
(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، فضائل القرآن ص ٢٢.
(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كشف الشبهات ص ص ١٦٠ ، ١٦١.
(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، أصول الإيمان ص ٢٥٨ ، والقسم الرابع ، التفسير ، فضائل القرآن ص ٢٧.

ويستدل الشيخ بما رواه ابن جرير عن سعد ابن أبى وقاص قال: أنزل الله على النبى ﷺ القرآن فتلاه زمانا فقالوا يا رسول الله لوحدثتنا فنزل: ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾[1] (الزمر: ٢٣).

ويقول الشيخ: «ومما يدل على أن القرآن كاف عما سواه من الكتب أن عمر أتى النبى ﷺ بكتاب فقرأه عليه فغضب فقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه، والذى نفسى بيده لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعى» رواه أحمد وفى لفظ أنه استكتب جوامع من التوراة وقال: ألا أعرضها عليك، وفيه: «لو أصبح فيكم موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم إنكم حظى من الأمم وأنا حظكم من النبيين»

قال الشيخ: وقد انتفع عمر بهذا فقال للذى نسخ كتاب دانيال امحه بالحميم والصوف الأبيض، وقرأ عليه أول هذه السورة، وقال: «لئن بلغنى أنك قرأته أو أقرأته أحدا من الناس لأنهكنك عقوبة»[2].

وقال الشيخ فى حديث نحو حديث قصة عمر هذه عن أبى هريرة رواه الاسماعيلى فى معجمه وابن مردوية.

وقال الشيخ فى حديث آخر تضمن قصة عمر بأسلوب آخر. عن عبد الله بن ثابت بن الحارث الأنصارى رواه عبد الرزاق وابن سعد والحاكم فى الكنى[3].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ١٢٧.
والحديث أخرجه ابن حبان كما فى موارد الظمآن ص ٤٣٢ وابن جرير فى التفسير جـ ١٢ ص ١٥٠ والحاكم فى المستدرك جـ٢ ص٣٤٥ وقال فيه صحيح الاسناد ووافقه الذهبى.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، يوسف ص - ص ١٢٧-١٢٨.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ص ٢٥٨-٢٥٩.
وانظر: تفسير ابن كثير، جـ ٢ ص - ص ٤٦٦-٤٦٨، فقد خرج الروايات هناك، ومسند أحمد

وفى كتاب أصول الإيمان عقد الشيخ بابا سماه باب الوصية بكتاب الله عز وجل وقوله تعالى: ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون** ﴾ (الأعراف: ٣).

وأورد فى ذلك أحاديث عن النبى ﷺ منها ما رواه مسلم عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى» وفى لفظ «كتاب الله هو حبل الله المتين من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة» رواه مسلم[1].

وله فى حديث جابر، الطويل، أنه ﷺ قال فى خطبة يوم عرفه: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به ـ كتاب الله وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت».

= جـ ٣/٣٨٧ عن جابر، وروى نحوه البيهقى والديلمى وأبو نصر السجزى فى الإبانة عن جابر أيضا ورواه أحمد وابن ماجه عن ابن عباس وروى نحوه ابن عساكر عن ابن مسعود وعن أنس (كنز العمال جـ ١ ص ـ ص ٢٠٠-٢٠١) وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن هذا الحديث أخرجه أحمد والبزار من حديث جابر بنحوه ولأحمد أيضا وأبى يعلى من وجه آخر عن جابر نحوه وأخرجه الطبرانى عن أبى الدرداء وأخرجه أحمد والطبرانى من حديث عبد الله بن ثابت، وأخرج أبى يعلى من طريق خالد بن عرفطة قال كنت عند عمر فذكر قصة انكاره على من نسخ كتاب (دانيال وذكر الحديث) ثم قال الحافظ ابن حجر وهذه جميع طرق هذا الحديث وهى وان لم يكن فيها ما يحتج به لكن مجموعها يقتضى أن لها أصلا (فتح البارى، جـ ١٣ ص ٥٢٥).

ومع ذلك فالحافظ ابن حجر لم يذكر من هذه الطرق ما خرجه الشيخ من كتاب معجم الاسماعيلى ومن كتاب ابن مردوية عن أبى هريرة، وما خرجه الشيخ رحمه الله، من مصنف عبد الرزاق وطبقات ابن سعد والكنى للحاكم عن عبد الله بن ثابت كما ذكرنا.

ولم يذكر تخريج مؤلف كنز العمال عند البيهقى والديلمى وأبو نصر السجزى فى ألابانة عن جابر، وتخريج مثله عند أحمد وابن ماجة عن ابن عباس، وتخريج نحوه عند ابن عساكر عن ابن مسعود وعن أنس وتخريجات أخر (انظر: كنز العمال جـ ١ ص ـ ص ٢٠٠-٢٠١).

والقصة بهذا لها أصل كما قال الحافظ بن حجر ذلك رحمه الله فيستدل بها على أن القرآن كاف عما سواه من الكتب السابقة السماوية، مع دلالة الواقع الواضحة، والأدلة الأخرى من القرآن والسنة وقدمنا ذكر بعضها قبل قليل، وسيأتى ذكر بعض آخر.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٥٦ والقسم الرابع، فضائل القرآن ص ص ٢٢، ٢٤. وانظر صحيح مسلم جـ ٢ ص ٨٩٠ وجـ ٤/١٨٧٣، ١٨٧٤.

قال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس «اللهم اشهد» ثلاث مرات[١].

وقد ألف الشيخ فى فضائل القرآن الكريم كتاباً طبع مقدمة لما جمع من تفسيره فذكر الشيخ فيه باب فضائل تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه، وباب ما جاء فى تقديم أهل القرآن واكرامهم وباب وجوب تعلم القرآن وتفهمه واستماعه، والتغليظ على من ترك ذلك، وباب الخوف على من لم يفهم القرآن أن يكون من المنافقين، وباب قول الله تعالى: ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى ﴾ وباب إثم من فجر بالقرآن وباب إثم من تأكل بالقرآن وباب الجفاء عن القرآن وباب من ابتغى الهدى من غير القرآن، وباب الغلو فى القرآن، وباب ما جاء فى اتباع المتشابه، وباب وعيد من قال فى القرآن برأيه وبما لا يعلم، وباب ما جاء فى الجدال فى القرآن، وباب ما جاء فى الاختلاف فى القرآن فى لفظه أومعناه، وباب إذا اختلفتم فقوموا، وباب قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها﴾، وباب ما جاء فى التغنى بالقرآن[٢].

وقد ذكرنا فى منهج الشيخ أنه يعتبر القرآن المرجع الأصلى الذى يجب الرجوع إليه ولا يجوز الاعراض عنه لقوله تعالى: ﴿ ولقد آتيناك من لدنا ذكرا، من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا ﴾ (طه: ٩٩).

وقوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ (طه: ١٢٤).

وقوله تعالى: ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴾[٣] (الزخرف: ٣٦-٣٧).

والحاصل أن الشيخ، يؤمن بكتب الله المنزلة ويصدق بأنها كلام الله حقيقة، ويصدق بأسماء ما سمى منها، ويخص القرآن الكريم بالتعبد بتلاوته وقراءته وتدبره،

---

(١) المصدر السابق.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، أوله ص ص ١-٤٠.
(٣) الدرر السنية ط ٢ جـ٤/٦.

واتباع ما فيه وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، وتحليل ما أحل وتحريم ما حرم، لأنه بيان لكل شيء وخاتم لكل كتاب، ومهيمن عليه، وصراط مستقيم وأحسن الحديث، وحبل الله المتين، فالاعتصام به عصمة، وهو كلام الله الذى لا نظير له من الكلام فى دفع الشر، وأنه صالح لكل زمان ومكان(١).

الإيمـــان بالرســـل :

ويؤمن الشيخ بالرسل الذين أرسلهم الله والأنبياء الذين نبأهم الله. ومن الإيمان بهم، معرفة مراد الله فى بعثتهم كما قال تعالى: ﴿ **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين** ﴾ الآية.

وأما الحكمة الأخرى فذكرها أيضا فى غير موضع، منها قوله تعالى: ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾.

فقوله: ﴿ **مبشرين ومنذرين** ﴾ وقوله: ﴿ **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾ هما حكمة الله فى ايجاد الخليقة وإليهما ترجع كل حقيقة(٢).

ويعتقد أنهم صادقون فيما أخبروا به، وأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، وأنه يجب احترامهم وعدم التفريق بينهم وأن من كذب واحدا منهم فقد كذب جميع الرسل، ويؤمن الشيخ بمن سمى الله منهم فى كتابه باسمه كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى ومن قبلهم نوح وخاتمهم محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا، وكل من صرح باسمه فى القرآن الكريم والسنة يؤمن به باسمه وما لم يصرح باسمه فيؤمن به على الاطلاق كما ورد.

---

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات رقم ٤٧ ص ٣٤ وص ٧٢، ٧٣-٧٥ والقسم الرابع، التفسير ص ٣٣٧ وص ٣١٧ وص ٣٢٤ وص ٥٠ وص ٤٩ وص ٦٨ وص ص ١٨١، ١٨٢ وص ٢٤٠ وص ٢٢٨ وص ٣٢٦، ٣٢٧ وص ٣٣٢ وص ٢٠٠ وص ٢٤٩ وص ٢٨١ وص ٢٢٧ وص ٢٩١ وص ٢٢٤ وص ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦. والقسم الأول، العقيدة، ستة أصول عظيمة ص ص ٣٩٦-٣٩٧ ومسائل الجاهلية ص ٣٤١، ٣٤٤. والقسم الثالث، الفتاوى ص ص ٧٥، ٧٦ وص ٢٤.

(٢) الدرر السنية ط ٢، جـ ١ ص ١٠٤.

وأول الرسل نوح وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى: ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ، رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ، لكن الله يشهد بما أنزل إليك ، أنزله بعلمه ، والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيدا ﴾[1] (النساء: ١٦٢-١٦٦).

وأن إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن وجعله الله للناس إماما فى التوحيد وما كان من المشركين[2].

وقد أعطى موسى عليه الصلاة والسلام قوة فى جسمه أخذاً من قصته فى القرآن وبطشه بالعدو وقدرته على السقاية للمرأتين من ماء مدين. ومن خصوصياته التى اشتهر بها تكليم الله إياه، ولذلك يذكرها إبراهيم عليه السلام حين يحيل إذا طلبت منه الشفاعة.

وقد أرسل إلى فرعون وقومه بتسع آيات بينات، ولأصحابه فضيلة على من سواهم من قومه[3].

وأن يوسف جميل الظاهر بالحسن وجميل الباطن بالعفة، وهو كريم عارف، صرف الله عنه السوء والفحشاء وكان من المخلصين[4].

وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه[5].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص ١٥٥ وثلاثة الأصول وأدلتها، ص ص ١٩٣، ١٩٥ ـ والدرر السنية جـ ١ ص ٨٢.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ١٩٤ وص ٢٣٤-٢٣٥، وص ٢٣٧.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٣٩-٤٠ وص ص ١٩٤، ١٩٥، ص ص ٢٥٣، ٢٨٦، ٢٨٨ وص ص ٢٩٧، ٣٠٢ وص ص ٢٩١، ٢٩٢، والقسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية ص ص ٣٥٠-٣٥١، وكتاب التوحيد ص ١٧. وانظر: تاريخ نجد للألوسى ص ٤٤.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ص ١٢٩-١٣٠ وص ١٤٣ وص ١٣٧ وص ١٤١ وص ١٤٥ وص ١٥١ وص ص ١٧٦-١٧٧.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٤.

وأن الأنبياء يتفاوتون فى الفضل وأنهم أشد الناس بلاء(١). وأن قصص الرسل ممدوح فيه عبرة لا يفهمها إلا أولوا الألباب(٢).

ولا نبى إلا رعى الغنم ، ورعي الغنم صفة كمال(٣).

وأن الرسل من البشر كلهم رجال، وليس فى الجن ولا فى النساء رسل، وأنهم من أهل القرى(٤).

وأنه يجوز عليهم الخطأ والنسيان فيما لا تعلق له بتبليغ الرسالة، ولا تنكر إصابة الشيطان للأنبياء بما لا يقدح فى النبوة، وأنهم على بشريتهم وان كانوا أنبياء، وهذا من أدلة التوحيد(٥) وهم يحتاجون إلى التنبيه على فضل لا إله إلا الله ، كما فى قصة موسى حين قال : يارب علمنى شيئا أذكرك به(٦). الحديث.

وأن دينهم التوحيد، وأن الدعوة إلى توحيد الله سبيلهم وسبيل من اتبعهم(٧) وبذلك أرسلوا ورسالتهم حق(٨).

وخلاصة رسالتهم : هي أن يدعوا المخالفين إلى أن يوحدوا الله تعالى ويتركوا الشرك به كما قال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ (النحل : ٣٦)(٩).

وأن رسالة الرسل عمت كل أمة من بنى آدم ، وكل أمة لها رسولها يخصها ، وأن الله يثيب من أطاع الرسل بالجنة ويعاقب من عصاهم بالنار(١٠).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ١٦٦ وص ١٣١ وص ١٦٢ وص ١٦٩ وص ١٧١.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ١٨١.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٢٩٠.
(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ١٧٩ وص ص ٢١١-٢١٢ وص ٢٥٣.
(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٢٥٣.
(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٣.
(٧) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ١٤٤ والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٩.
(٨) المصدر السابق ص ١١٧ وص ١٠١-١٠٣ وص ١٠٧ وص ٨٤ وص ١٨٠.
(٩) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٧، ٩ وثلاثة الأصول ص ١٩٥.
(١٠) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٢٠٩ وص ١٨٠ وص ١٨٥ وص ٣٤٢، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٧، ٩.

وأرسـل الله الـرسـل مبشرين ومنذرين والدليل قوله تعالى : ﴿ رسلاً مبشرين ومنـذرين لئـلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (النساء : ١٦٥)[١]، وأنهم ما أتوا أممهم إلا بالوحى[٢].

ويـرى أن الله سبحـانـه اختار الأنبياء من ولد آدم ، واختار الرسل من الأنبياء ، واختار من الرسل أولى العزم منهم ، وهم الخمسة المذكورون فى سورتى الأحزاب والشورى[٣].

والشيـخ يشـير بهذا إلى قولـه تعـالى : ﴿ واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ (الأحزاب : ٨) .

وإلى قولـه تعـالى : ﴿ شرع لكم من الـدين ما وصى به نوحـا والـذى أوحينا إليـك ومـا وصينـا به إبـراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب ﴾ (الشورى : ١٣) .

ويقـول الشيـخ : واختـار من أولى العـزم الخليلين : إبراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم وعليهم أجمعين[٤].

وأن الله أخـذ الميثـاق الشـديد على الرسل لئن بعث فيهم رسول الله محمد ﷺ ليؤمنن به ولينصـرنـه ، فأقـروا بذلـك ـ قال تعـالى : ﴿ واذ أخـذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتـاب وحكمـة ثم جاءكم رسـول مصـدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصـرنه قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ (آل عمران : ٨١-٨٢)[٥].

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، ثلاثة الأصول ص ١٩٥ .
(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ١٧٩ .
(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ٨ .
(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ٨ .
(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ص ٤٦-٤٧ .

ويقول الشيخ فى كلامه على قصة آدم وإبليس ومن فوائدها أنها من أدلة الرسل عامة، ومن أدلة نبوة محمد ﷺ خاصة(1). ويؤمن بأن نبينا محمدا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين وأنه لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته. والدليل قوله تعالى: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾(2) (التوبة: ١٢٨).

ويقول الشيخ: والدليل على انه رسول الله ﷺ من العقل والنقل:

أما النقل فواضح، وأما العقل فنبه عليه القرآن، من ذلك ترك الله خلقه بلا أمر ولا نهى لا يناسب فى حق الله ونبه عليه فى قوله: ﴿ **وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها، وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم** ﴾(3) ومنها أن قول الرجل: انى رسول الله إما أن يكون خير الناس، وإما أن يكون شرهم وأكذبهم، والتمييز بين ذلك سهل يعرف بأمور كثيرة، ونبه على ذلك بقوله: ﴿ **هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفاك أثيم** ﴾ الآيات(4)، ومنها شهادة الله بقوله: ﴿ **قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾(5) ومنها شهادة أهل الكتاب بما فى كتبهم كما فى الآية، ومنها ـ وهى أعظم الآيات العقلية ـ هذا القرآن الذى تحداهم الله بسورة من مثله، ونحن ان لم نعلم وجه ذلك من جهة العربية فنحن نعلمها من معرفتنا بشدة عداوة أهل الأرض له علمائهم وفصحائهم، وتكريره هذا واستعجازهم به، ولم يتعرضوا لذلك على شدة حرصهم على تكذيبه، وادخال الشبه على الناس، ومنها تمام ما ذكرنا وهو اخباره سبحانه أنه لا يقدر أحد أن يأتى بسورة مثله إلى يوم القيامة، فكان كما ذكر مع كثرة أعدائه فى كل عصر، وما أعطوا من الفصاحة والكمال والعلوم».

ثم استمر الشيخ يذكر الأدلة العقلية فيقول: «ومنها نصرة من اتبعه، ولو كانوا

---

(1) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٨٤ والدرر السنية جـ ١ ص ٩٧-٩٨.

(2) الدرر السنية ط ٢ جـ ١، ص ٢٩ وص ٩٥ ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١٠، والقسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٩٠

(3) الأنعام: ٩١.

(4) الشعراء: ٢٢٢.

(5) الأحقاف: ٨.

أضعف النـاس، ومنهـا خذلان من عاداه وعقـوبتـه فى الـدنيـا، ولوكانوا أكثر الناس وأقـواهم، ومنهـا انـه رجـل أمى لا يخط ولا يقرأ الخط ولا أخذ عن العلماء، ولا ادعى ذلك أحد من أعدائه مع كثرة كذبهم وبهتانهم، ومع هذا أتى بالعلم الذى فى الكتب الأولى، كما قال تعـالى: ﴿ ومـا كنت تتلوا من قبله من كتـاب ولا تخطـه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾[1] (العنكبوت: ٤٨).

ومن ذلك ما استدلت به خديجة من صفاته الكريمة حيث قالت: أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا. ثم استدلت بما فيه من الصفات على أن من كان كذلك، لم يخزه الله أبـدا، فعلمت بفطـرتهـا وكمـال عقلهـا أن الأعـمـال الصالحة، والأخلاق الفاضلة تناسب كرامة الله وإحسانه، ولا تناسب الخزى[2].

وقـد عصم الله رسـولـه ﷺ من النـاس، فاجتهـدت قريش فى قتله وأخفاه الله عنهم وحفظه وصاحبه فى الغار[3].

وفى معرض إيراد الشيخ أدلة تحت باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان أورد حديث ثوبـان رضي الله عنـه لمسلم أن رسـول الله ﷺ قال: «ان الله زوى لى الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها. وان أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنـزين: الأحمر والأبيض وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكهـا بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيـح بيضتهم. وإن ربى قال: يا محمـد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد. وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة. وأن لا أسـلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيـح بيضتهم، ولـو اجتمـع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا»[4] رواه البرقانى فى

---

(١) الـدرر السنية، ط ٢، جـ ٢، ص ص ٤٦-٤٨. وانظـر مؤلفـات الشيخ، القسم الأول، التـوحيد ص، ص ١٧، ٢٢، ٣٤، ٧٠-٧١ والقسم الرابع، التفسير ص، ص ٤٦، ١٢٤، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ٣٣١، ٣٣٢، ٢٤٣، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٨٠، ٣٨١ والـقسم الثـالث، مختصـر السـيرة ص، ص ١٠١-٢١٨ والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢ ص - ص ١٧-١٨.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٦٧.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ص ١٨٥-١٨٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، جـ ٤ ص ٢٢١٥، ٢٢١٦.

صحيحه(١)، وزاد: «وانما أخاف على أمتى الأئمة المضلين. واذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتى بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان. وأنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبى، وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى. ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة، ولا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى».

قال الشيخ فيها من الآيات العظيمة: اخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال، وإخباره بأنه أعطى الكنزين وإخباره بأجابة دعوته لأمته فى الاثنتين، وإخباره بأنه منع الثالثة، وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع اذا وقع، وإخباره بظهور المتنبئين فى هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها أبعد ما يكون فى العقول(٢).

ويقول الشيخ رحمه الله فى قوله تعالى فى آخر سورة يوسف خطابا لرسول الله ﷺ: ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾.

فيه تنبيه الله على آية الرسالة بأن هذه القضية غيب لا يتوصل إليه الرسول ﷺ إلا بالوحى لكونه لا يقرأ ولا يخط، ولا أخذ عن عالم، وتقرير هذه الحجة بقوله: ﴿ **وما كنت لديهم** ﴾ لأن هذا لا سبيل إلى العلم به إلا بالوحى أو بحضوره وأن مكرهم خفى حتى لو حضرهم أحد لخفي عليه.

---

(١) قوله: البرقانى. قال الشيخ سليمان بن عبد الله فى شرحه تيسير العزيز الحميد: «هو الحافظ الكبير أبو بكر محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمى الشافعى، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة. قال الخطيب: كان ثبتا ورعا، لم نر فى شيوخنا أثبت منه، عارفا بالفقه، كثير التصنيف، صنف مسندا ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان «وجمع حديث الثورى، وحديث شعبة، وطائفة، وكان حريصا على العلم منصرف الهمة إليه» ثم قال الشيخ سليمان: «قلت وهذا المسند الذى ذكره الخطيب هو صحيحه الذى عزا إليه المصنف». انتهى، تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد ص ٣٢٥.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ص ٧٠-٧١، ويقصد الشيخ أن هذه الأخبار غيبية لا تدركها العقول وان كانت لا تحيلها لكنه بعد أن يأتى الشرع بالخبر عن مُغَيَّب فلابد من اعتقاد أن ذلك سيقع وفقاً لما أخبر به. وقد حصل من المؤمنين.

ويقـول الشيـخ في قولـه تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهـل القـرى أفلم يسـيروا فى الأرض فينظـروا كيف كان عاقبـة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون** ﴾ (يوسف : ١٠٩).

يقول الشيخ فيها : رد شبهتهم في كونه بشرا وذلك واضح لأنهم ان كانوا ممن يقر بالرسالة في الجملة كأهل الكتاب والمشركين فواضح ، وان أنكروها كالمجوس فالنكال الـذى أوقـع الله بمن خالف الـرسـل الذى سمعوه وشاهدوه حجة عليهم ، وفيها الرد عليهم في قولهم : ﴿ **لولا يكلمنـا الله** ﴾ أو نحـوذلـك ، لأن الـرسـل ما أتـوا الأمم إلا بالوحى ، وفيها استجهال الله إياهم حيث لم يسيروا فى الأرض فيعتبروا بمن قبلهم ، فدل ذلك على أن فهم ذلك مقدور لهم[١] .

ويذكر الشيخ ان رسول الله ﷺ اقتصر من الأدلة على الوحى ففيه كفاية ، وتبرأ من دعوى أن عنده خزائن الله أو أنه يعلم الغيب أو أنه ملك كما قال تعالى : ﴿ **قـل لا أقـول لكم عنـدى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقـول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قـل : هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون** ﴾ (الأنعام : ٥٠).

ويقول الشيخ : إن الذى يقتصر على الوحى هو البصير ، وضده الأعمى[٢] .

ومعنى شهـادة أن محمـدا رسـول الله هي طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتنـاب ما نهى عنـه وزجـر وأن لا يعبـد الله إلا بما شرع ، وأن محمـدا عبد لا يعبد ، ورسـول لا يكـذب ، بل يطـاع ويتبـع ، وهـو خيرة الله من خلقه ، وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده وكل ما قاله حق وكل ما أخبر عنه صدق .

وتتضمن هذه الشهـادة الإيـمان بأن خاتـم الـرسل هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وهـاشم من قريش ، وقـريش من العـرب ، من ذريـة إسماعيل بن إبـراهيم الخليـل عليـه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وله من العمر ثلاث وستون سنـة ، منهـا أربعـون قبـل النبـوة وثـلاث وعشـرون نبيـا رسولا . نبيء «باقرأ» وأرسل «بـالمـدثـر» وبلده مكـة وهـاجـر إلى المـدينـة بعثـه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد . فلما أخذ على هذا عشر سنين عرج به إلى السماء ، وفرضت عليه الصلوات

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ص ١٧٧-١٧٩ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٥٦ .

الخمس، وصلى فى مكة ثلاث سنين. وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة والصوم والجهاد والحج والأذان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عشر سنين أيضا وبعدها توفى صلوات الله وسلامه عليه، ودينه باق، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، والخير الذى دل عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذى حذر منه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه. بعثه الله إلى الناس كافة، وكل ما قاله حق وافترض الله طاعته على جميع الثقلين: الجن والإنس ودعوته عامة لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، وهذه من فضيلته على الأنبياء والدليل قوله تعالى: ﴿ **قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا** ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وأكمل الله به الدين. والدليل قوله تعالى: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ (المادة: ٣).

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ (الزمر: ٣٠، ٣١).

وهو يوم القيامة صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، أول شافع، وأول مشفع، ولا ينكر شفاعته إلا أهل البدع فله الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود، وأسعد الناس بها أهل التوحيد الخالص، ولا تكون لمن أشرك بالله(١).

وطريق رسول الله ﷺ هو صراط الذين أنعم الله عليهم، فالمنعم عليهم هم رسول الله ﷺ وأصحابه، والمسلم فى كل ركعة من صلاته يسأل الله أن يهديه طريقهم والمراد بذلك الدين الذى أنزله الله على رسوله ﷺ وكلما خالفه من طريق أو علم أو عبادة، فليس بمستقيم(٢).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد ص ص ٥١-٥٣ وص ٦٧ وكشف الشبهات ص ١٦٦ وثلاثة الأصول ص ص ١٩٠، ١٩٢-١٩٥ وتلقين أصول العقيدة للعامة ص ص ٣٧٣، ٣٧٤، والقسم الثالث، مختصر السيرة ص ٥١ وص ٨٠-٨١ وص ١٤٢، الفتاوى رقم ٩ ص ٤٤، والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢٩ ص ١٩٦ ورقم ٢٢ ص ١٥٤ ورقم ١٧ ص ص ١١٣، ١١٤ ورقم ١٩ ص ١٢٤ ورقم ١ ص ص ٩-١٠ ورقم ١٤ ص ٩٤. والقسم الرابع، التفسير ص ٢٢٣ وص ص ٢٥٣-٢٥٤ وص ص ١٩٦، ١٩٧، ص ص ٤٦-٤٧ وص ٣٥٣ وص ١٧٨. ومختصر زاد المعاد ص ص ١٦٣-١٦٤، ص ص ١٧٧-١٧٩ وص ص ١٨٠-١٨٧ وص ٢٩٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ١٧، ص ٤٧، ص ٢٧٩.

ويعتقد الشيخ أن الإيمان به ﷺ حقيقة يقتضى نصرته وطاعته والهدى فى ذلك، فان من حقوقه ﷺ طاعته كما قال الله تعالى: ﴿ **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ (النساء: ٥٩).

وقال تعالى: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ (الحشر: ٧).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بى وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل» رواه مسلم[1].

ولهما عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار»[2].

ولهما عن أنس مرفوعا: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالديه والناس أجمعين»[3].

وعن المقدام بن معدى كرب الكندى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وان ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله» رواه الترمذى وابن ماجه[4].

ورسول الله ﷺ على خلق عظيم وعدل وتواضع يعرف ذلك حتى أعداؤه[5].

وكان ﷺ أشرح الخلق صدراً وأطيبهم نفساً (لما جبل عليه ﷺ من الكرم العظيم)

---

(١) جـ ١ كتاب الإيمان باب ٨ ص ٥٢ رقم ٣٤ ترتيب فؤاد عبد الباقى.

(٢) صحيح البخارى، جـ ١ كتاب الإيمان باب ٩ ص ٩ وباب ١٤ ص ١٠ وصحيح مسلم كتاب الايمان باب ١٥ ص ٦٦ رقم ٦٧.

(٣) البخارى، الايمان باب ٨ ص ٩، ومسلم، الايمان باب ١٦ ص ٦٧ رقم ٧٠.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الايمان، باب حقوق النبى ﷺ ص ص ٢٦٠-٢٦١. وهو فى سنن ابن ماجة، المقدمة رقم ١٢ باب ٢. وفى الترمذى كتاب العلم باب ١٠ رقم ٢٦٦٤.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٤٦ والقسم الأول، كتاب التوحيد ص ١٧ وص ١١.

بالاضافة إلى ما خصه الله به من شرح صدره بالرسالة وخصائصها وتوابعها، وشرح صدره حسا، واخراج حظ الشيطان منه(١). وله ﷺ الفضائل العظيمة وقول الحق الذى لا يقدر غيره أن يقوله(٢).

وهو الرسول النبى الأمي حبيب الله وصفيه من خلقه ﷺ (٣). وأقرب الخلائق منزلة عند الله تعالى(٤).

ويقول فى قول الله تعالى: ﴿ **وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم** ﴾ (آل عمران: ١٠١).

فيها: أن آيات الله لا نظير لها فى دفع الشر فى سائر الكلام، كما أن رسوله ﷺ لا نظير له فى الأشخاص فى دفع ذلك(٥). وهو سيد المرسلين(٦)، وسيد ولد آدم على الحقيقة من غير افتخار(٧).

وقد أكرمه الله بالخلة وهى أعلى من المحبة كما كان إبراهيم(٨).

ولابد من الأدب مع رسول الله ﷺ وتعظيم حرمته، وعدم التقدم بين يديه وقد نزل تغليظ فى ذلك فى أول سورة الحجرات ووصف الله الذين ينادون رسول الله ﷺ من وراء الحجرات، بأن أكثرهم لا يعقلون(٩).

وكان ﷺ فى حياته يسأله المسلمون الاستسقاء ويتوسلون بدعائه ويستشفعون(١٠).

---

(١) المصدر السابق القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٧٦ والقسم الثالث مختصر السيرة ص ص ٦٤-٦٨ وص ١٤٣، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٣، ٢١٣، ٢١٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٨١ وص ٢٥٠.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ص ١٠٤، ١٠٧.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٣٩.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٤٩

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٢٣٥.

(٧) المرجع السابق ص ١٧٠.

(٨) المرجع السابق، القسم الأول، التوحيد، ص ٦٣.

(٩) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٣٥٠، ٣٥١، والقسم الثالث، مختصر السيرة ص ص ٢٣٨-٢٤١.

(١٠) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٤٥.

وهو ﷺ فى البرزخ تعرض عليه أعمال أمته من الصلاة والسلام عليه[١].

وهو ﷺ أفضل جميع الخلائق والأنام وسيد ولد آدم عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام[٢].

ويرى الشيخ فضيلة أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم بالكمية والكيفية[٣]، وأن الله سبحانه اختار ولد اسماعيل من أجناس بنى آدم، ثم اختار منهم بنى كنانة من خزيمة، ثم اختار من ولد كنانة قريشا، ثم اختار من قريش بنى هاشم ثم اختار من بنى هاشم سيد ولد آدم محمدا ﷺ كما فى المسند عن معاوية بن حيدة مرفوعا «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله»[٤].

فهم أفضل الأمم واختار لهم أفضل القِبّل، كما اختار لهم أفضل الرسل، وأفضل الكتب وأخرجهم من خير القرون، وخصهم بأفضل الشرائع، ومنحهم خير الأخلاق، وأسكنهم خير الأرض[٥].

ويؤمن بأن أفضل أمة محمد ﷺ أبو بكر الصديق، وفى قول النبى ﷺ: «ولو كنت متخذا من أمتى خليلا، لأتخذت أبا بكر خليلا».

يرى الشيخ فى هذا التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة وفيه الاشارة إلى خلافته[٦].

ويقول الشيخ فى تلخيصه عن ابن تيمية رحمه الله: «ذكر غير واحد الاجماع على أن الصديق أعلم الأمة، وهذا بين فانهم لم يختلفوا فى مسألة فى ولايته إلا فصلها بحجة من الكتاب والسنة، كما بين لهم موته ﷺ، وموضع دفنه، وقتال ما نعى الزكاة، وأن الخلافة فى قريش، واستعمله ﷺ على أول حجة حجت من مدينته، وعلم المناسك ـ أدق العبادات ـ ولولا سعة علمه بها لم يستعمله، ولم يستخلف غيره، لا فى حج ولا فى صلاة وكتاب الصدقة التى فرضها رسول الله ﷺ أخذه أنس من أبى

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٦٧.
(٢) انظر: تاريخ نجد للألوسى، ص ـ ص ٤٣-٤٤.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ١٧.
(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ص ٨، ٩.
(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص،ص ١٩٤، ١٩٥.
(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص،ص ٦١، ٦٣.

بكـر وهـو أصـح ما روى فيهـا ، وفى الجملة لا يعـرف مسألة غلط فيها ، وعرف لغيره مسائل كثيرة ، وتنازعوا بعده فى مسائل الجد والاخوة ، والعمريتين والعول ، وغير ذلك من مسـائـل الفـرائض ومسألـة الحـرام والطـلاق الثلاث بكلمة ، والخلية ، والبرية ، والبتـه ، وغـير ذلـك من مسـائل الطلاق ، وفى مسائل صارت نزاعا إلى اليوم لكنه فى خلافـة عمـر نزاع محض وقـوى النـزاع فى خلافـة عثـمان حتى حصل كلام غليظ من بعضهم لبعض ، وفى خلافة علي صار النزاع بالسيف ، ولم يعلم أنه استقر بينهم نزاع فى خلافة أبى بكر فى مسألة واحدة ، وذلك لكمال علمه ، ثم التى خولف فيها بعد موته قوله فيها أرجح[1] .

ويشـرح الشيـخ مثـلا من ذلك وهو: أنه لما مات رسول الله ﷺ ارتد غالب من أسلم وحصلت فتنـة عظيمـة ثبت الله فيهـا من أنعم عليهم بالثبـات بسبب أبى بكـر الصديق رضى الله عنه فانه قام فيها قياما لم يدانه فيه أحد من الصحابة ، ذكرهم فيه ما نسوا وعلمهم ما جهلوا ، وشجعهم لما جبنوا ـ فثبت الله به دين الإسلام .

قال الله تعـالى : ﴿ **يا أيهـا الـذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** ﴾ (المائدة : ٥٤) .

يقول الشيخ : «قال الحسن : هم والله أبو بكر وأصحابه[2] ـ ويقول : جعلنا الله من أتباعه وأتباع ما حمله وأصحابه»[3] .

ثم عمـر الفـاروق رضي الله عنـه فهـو الثـانى بعـد أبى بكـر رضى الله عنه فى الخلافة والفضل[4] وهو المحدَّث الملهم الذى أمرنا باتباع سنته وله الفضائل المشهورة ، والسوابق المأثورة[5] .

---

(١) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة رقم ٧٦ ، ص ٥٣ـ٥٤ .

(٢) يقول ابن كثير : رواه ابن أبى حاتم ، انظر: التفسير ، جـ ٢ ص ٧٠ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، مختصر السيرة ص ص ٣٦ ، ٣٧ وص ص ٢٥٦ـ٢٥٩ وص ص ٢٦١ـ٣٠٠ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، مختصر السيرة ص ص ٣٠٢ـ٣٠٩ .

(٥) المصدر السابق ، الفتاوى ص ٣٥ .

ثم عثمان ذو النورين هو ثالث الخلفاء في الخلافة والفضل رضى الله عنه[١]. كان من ذوى السابقة والشرف والعلم، هاجر الهجرتين، وصلى القبلتين. وزوجه رسول الله ﷺ ابنتيه، لما توفيت الأولى معه، زوجه الأخرى. وكان رسول الله ﷺ يقدمه ويستحى منه[٢].

ثم عليٌّ المرتضى هو رابع الخلفاء الراشدين في الخلافة والفضل ـ ومن فضائله قتل الخوارج رضى الله عنه[٣]، ومن فضيلته رضى الله عنه ما ورد في الحديث المتفق عليه عن سهل بن سعد رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها؟ فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: أين علي بن أبى طالب؟ فقيل: هو يشتكى عينيه، فأرسلوا إليه فأتى به. فبصق في عينيه، ودعا له. فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام. وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا، خير لك من حمر النعم». قال الشيخ فيه فضيلة علي رضى الله عنه[٤].

ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة وهم[٥]: طلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح «وهو أمين الأمة»[٦].

ثم أهل بدر رضى الله عنهم[٧].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة ص ص ٣٠٩-٣١٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة ص ٩.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة ص ص ٣١٦-٣٢٢، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٢٢. ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم (١) ص ١٠، وملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ٣٦.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٢١-٢٢.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١٠.

(٦) انظر: الطحاوية وشرحها لابن أبى العز الحنفى ص ص ٥٤٩-٥٥٣.

(٧) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١٠. والقسم الثالث، مختصر السيرة ص ١٩٧.

ثم أهل الشجرة، أهل بيعة الرضوان[1] رضى الله عنهم.

ثم سائر الصحابة رضى الله عنهم[2].

ويترضى عن أمهات المؤمنين، زوجات النبى ﷺ، المطهرات من كل سوء ويعتقد فضلهن على مراتبهن[3].

ويقول فى تلخيصه عن ابن تيمية رحمه الله: «لآله ﷺ على الأمة حق لا يشركهم فيه غيرهم، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة ما لا يستحق سائر قريش وقريش يستحقون ما لا يستحق غيرهم من القبائل، كما أن جنس العرب يستحقون من ذلك ما لا يستحقه سائر أجناس بنى آدم، على هذا دلت النصوص: وتفضيل الجملة على الجملة لا يقتضى تفضيل كل فرد كالقرن الأول على الثانى، والثانى على الثالث، وأما نفس ترتيب الثواب والعقاب على القرابة ومدح الله للمعين وكرامته عنده فهذا لا يؤثر فيه النسب، وهذا لا ينافى ما ذكرنا قبله، كما قال: (الناس معادن.. الخ) فالأرض إذا كان فيها معدن ذهب ومعدن فضة فالأول خير، لأنه مظنة وجود أفضل الأمرين فان تعطل ولم يخرج ذهبا كان ما يخرج الفضة أفضل منه، ولهذا كان فى بنى هاشم النبى ﷺ الذى لا يماثله أحد فى قريش، وفى قريش الخلفاء وغيرهم ما لا نظير له فى العرب وفى العرب من السابقين الأولين ما لا نظير له فى سائر الأجناس.. فالأصل المعتبر هو الإيمان والتقوى، دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقا، ودون من ظن أن الله مفضل الإنسان بنسبه على من هو مثله فى التقوى وكلا القولين خطأ وهما متقابلان، فالفضل بالنسب للمظنة والسبب، وبالتقوى لليقين.. والتحقيق والغاية فالأول سبب وعلامة، والثانى يفضل به لأنه تحقيق وغاية، والثواب يقع على هذا لأن الحقيقة قد وجدت فلم يعلق الحكم بالمظنة، ولأن الله يعلم الأشياء على ما هى عليه، ولهذا كان رضى الله عن السابقين أفضل من الصلاة على آل محمد، لأن الأول اخبار بما حصل والثانى سؤال ما لم يحصل، ومحمد أخبر الله تعالى

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١٠ والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١١ وص ١٧ والقسم الثالث، مختصر السيرة ص ٧٨، ٧٩، ص ص ٢٦٠-٢٦١ وص ص ٣٢٢-٣٢٣.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١٠، والقسم الثالث، مختصر السيرة ص ٦٤، ص ٧٨، وص ص ١٦٧-١٧١ وص ٣٢٢.

أنه يصلى عليه وملائكته فالفضيلة بنوع لا يستلزم الأفضيلة مطلقا، ولهذا كان فى الأغنياء من هو أفضل من جمهور الفقراء[1].

وعلى العموم فالشيخ يعتقد فى الآل والأصحاب ومن تبعهم باحسان، ما ورد به الكتاب والسنة والأصل المعتبر: هو الإيمان والتقوى، فيؤمن بفضائل الصحابة الواردة، وشمائلهم المروية وعمق علمهم، على مراتبهم، ويترضى عن كل واحد منهم لأنه صحابى من صحابة رسول الله ﷺ، ويرفض مسلك الرافضة فى الصحابة لما فى قصة الحديبية فلقد ذكر الله رسوله وحزبه ومدحهم بأحسن المدح فقال تعالى: ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾ (الفتح: ٢٩).

قال الشيخ: «والرافضة تصفهم بضده»[2].

ويرفض مسلك الخوارج أيضا ويتبرأ منهم - ويقول رحمه الله فى وقعة الجمل ان مقصود الصحابة الاصلاح بين الناس واجتماع الكلمة، ولكن كان فى العسكرين ناس من الخوارج فخافوا من تمالىء العسكرين عليهم، فتحيل الخوارج حتى أثاروا الحرب بينهما من غير رأى فكانت وقعة الجمل المشهورة.

وقال فى الحكمين بين علي ومعاوية رضى الله عنهما، لم يتفق الحكمان على شىء.

وقال الشيخ فى الحسن لما ترك الأمر لمعاوية مراعاة لمصلحة المسلمين، لقد جرى مصداق ما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال فى الحسن: «ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[3].

---

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات رقم ٧٤ ص ص ٥١، ٥٢.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٢٥٧ والتفسير ص ٢٢ والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٧ وص ٢٢ وانظر تاريخ نجد للألوسى ص ص ٤٤، ٤٥.

(٣) هو فى صحيح البخارى فى جـ ٨ كتاب الفتن باب قول النبى ﷺ للحسن بن علي ان ابنى هذا لسيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ص ص٩٨، ٩٩.

ثم أورد الشيخ ما صح عن النبى ﷺ أنه قال فى الخوارج: «يخرجون على حين فرقة بين الناس، تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق»[1].

وأورد أنه صح عنه ﷺ فى أحاديث كثيرة: أنه نهى عن القتال فى الفتنة وأخبر ﷺ بوقوعها وحذر منها[2].

قال الشيخ فحصل بمجموع ما ذكرنا: أن الصواب مع سعد بن أبى وقاص وابن عمر وأسامه بن زيد وأكثر الصحابة الذين قعدوا واعتزلوا الطائفتين، وأن علي بن أبى طالب وأصحابه أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه، وأن الفريقين كلهم لم يخرجوا من الإيمان، وأن الذين خرجوا من الإيمان: إنما هم أهل النهروان.

ثم قال الشيخ: «وأجمع أهل السنة على السكوت عما شجر بين الصحابة رضى الله عنهم ولا يقال فيهم إلا الحسنى ـ فمن تكلم فى معاوية أو غيره من الصحابة فقد خرج عن الاجماع[3].

ـ والخلاصة ـ أن الشيخ يتولى أصحاب رسول الله ﷺ جميعا ويذكر محاسنهم، ويترضى عنهم ويستغفر لهم، ويكف عن مساويهم، ويسكت عما شجر بينهم ويعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى: ﴿ **والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾ (الحشر: ١٠).

ويقول الشيخ فى تلخيصه عن ابن تيمية رحمه الله: «إذا تكلم فيمن دون الصحابة كالملوك المختلفين وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل، فان العدل واجب لكل أحد على كل أحد فى كل حال والظلم محرم مطلقا لا يباح بحال، قال الله تعالى: ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا** ﴾ (المائدة: ٨) ـ وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار وهو بغض مأمور به فاذا كان هذا قد نهى صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف فى بغض مسلم بتأويل أو شبهة أو هوى، والعدل مما اتفق أهل

---

(١) قال الحاكم هذا حديث صحيح ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبى ـ انظر: المستدرك مع التلخيص جـ ٢ / ١٥٤، ١٥٥، وانظر: صحيح البخارى جـ ٧ ص ١١١ ك ٧٨/ ب ٩٥ وجـ ٨ ص ص ٥١-٥٣ ك ٨٨/ ب ٦-٧ ففيه صفة الخوارج وأنهم يخرجون على حين فرقة من الناس.

(٢) انظر: ما فى صحيح البخارى مثلا، جـ ٨ كتاب الفتن، ص ص ٨٦-٩٩.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ص ٣١٦-٣١٨، ٣٢١-٣٢٢.

الأرض على مدحـه، والظلم مما اتفقـوا على ذمـه، والله أرسـل الـرسل ليقوم الناس بالقسـط، وأخـبر أنـه لا يكلف نفسـا إلا وسعها، وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة، ودعا المؤمنـون بقـوله: ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾ (البقرة: ٢٨٦). فقال قد فعلت فدلت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها وأن المخطىء والناسى لا يؤاخـذه وقـال: ﴿ **والـذين يؤذون المؤمنـين والمؤمنـات بغـير ما اكتسبـوا** ﴾ (الأحـزاب: ٥٨). فمن آذى مؤمنـا حيـا أوميتا بغير ذنب يوجب ذلك دخل فى الآية ومن كان مجتهدا لا اثم عليه فآذاه مؤذ فقد آذاه بغير ما اكتسب، ومن أذنب وتاب أو غفر له بسبب آخر فآذاه مؤذ فقد آذاه بغير ما اكتسب[١].

ويقر الشيخ بكرامات الأولياء والصالحين، وما لهم من المكاشفات، وهم على صلاحهم رضى الله عنهم وهم كما قال الله فيهم: ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ (يونس: ٦٢)، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئا، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، وهم بريئون ممن أشرك بالله كبراءة عيسى من النصارى وموسى من اليهود وعلي من الرافضة، وكذلك عبد القادر الجيلانى رحمه الله برىء من أتباع الشيطان الذين ينتسبون إليه، ويتسمون بالفقراء الجيلانية.

ثم يبـين الشيـخ أن هؤلاء الـذين يزعمـون حب الصـالحـين وهم يخالفـونهم ويشركونهم مع الله فى الدعاء والنذر والذبح وغير ذلك من العبادة التى لا تصلح إلا لله أن هؤلاء فى الحقيقة أعداء الصالحين، أما من هداه الله فلم يدع إلا الله هووالله الذى يحبهم لأن من أحب قوما أطاعهم فمن أحب الصالحين حقيقة يطيعهم فلا يعتقد إلا فى الله كما فى طريقتهم[٢].

ويقـول الشيـخ فى استنبـاطـاته من قصة آدم وإبليس فى خوارق العادة، وما هو منهـا كرامـة وغـير كرامة: انه لا ينبغى للمؤمن أن يغتر بخوارق العادة إذا لم يكن مع صاحبها استقامة على أمر الله، فان اللعين أنظره الله تعالى، ولم يكن ذلك إلا اهانة

---

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٧٥، ص ص ٥٢، ٥٣.

(٢) مؤلفـات الشيـخ، القسم الخـامس، الشخصيـة رقم ٢١ ص ١٤٧ ورقم ٨ ص ٥٢ وص ٥٤-٥٥ ورقم ١٥ ص ١٠١ ومؤلفـات الشيـخ، القسم الثـالث، مختصـر السيـرة ص ٢٩٦. ومؤلفـات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٢٨٢، ٢٨٣. ومؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص ١٦٩، وستة أصول عظيمة ص ص ٣٩٥، ٣٩٦.

له وشقاء له، وحكمة بالغة يعلمها الحكيم الخبير، فينبغي للمؤمن أن يميز بين الكرامات وغيرها، ويعلم أن الكرامة هي لزوم الاستقامة ومن ذلك يعلم أن الأمور التي يحرص عليها أهل الدنيا قد تكون عقوبة ومحنة، والجاهل يظنها نعمة مثل المال والجاه وطول العمر، فان الله أعطى اللعين من النظرة ما أعطاه.

وكذلك الفاجر قد يعطيه الله سبحانه كثيرا من القوى والادراكات في العلوم والأعمال حتى في صحة الفراسة، كما ذكر عن اللعين حين تفرس فيهم أن يغويهم إلا المخلصين، فصدق الله فراسته في قوله: ﴿ **ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين** ﴾ (سبأ: ٢٠). فان قيل في الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله» فلا يناقض ما ذكرناه، بل يدل على أن المؤمن أتم هذه الخصلة من غيره وأصدق، كما كان في العلم والإيمان والأعمال والحلم والصبر وغير ذلك، ولو كان للفجار شيء من ذلك[1].

ويذكر القول الفصل في عطاء الدنيا بعد أن ذكر خطأ كثير من الناس في نظره إلى ذلك فقال: «بعضهم يظن أن هذا كله نقص أو مذموم، وأن التجرد من المال مطلقا هو الصواب، وبعض يظن أن عطاء الدنيا يدل على رضا الله، وكلاهما على غير الصواب. وذلك أن من أنعم الله عليه بولاية أو مال فجعلها طريقا إلى طاعة الله فهو ممدوح، وهو أحد الرجلين الذين يغبطهما المؤمن، وان كان غير هذا فلا»[2] فان العطاء ما أغنى أصحاب الحجر: ﴿ **كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين، فأخذتهم الصيحة مصبحين، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون** ﴾ (الحجر: ٨٢-٨٤). ما أغنى عنهم ذلك وقت البلاء كما أغنت الأعمال الصالحة عن أهلها برحمة الله تعالى[3].

ولا يشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ ولكنه

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٩٥-٩٨ والحديث رواه الطبراني والترمذي من حديث أبي أمامه وأخرجه الترمذي أيضا من حديث أبي سعيد وراجع تخريجه في كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للشيخ اسماعيل العجلوني، جـ ١ ص - ص ٤١-٤٢.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ١٥٧، وقوله أحد الرجلين الذين يغبطهما المؤمن اشارة إلى حديث (لا حسد إلا في اثنتين). متفق عليه.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الحجر، ص ص ١٩١،١٩٤.

يرجو للمحسن ويخاف على المسيء، ولا يكفر أحدا من المسلمين بذنب ولا يخرجه به من دائرة الإسلام[1].

ويرى أن الفرقة الناجية وسط فى باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية. وهم وسط فى باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية. وهم وسط فى باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وهم وسط فى باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج[2].

ويرى الجهاد ماضيا مع كل إمام برا كان أو فاجرا، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة، والجهاد ماضيا منذ بعث الله محمدا ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل.

ويرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه[3].

ويقول الشيخ فى تلخيصه عن ابن تيمية: مذهب أهل السنة أن الأمراء الظلمة مشاركون فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة الله فيصلى خلفهم، ويجاهد معهم، ويستعان بهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومن حكم منهم بعدل نفذ حكمه، وإن أمكن تولية بر، لم يجز تولية فاجر، فيجتهدون فى الطاعة بحسب الامكان، كما قال الله: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ (التغابن: ١٦) ويعلمون أن الله بعث محمدا ﷺ بصلاح العباد فاذا اجتمع صلاح وفساد رجحوا الراجح منهما وقل من خرج على سلطان إلا كان ما تولد عن فعله من الشر أعظم من الخير، فلا أقاموا دينا ولا أبقوا دنيا، وان كان فيهم خلق من أهل العلم والدين، وهذا مما يبين أن ما أمر به ﷺ من الصبر على جور الأئمة هو الأصلح، فالشارع أمر كلا بما هو أصلح له وللمسلمين، فأمر الولاة بالعدل والنصح لرعيتهم، وأمر بالصبر على استيثارهم وعدم منازعتهم

---

(١) الدرر السنية، جـ ١، ص ٣٠. وص ١١ من مؤلفات الشيخ، القسم الخامس. ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٨ ص ٥٢ وص ٥٤، وص ٥٥ ورقم ١٥ ص ١٠١ ورقم ٢١ ص ١٤٧ والقسم الرابع، التفسير، البقرة ص ٢٥ والأعراف ص ٩٥-١٠٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ٨.

(٣) المصدر السابق، الدرر جـ ١ ص ٣٠، ومؤلفات الشيخ ص ١١.

الأمـر، والفتن فى كل زمـان بحسب رجـالـه، والفتنة تمنع معرفة الحق وقصده والقدرة عليـه ففيهـما من الشبهـات ما يلبس الحق بالبـاطل، حتى لا يتميز لكثير من الناس، ومن الشهوات ما يمنع قصد الحق، ومن قوة الشر ما يضعف القدرة على الخير، ولهذا يقال: «فتنة عميا صما»[1].

ويـرى أن الإمـام نائب عن المسلمـين يتصرف فى مصالحهم وقيام الدين، فان تعـين للدفـع عن الإسـلام، والذب عن حوزته استجلاب أعداء الإسلام إليه ليأمن شرهم ساغ ذلـك بل تعـين ومبنى الشـريعـة باحتمال أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين[2].

ويـرى هجـر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، ويحكم عليهم بالظاهر، ويكل سرائرهم إلى الله. ويعتقد أن كل محدثة فى الدين بدعة، ويرى خلع جميع البدع[3].

لأن الله سبحانه وتعالى أخبر بأنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسول الله ﷺ وأمـرنـا بلزوم ما أنـزل إلينـا من ربنـا وتـرك البـدع والتفرق والاختلاف فقال تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (المائدة: ٣).

وقال: ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء، قليلا ما تذكرون ﴾ (الأعراف: ٣).

وقـال تعـالى: ﴿ قـل إن كنتم تحبـون الله فاتبعـونى يحببكم الله ويغفـر لكم ذنوبكم ﴾ (آل عمران: ٣١).

وقـال تعـالى: ﴿ قـل هذه سبيلى أدعـو إلى الله على بصـيرة أنـا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ (يوسف: ١٠٨).

وقال تعالى: ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم

---

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٧٣، ص ص ٥٠-٥١.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ص ٢٦٧-٢٦٨، والتفسير، البقرة ص ٢٣.

(٣) المصدر السابق، الدرر جـ ١ ص ٣٠، ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١١ ورقم ١٦ ص ١٠٧.

عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

وقال تعالى: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (الحشر: ٧)(١).

ويرى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة(٢).

ويؤمن بكل ما أخبر به النبى ﷺ من أخبار الفتن والحوادث، وأشراط الساعة وما جاء فى المهدى، وخروج الدجال ونزول عيسى، وأنه لا يزال حيا، وسكنى المدينة وعمارتها وخروج الدابة ونحو ذلك وقد ألف الشيخ فى ذلك كتابا بعنوان: هذه أحاديث فى الفتن والحوادث التى أخبر النبى ﷺ أنها ستكون بعده(٣).

الإيمـان باليـوم الآخـر:

والشيخ يؤمن بالبعث بعد الموت وبإعادة الأرواح إلى الأجساد وقيام الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا يوم تأتى الساعة - كما قال تعالى: ﴿ وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل، ان ربك هو الخلاق العليم ﴾(٤) (الحجر: ٨٥-٨٦).

وكما قال تعالى: ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ (طه: ١٥-١٦).

قال الشيخ ما مضمونه: فيها ذكر الإيمان باليوم الآخر بعد ذكر الإيمان بالله تعالى مما يبين أنه علة للإيمان بالله فمن لم يؤمن باليوم الآخر لا يؤمن بالله تعالى ولا يؤمن بلقائه يوم القيامة(٥).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٧ ص ص ١١٠-١١١.

(٢) الدرر السنية، ط ٢، جـ ١ ص ٣٠، مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١١ ورقم ١٧ ص ١١٤.

(٣) مؤلفات الشيخ، قسم الحديث، المجلد الثالث، من أوله إلى آخره فى هذه الموضوعات.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ١٩٥ وص ٥١ وص ص ٢٩٥، ٢٩٦، الدرر السنيه جـ ١ ص ٩٧.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص - ص ٢٩٥-٢٩٦. والقسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية ص ٣٥٠.

ويقـول الشيـخ فى صدر سورة هود فيـه من العلوم ، علـم الإيهان باليوم الآخر، وذكـر أنـه إلى الله المـرجع كما قال تعالى : ﴿ **ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا : إن هذا إلا سحر مبين** ﴾ الآيات ـ يقول الشيخ فيها ذكر الجنة والنار وذكر العرض على الله وكلام الأشهاد وأن افتراء الكفار ضل عنهم ، وكانوا هم الأخسرون فى الآخرة[١].

وفى قول الله تعالى : ﴿ **يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون** ﴾ (النحل : ١١١).

قال الشيـخ فيهـا : تعظيم ذلـك اليـوم ، وذكـر الأمر الهائل فى كل نفس، ونفي الظلم ولو عن الأشرار[٢].

وفى قوله تعالى : ﴿ **إن إلى ربك الرجعى** ﴾ (العلق : ٨).

قال الشيـخ فيهـا الإيـهان باليـوم الآخـر، والوعظ بذلك عن الطغيان، وتسلية المطغى عليه بذلك، وكونه إلى رب محمد ﷺ ففيه الجزاء على الأعمال[٣].

ويقـول الشيـخ : «والنـاس اذا ماتـوا يبعثـون» والـدليـل قولـه تعالى : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾ (طه : ٥٥).

وقـولـه تعـالى : ﴿ **والله أنبتكم من الأرض نبـاتـا ثم يعيـدكم فيهـا ويخرجكم إخراجا** ﴾ (نوح : ١٧، ١٨).

وبعـد البعث محاسبـون ومجـزيـون بأعـمالهم ـ والدليل قوله تعالى : ﴿ **ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾ (النجم : ٣١).

ومن كذب بالبعث كفـرـ والـدليـل قولـه تعـالى : ﴿ **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قـل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ، وذلك على الله يسير** ﴾ (التغابن : ٧)[٤].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ١١٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٢٣١.

(٣) مؤلفـات الشيـخ، القسم الـرابـع، التفسـير ص ٣٧١ وص ٢٤٩ وص ١٩٥ وص ٣٣٧، القسم الخامس، الشخصية رقم ٤ ص ٣٣.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ص ١٩٤، ١٩٥ وتلقين أصول العقيدة للعامة ص ٣٧٣.

ويقول الشيخ فى كلامه على قصة آدم وإبليس : «وفى القصة فوائد عظيمة ، وعبر لمن اعتبر بها ، منها أن خلق آدم من تراب من أبين الأدلة على المعاد ، كما استدل عليه سبحانه فى غير موضع وعلى قدرته سبحانه وعظمته ورحمته وعقوبته وانعامه وكرمه وغير ذلك من صفاته التى تدل على البعث(١).

وفى قول الله تعالى : ﴿ **وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها** ﴾ الآية . (الكهف : ٢١) .

قال الشيخ فيها أن الإعثار عليهم لحكمة ومعرفة المؤمن إذا أعثر عليهم .

﴿ **أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها** ﴾ كما رد الله موسى إلى أمه لتعلم أن وعد الله حق ، فتأمل هذا العلم ما هو؟

وقوله : ﴿ **وأن الساعة لا ريب فيها** ﴾ أى لما وقع بينهم النزاع ، وذلك أن بعض الناس زعم أن البعث للأرواح خاصة ، فأعثر عليهم ليكون دليلا على بعث الأجساد(٢) .

ومن قصة موسى والخضر عليهما السلام يستنبط مسائل فى الأصول منها : الدليل على اليوم الآخر ، لأن من أعظم الأدلة إحياء الموتى فى دار الدنيا(٣) .

ومن دليل المعاد المبدأ كما قال تعالى : ﴿ **كما بدأكم تعودون** ﴾ (الأعراف : ٢٩) .

قال الشيخ فيه ذكر المعاد والاستدلال عليه بالمبدأ(٤) ، أى لابد أن يخلقكم للبعث كما بدأ خلقكم من نطفة(٥) .

ومن الإيمان باليوم يؤمن الشيخ بما أخبر به النبى ﷺ مما يكون بعد الموت ، فيؤمن بفتنة القبر ، وبعذاب القبر ونعيمه . وباعادة الأرواح إلى الأجساد وحالتها فى البرزخ وحالة الأموات ونحو ذلك .

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٨٤ .
(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٢٥٣ .
(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٧٨ .
(٥) المصدر السابق ص ١٠٠ .

فأمـا الفتنـة : فالنـاس يفتنون فى قبورهـم فيقال للرجل : من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

يقـول الشيـخ : «فمن لم يعـرف ربـه ، بمعنى معبوده ، ودينه ، ورسوله ، الذى أرسله الله إليـه بدلائله فى الـدنيـا ولم يعمـل به سئل عنه فى القبر ، فلم يعرفه ، ومن لم يعـرفـه فى القـبر ضربتـه المـلائكة بمرزبة من حديد لو اجتمع عليها الجن والإنس ما اطـاقـوا حملهـا ، ومن عرفه بدليله وعمل به فى الدنيا ومات عليه سئل فى القبر فيجيب بالحق ، فانه ذكر فى الحديث «ان العبد المؤمن أو الموقن إذا وضع فى قبره سألته الملائكة عن ربـه وعن دينـه ، وعن نبيـه ، فيقـول ربى الله ودينى الإسلام ونبيي محمد ، جاءنا بالبينـات والهـدى فأجبنـا وصـدقنا واتبعنا ، فيقال له نم صالحا قد علمنا أنك مؤمن ، وأعظم البينات الذى جاء به الرسول كتاب الله كما قال تعالى : ﴿ **وإن كنتم فى ريب مما نزلنـا على عبـدنـا فأتـوا بسـورة من مثله وادعـوا شهـداءكم من دون الله إن كنتم صادقـين** ﴾ وأمـا المنـافق والمرتـاب إذا سئل عن ذلك يقول هاه هاه لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فتعذبه الملائكة[1] .

وقد ألف الشيخ كتاب أحكام تمنى الموت جمع فيه أحاديث عن رسول الله ﷺ وآثاراً عن السلف الصالح تتناول أمورا تتعلق بالموت والقبر وحالة الأرواح المقبوضة فى البرزخ ويعتبر هذا المؤلف موسوعة فى ما ورد في هذه الأمور وقد استغرق ٧٨ صفحة[2] .

ويؤمن الشيخ بالحسـاب ، وأن الحساب متوقف على الرسالة ، وأنه عام حتى المرسلين كما قال تعالى : ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ، فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين** ﴾ (الأعراف : ٦ ، ٧) .

قال الشيخ : وفى ذلك أن الله يقص عليهم ما فعلوا بعلمه وأنه شهيد على الجزئيات .

كما يؤمن الشيـخ : بالميـزان وأنـه الحق وأن له كفتين . وأن الفلاح بسبب ثقله ،

---

(١) الـدرر السنيـة جـ ٢ ص ٤٢ وجـ ١ ص ٩٧ ، ومؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ١٨٣ ، والقسم الثالث ، الفتاوى ، مسألة رقم ١٦ ص ٧٨ . وانظر : شرح الطحاوية ص ٤٤٩ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الثانى ، الفقه ، المجلد الثانى ، آخره .

والخسارة بسبب خفته، وأن سبب الخفة الظلم بآيات الله تعالى - كما قال تعالى: ﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ (الأعراف: ٨، ٩).

ويؤمن بالحوض المورود(١).

والناس يرون أعمالهم كلها يوم القيامة بدليل قوله تعالى: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾.

وقد أشار الشيخ إلى أن هذه الآية: «الآية الجامعة الفاذة» ويقرر الشيخ أن الجزاء من جنس العمل(٢).

وأن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها(٣).

ومن مشاهد القيامة - في قوله تعالى: ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب ، وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ﴾ (الزمر: ٦٨-٧٠).

يقول الشيخ فيها: صعق أهل السموات والأرض إلا من استثنى الله وفيها النفخة الثانية فإذا هم قيام ينظرون، ويلاحظ إذا الفجائية وفيها إتيان الرب سبحانه واشراق الأرض بنوره واضافة الأرض إليه ووضع الكتاب والاتيان بالنبيين والشهداء، والقضاء بينهم بالحق وتوفية كل نفس عملها وبيان أنه لا يقع فى الخصومات شيء مما يقع فى الدنيا لكونه سبحانه وتعالى أعلم(٤).

وفى شأن الجنة والنار يؤمن الشيخ بهما، وأنهما موجودتان الآن وأن للإيمان بهما فضلاً عظيما.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٧٠-٧١، وص ٣٧٨. ومؤلفات الشيخ، القسم الاول، كتاب التوحيد ص ١٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٩٧، وص ٣٧٧.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد ص ١٧.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٣٤٠، ٣٤١.

وأن الدور ثلاث ، فدار أخلصت للطيب ، ودار أخصلت للخبيث ، ودار امتزج فيها الخبيث بالطيب، وهى هذه الدار الدنيا ، فإذا كان يوم المعاد ميز الله الخبيث من الطيب فجعل الطيب بحذافيره فى الجنة ، وجعل الخبيث بحذافيره فى النار، فعاد الأمر إلى دارين فقط[1].

وفى قوله تعالى : ﴿ **وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ، حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها** ﴾ الآيات (الزمر: ٧١ـ٧٥).

قال الشيخ فيها : سياقه الكفار، وكونهم زمرا وفتح أبوابها وقت مجيئهم وتقريع الخزنة لهم وكون كل رسول يتلو الآيات وينذر بذلك اليوم ، وكون الرسالة عمت واعترافهم ، وأن الذى منعهم كون كلمة العذاب حقت على من كفر، وقول الخزنة ادخلوها خالدين ، وبيان أن التكبر سبب الكفر، وفيها سوق أهل الجنة وكونهم زمرا ، وفتح الأبواب لهم وتسليم الملائكة وقولهم طبتم فادخلوها خالدين ، وقولهم الحمد لله . الخ ، حمدوه على صدق الوعد وعلى أنه أورثهم الأرض يتبوؤ ن منها حيث شاءوا واثبات دخولها بالعمل وأنها أجر العاملين ورؤ ية الملائكة حافين من حول العرش ، والقضاء بالحق وقول الخلائق كلهم : (الحمد لله رب العالمين)[2].

ـ وبالجملة ـ فان الشيخ : يؤمن بكل ما أخبر النبى ﷺ به مما يكون بعد الموت ، فيؤ من بفتنة القبر ونعيمه ، وباعادة الأرواح إلى الأجساد فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا تدنو منهم الشمس ، وتنصب الموازين ، وتوزن بها أعمال العباد فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون وتنشر الدواوين فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله .

ويؤ من بحوض نبينا محمد ﷺ بعرصة القيامة ، ماؤ ه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا .

ويؤمن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم .

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، التوحيد ص ١٤ وص ٣٧ ، وص ـ ص ١٨ـ١٩ وص ١٤٤ . ومؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١ ص ١٠ . والقسم الرابع ، التفسير ص ١٨٩ وص ٣٢٩ وص ٣٧٦ـ٣٧٧ ، ٣٨٠ ومختصر زاد المعاد ص ١١ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ص ٢٤١ـ٢٤٣ وص ١١٧ وص ١١٩ وص ١٨٣ وص ١٩٠ .

ويؤمن بشفاعة النبى ﷺ وأنه أول شافع وأول مشفع .

ويؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنهما اليوم موجودتان وأنهما لا يفنيان .

وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته[1] .

الإيمان بالقدر :

يقول الشيخ : وأومن بأن الله فعال لما يريد ، ولا يكون شىء إلا بارادته ولا يخرج شىء عن مشيئته ، وليس شىء فى العالم يخرج عن تقديره ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ، ولا يتجاوز ما خط له فى اللوح المسطور[2] . والصبر على أقدار الله من الإيمان بالله لقوله تعالى : ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم** ﴾ .

قال علقمة : «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله : فيرضى ويسلم»[3] .

ويذكر الشيخ كيفية الإيمان بالقدر وهى أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك .

وأن الإيمان بذلك فرض ، ولا يجد أحد طعم الإيمان ولن يبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ومن لم يؤمن به أحرقه الله بالنار ، ولو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ، ثم أنفقه فى سبيل الله ما قبل الله منه ، حتى يؤمن بالقدر بدليل قول النبى ﷺ : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» . وأن رسول الله ﷺ تبرأ ممن لم يؤمن به .

أخذا من حديث عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : «يابنى ، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ،

---

(١) الدرر السنية ، ط ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٩ . مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١ ص ص ٩ ، ١٠ . والقسم الثالث ، الفتاوى ص ٤٤ . والقسم الرابع ، التفسير ، القصص ص ٣١٣ . والقسم الأول ، العقيدة ، مسائل الجاهلية ص ٣٥١ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية ص ٩ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، كتاب التوحيد ص ص ٩٦-٩٧ ، وقول علقمه فى صحيح البخارى جـ ٦ ص ٦٧ .

سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب - فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة - يابني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات على غير هذا فليس مني»[1].

وفي كتاب أصول الإيمان للشيخ بعد أن ذكر باب الإيمان بالله ومعرفته أردفه مباشرة بباب الإيمان بالقدر قبل ذكر الملائكة والرسل والكتب مما يشير إلى أن القدر من شأن الله تعالى ومن صفته، ولأن الإيمان بالقدر من حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى[2].

يذكر الشيخ في كتاب الإيمان أدلة القدر من القرآن الكريم، مثل قول الله تعالى: ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ (الأنبياء: ١٠١).

وقوله تعالى: ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ (الأحزاب: ٣٨).

وقوله تعالى: ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ (الصافات: ٩٦).

وقوله تعالى: ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ (القمر: ٤٩).

ويذكر أدلته أيضا من السنة المطهرة مثل قوله: في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء».

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة» قالوا: يارسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، قال: إعملوا فكل ميسر لما خلق له - أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ﴾ (الليل: ٦) - متفق عليه[3].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد باب ما جاء في منكري القدر ص ص ١٣٥-١٣٧. وأصول الإيمان، باب الإيمان بالقدر ص ٢٤٧. والقسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٣٠٦. والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢ ص ١٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٤٧.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٤٣.

ومثل حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق علبه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» متفق عليه.

ومثل حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شىء بقدر حتى العجز والكيس» رواه مسلم(١).

وعن قتادة فى قوله تعالى: ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴾ (القدر: ٤) ـ قال: يقضى فيها ما يكون فى السنة إلى مثلها، رواه عبد الرزاق وابن جرير وقد روى معنى ذلك عن ابن عباس والحسن وأبى عبد الرحمن السلمى وسعيد بن جبير ومقاتل(٢).

وفيما يروى عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى: ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ قال: يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء ـ رواه عبد الرزاق وابن المنذر والطبرانى والحاكم(٣).

ثم نقل الشيخ كلام ابن القيم لما ذكر هذه الأحاديث وما فى معناها ومحصله: أن الأدلة دلت على تقدير يومى، وتقدير حولى، وتقدير عمرى عند تعلق الروح وعند أول تخليقه وتقدير سابق على وجوده لكن بعد خلق السموات والأرض، وتقدير سابق على خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكل واحدة من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق.

وينقل الشيخ تفصيلا لقدر الله السابق فيقول ما حاصله: وتقدير الله السابق هو ثبوت الشىء فى العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه فى الخارج، بل العالم يعلم

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ص ٢٤٤ـ٢٤٥.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٤٥.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٤٦.

الشيء ويكتبه ويتكلم به وليس لذاته فى الخارج وجود، وهذا العلم والكتاب هو الذى ينكره القدرية الذين كفرهم الأئمة، حين ناظروهم بالعلم فجحدوه أما من أقر به فقد خصم، وقد بينه الكتاب والسنة وأجاب النبى ﷺ عن السؤال الوارد عليه وهو: ـ أنترك العمل لأجله؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له[1].

وسيأتى مزيد بيان لموضوع القدر من الله تعالى فى فصل التوحيد الجانب العلمى إن شاء الله تعالى.

من مباحث الإيمان:

ويعتقد الشيخ أن حقيقة الإيمان هي التصديق وأنه قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان كما قال الحسن البصرى: «ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى، ولكن ما وقر فى القلوب وصدقته الأعمال»[2] وأن الأعمال من الإيمان[3].

والإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[4].

ويقول الشيخ إن الله سبحانه قد أمرنا أن نقول آمنا كما قال تعالى: ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ﴾ (البقرة: ١٣٦).

قال الشيخ. وليس هذا من اظهار العمل الذى اخفاؤه أفضل، وفى ذلك الإيمان بجميع المنزل وعدم التفريق بين الرسل والتصريح بالإسلام والتصريح باخلاص ذلك لله، وليس هذا من الثناء على النفس بل من بيان الدين الذى أنت

---

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٢٩ ص ٢٥.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣٥. وانظر: اقتضاء العلم العمل للبغدادى ضمن رسائل أربع مجموعة بتحقيق الألبانى ص ١٧٧، والفتاوى مسألة ١١ ص ٥١ من القسم الثالث، من مؤلفات الشيخ.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، النحل ص ٢٢٦، والحجرات ص ٣٥٣.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١١ ورقم ١٤ ص ص ٩٦-٩٧ ورقم ١٨ ص ١٢٢ وملحق المصنفات ص ١١، وص ص ٧٠-٧١ وص ص ١٣٩-١٤٠. ومؤلفات الشيخ، القسم الرابع، القصص ص ٢٨٣ ومختصر زاد المعاد ص ٢٥٦، القسم الثالث، الفتاوى مسألة ١١ ص ٥١ والمسألة الخامسة عشرة ص ص ٧٣، ٧٤.

عليه، ولهذا قال بعض السلف ينبغى لكل أحد أن يعلم هذه الآية أهل بيته وخدمه[1].

وأن قول الله تعالى: ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ﴾ (البقرة: ١٣٧). بعد قوله تعالى: ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ﴾ الآية (البقرة: ١٣٦). فيه التصريح أن الإيمان هو العمل[2].

وأجاب الشيخ عن سؤال حول أبيات تضمنت خمس مسائل من مسائل العقيدة التى يسمونها أصول الدين هي: ما هو أول واجب؟ وهل يكتفي فى مسائل الأصول بالتقليد أو غلبة الظن أو لابد من اليقين؟ وهل يشترط فى الواجب النطق بالشهادتين أو يصير مسلما بالمعرفة؟ وهل الإيمان قول باللسان من غير عقيدة القلب؟ ـ وهل الأعمال من الإيمان يزيد وينقص بها؟ وفيما يلى السؤال والجواب:

سئل الشيخ عن معنى هذه الأبيات:

أول واجب على الإنسان ... معرفة الإله باستيقان؟

فأجاب: تمام الكلام يعين على فهم معناه.

أول واجب على الإنسان ... معرفة الإله باستيقان

والنطق بالشهادتين اعتبرا ... لصحة الإيمان ممن قدرا

ان صدق القلب وبالأعمال ... يكون ذا نقص وذا إكمال

فذكر فى هذا الكلام خمس مسائل من مسائل العقائد التى يسمونها أصول الدين:

الأولى: اختلف فى أول واجب فقيل النظر وقيل القصد إلى النظر وقيل المعرفة.

الثانية: هل يكتفى فى مسائل الأصول بالتقليد أو غلبة الظن أو لابد من اليقين فذكر أن الواجب فى معرفة الله هو اليقين.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٩.

الثالثة : هل يشترط فى الواجب النطق بالشهادتين أويصير مسلما بالمعرفة فذكر أنـه لا يصـير مسلما إلا بالنطق للقـادر عليه والمخالـف فى ذلك جهم من تبعه وقد أفتى الإمام أحمد وغيره من السلف بكفر من قال انه يصير مسلما بالمعرفة . وتفرع على هذه مسائل (منها) من دعى إلى الصلاة فأبى مع الاقرار بوجوبها هل يقتل كفرا أو حدا .

الـرابعـة : ان ابن كرام وأتبـاعه يقولون إن الإيمان قول باللسان من غير عقيدة القلب مع أنهم يوافقون أهل السنة انه مخلد فى النار فذكر انه لابد مع النطق بتصديق القلب .

الخامسة : المسألة المشهورة هل الأعمال من الإيمان ويزيد وينقص بها أم ليست من الإيمان والمخالف فى ذلك أبوحنيفة ومن تبعه الذين يسمون مرجئة الفقهاء فرجح الناظم مذهب السلف أن الأعمال من الإيمان وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

إذا ثبت هذا فكـل هذه المسـائـل واضحة إلا المسألة الأولى المسئول عنها وهى معـرفـة الإلـه ما هى؟ فينبغى التفطن لهذه فانهـا أصل الدين وهى الفارقة بين المسلم والكـافـر وبيـان ذلـك أنـه ليس المراد معرفة الإله الإجمالية يعنى معرفة الإنسان أن له خالقـا فإنهـا ضروريـة فطرية بل معرفة الإله ـ هل هذا مختص بالله لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل؟ أولغيره قسط منه؟

فأما المسلمون أتباع الأنبياء، فإجماعهم على أنه مختص كما قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنـا من قبلك من رسـول إلا نوحى أنـه لا إلـه إلا أنا فاعبدون** ﴾ (الأنبياء : ٢٥) والكافرون يزعمون أنه هو الإله الأكبر ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده وهذا باطل(١) .

وفى تفاوت الإيمان ومراتبه وعلو إيمان بعض المؤمنين على بعض ـ يقول الشيخ فى جوابه عن سؤال استفتى به :

وأمـا قولـه : ﴿ **رب أرنى كيف تحيي المـوتى** ﴾ فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيمان ومراتبه، حتى الأنبياء: فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمنا، فاذا كان محتاجاً إلى الأدلـة التى توجب الطمأنينـة فكيف بغـيره؟ ولـذلـك قال رسـول الله ﷺ فى الصحيح «نحن أحق بالشك من إبراهيم» .

---

(١) الدرر السنية، جـ ١ ص ص ٦٩، ٧٠.

وأمـا قولـه فى كلام البقـرة والـذيب «آمنت به أنـا وأبو بكر وعمر» وليسا فى ذلك المكـان، فكـان هذا من الإيـمان بالغيب المخالف للمشـاهـدة، وذلـك أن النـاس يشـاهـدون البهـائم لا تتكلم فلما أخبر النبى ﷺ أن هذا جرى فيما مضى تعجبوا من ذلـك مع إيـمانهم فقـال: «آمنت به أنـا وأبـو بكر وعمر» فلما ذكرهما لهذا المقام العظيم الذى طلب إبراهيم فى مثله العيان ليطئمن قلبه مع كونهما ليسا فى المجلس دل ذلك، على أن إيمانهما أعلى من إيمان غيرهما خصوصا لما قرنهما بإيمانه ﷺ[1].

ويعتقد الشيخ أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها[2]، للحديث الـذى رواه البخـارى ومسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ـ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار».

وفى روايـة: «لا يجد أحـد حلاوة الإيـمان حتى» إلى آخـره. وعن ابن عبـاس رضـى الله عنهـما قال: «من أحب فى الله، وأبغض فى الله ووالى فى الله، وعـادى فى الله، فانما تنال ولاية الله بذلك. ولن يجد عبد طعم الإيمان وان كثرت صلاته وصومه حتى يكـون كذلـك وقـد صارت عامـة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدى على أهله شيئـا» رواه ابن جريـر ـ وقـال ابن عبـاس فى قوله تعالى: ﴿ **وتقطعت بهم الأسباب** ﴾ (البقرة: ١٦٦) قال: المودة.

قال الشيـخ فيـه أعـمال القلب الأربع التى لا تنال ولاية الله إلا بها ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها[3].

ويفسـر الإيـمان والتقـوى فى قولـه تعـالى: ﴿ **للذين آمنوا وكـانـوا يتقـون** ﴾ (يوسف: ٥٧). فيقول: الإيمان يدخل فيه الدين كله، وأيضا يدخل كله فى التقوى، وأمـا إذا فرق بينهـما كما هنـا فالإيـمان الأمـور البـاطنة، والتقوى الأمور الظاهرة. وإذا قلت: الإيـمان فعـل الـواجبـات والتقـوى ترك المحرمات فقد أصبت[4]، ثم يذكر أن

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ١٥ ص ص ٧٣، ٧٤.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ٨٩.
(٣) المصدر السابق ص ص ٨٨، ٨٩.
(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ١٥٨، ص ١٧٢.

تفسير التقوى جاء فى قوله تعالى : ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾ (الزمر: ٣٣) . وأن هذا أحسن ما فسرت به ، فالمتقى يأتى بالصدق إن كان مخبرا ، ويصدق بالصدق إن كان سامعا ، وهذا هو الاحسان كما تبين بالآية بعده : ﴿ لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ﴾ (الزمر: ٣٤)(١).

وفى قوله تعالى : ﴿ إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ (يوسف: ٩٠) . الجمع بين التقوى والإيمان ومعرفة الفرق بينهما، وأن من جمع بينهما فهو من المحسنين لقوله تعالى: ﴿ إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾(٢) (يوسف: ٩٠).

ويعتقد أن الإيمان بجميع شعبه حق ، وما ناقضه باطل ، فمن آمن الإيمان كله ، ولم يلبس إيمانه بشرك كان من أهل الأمن فى الآخرة والاهتداء فى الدنيا لقوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهمَ الأمن وهم مهتدون ﴾ (الأنعام: ٨٢)(٣).

ويدخل الإسلام فى الإيمان ، فاذا أفرد كقوله فى الجنة : ﴿ أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ﴾ (الحديد: ٢١) ـ فيدخل فيه الإسلام ، وإذا ذكر الإسلام والإيمان كقوله : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾ (الأحزاب: ٣٥) ـ فالإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان فى القلب.

والإيمان أعلى من الإسلام ، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام ، ولا يخرجه من الإسلام إلى الكفر فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام الذى ينفعه وان كان ناقصا كما فى آية الحجرات : ﴿ وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ﴾ (الحجرات: ١٤).

وحقيقة الأمر أن الإيمان يستلزم الإسلام قطعا، وأما الإسلام فقد يستلزم الإيمان وقد لا يستلزمه(٤).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ٣٢٩.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ١٥٨، وص ١٧٢.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٢ وص ٢١٣-٢١٤ وص ص ٣٤٢، ٣٥١.
(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى، المسألة رقم ١٣ ص ص ٥٦، ٥٧.

ويعتقد الشيخ أن الإيمان بجميع شعبه وأركانه مرتبة عالية من مراتب دين الإسلام[1].

ودين الإسلام وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين[2]. وإذا لاح واتضح لم يضره كثرة المخالف ولا قلة الموافق[3].

وأن الإيمان يزيد بالطاعة والأعمال الصالحة وينقص بالمعصية، وهو يتجزأ ولا يلزم إذا ذهب بعضه أن يذهب كله. ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان.

قال الشيخ فيما لخصه عن شيخ الإسلام ابن تيمية: تواترات الأحاديث بخروج من قال: لا إله إلا الله من النار إذا كان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة أو خردلة أو ذرة، وكثير منهم أو أكثرهم يدخلها، وتواترت أنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله، لكن جاءت مقيدة بالاخلاص، واليقين، ويموت عليها، فكلها مقيدة بهذه القيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت، وغالبهم إنما يقولها تقليداً أو عادة، وغالب ما يفتن عند الموت أو فى القبر أمثال هؤلاء، كما فى الحديث سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد أو اقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله: ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة** ﴾ الآية (الزخرف: ٢٢) - فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين ومات عليها امتنع أن ترجع سيئاته، فإن كان قالها على الكمال المانع من الشرك الأصغر والأكبر فهو غير مصر على ذنب، وان كان على وجه خلص به من الأكبر ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنة لا يقاومها شىء من السيئات فترجح بها الحسنات كما فى حديث البطاقة وهذا خلاف من رجحت سيئاته، لأنه معه الشرك الأصغر وأتى بعد ذلك بسيئات تنضم إلى ذلك الشرك فترجح سيئاته، فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف قول لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاص فى القلب، فيصير المتكلم بها كالهاذى، أو النائم أو من يحسن صوته بآية من القرآن من غير ذوق طعم ولا حلاوة فالذى قالها بيقين وصدق تام إما ألا

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٩١.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص ١٦٩.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ص ٨٨، ٨٩.

يكـون مصـرا على سيئـة أويكـون توحيـده المتضمن لصـدقـه ويقينه رجّح حسناته ، والذين دخلوا النار فاتهم أحد الشرطين[1] .

ويرى أن قلب الإنسان يجتمع فيه الضدان ، المعرفة والانكار، والعلم والجهل ، والإيمان والكفر، والحكم للغالب منهما[2] .

فقـد يكـون فى الـرجل مادتان ، فأيهما غلبت عليه كان من أهلها ، فان أراد الله بعبـده خيرا طهـره قبـل المـوافاة فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار. وحكمته تعالى تأبى أن يجاوره العبد فى داره بخبائثه ، فيدخل النار طهرة له واقامة هذا النوع فيها على حسب سرعة زوال الخبائث وبطئها ولما كان المشرك خبيث الذات لم تطهره النار، كالكلب إذا دخـل البحـر. ولـما كان المؤمن الطيب بريئـا من الخبـائث ، كانت النار حراما عليه إذ ليس فيه ما يقتضى تطهيره ، فسبحان من بهرت حكمته العقول[3] .

ويفـرق بين الكفـر الأكـبر المخـرج من الملة والكفر الذى هو دونه ولا يخرج من الملة وكذلك الشرك ويقول : كيف تعجبون من كلامى فى رجل من المتأخرين غلط فى قوله يا أكرم الخلق ، ولا تفطنون لمثل قول أنس بن مالك فى أهل زمانه : ما أعرف فيهم شيئـا مما أدركت إلا هذه الصـلاة وهـذه الصـلاة قد ضيعت . هل تظنـون هذا المتأخر خيراً وأعلم من أولئك؟ ولكن هذه الأمور لا علم لكم بها وتظنون أن من وصف شركا أو كفرا أنه الكفر الأكبر المخرج عن الملة[4] .

ويعتقد الشيخ أنه : لابد من استدامة حال الإيمان حتى يموت عليه كما قال الله تعالى : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾[5] (الحجر: آخرها) .

فإن الأعـمال بالخـواتيم[6] ، والعبرة بكمال النهاية لا نقص البداية[7] ونسأل الله حسن الختام .

---

(١) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة ، ص ص ٧٠-٧١ .

(٢) مؤلفـات الشيـخ ، القسم الأول ، العقيـدة ، كتـاب التـوحيد ص ١٠٨ والقسم الخامس ، الشخصية رقم ١٨ ص ١٢٢ والقسم الرابع ، البقرة ص ٢٤ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ١٢ .

(٤) مؤلفـات الشيـخ ، القسم الخـامس ، الشخصية رقم ١١ ص ٦٦ وص ٧١ والقسم الثالث الفتاوى ، المسألة ١٣ ، ص ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الأعراف ص ٤٩ والحجر ص ١٩٧ ، والزمر ص ٣٢٢ .

(٦) المصدر السابق ، القسم الأول ، كتاب التوحيد ص ٥٥ .

(٧) المصدر السابق ، القسم الرابع ، التفسير ، العلق ص ٣٧٠ .

هذا ومن خلال ما مر بنا فى هذا الفصل عن مجمل عقيدة الشيخ السلفية تبين لنا أنها الإيمان بأركان الإيمان الستة، وهذا هو الإيمان الشرعى ونظرا لأهمية الإيمان بالله تعالى، بأنه الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له سنتاول ذلك بشىء من التفصيل لأن ذلك أصل الأصول، وقد آن لنا أن ننتقل إلى التعرف على عقيدة الشيخ فى توحيد الله من مقاميه مقام الخبر، ومقام الطلب، وإلى ذلك فى الفصل التالى.



الفصل الثالث
عقيدة الشيخ في التوحيد

حيث أن الكلام فى التوحيد يكون من مقامين، مقام الخبر، وهو الذى يترتب عليه توحيد المعرفة والإثبات، أى التوحيد العلمى.

ومقام الطلب وهو الذى يترتب عليه توحيد القصد والإرادة، أى التوحيد العملى.

والعلم قبل العمل وهو إمامه وقائده، وبقدر نفع العلم يكون صلاح العمل كما قال تعالى: ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ، والله يعلم متقلبكم ومثواكم** ﴾ (محمد: ١٩).

وقال الشيخ: قال البخارى رحمه الله تعالى: باب العلم قبل القول والعمل واستدل بهذه الآية، ثم قال الشيخ: فبدأ بالعلم قبل القول والعمل[١]

ولذا فقد بدأنا هذا الفصل بالجانب الخبرى العلمى من جانبى التوحيد، وهذا الجانب العلمى هو توحيد المعرفة والاثبات، وهو من باب الخبر الدائر بين النفى والاثبات، والصدق والكذب، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[٢].

توحيد المعرفة والاثبات :

يعتقد الشيخ فى هذا الباب أن توحيد الله تعالى هو المبنى على اعتقاد أن الله واحد فى ملكه وأفعاله لا شريك له وهذا هو توحيد الربوبية وواحد فى ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له[٣] ـ وهذا هو توحيد الأسماء والصفات.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٥ ـ وانظر: صحيح البخارى جـ ١ ص٢٥. وانظر: ص١٧١ من هذا البحث.

(٢) انظر: أول التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) ابطال التنديد، للشيخ حمد بن عتيق ص ٦.

وتـوحيـد الـربـوبيـة والأسماء والصفات كلاهما من باب واحد هو توحيد المعرفة والاثبات وهو التوحيد العلمي الخبري . وهذا التوحيد هو الأصل ولا يغلط فى الالهية إلا من لم يعطه حقه(١).

وهو الشهادة بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا هو.

وهذا حق(٢)، وهو الذى أقر به الكفار ـ كما قال تعالى : ﴿ **قـل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون** ﴾ (يونس: ٣١).

ولكنهم كفـروا حيث لم يعبـدوا الله وحده كما هو مقتضى شهادتهم بالربوبية كما قال تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار** ﴾ (الزمر: ٣٠).

وتـوحيـد الـربـوبيـة ثابت مشهود لا يحتاج إلى دليل بل هو الدليل على توحيد الطلب كما انـزل الله فى محكم كتـابـه يحتج به على من كفر من خلقه ـ وتقدم ذكر قوله تعالى : ﴿**قـل من يرزقكم** ﴾ الآية.

أمـا توحيـد الأسمـاء والصفات فيقول الشيخ : وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالأقرار بالصفات، والكفار أعقل ممن أنكر الصفـات(٣). ذلـك أن الكفار يزعمون أن الله هو الإله الأكبر، ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده فهم أثبتوا أن الله يتصف بأنه معبود لكن نازعوا فى توحيد العبادة فقالوا : ﴿ **أجعـل الآلهـة إلهـا واحدا إن هذا لشيء عجاب** ﴾ ولم يرضوا أن يقولوا هذه الكلمة لأنهم عرفـوا أنهـا تعنى توحيـد العبـادة، والمتكلمون أضلهم كلامهم عن معرفة الإله فقـالـوا إنـه القادر على الاختراع وأن الألوهية هى القدرة فإذا أقررنا بذلك فهو معنى قولـه لا إلـه إلا الله، ثم استحـوذ عليهم الشيطان فظنوا أن التوحيد لا يتأتى إلا بنفي الصفـات فنفـوهـا وسمـوا من أثبتهـا مجسـما ورد عليهم أهل السنة بأدلة كثيرة منها أن التـوحيـد لا يتم إلا بإثبـات الصفـات وأن معنى الإلـه هو المعبود فاذا كان هو سبحانه

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٨ ص ١٢١.

(٢) المرجع السابق رقم ٢١ ص ١٤٥.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى، رقم ٧ ص ٤٢.

متفردا به عن جميع المخلوقات وكان هذا وصفا صحيحا لم يكذب الواصف به فهذا يدل على الصفات فيدل على العلم العظيم والقدرة العظيمة وهاتان الصفتان أصل جميع الصفات(١).

«فمن أنكر الصفات فهو معطل والمعطل شر من المشرك ولهذا كان السلف يسمون التصانيف فى إثبات الصفات كتب التوحيد وختم البخارى صحيحه بذلك قال كتاب التوحيد ثم ذكر الصفات بابا بابا. فنكتة المسألة أن المتكلمين يقولون التوحيد لا يتم إلا بإنكار الصفات فقال أهل السنة لا يتم التوحيد إلا باثبات الصفات وتوحيدكم هو التعطيل ولهذا آل القول ببعضهم إلى إنكار الرب تبارك وتعالى»(٢).

ومن المعلوم لدى المسلمين أن الله تعالى أعلم بنفسه من غيره فاذا سمى نفسه ووصفها فذلك هو الفيصل فى المسألة، وكذلك رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ أعلم بالله الذى أرسله من غيره فيصار إلى ما بينه من أسماء الله وصفاته ولا يعدل عنه، هذا مع شهادة العقل الصريح لما ثبت بالنقل الصحيح عن الرسول ﷺ ، فان العقل الصريح هو الموافق للرسول ﷺ وهذا هو الميزان مع الكتاب(٣).

وبناء على ما قدمنا فان الشيخ يعتقد أن مما دل عليه القرآن الكريم من الأسماء الحسنى التى سمى الله بها نفسه فى كتابه وتعرف بها إلى خلقه ما يلى: هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور، إلى آخر ما ورد فى القرآن منها وله الأسماء الحسنى سبحانه وتعالى عما يشركون(٤).

وأن الله أمرنا بأن ندعوه بها ونترك من عارض من الجاهلين الملحدين - كما قال تعالى: ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه، سيجزون ما كانوا يعملون** ﴾ (الأعراف: ١٨٠).

---

(١) الدرر السنية ط ٢ جـ ١ ص ٧٠.

(٢) الدرر السنية ط ٢ جـ ١ ص ٧٠.

(٣) الدرر السنية ط ٢ جـ ٢ ص ٨.

(٤) انظر: الدرر السنية ط ٢ جـ ٣ ص ٢٢٠ - ومؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، مطالع الخطب يستفتحها بالأسماء الحسنى، ويختم بها.

والالحـاد فيهـا هو الاشـراك حيث سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز، وأدخلوا فيها ما ليس منها، كما ورد عن ابن عباس وعن الأعمش[1].

ومن بيان الله سبحانه وتعالى فى كتابه أن وصف نفسه فذكر من صفاته الألوهية والربوبية والملك فى أول سورة فى المصحف الفاتحة كما ذكرها فى آخر سورة فى المصحف ﴿ **قـل أعـوذ برب النـاس ملك النـاس إلـه النـاس** ﴾ فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعـالى ذكـرهـا مجمـوعة فى موضع واحد فى أول القرآن، ثم ذكرها مجموعة فى موضع واحـد فى آخـر ما يطـرق سمعـك من القـرآن، فينبغى لمن نصـح نفسه أن يعتنى بهذا المـوضـع ويبـذل جهـده فى البحث عنه، ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما فى أول القرآن ثم فى آخره إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفة الله بها وأنه إلههم الذى لا إله إلا هو، وربهم الذى لا رب سواه، وأنه ملكهم المتصرف فيهم وهم عبيده المدبر لهم كما يشاء، الذى له القدرة والسلطان يخفض ويرفع ويصل ويقطع ويعطى ويمنع لا شريـك له ولا لهم ملك من دونـه يهربـون إليه إذا دهمهم أمره ولكن إليه المصير فهو ﴿ **ملك الناس** ﴾[2].

وفى سورة الفاتحة معرفة الله على التمام ونفى النقائص عنه تبارك وتعالى. وفيها معـرفـة الإنسـان ربه ومعرفة نفسه، فإنه إذا كان هنا رب فلابد من مربوب، واذا كان هنا راحم فلابد من مرحوم، واذا كان هنا مالك فلابد من مملوك، واذا كان عبد فلابد من معبـود، واذا كان هنـا هاد فلابـد من مهـدى، واذا كان هنـا منعم فلابد من منعم عليـه، واذا كان هنـا مغضـوب عليه فلابد من غاضب، واذا كان هنا ضال فلابد من مضل - فهذه السورة تضمنت الألوهية والربوبية ونفى النقائص عن الله عز وجل[3].

وفى مقارنة يعقدها الشيخ بين أول سورتى اقرأ والمدثر فيقول:

فى أول سورة اقـرأ: معـرفتـك بنفسـك وبـربـك ـ وأول المـدثر: فيه العمل المختص والمتعدى.

---

(١) المرجع السابق باب قول الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ ص ١٢٤ والقسم الخامس، الشخصية رقم ٣٣ ص ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) مؤلفـات الشيـخ، القسم الـرابـع، التفسـير، ص ـ ص ١١ـ١٥، ص ٣٨٧، مختصـر زاد المعـاد ص ٣٠٦ وملحق المصنفات الخطب المنبرية، ص ٥٨ـ٦٠.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، الرسالة الثامنة ص ٣٨٤.

وفي أول سورة اقرأ : الربوبية العامة ــ وأول المدثر : الربوبية الخاصة .

وفي أول اقرأ : فضل الله عليك ــ وأول المدثر : حقه عليك .

وفي أول اقرأ : ذكر بدء الخلق ــ وأول المدثر : ذكر الحكمة فيه .

وفي أول اقرأ : فيه أصل الأسماء والصفات وهي العلم والقدرة ــ وأول المدثر فيه أصل الأمر والنهي وهو الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك[1] .

وفي سورة هود ذكر الله في صدرها من العلوم علم معرفة الله بأنه حكيم خبير وأنه قدير، ثم ذكر الله شيئا من تفصيل العلم بأنه يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وان ثنوا صدورهم ليستخفوا منه واستغشوا ثيابهم، وذكر شيئا من تفصيل القدرة في قوله ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ .

ومن معرفة الله ذكر خلق السموات والأرض في ستة أيام وكون عرشه على الماء. ومن بيان حكمته سبحانه قوله : ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملا** ﴾[2] .

ومن ذلك قوله ﷺ في حديث عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذه بخطامها فقال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» أخرجاه (يعني البخاري ومسلم) .

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ قال : «ان الله تبارك وتعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وان سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته» رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه .

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، مقارنة ص ص ٣٦٦، ٣٦٧ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ص ١١٥-١١٦ .

وغير ذلك من نصوص صفات الله تبارك وتعالى التى وردت فى السنة المطهرة وأورد الشيخ كثيرا منها فى مؤلفه أصول الإيمان ، ولم يضمنها بتفسير ولا استنتاج ، بل أورد النصوص معزوة إلى مصادرها وبوب واختار وقسم ، واكتفى بذلك لوضوحها فيمرها كما جاءت على ظاهرها من غير تحريف ولا تكييف ومن غير تعطيل ولا تمثيل[(١)] .

ويرى الشيخ أنه لابد فى معرفة الله وأسمائه وصفاته من الاثبات والنفى معا كما جاء في القرآن وعن سيد المرسلين ﷺ وعن المرسلين قبله عليهم الصلاة والسلام ، وهذا شأن أهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبته الرسل وينفون ما نفته الرسل فلا يتبعون الهوى والظن ولا يعرضون عما جاءت به الرسل بل يأخذون به ويعملون وبه يهدون ويعدلون[(٢)] .

ويرى الشيخ أن أسماء الله الحسنى دالة على صفاته وأنه يستدل بها على لازمها وهو عبادته كما قال تعالى : ﴿ **واتقوا الله إن الله سميع عليم** ﴾ (الحجرات : ١) .

ففى هذه الآية : أمر بتقوى الله وهى المسألة المطلوبة والقضية المستدعاة ثم استدل على هذه القضية بأن الله سميع عليم فهذا دليل من أسماء الله يقتضى تقواه .

وكما قال تعالى : ﴿ **واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾ (الحشر: ١٨) .

وكذا الاستدلال بالأسماء والصفات على الأفعال وتعليل الأفعال بها كقوله : ﴿ **لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم** ﴾ (الزمر: ٥٣) .

وفى قوله : ﴿ **حتى يأتى الله بأمره ، إن الله على كل شىء قدير** ﴾ (البقرة : ١٠٩) .

والاستدلال بالقدرة على ما يستشكل وما لا يظن وقوعه أيضا وتنزيه الله عن

---

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ص ٢٣٢-٢٤٢ ، والقسم الثالث، الفتاوى ص ٤٤ . والدرر السنية، ط ٢ ، جـ ٣ ص ص ٢٠٧، ٢٠٨ ، وص ١٨٥، ١٨٦ . ومؤلفات الشيخ ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٠ ص ص ١٣٠-١٣٥ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الأنعام ص ١٠٦ ، الأعراف ص ص ٧٧، ٧٨ ، والنحل ص ٢٠٩ ، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٩٣ ص ٨٢ ، والقسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية ص ٣٣٩ .

مضـاد الحكمـة فى جميـع أفعـاله كما قال تعالى : ﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق** ﴾[1] (الحجر: ٨٥) .

وإذا نظـرنـا إلى مطـالـع خطب الشيـخ يتضـح استـدلالـه بالأسـماء الحسنى والصفـات العليـة والأفعـال الحكيمـة لله تبـارك وتعالى على ما تدل عليه من المعانى الشريفة الكثيرة[2] .

مثـل قولـه : (الحمـد لله الكريم الذى أسبغ نعمه علينا باطنة وظاهرة ، الرحيم الـذى لم تزل ألطـافـه على عبـاده متوالية متظاهرة ، العزيز الذى خضعت لعزته رقاب الجبابرة ، والقوي المتين الذى أباد من كذب رسله من الأمم الطاغية الكافرة)[3] .

وقـولـه : (الحمـد لله اللطيف ، الذى بلطفه تنكشف الشدائد ، الرؤوف الذى برأفتـه تتـواصـل النعم والفـوائـد وبحسن الظن به تجرى الظنون على أحسن العوائد وبالتوكل عليه يندفع كيد كل كائد)[4] .

وقوله : (الحمد لله الكريم المنان ، العزيز ذى السلطان خلق الإنسان من تراب ثم قال له كن فكان يعطى ويمنع ، ويخفض ويرفع ، ويصل ويقطع ، ويشتت ويجمع . كل يوم هوفى شأن . يجيب المضطـر إذا دعـاه . ويغفـر للمسىء إذا تاب مما أتـاه ويجـبر المنكسـر إذا لاذ بحـماه ، ينـزل كل ليلة إلى سماء الـدنيـا حين يبقى ثلث الليـل الآخر فينـادى هل من سائـل فيعطى سؤلـه ، هل من تائب فيتـاب عليـه ، هل من مستغفر فيغفر له ما جناه)[5] وهكذا .

وليس استـدلالـه هذا مقصـورا على خطبـه بل هويستـدل بأسماء الله وصفاته وأفعاله وأحكامه فى عقيدته السلفية وعلومه النافعة وأعماله الاصلاحية كلها .

يقـول الشيـخ حمد بن ناصـر بن معمـر فى جوابه لما سئل عن عقيدة الشيخ : إن المعـانى المفهـومـة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات ، فيكون ردها من باب تحريف

---

(١) مؤلفـات الشيـخ ، القسم الـرابـع ، التفسـير ، الحجـرات ص ٣٥٠ والبقـرة ص ٢٧ ، والـزمـر ص ٣١٩، ٣٣٦ ، والحجر ص ١٩٥ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، الخطب المنبرية .

(٣) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، الخطب المنبرية ص ١٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٦ .

(٥) المرجع السابق .

الكلم عن مواضعه ، فلا يقال : هى ألفاظ لا تعقل معانيها ، ولا يعرف المراد منها فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى بل هى آيات بينات ، دالة على أشرف المعانى وأجلها ، قائمة حقائقها فى صدور الذين أوتوا العلم والإيمان اثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل ، كما قامت حقائق سائر صفات الكمال فى قلوبهم كذلك ، فكان الباب عندهم بابا واحدا قد اطمأنت به قلوبهم وسكنت إليه نفوسهم[1] .

فهو يثبت لله تعالى الأسماء الحسنى ، وصفات الكمال المطلق ، الذى لا يشاركه فيه مشارك ، وينزهه عن النقص والعيب والسوء والمسبة ، وينفي أن يكون له شبيه أو مثيل أو نظير ، وينفي خصائصه عما سواه ، كما ينفي عنه ما لا يجوز عليه ، ولا يلحد فى صفات الله ولا فى أسمائه بل يثبت ما أثبت الله لنفسه ، وأثبته له رسوله ﷺ ، وينفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ كما ورد فى القرآن والسنة ، ويرى أن الاقتصار على الوحى هو البصيرة فى الاعتقاد والعمل والنذارة[2] .

ويرى أن كل ما ورد فى القرآن والسنة من الأسماء والصفات كله حق ، وفى غاية الحسن والكمال . وأن اثبات ذلك كله توحيد وإيمان ، وأن جحد شيء منه هلاك كما ورد عن ابن عباس وعدم للايمان ، وأن احترام أسماء الله وصفاته وتغيير الاسم لأجل ذلك كما ورد عن أبى شريح وترك التحديث بها لا يفهم السامع حتى لا يفضى إلى تكذيب الله ورسوله ﷺ كل ذلك من تحقيق التوحيد .

أما الاستهزاء بشيء منها فهو كفر ونفاق كما قال تعالى : ﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ (التوبة : ٦٥) .

---

(١) الدرر السنية ، ط ٢ جـ ٣ ص ٢٠٨ .

(٢) انظر : مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١ ص ٨ ورقم ٢٠ ص ص ١٣٠-١٣٥ ورقم ٣٣ ص ص ٢٢٢-٢٢٣ والقسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، باب فضل التوحيد ص ١٤ ، وباب قول الله تعالى : ﴿حتى اذا فزع عن قلوبهم﴾ ص ٥٠ ، وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ص ٢٠ وباب قول الله تعالى : ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ ص ١٢٤ وباب لا يستشفع بالله على خلقه ص ١٤٥ ورسالة رقم ١ مسائل الجاهلية ص ٣٣٩، ٣٤٣ ورسالة رقم ٨ ص ٣٨٤ والقسم الرابع ، التفسير ، الأنعام ص ص ٥٦، ٥٧ ، الأعراف ص ٧٧، ٨٨ ، الحجر ص ١٩٥ والنحل ص ٢٠٩ والقصص ص ٢٩١ والزمر ص ٣١٨ والحجرات ص ٣٥٤ ، ومختصر زاد المعاد ص ٣٥، ٣٦ وملحق المصنفات ، مسائل ملخصة رقم ٩٣ ص ٨٢ ورقم ١٠٢، ١٠٣ ص ص ٩٥، ٩٦ ورقم ١٠٩ ص ١٠٤ ورقم ١١٦ ص ص ١١٩-١٢١ .

وكما ورد عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة أن سبب نزولها مقولة رجل في غزوة تبوك[1].

وأما الألفاظ التى لم يرد اثباتها ولا نفيها فى الكتاب والسنة كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة ونحو ذلك فهذه الألفاظ ـ يرى الشيخ ـ أنه لا يطلق اثباتها ولا نفيها وينقل الشيخ عن ابن تيمية قوله ولهذا لما سئل ابن سريج عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين قال: وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض فى الجواهر والأعراض وإنما بعث النبى ﷺ بإنكار ذلك، وكلام السلف والأئمة فى ذم الكلام وأهله مبسوط فى غير هذا الموضع والمقصود أن الأئمة كأحمد وغيره لما ذكر لهم أهل البدع الألفاظ المجملة كلفظ الجسم والجوهر والحيز لم يوافقوهم لا على اطلاق الاثبات ولا على اطلاق النفى.

فالصواب أن عقيدة أهل السنة هى السكوت عما سكت الله وسكت رسوله ﷺ عنه، من أثبت بدعوه ومن نفى بدعوه.

وينقل الشيخ كلام أبى الوفاء بن عقيل قال أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا ما عرفا الجوهر والعرض فإن رأيت أن طريقة أبى علي الجبائى وأبى هاشم خير لك من طريقة أبى بكر وعمر فبئس ما رأيت[2].

ويعتقد الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ فى باب توحيد المعرفة والاثبات بأن الله هو الإله الذى لا إله إلا هو رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، رب الناس ملك الناس إله الناس. الأحد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كما فى سورة الاخلاص، قل هو الله أحد، وهو معبود الرسول محمد ﷺ ومن تبعه، وليس معبود الكافرين المخالفين كما فى سورة (قل يا أيها الكافرون).

فـ (الله): علم على ربنا تبارك وتعالى، والإله المعبود بحق كما فى قوله تعالى: ﴿ وهو الله فى السموات وفى الأرض ﴾ (الأنعام: ٣) أي المعبود فى السموات والمعبود

---

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات ص ص ١٠٦، ١٠٧ وباب التسمي بقاضي القضاة ونحوه ص ١١٥ وباب احترام أسماء الله ص ١١٦، وباب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ ص ١١٧، ١١٨، والقسم الرابع، التفسير، الحجرات ص ٣٥٤، والدرر السنية ط ٢ جـ ٣ ص ص ١٨٥، ١٨٦، وص ص ٢٠٧، ٢٠٨، وجـ ١ ص ١٢٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٠ ص ص ١٣١، ١٣٢.

فى الأرض مثل قوله: ﴿ وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله ﴾ والالهية هى الجامعة لصفات الكمال كلها.

و(الرب) هو المعبود، الخالق الرازق، المالك المدبر للأمر والمتصرف فيه، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

و(العالمين) اسم لكل ما سوى الله، تبارك وتعالى، فكل ما سوى الله من ملك ونبى وانسى وجنى وغير ذلك مربوب مقهور يتصرف فيه، فقير محتاج إليه.

(الرحمن الرحيم) اسمان لله تعالى مشتقان من الرحمة أحدهما أبلغ من الآخر مثل العلام والعليم، قال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أى أكثر من الآخر رحمة.

و(مالك يوم الدين) وفى قراءة أخرى (ملك يوم الدين)، خصص الملك بذلك اليوم مع أنه سبحانه مالك كل شيء ذلك اليوم وغيره لأن ذلك اليوم هو يوم الجزاء والحساب والدينونة ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله ﴾، فالتخصيص لهذه المسألة الكبيرة، ففى الدنيا عمل بالتوحيد أو عمل بضده وفى الآخرة لا عمل ولكن جزاء كل يجازيه مالك يوم الدين بعمله، ويدينه به إن خيرا فخير وإن شرا فشر[1].

(رب الناس) أى الذى خلقهم وصورهم وأنعم عليهم وحماهم مما يضرهم بربوبيته.

(ملك الناس) أى الذى قهرهم وأمرهم ونهاهم وصرفهم كما يشاء بملكوته.

(إله الناس) أى الذى استعبدهم بالالهية الجامعة لصفات الكمال كلها[2].

و(الأحد) الذى لا نظير له فقوله (أحد) نفى النظير والأمثال.

و(الصمد) الذى تصمد الخلائق كلها إليه فى جميع الحاجات، وهو الكامل فى السؤدد. فقوله: (الصمد) فيه اثبات صفات الكمال.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثانى، الفقه، المجلد الثانى ص ٨٠٧ والقسم الرابع، التفسير، الفاتحة ص ص ١١-١٥ والناس ص ٣٨٧، ٣٨٨ والقسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ص ١٨٦-١٨٧، ٣٧٠، ومعنى الطاغوت ص ٣٧٦ والقسم الثالث، الفتاوى، المسألة ١٣ ص ٥٦ وملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ٦٠، والقسم الخامس، الشخصية رقم ٧ ص ٤٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الناس ص ص ٣٨٧، ٣٨٨.

وفى قوله: (لم يلد ولم يولد) نفى الصاحبة والعيال.

وفى قوله: (ولم يكن له كفوا أحد) نفى الشركاء لذى الجلال[1].

ومعنى أنه (معبود الرسول ﷺ) وليس معبود المشركين كما قال تعالى: ﴿ **قل ياأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ فنفى عنهم عبادة معبوده، لأنهم إذا أشركوا لم يكونوا عابدين معبوده، وأيضا لو عينوا الله بما ليس هو وقصدوا عبادة الله معتقدين أنه هو كأصحاب العجل، والذين عبدوا عيسى والدجال، والذين يعبدون أهواءهم، ومن عبد من هذه الأمة غير الله فهم عند أنفسهم إنما يعبدون الله، لكن هذا المعبود ليس هو الله، وان قصد العابد الله، وأيضا إذا وصفوه بما هو برىء منه كالصاحبة والولد وعبدوه كذلك فهو برىء من هذا المعبود، فانه ليس هو الله وتنصرف عبادتهم إلى غير الله كما ينصرف سب قريش عن الرسول ﷺ : « ألا ترون كيف يصرف الله عنى سب قريش يسبون مذمما؟ . ورسول الله ليس مذمما ولكن هو محمد ﷺ .

كذلك عبادة أمثالهم واقعة على موصوفهم، أيضا ومن لم يؤمن بما وصف به الرسول ﷺ ربه فهو فى الحقيقة لم يعبد ما عبده الرسول، وقس على هذا[2].

ويثبت الشيخ أن الله تعالى سميع بصير يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، وقد أحاط سمعه بجميع المسموعات.

ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء، وقد أحاط بصره بجميع المبصرات[3].

ويثبت الشيخ أن لله تعالى الوصف بأنه عالم الغيب والشهادة[4]، له غيب السموات والأرض[5]، قد تفرد بعلم الغيب[6]، وسع علمه بكل شىء، وأحاط

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الاخلاص ص ٣٨٣ ومختصر زاد المعاد ص ص ٣٥، ٣٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة عن ابن تيمية مسألة رقم ٨٢ ص ٥٧.

(٣) تاريخ نجد للألوسى ص ٤٢، ومؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق ص ٣٧٢.

(٤) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ص ٢١، ٢٢.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الكهف ص ٢٤٨.

(٦) المصدر السابق، النحل ص ٢٢٠.

علمه بكل شيء[١]، أحاط علمه بالجزئيات والكليات[٢]، وبالسر والجهر[٣]، وبالحد والمحدود[٤]، يعلم خفيات السرائر[٥]، ويحصى خطرات الفكر[٦]، لا ينسى ولا يضل[٧]، وهو معلم كل علم وواهبه[٨]، فتح على عباده من حقائق المعارف ولطائف العلوم ما هداهم به إلى صراطه المستقيم[٩] وهو الأعلم سبحانه على الاطلاق[١٠].

يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس ولا متحرك ولا ساكن إلا وهو يعلمه على حقيقته، يعلم السر وأخفى، إنه حكيم عليم[١١].

والشيخ يعتقد أن العلم والقدرة هما أصل الأسماء والصفات لله تعالى[١٢]، ويثبت الشيخ لله تعالى القدرة التامة[١٣] المطلقة العظيمة على كل شيء، فلا يستبعد الإنسان معها شيئا[١٤]، ويقول الشيخ: إن فى قوله تعالى: ﴿ **أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ، ان الله على كل شيء قدير** ﴾ (آل عمران: ١٦٥). فيه اعلام بعموم قدرته سبحانه مع عدله[١٥].

---

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ص ٥٣، ٥٤ والقسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣٢٥ والكهف ص ٢٥٢ والبقرة ص ٢٢.

(٢) المصدر السابق، القسم الرابع، التفسير، الأعراف ص ٧٠، والدرر السنية ط ٢ جـ ٢ ص ٣.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، النحل ص ٢٠٤.

(٤) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ص ٦٣-٦٤.

(٥) المرجع السابق ص ص ٦٤-٦٦.

(٦) المرجع السابق ص ص ٣٠-٣٢.

(٧) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، قصة موسى وفرعون ص ٢٩٩.

(٨) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١٣٥ ص ١٩٦، ١٩٧ ورقم ١٣٣ ص ١٨٣، ١٨٤.

(٩) المصدر السابق، الخطب المنبرية ص ٢٥-٢٧. ومسائل ملخصة رقم ٧٩ ص ٥٥، والقسم الأول، التوحيد ص ٥٥ والقسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣٢٧.

(١٠) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة ص ص ١٥١، ١٨١، ١٩٦، ٣٢٩، ٣٥٢، ٣٦٩، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٩، ٣٩٢.

(١١) تاريخ نجد للألوسى ص ٤٢، ومؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الحجر ص ١٨٧.

(١٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٣٦٦، ٣٦٧.

(١٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣٢٥، والفاتحة ص ١٨، والأنعام ص ٥٨.

(١٤) المصدر السابق، النحل ص م٢٢ والقصص ص ٢٨٢.

(١٥) المصدر السابق، مختصر زاد المعاد ص ص ٢٤٣، ٢٤٤.

وفى كتـاب التـوحيـد للشيخ ـ باب ما جاء فى المصورين ـ أورد الشيخ عن أبى هريـرة رضى الله عنـه قال: قال رسـول الله ﷺ : قال الله تعـالى : (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا ذرة أوليخلقوا حبة أوليخلقوا شعيرة) أخرجاه (يعنى البخارى ومسلم) ـ قال الشيـخ: فيـه التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله : (فليخلقوا ذرة أوحبة أوشعيرة)[1].

ويعتقد أن الله سبحانه هو القادر على تنفيذ ما قدره وأراده[2]، وأن الله فعال لما يريـد ولا يكـون شيء إلا بارادتـه ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس شيء فى العالم يخرج عن تقـديـره ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ، ولا يتـجـاوز ما خط له فى اللوح المسطـور[3]، وأن أول ما خلق الله القلم ، وأنـه جرى بالمقادير فى تلك الساعة بما هو كائن إلى قيام الساعة[4].

قال الشيـخ : وفى ذلـك دليـل على كمال علم الـرب[5] وقدرته وحكمته وزيادة تعريفه الملائكة وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه .

وقال الشيخ : قال ابن القيم : فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق[6] لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه بل يوجب الجد والاجتهاد ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال ما كنت بأشد اجتهادا منى الآن وقال أبو عثمان النهدى لسلمان لأنـا بأول الأمـر أشـد فرحا منى بآخره ، وذلك لأنه اذا كان قد سبق له من الله سابقة وهيأه ويسره للوصول إليها كان فرحه بالسابقة التى سبقت له من الله أعظم من فرحه بالأسباب التى تأتى بها[7].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ١٣٨، ١٣٩ .

(٢) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ص ٢١، ٢٢،

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ٩.

(٤) مؤلفـات الشيـخ، القسم الأول، العقيـدة، التـوحيـد، باب ما جاء فى منكرى القـدر ص ص ١٣٥-١٣٦ ، وبـاب الـدعـاء إلى شهـادة أن لا إله إلا الله ص ٢٣ وأصول الإيمان باب الإيمان بالقدر ص ٢٤٧ . والقسم الـرابـع ، التفسـير ، البقرة ص ٢٢ والأعراف ص ٧٣ ، ٧٨ وص ٨٤ ، ٨٥ والزمر ص ٣٢٥ وص ٣٢٧ ، والحجر ص ١٨٥ .

(٥) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى، المسألة السادسة عشر ص ٧٥ .

(٦) انظر: مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٢٩ ص ٢٥ .

(٧) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ص ٢٤٦، ٢٤٧ .

ولا يجوز أن يظن بقـدر الله ما لا يليق بالله ولا يليق بحكمتـه وحمـده ووعـده الصادق وعدله الكامل، فمن أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد وزعم أن ذلك لمشيئة مجردة وأنه يضع الأشياء فى غير مواضعها ويصيب بأقداره من لا يستحقها وليس لها بأهل فذلك ظن الذين كفروا.

قال الشيـخ: «وأكثـر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغـيرهم، ولا يسلم من ذلـك إلا من عرف الله وأسـماءه وصفـاتـه، ومـوجب حكمته وحمده وعرف نفسه فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنـه بربـه ظن السوء. ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغى أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر. وفتش نفسك هل أنت سالم؟ فان تنج منها من ذى عظيمة والا فانى لا اخالك ناجيا[1].

ولـذا لا يجوز أن يعـترض بلو على قدر الله، كما فعـل الـذين قال الله عنهم: ﴿ يقـولـون : لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ها هنا ﴾ (آل عمران: ١٥٤). وقال الله تعالى: ﴿ الذين قالوا لاخوانهم ـ وقعدوا ـ لو أطاعونا ما قتلوا ﴾ (آل عمران: ١٦٨).

ولأن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك نهيا صريحا كما فى الحديث الذى رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن. وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فان لو تفتح عمل الشيطان»[2].

قال الشيخ: فى كتاب التوحيد وكتاب مختصر زاد المعاد: فيه النهى الصريح عن قوله: «لـو» إذا أصابك شىء لأن ذلك يفتح عمل الشيطان، وأرشده إلى ما هو أنفع منها، وهو أن يقول: «قدر الله وما شاء فعل» وذلك لأن قوله: لو فعلت كذا لم يفتنى ما فاتنى أو لم أقع فيما وقعت فيه كلام لا يجدى عليه فائدة، فانه غير مستقبل لما استدبر، وغـير مستقيـل عثرتـه بلو، وفى ضمنهـا أن الأمر لو كان كما قدره فى نفسه لكان غير ما

(١) مؤلفـات الشيـخ، القسم الأول، كتـاب التـوحيـد، باب قول الله تعالى: ﴿يظنون بالله غير الحق﴾ ص ص ١٣٣-١٣٤. وملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ١٠٥، ٦٠، ٦١.

(٢) مؤلفـات الشيـخ، القسم الأول، العقيـدة، كتـاب التوحيد، باب ما جاء فى اللو ص ١٣٠. وأصول الإيمان باب الإيمان بالقدر ص ٢٤٧. وانظر: صحيح مسلم، القدر، جـ ٤/٢٠٥٢.

قضاه الله ، ووقوع خلاف المقدر محال فقد تضمن كلامه كذبا وجهلا ومحالا وان سلم من التكذيب بالقدر، لم يسلم من معارضته بلو. فان قيل فتلك الأسباب التى تمناها من القدر أيضا؟ قيل هذا حق ، ولكن هذا ينفع قبل وقوع القدر المكروه فإذا وقع ، فلا سبيل إلى دفعه أو تخفيفه ، بل وظيفته فى هذه الحال أن يستقبل الفعل الذى يدفع به أو يخفف ، ولا يتمنى ما لا مطمع فى وقوعه ، فانه عجز محض والله يلوم على العجز، ويحب الكيس ، وهو مباشرة الأسباب فهى تفتح عمل الخير ، وأما العجز، فيفتح عمل الشيطان ، فانه إذا عجز عما ينفعه صار إلى الأماني الباطلة ولهذا استعاذ النبى ﷺ من العجز والكسل ، وهما مفتاح كل شر، ويصدر عنهما الهم والحزن ، والجبن والبخل ، وضلع الدين وغلبة الرجال ، فمصدرها كلها عن العجز والكسل ، وعنوانها «لو» فان المتمنى من أعجز الناس وأفلسهم وأصل المعاصي كلها العجز فان العبد يعجز عن أسباب الطاعات وعن الأسباب التى تبعده عن المعاصي وتحول بينه وبينها ، فجمع فى هذا الحديث الشريف أصول الشر وفروعه ، ومبادئه وغاياته ، وموارده ومصادره ، وهو مشتمل على ثمان خصال ، كل خصلتين قرينتان ، فقال : «أعوذ بك من الهم والحزن» وهما قرينتان .

فان المكروه الوارد على القلب إما أن يكون سببه أمرا ماضيا ، فهو يحدث الحزن ، وإما توقع مستقبل ، فهو يورث الهم - وكلاهما من العجز، فإن ما مضى لا يدفع بالحزن بل بالرضى والحمد ، والصبر والإيمان بالقدر وقول العبد : «قدر الله وما شاء فعل» وما يستقبل لا يدفع بالهم ، بل إما أن يكون له حيلة فى دفعه ، فلا يعجز عنه ، وإما أن لا يكون له حيلة ، فلا يجزع منه ، ويلبس له لباسه من التوحيد والتوكل والرضى بالله ربما فيما يحب ويكره ، والهم والحزن يضعفان العزم ، ويوهنان القلب ، ويحولان بين العبد وبين الاجتهاد فيما ينفعه ، فهما حمل ثقيل على ظهر السائر. انتهى بتصرف قليل[1] .

ويعتقد أن ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ، ومن يؤ من بالله يهد قلبه ، والله بكل شيء عليم .

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، باب ما جاء فى اللوص ص ١٣٠ ، ١٣١ ، والقسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ص ١٢٤-١٢٥ .

ويقول: قال علقمة بن قيس النخعي فى معنى: (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم[1]، وهذا الأثر قال عنه مؤلف تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد للشيخ: رواه ابن جرير وابن أبى حاتم عن علقمة وهو صحيح[2].

ويعتقد أن رسول الله ﷺ كما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: «اثنتان فى الناس هما بهم كفر الطعن فى النسب والنياحة على الميت».

وللبخارى ومسلم عن ابن مسعود مرفوعا: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»[3].

ويعتقد أن الله تعالى إذا أراد بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة، وأن عظم الجزاء مع عظم البلاء وأن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله السخط[4].

ويفرق الشيخ بين إرادة الله القدرية وإرادته الشرعية والجعل القدرى والجعل الشرعى فيقول: قوله تعالى: ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون** ﴾ (القصص: ٥-٦).

هذه الإرادة القدرية.

وقوله: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ (القصص: ٣٩-٤٠) هذا الجعل القدرى أيضا.

أما الارادة الشرعية فهى قوله تعالى: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس** ﴾ (الأحزاب: ٢٣) وأمثالها.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد ص ٩٦.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٤٥٣.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٩٦.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٩٦، ٩٧ وانظر تيسير العزيز الحميد ص ص ٤٥٧، ٤٦٠.

وقوله تعالى: ﴿ **ما جعل الله من بحيرة** ﴾ (المائد: ١٠٣) وأمثالها ـ فهذا الجعل الشرعى[١].

ويعتقد أن الاحتجاج بالقدر على إبطال الشرع وارتكاب المعاصى هو من هدي الكفار، قال تعالى: ﴿ **وقال الذين أشركوا: لو شاء الله ما عبدنا من دونه شىء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين** ﴾[٢] (النحل: ٣٥) وهو من طريقة إبليس والعياذ بالله ـ حيث قال محتجا على ربه: (فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم) وليس له فى ذلك حجة ولا لأتباعه وإنما الحق هو قول آدم: (ربنا ظلمنا أنفسنا)[٣]

قال الله تعالى: ﴿ **سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم الا تخرصون ، قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ (الأنعام: ١٤٨، ١٤٩).

قال ابن كثير: قال الضحاك: «لا حجة لأحد عصى الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده»[٤].

وهؤلاء فى هذه الآية يزعمون أن الله لما لم يحل ـ وهو القادر ـ بينهم وبين الكفر والشرك دل على أن هذا الكفر والشرك بإرادته الشرعية ورضاه، وهى حجة داحضة باطلة.

ومما استنبطه الشيخ من قصة آدم وإبليس فى هذا المعنى قوله: «انها تفيد المعنى العظيم المذكور فى قوله تعالى: (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) وما في معناه من النصوص، وذلك مستفاد من صنع اللعين، فانه مع علمه بجبروت الله وأليم عذابه، وأنه لا محيص له عنه، ويعرف من الأمور ما لا يعرفه كثير من أهل العلم، ومع ذلك لم

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، القصص ص ٢٨٢ وص ٢٩٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، النحل ص ٢٠٨.

(٣) المصدر السابق، الأعراف ص ٧٣ وص ٨٥، وانظر: مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٥٠ ص ص ٣٤، ٣٥.

(٤) تفسير ابن كثير، ط الاستقامة ١٣٧٣هـ، جـ ٢ ص ص ١٨٦، ١٨٧.

يتب ولم يرجع ، بل أصر وعاند ، وطلب النظرة لأجل المعصية مع علمه بعقابه وعدم مصلحته من فعله ، وهذا باب عظيم من معرفة الرب وقدرته ، وتقليبه القلوب كيف يشاء ، وتيسيره كل عبد لما خلق له فيفعله باختياره[1] .

والله لا يرضى كفرهم وشركهم وان كان سبحانه قادر على الحيلولة بينهم وبينه ، وقادر على هدايتهم أجمعين ، فليس لهم فى قدرته سبحانه حجة . وإنما الحجة البالغة له على من عصى بسبب عصيانه ، ومخالفته ما أراده الله منه شرعا ، وقد عصى وخالف بهواه ورضاه وعلمه بأن عاقبة عصيانه العذاب الأليم ، كما أن عاقبة الطاعة المغفرة والرحمة والرضى .

ومع أنه سبحانه غنى عن طاعة المطيع ، فهو يرضاها لعبده ويسخط عليه معصيته وهى لا تضر إلا العاصى[2] .

والله غنى بذاته لا تزيده طاعة المطيع ، ولا ينقصه العطاء على سعة جوده ولا تضره المعاصى ، يطعم ولا يطعم ولا تأخذه سنة ولا نوم ، وهو القدوس السلام ، المبرأ عن كل عيب وآفة ونقص[3] .

وهو العدل الحكيم لا يصلح عمل المفسدين ، ولا يهدى كيد الخائنين ، ولا يحب المسرفين ، ولا يحب كل مختال فخور ، ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون ، وهو لا يظلم ولا يريد الظلم بل يتنزه عن أن يظلم عبده أو يأخذه بلا سبب من العبد يوجب أخذه لأنه منزه عن الفقر والحاجة والجهل والخساسة لكونه الغنى القوى الحكيم ويستجيب دعوة المظلوم ، وليس بينه وبينها حجاب[4] .

ومعنى مكر الله بالعبد هو أن العبد إذا عصاه وأغضبه ، أنعم عليه بأشياء يظن أنها من رضاه عليه[5] ، وهذا عدل يحمل عباده على سعة النظر ومراقبة العواقب فى

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٩٦ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الزمر ص ٣٢٠ - وانظر: ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة ، مسألة رقم ٥ ص ٣٤-٣٩ ، والقسم الأول ، العقيدة ، التوحيد ص ص ٦٥ ، ١١٨ ، ١٤٤ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الكهف ص ٢٥٠ والزمر ص ٣٢٥ ، وتاريخ نجد للألوسى ص ٤١ ، ٤٢ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الأعراف ص ٧٩ ويوسف ص ١٥٤ ، وقصة موسى وفرعون ص ٣٠٩ ، والكهف ص ٢٥٠ ، وآل عمران ص ٥١ ، والقسم الأول ، التوحيد ص ٢٠ ، وملحق المصنفات ، مسائل ملخصة ص ٣٤ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى ، مسألة رقم ١٢ ص ص ٥٢ ، ٥٤ .

اعطـاء الله النعم من الـدنيـا كالمال والولد والبيت الرفيع وعدم الاغترار بالرتبة وغزارة العلم وصلاح العمل، والكرامات واجابة الدعوات، فلا يأمن العارف مكر الله ان هو اغتر بذلك كما فعل أبو لهب، والذى آتاه الله آياته فانسلخ منها(١).

وأنه سبحانه لا يعجل لعجلة أحد حتى ولو كان رسولا، فكيف يستعجله من يزعم أنـه متبـع، وهـو سبحـانـه يمهـل ولا يهمـل، ولا يضيع أجر المحسنين(٢)، وهو سبحانه جميل يحب الجمال، وطيب يحب الطيب ولا يقبل من العمل إلا الطيب(٣).

والله رحيم لا يقنط من رحمته إلا القوم الخاسرون ومن ذلك رحمته سبحانه بعبده فيما حجره عليه، وجعله العقوبات من رحمته بعباده، وقد يغفر للرجل بسبب يهيئه له وهـو من أكـره الأمـور إليـه، ذلك أن طبع الإنسان الطغيان إذا استغنى ولا يخرج عن طبعه إلا بفضل الله ورحمته(٤).

فانه هو الأكرم الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم(٥)، وحبب الإيمان إلى المؤمنين وزينه فى قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان(٦)، ووعد الذين اتقـوا ربهم بأن لهم غرفـا من فوقهـا غرف مبنية، تجرى من تحتها الأنهار، وعد الله، لا يخلف الله الميعاد فهذا وعد لا نظير له فى القرآن(٧)، وهو الغفور الرحيم(٨)، رؤوف بالعبـاد(٩)، انـما يدخلون الجنـة برحمتـه(١٠)، لطيف بهم(١١)، رفيق يحب الرفق(١٢)،

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، تبت ص ٣٨٢ والأعراف ص ص ٨٦، ١١١، ١١٢.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ١٨٠ والبقرة ص ٢٧، ٣٠، يوسف ص ص ١٥٧، ١٥٨.

(٣) المرجع السابق، مختصر زاد المعاد ص ١٠ وملحق المصنفات، مسائل ملخصة ص ص ١٢١، ١٦٠، ١٦٣.

(٤) مؤلفـات الشيـخ، القسم الـرابع، التفسير، الأعراف ص ٧٥، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١١٨ ص ١٢٤، والتفسير، العلق ص ٣٧١، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٩٥.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق ص ٣٦٩.

(٦) المرجع السابق، الحجرات ص ٣٥٣.

(٧) المرجع السابق، الزمر ص ٣٢٥.

(٨) المرجع السابق، الزمر ص ٣٣٦.

(٩) المرجع السابق، الحجرات ص ٣٥١.

(١٠) المرجع السابق، الزمر ص ص ٣٢٢، ٣٤٣.

(١١) المرجع السابق، آل عمران ص ٤٩.

(١٢) المرجع السابق، قصة موسى وفرعون ص ٢٩٧.

بلطفه تنكشف الشدائد وبرأفته تتواصل النعم والفوائد، وبحسن الظن به تجرى الظنون على أحسن العوائد[1].

ويثبت لله الحكمة التامة فهو الحكيم وجميع أفعاله وثوابه وعقابه على قانون العدل والاحسان[2] كما قال تعالى: ﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا، ذلك ظن الذين كفروا** ﴾[3] (ص: ٢٧).

وقال تعالى: ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾.

ومعنى أنه سبحانه حكيم أى لا يضع الأشياء إلا فى مواضعها. فمن ذلك أنه ما جعل إبراهيم إماما إلا بعد ما أتم ما ابتلاه به.

قال الشيخ: وسئل بعضهم أيما الابتلاء أو التمكين؟ فقال: الابتلاء ثم التمكين - واذا كان يبتلى الأنبياء هل يفعلونه أولا؟ فكيف بغيرهم؟[4].

وكان فى تحويل القبلة حكم عظيمة ومحنة للمسلمين والمشركين واليهود والمنافقين: فأما المسلمون، فقالوا: «آمنا به كل من عند ربنا» وهم الذين هدى الله، ولم تكن كبيرة عليهم.

وأما المشركون، فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا.

وأما اليهود، فقالوا: خالف قبلة الأنبياء قبله.

وأما المنافقون، فقالوا: ما يدرى أين يتوجه؟ ان كانت الأولى حقا فقد تركها وان كانت الثانية هى الحق، فقد كان على الباطل. وكثرت أقاويل السفهاء من الناس، ولما كان شأن القبلة عظيما وطأ قبلها سبحانه بأمر النسخ وقدرته عليه وأنه يأتى بخير من المنسوخ أو مثله، ثم عقبه بالتوبيخ لمن تعنت على الرسول ﷺ ولم ينقد له ثم أخبر أن له المشرق والمغرب وهو الواسع العليم فلعظمته وسعته واحاطته فأينما ولى عباده وجوههم فثم وجه الله وغير ذلك من الموطئات.

---

(١) المرجع السابق، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ٤٦، ٤٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ٥١ ص ٣٥ وص ص ٣٧، ٣٨.

(٣) المصدر السابق، القسم الأول، مسائل الجاهلية ص ٣٤٤.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، البقرة ص ٣٠ والأعراف ص ١١٢. وانظر: مختصر زاد المعاد ص ٢٩٧.

وبين سبحانه أن تحويل القبلة إلى البيت الذى بناه امام الناس فكذلك البيت إمام لهم وهو أفضل القبل وهم أفضل الأمم كما اختار لهم أفضل الرسل وأفضل الكتب، وخصهم بأفضل الشرائع والله ذو الفضل العظيم، وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك لئلا يكون للناس عليهم حجة وليتم نعمته عليهم وليهديهم، وليرى من يتبع الرسول ﷺ ممن ينقلب على عقبيه(١).

ومن حكمته سبحانه فى تزيين ما على الأرض ليبلو عباده أيهم أحسن عملا(٢). والمبتلي هو أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين لم يبتل عبده ليهلكه، بل ليمتحن إيمانه وليسمع تضرعه، وليراه طريحا ببابه، وليمنع الأدواء المهلكة كالكبر والعجب والقسوة(٣). ومن حكمة العزيز الحكيم فى تسليطه الهم والحزن على القلوب المعرضة عنه ليردها عن كثير من معاصيها، ولا تزال هذه القلوب فى هذا السجن حتى تخلص إلى فضاء التوحيد والاقبال على الله ولا سبيل إلى خلاص القلب إلا بذلك، ولا بلاغ إلا بالله وحده، فانه لا يصل إليه إلا هو ولا يدل عليه إلا هو. وإذا قام العبد فى أى مقام كان، فبحمده وحكمته أقامه فيه، ولم يمنع العبد حقا هو له، بل منعه ليتوسل إليه بمحابه فيعطيه، وليرده إليه، وليعزه بالتذلل له وليغنيه بالافتقار إليه، وليجبره بالانكسار بين يديه وليوليه بعزله أشرف الولايات، وليشهده حكمته فى قدرته، ورحمته فى عزته، وأن منعه عطاء، وعقوبته تأديب، وتسليط أعدائه عليه سائق يسوق إليه والله يعلم حيث يجعل مواقع عطائه، وأعلم حيث يجعل رسالته، **﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا : أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾** (الأنعام : ٥٣) فهو سبحانه أعلم بمحال التخصيص، فمن رده المنع إليه، انقلب عطاء، ومن شغله عطاؤه عنه، انقلب منعا، وهو سبحانه وتعالى أراد منا الاستقامة واتخاذ السبيل إليه وأخبرنا أن هذا المراد لا يقع حتى يريد من نفسه اعانتنا ومشيئتنا له، كما قال تعالى : **﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾** فان كان مع العبد روح أخرى نسبتها إلى روحه كنسبة روحه إلى جسده يستدعى بها ارادة الله من نفسه أن يفعل به ما يكون به العبد فاعلا، وإلا فمحله غير قابل

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ص ١٩٣-١٩٥ باختصار.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الكهف ص ٢٤١، والأنعام ص ٥٥، ٥٨.

(٣) المرجع السابق، مختصر زاد المعاد ص ٣٠٧.

للعطـاء، وليس معـه انـاء يوضع فيه العطاء فمن جاء بغير اناء، رجع بالحرمان، فلا يلومن إلا نفسه(١).

ومن حكمة الادالة على المسلمين ـ في غزوة أحد ـ تعريف الله للصحابة عاقبة المعصية والفشل والتنازع ليستيقظوا ويحذروا من أسباب الخذلان وأن حكمة الله جرت بأن الرسل يدالون مرة، ويدال عليهم أخرى، لكن يكون لهم العاقبة، فلو انتصروا دائما، دخل معهم المؤمن وغيره ولم يتميزوا، ولو انتصر غيرهم دائما لم يحصل المقصود.

قال الله تعالى: ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب** ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

أي ما كان الله ليـذركم على هذا من التبـاس المؤمـنين بالمنافقين حتى يميزهم ﴿ **ومـا كان الله ليطلعكم على الغيب** ﴾ الـذى يميـز به بينهم بل يريـد سبحـانـه أن يميـزهم تمييـزا مشهـودا. وقوله: ﴿ **ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء** ﴾ استدراك لما نفى من اطلاعهم على الغيب، أى: سوى الرسل، فانه يطلعهم على ما يشاء كما في سورة الجن، فسعادتكم بالإيمان بالغيب الذى يطلع عليه رسله، فان آمنتم به واتقيتم فلكم أعظم الأجر.

ومنهـا استخـراج عبودية الأولياء في السراء والضراء، فإذا ثبتوا على الطاعة فيما أحبوا وكرهوا، فهم ليسوا كمن يعبده على حرف.

ومنهـا أنـه لو بسـط لهم النصـر دائما لكانوا كما يكونون لو بسط لهم الرزق، فهو المدبر لهم، كما يليق بحكمته، انه بهم خبير بصير.

ومنهـا أنهم اذا انكسـروا له استوجبوا النصر فان خِلعة النصر مع ولاية الذل كما قال تعالى: ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة** ﴾ (آل عمران: ١٢٣). وفي مقابل ذلك قال: ﴿ **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم** ﴾ (التوبة: ٢٦).

ومنهـا أنـه هيأ لعبـاده منازل لا تبلغها أعمالهم، ولا يبلغونها إلا بالبلاء، فقيضه لهم، كما وفقهم للأعمال الصالحة.

ومنهـا أن العـافيـة الـدائمـة، والنصـر والغنى يورث ركونا إلى العاجلة ويثبط

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ص ١٢٥، ١٢٦.

النفوس، ويعوقها عن السير إلى الله، فإذا أراد الله كرامة عبد قيض له من البلاء ما يكون دواء لهذا.

ومنها أن الشهادة عنده من أعلى المراتب، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من أوليائه شهداء.

ومنها أنه سبحانه إذا أراد هلاك أعدائه قيض أسبابا يستوجبون بها الهلاك مثل بغيهم ومبالغتهم فى أذى أوليائه، فيمحص به أولياءه من ذنوبهم ويكون من أسباب محق اعداء الله، وذكر سبحانه ذلك بقوله: ﴿ **ولا تهنوا ولا تحزنوا** ﴾ إلى قوله: ﴿ **ويمحق الكافرين** ﴾ (آل عمران: **١٣٩-١٤٢**).

ومنها أن هذه الواقعة (أحد) مقدمة بين يدى موته ﷺ وهذه عادته سبحانه شرعا وقدرا أن يوطىء بين يدى الأمور العظام بمقدمات، والشاكرون هم الذين عرفوا قدر النعمة، فثبتوا عليها حين مات رسول الله ﷺ ، فجعل لهم العاقبة ثم أخبر أنه جعل لكل نفس أجلا، ثم أخبر أن كثيرا من الأنبياء قتلوا وقتل معهم أتباع لهم كثيرون، فما وهن من بقي منهم أو ما وهنوا عند القتل، والصحيح أنها تتناول الفريقين.

ثم أخبر سبحانه عما استنصر به الأنبياء وأممهم من اعترافهم وتوبتهم واستغفارهم، وسؤالهم التثبيت لأقدامهم والنصر على أعدائهم، فقال: ﴿ **وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ (آل عمران: ١٤٧).

علموا أنه سبحانه إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم لم يقدروا، وعلموا أنه إنما يدال عليهم بذنوبهم، من تقصير فى حق، أو تجاوز فى حد، فوفوا المقامين حقهما المقام المقتضى وهو التوحيد والالتجاء إليه ومقام إزالة المانع من النصر وهو الذنوب والاسراف.

وأشار سبحانه وتعالى فى سورة آل عمران إلى أمهات هذه الحكم من قوله: ﴿ **وإذ غدوت من أهلك** ﴾ إلى تمام الستين آية من آية ١٢١ إلى آية ١٨٠.

ففى هذه الآيات ذكرهم الله فى هذه المحنة بما هو من أعظم نعمه عليهم، التى إن قابلوا بها كل محنة تلاشت، وهى إرسال رسول من أنفسهم، فكل بلية بعد هذا الخير العظيم أمر يسير جداً، فأعلمهم أن المصيبة من أنفسهم ليحذروا، وأنها بقدره

ليوحدوا ويتكلوا، وأخبرهم بما له من الحكم لئلا يتهموه في قدره وليتعرف إليهم بأنواع أسمائه وصفاته، وذكرهم بما هو أعظم من النصر والغنيمة، وعزاهم عن قتلاهم لينافسوهم، ولا يحزنوا عليهم، فله الحمد كما هو أهله، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله[1].

وابن آدم يؤذي الله إذا سب الدهر لأن الدهر هو تقلب الليل والنهار بأمر الله تعالى فهو سبحانه بيده الأمر يقلب الليل والنهار يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر ويحيي ويميت ويفني قوما ويأتي بآخرين بخلاف الضرر فقد أخبر سبحانه أن العباد لا يضرونه كما قال تعالى: ﴿ **إنهم لن يضروا الله شيئا** ﴾.

قال الشيخ: والأذى في اللغة هو لما خف أمره وضعف أثره من الشر والمكروه ذكره الخطابي قال شيخ الإسلام وهو كما قال. أ ـ هـ. ويعني شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقد عقد الشيخ في كتاب التوحيد باب من سب الدهر فقد آذى الله وساق قوله تعالى ﴿ **وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم، إن هم إلا يظنون** ﴾ (الجاثية: ٢٤).

وما في صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: (قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار) وفي رواية لمسلم وغيره «لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر».

قال الشيخ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الدهر.

والثانية: تسميته أذى لله.

والثالثة: التأمل في قوله «فان الله هو الدهر».

والرابعة: أنه قد يكون سابا، ولو لم يقصده بقلبه[2].

وأنه ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد ثم يعافيهم

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ص ٢٣٤-٢٤٤ وص ٢٥٦، ٢٦٤ وص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١١٤ وأصول الإيمان ص ٢٤٢ - وانظر: تيسير العزيز الحميد ص ص ٥٤٢-٥٤٧.

ويرزقهم[1]. ويثبت الشيخ المثل الأعلى لله سبحانه وهو العزيز الحكيم[2]، فهو الذى ليس كمثله شىء لكثرة نعوته وأوصافه وأسمائه وأفعاله وثبوتها على وجه الكمال الذى لا يماثله فيه شىء، فالمثبت هو الذى يصفه بأنه ليس كمثله شىء وقد وصف نفسه بأن له المثل الأعلى المتضمن إثبات الكمال كله له وبهذا كان المثل أعلى وهو أفعل تفضيل، ومثل السوء لعادم صفات الكمال ولهذا جعله مثل الجاحدين لتوحيده لأنهم فقدوا الصفات التى من اتصف بها كان كاملا وهى الإيمان والعلم والمعرفة واليقين والاخلاص والتوكل والانابة وغير ذلك التى من اتصف بها كان ممن آمن بالآخرة.

ومثل السوء هو العدم وما يستلزمه وضده المثل الأعلى وهو الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعانى الثبوتية، ولما كان الرب هو الأعلى ووجهه هو الأعلى وكلامه الأعلى وسمعه الأعلى وسائر صفاته هى العليا كان له المثل الأعلى وهو أحق به من كل ما سواه.

ويستحيل أن يشترك فى المثل الأعلى اثنان لأنهما إن تكافآ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر وإن لم يتكافآ فالموصوف بالأعلى أحدهما وحده فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير. وهذا برهان قاطع من اثبات المثل الأعلى على استحالة التمثيل.

والمثل الأعلى متضمن أربعة أمور:

١ ـ ثبوت الصفة العليا لله سبحانه فى نفس الأمر.

٢ ـ وجودها فى العلم والتصور.

٣ ـ الخبر عنها وذكرها وتنزيهها عن النقائص.

٤ ـ محبة الموصوف بها وتوحيده والاخلاص له والتوكل عليه.

وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان الحب والاخلاص أقوى. وعبارات السلف تدور حول هذه المعانى الأربعة لا تتجاوزها[3].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٣٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، النحل ص ٢١٥.

(٣) ملخص من آخر مجلد لمصورة عن مخطوطة بعنوان: مبحث الاجتهاد والخلاف للشيخ محمد بن عبد الوهاب رقمها فى المكتبة السعودية بالرياض ٨٦/٧٧٢.

ويعتقد الشيخ أن عظمة الله أجل من أن يحيط بها عقل(١)، كما قال تعالى : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾(٢).

وكما بين ﷺ فى تصديقه للحبر الذى قال له : «يامحمد انا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والشجر على أصبع فيقول أنا الملك فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر. ثم قرأ : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة** ﴾(٣). وأن رسول الله ﷺ قرأها على المنبر وقال : «ان الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه» ، ثم ذكر تمجيد الرب تبارك وتعالى نفسه وأنه يقول أنا الجبار، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز، أنا الكريم - قال ابن عمر فرجف برسول الله ﷺ حتى قلنا ليخرن به(٤).

وقد عقد الشيخ بابا فى هذا الموضوع فى كتاب التوحيد هو باب قول الله تعالى ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ وأورد تحته أحاديث وآثاراً عن السلف الصالح تناسبه وكذلك فى كتاب أصول الإيمان إلا أنه زاد ونقص عما أورد فى كتاب التوحيد وكلها دلائل مناسبة ونصوص دالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه ومجده وجلاله وعلوه وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه(٥).

ويستنتج من عظمة مخلوقات الله أنها دلائل على عظمة الله ، فالسموات على سعتها فى اليد اليمنى مطوية ، والأرضون جميعا فى اليد الأخرى وأنهما جميعا فى كف الرحمن كخردلة فى كف أحدنا ، وأن الكرسى عظيم بالنسبة إلى السماء ، فالسموات فى الكرسى كسبعة دراهم ألقيت فى ترس ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾ ، وكذلك العرش أعظم بالنسبة للكرسى ، فالكرسى فى العرش كحلقة من حديد

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، هود ص ١٢٥ ، والزمر ص ٣٤٦،٣٤٦.

(٢) والقسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ١٤٨.

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٨ وانظر : صحيح البخارى كتاب التوحيد ص ١٧٤.

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الزمر ص ص ٣٤٥،٣٤٦ والحديث فى صحيح البخارى جـ ٨/ كتاب التوحيد ص ١٧٣. ومسلم فى كتاب صفة القيامة والجنة والنار ص ص ٢١٤٧-٢١٤٩.

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ١٤٨-١٥٠. وأصول الإيمان ص ص ٢٤٠-٢٤٢. وانظر : القول السديد للشيخ ابن سعدى آخره.

ألقيت بين ظهرانى فلاة من الأرض، وأن العرش غير الكرسى والماء، وأن بين السماء والأرض خمسمائة عام وكثف كل سماء خمسمائة سنة وأن البحر الذى فوق السموات أسفله وأعلاه خمسمائة سنة وبين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام، وكذلك بين السماء السابعة والكرسى وبين الكرسى والماء، وأن العرش فوق الماء، وأن الله فوق العرش.

وهذا خلاصة أحاديث أوردها الشيخ ـ رحمه الله ـ فى آخر باب من أبواب كتابه ـ كتاب التوحيد ـ وهو باب ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿ **وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة**﴾. أوردها الشيخ:

عن ابن عباس موقوفا وعن ابن زيد عن أبيه مرفوعا، وعن أبى ذر مرفوعا، وعن ابن مسعود موقوفا ـ قال الشيخ فى حديث ابن مسعود: «أخرجه ابن مهدى عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله ورواه بنحوه المسعودى عن عاصم عن أبى وائل عن عبد الله، قاله: الحافظ الذهبى ـ رحمه الله تعالى ـ قال: وله طرق. وهو عن العباس بن عبد المطلب أخرجه أبو داود وغيره ـ قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: وهذا الحديث له شواهد فى الصحيحين وغيرها، مع ما يدل عليه صريح القرآن، فلا عبرة بقول من ضعفه[1].

واعتقاد الشيخ أن الله عز وجل أعظم من كل عظيم وأكبر، وهو رب العرش العظيم وفوقه بائن من خلقه، لا يخفى عليه شىء من أعمال عباده، ولا يحل بشىء من مخلوقاته ولا يحل فى ذاته شىء منها، بل هو بائن عن خلقه بذاته، والخلق بائنون عنه، وأنه أعظم من كل شىء وأكبر من كل شىء، وفوق كل شىء، وعال على كل شىء البته، ولا يعجزه شىء يريده، بل هو فعال لما يريد[2].

الشاهد الذى لا يغيب، ولا يستخلف أحداً على ملكه ولا يحتاج من يرفع إليه حوائج عباده أو يعاونه أو يستعطفه عليهم أو يسترحمه لهم فلا له وزير ولا مشير ولا ظهير، ولا شافع إلا من بعد إذنه، ولا ند ولا ضد، ولا شريك، بل الكل عبيده وتحت تصرفه وتدبيره وهو العزيز الحكيم، العلى العظيم[3].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ١٤٨-١٥١، وانظر: قرة عيون الموحدين للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٣١٤.

(٢) تاريخ نجد للألوسى ص ٤٢.

(٣) انظر: تاريخ نجد للألوسى ص ص ٤١، ٤٢.

وقال الشيخ فى واحدة من خطبه يعظم الرب بصفاته العظيمة : «الحمد لله فاطر الأرض والسموات، عالم الأسرار والخفيات، المطلع على الضمائر والنيات، أحاط بكل شيء علما، ووسع كل شيء رحمة وحلما، وقهر كل مخلوق عزة وحكما، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما، لا تدركه الأبصار، ولا تغيره الدهور والأعصار ولا تتوهمه الظنون والأفكار، وكل شيء عنده بمقدار، أتقن ما صنعه وحكمه، وأحصى كل شيء وعلمه، وخلق الإنسان وعلمه.

ويقول فى خطبة أخرى: «الحمد لله المتوحد فى الجلال بكمال الجمال تعظيما وتكبيرا، المتفرد بتصريف الأحوال على التفصيل والاجمال تقديرا وتدبيرا، المتعالى بعظمته ومجده، الذى أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، أطلع شمس الرسالة فى حنادس الظلم سراجا منيرا، ومنّ بها على أهل الأرض، فيالها نعمة لا يستطيعون لها شكورا، فجر ينابيع الهداية فى قلوب من سبقت لهم منه الحسنى تفجيرا[*].

ويقول الشيخ ان ما ذكر الله تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعله، وهو قدر ما تحتمله العقول، والا فعظّمة الله وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل[١].

ويقول الشيخ فمن هذا بعض عظمته وجلاله، كيف يجعل فى رتبة مخلوق[٢]، وبين الشيخ أنه من أجل عظمته لا يستشفع به على خلقه[٣]، وأنه يعاذ من استعاذ به فانه هو المستعاذ به وحده.

فهو رب الفلق، ورب الناس، وملك الناس، وإله الناس، لا يستعاذ إلا به، وقد أخبر الله عمن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رهقا، وهو الطغيان فقال: ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا** ﴾، أما من عاذ به فقد عاذ بمعاذ[٤].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣٤٦.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٦٥.
(٣) والقسم الأول، العقيدة، التوحيد ص ١٤٥.
(*) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص، ص ١٤، ٤٨.
(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الفلق، الناس، ص ٣٨٥، ٣٨٧.

ويعطى من سأل به[1] لعظمته، وتعظم الرغبة فيما عنده[2]، والخوف من عقابه والهيبة من عظمته[3].

وبالجملة يجب تعظيمه علما وعملا[4]، فما عرفنا من عظمته لا يماثله فيها شيء كيف بما لم نعرف منها تعالى وجل؟ ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾.

والله تعالى يملك ما فى السموات وما فى الأرض[5]، والعبد وما له ملك لله جعله الله عنده عاديه[6]، والمخلوق ليس له من الأمر شيء ولو كان نبيا مرسلا، فهذا نوح عليه السلام لم يملك هداية ابنه، بل هو المتفرد بالهداية والاضلال[7].

وقد نفى الله أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عونا لله، ولم يبق إلا الشفاعة فبين الله أن الشفاعة جميعا له، ولا تنفع إلا لمن أذن له الرب، قال تعالى: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض، وما لهم فيهما من شرك، وما له منهم من ظهير، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾[8] (سبأ: ٢٢).

وخزائن كل شيء عنده سبحانه ولا تنفد على كثرة الانفاق[9]، له مقاليد السموات والأرض فهو على كل شيء وكيل[10]، ولكمال ملكه وكمال علمه وكمال

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٨.
(٢) المصدر السابق ص ١٢٦.
(٣) المصدر السابق ص ١٤٥ والقسم الرابع، التفسير، الأعراف ص٨٤، ٩٦، وهود ص ١٢٤ ويوسف ص ١٣٧.
(٤) المصدر السابق، المدثر ص ٣٦٥.
(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، آل عمران ص ٥١.
(٦) المصدر السابق، مختصر زاد المعاد ص ٣٠٦.
(٧) المصدر السابق، الأعراف ص ١١٠، هود ص ١٢٤، والزمر ص ٣٢٦، ٣٣٠. والقسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿انك لا تهدى من أحببت﴾ ص ٥٤.
(٨) المصدر السابق، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب الشفاعة والذى قبله ص ص ٤٨-٥٣، وكشف الشبهات ص ١٦٥، ومسائل الجاهلية ص ٣٥١، والقسم الخامس، الشخصية رقم ١٧ ص ص ١١٢، ١١٣، والقسم الرابع، التفسير، الكهف ص ٢٤٨.
(٩) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الحجر ص ١٨٧، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ٥٧.
(١٠) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣٣٩.

قدرته فهو يحكم بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون[١]، ويخلق ما يشاء ويختار، وهو المتفرد بذلك لا شريك له، قال تعالى: ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون** ﴾ (القصص: ٦٨)[٢].

وهو الملك الحق، ملك الناس، مالك يوم الدين، مالك الملك، تفرد بالاحياء والاماتة وتفرد بأنه الوارث، وتفرد بحشر الجميع[٣]، وتفرد بالنفع والضر[٤]، وتفرد بالعزة والمجد[٥].

ويعتقد الشيخ أن من صفات الله الثابتة صفة الكلام[٦] وليس كتكليمه سبحانه وتعالى تكليم أحد[٧].

قال أبناء الشيخ وحمد بن ناصر بن معمر: «واعلم أن صفة الكلام لله تعالى قديمة أزلية لا ابتداء لها كسائر صفات الله تعالى، من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وسائر الصفات لأنه تبارك وتعالى هو الأول فليس قبله شيء بجميع صفاته لم تتجدد بوصفه كما يقوله بعض أهل الأهواء والبدع من الكرامية ومن سلك سبيلهم، وأما أهل السنة والجماعة فمجمعون على ما ذكرنا من أن الله تعالى قديم بجميع صفاته الكلام وغيره، قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في كتاب الرد على الزنادقة لم يزل الله تعالى متكلما إذا شاء ومتى شاء، ولا نقول انه كان لا يتكلم حتى خلقه.. الخ، وهذا الذى قال إمام السنة والجماعة هو الصواب الذى لا يجوز غيره، والقرآن تكلم به سبحانه بمشيئته وقدرته وذلك أن أهل السنة والجماعة يثبتون الأفعال الاختيارية من الكلام وغيره من الصفات، كما أنه سبحانه كلم موسى بمشيئته وقدرته ويكلم من شاء من خلقه بمشيئته وقدرته إذا شاء ومتى شاء بلا كيف[٨].

---

(١) المصدر السابق، الزمر ص ٣٣٤.
(٢) المصدر السابق، مختصر زاد المعاد ص ص ٧،٨.
(٣) المصدر السابق، التفسير، الحجر ص ١٨٧.
(٤) المصدر السابق، التفسير، النحل ص ٢٠٠.
(٥) المصدر السابق، التفسير، الزمر ص ٣٣٠.
(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣٢٥.
(٧) الدرر السنية، ط ٢، جـ ٣ ص ٢٠٩.
(٨) الدرر السنية، ط ٢، جـ ٣/ ص ١٨٧.

ويعتقد الشيخ : أن كلام الله يتفاضل ، لقوله تعالى : ﴿ **واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم** ﴾[1] (الزمر : ٥٥) .

وأن تكليم الله للعباد على ثلاثة أوجه :

١ ـ من وراء حجاب كموسى .

٢ ـ وبارسال رسول كما أرسل الملائكة إلى الأنبياء .

٣ ـ وبالايحاء وهذا للأولياء فيه نصيب .

والمرتبتان الأوليتان للأنبياء خاصة[2]. والرؤيا قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام[3] .

وأن الله تعالى كلم موسى تكليما ، وناداه تعالى من شاطىء الواد الأيمن فى البقعة المباركة من جانب الطور ﴿ **أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين** ﴾ الآيات (القصص : ٣١ـ٥٣) وقربه نجيّا فناداه وناجاه[4] .

وفى قوله تعالى : ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك** ﴾ الآية (يوسف : ١٠٢) ، الرد على مخالفى الرسل فى قولهم : ﴿ **لولا يكلمنا الله** ﴾ أو نحو ذلك ، لأن الرسل ما أتوا الأمم إلا بالوحى[5] .

وإذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم بالوحى أخذت السموات منه رجفة شديدة ، خوفا من الله عز وجل . فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا ياجبريل؟ فيقول جبريل قال الحق ، وهو العلى الكبير ، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهى جبريل بالوحى إلى حيث أمر الله عز وجل» .

وأن الملائكة تضرب بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم؟ قالوا : الحق ، وهو العلى

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الزمر ص ٣٣٧ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة ، مسألة رقم ٣٨ ص ٢٩ .

(٣) المصدر السابق ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ١١٣ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، القصص ص ص ٢٩١ ، والدرر السنية جـ ٣ ص ٢٠٩ ، ومؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة رقم ٨٩ ص ص ٩٢ـ٩٥ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، يوسف ص ١٧٧ وص ١٧٩ .

الكبير. فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ وصفه سفيان بكفه، فحرفها وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة ألف كذبة. فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدّق! بتلك الكلمة التى سمعت من السماء! وقال الله تعالى: ﴿ **حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلى الكبير** ﴾[1] (سبأ: ٢٣).

ويثبت الشيخ لله تعالى صفة الوجه الكريم. وانه لا يسأل بوجهه إلا غاية المطالب وأن حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. وأنه ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن[2].

ويعتقد الشيخ أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته[3]، بلا كيف ولا احاطة[4].

وأن الرؤية تكون عامة وخاصة :

أما العامة : فيراه عموم الخلق.

وأما الخاصة : التى يفهم منها الكرامة : فيراه المؤمنون خاصة[5].

وقال أبناء الشيخ وحمد بن ناصر :

وأما رؤية الله تعالى يوم القيامة فهى ثابتة عندنا وأجمع عليها أهل السنة والجماعة والدليل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ ـ وقال المفسرون: معنى أنها تنظر إلى الله عز وجل

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٤٨-٥٠، أصول الإيمان ص ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ص ١٢٩، وأصول الإيمان ص ٢٣٢، ٢٣٧ وملحق المصنفات، مسائل ملخصة ص ٢٨.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١٠ والقسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٣٦

(٤) الدرر السنية ط ٢، جـ ١، ص ١٢٦.

(٥) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٢٢ ص ص ٢٠-٢١.

كرامـة لهم من الله ، وهى أعظم ما يتنعم به أهـل الجنـة يوم القيـامة ، كما ورد ذلك فى الأحاديث عن رسول الله ﷺ(١) .

وأما قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ أى لا تحيط به .

وأمـا قولـه تبارك وتعالى لموسى : ﴿ لن ترانى ﴾ الآية . . فذكر العلماء أن المراد لن ترانى فى الـدنيـا ، وأيضـا الآية دليل واضح على جوازها وامكانها لأن موسى عليه السلام أعلم بالله من أن يسأله ما لا يجوز عليه أو يستحيل خصوصا ما يقتضى الجهل ولذلك رد بقوله تعالى : ﴿ لن ترانى ﴾ دون لن أرى ولن أريك ولن تنظر إلى فبذلك تبين أنها دالة على مذهب أهل السنة والجماعة القائلين باثبات رؤية الله يوم القيامة(٢) .

كما يثبت أن لله يدين ـ كما ورد فى القرآن والسنة على ما يليق بجلاله ـ كما قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ فله يدان وليس كيديه يدا مخلوق ، قال تعـالى : ﴿ بل يداه مبسـوطتان ﴾ وقال تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾ فقوله : ﴿ خلقت بيدى ﴾ يدل على إثبات اليدين لله تعالى كما يليق به ، ولو كان المـراد منـه مجرد الفعـل ، لم يكن لذكـر اليـد بعـد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى ، فكيف وقـد دخلت البـاء ، فالفعـل قد يضـاف إلى يد ذى اليـد ، والمراد الاضافة إليه كقـولـه : ﴿ بما كسبت أيـديكم ﴾ وأمـا إذا أضيـف إليه الفعل ثم عدى بالباء إلى يده مفردة أو مثناة فهو ما باشرته يده .

ولـو كانت اليـد هى القـدرة لم يكن لها اختصاص بذلك ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على شىء مما خلق بالقدرة(٣) .

ولفظ اليد فى القرآن جاء على ثلاثة أنواع مفرد كقوله : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ وكقـولـه : ﴿ بيده الملك ﴾ وجاء مثنى كقوله : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ وكقوله : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾ .

وجـاء مجمـوعـا كقوله : ﴿ عملت أيدينا ﴾ فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسـه بضمـير الافـراد وعدى الفعل بالباء إليها فقال : ﴿ خلقت بيدى﴾ وحيث ذكـرهـا مجمـوعة أضاف العمل إليها ولم يعد الفعل بالباء فلا يحتمل (ما خلقت بيدى)

---

(١) الدرر السنية ، ط ٢ ، جـ ٣ ص ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٢) الدرر السنية ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣) الدرر السنية ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

من المجاز ما يحتمل (عملت أيدينا) فان كل أحد يفهم من قوله عملت أيدينا ما يفهمه من قولة علمنا وخلقنا كما يفهم من قوله : ﴿ بما كسبت أيديكم ﴾[1].

ولو كان قوله خلقت بيدى مثل قوله عملت أيدينا لكان آدم والأنعام سواء، وأهل الموقف لما يقولون له: «أنت أبو البشر خلقك الله بيده» يعلمون لآدم تخصيصا وتفضيلا بكونه مخلوقا باليدين؛ وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ «يقبض الله سمٰواته بيده اليمنى والأرض بيده الأخرى» ثم ذكر أحاديث كثيرة فى إثبات اليدين لله تعالى. بالتثنية والافراد وإثبات الأصابع بالجمع.والتثنية والافراد، وإثبات الكف، والقبض واليمين والشمال، والامساك والبسط، وغير ذلك مما لا يحتمل تأويلا عن ظاهرة الدال على إثبات يدى الله حقيقة كما يليق بجلاله ليس كمثل يدى أحد[2].

وفى جواب للشيخ حمد بن ناصر بن معمر لما سئل عن اعتقاد الشيخ فى قوله تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وغيره.. نجد أن الشيخ رحمه الله تعالى يعتقد: أن الله سبحانه فوق سماواته على عرشه[3] بائن من خلقه، والعرش وما سواه فقير إليه، وهو غنى عن كل شىء لا يحتاج إلى العرش ولا إلى غيره[4].

قال الشيخ حمد بن ناصر:

«وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وهذه سنة رسول الله ﷺ وهذا كلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة.

قد دل ذلك بما هو نص أو ظاهر فى أن الله سبحانه فوق العرش مستو على عرشه ونحن نذكر من ذلك بعضه ـ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ـ وقال تعالى: ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ وقد أخبر سبحانه باستوائه على عرشه فى سبعة مواضع من

---

(١) الدرر السنية، ط ٢، جـ ٣، ص ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) انظر: الدرر السنية، ط ٢، جـ ٣، ص ص ٢٠٧، ٢٢١-٢٢٢. ومؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٣٦ ص ٢٨، مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ الآية، ص ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠. وأصول الإيمان ص ص ٢٤٠، ٢٤١.

(٣) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد ص ص ١٤٩-١٥١.

(٤) الدرر السنية، ط ٢، جـ ٣، ص ٢١٠.

كتابه، فذكر فى سورة الأعراف ويونس والرعد وطـه والفرقان وتنزيل السجدة والحديد إلى غير ذلك من الآيات الدالة على علو الله سبحانه وتعالى كقوله: ﴿ **إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي** ﴾ وقوله: ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾ واخباره عن فرعون انه قال: ﴿ **ياهامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا** ﴾ ففرعون كذب موسى فى قوله: ان الله فى السماء وقوله: ﴿ **تنزيل من حكيم حميد** ﴾ إلى غير ذلك[1].

قال الشيخ حمد بن ناصر:

وقوله تعالى: ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ يتضمن إبطال قول المعطلة الذين يقولون ليس على العرش سوى العدم وأن الله ليس مستويا على العرش ولا ترفع إليه الأيدى حيث أخبر سبحانه أنه على عرشه وأنه يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ومـا ينـزل من السـماء وما يعرج فيها ـ ثم قال ـ ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ معناه أنه لا يخفى عليـه خافيـة بعلمـه، وليس معنى قولـه تعالى: ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ أنه مختلط بالخلق فان هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها وخلاف ما فطر الله عليه الخلق.

وهو سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطلع عليهم، إلى غير ذلك من معانى ربوبيته.

وأخبر أنه ذو المعارج، تعرج الملائكة والروح إليه، وأنه القاهر فوق عباده، وأن ملائكته يخافون ربهم من فوقهم، فكل هذا الكلام الذى ذكره الله من أنه فوق عباده على عرشـه، وأنـه معنـا حق على حقيقتـه لا يحتـاج إلى تحريف، ولكن يصـان عن الظنـون الكـاذبـة، وهـو سبحانه قد أخبر أنه قريب من خلقه، كقوله تعالى: ﴿ **واذا سألـك عبـادى عنى فإنى قريب** ﴾ الآيـة ـ وقـولـه: ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسـوس به نفسـه ونحن أقـرب إليـه من حبل الوريد** ﴾، وقال النبى ﷺ «إن الذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[2].

وقـولـه تعالى: ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم، أينما كانوا** ﴾.

---

(١) الدرر السنية، ط ٢، جـ٣، ص ٢١٠.

(٢) صحيح البخارى، التوحيد، ١٣/٣٧٢.

وكما فى الكتاب والسنة من الأدلة الدالة على قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته ـ فإنه سبحانه علي فى دنوه، قريب فى علوه، وقد أجمع سلف الأمة على أن الله سبحانه وتعالى فوق سماواته على عرشه وهو مع خلقه بعلمه أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون، وقال حنبل بن إسحاق: قيل لأبى عبد الله: ما معنى ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾؟ قال علمه محيط بالكل وربنا على العرش بلا حد ولا صفة.

قال الشيخ حمد بن ناصر:

وأما الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ فى هذا الباب، فكثيرة جدا منها ما رواه مسلم فى صحيحه وأبو داود والنسائى وغيرهم، عن معاوية بن الحكم السلمى قال: لطمت جارية لي فأخبرت رسول الله ﷺ، فعظم ذلك على، فقلت يارسول الله: أفلا أعتقها؟ قال: «بلى أئتنى بها» فجئت بها إلى رسول الله ﷺ، فقال لها أين الله؟ فقالت: فى السماء، فقال: «فمن أنا؟ قالت: أنت رسول الله ﷺ، فقال: أعتقها فانها مؤمنة» وفى الحديث مسألتان: ـ أحدهما ـ قول الرجل لغيره أين الله ؟. وثانيهما ـ قول المسؤول: فى السماء فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على الرسول ﷺ[1].

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ـ قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتى تغلب غضبى» وفى لفظ: «فهو مكتوب عنده فوق العرش» وهذه الألفاظ كلها فى صحيح البخارى[2].

قال الشيخ حمد بن ناصر:

وفى صحيح مسلم عن أبى موسى قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «ان الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[3].

---

(١) الدرر السنية، ط ٢، جـ ٣ ص ص ٢٢١، ٢٢٢، وحديث الجارية رواه مسلم فى المساجد، جـ ١/ ص ٣٨٢.

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٣٤، وانظر: صحيح البخارى جـ ٨/ ١٧١، كتاب التوحيد، باب ١٥.

(٣) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٣٢ والحديث فى صحيح =

قال الشيخ حمد بن ناصر :

وفى الصحيحين فى قصة المعراج وهى متواترة وتجاوز النبى ﷺ السموات سماء سماء حتى انتهى إلى ربه تعالى فقربه وأدناه وفرض عليه خمسين صلاة، فلم يزل يتردد بين موسى وبين ربه، ينزل من عند ربه إلى موسى، فيسأله كم فرض عليك؟ فيخبره فيقول: ارجع إلى ربك فسله التخفيف.

ثم ذكر الشيخ حمد بن ناصر بن معمر أحاديث كثيرة فى استواء الله على عرشه وعلوه على مخلوقاته إلى أن قال: «والمقصود أن نصوص الكتاب والسنة قد نطقت، بل تواترت باثبات علو الله على خلقه وأنه فوق سماواته مستو على عرشه استواء يليق بجلاله، لا يعلم كيفيته إلا هو، كما لا يعلم كيفية ذاته إلا هو وذاته المقدسة تبارك وتعالى حقيقة ثابتة فى نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال، لا يماثلها شىء، وكذا استواؤه ونزوله وكلامه ثابت فى نفس الأمر، لا يشابهه فيها استواء المخلوقين وكلامهم ونزولهم، فانه ليس كمثله شىء، لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله، فاذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات، فإن الكلام فى الصفات فرع على الكلام فى الذات. إلى أن قال: وبالجملة فمن قال إن الله فى السماء وأراد أنه فى جوف السماء بحيث تحصره وتحيط به فقد أخطأ وضل ضلالا بعيدا وان أراد بذلك أن الله فوق سمواته، على عرشه بائن من خلقه، فقد أصاب، وهذا اعتقاد شيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى)، وهو الذى نطق به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، ومن لم يعتقد ذلك كان مكذبا الرسل، متبعا غير سبيل المؤمنين[1].

ويثبت الشيخ اتيان الرب ومجيئه واشراق الأرض بنوره يوم النفخ فى الصور كما فى القرآن الكريم[2]، ويثبت النزول كما وردت بذلك السنة الصحيحة، ومن ذلك أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث

= مسلم، الإيمان جـ ١/ ص ١٦١. وانظر: مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٣٥ ص ٢٨.

(١) الدرر السنية، ط ٢، جـ ٣، ص ٢١٤-٢١٧ بتصرف قليل.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣٤١.

الليل الآخر يقول: من يدعونى فأستجيب له، من يسألنى فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له» متفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه[1].

والشيخ يثبت النزول كما يثبت غيره من الصفات الواردة فى الكتاب والسنة على قاعدة الإمام مالك فيقول فى النزول أيضا: النزول معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن الكيفية بدعة، ونحن لا نعلم كيفية نزوله ولكن نزوله ثابت فى نفس الأمر لا يشابهه نزول المخلوقين ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾[2].

وهكذا يقر الشيخ جميع آيات الصفات وأحاديثها مع اعتقاد حقائقها وإثبات العلم بها وما دلت عليه من صفات الرب تبارك وتعالى وأسمائه من غير تكييف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تحريف، بل كما قال ربيعة ومالك: «الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[3].

وعلى هذا اعتقاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى جميع الأسماء والصفات[4].

وقال أبناء الشيخ والشيخ حمد بن ناصر: بعد ذكرهم لكلام الإمام مالك: (وهذا الجواب من مالك فى الاستواء شاف كاف فى جميع الصفات مثل النزول والمجىء واليد والوجه، وغيرها، فيقال فى النزول: النزول معلوم والكيف مجهول

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ص ٢٣٣، ٢٣٦-٢٣٧. الدرر السنية ط ٢ جـ ٣ ص ١٩٢، ١٩٨، وص ٢١٥.

(٢) الدرر السنية ط ٢ جـ ٣ ص ١٨٥ وص ص ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧.

(٣) قال الحافظ الذهبى فى كتابه العلو: هذا ثابت عن مالك وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة، أن كيفية الاستواء لا نعقلها، بل نجهلها وأن استواءه معلوم كما أخبر فى كتابه، وأنه كما يليق به، لا نتعمق ولا نتحذلق، ولا نخوض فى لوازم ذلك نفيا ولا إثباتا، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم اقراره وامراره والسكوت عنه، ونعلم يقينا مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له فى صفاته ولا فى استوائه، ولا فى نزوله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا. انتهى كلام الحافظ الذهبى.

مختصر العلو، للذهبى، اختصار الألبانى ص ص ١٤٢، ١٤٣.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٤٤، والدرر السنية، ط ٢ جـ ٢ ص ٣، جـ ٣ ص ص ٢٠٧-٢٦٢، وص ١٩١، ١٩٢. ومؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ص ٨-١١، ٢٧، ٢٨.

والإيمان به واجب والسؤ ال عنه بدعة ، وهذا يقال فى سائر الصفات الواردة فى الكتاب والسنة)[1] .

وكتب بعض تلامـذة الشيـخ عبـد الرحمن بن حسن إليه يهنيه بقدوم ابنه الشيخ عبد اللطيف من مصر وتوسل إلى الله فى دعائه بصفاته الكاملة التى لا يعلمها إلا هو فكتب إليه وفيما كتب قال: «قلت: وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة التى لا يعلمها إلا أنت، فاعلم أن الذى لا يعلمها إلا هو كيفية الصفة، وأما الصفة فيعلمها أهل العلم بالله كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول، ففرق هذا الإمام بين ما يعلم منه معنى الصفة على ما يليق بالله فيقال استواء لا يشبه استواء المخلوق ومعناه ثابت لله كما وصف به نفسه، وأما الكيف فلا يعلمه إلا الله، فتنبه لهذا فالإمام مالك تكلم بلسان السلف»[2].

كان الشيـخ حمد بن ناصـر بن معمـر قد سئـل عن اعتقـاد الشيخ فيما قد يتوهـم بعض النـاس التشبيـه فى ظاهـرة من نصـوص الـوحى من الكتاب والسنة والواردة فى صفـات الـرب تبـارك وتعـالى ـ مثـل قوله تعالى: ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ ومثل قوله: ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ ـ وقول النبى ﷺ : «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الـدنيـا» ـ وقوله ﷺ : «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن». . ونحوذلك. وقـال السـائـل أفيـدونا عن اعتقاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ فى ذلك؟ وكيف مذهبه ومذهبكم من بعده؟ هل تمرون ما ورد من ذلك على ظاهره مع التنزيه؟ أم تؤولون؟ وابسطوا الكلام على ذلك، وأجيبوا جوابا شافيا، تغتنموا أجرا وافيا، فأجاب بما نصه :

الحمـد لله رب العـالمين، قولنا فى آيات الصفات والأحاديث الواردة فى ذلك ما قاله الله ورسوله وما قاله سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين، والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين فنصف الله تعالى بما وصف به نفسه فى كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل نؤمن بأن الله سبحـانـه ﴿ ليس كمثله شيء وهـو السميـع البصير ﴾ فلا ننفى عنه ما وصف به

---

(١) الدرر السنية، ط ٢، جـ٣ ص ١٩٨.

(٢) الـدرر السنيـة، ط ٢، ج ٣ ص ٢٩٩. وانظر: عنوان المجد جـ٢/ ص ص ٢٢، ٢٣، والذى كتب إليه هو ابن بشر.

نفسه، ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نلحد فى أسماء الله وآياته، ولا نكيف ولا نمثل صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفوله، ولا ند له ولا يقاس بخلقه (سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا) فهو سبحانه ليس كمثله شيء فى ذاته ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله، بل يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل خلافا للمشبهة، ومن غير تحريف ولا تعطيل خلافا للمعطلة، فمذهبنا مذهب السلف اثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمة الإسلام، كمالك والشافعي والثورى، والأوزاعى، وابن المبارك، والإمام أحمد واسحق بن راهويه، وهو اعتقاد المشائخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض، وأبى سليمان الدارانى وسهل بن عبد الله التسترى، وغيرهم فانه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع فى أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة رضى الله عنه فان الاعتقاد الثابت عنه موافق لاعتقاد هؤلاء، وهو الذى نطق به الكتاب والسنة قال الإمام أحمد رحمه الله لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث وهكذا مذهب سائرهم كما سننقل عباراتهم بألفاظها إن شاء الله تعالى، ومذهب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى - هو ما ذهب إليه هؤلاء الأئمة المذكورون، فانه يصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه رسوله ﷺ، ولا يتجاوز القرآن والحديث ويتبع فى ذلك سبيل السلف الماضيين الذين هم أعلم هذه الأمة بهذا الشأن نفيا واثباتا وهم أشد تعظيما لله وتنزيها له، عما لا يليق بجلاله. انتهى[1].

ثم ان الشيخ حمد بن ناصر رحمه الله أطال فى هذا الموضوع إطالة وافية ونقل عبارات السلف بألفاظها وأفاض فى نقل الأدلة وشرحها عن السلف الصالح، وفى كل ذلك يقول: هذا اعتقاد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[2]، ويقع جوابه فى خمس وخمسين صفحة من القطع الوسط وبالحرف المعتاد[3]. وهو جواب مفيد، وفى غاية الأهمية على طوله وبسطه - أسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته أن ييسر افراده بالطبع والنشر مع الدراسة والتخريج لينتفع به المسلمون عاجلا غير آجل.

ـ والخلاصة ـ أن الشيخ رحمه الله يعتقد أن الله تعالى واحد فى ذاته وأسمائه

---

(١) الدرر السنية، ط ٢، جـ ٣، ص ص ٢٠٧، ٢٠٨.
(٢) انظر: الدرر السنية، ط ٢، جـ ٣، ص ص ٢٠٨، ٢١٧، ٢٣٥.
(٣) يقع فى: الدرر السنية، ط ٢، جـ ٣، من ص ٢٠٧-٢٦٢.

وصفاته، له الأسماء الحسنى وصفات الكمال، لا سمي له ولا مثيل، الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير فعال لما يريد وهو رب العالمين لا شريك له ولا معين، ولا ظهير ولا شفيع، لا يشفع عنده أحد إلا من أذن له وارتضى شفاعته.

وبهذا القدر يتم هذا الجانب من عقيدة الشيخ فيما يثبت لله تعالى من الأسماء والصفات وما ينزه الله عنه من العيوب والنقص ومماثلة المخلوقات، وهذا هو المقام الخبرى العلمى، أحد مقامى الكلام على التوحيد، وهو البرهان والدليل والمستلزم للمقام الثانى، مقام الانشاء العملي الطلبي والذى هو افراد الله بالعبادة بجميع أنواعها.

وفيما يلى بيان ذلك من عقيدة الشيخ - رحمه الله تعالى - فى التوحيد الذى هو حق الله على العبيد.

توحيد الالهية والعبادة :

الكلام فى توحيد الالهية من باب الطلب والارادة الدائر بين المحبة والكراهة نفيا واثباتا[1].

وفى هذا الباب يعتقد الشيخ - رحمه الله - أن التوحيد ينبىء على أن الله واحد فى ألوهيته لا إله حق إلا هو، وألوهية الله تعالى هى مجموع عبادته على مراده نفيا واثباتا علما وعملا، جملة وتفصيلا[2].

وحاصل ما يقول الشيخ فى تعريف هذا التوحيد: ان التوحيد اسم لفعل العبد المأمور به، فإن كانت أعماله التعبدية كلها لله وحده فهو موحد، وان كان فيها شرك للمخلوق فهو مشرك[3].

فالتوحيد هو افراد الله بجميع أنواع العبادة لا يشركه فيها أحد، ولا يستحق العبادة أحد إلا الله، فعبادة الله خالصة له، لا يستحق شيئا منها ملك مقرب ولا نبى مرسل.

---

(١) انظر: أول التدمرية، الصفحة الأولى.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٥ ص ص١٧٤.

(٣) الدرر السنية، ط ٢، جـ ١ ص ٩٧، جـ ٢، ص ص ٤٢، ٤٣.

ويقول الشيخ فى تلخيصه عن ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

إذا كان الكلام فى سياق التوحيد، ونفى خصائص الرب عما سواه لم يجز أن يقال، هذا سوء عبارة فى حق من دون الله من الأنبياء، والملائكة، فان المقام أجل من ذلك، وكل ما سوى الله يتلاشى عند تجريد توحيده، والنبى ﷺ كان من أعظم الناس تقريرا لما يقال على هذا الوجه، وان كان هو المسلوب، كما قالت عائشة لما أخبرها ببراءتها: والله لا أقوم إليه ولا أحمده، ولا أحمد إلا الله وفى لفظ بحمد الله لا بحمدك، فأقرها ﷺ وأبوها على ذلك، لأن الله سبحانه الذى أنزل براءتها بغير فعل أحد، قال حيان قلت لابن المبارك: انى لأستعظم هذا القول قال: ولت الحمد أهله، وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد: قول الأسير اللهم إنى أتوب إليك، ولا أتوب إلى محمد، قال عرف الحق لأهله، وكان يعلم أصحابه تجريد التوحيد، فقال: لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد، وقال له رجل ما شاء الله وشئت فقال: أجعلتنى لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده، وما أحدثه الله بغير فعل منه اضافة إلى الله وحده، كما قال لكعب بن مالك: لما قاله له: أمن عندك أم من عند الله؟ قال بل من عند الله ومعلوم أنه لو كان من عند النبى ﷺ لكان من عند الله بمعنى أنه خلقه فجميع الحادثات من عنده بهذا الاعتبار، ولكن المقصود أنه ﷺ لم يصدر عنه فعل فى هذه التوبة إلا أنه بلغ الرسالة(١).

ويعتقد الشيخ أن الله أمر جميع الناس بتوحيد الله فى العبادة والالهية بجميع أنواعها، ونهاهم عن ضد هذا التوحيد، والدليل قوله تعالى: ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** ﴾ (النساء: ٣٦)(٢).

وقال تعالى: ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا** ﴾ (الاسراء: ٢٣، ٢٤). وهو أعظم ما أمر الله به وفرض وأوجب ـ كما أن أعظم ما حرم الله ونهى عنه هو ضده الشرك. قال تعالى: ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا** ﴾ الآية (الأنعام: ١٥١).

قال ابن مسعود: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التى عليها خاتمه،

---

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١٠٩ ص ١٠٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ص ٧-١١، وثلاثة الأصول ص ص ١٨٦-١٨٧، ثلاث مسائل ص ٣٧٤.

فليقرأ قوله تعالى: ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما** ﴾ الآية. وهذا الأثر رواه الترمذى وحسنه ابن المنذر، وابن أبى حاتم والطبرانى بنحوه.

قال الشيخ: فيه عظم شأن الآيات المحكمات فى سورة الأنعام عند السلف[1]. وكذلك الآيات المحكمات فى سورة الاسراء، وفيها اثنتاعشرة مسألة، بدأها الله بقوله: ﴿ **لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا** ﴾ (الاسراء: ٢٢). وفيها قوله: ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾ (نفس السورة: ٢٣) - وختمها بقوله: ﴿ **ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا** ﴾ (نفس السورة: ٣٩). ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ **ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة** ﴾ (نفس السورة: ٣٩).

ولحديث معاذ، كنت رديف النبى ﷺ على حمار، فقال لى يامعاذ أتدرى ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم - قال: حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا. قلت يارسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا. أخرجاه فى الصحيحين.

قال الشيخ: وفى هذا أن العبادة هى التوحيد، وأن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله: ﴿ **ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ (الكافرون: ٣، ٥).

ويقرر الشيخ إن إفراد الله بالعبادة هو التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، وهو أصل الدين، وهو الذى خلق الله الثقلين الجن والإنس من أجله، كما قال تعالى: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ الذاريات: ٥٦). وهو الذى أرسل الله به الرسل، وأنزل من أجله الكتب، وفرض من أجله الجهاد، وشرع له شريعة الإسلام، قال تعالى: ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾[2] (النحل: ٣٦). ويقول - رحمه الله -: إعلم رحمك الله أن الله سبحانه

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٨، ٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٧-٩، ١٤، ٢٠-٢٢، ثلاثة الأصول ص ١٨٦، ومفيد المستفيد ص ٢٩٢، وستة أصول ص ٣٩٣، وكشف الشبهات ص ١٧٢ وص ٣٨١، ومعنى الطاغوت ٣٧٦، ٣٥٣-٣٥٥، والقسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٣٠ والفتاوى رقم ١٢ =

إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لأجل التوحيد، فإذا لم يفعله الإنسان ويجتنب الشرك فهو كافر وكل أعماله حابطة، ولو كان من أعبد هذه الأمة يقوم الليل ويصوم النهار قال الله تعالى فى الأنبياء: ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾، وتصير عبادته كلها كمن صلى ولم يغتسل من الجنابة أو كمن يصوم فى شدة الحر وهو يزنى فى أيام الصوم(١).

أما فضله: فهو فضل عظيم، وثواب كثير، ويكفر الذنوب كما روى الترمذى وحسنه عن أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) وكما فى حديث عتبان: «فان الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله» أخرجه البخارى ومسلم.

قال الشيخ: اذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله فى حديث عتبان: «فان الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغى بذلك وجه الله» أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان(٢).

ويقول الشيخ فى تلخيصه مسائل عن ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

تواترت الأحاديث بخروج من قال: لا إله إلا الله من النار اذا كان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة أو خردلة أو ذرة، وكثير منهم أو أكثرهم يدخلها، وتواترت أنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله، لكن جاءت مقيدة بالاخلاص، واليقين، ويموت عليها، فكلها مقيدة بهذه القيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الاخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت، وغالبهم انما يقولها تقليدا أو عادة، وغالب ما يفتن عند الموت أو فى القبر أمثال هؤلاء، كما فى الحديث سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، وغالب أعمال هؤلاء انما هو تقليد أو اقتداء بأمثالهم، وهو أقرب الناس من قوله: ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ الآية

= ص ص ٥٢، ٥٣ والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢٨ ص ١٨٩.

(١) الدرر السنية ط ٢ جـ ١ ص ص ٦٩-٧١ وص ٩٢، ٩٣ ومؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٧، ٩ وص ١٨٦ وص ٣٧٠، ٣٧١ وص ٣٧٤، ٣٧٥ والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢ ص ١٦ ورقم ٥ ص ٣٦ ورقم ٢٢ ص ص ١٥٠-١٥٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٤.

(الـزخـرف : ٢٢). فلا منـافـاة بين الأحـاديث، فانـه اذا قالها باخلاص ويقين ومات عليهـا امتنـع أن ترجـح سيئـاتـه، فان كان قالها على الكمال المانع من الشرك الأصغر والأكـبر فهـو غير مصـر على ذنب، وان كان على وجـه خلص به من الأكـبر ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات فترجح بها الحسنات كما في حديث البطـاقـة، وهـذا خلاف من رجحت سيئـاتـه، لأن معه الشرك الأصغر وأتى بعد ذلك بسيئات تنضم إلى ذلك الشرك فترجح سيئاته، فان السيئات تضعف الإيـمان، واليقـين، فيضعف قول لا إلـه إلا الله، فيمتنع الاخلاص في القلب فيصير المتكلم بها كالهاذي، أو النائم، أو من يحسن صوته بآية من القرآن من غير ذوق طعم ولا حلاوة فالـذى قالهـا بيقـين وصـدق تام امـا ألا يكون مصرا على سيئته، أو يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته، والذين دخلوا النار فاتهم أحد الشرطين[1].

وعلى هذا فمن حقق التـوحيـد دخل الجنة بغير حساب كما قال تعالى: ﴿ ان إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ﴾ (النحل: ١٢٠).

وقال تعالى: ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾ (المؤمنون: ٥٩).

وكـما في حديث حصـين بن عبـد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في عرض الأمم على النبى ﷺ ومنهم أمتـه، وفي أمتـه سبعـون ألفـا يدخلون الجنة بغير حسـاب ولا عذاب وهم الـذين حققـوا التـوحيد بتركهم الاسترقاء والاكتواء والتطير متوكلين على الله تعالى. والحديث رواه البخارى مطولا ومختصرا، ومسلم والنسائي والترمذى[2].

ولهذا يبين الشيخ أهمية هذا التوحيد، وأن معرفته أهم من معرفة العبادات كلها حتى الصلاة[3]، وهو متضمن للتوحيد كله.

فمن أتى بهذا التـوحيـد، فوحـد الله في ألـوهيتـه وعبـادته فقد وحد الله في ذاته

---

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٨٧ ص - ص ٧٠-٧١.

(٢) مؤلفـات الشيـخ، القسم الأول، كتـاب التـوحيـد وبـاب فضـل التـوحيد، وباب من حقق التوحيد ص ص ٧-١٧ والأصـل الجـامـع لعبـادة الله وحده ص ٣٧٨، والقسم الرابع، التفسير، آخر الكهف ص ٢٦٠ والأنعام ص ٥٨، ومختصر زاد المعاد ص ص ٧٦، ٧٧، ص ٣٧٧ والقسم الثالث، الفتاوى ص ٥٠.

(٣) الدرر السنية، جـ ١ ص ص ٩٣.

وأسمائه وصفاته وأفعاله وربوبيته، لأن الله استعبد خلقه بالألوهية الجامعة لصفات الكمال فمن شهد أن لا إله إلا الله بصدق فقد وحد الله تعالى التوحيد كله، أما من أقر بوحدانية الله تعالى في ربوبيته وعبد الله وتألهه، لكن لم يوحد الله في التأله والعبادة، أي أنه يعبد الله ويعبد معه غيره. فهو لم يأت بتوحيد الألوهية، ولم يشهد أن لا إله إلا الله، فهو وان ادعاها وتلفظ بها فهو كاذب، بدليل شركه في العبادة والألوهية.

يقول الشيخ في تفسير قول الله تعالى: ﴿ **نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا اذاً شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا، وإذ أعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا** ﴾ (الكهف: ١٣-١٦). فيه مسائل: ثم ذكرها ومنها الثامنة والتاسعة قال: «الثامنة: المسألة الكبرى أن من ذبح لغير الله أودعا غيره فقد كذب بقول: لا إله إلا الله، وقد دعا إلهين اثنين واتخذ ربين. التاسعة: المسألة العظيمة المشكلة على أكثر الناس أنه اذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمنا حقا كارها لموافقتهم فقد كذب في قول: لا إله إلا الله، واتخذ إلهين اثنين وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها»(١).

وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله للحديث الذي رواه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار» ـ قال الشيخ: فيه تفسير «لا إله إلا الله» كما ذكره البخاري(٢).

فان هذه الكلمة «لا إله إلا الله» نفي واثبات: نفي الالهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من المخلوقات، حتى من المرسلين البشر وخاتمهم محمد ﷺ وحتى من الملائكة وجبريل «عليهم وعلى جميع المرسلين الصلاة والسلام» فضلا عن غيرهم، من الأنبياء والصالحين وسائر المخلوقات، واثباتها بجميع أنواعها كلها لله عز وجل وحده لا شريك له(٣).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الكهف ص ٢٤٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ١٨-١٩، وص ٢٢، والدرر السنية، جـ ٢ ص ص ١٦، ١٧.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، تفسير كلمة التوحيد ص ص ٣٦٣، ٣٦٤، ومعنى الطاغوت ص٣٧٨، والدرر السنية ط٢، جـ ٢، ص٤٥ وص٥٣، ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، =

فان « لا » فى قولك « لا إله إلا الله » هى النافية للجنس تنفي جميع الآلهة.

و« إلا » حرف استثناء يفيد حصر جميع العبادة على الله عزوجل، كما أنه لا شريك له فى ملكه.

و« الله » هو المعبود ـ هذا هوتفسير هذه اللفظة باجماع أهل العلم ـ وهو المقصود المدعو المرجو المخوف.

فـ « الاله » اسم صفة لكل معبود بحق أوباطل ثم غلب على المعبود بحق وهو الله تعالى الذى لا تصلح العبادة إلا له.

ومعنى « التأله » : التعبد. « والالهية » : العبودية.

والهية الله : هى مجموع عبادته على مراده نفيا وإثباتا علما وعملا جملة وتفصيلا[1].

وتوحيد الالهية : هو اخلاص جميع العبادة لله من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والدعاء وجميع العبادات، ظاهرها وباطنها لله تعالى وحده لا شريك له، وأن لا يجعل شىء من العبادات لغير الله لا ملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهما[2].

قال الشيخ : «اعلم رحمك الله أن معنى لا إله إلا الله نفي وإثبات، لا إله نفي، إلا الله إثبات. تنفي أربعة أنواع وتثبت أربعة أنواع، المنفي : الآلهة والطواغيت، والأنداد، والأرباب ـ فالاله ما قصدته بشىء من جلب خير أودفع ضر، وما قصدته كذلك فأنت متخذه إلها. والطواغيت من عُبِدَ وهو راض أوترشح للعبادة. والأنداد ما جذبك عن دين الإسلام من أهل أومسكن أوعشيرة أومال، فهو ند لقوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله** ﴾ ـ والأرباب من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته، لقوله تعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم**

= الشخصية رقم ٢٨ ص ١٨٧، مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، تلقين أصول العقيدة للعامة ص ٣٧١.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ص ١٠٥، ١٠٦ ورقم ١٩ ص ص ١٢٤، ١٢٥. والقسم الرابع، التفسير، ص ١٢، والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢٥ ص ١٧٤ ورقم ٢٨ ص ١٨٧ ورقم ٢٤ ص ١٦٧، ومؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ١٥٧، وثلاثة الأصول ص ١٩٠، والدرر السنية، ط ٢، جـ ٢ ص ٥٣.

(٢) انظر: إبطال التنديد، باختصار شرح التوحيد تأليف الشيخ حمد بن عتيق، ط ٣، ص ٧.

ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾.

وتثبت أربعة أنواع : (القصد) كونك ما تقصد إلا الله، والتعظيم والمحبة لقوله عز وجل ﴿ **والذين آمنوا أشد حبا لله** ﴾ والخوف والرجاء لقوله تعالى : ﴿ **وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم** ﴾، والبراءة من الشرك وأهله كما فعل إبراهيم كسر الأصنام وتبرء من عبادها. قال الله تعالى : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم . . .** ﴾ الآية (الممتحنة : ٤).

هذا ما تنفيه وتثبته كلمة لا إله إلا الله(١).

فلا إله إلا الله تجمع الدين كله، والأعمال الصالحة الخالصة كلها من لا إله إلا الله(٢). ولذا كانت: « لا إله إلا الله » كلمة التوحيد، وكلمة الفرقان، الفارقة بين الكفر والإيمان، وكلمة التقوى، والعروة الوثقى، وشعار الحنيفية ملة إبراهيم، وهى الكلمة التى جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون، والتى خلقت لأجلها المخلوقات وبها قامت الأرض والسموات، ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب.

فمن قالها لابد أن يأتى بحقها، وهو العمل بمقتضاها، ومعادات من خالفها وان كانوا من القرابة، فان أبا طالب لم يمتنع من قول «لا إله إلا الله» إلا من أجل ملة عبد المطلب، لأنه لو قالها، لكان معنى ذلك البراءة من آبائه. ولذا يقول الشيخ فى المسائل من باب قول الله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت . . .** » من كتاب التوحيد، فيه «المسألة الكبرى : وهى تفسير قوله : (قل لا إله إلا الله) بخلاف ما عليه من يدعى العلم»(٣) يشير بذلك إلى أن من يدعى العلم وهو ليس عالما يرى أن قول

---

(١) الدرر السنية ط ٢ جـ ٢ ص ٦٢، ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٩ ص ١٢٤ ورقم ٧ ص ٤٤، ٤٦، والقسم الأول، التوحيد ص ٣٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٨ ص ١٢٢ ورقم ٢٢ ص ١٥٤. والقسم الرابع، التفسير، الحجر ص ١٩٦.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ انك لا تهدى من أحببت ﴾ ص ٥٥.

لا إله إلا الله ، ولاء من غير براء وهذا خلاف مراد النبي ﷺ منها وفهم أبي طالب لها .

ولذا كان أصل ديننا وأوله وآخره وأسه ورأسه هو «شهادة أن لا إله إلا الله» ومعرفة معناها ومحبة أهلها وجعلهم إخواننا ولو كانوا بعيدين ، والكفر بالطواغيت (وهم الذين يناقضونها) ومعاداتهم وبغضهم ، وبغض من أحبهم ، -او جادل عنهم ، أو لم يكفرهم ، أو قال ما علي منهم ، أو قال ما كلفني الله بهم ، فقد كذب هذا على الله وافترى ، لأن الله تعالى كلفه بهم ، وافترض عليه الكفر بهم ، والبراءة منهم ، ولو كانوا إخوانهم وأولادهم[1] .

نعم . فليس المراد من قوله : (لا إله إلا الله) قولها باللسان مع الجهل بمعناها ، فالمنافقون يقولونها ، وهم تحت الكفار ، في الدرك الأسفل من النار ، مع كونهم يصلون ويتصدقون ، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ، ومحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته ، كما قال النبي ﷺ : «من قال لا إله إلا الله مخلصا»[2] وفي رواية «خالصا من قلبه»[3] وفي رواية «صادقا من قلبه»[4] وفي حديث آخر «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله»[5] .

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على المراد منها رغم جهالة أكثر الناس بذلك[6] .

والعجب أن الكفار الجهال على زمن رسول الله ﷺ يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو افراد الله تعالى بالتعلق ، والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، تفسير كلمة التوحيد ص ص ٣٦٣، ٣٦٨، والدرر السنية ط ٢ جـ ٢ ص ٥٢-٥٣، ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٤ ص ٩٦ ورقم ٢٣ ص ١٦٣، والقسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص ١٥٧ ومسائل الجاهلية ص، ص ٣٤٢، ٣٥١ .

(٢) رواية مخلصا هي في مسند الإمام أحمد ج ٢/٣٠٧، ٥١٨ . وجـ ٤/٤٤ وجـ ٥/٢٣٦ .

(٣) رواية خالصا من قلبه أو نفسه هي في صحيح البخاري، جـ ١ ك العلم باب ٣٣، ص ٣٣ .

(٤) رواية صادقا من قلبه، هي في مسند أحمد، بلفظ «صادقا بها» جـ ٤/ ٤٠٢، ٤١١ .

(٥) رواية من قال «لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله» هي في صحيح مسلم كتاب الايمان جـ ١/ص ٥٣ .

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، تفسير كلمة التوحيد ص ٣٦٣ . وانظر: كتاب التوحيد، باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب ص ص ١٢-١٤ وباب الدعاء إلى شهادة «أن لا إله إلا الله» ص ص ٢٠-٢٣ ، باب تفسير التوحيد وشهادة «أن لا إله إلا الله» ص ٢٤-٢٦ ، وباب ما جاء ص ٩٨، وباب من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا ص ١٠٠ ، وباب من حقق التوحيد ص ص ١٥-١٧ ، والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢٣ ص ١٦٢ .

واتباع رسول الله ﷺ بذلك فانه لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله ـ قالوا : ﴿ **أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب** ﴾ (ص : ٥).

والإله عندهم هو الذى يقصد لأجل الدعاء أو النذر أو الذبح أو الاستغاثة، أو غير ذلك من أنواع العبادة يريدون بذلك شفاعة المقصود والتقرب إلى الله بهذا العمل التعبدى، فالإله عند هؤلاء العرب هو الذى يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبرا أو جنيّا، ولم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر فانهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما تقدم.

وأعجب العجب ممن يدعى الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعانى والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله فلا خير فى رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى «لا إله إلا الله»(١) وتقدم قبل قليل اشارة إلى هذا.

يقول الشيخ بعد أن ذكر قصة موت أبى طالب على ملة عبد المطلب وحضور أبى جهل ذلك : ان أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبى ﷺ اذ قال للرجل : «قل : لا إله إلا الله» فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام(٢).

ويعقد الشيخ بابا كبيرا فى كتاب التوحيد ترجمته : «باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله» أورد تحته نصوصا من الوحى يفسر بها ترجمة الباب ثم قال وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب، فجعل ما بعده من أبواب وتبلغ واحدا وستين بابا هى فى بيان شيء من افراد التوحيد، وبيان ضده، وشيء من افراد ضده أو ضد كماله، وبراهين بطلان الشرك وامكان وقوعه وأسبابه. شرحا لهذه الترجمة.

ومن النصوص المفسرة للتوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله التى أوردها الشيخ تحت هذا الباب قول الله تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص ص ١٥٧، ١٥٨. والدرر السنية ط ٢، جـ ١ ص ص ٦٩-٧١.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ﴾ ص ٥٥.

أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ (الاسراء: ٥٧).

وفى هذه الآيـة بين الله تعـالى فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين بأن دعاءهم إياهم هذا هو الشرك الأكبر حيث قال سبحانه قبلها: ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونـه فلا يملكـون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ الآية. (الاسراء: ٥٦، ٥٧).

وأورد الشيخ تحت ذلك الباب قوله تعالى: ﴿ واذ قال إبراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون ، الا الذى فطرنى فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ﴾ (الزخرف: ٢٦-٢٨).

وقال الشيخ: قول الخليل للكفار: اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى ـ فيه أنه استثنى من المعبودين الله ربه وذكر الله سبحانه أن هذه البراءة، وهذه الموالاة هى تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال: ﴿ وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ﴾.

وأورد الشيخ تحت الباب أيضا قوله تعالى: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ﴾ (التوبة: ٣١).

ثم يقول: فى هذه الآية: «بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربـابـا من دون الله، وبـين أنهم لم يؤ مـروا إلا بأن يعبـدوا إلها واحدا مع أن تفسيرها الذى لا اشكال فيه: طاعة العلماء والعباد فى المعصية، لا دعاؤ هم إياهم.

وكذلك أورد الشيخ فى تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله قول الله تعالى: ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ (البقرة: ١٦٥).

قال الشيـخ: ان هذه فى الكفـار الـذين قال الله فيهم ﴿ ومـا هم بخارجين من النار ﴾ ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله. فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ولم يدخلهم فى الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟

وأورد الشيخ من نصوص تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ما فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم

ماله ودمه. وحسابه على الله عز وجل» صحيح مسلم، كتاب الإيمان جـ ١، ص ٥٣.

قال الشيخ قوله ﷺ : «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله» هذا من أعظم ما يبين معنى «لا إله إلا الله» فانه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الاقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله. فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها، وياله من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع»[1]. انتهى.

وفى ثلاثة الأصول أصناف فى تفسير «لا إله إلا الله» قوله تعالى: **﴿ قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾**[2] (آل عمران: ٦٤).

ومن عبد شيئا غير الله فقد اتخذ إلها من دون الله.

فان بنى إسرائيل، لما اعتقدوا فى عيسى بن مريم وأمه - قال الله تعالى: **﴿ واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق، ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴾** ففى هذا دليل على أن من اعتقد فى مخلوق لجلب منفعة أو دفع مضرة فقد اتخذه إلها، فاذا كان الاعتقاد فى الأنبياء هذا حكمه فما دونهم أولى، وأيضا فان من تبرك بحجر أو شجرة أو مسح على قبر أو قبة يتبرك بأصحابها أو بالحجر والشجر، فقد اتخذها آلهة والدليل على ذلك أن الصحابة لما قالوا للنبى ﷺ : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط يريدون بذلك التبرك قال: «الله أكبر إنها السنن قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ص ص ٢٤-٢٦، والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢٢ ص ١٥٤؛ والدرر السنية، ط ٢، جـ ٢، ص ٤٤، «هذه كلمات فى معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله». ومؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٩٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة ص ١٩.

﴿ اجعـل لنـا إلهـا كما لهم آلهـة   قال انكم قوم تجهلون، ان هؤلاء متـبر ما هم فيـه وباطل ما كانوا يعملون، قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين ﴾

فمثـل قول الصحـابـة فى ذات أنـواط بقول بنى إسرائيل وسماه إلها، ففى هذا دليل على أن من فعل شيئا مما ذكر فقد اتخذه إلها، وجميع ذلك باطل إلا إله واحد وهو الله وحده تبارك وتعالى علوا كبيرا كما هو معنى لا إله إلا الله[1].

وقال الشيخ: «إذا فهمت ذلك فتأمل الألوهية التى أثبتها الله لنفسه ونفاها عن محمـد ﷺ وجـبريـل وغيرهما أن يكـون لهم منهـا مثقال ذرة من خردل فاعلم أن هذه الألوهية هى التى تسميها العامة فى زماننا السر والولاية، والإله معناه الولى الذى فيه السر، وهو الذى يسمونه الفقير والشيخ تسميه العامة السيد وأشباه هذا. وذلك أنهم يظنـون أن الله جعـل لخواص الخلق عنـده منـزلـة يرضى أن يلتجىء الإنسـان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله، فالذين يزعم أهل الشرك فى زمـانـنـا أنهم وسـائطهم هم الذين يسميهم الأولون الآلهة - والواسطة هو الإله، فقول الرجل: لا إله إلا الله، إبطال للوسائط.

إذا عرفت هذا عرفت معنى: «لا إله إلا الله» وعرفت أن من دعا نبيا أوملكا أو جنيـا أو ند به أو استغـاث به أونـذر له أو ذبـح فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذى قاتلهم عليه الرسول ﷺ»[2].

ويفسر الشيخ قوله: والإله معناه الولى الذى فيه السر، فيقول فى جواب له عن سؤ ال وجه إليه رحمه الله تعالى: «ان الإله الذى فيه السر فمعلوم أن اللغات تختلف فالمعبـود عنـد العرب والإله الذى يسميه عوامنا السر لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضر، وكونه يصلح أن يدعى ويرجى ويخاف ويتوكل عليه، فإذا قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقـرأ بفـاتحـة الكتاب» وسأل بعض العامة ما فاتحة الكتاب؟ ما فسرت له إلا بلغة بلده، فتارة تقول هى فاتحة الكتاب وتارة تقول هى أم القرآن، وتارة

---

(1) الـدرر السنيـة، ط ٢، جـ ٢، ص ص ٦٣-٦٥ بتصـرف قليـل وتقـديم وتأخـير. ومؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ١٢.

(2) مؤلفـات الشيـخ، القسم الأول، العقيـدة، تفسـير كلمـة التـوحيـد ص ص ٣٦٤-٣٦٦، والقسم الخـامس، الشخصيـة رقم ١٩ ص ١٢٥ ورقم ٧ ص ص٤٤، ٤٦. والـدرر السنيـة ط ٢، جـ ٢، ص ٦١، «فرض معرفة الشهادة» ص ص ٦٣، ٦٤، «اعلم ارشدك الله».

تقول هى الحمد، وأشباه هذه العبارات التى معناها واحد، ولكن ان كان السر فى لغة عوامنا ليس هذا، وأن هذا ليس هو الإله فى كلام أهل العلم فهذا وجه الانكار فبينوا لنا[١].

ويقول ـ رحمه الله ـ : «ومن أفرض عبادته عليك معرفة (لا إله إلا الله) علما وقولا وعملا والجامع لذلك قوله تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾ وقوله : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ ـ فاعلم أن وصية الله لعباده هى كلمة التوحيد الفارقة بين الكفر والإسلام، فعند ذلك افترق الناس سواء جهلا أو بغيا أو عنادا، والجامع لذلك اجتماع الأمة على وفق قول الله ﴿ **أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ وقوله : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾.

فالواجب على كل أحد إذا عرف التوحيد وأقر به أن يحبه بقلبه، وينصره بيده ولسانه وينصر من نصره ووالاه ـ وإذا عرف الشرك وأقر به أن يبغضه بقلبه، ويخذله بلسانه ويخذل من نصره ووالاه، باليد واللسان والقلب، هذه حقيقة الأمرين، فعند ذلك يدخل فى سلك من قال الله فيهم : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾.

وفيما قدمنا يتبين أن المراد من قول «لا إله إلا الله» هو قولها باللسان وبالقلب وبالأركان تطبيقا لمعناها، وعملا بمقتضاها، وهذا ما يقرره الشيخ[٢].

ويقرر الشيخ أن الخلاف بين الرسل وأعدائهم ليس فى أصل العبادة ولكن فى توحيد العبادة وذلك فى مثل قولهم : ﴿ **أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا** ﴾[٣] ولذلك عادى المشركون رسول الله ﷺ كما هى سنة الله تعالى الحكيمة.

قال الشيخ : «اعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس**

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١١ ص ٧٦.

(٢) انظر: الدرر السنية، ط ٢، جـ ٢، ص ص ٦٢، ٦٣، ومؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، قصة موسى وفرعون ص ٢٩٥، والقسم الأول، مسائل الجاهلية ص ٣٤١. والقسم الخامس، الشخصية رقم ١٩ ص ١٢٤ ورقم ٢٠ ص، ص ٣٦-١٣٩. والدرر السنية جـ ٢، ص ص ٤٤-٤٥، وص ٥٣.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الأعراف ص ١٠٤.

والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ (الأنعام: ١١٢). وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكتب وحجج كما قال الله تعالى: ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ (غافر: ٨٣).

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج. فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل: ﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ (الأعراف: ١٦-١٧).

ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حججه وبيناته فلا تخف ولا تحزن: ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ (النساء: ٧٥).

والعامى من الموحدين يغلب ألفا من علماء هؤلاء المشركين. كما قال تعالى: ﴿ وان جندنا لهم الغالبون ﴾ (الصافات: ١٧٣). فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان.

وإنما الخوف على الموحد الذى يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذى جعله: ﴿ تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (النحل: ٨٩). فلا يأتى صاحب باطل بحجة إلا وفى القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما قال تعالى: ﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾ (الفرقان: ٣٣). قال بعض المفسرين هذه الآية عامة فى كل حجة يأتى بها أهل الباطل إلى يوم القيامة[(١)].

ويقرر الشيخ أن هذا التوحيد لا يدرك إلا بالتعلم والتفقه فى الدين عن طريق الرسول محمد بن عبد الله ﷺ المتصل بالتواتر أو بالرواية الصحيحة والحجة، فهو من العلم الذى لا يدرك إلا بالوحى من الله تعالى إلى رسوله ﷺ، والبصيرة فى ذلك من أعظم الفرائض، كما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ (يوسف: ١٠٨)[(٢)].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص، ص ١٥٩-١٦٠.

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٢٠-٢١.

ولابد من التحرز العظيم من ضده لأن فائدة ذلك تصحيح التوحيد، ولذا فإن رسول الله ﷺ كان يحقق التوحيد ويعلمه أمته، وجاء بحماية جناب التوحيد وسد كل طريق يوصل إلى الشرك بالأدب والعلم والتحفظ فى الأقوال والأعمال والاعتقاد حتى أبعد أمته عن هذا الحمى غاية البعد، ونهاهم عن كل قول يفضى إلى الغلو كما فى حديث عبد الله بن الشخير رضى الله عنه، قال: «انطلقت فى وفد بنى عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا، فقال: قولوا بقولكم، أو ببعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان» رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضى الله عنه: «أن ناسا قالوا: يارسول الله، ياخيرنا، وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا. فقال: ياأيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل» رواه النسائى بسند جيد(1).

ونهى ﷺ أن يقول قائل: عبدى وأمتى - كما فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضىء ربك. وليقل سيدى ومولاى، ولا يقل أحدكم عبدى وأمتى وليقل فتاى وفتاتى وغلامى» وهذا من تحقيق التوحيد حتى فى الألفاظ(2).

وقال ﷺ لرجل قال له: ما شاء الله وشئت،: «أجعلتنى لله ندا» بل ما شاء الله وحده. رواه النسائى.

وقد أمر النبى ﷺ من أراد أن يحلف أن يقول ورب الكعبة بدلا من الحلف بها وأن يقول ما شاء الله ثم شئت بدلا من أن يقول: ما شاء الله وشئت - رواه النسائى وصححه.

ونهى عن الحلف بغير الله.

وقال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذى وحسنه، وصححه الحاكم(3).

---

(1) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ص ٢١. وباب ما جاء فى حماية النبى ﷺ حمى التوحيد ص ص ١٤٦-١٤٧، ومفيد المستفيد ص ص ٢٩٢-٢٩٣.

(2) المرجع السابق، باب لا يقول عبدى وأمتى ص ١٢٧، والقسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ص ١٢٢-١٢٤ وص ص ١٥٦، ١٥٧.

(3) القسم الأول، العقيدة، باب قول ما شاء الله وشئت ص ص ١١٢-١١٣، وباب قول الله =

ونهى رسول الله ﷺ عن الأعمال التى تفضى إلى الشرك مثل ما رواه أبو داود باسناد حسن ـ قال الشيخ: ورواته ثقات ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبرى عيدا، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم».

وهذا من تحقيق التوحيد فى الأعمال.

وقال ﷺ فى مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، يحذر ما صنعوا، وقال: «اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد».

وقال الشيخ فيما ينقله عن ابن تيمية:

«ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبى ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها لأنه انما يكون ذلك لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق، كل هذا لتحقيق التوحيد الذى هو أصل الدين ورأسه الذى لا يقبل الله عملا إلا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه كما قال الله تعالى: ﴿ **ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ الآية. ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، وأعظم آية فى القرآن آية الكرسى ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** . . . ﴾ وقال ﷺ من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة ـ والإله هو الذى تألهه القلوب عبادة له واستغاثة به ورجاء له وخشية واجلالا[1].

ويقرر الشيخ أن من عرف أحوال المشركين القدامى[2] والأمر الذى صاروا به مشركين وهو دعاؤهم غير الله طلبا للزلفى والشفاعة عند الله، رعرف حالة أكثر الناس تبين له صفة الإسلام الذى دعا إليه نبينا محمد ﷺ وتبين له أن كثيرا من الناس عنه بمعزل، وتبين معنى قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ».

لذلك كان تعلم هذه المسألة العظيمة، كيف لا؟ وهى حق الله على العبيد، أهم الأمور، والصحابة رضى الله عنهم لم يعرفوها إلا بعد التعلم، ومن الشرك أشياء ما عرفوها إلا بعد سنين.

= تعالى: ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ ص ١٠٩، ص ١١٠، ومفيد المستفيد ص ٢٩٢.

(١) المرجع السابق، باب ما جاء فى حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك ص ص ٦٦، ٦٧، ومفيد المستفيد ص ٢٩٢ وص ٢٩٣. وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع ابن قاسم جـ٣/ ص ص ٣٩٧-٤٠٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، تفسير كلمة التوحيد ص ٣٦٧.

بل ان الأنبيـاء لم يعـرفـوا هذا إلا بعـد أن علمهم الله تعـالى ـ قال الله تعـالى لأعلم الخلق محمد ﷺ (فاعلم أنه لا إله إلا الله ، واستغفر لذنبك وللمؤ منين) ـ وقال تعـالى : ﴿ ولقـد أوحى إليـك وإلى الـذين من قبلك لئن اشـركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ فاذا كان هذا نبينا ﷺ ـ فكيف بمن دونه؟

ومـا بال الخليـل صاحب الملة الحنيفية ، وما كان من المشركين يخاف على نفسه وعلى بنيه وهم أنبياء حيث قال : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ .

وهـا هويوصى أولاده وهم أنبيـاء ـ قال الله تعـالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[1] .

وهذا موسى عليه السلام لما قال يارب علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به قال : قل يامـوسى «لا إلـه إلا الله» قال : يارب كل عبـادك يقولون هذا . ـ قال : ياموسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى ، والأرضين السبع فى كفة ـ ولا إله إلا الله فى كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه .

قال الشيـخ : فيـه أن الأنبيـاء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله والتنبيه لرجحـانهـا بجميـع المخلوقـات مع أن كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه»[2] . لأنه لم يعمل بمقتضاها ، وعمل بنقيضها .

وهؤ لاء أهل الكتاب يدعون أول ما يدعون إلى أن يوحدوا الله ـ وفى زواية إلى شهادة أن لا إله إلا الله ـ كما فى الصحيحين عن ابن عباس وسهل بن سعد رضى الله عنهم ـ وهذا يدل على أنهم وهم أهل الكتاب لا يعرفونها أو يعرفونها ولا يعملون بها[3] .

---

(١) الـدرر السنيـة ، ط ٢ ، جـ ٢ ص ٥٦ ، ومؤلفـات الشيـخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، ص ١٠ ، والقسم الرابع ، التفسير ص ٣٤٥ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب ، ص ١٢-١٤ .

(٣) المـرجـع السـابق ، باب الـدعـاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ص ص ٢٠-٢٣ وباب قول الله تعالى : ﴿ أيشـركـون ما لا يخلق شيئـا وهم يخلقـون ﴾ ص ٤٧ ، والقسم الـرابع ، التفسير ، آيات من الزمر ص ٣٤٥ =

كل هذا يؤكد أهمية تعلم التوحيد لاسيما وأن التوحيد له أعداء من الشياطين يصدون عنه ويجادلون كما تقدم بيانه. وهذا كله يؤكد أهمية تعلم التوحيد وضده والعمل بالتوحيد وترك ضده، أهمية بالغة وبالنسبة لكل إنسان مهما كان، ويؤكد عدم الالتفات لقول من يقول التوحيد عرفناه وفهمناه وأمره سهل وليس للشرك وجود ولا خطر(١).

بل إذا عرف الإنسان أن الله أمر بهذا التوحيد ونهى عن ضده . . وجب عليه أن يعلم المأمور به ويسأل إلى أن يعرفه، وأن يعلم المنهى عليه ويسأل إلى أن يعرفه وأن يحبه ويعزم ويعمل، ولو تغيرت دنياه أو عارضه أحد من المعظمين، وأن يخلص ذلك لله وأن يجعله صوابا على سنة رسول الله ﷺ وأن يخشى من محبطات عمله وأن يثبت عليه ويخاف من سوء الخاتمة(٢).

وبعد أن بينا تفسير التوحيد عند الشيخ والمراد من قوله «لا إله إلا الله» وفرضه ومكانته وأهميته وفضله نبين:

أن الشيخ رحمه الله يستدل على التوحيد وتفسيره وعلى أن هذا التوحيد هو المطلوب الذى يرضاه الله ولا يرضى ضده بالبراهين العظيمة التى احتج الله بها على خلقه واستدل بها رسل الله ومن تبعهم على الأمم المخالفة، فاستدل بربوبية الله العامة للعالمين، وبآثار صفات الوحدانية لله تعالى بالقدرة والغنى والعلم على وجه الكمال فى مخلوقاته واستدل بنبوة محمد ﷺ ورسالته وبالوحي المنزل عليه المعجز، وبسنته الصحيحة من أقواله وأفعاله وتقريره. واستدل بمخلوقات الله تعالى وعبوديتها له وفقرها وحاجتها إليه طوعا وكرها.

ويقرر الشيخ تقريب الله التوحيد بالعقل، والنقل، والأئمة، والأدلة المصرفة

= والقسم الخامس، الشخصية رقم ١١ ص ٦٧، وملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٩٢ ص ص ٧٩-٨٢.

(١) الدرر السنية ط ٢ جـ ٢ ص ٥٦، ومؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب الخوف من الشرك ص ص ١٨-١٩. وكشف الشبهات ص ١٥٨-١٦٠ والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢٢ ص ص ١٥٦-١٥٧. والقسم الرابع، التفسير، البقرة ص ٢٨-٢٩، وص ٤٠-٤٤، والأنعام ص ٥٣-٥٤ وص ص ٥٩-٦٣، وص ص ٦٣-٦٨.

(٢) الدرر السنية ط ٢ جـ ٢ ص ٣٨-٣٩ بتصرف قليل. ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٣ ص ١٦٢.

يقول الشيخ: «فأما العقل فكون الإنسان الذى فى عقله: أنك تلجأ إلى الحى ولا تلجأ إلى الميت، وتطلب الحاضر ولا تطلب الغائب، وتطلب الغنى ولا تطلب الفقير».

وأما النقل ففى القرآن أكثر من أربعين مثلا.

وأما الأئمة فمثل ما يعرف أن الناس متعلقة قلوبهم بالعلماء، ويقال من أكبر الأئمة؟

ومعلوم أنه محمد وإبراهيم عليهما السلام.

فأما إبراهيم فكما قال تعالى: ﴿ إنى جاعلك للناس إماما ﴾ (البقرة: ١٢٤).

ولما جعله الله إماما معلوم أنه فى التوحيد، وما جرى عليه من قومه أوقدوا له نارا اذا مر الطير من فوقها سقط فيها.

ومحمد ﷺ، فأى شيء هو مرسل به دعوة الصالحين هو مرسل يهدمها أو يقيمها؟ أو ساكت عنها لا قال شينه ولا زينه؟ ومعلوم أنه ما تفارق هو وقومه إلا عندها.

وأما الأدلة المصرفة فبحر لا ساحل له كل ما رأيت فهو يدل على الوحدانية[1].

وكم كان استدلال الشيخ بربوبية الله تعالى وصفاته على التوحيد، فلقد قرر وأكد الاستدلال بالآيات والبراهين الكثيرة فى مواضع شتى من آثاره ومؤلفاته ـ رحمه الله ـ ولا أدل على ذلك من المبحث المتقدم فى الربوبية والأسماء والصفات الذى هو توحيد المعرفة والاثبات فهو توحيد العلم وقدمناه لأنه برهان توحيد الطلب فليراجع.

ونزيد ذلك ايضاحا بما نذكره هنا من الاشارة إلى وجه الاستدلال فنقول: إن الشيخ رحمه الله يرى أن توحيد الربوبية هو الاقرار بربوبية الله والاقرار بصفاته صفات الكمال دليل عظيم وبرهان ساطع على توحيد الالهية.

فربوبية الله للعالمين من أخص صفاته سبحانه وتعالى، وهذا أمر مسلم به حتى من الكفار، فان الكفار الذين كانوا على زمن رسول الله ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية.

قال الشيخ: «توحيد الربوبية هو الذى أقر به الكفار كما فى قوله تعالى: ﴿ قل

---

(١) الدرر السنية، جـ ٢ ص ٤٠.

من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ (يونس: ٣١). هذا الاقرار بتوحيد الربوبية يلزم منه أن يقروا بتوحيد الالهية وأن لا يعبدوا إلا الله تعالى ولكنهم لم يقروا باللازم بل نازعوا فيه وأعلنوا استنكارهم له فقالوا: ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا لشيء عجاب ﴾ - يعنون رسول الله ﷺ حين قال لهم قولوا: «لا إله إلا الله».

لأن الإله فى كلام العرب هو الذى يقصد للعبادة، وكانوا يقولون: ان الله سبحانه هو إله الآلهة، لكن يجعلون معه آلهة أخرى، مثل الصالحين والملائكة وغيرهم يقولون ان الله يرضى هذا ويشفعون لنا عنده، فكذبوا رسول الله ﷺ بأن الله سبحانه يستدل عليهم باقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم هذا، لأنه إذا كان هو المدبر وحده وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة - فكيف يدعون معه غيره مع إقرارهم بهذا؟[1].

وكذلك المنازعون للشيخ فى التوحيد هم يقرون بتوحيد الربوبية لكنهم قد أضافوا على اقتصارهم فى التوحيد على الربوبية دون الالهية دعوى أنهم إذا قالوا لا يخلق ولا يرزق ولا يضر ولا ينفع إلا الله فقد قالوا بمقتضى لا إله إلا الله كما يقولونها بألسنتهم. ومن هنا صار الشيخ يبين التوحيد، والفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وأنه لا نزاع فى توحيد الربوبية.

قال الشيخ مستدلا على منازعيه بما أقروا به: «فاذا قيل لا خالق إلا الله لا يشاركه فى ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل، وإذا قيل لا يرزق إلا الله فكذلك فاذا قيل لا إله إلا الله فكذلك»، ثم قال الشيخ يخاطب بعض من يراسلهم: «فتفكر رحمك الله فى هذا وأسأل عن معنى الإله كما تسأل عن معنى الخالق والرازق، واعلم أن معنى الإله هو المعبود، وهذا هو تفسير هذه اللفظة باجماع أهل العلم فمن عبد شيئا فقد اتخذه إلها من دون الله، وجميع ذلك باطل إلا إله واحد، وهو الله تبارك وتعالى علوا كبيرا»[2].

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ٧ ص ٤٢. ومؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، القواعد الأربع ص ص ٢٠٠-٢٠٢.

(٢) الدرر السنية ط ٢ جـ ٢ ص ٥٣، ٥٤

ويقـول الشيـخ فى تفسـير قول الله تعـالى : ﴿ اذ قال له ربـه أسلم ـ قال : أسلمت لرب العالمين ﴾ (البقرة: ١٣١) ـ فيه أن إبراهيم استجاب لله فيما أمره به وهو الإسـلام ، الـذى هوسبب الكـلام والخصـومـة ، وأن إبـراهيم وصف ربه سبحانه بما يوضح المسألة ، وهو الربوبية للعالم كله ، فانظر رحمك الله تعالى إلى هذا التقرير والثناء والتوضيح للإسلام»[1].

وقـال الشيـخ فى ذكـر بعض ما فى قوله تعالى : ﴿ قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ﴾ إلى قوله: ﴿ يعملون ﴾[2] من بيان الحق وإبطال الباطل.

الأولى : إذا كانت المحـاجـة فى الله سبحـانـه من أقـرب ما يكـون إليـه من المختلفـين فى مسألـة التـوحيـد ، فإذا كان الله رب الجميـع وأنـه عدل لا يظلم باقـرار الجميـع ثم افـترقنـا فى كوننـا قاصـدينـه مخلصين له الدين وأنتم قصدتم غيره فكيف يساوى بيننا وبينكم أو يخص بكرامته من أعرض عنه دون من قصده؟ هذا لا يدخل عقل عاقل.

وبيان ذلك بمعرفة الله تعالى فيما اجتمعنا وإياكم عليه ، ومعرفة حالنا وحالكم فى المسألة ، وذلك أنا مجمعون على استوائنا وإياكم فى العبودية ، بخلاف ملوك الدنيا فان بعض الناس يكون أقرب إليهم من بعض بالقرابة وغيرها ، ونحن مجمعون أيضا أنـه لا يظلم أحـدا من عبيـده ، بل كل نفس ﴿ لها ما كسبت وعليهـا ما اكتسبت ﴾ (البقرة: ٢٨٦) ، بخلاف ملوك الدنيا فانهم يأخذون مال هذا ويعطون هذا ، فإذا كان الأمر كذلك فكيف تدعون أنكم أولى بالله منا ، ونحن له مخلصون وأنتم به مشركون؟ وكيف يظن به أنه يساوى بين من قصده وحده لا شريك له ، ومن قصد غيره وأعرض عنـه؟ وهـل يظن عاقـل أوسفيـه برجـل من بنى آدم خصـوصا إذا كان كريما، أن من قصده وضاف عنده يكرهه ولا يضيفه ، ويخص بالرضا والكرامة والضيافة من أعرض عنه وضاف عند غيره مع استواء الجميع فى القرب منه والبعد؟ هذا لا يظن فى الآدمى فكيف يظن برب العالمين؟ فتبين بقضية العقل أن ما جاءت به الرسل من الاخلاص

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٣٥.

(٢) قال تعالى : ﴿ قل : أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون . أم تقولـون ان إبـراهيم وإسـماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أونصارى . قل : أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون . تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ سورة البقرة: ١٣٩-١٤١.

هو الموافق للعقل، وما فعل المشركون هو العجاب المخالف للعقل، فيالها من حجة ما أعظمها وأبينها، لكن لمن فهمها كما ينبغي[1].

ويستدل الشيخ بمفهوم الإله عند العرب وعند أهل العلم وأنه المعبود وأن صفة الله بالإله صفة يختص بها لا يشركه فيها غيره ولذا كان قول: لا إله إلا الله والعمل بمقتضاها هو الدخول فى التوحيد المطلوب والتحقق به. لأن الله تعالى هو الإله الحق الذى لا إله حقيقة إلا هو، ومعنى أنه الإله أى المألوه، والمألوه هو أعلى الغايات عند المسلم والكافر، إلا أن الكافر يزعم أن الله هو الإله الأكبر لكن معه آلهة أخرى تشفع عنده، والمتكلم ممن يدعى الإسلام جنى عليه اعراضه عن الوحى واقباله على معقولات البشر فضل عن معرفة معنى الإله فظن أن معنى الإله هو القدرة على الخلق. ثم قال التوحيد لا يتم إلا بنفى الصفات فنفاها فصار الكافر أعقل منه، أما المسلمون حقا فأجمعوا مع الأنبياء فى اجماعهم على أن الإله وصف يختص الله به وهو الجامع لصفات الكمال فانه يدل على العلم العظيم والقدرة العظيمة وهاتان الصفتان أصل جميع الصفات - كما قال الله تعالى: ﴿ **الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما** ﴾ (الطلاق: آخرها).

وقال الشيخ: «فمن أنكر الصفات فهو معطل والمعطل شر من المشرك ولهذا كان السلف يسمون التصانيف فى إثبات الصفات كتب التوحيد وختم البخارى صحيحه بذلك - قال: كتاب التوحيد ثم ذكر الصفات بابا بابا.

فبين السلف أن العبادة إذا كانت كلها لله عن جميع المخلوقات فلا تكون إلا بإثبات الصفات والأفعال فتبين أن منكر الصفات منكر لحقيقة الألوهية لكن لا يدرى وتبين لك أن من شهد أن لا إله إلا الله صدقا من قلبه لابد أن يثبت الصفات والأفعال»[2].

فنكتة المسألة أن المتكلمين يقولون: التوحيد لا يتم إلا بإنكار الصفات - فقال أهل السنة لا يتم التوحيد إلا بإثبات الصفات وتوحيدكم هو التعطيل ولهذا آل هذا

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ص ٢٨-٢٩، وانظر: ص ص ٤٠، ٤١.

(٢) الدرر السنية، ط ٢ جـ ١ ص ص ٧٠-٧١.

القول ببعضهم إلى إنكار الرب تبارك وتعالى ، ثم يقرر الشيخ : أن أكابر أهل العلم قد يغلطون فى مفهوم الإله ومن ثم يغلطون فى مسمى التوحيد ، وينقل عن الشيخ تقى الدين ابن تيمية قوله : قد غلط فى مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام ومن أهل الارادة والعبادة ، حتى قلبوا حقيقته ، فطائفة ظنت أنه نفى الصفات وسموا أنفسهم أهل التوحيد ، وطائفة ظنت أنه ليس إلا الاقرار بتوحيد الربوبية ، وأطالوا الكلام فى تقرير هذا الموضع ، إما بدليل أن الاشتراك يوجب نقص القدرة ، واستقلال كل من الفاعلين بالفعل محال ، وإما بغير ذلك ولم يعلموا أن مشركى العرب مقرون بهذا التوحيد - قال الله تعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ﴾ (الآيات من سورة المؤمنين من آية ٨٤ إلى آية ٨٩) . وهذا من التوحيد الواجب لكن لا يخلص من الشرك بالله الذى لا يغفره الله ، بل لابد أن يخلص لله الدين فيكون دينه لله ، والإله هو المألوه وكونه يستحق ذلك مستلزما لصفات الكمال ، فلا يستحق أن يكون معبودا ومحبوبا لذاته إلا هو، فكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ (الأنبياء : ٢٢) وقد بينا أن الآية لم يقصد بها دليل التمانع فانه يمنع وجود المفعول لافساده بعد وجوده[١] .

ويستدل الشيخ - رحمه الله - على التوحيد بنبوة محمد ﷺ أيضا فيقول :

«ولما أراد الله سبحانه اظهار توحيده واكمال دينه ، وأن تكون كلمته هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى ، بعث محمدا ﷺ خاتم النبيين وحبيب رب العالمين[٢] إلى الناس كافة فأتاهم النبى ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهى : «لا إله إلا الله» .

والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها[٣] - كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾[٤] (الأنبياء : ٢٥) - ففى هذه الآية دليل على أن الله أوحى إلى رسله جميعا أنه مختص بالالهية . وفى هذه الآية كما فى غيرها من الآيات الخبر عن أكبر المسائل على الاطلاق وهى تفرد الله

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١١ ص ٦٧ وملحق المصنفات ، مسائل ملخصة مسألة رقم ٩٢ ص ص ٧٩-٨٢ .

(٢) الدرر السنية ، ط ٢ جـ ٢ ص ٤٦ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كشف الشبهات ص ١٥٧ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الأنعام ص ٦٤ .

بالالهية وهذا هو التوحيد[١]، وفى الآية التعقيب المباشر بالأمر بلازم التوحيد، وهو افراد الله بالعبادة، وذلك مثل قوله لموسى عليه وعلى محمد الصلاة والسلام ﴿ **وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى : إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى** ﴾ (طه : ١٤).

ذكر الشيخ أن فيه: امره بالاستماع لما يوحى وأن أول ذلك أكبر المسائل على الاطلاق وهو تفرده بالالهية، وأمره بلازم التوحيد وهو افراده بالعبادة[٢]. ومثله قول الله تعالى: ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ (الكهف: آخرها).

وينبه الشيخ إلى طريقة القرآن فى الاستدلال والبرهنة على التوحيد وهى الطريقة العقلية الشرعية فهى عقلية حيث أن العقل يشهد بصحتها وشرعية حيث أن الشرع جاء بها ومن ذلك ما قاله الشيخ فى قوله تعالى: ﴿ **لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال : ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين. قال : ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين . ابلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون . أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون . فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين** ﴾ (الأعراف: ٥٩-٦٤).

قال الشيخ فيه: «تعريفهم أن هذا الذى استغربوا ونسبوا من قاله إلى الجهالة والجنون هو الواجب فى العقل وهو أيضا حظهم ونصيبهم من الله، لأنه سبب الرحمة ففى هذا الكلام من أوله إلى آخره من تحقيق الحق وذكر أدلته العقلية على تحقيقه وابطال الباطل وذكر الأدلة العظيمة على بطلانه ما لا يخفى على من له بصيرة[٣].

ومن ذلك ما نبه إليه الشيخ فى قوله تعالى فى سورة الأنعام عن محاجة إبراهيم لقومه.

---

(١) الدرر السنية ط ٢ جـ ١ من كلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ص ٦٩-٧١.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ٢٩٥.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الأعراف ص ص ١٠١،١٠٢.

قال الشيخ ـ رحمه الله ـ فى تفسيره ومن قوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر ـ إلى قوله ـ ان هو إلا ذكرى للعالمين ﴾[1] ـ فيه مسائل ـ :

الأولى : قوله : ﴿ أتتخذ أصناما آلهة ﴾ السؤال عن معنى الآلهة فانها جمع إله وهو أعلى الغايات عند المسلم والكافر فكيف يتخذ جمادا ، وهذا أعجب وأبعد عن العقل من جعل الحمار قاضيا ، لأن الحيوان أكمل من الجماد فاذا كان هذا من خشب أو حجر لم يعص الله ، فكيف بمن اتخذ فاسقا إلها مثل نمرود وفرعون ، فإن كان اتخذه بعد موته فأعجب وأعجب .

الثانية : القدح فى حجتهم لأن السواد الأعظم ليس لهم حجة إلا هى ، فيدل على الرسوخ فى مخالفتهم بالأدلة اليقينية لقوله : ﴿ إنى أراك وقومك فى ضلال مبين ﴾ .

الثالثة : قوله تعالى : ﴿ وكذلك نُرِى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ﴾ فان ذلك من أعظم الأدلة على المسألة ببديهة العقل ، لأن من رأى نخلا كثيرا لا يتخالجه شك أن المدبر له ليس نخلة واحدة منه . فكيف بملكوت السموات والأرض؟

---

(١) أورد كامل الآيات بنصها من المصحف الكريم لتتبين اشارات الشيخ فى استنباطاته فهو رحمه الله ـ يشير اشارات موجزة لا تفهم إلا بعد قراءة الآيات التى اشار إليها وذلك لأن المفروض هو استحضار الآيات عن ظهر قلب ـ قال تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر اتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضآلين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاءُ ان ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون . أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ﴾ (الأنعام : ٧٤-٩٠) .

الرابعة : ان هذا النفى إنما نفى لأجل الاثبات.

الخامسة : ﴿ وليكون من الموقنين ﴾ فلم يكمل غيره حتى كمل.

السادسة : عظم مرتبة اليقين عند الله لجعله التعليم علة لايصاله إليه.

السابعة : براءته من شركهم نفى أولا كونها : تستحق. ونفى ثانيا عن نفسه الالتفات إليها.

الثامنة : نفى النقائص عن ربه.

التاسعة : ذكر توجهه الذى هو العمل.

العاشرة : ذكر الدليل الذى دله على النفى والاثبات.

الحادية عشرة : تحقيقه ذلك بكونه حنيفا، وهذه المسألة التى قال الله فى ضدها ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ﴾ (يوسف:١٠٦).

الثانية عشرة : تصريحه لهم بما ذكر ولم يدار مع كثرتهم ووحدته.

الثالثة عشرة : تصريحه بالبراءة منهم بقوله : ﴿ وما أنا من المشركين ﴾.

الرابعة عشرة : ﴿ وحاجه قومه ﴾ ولم يذكر حجتهم، لأن كلامه كاف عن كل ما يقولون.

الخامسة عشرة : أنهم لما خصموا رجعوا إلى التخويف كفعل أمثالهم، فذكر أنه لا يخاف إلا الله، لتفرده بالضر والنفع بخلاف آلهتهم فذكر النفى والاثبات.

السادسة عشرة : سعة العلم وما قبله سعة القدرة، وهاتان هما اللتان خلق العالم العلوى والسفلى لأجل معرفتنا بهما.

السابعة عشرة : أن من ادعى معرفتهما وأشكل عليه التوحيد فعجب، ولذلك قال : ﴿ أفلا تتذكرون ﴾.

الثامنة عشرة : قوله : ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم؟ ﴾ إلى آخره يدل على أنها حجة عقلية تعرفها عقولهم.

التاسعة عشرة : قوله : ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ يدل على أن من أشكلت عليه هذه الحجة فليس له علم.

العشرون : البشارة العظيمة والخوف الكثير فى فصل الله هذه الخصومة، إذا عرف ما جرى للصحابة، وما فسرها لهم به النبى ﷺ.

الحادية والعشرون : تعظيمه سبحانه هذه الحجة باضافتها إلى نفسه، وأنه الذى أعطاها إبراهيم عليه السلام عليهم.

الثانية والعشرون : أن العلم بدلائل التوحيد وبطلان الشبه فيه يرفع الله به المؤمن درجات.

الثالثة والعشرون : معرفة أن الرب تبارك وتعالى حكيم يضع الأشياء فى مواضعها.

الرابعة والعشرون : كونه عليم بمن هو أهل لها كما قال تعالى : ﴿ **وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾ (الفتح : ٢٦).

الخامسة والعشرون : ذكر نعمته على إبراهيم بذريته التى أنعم عليهم بالهداية.

السادسة والعشرون : أن العلم والهداية أفضل النعم لقوله : ﴿ **ونوحا هدينا من قبل** ﴾.

السابعة والعشرون : هداية المذكورين أصولهم وفروعهم ومن فى درجتهم.

الثامنة والعشرون : ذكره الذى هداهم الله إليه. وهو الصراط المستقيم، وهو المقصود من القصة.

التاسعة والعشرون : التنبيه على الاستقامة.

الثلاثون : القاعدة الكلية أن هذا الطريق هو هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ليس للجنة طريق إلا هو.

الحادية والثلاثون : التنبيه على أن الهداية إليه بمشيئته ليظهر العجب وتشكر النعمة.

الثانية والثلاثون : العظيمة التى لم يعرفها أكثر من يدعى الدين، وهى مسألة تكفير من أشرك وحبوط عمله، ولو كان أعبد الناس وأزهدهم.

الثالثة والثلاثون : ذكره أنه أعطاهم ثلاثة أشياء : الكتاب، والحكم، والنبوة، فلا يرغب عن طريقهم إلا من سفه نفسه.

الرابعة والثلاثون : ما فى قوله ﴿ **فان يكفر بها هؤلاء** ﴾ إلى آخره من العبر والتحريض على الحرص على طلب العلم من طريقهم وما فيه من النفور من الجهل وتقسيمه.

الخامسة والثلاثون : قوله : ﴿ **فبهداهم اقتده** ﴾ أن دينهم واحد وأن شرعهم شرع لنا .

السادسة والثلاثون : النهى عن البدع فان فى التحريض عليه نهى عن ضده .

السابعة والثلاثون : كون النذير البشير مع مقاساة الشدائد فى ذلك لم يطلب منا أجرا عليه .

الثامنة والثلاثون : كونه ذكرى، ففيه الرد على من يقرأ بلا تدبر.

التاسعة والثلاثون : قوله : ﴿ **للعالمين** ﴾ فيه تكذيب من قال: لا يعرفه إلا المجتهد .

الأربعون : الحصر فيما ذكر، والله سبحانه أعلم[1] .

ومن ذلك ما قرره من مسائل على آيات من سورة يوسف ـ قال تعالى : ﴿ **قال : لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائي إبراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سمَّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (الآيات : ٣٧ـ٤٠) .

يقول عليه السلام إنى عليم بتعبير الرؤيا هذه وغيرها ﴿ **فلا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله** ﴾ قبل اتيانه فكيف بغير ذلك؟ ففيه مسائل :

الأولى : ذكر العالم أنه من أهل العلم عند الحاجة ولا يكون من تزكية النفس .

الثانية : اضافة هذه النعمة العظيمة إلى معطيها سبحانه لا إلى فهم الانسان واجتهاده .

الثالثة : ذكر سبب اكرام الله له بهذا الفضل وهو الترك والفعل فترك الشرك الذى هو مسلك الجاهلين واتبع التوحيد الذى هو سبيل أهل العلم من الأنبياء وأتباعهم .

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الأنعام ص ص ٦٣ـ٦٨ .

الرابعة : ذكره أنه من هؤلاء الأكرمين فانتسب إلى البيت الذى هو أشرف بيوت أهل الأرض، وهذا جائز على غير سبيل الافتخار خصوصا عند الحاجة.

الخامسة : أنه صرح لهم بأنهم إبراهيم وإسحق ويعقوب.

السادسة : أن الجد يسمى أبا كما ذكر ابن عباس واحتج بالآية على زيد بن ثابت.

السابعة : قوله : ﴿ **ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء** ﴾ قيل معناه أن الله عصمنا، وهذه الفائدة من أكبر الفوائد وأنفعها لمن عقلها، والجهل بها أضر الأشياء وأخطرها.

الثامنة : قوله : ﴿ **من شىء** ﴾ عام كل ما سوى الله، وهذه المسألة هى التى غلط فيها أذكياء العالم وعقلاء بنى آدم، كما قال تعالى : ﴿ **كبر على المشركين ما تدعوهم إليه** ﴾ (الشورى : ١٣).

التاسعة : ذكر سبب معرفتهم بالمسألة وعلمهم بها وثباتهم عليها، وهو مجرد فضل الله فقط عليهم.

العاشرة : أن فضله سبحانه ليس مخصوصا بنا بل عام للناس كلهم لكن منهم من قبله ومنهم من رده، وذلك أنه أعطى الفطرة ثم العقول، ثم بعث الرسل وأنزل الكتب.

الحادية عشرة : إزالة الشبهة عن المسألة التى هى أكبر الشبه، وذلك أن الله إذا تفضل بهذا كله خصوصا البيان فما بال الأكثر لم يفهم ولم يتبع فما أكثر الجاهلين بهذا وما أكثر الشاكين فيه، فقد ذكر تعالى أن السبب أن جمهور الناس لم يشكر فأما من عرف النعمة فلم يلتفت إليها فلا اشكال فيه. وأما من لم يعرف فذلك لاعراضه ومن أعرض فلم يطلب معرفة دينه فلم يشكر.

الثانية عشرة : دعوته إياهما عليه السلام إلى التوحيد فى تلك الحال، فلم تشغله عن النصيحة والدعوة إلى الله فدعاهما أولا بالعقل، ثم بالنقل : وهى الثالثة عشرة.

الرابعة عشرة : قوله : ﴿ **أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار** ﴾ فهذه حجة عقلية شرحها فى قوله تعالى : ﴿ **ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا** ﴾ الآية (الزمر : ٢٩).

الخـامسـة عشـرة : أن الـذى فى الجانب الآخر هو الذى جبلت القلوب وأقرت الفطر أنه ليس له كفو.

السـادسـة عشـرة : أنه هو القهار مع كونه واحدا، وما سواه لا يحصيهم إلا هو فهذا قوله، وهذا عجزهم فكيف يعدل به واحد منهم، أو عشرة أو مائة.

السابعة عشرة : بيان بطلان ما عبدوا من دونه بأنها أسماء لا حقيقة لها.

الثامنة عشرة : التنبيه على بطلانها بكونها بدعة ابتدعها من قبلكم فتبعتموهم.

التـاسعـة عشـرة : بيـان الواجب على العبد فى الأديان السؤ ال عما أمر الله به ونهى عنه، وهو السلطان المنزل من السماء، لا يعبد بالظن وما تهوى الأنفس.

العشرون : القاعدة الكلية التى تفرع عنها تلك الجزئية وهى أن أحكام الدين والـدنيـا إلى الله لا إلى آراء الـرجـال ـ كما قال تعـالى : ﴿ **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله** ﴾ (الشورى: ١٠).

الحادية والعشرون : إذا ثبت أن الحكم له وحده دون الظن وما تهوى الأنفس فانـه سبحـانـه حكم بأن العبـادة كلها محصورة عليه ليس لأحد من أهل السماء وأهل الأرض منها شيء .

الثانية والعشرون : أن هذه المسألة هى الدين القيم وكلما خالفها أو ليس منها فليس بقيّم بل أعـــوج، فعـلامـة الحق أن العقـول السليمـة تعـرف اعـوجـاج غيره بالفطـرة، ومـع هذا أنـزل الله السلطـان من السـماء بتحقيق هذا والالزام به، وتبطيل ذلك وتغليظ الوعيد عليه.

الثالثة والعشرون : المسألة الكبيرة العظيمة التى لو تجعلها نصب عينيك ليلا ونهارا لم يكن كثيرا، وأيضا تبين لك كثيرا من المسائل التى أشكلت على الناس وهى أن الله بين لنا بيانا واضحا أن الأكثر والجمهور الذى يضيقون الديار ويغلون الأسعار من أهـل الكتـاب والأميـين لا يعلمـون هذه المسألـة : مع ايضـاحهـا بالعقـل والنقل والفطرة، والآيات النفسية والأفقية[١].

وفى استنبـاطـات الشيـخ من سورة النحل يشير إلى الأدلة والمدلول عليه ـ قال الله تعـالى : ﴿ **أتى أمـر الله فلا تستعجلوه سبحـانـه وتعـالى عما يشـركـون** ، ينزل

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ص ١٤٤-١٤٧.

الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا انه لا إله إلا أنا فاتقون ، خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ، خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، والأنعام خلقها ، لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين ، هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ، وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون ، وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ، وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون . وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم ، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون . والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون . إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴾ .

قال الشيخ : فيها ذكر الحكمة فى إنزال الروح وهو إنذار الخلق عن الشرك ، وفيها الاستدلال بخلق السموات والأرض وأنه بالحق ، والاستدلال بخلق الإنسان ، فذكر أولا : الخلق العام ثم الخاص وفيها الاستدلال بخلق الأنعام على اختلافها وأن ذلك لنا ، وذكر الخيل والبغال والحمير فى الاستدلال ، والتنبيه على خلق ما لا نعلم ، وفيها الاستدلال بانزال المطر والاستدلال بخلق الليل والنهار والعلويات وتسخيرها لنا بأمره وأنها آيات مخصوصة بالذين يعقلون ، وفيها الاستدلال بخلق ما فى الأرض لنا على اختلافه وكثرته والآيات فى ذلك وتخصيص المتفكرين بفهمها ، وتسخير الله البحر وأنه الذى فعله لا غيره ، والاستدلال بخلق الجبال وفى قوله تعالى : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ؟ ﴾ الدليل القاطع البديهى الفطرى الضرورى ، وأن الذين يدعون من دون الله ليس لهم قدرة ولا لهم علم فلا يخلقون شيئا ولا يدرون متى يبعثون ، وأنهم أموات غير أحياء وذكر المدلول عليه وهو توحيد الالهية وأنه مع

تكـاثـر هذه الأدلـة ووضوحها أنكرته قلوب هؤلاء وسببه عدم الإيمان بالآخرة لاخفاء الأدلة وأن الشرك وعدم الإيمان بالآخرة متلازمان[1].

ومن ذلـك أيضـا ما ورد فى سورة الـزمر- قال الله تعالى : ﴿ **تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار ، لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ، خلق السموات والأرض بالحق يكـور الليـل على النهـار ويكـور النهـار على الليـل وسخـر الشمس والقمـر كل يجرى لأجـل مسمى ألا هو العـزيز الغفار ، خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون ان تكفـروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعبـاده الكفـر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخـرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انـه عليم بذات الصدور ، واذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قـل : تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار** ﴾ (الزمر: ١-٨).

قال الشيخ فى مسائله المستنبطة من هذه السورة :

الآية الأولى : فيها منته بالكتاب .

الثانية : انزاله من السماء .

الثالثة : منه سبحانه .

الرابعة : ذكر عزته فى هذا الموضع .

الخامسة : ذكر حكمته فيه .

والآية الثانية : فيها الأولى والثانية (يعنى منته بالكتاب، وانزاله الكتاب) .

الثالثة : انزاله بالحق ، فيفيد الرد على أكثر الناس فى مسائل كثيرة .

الـرابعـة : تخصيصـه الـرسول ﷺ بانزاله فالنعمة عليه أكبر ، وعليه من الشكر أكثر، وكذلك من خص بها يشابه ذلك .

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ص ١٩٩-٢٠٥ .

الخامسة : نتيجة انزاله بالحق ونتيجة الأنعام به وهى عبادة الله بالاخلاص - وهذه الخامسة هى الدين كله ، وجعلها بين الرابعة والسادسة وهى أن الدين الخالص لله ، وغير الخالص ليس له وهما قاعدتان عظيمتان .

الآية الثالثة : فيها ابطال اتخاذ الأولياء من دونه .

والثانية : ابطال ما غرهم به الشيطان أن قصدهم وجه الله لا غير ، وما أجلها من مسألة .

الثالثة : الوعيد الشديد على ذلك .

الرابعة : ذكره تكفير من فعل ذلك .

الخامسة : تكذيبه .

السادسة : ذكره أنه لا يهدى هذا ، وهى من مسائل الصفات .

الآية الرابعة : فيها نفي اتخاذ الولد على سبيل الاصطفاء .

الثانية : ذكر خطئهم فى القياس لأنه لو يفعله لم يكن مما قالوا .

الثالثة : أنه مسبة لله بقوله سبحانه .

الرابعة : ذكره الوحدانية فى هذا .

الخامسة : ذكره القهر فيه .

السادسة : الاستدلال بالأسماء والصفات على النفى والاثبات ، وهى مسائل كبيرة عظيمة .

الآية الخامسة : فيها ذكر البراهين على ما تقدم من الدين الحق وضده وهذه البراهين هى :

الأولى : خلق السموات والأرض .

الثانية : أنه بالحق .

الثالثة : تكوير المكورين .

الرابعة : تسخير النيرين .

الخامسة : ذكر عزته فى هذا .

السادسة : ذكر مغفرته .

الآية السادسة : فى البراهين أيضا :

الأولى : خلقنا من نفس واحدة مع هذه الكثرة .

الثانية : خلقه منها زوجها.
الثالثة : انزاله لنا من الأنعام هذه النعم العظيمة.
الرابعة : خلقنا فى البطون.
الخامسة : أنه خلق من بعد خلق.
السادسة : أنه فى الظلمات الثلاث.
السابعة : كلمة الاخلاص.
الثامنة : التعجب من الغلط فى هذا مع كثرة هذه البراهين ووضوحها.
الآية السابعة : فيها سبع جمل كل واحدة مستقلة.
الآية الثامنة : فيها ذكر حال الإنسان مع ربه.
والثانية : هذه المسألة العجيبة من حاله.
الثالثة : برهان التوحيد.
الرابعة : حلمه سبحانه.
الخامسة : أن الكافر مقر بتوحيد الربوبية.
السادسة : أنه يخلص لله وينيب فى الضر.
السابعة : أن الاجابة فى هذا لا تدل على المحبة.
الثامنة : تدل على أن الحق عليه أكبر.
التاسعة : ومعرفة قدر الدنيا.
العاشرة : شدة الوعيد على هذا.
الحادية عشرة : أن الحجة عليه أكبر.
الثانية عشرة : ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع عنهم من السنة مثلها.
الثالثة عشرة : ما كفاه النسيان حتى جَعَلَ الشكر جَعْلَ الأنداد.
الرابعة عشرة : أمر المؤمن أن يعظ الفاعل(١).

ويستدل الشيخ بعبودية ما سوى الله طوعا وكرها وفقر المخلوقات مهما كانت إلى الله تعالى ـ ويبين أن كل ما سوى الله عبد مربوب مخلوق محتاج للإله الحق وليس له فى الألوهية حق.

كما قال تعالى : ﴿ إن كل من فى السموات والأرض الا آت الرحمن عبدا ،

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الزمر ص ص ٣١٧-٣٢١ وص ص ٣٢٥-٣٢٦.

لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال ضوابا** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها** ﴾[1] الآية (النحل : ١١١) .

وإذا كان الله قد أنكر عبادة من لا يملك لعابده نفعا ولا ضرا كما قال تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ (يونس : ١٨) .

وقال تعالى : ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله** ﴾ .

فمعلوم أن هذا يستلزم علمه بحاجة العباد ناطقها وبهيمها ، ويستلزم القدرة على قضاء حوائجهم ، ويستلزم الرحمة الكاملة واللطف الكامل وغير ذلك من صفات الكمال ونعوت الجلال[2] .

وهذا معنى الإله ، والإله هو الجامع لصفات الكمال ، فهو أعلى الغايات المعبود المحبوب المطلوب لهذه المخلوقات .

ويرى الشيخ أن مخلوقات الله من أظهر الآيات الدالة على التوحيد[3]

- ويقول : إذا قيل لك : من ربك؟ - فقل ربى الله الذى ربانى وربى جميع العالمين بنعمه وهو معبودى ليس لى معبود سواه والدليل قوله تعالى : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم . فإذا قيل لك : بم عرفت ربك؟ فقل بآياته ومخلوقاته[4] ، ومن آياته أن خلق وصور وشق السمع والبصر ووهب

---

(١) الدرر السنية ط ٢ جـ٢ ص ٥٣ .

(٢) انظر: الدرر السنية، ط ٢، جـ ١ ص ص ٦٩-٧١ . ومؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ٤٢ .

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق ص ٣٦٩ .

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٨٧ .

جميع الحواس[١]. والخلق أظهر آياته سبحانه، خاصة خلقه للإنسان، ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ﴾[٢].

ومن آياته المخلوقة التى خلقها وسخرها وهى دالة عليه الليل والنهار والشمس والقمر والسموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما[٣]. والدليل قوله تعالى: ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم إياه تعبدون ﴾ (فصلت: ٣٧).

وقوله تعالى: ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾[٤] (الأعراف: ٥٤).

ويستدل الشيخ بمثل قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ (البقرة: ٢١، ٢٢).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة[٥].

ويقول الله تعالى: ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾.

يقول الشيخ: بعد أن أورد هذه الآية ـ ثم ذكر الدليل فقال: ﴿ ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ، ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب ﴾[٦] (البقرة: ١٦٣-١٦٥).

---

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ص٥٨-٦٠، ٤٧، ٤٨.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق ص ٣٦٩، والنحل مسألة ١٥ ص ٢٠٤ وقصة موسى وفرعون ص ٢٩٩، ٣٠٥ والزمر ص ٣٣٩. والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ١٤ ص ٤٥.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الحجر ص ص ١٨٦-١٨٩.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ص ١٨٦، ١٨٧ وص ٣٧٠.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٨٧.

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٦.

هذا وقد عقد الشيخ بابا فى كتاب التوحيد ترجم له بقوله: باب قول الله تعالى: ﴿ **أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون** ﴾ أورد فيه من براهين التوحيد بيان عجز المخلوقات وكل ما سوى الله عن الخلق، وفقر العالمين جميعا إلى الله تعالى بالعقل والشرع - كما وردت فى النصوص الموحى بها إلى رسول الله ﷺ مثل قول الله تعالى: ﴿ **أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون، ولا يستطيعون لهم نصرا، ولا أنفسهم ينصرون** ﴾ (الأعراف: ١٩١، ١٩٢).

ومثل قوله تعالى: ﴿ **والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطمير. ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير** ﴾.

وفى الصحيح عن أنس، قال: «شج النبى ﷺ يوم أحد، وكسرت رباعيته فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: ﴿ **ليس لك من الأمر شىء** ﴾ (آل عمران: ١٢٨).

وفيه عن ابن عمر رضى الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن فلانا وفلانا، بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» فأنزل الله ﴿ **ليس لك من الأمر شىء** ﴾ الآية.

وفى رواية: «يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت ﴿ **ليس لك من الأمر شىء** ﴾.

وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ (الشعراء: ٢١٤) فقال: يامعشر قريش (أوكلمة نحوها) اشتروا أنفسكم، لا أغنى عنكم من الله شيئا، ياعباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا، ياصفية عمة رسول الله (ﷺ) لا أغنى عنك من الله شيئا، يافاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت، لا أغنى عنك من الله شيئا».

قال الشيخ فى مسألة: قوله للأبعد والأقرب «لا أغنى عنك من الله شيئا» فاذا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغنى شيئا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه

ﷺ لا يقـول إلا الحق ثم نظـر فيـما وقـع فى قلوب خواص الناس اليوم تبين له التوحيد وغربة الدين[1].

قال الشيخ ابن سعدى ـ رحمه الله ـ فى القول السديد الذى علق به على كتاب التـوحيـد تحت هذه الـترجمـة باب قول الله تعالى : ﴿ **أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقـون** ﴾ ـ هذا شروع فى براهـين التـوحيـد وأدلته فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقليـة ما ليس لغـيره ، فتقـدم أن التـوحيـدين توحيـد الـربـوبيـة وتـوحيد الأسماء والصفـات من أكـبر براهينـه وأضخمها ، فالمتفرد بالخلق والتدبير ، والمتوحد فى الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذى لا يستحق العبادة سواه .

وكذلك من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عبد مع الله فان جميع ما يعبـد من دون الله من ملك وبشـر ومن شجـر وحجـر وغـير هـا كلهم فقراء إلى الله عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة ، ولا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون ضرا ولا نفعـا ولا موتـا ولا حيـاة ولا نشـورا ، والله تعـالى هو الخـالق لكل مخلوق وهو الرازق لكل مرزوق المدبر للأمور كلها الضار النافع المعطى المانع الذى بيده ملكوت كل شىء وإليـه يرجـع كل شىء ولـه يقصـد ويصمـد ويخضع كل شىء . فأى برهان أعظم من هذا البرهان الذى أعاده الله وأبداه فى مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، فهو دليل عقلى فطرى كما أنه دليل سمعى نقلى على وجوب توحيد الله وأنه الحق وعلى بطلان الشرك .

وإذا كان أشرف الخلق على الاطلاق لا يملك نفع أقرب الخلق إليه وأمسهم به رحمـا فكيف بغـيره؟ فتبـا لمن أشرك بالله وساوى به أحدا من المخلوقين ، لقد سلب عقله بعد ما سلب دينه فنعوت البارى تعالى وصفات عظمته وتوحده فى الكمال المطلق أكبر برهان على أنه لا يستحق العبادة إلا هو.

وكذلك صفات المخلوقات كلها ، وما هى عليه من النقص والحاجة والفقر إلى ربهـا فى كل شؤونهـا ، وأنـه ليس لها من الكـمال إلا ما أعطاها ربها من أعظم البراهين على بطـلان إلهيـة شىء منهـا . فمن عرف الله وعرف الخلق اضطرته هذه المعرفة إلى عبادة الله وحده وإخلاص الدين له والثناء عليه ، وحمده وشكره بلسانه وقلبه وأركانه ،

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، كتاب التوحيد ص ص ٤٥ـ٤٧ .

وانصرافه عن التعلق بالمخلوقين خوفا ورجاء وطمعا[1]. أ ـ هـ بتصرف قليل.

والشيخ رحمه الله كثيرا ما يورد النصوص من الوحى الدالة على التوحيد مثل قول الله تعالى: ﴿ **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين ، وان يمسسك الله بضر ، فلا كاشف له إلا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم** ﴾ (يونس: ١٠٦، ١٠٧).

وقوله تعالى: ﴿ **ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق ، واعبدوه واشكروا له ، إليه ترجعون** ﴾ (العنكبوت: ١٧).

وقوله: ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء ، وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ (الأحقاف: ٥، ٦).

وقوله: ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أإله مع الله ؟** ﴾ (النمل: ٦٢)[2].

هذا ومن الأبواب التى عقدها الشيخ وتعد بيانا لبراهين التوحيد فى كتاب التوحيد هى :

١ ـ باب قوله تعالى: ﴿ **حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ، وهو العلى الكبير** ﴾[3] (سبأ: ٢٣).

٢ ـ باب الشفاعة[4] وفى قوله تعالى: ﴿ **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ،وما لهم فيهما من شرك ، وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، وهو العلى الكبير** ﴾ (سبأ: ٢٢، ٢٣).

قال الشيخ فيها الحجة على ابطال الشرك خصوصا ما تعلق على الصالحين وهى الآية التى قيل : إنها تقطع عروق الشرك من القلب.

---

(١) القول السديد بهامش كتاب التوحيد، ص ص ٦١-٦٤.

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ٤٢-٤٤ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ص ٤٨-٥٠.

(٤) المصدر السابق ، ص ص ٥١-٥٣.

٣ ـ باب : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (القصص: ٥٦)[١].

٤ ـ باب : (لا يستشفع بالله على خلقه)[٢].

٥ ـ باب : فى (حماية النبى ﷺ حمى التوحيد)[٣].

٦ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾[٤].

٧ ـ باب ما جاء فى قول الله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾[٥] وغير ذلك من الأبواب التى يطرقها الشيخ فى مؤلفاته: للدلالة على التوحيد.

ومن أدلة الشيخ التاريخية على معنى التوحيد استعراضه لما جرى بين رسول الله ﷺ وبين قومه ـ فمن ذلك يقول الشيخ: «وجرى بينه وبينهم ما يطول وصفه. وقص الله سبحانه بعضه فى كتابه.

ومن أشهر ذلك: قصة عمه أبى طالب لما حماه بنفسه وماله وعياله وعشيرته. وقاسى فى ذلك الشدائد العظيمة. وصبر عليها، ومع ذلك كان مصدقا له، مادحا لدينه محبا لمن اتبعه، معاديا لمن عاداه، لكن لم يدخل فيه، ولم يتبرأ من دين آبائه واعتذر عن ذلك بأنه لا يرضى بمسبة آبائه. ولولا ذلك لاتبعه. ولمّا مات ـ وأراد النبى ﷺ الاستغفار له ـ أنزل الله عليه: ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى ، من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾[٦] (براءة: ١١٣).

ويذكر الشيخ عن أبى محمد بن قدامة أن أبا طالب كان يقر بنبوة النبى ﷺ وله فى ذلك أشعار منها:

الا أبلغا عنى على ذات بيننا ... لؤيا وخصا من لؤى بنى كعب
بأنا وجدنا فى الكتاب محمدا ... نبيا كموسى خط فى أول الكتب
وأن عليه فى العباد محبة ... ولا خير[٧] ممن خصه الله بالحب

---

(١) المصدر السابق، ص ص ٥٤-٥٥.
(٢) المصدر السابق، ص ١٤٥.
(٣) المصدر السابق، ص ص ٦٦-٦٧، ١٤٦-١٤٧.
(٤) المصدر السابق، ص ١٢٤.
(٥) المصدر السابق، ص ص ١٤٨-١٥١.
(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة ص ص ٣٠-٣١.
(٧) ولا خير : أى لا أخير.

ومنهـا :

تعلم خيار الناس أن محمدا　　وزيرا لموسى والمسيح ابن مريم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا　　فإن طريق الحق ليس بمظلم

ولكنه أبى أن يدين بذلك خشية العار. ولما حضرته الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبى أمية ـ فقال : «ياعم قل: لا إله إلا الله، كلمة: أحاج لك بها عند الله» فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل ﷺ يرددها عليه، وهما يرددان عليه حتى كان آخر كلمة قالها : «هو على ملة عبد المطلب» فقال رسول الله ﷺ «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ، ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم : أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ (التوبة : ١١٣)، ونزل قوله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ (القصص : ٥٦).

وقصة وفاة أبى طالب أخرجها البخارى ومسلم عن سعيد بن المسيب عن أبيه، ورواها أحمد ومسلم والترمذى من حديث أبى هريرة[1].

وقصة أبى طالب يتضمنها الحديث الثانى من عشرين حديثا من صحيح مسلم قام بدراسة اسانيدها وشرح متونها الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد[2].

ويعلق الشيخ على هذه القصة فيقول: فيالها من عبرة ما أبينها، ومن عظة ما أبلغها. ومن بيان ما أوضحه[3].

ومن أدلة الشيخ على التوحيد أيضا ما وقع فى التاريخ الإسلامى من ذلك قصة الردة المشهورة، وموقف أبى بكر منها، وقصة أناس من بنى حنيفة وموقف ابن مسعود منهم فى الكوفة، وموقف علي بن أبى طالب رضى الله عنه ممن اعتقد فيه الالهية،

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ص ٦١، ٦٢، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ص ص ٥٤ـ٥٥.

(٢) «عشرون حديثا من صحيح مسلم، دراسة أسانيدها وشرح متونها» ص ص ٤٤ـ٥٧.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة ص ٣١، والقسم الأول، العقيدة، شرح ستة مواضيع من السيرة، الموضع الرابع ص ص ٣٥٧ـ٣٥٨.

وقصة المختار بن أبى عبيد الثقفى لما زعم أنه يوحى إليه، وموقف عبد الله بن الزبير منه ومن امرأته لما لم تتبرأ منه. وقصة الجعد بن درهم وكان من أشهر الناس بالعلم والعبادة وموقف خالد بن عبد الله القسرى منه حين قتله وإجماع العلماء على استحسان قتله كما ذكر ابن القيم. وقصة بنى عبيد القداح وقد كانوا مظهرين لشرائع الإسلام فلما أظهروا كفرهم، أجمع أهل العلم أنهم كفار وأن دارهم دار حرب مع اظهارهم شعائر الإسلام وقصة التتار لما أسلموا ولم يعملوا بما يجب عليهم من شرائعه ومع هذا كفرهم العلماء وغزوهم حتى أزالهم الله عن بلدان المسلمين.

قال الشيخ: «وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله، وأما من أراد الله فتنته: فلو تناطحت الجبال بين يديه لم ينفعه ذلك. ولو ذكرنا ما جرى من السلاطين والقضاة من قتل من أتى بأمور يكفر بها ولو كان يظهر شعائر الإسلام وقامت عليه البينة باستحقاقه للقتل، مع أن فى هؤلاء المقتولين من كان أعلم الناس وأزهدهم وأعبدهم فى الظاهر مثل الحلاج وأمثاله. ويكتفى الشيخ بذكر هذه الأمثلة ويقول: فلو ذكرنا قصص هؤلاء لاحتمل مجلدات ولا نعرف رجلا واحداً بلغ كفره كفر البدو الذين يقول عنهم من يزعم إسلامهم - انه ليس معهم من الإسلام شعرة إلا قول: «لا إله إلا الله». أى باللسان فقط مع اظهارهم نقيضها فهم لم يقولوها فى الحقيقة ولم يعتقدوا التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، ولم يعملوا بمقتضاها بل أظهروا كما يقول الشيخ إنكارهم للإسلام واستهزأوا به على عمد، وأظهروا كفرهم بالقرآن ودين الرسول ﷺ كله وكذبوا بالبعث وأنكروا الشرع الذى شرعه الله وزعموا أن شرعهم الباطل الذى أحدثه لهم آباؤهم هو حق الله.

ويتعجب الشيخ من بعض من يدعى العلم والكتب بأيديهم والتى يزعمون أنهم يعرفونها ويعملون بها وفيها مسائل الردة يفتون بمحاربة التوحيد الذى أقروا أنه دين الله ورسوله ﷺ وبمناصرة الشرك وهم يقرون بأنه الشرك ولكن يقول انها من أكبر آيات الله[1].

ولا يقتصر استدلال الشيخ - رحمه الله - على التوحيد بما ذكرنا، بل انه يستدل بكلام أهل العلم من جميع المذاهب الأربعة فيقول:

«وها أنا أذكر مستندى فى ذلك، من كلام أهل العلم من جميع الطوائف فرحم

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ص ٣٦-٥٠.

الله من تدبـرهـا بعـين البصـيرة ، ثمْ نصر الله ورسوله وكتابه ودينه ، ولم تأخذه فى ذلك لومة لائم .

فأما كلام الحنابلة فقال الشيخ تقى الدين ـ رحمه الله ـ لما ذكر حديث الخوارج : فإذا كان فى زمن النبى ﷺ وخلفـائـه ممن قد انتسب إلى الإسـلام من مرق منـه مع عبـادتـه العظيمة ، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة قد يمرق أيضا وذلك بأمور منهـا : الغلو الـذى ذمـه الله تعـالى كالغلو فى بعض المشائخ كالشيخ عدى بل الغلو فى علي بن أبى طالب بل الغلو فى المسيـح ونحـوه ، فكـل من غلا فى نبى أو رجل صالح ، وجعـل فيـه نوعـا من الالهيـة ، مثـل أن يدعـوه من دون الله بأن يقول : ياسيدى فلان أغثنى ، أو أجـرنى ، أو أنت حسبى ، أو أنـا فى حسبـك ، فكـل هذا شرك وضـلال ، يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل ، فان الله أرسل الرسل ليعبد وحده ، لا يجعل معه إلـه آخـر ، والـذين يجعلون مع الله آلهـة أخـرى مثـل المـلائكـة أو المسيح أو العزير أو الصـالحـين أو غيرهم ، لم يكـونـوا يعتقـدون أنهـا تخلق وترزق ، وإنما كانوا يدعونهم ، يقـولـون : «هؤلاء شفعـاؤنا عند الله» فبعث الله الرسل تنهى أن يدعى أحد من دون الله ، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة انتهى ، وقال فى الاقناع أول باب حكم المرتد : ان من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم فهو كافر اجماعا .

وأمـا كلام الحنفيـة فقـال الشيخ قاسم : فى شرح (درر البحار) النذر الذى يقع من أكثر العوام بأن يأتى إلى قبر بعض الصلحاء قائلا : ياسيدى ان رد غائبى أو عوفي مريضى ، أو قضيت حاجتى فلك من الـذهب أو الطعـام أو الشمـع كذا وكـذا باطل اجمـاعـا بوجوه منها : أن النذر للمخلوق لا يجوز ومنها : أنه ظن الميت يتصرف فى الأمر واعتقـاد هذا كفـر إلى أن قال : وقـد ابتلى النـاس بذلك ولاسيما فى مولد الشيخ أحمد البـدوى ، وقـال الإمـام البـزازى فى (فتـاويـه) : اذا رأى رقص صوفيـة زمـاننا هذا فى المسـاجـد مختلطـا بهم جهـال العـوام ، الذين لا يعرفون القرآن والحلال والحرام بل لا يعرفون الإسلام والإيمان ، لهم نهيق يشبه نهيق الحمير ، يقول : هؤلاء لا محالة اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، فويل للقضاة والحكام حيث لا يغيرون هذا مع قدرتهم .

وأما كلام الشافعية : فقال الإمام محدث الشام أبو شامة (أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم) : فى كتاب (الباعث على انكار البدع والحوادث) : لكن نبين من هذا ما وقع فيه جماعة من جهال العوام ، النابذين لشريعة الإسلام ، وهو ما يفعله الطوائف من المنتسبين إلى الفقر الذى حقيقته الافتقار من الإيمان من مؤاخات النساء

والأجانب واعتقادهم فى مشائخ لهم، وأطال ـ رحمه الله الكلام ـ إلى أن قال: ـ وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادىء ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها، ومن هذا ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وسرج مواضع مخصوصة فى كل بلد يحكى لهم حاك أنه رأى فى منامه بها أحدا ممن شهر بالصلاح ثم يعظم وقع تلك الأماكن فى قلوبهم، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها وهى ما بين عيون وشجر وحائط، وفى مدينة دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة ثم ذكر رحمه الله الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ لما قال له بعض من معه اجعل لنا ذات أنواط قال: «الله أكبر قلتم والذى نفس محمد بيده كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة» انتهى كلامه رحمه الله، ويعلق الشيخ بقوله:

وقال: أى شيخ الإسلام ابن تيمية فى «اقتضاء الصراط المستقيم» اذا كان هذا كلامه ﷺ فى مجرد قصد شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها فكيف بما هو أعظم منها الشرك بعينه بالقبور ونحوها؟

وأما كلام المالكية : فقال أبو بكر (الطرطوشى) فى كتاب (الحوادث والبدع) لما ذكر حديث الشجرة ذات أنواط فانظروا رحمكم الله أين ما وجدتم سدرة أو شجرة، يقصدها الناس ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء لمرضاهم من قبلها، فهي ذات أنواط فاقطعوها، وذكر حديث العرباض بن سارية الصحيح، وفيه قوله ﷺ : «انه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة» قال فى البخارى: عن أبى الدرداء أنه قال: والله ما أعرف من أمر محمد شيئا إلا أنهم يصلون جميعا، وروى مالك فى الموطأ عن بعض الصحابة أنه قال: ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة، قال الزهرى: دخلت على أنس بدمشق وهو يبكى . . . فقال: ما أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت، قال الطرطوشى رحمه الله: فانظروا رحمكم الله إذا كان فى ذلك الزمن طمس الحق، وظهر الباطل، حتى ما يعرف من الأمر القديم إلا القبلة فما ظنك بزمانك هذا والله المستعان.

قال الشيخ: «وليعلم الواقف على هذا الكلام من أهل العلم أعزهم الله أن الكلام فى مسألتين:

الأولى : أن الله سبحانه بعث محمدا ﷺ لاخلاص الدين لله لا يجعل معه أحد

فى العبادة والتأله ، لا ملك ولا نبى ولا قبر ولا حجر ولا شجر ولا غير ذلك وأن من عظم الصالحين بالشرك بالله فهو يشبه النصارى، وعيسى عليه السلام برىء منهم .

الثانية : وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ وترك البدع ، وان اشتهرت بين أكثر العوام ، وليعلم أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم من تحقيق هذه المسائل ، ونقل كلام العلماء ، فرحم الله من نصر الله ورسوله ودينه ولم تأخذه فى الله لومة لائم[1] .

وهكذا فالشيخ رحمه الله ينقل كلام العلماء من أهل المذاهب الأربعة مما يدل على أن الشيخ فى كل أمره خصوصا مسألة التوحيد ، لم يخرج عن اجماعهم فضلا عن أن يخرج عن مذهب أى أحد منهم ، وهى التى اعتبره الناس فيها مبتدعا مذهبا خامسا فاعجب لذلك ان تعجب والله المستعان .

والمقصود بيان أن الشيخ رحمه الله سلك مسالك متعددة فى البرهنة على التوحيد والاستدلال عليه يمكن أن نجمل بعضها فيما يلى :

١ ـ أنه يستدل بالدليل ويورده ثم يعقب على ذلك بذكر المدلول عليه كالدليل الذى أورده من سورة النمل[2] : ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أإله مع الله** ﴾ (النمل : ٦٢) .

وقوله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾[3] ـ ونحو ذلك من الأدلة . ومن هذا الباب استدلال الشيخ بربوبية الله وأسمائه وصفاته على التوحيد فانظر مثلا تفسير سورة الفاتحة[4] ، وانظر مبحث توحيد المعرفة والاثبات[5] .

٢ ـ أنه يذكر المدلول عليه ثم يعقب بذكر دليله كالدليل الذى أورده من سورة البقرة وهو قول الله تعالى : ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل**

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٢٦ ص ص ١٧٧ـ١٨٠ ورقم ١١ ص ص ٦٨ـ٧٠ وانظر: رقم ٢٨ ص ص ١٨٩ـ١٩٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، التوحيد ص ٤٢ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، كتاب التوحيد ص ٧ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الفاتحة ص ـ ص ١١ـ١٣ .

(٥) انظر: ص ٣٧٨ من هذا المبحث .

دابـة وتصـريف الـريـاح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾[1] (البقرة: ١٦٣-١٦٤).

٣ ـ الاكتفاء بذكر عجز وفقر العالمين وهم كل ما سوى الله وأنه ليس من صفاتهم شيء من الألوهية ولا لهم شيء من الملك ولا النفع ولا الضر كالدليل الذى أورده الشيخ فى باب قوله تعالى: **﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ﴾** (الأعراف: ١٩١، ١٩٢)[2].

والحاصل أن الشيخ طرق المسالك الثلاثة التى وردت فى القرآن للدلالة على التوحيد ولم يقتصر الشيخ على واحد منها.

وهكذا يقرر الشيخ التوحيد ويبين لازمه ويستدل عليه بما استدل به الله ورسله وأتباع رسله من البراهين اليقينية الظاهرة الجلية، بمثل ربوبية الله للعالمين، واختصاصه بها سبحانه، وبصفات الكمال، والتى تجمعها صفة الألوهية، وبمثل عبودية جميع من سوى الله من العالمين، وفقرها وحاجتها عبودية عامة وخاصة طوعا وكرها.

وبمثل نبوة رسول الله ﷺ والوحى المنزل عليه الذى أعجز الله به من خاصم وفجر، إلى يوم القيامة.

بكل ذلك وبنحوه يستدل الشيخ على أن حق الله على العبيد أن يفردوه بجميع أنواع العبادة وأن يوحدوه بها فهي حقه الخاص لا شريك له على الاطلاق ولو غلط فى ذلك من غلط، وأعرض عن تعلمه من أعرض.

فتبين من هذه الأدلة والبراهين أن التوحيد هو افراد الله بالعبادة، وأن العبادة هى التوحيد فمن لم يأت بالتوحيد لم يعبد الله كما قال تعالى **﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾**.

العبادة وأنواعها :

والعبادة اسم جنس لها أنواع[3]، وهى ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفى ولا

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٦.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٤٥.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٦.

اقتضـاء عقلى[١]، ومعنى التـوحيد أن تصرف جميع العبادات من الأقوال والأفعال لله وحده لا يجعل فيها شيء لا لملك مقرب ولا نبى مرسل[٢].

والعبادة لا تسمى عبادة لله إلا مع توحيده بجميع أنواع العبادة، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهـارة[٣]، وصـرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا كما قال تعـالى: ﴿ **فاعبـد الله مخلصـا له الدين ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونـه أوليـاء ما نعبـدهم إلا ليقـربـونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار** ﴾ (الزمر: ٢، ٣).

فأخـبر سبحـانـه أنـه لا يرضى من الـدين إلا ما كان خالصـا لوجهه وأخبر أن المشـركـين يدعـون المـلائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده، وأخبر أنه لا يهدى من هو كاذب كفار فكذبهم فى هذه الدعوى وكفرهم فقال: ﴿ **ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار** ﴾[٤].

وقـال الله تعـالى: ﴿ ومـا أمـروا إلا ليعبـدوا الله مخلصـين له الـدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة ﴾.

يقول الشيخ: «فلم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول، وبما ينبغى للعاقل أن يلتزمه ولا يبتغى به بديلا لحسنه وسهولته ومن حسنه أنه تنزيه لله على المسبة، كما أن من قبح ضده أنه مسبة لله تعالى[٥].

ومـا من شك أن معنى «لا إلـه إلا الله» هو اخـلاص القصـد والنية والارادة فى العبـادة المشـروعـة لوجه الله تعالى، وأن المألوه هو المقصود المعتمد عليه[٦]، ولذا كان الاخـلاص شرطـا فى صلاح التعبـد وقبـولـه، وقـد عقد الشيخ ـ رحمه الله ـ فى كتاب

---

(١) المرجع السابق رقم ١٣ ص ٩٠.
(٢) المرجع السابق رقم ١٣ ص ٨٨.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، القواعد الأربع ص ١٩٩.
(٤) مؤلفـات الشيـخ، القسم الخامس، الشخصيـة رقم ١٧ ص ص ١١١، ١١٢، والقسم الرابـع، التفسير، الزمر ص ٣١٨.
(٥) مؤلفـات الشيـخ، القسم الـرابـع، التفسـير، ص ٣٧٦، ٣٨١ والقسم الأول، العقيـدة، كتـاب التوحيد، باب الدعاء إليه ص ٢١.
(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٩ ص ١٢٤.

التـوحيـد بابـين هما : (بـاب ما جاء فى الرياء) و (باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا) يوضح فيهما هذا الجانب الهام .

ووفى هذين البـابـين بما يناسبهما من أدلة الكتاب والسنة لأنه يعالج بهما القصد والنيـة والارادة لتستقيم على اخـلاصهـا لله تعـالى ومـا من شك أن اخلاص القصد والنيـة والارادة فى العبـادة المشـروعة هو شرط صلاحها . وأورد تحت الباب الأول قول الله تعالى : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ (الكهف : ١١٠) .

وعن أبى هريـرة مرفـوعـا : قال تعـالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه) رواه مسلم .

وعن أبى سعيـد مرفـوعا : «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الـدجـال؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : الشرك الخفى ، يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل» رواه أحمد .

قال الشيخ فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الكهف .

الثانية : الأمر العظيم فى رد العمل الصالح إذا دخله شىء لغير الله .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى .

الرابعة : أن من الأسباب : أنه تعالى خير الشركاء[1] .

الخامسة : خوف النبى ﷺ على أصحابه من الرياء .

السادسة : أنه فسر ذلك بأن يصلى المرء لله ، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه[1] .

وأورد الشيخ تحت الباب الثانى : قول الله تعالى : ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتهـا نوف إليهم أعمالهم فيهـا وهم فيهـا لا يبخسـون أولئـك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا يعملون** ﴾ (هود : ١٥ ، ١٦) .

ومـا فى الصحيح عن أبى هريـرة رضى الله عنـه قال : قال رسـول الله ﷺ : «تعس عبـد الـدينار، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة ،

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ص ٩٨-٩٩ .

ان اعطى رضى ، وان لم يعط سخط ، تعس وانتكس . وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، ان كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وان كان فى الساقة كان فى الساقة ، ان استأذن لم يؤذن له ، وان شفع لم يشفع »(١) .

وقال الشيخ : فيه مسائل :

الأولى : ارادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية : تفسير آية هود .

الثالثة : تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة .

الرابعة : تفسير ذلك بأنه ان أعطى رضى ، وان لم يعط سخط .

الخامسة : قوله : «تعس وانتكس» .

السادسة : قوله : «وإذا شيك فلا انتقش»(٢) .

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات(٣) .

وقال الشيخ فى قوله تعالى : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ (هود : ١٥ ، ١٦) .

وقد ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مما يفعل الناس اليوم ولا يعرفون معناه :

الأول : من ذلك العمل الصالح الذى يفعل كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلاة واحسان إلى الناس ونحو ذلك ، وكذلك ترك ظلم أو كلام فى عرض ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصا لله ، لكنه لا يريد ثوابه فى الآخرة إنما يريد أن يجازيه بحفظ ماله وتنميته ، وحفظ أهله وعياله وادامة النعمة عليهم ونحو ذلك ، ولا همة له فى طلب الجنة ولا الهرب من النار فهذا يعطى ثواب عمله فى الدنيا ، وليس له فى الآخرة نصيب ، وهذا النوع ذكر عن ابن عباس فى تفسير الآية .

---

(١) رواه البخارى فى الجهاد جـ ٣/٢٢٣ وفى الرقاق جـ ٧/١٧٥ .

(٢) قال الحافظ ابن حجر قوله : «تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش» فى شرح الطيبى قال فيه الترقي فى الدعاء عليه لأنه إذا تعس انكب على وجهه فإذا انتكس انقلب على رأسه» ـ فتح البارى جـ ١١/٢٥٤ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، التوحيد ص ص ١٠٠-١٠١ ـ وانظر : الدرر السنية جـ ٢ ص ص ٤٢-٤٣ .

وقد غلط بعض مشائخنا بسبب عبارة فى شرح الاقناع فى أول باب النية لما قسم الاخلاص مراتب وذكر هذا منها ظن أنه يسميه اخلاصا مدحا له وليس كذلك، وإنما أراد أنه لا يسمى رياء وإلا فهو عمل حابط فى الآخرة.

والنوع الثانى : وهو أكبر من الأول وأخوف وهو الذى ذكر مجاهد أن الآية نزلت فيه وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رئاء الناس لا طلب ثواب الآخرة، وهو يظهر أنه أراد وجه الله وإنما صلى أو صام أو تصدق أو طلب العلم لأجل أن الناس يمدحونه ويجل فى أعينهم، فان الجاه من أعظم أنواع الدنيا، ولما ذكر لمعاوية حديث أبى هريرة[1] فى الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار وهم: الذى تعلم العلم ليقال له عالم حتى قيل، وتصدق ليقال جواد، وجاهد ليقال شجاع، بكى معاوية بكاء شديدا ثم قرأ هذه الآية.

النوع الثالث : أن يعمل الأعمال الصالحة ومقصده بها مالا مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، أو يجاهد لأجل المغنم فقد ذكر هذا النوع أيضا فى تفسير هذه الآية كما فى الصحيح عن النبى ﷺ قال: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة»[2]. الخ. وكما يتعلم العلم لأجل مدارسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم، أو يقرأ القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيرا، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة فى أعين الناس ولا يحصل لهم طائل، والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا منه الخير العظيم وهو الجنة ولم يهربوا من الشر العظيم وهو العذاب فى الآخرة.

النوع الرابع : أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصا فى ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفرا يخرجه عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله وتصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك أكبر أو كفر أكبر يخرجهم عن الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله فى الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام، وتمنع

---

(١) رواه مسلم (كتاب الامارة) والنسائى (كتاب الجهاد) وأحمد فى مسنده جـ ٢ ص ٣٢٢.

(٢) رواه البخارى وابن ماجة عن أبى هريرة مرفوعا.

قبول أعمالهم، فهذا النوع أيضا قد ذكر في الآية عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منه كما قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل منى سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله يقول: ﴿ انما يتقبل الله من المتقين ﴾ (المائدة: ٢٧) - فهذا قصد وجه الله والدار الآخرة، لكن فيه من حب الدنيا والرياسة والمال ما حمله على ترك كثير من أمر الله ورسوله أو أكثره فصارت الدنيا أكبر قصده، فلذلك قيل قصد الدنيا وصار ذلك القليل كأنه لم يكن كقوله ﷺ: «صل فانك لم تصل»[(١)].

والأول أطاع الله ابتغاء وجهه لكن أراد من الله الثواب في الدنيا، وخاف على الحظ والعيال مثل ما يقول الفسقة فصح أن يقال: قصد الدنيا والثانى والثالث واضح.

لكن بقى أن يقال إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالا كثيرة أو قليلة قاصدا بها الدنيا مثل أن يحج فرضه لله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو الواقع كثيرا فالجواب أن هذا عمل للدنيا والآخرة ولا ندرى ما يفعل الله فى خلقه، والظاهر أن الحسنات والسيئات تدّافعا وهو لما غلب عليه منهما. وقد قال بعضهم: ان القرآن كثيرا ما يذكر أهل الجنة الخلص وأهل النار الخلص، ويسكت عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله، ولهذا خاف السلف من خبوط الأعمال[(٢)].

فلابد من الاخلاص، اخلاص القصد والارادة والنية لله تعالى وفق ما شرعه الله من شريعة رسوله محمد بن عبد الله ﷺ بجميع القربات التى بينها رسول الله ﷺ كلها ولم يترك منها قربة تقرب إلى الله وإلى ما عنده من الخير إلا ووضحها، كما لم يترك شيئا يبعد عن الله ويوقع فى الشر إلا وبينها وحذر منها حتى تركنا على المحجة البيضاء التى لا يزيغ عنها إلا هالك. ولذا كانت المتابعة لرسول الله ﷺ فى العبادة وعدم عبادة الله بغير ما شرع رسوله ﷺ شرط فى قبول الأعمال - قال الشيخ - رحمه الله - إذا كان عملك صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، وإذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتب الإيمان والأذان والاستئذان ومسلم في كتابي الصلاة وأبوداود في كتاب الصلاة والترمذي كتاب المواقيت والنسائي كتاب الافتتاح والدارمى كتاب الصلاة كما رواه أحمد في مسنده جـ٢ ص٤٣٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، هود ص ص٢٠-١٢٣، والقسم الثالث، الفتاوى رقم١ ص ص٥-٨.

يقبل، فلابد أن يكون خالصا صوابا على شريعة محمد ﷺ . ولذا قال سبحانه فى علماء أهل الكتاب وعبادهم وقرائهم ﴿ **هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية** ﴾ وهذه الآيات ليست فى أهل الكتاب خاصة بل كل من اجتهد فى علم أو عمل أو قراءة وليس موافقا لشريعة محمد ﷺ فهو من الاخسرين أعمالا الذين ذكرهم الله تعالى فى محكم كتابه العزيز وان كان له ذكاء وفطنة، وفيه زهد وأخلاق فهذا العذر لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب إلا باتباع الكتاب والسنة، وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن وقوة الارادة فالذى يؤتى فضائل علمية وارادة قوية وليس موافقا للشريعة بمنزلة من يؤتى قوة فى جسمه وبدنه. وفى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعلمكم مع علمهم، يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» الحديث.

وساق الشيخ أحاديث فى شأن الخوارج وعبادتهم وجدالهم، وأحاديث فى قيام طائفة على الحق - إلى أن قال: «وقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة ومعرفة ما أراد بذلك كما كان عليه الصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم، فكلما يحتاج إليه الناس فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا كافيا فكيف أصول التوحيد والإيمان، ثم إذا عرف ما بينه الرسول نظر فى أقوال الناس وما أرادوا بها فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح الذى هو موافق للرسول ﷺ فانه فى الميزان مع الكتاب فهذا سبيل الهدى»

ثم بين الشيخ - سبيل الضلال والبدع والجهل والأدلة على أنها تكون فى هذه الأمة كما كانت فى الأمم السابقة، وأحاديث فى التحذير من التشدد والتعمق ومجاوزة السنة واتباع المتشابه وأحاديث فى الحث على التمسك بالسنة وترك الاختلاف وأحاديث فى فضل الغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من السنة إلى أن قال:

«وإذا كانت سعادة الأولين والآخرين هى باتباع المرسلين فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار المرسلين، وأتبعهم لذلك فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة فى كل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة، والرسل عليهم البلاغ المبين، وقد

بلغوا البلاغ المبين، وخاتم الرسل محمد ﷺ أنزل الله عليه كتابه مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، فهو المهيمن على جميع الكتب، وقد بين أبين بلاغ وأتمه وأكمله، وكان أنصح الخلق لعباد الله، وكان بالمؤمنين رؤفا رحيما، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد فى الله حق جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين، فأسعد الخلق وأعظمهم نعيما وأعلاهم درجة أعظمهم اتباعا له، وموافقةً علما وعملا»(١).

يقول الشيخ: فان قيل فما الجامع لعبادة الله وحده؟ قلت: طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه(٢)، مع كمال المحبة وكمال الخضوع والخوف والذل(٣) والجمع بين الخوف والرجاء فى العبادة(٤).

وجميع العبادة بكل أنواعها مبناها على الأمر(٥)، الشرعى الذى هو أمر رسول الله ﷺ وسنته ـ قال تعالى: ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيرا** ﴾ (الأحزاب: ٢١). وقال تعالى: ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ (الشورى: ١٣).

وللبخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: أين نحن من النبى ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبدا، وقال الآخر أنا أصوم النهار أبدا ولا أفطر، وقال الآخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء النبى ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى»(٦).

---

(١) الدرر السنية، ط ٢ جـ ٢ ص ٧-١٢، ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ص ١٠٤-١٠٧. ورقم ٢٦ ص ١٨٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، الأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٧٩.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الفاتحة ص ١٦.

(٤) المرجع السابق، الزمر ص ٣٢٧.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب من تبرك بشجر أوحجر أو نحوهما ص ٣٤، وكشف الشبهات ص ١٦٤.

(٦) انظر: صحيح البخارى جـ ٦/ كتاب النكاح، باب ١ ص ١١٦.

وفى حديث العرباض ابن سارية قال ﷺ : «فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» رواه أبو داود والترمذى وصححه . وابن ماجه وفى رواية له «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا»، ثم ذكره بمعناه، ولمسلم عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أما بعد: فخير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

وللبخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: ومن أبى؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى».

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» رواه البغوى فى شرح السنة وصححه النووى[1].

وعن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه مرفوعا: «أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» حديث حسن رواه الدارقطنى وغيره.

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوا، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»[2].

وهذا ما توضحه سورة الفاتحة فانها قد اشتملت على أركان العبادة، والاخلاص فيها والمتابعة والرد على المبتدعين.

وأركان العبادة ثلاثة هى: المحبة والرجاء والخوف، فمن زعم أنه يعبد الله تعالى بالمحبة وحدها فهو لم يعبده كما هو شأن منحرفى الصوفية. ومن عبد الله بالرجاء

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، أصول الإيمان ص ص ٢٦٢-٢٦٤ وفضل الإسلام ص ص ٢٠٧، ٢٢٦. وانظر: الدرر السنية، ط ٢، جـ ٢ ص ص ٧-١٢.

(٢) المرجع السابق، أصول الإيمان ص ص ٢٦٧-٢٦٨، وانظر: الدرر السنية، ط ٢ جـ٢ ص ص ٧-١٢.

وحده على زعمه فهو لم يعبد الله كما هو شأن المرجئة . ومن عبد الله بالخوف وحده على وهمه فهو لم يعبده كما هو شأن الخوارج .

وذلـك فى أولهـا : ﴿ **الحمـد لله رب العـالمين ، الـرحمن الـرحيم ، مالـك يوم الدين** ﴾ هذه الأركان الثلاثة :

فالآية الأولى : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ فيها المحبة ـ لأن الله منعم ، والمنعم يحب على قدر انعامه .

والآية الثانية : ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ فيها الرجاء ـ لأن الله (الرحمن الرحيم) .

والآيـة الثـالثة : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ فيها الخوف ، لأن الله مالك يوم الدين ، يوم الجزاء والحساب وحده لا شريك له ، ولا شفيع ، ﴿ **يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله** ﴾ .

وقـول : ﴿ **إيـاك نعبـد** ﴾ أى أعبـدك يارب بهذه الثـلاثـة بمحبتـك ورجائك وخوفك وهذا هو توحيد الألوهية ، أو العبادة بأركانه .

ومعنى : ﴿ **إياك نعبد** ﴾ انك تعاهد ربك أن لا تشرك به فى عبادته أحدا ، لا ملكا ولا نبيا ولا غيرهما .

﴿ **وإياك نستعين** ﴾ فيها توحيد الربوبية وفيها توحيد طلب الاعانة مع التوكل والتبرى من الحول والقوة إلا بالله .

وقـدم المفعـول ، وهـو إيـاك وكـرر ، ﴿ **إيـاك نعبـد وإيـاك نستعين** ﴾ للاهتمام والحصـر أى لا نعبـد إلا إيـاك ، ولا نتـوكل إلا عليك ، وهذا هو كمال الطاعة ، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين :

فالأول : التبرء من الشرك ، والثانى : التبرء من الحول والقوة .

وقـولـه : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ هو الدعاء الصريح الذى هو حظ العبد من الله ، وهو التضرع والالحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم ، الذى لم يعط أحد فى الـدنيـا والآخرة أفضل منه ، فليتأمل العبد ضرورته له والهداية المطلوبة هنا التوفيق والارشـاد ، وتتضمن العلم النـافـع والعمـل الصـالـح على وجـه الاستقامة والكمال والثبات على ذلك إلى أن يلقى الله تعالى .

والصراط : الطريق الواضح المستقيم : الذى لا عوج فيه والمراد بذلك الدين الذى أنزله الله على رسوله ﷺ وهو صراط الذين أنعم الله عليهم وهم رسول الله ﷺ

وأصحابه وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة، فليس بمستقيم بل معوج. وفى ذلك الرد على المبتدعين. وهذه أول الواجبات من هذه الآية وهو اعتقاد ذلك بالقلب اجمالا وتفصيلا والحذر من خداع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملا، وتركه مفصلا، فان أكفر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله ﷺ على الحق وأن ما خالفه باطل، لكن كذبوا وبغوا بما لا تهوى أنفسهم مما جاء به كما قال تعالى: ﴿ **فريقا كذبوا وفريقا يقتلون** ﴾ (الفتح: ٢).

وقوله: ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ المغضوب عليهم: العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون: العاملون بلا علم، فالأول: صفة اليهود. والثانى: صفة النصارى. ومعنى هذا الدعاء هو الاقرار بفرضيته دائما فى الصلاة حذرا من طريقى أهل هذه الصفات على الداعى.

وكل هذا مع استصحاب أركان العبادة والدين وهى: الحب والرجاء والخوف(١) فى كل نوع من العبادة.

ويرى الشيخ أن المحبة لله مدار الولاء والبراء لأنها أعظم أعمال القلب، بل هى أصل أعمال القلب الأربع التى لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها. وقد عقد الشيخ لها بابا فى كتاب التوحيد هو باب قول الله تعالى: ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله** ﴾ الآيات (البقرة: ١٦٥). وأورد الشيخ تحت هذا الباب قول الله تعالى: ﴿ **قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره** ﴾ (التوبة: ٢٤).

وما رواه البخارى ومسلم عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

وللبخارى ومسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، الرسالة الثامنة، بعض فوائد سورة الفاتحة ص ص ٣٨٢-٣٨٤. والقسم الرابع، التفسير، سورة الفاتحة ص ص ٧-١٩. والقسم الثانى، الفقه، المجلد الثانى ص ص ٧-٩.

لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار» . وفى رواية «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى» إلى آخره .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «من أحب فى الله ، وأبغض فى الله ووالى فى الله وعادى فى الله ، فانما تنال ولاية الله بذلك . ولن يجد عبد طعم الإيمان وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك . وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدى على أهله شيئا» رواه ابن جرير .

وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ قال : «المودة» .

قال الشيخ : فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : وجوب محبته ﷺ وتقديمها على النفس والأهل والمال .

الرابعة : نفى الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام .

الخامسة : أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها .

السادسة : أعمال القلب الأربع التى لا تنال ولاية الله إلا بها ، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها .

السابعة : فهم الصحابى للواقع : أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا .

الثامنة : تفسير ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ .

التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حبا شديدا .

العاشرة : الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه .

الحادية عشرة : أن من اتخذ ندا يساوى محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر(١) .

وهكذا يستدل الشيخ على أن المحبة من العبادة بقول الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ الآية (من سورة البقرة)(٢) .

ولأن المنعم يحب على قدر انعامه والله سبحانه وتعالى هو المنعم على الاطلاق فيجب أن يحب على الاطلاق ولا يعادل حبه شىء آخر .

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، التوحيد ص ص ٨٨-٩٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، الأصل الجامع ص ص ٣٨٠-٣٨١ .

كما فى الآية الأولى من سورة الفاتحة ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ففيها أن الله رب العالمين وفيها استغراق الحمد له لأنه رب العالمين[1].

ومما يزرع حب الله فى القلب مع معرفة صفاته معرفة نعمه على الإنسان ومن هذه النعم وهى أعظمها على الاطلاق ما جرى ذكره من قصة آدم وإبليس، وذلك من صنعه سبحانه بالإنسان وتشريفه، وتفضيله إياه على الملائكة وفعله بإبليس ما فعل لما أبى أن يسجد له، وخلقه إياه بيده ونفخه فيه من روحه، واسكانه جنته وقد خاطب الله سبحانه بنى إسرائيل الموجودين فى زمن النبى ﷺ بما فعل مع آبائهم وذكرهم بذلك واستدعاهم به وذكرهم أنه فعله لهم كقوله: ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ (البقرة: ٥٠) - وغير ذلك، وذكر النعم التى هى أصل الشكر الذى هو الدين، لأن شكرها مبنى على معرفتها وذكرها فمعرفة النعم من الشكر بل هى أم الشكر كما فى الحديث «من أسدى إليه معروف فذكره فقد شكره فان كتم فقد كفره» - هذا فى الأشياء التى تصدر من بنى آدم فكيف بنعم المنعم على الحقيقة والكمال؟

واجتمع الصحابة يوما فى دار يتذاكرون ما من الله عليهم به من بعثة محمد ﷺ.

وقوله فى الحديث: (من أسدى إليه معروف . . . الخ) روى بمعناه عن ابن عباس ورواه أحمد فى مسنده بمعناه عن عائشة[2].

ويرى الشيخ أن برهان محبة الله الصحيحة هى اتباع رسول الله ﷺ وشرعه كما قال الله تعالى: ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾[3] (آل عمران: ٣١). كما قدمنا قبل قليل[4].

ويقسم الشيخ المحبة فيقول:

«والمحبة تنقسم إلى أربعة أنواع: محبة شركية وهم الذين قال الله فيهم:

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، بعض فوائد سورة الفاتحة ص ٨٢. وانظر: القسم الرابع، تفسير الفاتحة ص ١٠، ١١.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٩١-٩٢.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية ص ٣٤٧.

(٤) انظر: ص٣٩١ وما بعدها من هذا البحث.

﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ إلى قوله : ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ .

المحبة الثانية : حب الباطل وأهله وبغض الحق وأهله ، وهذه صفة المنافقين .

المحبة الثالثة : محبة طبيعية وهى محبة المال والولد واذا لم تشغل عن طاعة الله ولم تعن على محارم الله فهى مباحة .

المحبة الرابعة : حب أهل التوحيد وبغض أهل الشرك وهى أوثق عرى الإيمان ، وأعظم ما يعبد به العبد ربه(١) .

وأما ذكر الله تعالى فهو من أفضل العبادات والقرب ، والمحب يديم ذكر محبوبه ولله عز وجل من المحبة أعلاها وهى حب العبادة الذى يصحبه ذل العابد وانقياده له وعدم نسيانه ، وأن الذكر بالقلب واللسان أفضل من الذكر بالقلب وحده(٢) .

وللذكر ودوامه تأثير عجيب فى انشراح الصدر(٣) .

ولكن الشيخ يقتفى فى ذلك هدى رسول الله ﷺ ويقول فى ذلك : كان النبى ﷺ أكمل الناس ذكرا لله عز وجل ، بل كان كلامه كله فى ذكر الله وما والاه ، وكان أمره ونهيه وتشريعه ذكرا منه لله ، واخباره عن أسماء الرب وصفاته ، وأحكامه وأفعاله ، ووعده ووعيده ذكرا منه له ، وثناؤه عليه بآلائه وتمجيده وتسبيحه وتحميده ذكرا منه له ، وسكوته ذكرا منه له بقلبه ، فكان ذكره لله يجرى مع أنفاسه قائما وقاعدا وعلى جنبه ، وفى مشيه وركوبه ، وسيره ونزوله ، وظعنه واقامته(٤) . ويحث الشيخ على الاعتبار بأيام الله مثل قصة الفيل(٥) ، وما فى قصة موسى وفرعون فى سورة القمر والمزمل لهذه الأمة من عبرة(٦) والاعتبار بأبى لهب ، وأن المال والولد وشرف البيت والسيادة يعطاه من هو

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، بعض فوائد سورة الفاتحة ص ٣٨٢ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٣٧٠ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ٧٧ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ص ١٢٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٣٨٠ .

(٦) المرجع السابق ص ٣١٦ . ويشير الشيخ إلى الآيات فى سورتى القمر والمزمل قال الله تعالى فى سورة القمر : ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر ، كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر . أكفاركم خير من أولئكم ؟ أم لكم براءة فى الزبر ؟ أم يقولون نحن جميع منتصر ؟ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ الآيات . وقال تعالى : فى سورة المزمل : ﴿ انا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا ، فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ الآيات .

أكفر الناس وأن العامة أشربوا حب دينهم، وصبروا على المشقة فيه مع أنهم لا يعرفون جنة ولا نارا[1]. والاعتبار بالبيت الحرام وآيات الله فيه وكيف ابتدع أهل الأهواء مقامات تضاهيه، وكيف ترك أهل الكتاب تعظيمه، مع أن الذى بناه إبراهيم[2]، وانظر استدلال الشيخ على التوحيد[3].

هذا وأنواع العبادة التى أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان ومنه الدعاء والتوكل، والرغبة والرهبة، والخشوع والخشية، والإنابة والاستعانة، والاستعاذة والاستغاثة، والذبح والنذر[4]. ومن أنواع العبادة أيضا الاستعاذة والاستغاثة والخوف، والتأله والركوع والسجود، والهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام[5] والجهاد فى سبيل الله تعالى والتذلل والتعظيم الذى هو من خصائص الالهية[6]. وغير ذلك من أنواع العبادة التى أمر الله بها وأمر رسوله ﷺ بها كلها لله تعالى وحده لا شريك له.

أما الإسلام فهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، واقام الصلاة وايتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام.

وهذه هى أركانه الخمسة.

ودليل الشهادة قوله تعالى: ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ﴾ (آل عمران: ١٨)[7].

ودليل شهادة أن محمدا رسول الله قوله تعالى: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ (التوبة: ١٢٨)[8].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٩، وص ٣٧٦.

(٢) المرجع السابق ص ٣١، ٣٢.

(٣) ص ص ٣٨١ من هذا البحث.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ص ١٨٧-١٨٨.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ص ١٨٧-١٨٩. والأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٧٩-٣٨١.

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، ثلاثة الأصول ص ١٩٤-١٩٦. والقسم الرابع، التفسير ص ٩٥، ومختصر زاد المعاد ص ١٩٦-٢٢٥.

(٧) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ص ١٨٩-١٩٠.

(٨) المرجع السابق، ص ١٩٠.

ودليـل الصـلاة والـزكـاة قولـه تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة ﴾ (البينة : ٥) .

ودليل الصيام قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (البقرة : ١٨٣)[1] .

ودليل الحج قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ (آل عمران : ٩٧)[2] .

وأما الإيمان فهو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطـريق ، والحيـاء شعبـة من الإيـمان . وهـو أن تؤ من بالله ومـلائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . وهذه هى أركانه الستة والدليل عليها قوله تعالى : ﴿ ليسَ البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾[3] .

ودليل القدر - قوله تعالى : ﴿ انا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ (القمر : ٤٩) .

وأمـا الاحسـان فهـو أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك - والدليل قوله تعالى : ﴿ ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ (النحل : ١٢٨) . وقوله تعـالى : ﴿ وتـوكـل على العـزيـز الـرحيم . الـذى يراك حين تقـوم ، وتقلبـك فى السـاجـدين . انـه هو السميـع العليم ﴾ (الشعـراء : ٢١٧-٢٢٠) . وقـوله تعالى : ﴿ وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ﴾ (يونس : ٦١) .

والدليل من السنة حديث جبرائيل المشهور عن عمر رضى الله عنه قال : «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد — حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبته ووضع كفيه على فخذيه وقال : يامحمد أخبرنى عن الإسلام؟ قال : «أن تشهـد أن لا إلـه إلا الله وأن محمـدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤ تى الزكاة وتصوم رمضـان وتحـج البيت إن استطعت إليـه سبيـلا» فقـال : صدقت . فعجبنـا له يسألـه

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، ثلاثة الأصول ص ١٩١ .

ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك» قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ماالمسئول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان» قال: «فمضى فلبثنا مليا، فقال: ياعمر أتدرى من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»(١).

أما الدعاء فيعرفه الشيخ فيقول: «وهو الطلب بياء النداء لأنه ينادى به القريب والبعيد وقد يستعمل فى الاستغاثة، أو يأخذ أخواتها من حروف النداء، فان العبادة اسم جنس، فأمر الله تعالى عباده أن يدعوه، ولا يدعوا معه غيره فقال تعالى: ﴿ **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ (غافر: ٦٠).

ومن أدوية الهم والغم والحزن، التوسل فى الدعاء بأحب الأشياء إلى الله، وهو أسماؤه وصفاته ومن أجمعها لمعانى الأسماء والصفات (الحى القيوم)(٢).

وقال تعالى فى النهى عن دعاء غيره: ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا** ﴾ (الجن: ١٨).

ومن الأدلة أيضا قوله تعالى: ﴿ **ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون** ﴾ (المؤمنون: ١١٧).

وقوله تعالى: ﴿ **له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال** ﴾ (الرعد: ١٤).

وقال تعالى: ﴿ **ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ (الأحقاف: ٥، ٦).

وقال تعالى: ﴿ **فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين** ﴾ (الشعراء: ٢١٣).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ص ١٩١-١٩٢.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٣١٠، والتفسير، البقرة ص ص ٣٢، ٣٣، ٣٤، والأعراف ص ١٠٠، ٩٨، ٧٨.

وقال تعالى : ﴿ **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذا من الظالمين ، وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم** ﴾ (يونس : ١٠٦-١٠٧) .

وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ : ﴿ **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم** ﴾ رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

قال ابن كثير بعد أن ساق هذا الحديث عن الإمام أحمد : «وهكذا رواه أصحاب السنن الترمذى والنسائى وابن ماجة وابن أبى حاتم وابن جرير كلهم من حديث الأعمش به وقال الترمذى حسن صحيح ورواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن جرير أيضا من حديث شعبة عن منصور والأعمش كلاهما عن زر (به) وكذا رواه ابن يونس عن أسيد بن عاصم بن مهران حدثنا النعمان بن عبد السلام حدثنا سفيان الثورى عن منصور عن زر : به ، ورواه ابن حبان والحاكم فى صحيحهما وقال الحاكم صحيح الاسناد[1] .

وقد روى الترمذى عن أنس أن النبى ﷺ قال : «الدعاء مخ العبادة» .

قال الشيخ ـ قال العلقمى فى شرح الجامع الصغير[2] حديث «الدعاء مخ العبادة» قال شيخنا : قال فى النهاية مخ الشيء خالصه ، وإنما كان مخها لأمرين :

أحدهما : أنه امتثال أمر الله تعالى حيث يقول : ﴿ **ادعونى أستجب لكم** ﴾ فهو محض العبادة وهو خالصها .

الثانى : أنه إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع أمله عما سواه ودعاه لحاجته وحده .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، جـ ٤ ص ٨٥ .

(٢) العلقمى (٨٩٧-٩٦٩هـ) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبى بكر العلقمى القاهرى الشافعى فقيه محدث تتلمذ لجلال الدين السيوطى ودرس بالأزهر ومن آثاره الكوكب المنير لشرح الجامع الصغير ، المشار إليه فى ثلاثة مجلدات طبع منها المجلد الأول ـ انظر : معجم المؤلفين جـ ١/١٤٤ ـ كشف الظنون : ٤٤٥ ، ٥٦٠ ، والأعلام للزركلى ٦/١٩٥ ، ١٩٦ ، شذرات الذهب ٨/٣٣٨ والكواكب السائرة ٢/٤١ وفهرس الفهارس ٢٠٦ .

وهذا هو أصل العبادة ولأن الغرض من العبادة الثواب عليها وهو المطلوب بالدعاء(١).

وقوله: الدعاء هو العبادة - قال شيخنا - قال: الطيبى - أتى بالخبر المعرف باللام ليدل على الحصر وأن العبادة ليست غير الدعاء - انتهى كلام العلقمى(٢).

قال الشيخ: إذا تقرر هذا، فنحن نعلم بالضرورة، أن النبى ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين، ولا غيرهم بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها وأن ذلك من الشرك الأكبر الذى حرمه الله ورسوله « ﷺ » وأورد الشيخ بعض الأدلة المتقدمة من القرآن ثم قال: وهذا من معنى: «لا إله إلا الله»(٣).

ومن ذلك طلب الشفاعة، فلا تطلب الشفاعة من غير الله تعالى، لأن الشفاعة كلها له سبحانه - قال تعالى: ﴿ **قل لله الشفاعة جميعا** ﴾ (الزمر: ٤٤) - ولا يشفع أحد فى أحد إلا من بعد أن يأذن الله تعالى كما قال: ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، وكما قال: ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن أرتضى** ﴾ (الأنبياء: ٢٨)، والله لا يرتضى غير التوحيد لله بالعبادة.

وحقيقة الشفاعة: أن الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود(٤).

ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ .

وفى الحديث: «إذا استعنت فاستعن بالله»(٥).

ومعنى الاستعانة فى قوله: ﴿ **وإياك نستعين** ﴾ هو سؤال الاعانة من الله وهو التوكل والتبرى من الحول والقوة فهى من نصف العبد، لأن الفاتحة سبع آيات ثلاث ونصف لله، وثلاث ونصف للعبد، كما ورد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال

---

(١) انظر: نص كلام ابن الأثير فى النهاية فى الجزء الرابع، باب الميم مع الخاء.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٨٨ . والرسالة السابقة، الأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٧٩. والقسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٤-١٠٥.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب الشفاعة ص ص ٥٢، ٥٣.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ص ١٨٨-١٨٩ . والأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٨٠.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ قال الله: حمدني عبدي - فإذا قال: ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال الله: أثنى علي عبدي - فإذا قال: ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال الله: مجدني عبدي، فإذا قال: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبد ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل - انتهى الحديث[1].

وفعل السبب مع الاستعانة بالله من أكبر الأسباب في حصول المقصود ففي البسملة إذا قلت بسم الله فمعناها أدخل في هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك باسم الله لا بحولي ولا بقوتي بل أفعل هذا الأمر مستعينا بالله متبركا باسمه تبارك وتعالى، هذا في كل أمر تسمي في أوله من أمر الدين أو أمر الدنيا، فإذا أحضرت في نفسك أن دخولك في القراءة بالله مستعينا به متبرءا من الحول والقوة كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب، وطرد الموانع من كل خير ولذا كان أول اقرأ فيه الاستعانة وأول المدثر فيه العبادة[2]. والاستعانة بالله من أدوية الكرب والهم والحزن[3].

ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ﴾ (المائدة: ٢٣)

وقال تعالى: ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (الطلاق: ٣).

وقوله تعالى: ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا، وعلى ربهم يتوكلون ﴾ (الأنفال: ٢).

وقوله تعالى: ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ (الأنفال: ٦٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الفاتحة ص ١٦، ص ٨، والقسم الأول، العقيدة، بعض فوائد سورة الفاتحة ص ٣٨٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ٩ وص ٣٦٦.

(٣) المصدر السابق، مختصر زاد المعاد ص ٣٠٨-٣١١.

فاخشوهم ، فزادهم إيمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (آل عمران : ١٧٣) - رواه البخارى والنسائى .

وهذه الأدلة قد عقد لها الشيخ بابا فى كتاب التوحيد ـ وقال فيه مسائل :

الأولى : أن التوكل من الفرائض .

الثانية : أنه من شروط الإيمان .

الثالثة : تفسير آية الأنفال .

الرابعة : تفسير الآية فى آخرها .

الخامسة : تفسير آية الطلاق .

السادسة : عظم شأن هذه الكلمة أنها قول إبراهيم ومحمد ﷺ فى الشدائد[١] .

والله حقيق أن يتوكل عليه كل عاقل والتوكل لا يستقيم إلا خالصا[٢] ، والتوكل واليقين لا ينافي السبب وفعله ، وقد غلط طائفتان في التوكل :

احداهما : زعمت أن التوكل سبب مستقل ، فعطلت الأسباب التى اقتضتها حكمة الله تعالى .

الثانية : قامت بالأسباب وأعرضت عن التوكل[٣] .

ودليل الاستعاذة قوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ إلى آخر السورة ﴿ وقل أعوذ برب الناس ﴾ إلى آخر السورة .

وعن خولة بنت حكيم قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من نزل منزلا ، فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك) رواه مسلم .

قال الشيخ : ان العلماء يستدلون بالحديث على أن كلمات الله غير مخلوقة لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك[٤] .

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، كتاب التوحيد ص ص ٩٣ ، ٩٤ وانظر: ص ٣٨٠. وانظر: القسم الرابع ، التفسير ص ٣٠٩ ، ص ٣٣١ وص ٣٦٧ وص ٣٦٩ ، ومختصر زاد المعاد ص ص ٣٠٨-٣١١ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الزمر ص ٣٣١ ، وانظر: القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية ص ٣٥٢.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ١٦٣ والقصص ٢٨٣ ، مختصر زاد المعاد ص ١٢٧ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول، العقيدة ، ثلاثة الأصول ص ١٨٩ وص ٣٨٠ وكتاب التوحيد =

ودليل الاستغاثة ـ قوله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾ (الأنفال : ٩)[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ﴾ (يونس : ١٠٧) .

وقوله تعالى : ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله ﴾ (النمل : ٦٢) .

يقول الشيخ : إن الدعاء عام والاستغاثة خاصة[2] ـ أى أن الاستغاثة دعاء لكن عند الاضطرار والشدة .

ويفعل السبب مع الاستغاثة بالله كما فعل موسى فيما ذكر الله عنه ـ فقال تعالى : ﴿ فخرج منها خائفا يترقب قال : رب نجنى من القوم الظالمين ﴾[3] (القصص : ٢١) .

ودليل الذبح قوله تعالى : ﴿ قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ﴾ (الأنعام : ١٦٣) .

وقوله تعالى : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ .

ومن السنة : « لعن الله من ذبح لغير الله »[4] .

ودليل النذر قوله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ﴾ (الإنسان : ٧)[5] .

وقوله تعالى : ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ﴾ (البقرة : ٢٧٠) .

= باب من الشرك الاستعاذة بغير الله ص ٤١ . ومؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٩ وص ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٥ .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، ثلاثة الأصول ص ١٨٩ ، والأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٨٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أويدعو غيره ص ٤٢-٤٤ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، القصص ص ٢٨٧ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول . كتاب التوحيد ، باب ما جاء فى الذبح لغير الله ص ٣٥ ، ٣٨ وص ١٨٩ وص ٣٨٠ . رواه مسلم ٣/١٥٦٧ والإمام أحمد والنسائي .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، ثلاثة الأصول ص ١٨٩ ، والأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٨٠ .

وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: « من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه ».

قال الشيخ: فيه وجوب الوفاء بالنذر، وإذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك وقد ثبت أنه عبادة بمقتضى مشروعية الوفاء به - وقد بوب الشيخ لهذا بقوله: (باب من الشرك النذر لغير الله)[1].

ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿ **فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين** ﴾[2] (آل عمران: ١٧٥). فاخلاص الخوف لله من الفرائض، ومن فعله له ثواب عظيم، ومن تركه له عقاب كبير - كما فى حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس» رواه ابن حبان فى صحيحه.

ذكر الشيخ هذا الحديث تحت باب قوله تعالى: ﴿ **إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين** ﴾[3] لكن هناك خوف غير مذموم مثل ما حكاه الله عن موسى: ﴿ **فأصبح فى المدينة خائفا يترقب** ﴾.

وان مما يخاف منه على المؤمن الاتكال على سعة رحمة الله من قوله ﷺ لمعاذ: «لا تبشرهم فيتكلوا » متفق عليه[4].

ولابد من لزوم الخوف من الله وعدم الأمن حتى البشرى عند الموت من الملائكة[5]. فان إبراهيم وإسماعيل طلبا من الله أن يرزقهما الإسلام فى قوله تعالى عنهما: ﴿ **ربنا واجعلنا مسلمين لك** ﴾ (البقرة: ١٢٨)، والغفلة عن هذا من العجائب، وطلبا من الله أن يتوب عليهما وهما هما ففى ذلك خوفهما من الذنوب[6].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد، باب من الشرك النذر لغير الله ص ٤٠.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، ثلاثة الأصول ص ١٨٩، والأصل الجامع ص ص ٣٨٠-٣٨١.
(٣) المصدر السابق، كتاب التوحيد ص ص ٩١، ٩٢.
(٤) المصدر السابق، القسم الأول ص ١٠٩.
(٥) المصدر السابق، القسم الرابع، التفسير ص ٨٤، ٨٥ وص ١١ وص ص ٢٨٦-٢٨٧.
(٦) المصدر السابق، ص ص ٣٢، ٣٣.

ودليل الرجاء ـ قوله تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ (الكهف : ١١٠)[١].

ومن أنواع العبادة الهجرة والتوبة[٢].

والدليل على أن الهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وأنها باقية إلى أن تقوم الساعة ـ قوله تعالى : ﴿ **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض . قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا** ﴾ (النساء : ٩٧-٩٩).

وقوله تعالى : ﴿ **يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فإياى فاعبدون** ﴾ (العنكبوت : ٥٦).

يقول الشيخ : قال البغوى ـ رحمه الله تعالى ـ سبب نزول هذه الآية فى المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان.

والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ : «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»[٣].

والجهاد فى سبيل الله من أفضل العبادة، وذروة سنام الإسلام وفق منهج رسول الله ﷺ قال الله تعالى : ﴿ **ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ، أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم** ﴾.(البقرة : ٢١٨)[*].

ومن أنواع العبادة زيارة قبر النبى ﷺ ـ قال ما معناه : «وزيارة قبر النبى ﷺ حسب المشروع من أفضل الأعمال»[٤].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، ثلاثة الأصول ص ١٨٩ والأصل الجامع ص ص ٣٨٠-٣٨١ والقسم الرابع، التفسير ص ٣٧٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ص ٣٠٨-٣١٠.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٩٣ وص ٣٥٨، ٣٥٩ والقسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٢١١، والقسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٣٥.

(*) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، ثلاثة الأصول ص ١٩٦، التوحيد ص ١٠١، ١٤٢-١٤٣، مفيد المستفيد ص ٢٨٤، والقسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ١٥٨-٢٨٤.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد ص ٦٧.

وعلى العموم فالشيخ يرى أن زيارة القبور مستحبة ويعنى بها الزيارة المشروعة ومن غير شد رحل لذلك وهى : التى شرعها رسول الله ﷺ وفعلها فكان رسول الله ﷺ يزور قبور أصحابه للدعاء لهم والاستغفار لهم وهذه هى الزيارة التى سنها رسول الله ﷺ وأمرهم إذا زاروها أن يقولوا : «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية» ، وكان يقول ﷺ ويفعل عند زيارتها من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت وأمر بزيارة القبور من أجل تذكر الآخرة ودعاء للميت وهذا هدى رسول الله ﷺ هدى توحيد وإيمان وإحسان إلى الميت، فأبى المشركون الا دعاء الميت والاشراك به وسؤاله الحوائج والاستعانة به والتوجه إليه تحريا للاجابة عنده مما هو عكس هديه ﷺ[1].

ودليل الانابة قوله تعالى : ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له** ﴾[2] (الزمر : ٥٤) .

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى : ﴿ **انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين** ﴾ (الأنبياء : ٩٠) . وقوله تعالى : ﴿ **وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا** ﴾ (آل عمران : ١٩٩) .

ودليل الخشية قوله تعالى : ﴿ **فلا تخشوهم واخشونى** ﴾ (البقرة : ١٥٠) . وقوله تعالى : ﴿ **فلا تخشوا الناس واخشون** ﴾ (المائدة : ٤٤)[3] ـ وخشية الله جامعة للدين كله[4] .

ودليل التأله قوله تعالى : ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** ﴾ (البقرة : ١٦٣) .

ودليل الركوع والسجود ـ قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾[5] (الحج : ٧٧) .

وغير ذلك من أنواع العبادة التى شرع الله ورسوله ﷺ . وهى كثيرة لكن

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٦٨ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، الأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٨٠ .

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، الأصل الجامع، ص ص ٣٨٠-٣٨١ .

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٧٧ .

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، الأصل الجامع، ص ص ٣٨٠-٣٨١ وثلاثة الأصول ص١٨٩ .

يجمعها شرع الله لرسوله ﷺ فشرع الله جامع مانع جامع : لكل أنواع العبادة الموصلة إلى رضوان الله تعالى . مانع : من دخول شيء خارج عن الشريعة مما يحبه الله ويرضاه فالعبادة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين في تعريف العبادة في الشرع اختلفت عباراتهم والمعنى واحد ، فعرفها طائفة - بقولهم : هي ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي ، وعرفها طائفة بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع . وقال أبو العباس - رحمه الله تعالى : «هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين والاحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والانابة إليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمته والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك فالدين كله داخل في العبادة. انتهى[1] .

ـ والخلاصــــة ـ

أن جميع أنواع العبادة وافرادها موضحة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لا تحتاج إلى زيادة ولا نقصان ، كما قال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ .

فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع ، أو مدحه الشارع أو أثنى على من قام به فهو عبادة وقربة ، وكل أمر ثبت النهي عنه من الشارع ، أو ذمه الشارع أو ذم من قام به فان الانتهاء عنه وتركه ، والبعد عنه عبادة أيضا وقربة ، وطاعة الله في جميع ذلك هي توحيد وإيمان وعبادة واخلاص ، وصرفه أو صرف نوع منه أو فرد

(١) الدرر السنية ، ط ٢ ، جـ ٢ ص ص ١٣٨-١٣٩ .

من أفراده لغير الله شرك وكفر[1]، فان الجامع لعبادة الله وحده طاعته بامتثال أوامره واجتناب مناهيه وهى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة وهى حق الله تعالى على عباده يختص بها دون غيره ولا يجوز أن يشاركه فيها لا ملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهما.

فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله تعالى فقد اتخذه ربا وإلها وأشرك مع الله غيره، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها، لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العبادة ما لم يكن خالصا له ـ كما قال تعالى: ﴿ **فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص** ﴾.

وبذلك ينتهى هذا الفصل، الذى هو تفصيل للركن الأول، وهو الإيمان بالله تعالى، من أركان الإيمان الستة. وقد ذكرنا مجمل اعتقاد الشيخ فى تلك الأركان فى الفصل الذى قبله.

ويلاحظ أن كثرة ما كتبناه من عقيدة الشيخ هو فى التوحيد لاسيما توحيد الألوهية حتى اننا نرى فى كل آثار الشيخ وان تطرقت إلى سائر فنون العلم ترابطا ينظمه توحيد الألوهية وتنبثق هذه الآثار من توحيد الألوهية، المبنى على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

وذلك أن الشيخ قد تفاعل مع حاجة أهل عصره، ولبى ما يقتضيه الواجب الالهى نحو مجتمعه، فهو عالم ربانى، وطبيب داء الجهل الذى أصيب به الناس فى زمانه فسارع بمهارة فى تشخيص دائه وتركيب دوائه، وأجاد ـ رحمه الله فى ذلك وحاز مقام الربانى ـ كما قال الإمام ابن قيم الجوزية:

فالوحى كاف للذى يعنى به ... شاف لداء جهالة الإنسان
وتفاوت العلماء فى أفهامهم ... للوحى فوق تفاوت الأبدان
والجهل داء قاتل وشفاؤه ... أمران فى التركيب متفقان
نص من القرآن أو من سنة ... وطبيب ذاك العالم الربانى[2]

---

(١) انظر: قول الشيخ عبد الرحمن بن سعدى فى حد الشرك فى تعليقه على كتاب التوحيد المسمى القول السديد ص ص ٥٢، ٥٣.

(٢) القصيدة النونية للإمام ابن قيم الجوزية، فصل فى بيان الاستغناء بالوحى المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء ص ١٨٩.

ولذا فقد وجدنا تفصيلا من عقيدته فى التوحيد خصوصا توحيد الألوهية، وهو داخل فى الإيمان بالله، الركن الأول من أركان الإيمان. أما بقية أركان الإيمان ومباحثه، فلم نجد للشيخ تفصيلا فيه كما وجدناه له فى التوحيد، ولذلك نكتفى بما تقدم ذكره فى مجمل عقيدته فى ذلك.

وننتقل من عرض العقيدة إلى جانب الدفاع عنها والتحذير من نواقضها وهو ما يتضمنه الفصل التالى: فى التحذير من نواقض عقيدة السلف الصالح أو نواقض كمالها فإلى ذلك وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا به.

الفصل الرابع
في التحذير من نقيض عقيدة السلف الصالح أو نقيض كمالها

لما كانت الفصول المتقدمة، هي في عقيدة الشيخ، التي هي عقيدة السلف الصالح، ناسب أن نتبعها بفصل يتضمن التحذير من ما يناقض عقيدتهم، أو يناقض كمالها وينقصه، ببيان ذلك المناقض.

وهذا أمر عظيم يستحق الاهتمام، ولذا كان جانبا بناءء من عقيدة الشيخ - رحمه الله تعالى - كيف لا؟. وهو بيان ما ينقض البنيان من أساسه للحذر منه والتحرز عنه قال الله تعالى: ﴿ **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا. . .** ﴾ الآية (النحل: ٩٢).

وما من شك أن بيان النواقض للإيمان أو لكماله للحذر منها من الأمور البناءة لأنها حماية للبناء أن ينهدم، قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»[1].

ولذا فالشيخ يحذر من نواقض الإيمان ومبطلاته ويبينها ويبعدها عن المسلمين ويبعد المسلمين عنها بكل ما استطاع.

ولقد اهتم بذلك أيما اهتمام، حتى كاد أن يستأثر هذا الجانب بكل همته، كما كاد أن يستأثر بالواقع، في بداية الاصلاح، ولأن مشكلة العالم الإسلامي تكمن في

---

(١) صحيح البخاري، جـ ٨ كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ص ص ٩٢، ٩٣.

هذه الناحية، وكيد الشيطان يتركز على هذا الجانب، حيث يكيد للمسلم، ويزين له ما يحبط عمله ويفسده، ثم بعد ذلك يصل الشيطان إلى غرضه، فلا يضيره كثرة عمل المسلم وضخامته مادام أنه على شيء يناقضه ويفسده، ولذا فالشيخ رحمه الله كرس جهودا عظيمة فى بيان هذه النقطة التى هى مفرق الطريق، ومنها يتميز المسلم المستقيم الثابت من الذى ينقض دينه، سواء علم أو لم يعلم.

ولئن كان أبو حيان قد أصاب فى مدحه ابن تيمية بقوله :

لما أتانا تقى الدين لاح لنا — داع إلى الله فرد ما له وزر
على محياه من سيما الألى صحبوا — خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبرا — بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية فى نصر شرعتنا — مقام سيد تيم اذ عصت مضر
وأظهر الحق اذ آثاره اندرست — وأخمد الشر إذ طارت له شرر[1]

فان من يصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب بهذا الوصف، يصيب أيما إصابة حيث انه رحمه الله قد أظهر الحق، اذ اندرست آثاره، وأخمد الشر بعد أن طار شرره، وقام مقام سيد تيم، أبي بكر رضى الله عنه لما ارتد غالب العرب، وعصوا من بعد ما سمعوا، ونقضوا غزلهم، وأفسدوا صلاحهم وأبطلوا أعمالهم، ففسدت قوتهم العلمية والعملية. كما سبق أن بينا ذلك فى وصف البيئة التى ظهر عليها الشيخ رحمه الله[2].

فكان الشيخ يركز دفاعه على الاحتراز من افساد هاتين القوتين، القوة العلمية والقوة العملية. يقول ـ رحمه الله ـ فى استنباطه من قول الله تعالى: ﴿ **وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون، وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ (يوسف: ١٠٦، ١٠٧) ـ يقول :

فيها : أن الذى أتاهم من الآيات ليست هذه وحدها (يعنى قصة يوسف) بل كم وكم من آية من الآيات السماوية والأرضية يمرون عليها، ويعرضون عن الانتفاع بها، وليس هذا قصورا فى البيان، فانه مشاهد، بل القلوب غير قابلة.

وفيها : المسألة العظيمة، وهى اخباره تبارك وتعالى أن أكثر هذا الخلق، لو

---

(١) عن الدرر الكامنة، فى أعيان المئة الثامنة، تأليف الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى، جـ ١ ص ١٥٢.
(٢) انظر: ص ٢٤ وما بعدها من هذا البحث.

آمن أفسد إيمانه بالشرك، فهذه فساد القوة العملية، والتى قبلها فساد القوة العلمية.

وفيها : التنبيه على الاحتراز من اجتماع الإيمان مع الشرك المفسد له خصوصا لما ذكر أن هذا حال الجمهور(١).

هذا وقد بلغت آيات القرآن الكريم التى فيها لفظة الشرك وما تصرف منها فى الحكم على الشرك وأهله حسب استقرائى ما يقارب مائةً وخمسا وستين آية ما عدا الآيات الأخرى التى فيها ذم له بغير لفظه، أما الأحاديث الصحيحة من سنة رسول الله ﷺ فكثيرة جدا. إذا فلا غرابة إذا كثرت ألفاظ الشرك فى التحذير عنه وذمه وذم أهله، والبراءة منه ومن أهله فى أعمال الشيخ ومؤلفاته(٢).

ذلك أن الشرك أعظم مفسد للعلم والعمل المبتغى بهما رضوان الله والسعادة وليس أضر على الإنسان من افساد عمله وعلمه، ولذا كان من أشد الناس خسرانا من اتصف بالناصية الكاذبة الخاطئة.

ويقول الشيخ: قوله تعالى: ﴿ **ناصية كاذبة خاطئة** ﴾ فيه الجمع بين الكذب والخطأ فى وصف هذه الناصية فدل على وصفه بفساد القول والعمل(٣).

فما من شك أن الاهتمام بهذا الجانب لاجتناب الفساد حق. فلنبدأ بنواقض الإسلام نبينها لتعرف فتجنب.

يقول الشيخ : اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض :

الأول : الشرك فى عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ (النساء رقم ٤٨ ورقم ١١٦).

وقال تعالى: ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار** ﴾ (المائدة: ٧٢).

ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، كشف الشبهات، ومفيد المستفيد، والقواعد الأربع، والأصل الجامع وغيرهما.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٧٢.

وفى كتاب التوحيد عقد الشيخ بابا فى ذلك: هو باب ما جاء فى الذبح لغير الله تعالى وأورد تحته أدلة منها قوله تعالى: ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣) وقوله: ﴿ **فصل لربك وانحر** ﴾ (الكوثر: ٢).

وعن علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «حدثنى رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لعنَ الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثا، لعن الله من غير منار الأرض» رواه مسلم من طرق بمعنى ما ذكره المصنف وفيه قصة، ورواه الإمام أحمد كذلك(١).

وقال الشيخ فيه تفسير: ﴿ **إن صلاتى ونسكى** ﴾ وتفسير ﴿ **فصل لربك وانحر** ﴾ والبداء بلعنة من ذبح لغير الله(٢).

ويقول الشيخ سليمان فى تيسير العزيز الحميد: «قال النووى: المراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى، كمن يذبح للصنم أو للصليب أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما وسلم أو للكعبة ونحو ذلك، فكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا، نص عليه الشافعى، واتفق عليه أصحابنا، فان قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له، كان ذلك كفرا، فإن كان الذابح مسلما قبل ذلك صار بالذبح مرتدا. ذكره فى «شرح مسلم»(٣) ونقله غير واحد من الشافعية وغيرهم(٤).

قال الشيخ:

وقال أبو العباس رحمه الله فى كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» فى الكلام على قوله تعالى: ﴿ **وما أهل به لغير الله** ﴾ ظاهره: أنه ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه النصرانى للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه نحن متقربين به إلى الله سبحانه كان أزكى مما ذبحناه للحم

---

(١) تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد ص ص ١٥٦، ١٥٧.
وأنظر: صحيح مسلم، جـ٣ ص ١٥٦٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ص ٣٥، ٣٦.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٣ ص ١٤١.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ١٥٧.

وقلنا عليه بسم الله فإن عبادة الله سبحانه بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه فى فواتح الأمور. والعبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله . فلوذبح لغير الله متقربا به إليه لحرم، وإن قال فيه بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقى هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبائحهم بحال، لكن يجتمع فى الذبيحة مانعان، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن[1] انتهى .

قال الشيخ معلقا :

فانظر أرشدك الله إلى تكفيره من ذبح لغير الله من هذه الأمة وتصريحه أن المنافق يصير مرتدا بذلك، وهذا فى المعين، إذ لا يتصور أن تحرم إلا ذبيحة معين[2] .

ويذكر الشيخ فى جوابه لمن سأله عن الذبح للجن ، أن العلماء صرحوا أن الذبح للجن ردة تخرج من الملة، وقالوا : الذبيحة حرام ولو سمى عليها، قالوا : لأنها يجتمع فيها مانعان : الأول : أنها مما أهل به لغير الله . والثانى : أنها ذبيحة مرتد، والمرتد لا تحل ذبيحته وإن ذبحها للأكل وسمى الله عليها، وقول العلماء انه منهي عنها أوحرام أومكروهة أولا تنبغي ، ألفاظ عامة، تستعمل فى المكفرات والمحرمات التى هى دون الكفر وفى المكروهات كراهة التنزيه التى هى دون الحرام، ومثال استعمالها فى المكفرات ـ قوله : ﴿ وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ﴾ وقولهم : «لا تنبغي العبادة إلا لله وحده»، وقوله تعالى : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا** ﴾ .

قال الشيخ :

«وكلام العلماء لا ينحصر فى قولهم : «يحرم كذا» لما صرحوا فى مواضع أخرى أنه كفر، وقولهم : «يكره» لما هو كفر كقوله تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾ إلى قوله : ﴿ **كل ذلك سيّئه عند ربك مكروها** ﴾ (الأسراء : ٢٣) .

وأما كلام الإمام أحمد فى قوله : «أكره كذا» فهو عند أصحابه على التحريم . والمقصود من هذا هو إزالة شبهة أوردها السائل وهى أن قول العلماء : الذبح للجن منهى عنه أو محرم هل يفهم من قولهم هذا أنه دون الكفر والشرك الأكبر لأن هذا القول

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٢٥٩ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص ص ٢٨٥، ٢٨٦ .

ليس صريحا بأنه شرك؟ . وقد جادل بهذه الشبهة على أقوال العلماء تلك مجادلون رد عليهم الشيخ بمثل ما قدمت عنه وكشف الشبهة وبين حكم الذبح لغير الله وانه شرك أكبر.

الثانى : من نــواقض الإســـلام :

من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهمْ الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعا.

وسئل الشيخ عن قوله فى الاقناع باب حكم المرتد: «أوجعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعا»[1].

فأجاب بقوله: وكذلك أى يكفر من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم إجماعا، وذكروا أن هذا بعينه هو الذى يفعله أهل زمانهم عند القبور، فكيف بزماننا؟ يبينه لك قول الشارح، لما ذكر هذا وذكر بعده أنواعا من الكفر المخرج عن الملة، قال: وقد عمت البلوى بهذه الفرق، وأفسدوا كثيرا من عقائد أهل التوحيد، نسأل الله العفو والعافية.. انتهى كلامه فى شرح الاقناع[2]،[3].

الثالث : من نــواقض الإســـلام :

من لم يكفر المشركين أو شك فى كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع : من نــواقض الإســـلام :

من اعتقد أن غير هدى النبى ﷺ أكمل من هديه، أوأن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذى يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

الخامس : من نــواقض الإســـلام :

من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر إجماعا والدليل - قوله تعالى: ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾.

---

(١) الاقناع فى فقه الإمام أحمد لأبى النجا موسى الحجاوى، جـ ٤ ص ٢٩٧.
(٢) كشف القناع عن متن الاقناع للبهوتى، جـ ٦ ص ١٧٠.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ١٤ ص ص ٦٢، ٦٣.

وقد سئل الشيخ عن معنى قوله فى باب حكم المرتد من كتاب الاقناع، فى الفقه الحنبلى : «أو كان مبغضا لما جاء به الرسول اتفاقا»[1].

فأجاب الشيخ : إن معناه إذا كان مبغضا لما جاء به الرسول ﷺ وإن لم يشرك بالله، لكن أبغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه، كما هو حال من يدعى العلم ويقرر أنه دين الله ورسوله ﷺ، ويبغضونه أكثر من بغض دين اليهود والنصارى، بل يعادون من ألتفت إليه، ويحلون دمه وماله، ويرمونه عند الحكام.

وكذلك يقرون أن الرسول ﷺ أتى بالإنذار عن الشرك، بل هو أول من أنذر عنه وأعظم ما أنذر عنه، ثم يقولون: «خَلْقُ الله ما يتيهون، وينصرون الشرك بالقلب واللسان واليد».

والتكفير بالاتفاق فيمن أبغض النهى عن الشرك وأبغض الأمر بمعاداة أهله، ولو لم يتكلم ولم ينصر، فكيف إذا فعل ما فعل[2].

السادس : من نواقض الإسلام :

من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ، أو ثواب الله، أو عقابه، كفر ـ والدليل ـ قوله تعالى : ﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ (التوبة : ٦٦).

وقال الشيخ فى كتاب التوحيد، باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ. وقول الله تعالى : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن : إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون** ﴾ (التوبة : ٦٥).

وعن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة ـ دخل حديث بعضهم فى بعض ـ أنه قال رجل فى غزوة تبوك : «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، يعنى رسول الله ﷺ وأصحابه القراء. فقال عوف بن مالك : كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل

---

(١) انظر: الاقناع فى فقه الإمام أحمد، لأبى النجا موسى الحجاوى، ط، مصطفى محمد، جـ ٤ ص ٢٩٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ١٤ ص ٦٢.

إلى رسـول الله ﷺ ، وقـد ارتحـل وركب ناقتـه ، فقـال يارسول الله ، إنما كنا نخوض ونتحـدث حديث الـركب ، نقطـع به عنـا الطـريق . قال ابن عمر : كأنى أنظر إليه ، متعلقـا بنسعـة ناقـة رسـول الله ﷺ ، وان الحجارة تنكب رجليه ، وهويقول : إنما كنا نخـوض ونلعب فيقـول له رسول الله ﷺ : ﴿ **أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ ما يلتفت إليه ، وما يزيده عليه» .

يقـول الشيـخ سليمان فى تيسـير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد : «هذا الأثـر ذكـره المصنف مجموعـا من رواية ابن عمر ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وقتادة وقد ذكره قبله كذلك شيخ الإسلام . فأما أثر ابن عمر فرواه ابن جرير[1] ، وابن أبى حاتم ، وغـيرهما بنحـو مما ذكـر المصنـف . وأما أثر محمد بن كعب ، وزيد بن أسلم وقتادة فهى معروفة لكن بغير هذا اللفظ»[2] .

قال الشيخ : فيه مسائل :

الأولى : وهى العظيمة ـ أن من هزل بهذا : انه كافر .

الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان[3] .

وقد سئل الشيخ عن قول مؤلـف الاقناع فى الفقه الحنبلى فى باب حكم المرتد «أو استهزأ بالله أو كتبه أو رسله أو أتى بقول أو فعل صريح فى الاستهزاء بالدين . . كفـر»[4] ما وصـف هـذا الاستهـزاء المكفـر؟ فأجـاب : بأن العلماء استدلوا عليها بقوله تعـالى فى حق بعض النـاس فى غزوة تبـوك ﴿ **ولئن سألتهم ليقـولن إنـما كنـا نخوض ونلعب** ﴾ (التوبة : ٦٥) .

قال الشيـخ : فذكـر السلف والخلف أن معنـاهـا عام إلى يوم القيـامـة فيمن استهزأ بالله أو القرآن أو الرسول ﷺ .

وصفة كلامهم : أنهم قالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنـا ولا أجبن عنـد اللقـاء . يعنون بذلك رسول الله والعلماء من أصحابه ، فلما نقل الكـلام عوف بن مالـك ، أتى القـائـل يعتـذر ، أنـه قالـه على وجه اللعب كما يفعل

---

(١) ج ١٠ ص ١٧٢ ، ١٧٣ . من تفسير ابن جرير .

(٢) تيسير العزيز الحميد ، ص ص ٥٥٥ـ٥٥٦ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، ص ص ١١٧ـ١١٨ .

(٤) الاقناع فى فقه الإمام أحمد لأبى النجا موسى الحجاوى ، جـ ٤ ص ٢٩٧ .

المسافرون فنزل الوحى أن هذا كفر بعد الإيمان، ولوكان على وجه المزح. والذى يعتذر يظن أن الكفر إذا قاله جادا لا لاعبا.

وهذا قول صريح فى الاستهزاء بالدين. إذا فهمت أن هذا هو الاستهزاء فكثير من النـاس يتكلم فى الله عز وجـل، بالكلام الفاحش عند وقوع المصائب، على وجه الجد وأنه لا يستحق هذا، وأنه ليس بأكبر الناس ذنبا.

وكذلك من يدعى العلم والفقه - إذ أستدللنا عليه بآيات الله - أظهر الاستهزاء[1]

وأما صفة الاستهزاء الفعلى فمثل مد الشفة واخراج اللسان أو رمز العين، مما يفعله كثير من الناس، عندما يؤمر بالصلاة والزكاة، فكيف بالتوحيد[2].

ويقـول الشيخ فى ملخصـه عن ابن تيمية فى الآية: ﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون** ﴾ (التوبة: ٦٥):

«الآيـة تدل على أن الاستهـزاء بالله كفـر، وبـآيـاته كفر، وبالرسول كفر، من جهة الاستهزاء بالله وحده كفر بالضرورة فلم يكن ذكر الآيات والرسول شرطا، فعلم أن الاستهـزاء بالـرسـول كفـر، والا لم يكن لذكـره فائـدة، وكـذلـك الآيات، وأيضا فالاستهزاء بهذه الأمور متلازم»[3].

السابع: من نـواقض الإسـلام:

السحـر، ومنـه الصـرف والعطـف، فمن فعله أورضي به كفـر. والـدليل قوله تعالى: ﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾ (البقرة: ١٠٢).

الثامن: من نـواقض الإسـلام:

مظـاهـرة المشـركين ومعاونتهم على المسلمين - والدليل - قوله تعالى: ﴿ **ومن يتولهم منكم فانه منهم، إن الله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ (المائدة: ٥١).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ص ٦١، ٦٢، ٦٥.
(٢) المصدر السابق ص ٦٥.
(٣) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١١٠ ص ص ١٠٤-١٠٦.

التاسع : من نــواقض الإســـــلام :

من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

العاشر : من نــواقض الإســـــلام :

الاعـراض عن دين الله تعـالى لا يتعلمه ولا يعمل به ـ والدليل ـ قوله تعالى : **﴿ ومن أظلم ممّن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنّا من المجرمين منتقمون ﴾** (السجدة : ٢٢) .

وهـذه النـواقض التى ذكرها الشيخ هى مسألة التكفير لخصها الشيخ من كلام العلماء ، قال الشيـخ : «وذكـر (أى الشيـخ أبـو النجا مؤلـف الاقناع) فى الاقناع إجماع المذاهب كلها على ذلك»[١] . ثم قال : «فإن كان عند أحد كلمة تخالف ما ذكروه فى مذهب من المـذاهب فيـذكـرهـا وجـزاه الله خيرا»[٢] والغالب أنه ليس عند أحد علم يخالف ما ذكروه وإنما العناد . فيقول الشيخ : «وإن كان يبغى يعاند كلام الله ، وكلام رسوله ﷺ ، وكلام العلماء ، ولا يصغى لهذا أبدا فاعرفوا أن هذا الرجل معاند ما هو بطـالب حق ، وقـد قال الله تعـالى : **﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾** (آل عمران : ٨٠) .

ثم يبـين الشيـخ أن هؤلاء الـذين يعتـذرون بالتكفير ليس لأنه مشكل عليهم تكفـير انـاس بأعيـانهم قد اشتبـه أمرهـم ـ بل إذا تأمل المتأمل أحوالهم يجد أن هؤلاء أعـداء للمـوحـدين ، يبغضونهم ويستثقلونهم ، والمشركين والمنافقين هـم ربعهـم الذين يستأنسون إليهم كما جرى من رجال فى الدرعية وفى العيينة الذين ارتدوا وأبغضوا الدين[٣] .

ثم يقول الشيخ بعد أن أورد النواقض العشرة :

«ولا فرق فى جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف ، إلا المكره . وكلها

---

(١) انظر: الاقناع باب حكم المرتد، جـ ٤ ص ص ٢٩٧ـ٣٠٨.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٢ ص ٢١٢ .

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٢ ص ٢١٢ .

من أعظم ما يكـون خطـرا، ومن أكثـر ما يكـون وقـوعـا . فينبغى للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه»[1].

ويقـرر الشيـخ أنهـا تقـع من المعينـين وممكن أن يرتد المسلم ويكفر بعد إسلامه والعياذ بالله من ذلك، فقد عرف المرتد فى باب حكم المرتد بأنه المسلم الذى يكفر بعد إسلامه[2]، فهذا يفيد الحذر والخوف والاستعاذة بالله .

وقد بين الشيخ لرجل من أهل الأحساء استشكل تكفير المعين لأنه يقول لا إله إلا الله وان عبــد الأوثـان مع هذا عبـادة أكـبر من عبـادة الـلات والعـزى وسب دين الـرسـول ﷺ بعدما شهد به مثل سب أبى جهل. فالشيخ يبين له أحكام هذه المسألة من كلام أهل العلم المتقدمين والمتأخرين فيقول مخاطبا هذا المستشكل :

«فأول ما أنصحك به أنك تفكر هل هذا الشرك الذى عندكم هو الشرك الذى ظهـر نبيـك ﷺ ينهى عنـه أهـل مكـة، أو شرك أهـل مكة نوع آخر أغلظ منه أم هذا أغلظ؟ فإذا أحكمت المسألـة، وعـرفت أن غالب من عنـدكم سمـع الآيات، وسمع كلام أهـل العلم، من المتقـدمـين والمتأخـرين، وأقربه، وقال أشهد أن هذا هو الحق ونعرفه قبل ابن عبد الوهاب، ثم بعد ذلك يصرح بمسبة ما شهد أنه الحق، ويصرح بحسن الشرك واتباعه وعدم البراءة من أهله، فتفكر هل هذه المسألة الا مسألة الردة الصريحة التى ذكرها أهل العلم فى الردة؟ ولكن العجب من دلائلك التى ذكرت كأنها أتت ممن لا يسمع ولا يبصر.

أمـا استـدلالـك بترك النبى ﷺ ومن بعـده تكفـير المنـافقين وقتلهم فقد عرفه الخـاص والعـام ببـديهـة العقل أنهم لويظهرون كلمة واحدة أو فعلا واحدا من عبادة الأوثـان أومسبـة التـوحيـد الذى جاء به الرسول ﷺ أنهم يقتلون شر قتلة، فإن كنت تزعم أن الذين عندكم أظهروا اتباع الدين الذى تشهد أنه دين الرسول ﷺ ، وتبرؤ ا من الشرك بالقول والفعل، ولم يبق إلا أشياء خفية تظهر على صفحات الوجه أو فلتة لسـان فى السـر، وقـد تابوا من دينهم الأول، وقتلوا الطواغيت وهدموا البيوت المعبودة فقـل لي، وان كنت تزعم أن الشـرك الـذى خرج عليه الرسول ﷺ أكبر من هذا فقل

---

(١) مؤلفـات الشيـخ، القسم الأول، العقيـدة، نواقض الإسلام، ص ص ٣٨٥-٣٨٧. والقسم الخامس، الشخصية رقم ٣٢ ص ص ٢١٢-٢١٤، والدرر السنية، جـ ٨ ص ص ٨٩، ٩٠.

(٢) الاقناع جـ ٤ ص ٢٩٧.

لي؟ وان كنت تزعم أن الإنسان إذا أظهر الإسلام لا يكفر إذا أظهر عبادة الأوثان، وزعم أنها الدين وأظهر سب دين الأنبياء وسماه دين أهل العارض وأفتى بقتل من أخلص لله الدين واحراقه وحل ماله فهذه مسألتك، وقد قررتها وذكرت أن من زمن النبى ﷺ إلى يومنا هذا لم يقتلوا أحدا ولم يكفروه من أهل الملة، أما ذكرت قول الله تعالى: ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض . . . ﴾ إلى قوله: ﴿ ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا ﴾ (الأحزاب: ٦٠، ٦١). وقوله: ﴿ ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها . . . ﴾ الآية (النساء: ٩١). واذكر قوله فى الاعتقاد فى الأنبياء: ﴿ أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ (آل عمران: ٨٠).

واذكر ما صح عن رسول الله ﷺ أنه أشخص رجلا معه الراية إلى من تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله فأى هذين أعظم؟ـ

تزوج امرأة الأب أوسب دين الأنبياء بعد معرفته، واذكر أنه هم بغزو بنى المصطلق لما قيل انهم منعوا الزكاة حتى كذب الله من نقل ذلك. واذكر قوله فى أعبد هذه الأمة وأشدهم اجتهادا (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة).

واذكر قتال الصديق وأصحابه مانعي الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم.

واذكر اجماع الصحابة على قتل أهل مسجد الكوفة وكفرهم وردتهم لما قالوا كلمة فى تقرير نبوة مسيلمة، ولكن الصحابة اختلفوا فى قبول توبتهم لما تابوا والمسألة فى صحيح البخارى وشرحه فى الكفالة[1].

واذكر اجماع الصحابة لما استفتاهم عمر على أن من زعم أن الخمر تحل للخواص مستدلا بقوله تعالى: ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾ (المائدة: ٩٣) - مع كونه من أهل بدر، وأجمع الصحابة على كفر من اعتقد فى علي مثل اعتقاد هؤلاء فى عبد القادر وردتهم وقتلهم، فأحرقهم علي بن أبى طالب رضى الله عنه وهم أحياء فخالفه ابن عباس فى الاحراق وقال: يقتلون بالسيف، مع كونهم من أهل القرن الأول أخذوا العلم عن الصحابة.

---

(١) صحيح البخارى، جـ ٣ ك / الكفالة، ب ١ ص ٥٦. وانظر فتح البارى جـ ٤ ص ٤٧٠.

واذكر اجماع أهل العلم من التابعين وغيرهم على قتل الجعد بن درهم ، قال ابن القيم :

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان

قال الشيخ : ولو ذهبنا نعدد من كفره العلماء مع ادعائه الإسلام وأفتوا بردته وقتله لطال الكلام ، لكن من آخر ما جرى قصة بنى عبيد ملوك مصر، وطائفتهم وهم يدعون أنهم من أهل البيت ، ويصلون الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة والمفتين، أجمع العلماء على كفرهم وردتهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب يجب قتالهم .

واذكر كلامه فى الاقناع وشرحه فى الردة كيف ذكروا أنواعا كثيرة موجودة عندكم، ثم قال منصور : وقد عمت البلوى بهذه الفرق وأفسدوا كثيرا من عقائد أهل التوحيد نسأل الله العفو والعافية . هذا لفظه بحروفه، ثم ذكر قتل الواحد منهم وحكم ماله[١] .

هل قال واحد من هؤلاء الصحابة (أو أحد من العلماء) إلى زمن منصور ان هؤلاء يكفر أنواعهم لا أعيانهم ؟ .

ثم أخذ الشيخ يبين عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية فى تكفير المعين فيقول : «وأما عبارة الشيخ التى لبسوا بها عليك فهي أغلظ من هذا كله ولو نقول بها لكفرنا كثيراً من المشاهير بأعيانهم فإنه صرح فيها بأن المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة . ثم أخذ الشيخ يقرر معنى قيام الحجة وأن معناها أن المعين إن عرفَ الحق وخالف كفر بعينه ، والا لم يكفر- ثم أخذ الشيخ يذكر له من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ما يصدق هذا من اقتضاء الصراط المستقيم وغيره[٢] .

وكما بينا فى منهج الشيخ أنه يعتبر قيام الحجة وبلوغها فمن لم تبلغه الحجة وتقوم عليه فإنه لا يكفره[٣] .

وقد سئل الشيخ عن قوله فى الاقناع : «أو نطق بكلمة كفر ولم يعلم معناها فلا يكفر بذلك»[٤] .

---

(١) انظر: الاقناع جـ ٤ ص ٢٩٧-٣٠٨ وكشاف القناع عن متن الاقناع لمنصور البهوتى فرغ من تأليفه سنة ١٠٤٦ والمتوفى سنة ١٠٥١هـ جـ ٦ ص ص ١٦٧-١٨٧ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٣ ص ص ٢١٦-٢٢٤ .

(٣) انظر: ص ٢٦٤ من هذا البحث .

(٤) انظر الاقناع جـ ٤ / ص ٢٩٧ .

هل المعنى : نطق بها ولم يعرف شرحها أو نطق بها ولم يعلم أنها تكفره ؟ .

فأجاب الشيخ : بأنه إذا نطق بكلمة الكفر ولم يعلم معناها صريح واضح أنه يكون نطق بما لا يعرف معناه، أي فلا يكفر ـ وأما كونه لا يعرف أنها تكفره يعنى إذا نطق بكلمة الكفر التى يعرف أنها كفر، لكن يظن أنه إذا نطق بالكفر، هازلا أو مازحا أو يريد مصلحة من المصالح الدنيوية أن هذا لا يكفره. قال الشيخ : فيكفي فيه قوله: ﴿ **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾، فهم يعتذرون للنبى ﷺ ظانين أنهم حين يقولونها على وجه اللعب أنها لا تكفرهم ـ ثم أورد الشيخ أدلة توضح هذه النقطة وهى قوله تعالى : ﴿ **وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** ﴾ (الكهف : ١٠٤) . وقوله تعالى : ﴿ **انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون** ﴾ (الأعراف : ٣٠) . وقوله تعالى : ﴿ **وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون** ﴾ (الزخرف : ٣٧)[١].

وهؤلاء الذين ذكرهم الله فى هذه الآيات الكريمة كفار مع أنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ويحسبون أنهم مهتدون .

وكما ذكرنا فى منهج الشيخ ـ أن الشيخ يفرق بين الكفر المخرج من الملة والكفر الذى لا يخرج من الملة . وقد سئل الشيخ عن قولهم : «ومن أطلق الشارع كفره كدعواهم لغير أبيهم إلى آخره، فللعلماء فيه أقوال أيها أقرب إلى الصواب ؟

فأجاب : أن من أطلق الشارع كفره بالذنوب فالراجح فيها قولان :

أحدهما : ما عليه الجمهور أنه لا يخرج من الملة .

والثانى : الوقف كما قال الإمام أحمد : أمروها كما جاءت يعنى لا يقال يخرج ولا ما يخرج وما سوى هذين القولين غير صحيح[٢].

وإذا تأملنا هذه النواقض نجد أنها تدور على الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن من ارتكب ناقضا منها فهو إما لأنه جنى على الألوهية فأشرك بالله تعالى وإما لأنه جنى على النبوة ، وإما لأنه جنى عليهما معا غير أن المشكلة التى

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى ص ٥٨ وص ٦٥، ٦٦ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى ص ص ٥٨ ، ٦٦ .

واجهها الشيخ محمد بن عبد الوهاب هى الجناية على الألوهية بالشرك، لذا فسيكون بيان الشرك أهم ما فى هذا الفصل وأوسعه.

أما تعريف الشرك ما هـو؟

فيعرفه الشيخ رحمه الله بقوله: «هو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التى أمر الله بها.

فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله تعالى أو قصد غير الله بشىء من أنواع العبادة فقد اتخذ هذا الغير ربا وإلها من دون الله تعالى وأشرك مع الله غيره الشرك الأكبر الذى نهى عنه وأنكره على المشركين وأخبر أنه لا يغفره فقال تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (النساء: ٤٨، ١١٦). وقال تعالى: ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ (المائدة: ٧٢)[١].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن فى قرة عيون الموحدين ما مضمونه. ان صرف القصد بالعبادة لغير الله شرك بالله لالتفاته فى التعبد إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب، وكل هذه الأبواب التى ذكرها المصنف رحمه الله تعالى تدل على أن من أشرك مع الله غيره بالقصد والطلب فقد خالف ما نفته (لا إله إلا الله) وعكس مدلولها فأثبت ما نفته ونفى ما أثبته من التوحيد[٢].

فصرف أى نوع من أنواع العبادة التى أمر الله بها عن طريق رسوله محمد ﷺ يعتبر شركا بالله تعالى.

وصرف شىء من العبادة لغير الله كصرف مجموعها لأن الله سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا ـ كما قال تعالى: ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين، ألا لله الدين الخالص، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون، إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار ﴾ (الزمر: ٢، ٣).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ثلاثة الأصول ص ١٨٦ والأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٨١.

(٢) قرة عيون الموحدين، باب من الشرك: النذر لغير الله، ص ٦٧ ط السلفية بمصر، ضمن مجموعة التوحيد.

أمـا صفـة اشـراك المشـركـين فيقول عنها الشيخ(١) : واعلم أن المشركين الذين قاتلهم رسـول الله ﷺ صفـة اشـراكهم أنهم يدعـون الله ويـدعـون معـه الأصنـام والصالحين، مثل عيسى وأمه والملائكة، يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وهم يقرون أن الله سبحـانـه هو النـافـع الضار المدبر، كما ذكر الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمـع والأبصـار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر فسيقولون الله** ﴾ (يونس : ٣١) .

فإذا عرفت هذا ـ وعرفت أن دعوتهم الصالحين وتعلقهم عليهم أنهم يقولون ما نريد إلا الشفاعة .

وأن النبي ﷺ قاتلهم ليخلصـوا الـدعـوة لله ويكون الدين كله لله . وعرفت أن ذلك هو الشرك بالله الذي لا يغفر لمن فعله ، وهو عند الله أعظم من الزنا وقتل النفس ، مع أن صاحبه يريد به التقرب من الله ، ثم مع هذا عرفت أمرا آخر وهو أن أكثر الناس ما عرف هذا ، منهم الـذين يسمـونهم العلماء في سديـر والوشم وغيرهم إذا قالوا نحن موحدون الله نعرف ما ينفع ولا يضر إلا الله ، وأن الصالحين لا ينفعون ولا يضرون ، وعـرفت أنهم لا يعـرفـون إلا توحيـد الكفـار، توحيـد الربوبية ، عرفت كبر نعمة الله عليك ، خصوصا إذا عرفت أن الذي يواجه الله وهو لا يعرف التوحيد أو عرفه ولم يعمل به أنه خالد في النار ولو كان من أعبد الناس ـ كما قال تعالى : ﴿ **انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار** ﴾(٢) (المائدة : ٧٢) .

وقـال الشيـخ في تلخيصـه عن ابن تيمية : والمشركون يزعمون أن عبادتهم إما واجبة وإما مستحبة ، ثم منهم من عبد غير الله فيتقرب به إلى الله ، ومنهم من ابتدع دينا عبد به الله كما أحدثه النصارى من العبادات ، وأصل الضلال في الأرض إنما نشأ من هذين إما اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم ما لم يحرمه ، ولهذا كان الأصل الذي بنى عليـه أحمـد وغيـره مذهبهم أن الأعـمال عبـادات وعادات فالأصل في العبادات أن لا يشـرع منهـا إلا ما شرعـه الله ، والأصل في العادات أن لا يحظر منها إلّا ما حظره الله ، وهذه المواسم المحدثة إنما نهى عنها لما أحدث فيها من الدين الذي يتقرب به إلى الله(٣) .

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٣١٨ ، والقسم الخامس ، الشخصية رقم ١٧ ص ص ١١١ ، ١١٢ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، الرسالة الثالثة عشرة ص ٣٩٩ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة رقم ١٠٠ ص ص ٩٣ ، ٩٤ .

ويـذكـر الشيخ من مسائل الجاهلية : أنهم يتعبدون باشراك الصالحين فى دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله لظنهم أن الله يحب ذلك وأن الصالحين يحبونه ـ كما قال تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ ـ وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ[1] .

ويقرر الشيخ فى القواعد الأربع الأمر الذى صار به الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مشركين مع أنهم مقرون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر، ولكن ذلك لم يدخلهم فى الإسلام لجحدهم توحيد الله بالألوهية ـ ويستدل بقول الله تعالى : ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله فقل أفلا تتقون** ﴾ (يونس : ٣١) .

وأن هؤلاء المشركين يقولون : ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة والدليل على قولهم هذا ـ قوله تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ، إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار** ﴾ (الزمر : ٣) ـ هذا دليل القربة ، أما دليل الشفاعة فقوله تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ (يونس : ١٨) .

ثم إن هؤلاء المشركين متفرقون فى عبادتهم منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ، ومنهم من يعبد الشمس والقمر . وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم ـ والدليل قوله تعالى : ﴿ **قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله** ﴾ (الأنفال : ٩) .

والدليل على عبادتهم الشمس والقمر قوله تعالى : ﴿ **ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ (فصلت : ٣٧) .

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، مسائل الجاهلية ص ٣٣٤ .

والدليل على عبادتهم الملائكة قوله تعالى : ﴿ **ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا** ﴾ (آل عمران : ٨٠) .

ودليل عبادتهم الأنبياء ـ قوله تعالى : ﴿ **وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، قال سبحانك ، ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب** ﴾ (المائدة : ١١٦) .

ودليل عبادتهم الصالحين ـ قوله تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه** ﴾ (الأسراء : ٥٧) .

ودليل عبادتهم الأشجار والأحجار ـ قوله تعالى : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ .

وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال : «خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» الحديث ، قال الشيخ : رواه الترمذي وصححه وهو كما قال[(١)] .

ويقول الشيخ في تفسير كلمة التوحيد : «ولنختم الكلام بآية ذكرها الله تعالى في كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول الله ﷺ » ، قال الله تعالى : ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا** ﴾ (الأسراء : ٦٧) .

فقد ذكر الله عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشائخ فلم يدعوا أحدا منهم ولم يستغيثوا به ، بل يخلصون لله وحده لا شريك له ويستغيثون به وحده فإذا جاء الرخاء أشركوا وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ـ ولعل بعضهم ـ يدعي أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة ـ إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير وأجل من هؤلاء مثل رسول الله ﷺ فالله المستعان ، وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة[(٢)] .

---

(١) انظر : تصحيح الترمذي في أعلا صحائف تحفة الأحوذي جـ ٦ ص ص ٤٠٧-٤٠٨ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، التفسير كلمة التوحيد ص ص ٣٦٧-٣٦٩ .

وبعد مقارنة أحوال مشركى زمان الشيخ بأحوال مشركى الجاهلية الأولى يقول الشيخ : «إن مشركى زماننا أغلظ شركا من الأولين، لأن الأولين يشركون فى الرخاء ويخلصون فى الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائم فى الرخاء والشدة» .

ويدلل أيضا على أن شرك الأولين أخف ـ بقوله تعالى : ﴿ **فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون** ﴾ (العنكبوت : ٦٥) أما المشركون فى زمان الشيخ فشركهم يكون دائما فى الرخاء والشدة ودليله الواقع المشهود[1]. والذين قاتلهم الرسول ﷺ أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء[2].

ـــ وخلاصة ما تقدم من تعريف للشرك هو :

أن يُصرف شىء من أنواع العبادة لغير الله تعالى طلبا للزلفى عند الله . وهذه نظرة المشركين إلى شركهم أنه عبادة لله تعالى وقربة إليه، ولذا كان أشبه بهم أهل البدع الذين يتعبدون لله بالبدع ، والشرك أكبر البدع فى العبادة .

أما حكم الشرك فإنه أعظم ما نهى الله عنه فى مثل قوله تعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** ﴾ (النساء : ٣٦) . وغير ذلك من الآيات الكثيرة .

والشرك أول المحرمات كما قال الله تعالى : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا** ﴾ الآيات (الأنعام : ١٥١-١٥٣)[3].

والله سبحانه يقرن بين الشرك والكذب كما يقرن بين الصدق والاخلاص ولهذا فى الصحيح عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثم قرأ قوله : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به** ﴾ (الحجر : ٣١) .

وقال : ﴿ **ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون** ﴾ (القصص : ٧٤، ٧٥) إلى قوله : ﴿ **وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أئفكا آلهة دون الله تريدون** ﴾ (الصافات : ٨٧) .

وقوله : ﴿ **إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار** ﴾ (الزمر: ٣) .

وقوله : ﴿ **إن الذين اتخذوا العجل** ﴾ الآية (الاعراف: ١٥٢) .

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، القواعد الأربع، ص ص ١٩٩-٢٠٢ .

(٢) المصدر السابق، كشف الشبهات ص ١٧١ .

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد ص ص ٨، ٩ .

قال أبو قلابه : هى لكل مبتدع من هذه الأمة إلى يوم القيامة، وكل من كان أقـرب إلى الشـرك كان أقـرب إلى الكـذب كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركا(١).

وينقسم الشرك إلى : أكبر وأصغر. فالأكبر مخرج من الملة ـ والأصغر لا يخرج من الملة(٢).

وقد مثل الشيخ للشرك الأصغر فقال: كيسير الرياء والحلف بغير الله وقول هذا من الله ومنك وأنا بالله وبك وما لى إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا أنت لم يكن كذا وكذا. قال الشيخ: وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله ومقصده(٣).

ويمثل الشيخ للشرك الأكبر بطلب الحوائج من الموتى ودعائهم لذلك، والنذر لهم ليشفعوا عند الله لداعيهم والناذر لهم .

ويقـول الشيـخ: عن هذا انـه الشـرك الأكـبر الذى بعث الله النبى محمدا ﷺ بالنهى عنه فكفر من لم يتب منه وقاتله وعاداه ثم يشير إلى ما ذكر فى الاقناع عن الشيخ تقى الدين أن من دعا علي بن أبى طالب فهو كافر، وأن من شك فى كفره فهو كافر.

ويقـول الشيـخ: «فـإذا كان هذا حال من شك فى كفـره مع عداوته له ومقته له فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يعاده؟ فكيف بمن أحبه؟ فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته وتعذر أنا لا نقدر على التجارة أو طلب الرزق إلا بذلك(٤).

ويقـول الشيـخ عبـد الـرحمن بن ناصـر السعـدى ـ رحمـه الله تعالى ـ فى كتابه «القـول السـديـد على مقـاصـد التـوحيد»: «حد الشرك الأكبر وتفسيره الذى يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعا أو فردا من أفراد العبادة لغير الله» فكل اعتقاد أو قول أوعمـل ثبت أنـه مأمـور به من الشـارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان واخلاص وصرفه لغيره شرك وكفر، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذى لا يشذ عنه شىء.

---

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٩٩ ص ص ٩١، ٩٢.

(٢) مؤلفـات الشيـخ، القسم الأول، العقيـدة، كتـاب التوحيد، ص ٢٨ وص ٣٣ وص ٨٦ وص ١١٠ وص ١١٣ وص ١٢٣ ومفيد المستفيد ص ٢٩٥.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص ٢٩٥.

(٤) مؤلفـات الشيـخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص ص ٢٩٦-٢٩٧. والدرر السنية جـ ٢ ص ص ٤-٥.

كما أن حد الشرك الأصغر هو: كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الارادات والأقـوال والأفعـال التى لم تبلغ رتبـة العبـادة، فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر، فإنه مما يعينك على فهم الأبواب السابقة واللاحقة من هذا الكتاب[١]. «يعنى كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب».

وفى كتاب التوحيد عقد الشيخ أبوابا كثيرة فى بيان أشياء من افراد الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر مما ينافى التوحيد أوينافى كماله وهى كما يلى :

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه[٢].

وباب ما جاء فى الرقى والتمائم[٣].

وباب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما[٤].

وباب ما جاء فى الذبح لغير الله[٥].

وباب من الشرك : النذر لغير الله[٦].

وباب من الشرك : الاستعاذة بغير الله[٧].

وباب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره[٨].

وباب ما جاء فى السحر[٩].

وبـاب بيـان شيء من أنـواع السحـر[١٠]. ووجه ادخالها فى ذلك أن كثيرا من أقسام السحر لا يتأتى إلا بالشرك والتوسل بالأرواح الشيطانية إلى مقاصد الساحر.

فالسحر يدخل فى الشرك من جهتين : من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم وربما تقرب إليهم بما يحبون والشرك مما يحبون فيتقرب به إليهم ليقوموا بخـدمتـه ومطلوبـه، ومن جهـة ما فيـه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله فى

---

(١) القول السديد فى مقاصد التوحيد ص ص ٥٢، ٥٣.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٢٧-٢٨.
(٣) المصدر السابق ص ص ٢٩-٣١.
(٤) المصدر السابق ص ص ٣٢-٣٤.
(٥) المصدر السابق ص ص ٣٥-٣٧.
(٦) المصدر السابق ص ٤٠.
(٧) المصدر السابق ص ٤١.
(٨) المصدر السابق ص ص ٤٢-٤٤.
(٩) المصدر السابق ص ص ٧٢-٧٣.
(١٠) المصدر السابق ص ص ٧٤-٧٥.

علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك وهذا من شعب الشرك[1].

وباب ما جاء فى الكهان ونحوهم[2].

وباب ما جاء فى النشرة[3]. وهى حل السحر بسحر مثله.

وباب ما جاء فى التطير[4]، وهو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع وغيرها.

وباب ما جاء فى التنجيم[5]، وهو زعم تأثير الأحوال الفلكية فى الحوادث الكونية.

وباب ما جاء فى الاستسقاء بالأنواء[6]. أى نسبة السقى ومجيء المطر إليها.

وباب قول الله تعالى: ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله** ﴾ (البقرة: ١٦٥)[7]. فاتخاذ الأنداد التى تجذب بمحبتها عن محبة الله من الشرك.

وباب قول الله تعالى: ﴿ **إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه، فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين** ﴾ (آل عمران: ١٧٥)[8]. فخوف العبادة من غير الله تعالى من الشرك.

وباب قول الله تعالى: ﴿ **أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** ﴾[9] (الاعراف: ٩٩). وقوله: ﴿ **ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** ﴾ (الحجر: ٥٦). فالأمن من مكر الله أو القنوط من رحمة الله من شعب الشرك.

وباب ما جاء فى الرياء[10].

---

(١) القول السديد فى مقاصد التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن سعدى ص ٩٣-٩٥.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٧٦-٧٨.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٧٩-٨٠.
(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٨١-٨٣.
(٥) المصدر السابق ص ٨٤.
(٦) المصدر السابق ص ص ٨٥-٨٧.
(٧) المصدر السابق ص ص ٨٨-٩٠.
(٨) المصدر السابق ص ص ٩١-٩٢.
(٩) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٨١-٨٣.
(١٠) المصدر السابق ص ص ٩٨-٩٩.

وباب من الشرك ارادة الإنسان بعمله الدنيا[١].

وبـاب من أطـاع العلماء والأمـراء فى تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله[٢].

وبـاب قول الله تعـالى : ﴿ **ألم تر إلى الـذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به** ﴾ الآية[٣]. لأن الله تعالى له الحكم القدرى، وله الحكم الشرعى، وكذلك الحكم الجـزائى له وحـده لا شريـك له، فاذا قدم العبد طاعة الأمراء والعلماء على طاعة الله ورسوله ﷺ وتحاكم إلى الطاغوت وترك التحاكم إلى شريعة الله، فهذا من شعب الشرك[٤].

ومن أفراد الشرك أو من أفراد أبوابه ووسائله التى عقد الشيخ لها أبوابًا فى كتابه كتـاب التـوحيـد، باب من جحـد شيئـا من الأسـماء والصفات[٥]. فذلك من شعب الكفر ونسبته إلى غير الله من الشرك كما قالوا: لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة[٦].

وبـــاب قول الله تعـــالى: ﴿ **يعـرفـــون نعمـــة الله ثم ينكـــروهـا وأكثـرهم الكـافـرون** ﴾[٧] (النحـل: ٨٣). فانكـار نعمة الله بعد معرفتها هوبنسبتها إلى غيره وهذا من الشرك.

وبـــاب قول الله تعـــالـى : ﴿ **فلا تجعـلوا لله أنـــدادا وأنـــتم تعلمـــون** ﴾[٨] (البقرة: ٢٢). فجعل الأنداد من الشرك.

وبـاب ما جاء فيمن لم يقنـع بالحلف بالله وذكـر تحته النهى عن الحلف بغير الله كالحلف بالآباء ونحو ذلك[٩].

---

(١) المصدر السابق ص ص ١٠٠-١٠١.
(٢) المصدر السابق ص ص ١٠٢-١٠٣.
(٣) المصدر السابق ص ص ١٠٤-١٠٥.
(٤) انظر: القول السديد فى مقاصد التوحيد ص ص ١٣٠-١٣٤.
(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ص ١٠٦-١٠٧.
(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان ص ص ٥١١، ٥١٢.
(٧) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ١٠٨.
(٨) المصدر السابق ص ص ١٠٩-١١٠.
(٩) المصدر السابق ص ١١١.

وباب قول ما شاء الله وشئت[1].

وباب من سب الدهر فقد آذى الله[2]، لأن الله يقلب الليل والنهار.

وباب التسمى بقاضى القضاة ونحوه[3].

وباب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ[4].

وباب قول الله تعالى: ﴿ **ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن: هذا لي، وما أظن الساعة قائمة** ﴾[5] أي فيمن يزعم أن ما أوتيه من النعم والرزق إنما هو بكده وحذقه وفطنته.

وباب قول الله تعالى: ﴿ **فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما، فتعالى الله عما يشركون** ﴾[6] (الأعراف: ١٩٠) - أي يسمونه باسم معبد لغير الله تعالى.

وباب قول الله تعالى: ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه** ﴾ (الأعراف: ١٨٠). والمقصود الذين يلحدون فى أسمائه أى يشركون[7].

وباب لا يقال السلام على الله[8] لأن الله هو السلام.

وباب قول: اللهم اغفر لى إن شئت[9]، لأن الله لا مكره له.

وباب لا يقول: عبدى وأمتى[10]. للبعد عن الألفاظ التى فيها إيهام التشريك.

وباب لا يرد من سأل بالله[11].

---

(١) المصدر السابق ص ص ١١٢-١١٣.
(٢) المصدر السابق ص ١١٤.
(٣) المصدر السابق ص ١١٥.
(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ١١٧-١١٨.
(٥) المصدر السابق ص ص ١١٩-١٢١.
(٦) المصدر السابق ص ص ١٢٢-١٢٣.
(٧) المصدر السابق ص ١٢٤.
(٨) المصدر السابق ص ١٢٤.
(٩) المصدر السابق ص ١٢٦.
(١٠) المصدر السابق ص ١٢٧.
(١١) المصدر السابق ص ١٢٨.

وباب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة[١]. فإن رد من سأل بالله والسؤال بوجه الله غير الجنة ترك لتعظيم الرب إلى تعظيم من سواه بغير اذنه.

وباب ما جاء فى اللو[٢]، لأن لو تفتح عمل الشيطان.

وباب النهى عن سب الريح[٣]، لأنها مأمورة فيستعاذ بالله من شر ما أمرت به.

وباب قول الله تعالى: ﴿ **يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شيء** ﴾[٤] الآية (آل عمران: ١٥٤) ـ لأنهم لم يوحدوا الله توحيد المعرفة والاثبات فى الأسماء والصفات.

وباب ما جاء فى منكرى القدر[٥].

وباب ما جاء فى المصورين[٦]، الذين يضاهئون بخلق الله.

وباب ما جاء فى كثرة الحلف[٧]، لأن كثرته من غير داع شرعى استخفاف بحق الله تعالى.

وباب ما جاء فى: «ذمة الله وذمة نبيه ﷺ »[٨] لأن نقضها ترك لتعظيم الله من أجل غيره.

وباب ما جاء فى الاقسام على الله[٩].

وباب لا يستشفع بالله على خلقه[١٠]، لأن فى الاقسام والتألى على الله أن لا يغفر لفلان وفى الاستشفاع بالله على خلقه سوء أدب. فالأول: من العجب بالنفس ـ والثانى: من تعظيم غير الله ـ وهذان من شعب الشرك.

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٩.
(٢) المصدر السابق ص ص ١٣٠-١٣١.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٣٢.
(٤) المصدر السابق ص ص ١٣٣-١٣٤.
(٥) المصدر السابق ص ص ١٣٥-١٣٧.
(٦) المصدر السابق ص ص ١٣٨-١٣٩.
(٧) المصدر السابق ص ص ١٤٠-١٤١.
(٨) المصدر السابق ص ص ١٤٢-١٤٣.
(٩) المصدر السابق ص ١٤٤.
(١٠) المصدر السابق ص ١٤٥.

وباب ما جاء فى قول الله تعالى : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾[1] ومن أشرك لم يقدر الله حق قدره .

ولهذا الشرك أسباب ووسائل يبينها الشيخ رحمه الله ويهتم ببيانها للحذر منها وقد عقد فى ذلك أبوابا فى كتاب التوحيد أيضا وهى :

باب ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين[2] .

وباب ما جاء أن الغلو فى قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله[3] .

وباب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف اذا عبده؟[4] .

وباب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما[5] . (أى باب ما جاء فيمن تبرك) .

وباب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله[6] .

وباب ما جاء فى حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك[7] . ويقصد بهذا الباب حماية التوحيد من جانب الأعمال .

وباب آخر يشبهه فى العنوان وهو: باب ما جاء فى حماية النبى ﷺ التوحيد وسده طرق الشرك[8]، ويقصد بهذا الباب حماية التوحيد من جانب الألفاظ والأقوال .

وعن أسباب الشرك أيضا فالشيخ يبينها فى مثل استنباطه من قول الله تعالى : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ (الزمر: ٦٧) .

قال الشيخ فى هذه الآية : التنبيه على سبب الشرك وهو أن المشرك بان له شىء من جلالة الأنبياء والصالحين، ولم يعرف الله سبحانه وتعالى ، والا لو عرفه لكفاه

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ١٤٨-١٥١ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة ص ص ٥٦-٥٩ .

(٣) المصدر السابق ص ص ٦٤-٦٥ .

(٤) المصدر السابق ص ص ٦٠-٦٣ .

(٥) المصدر السابق ص ص ٣٢-٣٤ .

(٦) المصدر السابق ص ص ٣٨-٣٩ .

(٧) المصدر السابق ص ص ٦٦-٦٧ .

(٨) المصدر السابق ص ص ١٤٦-١٤٧ .

وشفاه عن المخلوق، وهذا معنى قوله: ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ الآية[1].

ويقول الشيخ فى بيانه سبب الشرك: «لأن الناس يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعاءه فيعكفون على قبره ويقصدون ذلك فتارة يسألونه وتارة يسألون الله عنده. وتارة يصلون ويدعون الله عند قبره، ولما كان هذا بدء الشرك سد النبى ﷺ هذا الباب. ففى الصحيحين أنه قال فى مرض موته «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا[2] الخ.

وسيأتى هذا الحديث للاستدلال به وبغيره من الأدلة على أن الرسول ﷺ قد سد أبواب الشرك. وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدى:

«والغلو فى الصالحين لاشك أنه هو الباب المفضى إلى الشرك قديما وحديثا. فالغلو فيهم هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شىء، فإن حق الله الذى لا يشاركه فيه مشارك، هو الكمال المطلق، والغنى المطلق، والتصرف المطلق، من جميع الوجوه، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه.

فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيبا من هذه الأشياء فقد ساوى به رب العالمين، وذلك أعظم الشرك.

ومن رفع أحدا من الصالحين فوق منزلته التى أنزله الله بها فقد غلا فيه، وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين.

والناس فى معاملة الصالحين ثلاثة أقسام:

١ ـ أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.

٢ ـ وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التى أنزلهم الله بها.

٣ ـ وأهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم الحقيقية ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم.

والصالحون أيضا يتبرأون من أن يدعوا لأنفسهم حقا من حقوق ربهم الخاصة، كما قال الله عن عيسى ﷺ: ﴿ سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ﴾.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) الدرر السنية، ط ٢، جـ ٢ ص ٥.

واعلم أن الحقوق ثلاثة :

حق خاص لله لا يشاركه فيه مشارك وهو التأله له وعبادته وحده لا شريك له ، والرغبة والانابة إليه حبا وخوفا ورجاء .

وحق خاص للرسل وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة .

وحق مشترك وهو الإيمان بالله ورسله وطاعة الله ورسله ، ومحبة الله ومحبة رسله ، ولكن هذه لله أصلا وللرسل تبعا لحق الله .

فأهل الرسل يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة فيقومون بعبودية الله واخلاص الدين له ويقومون بحق رسله وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم . . والله أعلم»[1] .

وأورد الشيخ تحت باب ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين ، أدلة مناسبة من الكتاب والسنة ، مثل قول الله تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب ، لا تغلوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق** ﴾ (النساء : ١٧١) .

واختصر الشيخ ما فى صحيح البخارى : عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى : ﴿ **وقالوا : لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن ودا ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا** ﴾ (نوح : ٢٣) . قال : «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تعبد ، حتى اذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت» .

ثم يقول الشيخ : وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : «لما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم» .

ويسوق الشيخ حديثا عن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم . إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله» اخرجه البخارى فى صحيحه[2] . ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى حديثا عن ابن عباس قال : قال رسول الله

---

(١) القول السديد فى مقاصد التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن سعدى ، المطبوع بهامش كتاب التوحيد . ص ص ٧٥-٧٩ .

(٢) وهو الحديث الخامس عشر من عشرين حديثا من صحيح البخارى ، قام بدراسة أسانيدها الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد مع شرح متونها ، (عشرون حديثا . . . ص ١٦٩) .

ﷺ : «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو». رواه أحمد فى المسند (جـ ١ ص ٢١٥ وص ٣٤٧).

ولمسلم عن ابن مسعود : أن رسول الله ﷺ قال : «هلك المتنطعون قالها ثلاثا».

يقول الشيخ فيه : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده ويعنى بهما باب ما جاء فى التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟ ، وباب ما جاء أنّ الغلو فى قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله . قال الشيخ : من فهم هذه الأبواب الثلاثة تبين له غربة الإسلام ، ورأى من قدرة الله ، وتقليبه للقلوب العجب. وفيه معرفة أول شرك حدث فى الأرض : أنه بشبهة الصالحين. وأول شيء غير به دين الأنبياء ، وسبب ذلك. مع معرفة أن الله أرسلهم.

وفيه قبول الناس البدع ، مع كون الشرائع والفطر تردها . وأن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل ، فالأول : محبة الصالحين . والثانى : فعل أناس من أهل العلم شيئا أرادوا به خيرا ، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره .

وفيه تفسير الآية التى فى سورة نوح وبيان جبلة الآدمى ، فى كون الحق ينقص فى قلبه والباطل يزيد.

وفيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر.

وفيه بيان سبب محبة الشيطان للبدعة لمعرفته بما تؤول إليه ، ولو حسن قصد الفاعل.

وفيه معرفة القاعدة الكلية ، وهى النهى عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه.

وفيه مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح. ومعرفة النهى عن التماثيل والحكمة فى إزالتها. ومعرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

وفيه فائدة وهى أعجب وأعجب: قراءة بعض أهل الزمان هذه المسألة إياها فى كتب التفسير والحديث ، ومعرفتهم بمعنى الكلام ، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات ، واعتقدوا أن نهي الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال.

وفيه التصريح بأن هؤلاء الذين دعوا صور الصالحين لم يريدوا إلا الشفاعة من الصالحين وظنهم أن الناس الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

وفيه : البيان العظيم فى قوله : «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم»

فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين. ونصيحته إيانا بهلاك المتنطعين. والتصريح بأنها لم تعبد حتى نسى العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده. وأن سبب فقد العلم موت العلماء[1].

وتحت باب ما جاء أن الغلو فى قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله أورد الشيخ أن مالكاً روى فى الموطأ: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى** ﴾ (النجم: ١٩) - قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره».

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس كان يلت السويق للحاج.

ويقول الشيخ فى ملخصه عن ابن تيمية:

سبب عبادة اللات تعظيم قبر رجل صالح وهذه هى العلة فى تغليظه ﷺ فى النهي عن اتخاذ قبور الصالحين مساجد، ونهيه عن الصلاة فى المقبرة وقد نبه عليها بقوله: «اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد» وقد ذكر هذه العلة الشافعي، وأبو بكر الأثرم، وغيرهما من العلماء، وهى التى أوقعت كثيرا من الأمم أما فى الشرك الأكبر أو ما دونه، فان الشرك بقبر الذى يعتقد نبوته أو صلاحه أعظم من أن يشرك بخشبة أو حجر على تمثاله، ولهذا نجد قوما كثيرا يتضرعون عندها، ويتعبدون بقلوبهم عبادة لا يعبدونها فى المسجد ولا فى السحر، فهذه المفسدة هى التى حسم ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة فى المقبرة مطلقا، وان لم يقصد بركة البقعة، كما يقصد بركة المساجد الثلاثة، كما نهى عن الصلاة وقت الطلوع والغروب والاستواء، لأنها الأوقات التى يقصد المشركون بركة الصلاة للشمس فيها فنهى المسلم عن الصلاة حينئذ، وان لم يقصد ذلك الوقت سداً للذريعة فأما إذا قصد الصلاة عند قبور الصالحين متبركا فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن الله به، فنهى ﷺ من اتخاذها مساجد، وعن الصلاة عندها، وعن اتخاذها عيدا، ودعى الله أن لا يجعل قبره وثنا يعبد واتخاذ المكان عيدا هو اعتياد اتيانه لعبادة أو غيرها، وتقدم النهى الخاص عن

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٥٦-٥٩، وانظر: تيسير العزيز الحميد فى شرح التوحيد ص ص ٢٧٠-٢٧٢، ٢٧٥.

الصـلاة عنـدهـا وإليهـا، وذكـرنا ما فى دعاء المرء لنفسه من الفرق بين قصدها لأجل الدعاء والدعاء ضمنا وتبعا(١).

وينقل الشيخ عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله :

«وكـانت الطـواغيت الكبار التى تشد إليها الرحال ثلاثة : اللات والعزى ومناة وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب فكانت اللات لأهل الطائف ذكروا أنه كان فى الأصـل رجـلا صالحـا يلت السويق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره . وأما العزى فكـانت لأهـل مكـة قريبـا من عرفات وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون . وأما مناة فكانت لأهل المدينة وكانت حذو قديد من ناحية الساحل .

ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحـوال المشـركـين فى عبـادتهم الأوثـان ويعـرفه حقيقة الشرك الذى ذمه الله وأنواعه حتى يتبين له تأويل القرآن فلينظر إلى سيرة النبى ﷺ وأحوال العرب فى زمانه وما ذكره الأزرقي فى أخبار مكة وغيره من العلماء ولما كان للمشـركـين شجـرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمونها ذات أنواط فقال بعض الناس يارسـول الله اجعـل لنـا ذات أنـواط كما لهم ذات أنـواط فقـال : الله أكـبر انها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم فأنكر ﷺ مجرد مشابهتهم للكفار فى اتخاذ شجرة يعكفون عليهـا معلقـين عليهـا أسلحتهم فكيف بما هو أطم من ذلـك من الشرك بعينه إلى أن قال : «فمن ذلـك عدة أمكنـة بدمشق» مثـل مسجد يقال له مسجد الكف . فيه تمثال كف يقـال انـه كف علي بن أبى طالب حتى هدم الله ذلـك الوثن وهذه الأمكنة كثيرة موجودة فى البلاد وفى الحجاز منها مواضع ثم ذكر كلاما طويلا فى نهيه ﷺ عن الصلاة عنـد القبـور فقـال : العلة لما يفضى إليـه ذلـك من الشـرك ذكر ذلك الشافعي وغيره وكـذلـك الأئمـة من أصحاب مالك وأحمد كأبى بكر الأثرم وعللوا بهذه العلة وقد قال تعـالى : ﴿ **وقـالـوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعـا ولا يغـوث ويعـوق ونسرا** ﴾ الآية .

ذكر ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما ماتـوا عكفـوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمـد فعبدوهم . ذكر هذا البخارى فى صحيحه وأهل التفسير كابن جرير وغيره مما يبين صحة هذه العلة أنه لعن من يتخذ قبور الأنبياء مساجد .

---

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٩٨ ص ص ٩٠، ٩١.

ومعلوم أن قبور الأنبياء لا يكون ترابها نجسا وقال عن نفسه: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد» فعلم أن نهيه عن ذلك كنهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها سدا للذريعة لئلا يصلى فى هذه الساعة وان كان المصلى لا يصلى إلا لله ولا يدعو إلا الله لئلا يفضى ذلك إلى دعائها والصلاة لها. وكلا الأمرين قد وقع. فان من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعوها بأنواع الأدعية. وهذا من أعظم أسباب الشرك الذى ضل به كثير من الأولين والآخرين حتى شاع ذلك فى كثير ممن ينتسب إلى الإسلام وصنف بعض المشهورين فيه كتابا على مذهب المشركين مثل أبى معشر البلخي وثابت بن قره وأمثالهما ممن دخل فى الشرك وآمن بالطاغوت والجبت وهم ينتسبون إلى الكتاب كما قال تعالى: ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت** ﴾ انتهى كلام الشيخ رحمه الله(١).

ويختار الشيخ تحليلات جيدة للأمور التى ضل منها من ضل من المشركين وأشباههم من المتفلسفة حيث جعلوا ما يجرى بين الخلق بعضهم مع بعض من الأسباب هو مثل ما بينهم وبين الخالق تعالى الله عن ذلك فيقول الشيخ فى تلخيصه لهذه النقطة عن شيخ الإسلام ابن تيمية: ان ما بين الخلق من الأسباب الكسبية التى بها يتساءلون ويشفع بعضهم إلى بعض هي من جنس المشاركة، والسبب الآخر الولادة، فالأسباب والصلات التى بينهم لا تخرج عن سبب خلقى وهو الولادة، أو كسبى من جنس المشاركة، والمعاوضة، ولهذا افتتح سورة النساء بقوله: ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة** ﴾ الآية فذكر فى السورة حكم الأسباب من هذا وهذا، فذكر ما يتعلق بالولادة من القرابة والرحم، وما يتعلق بذلك من المواريث والمناكح، وكذلك ما يحصل بينهم بالعقود من المناكح والمواريث والوصايا على اليتامى فالنسب من الأول، والصهر من الثانى، كما قال: ﴿ **وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا** ﴾ (الفرقان: ٥٤) فافتتحها بقوله: ﴿ **الذى خلقكم من نفس واحدة** ﴾ ثم قال: ﴿ **اتقوا الله الذى تساءلون به** ﴾ أى تتعاهدون وتتعاقدون والأرحام فدخل فى الأول ما بينهم من التساؤل والتعاقد الذى يجمع

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص ص ٢٨٦-٢٨٨. وقد نقل الشيخ هذا الكلام من اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية كما ذكر، وقد اختصره من مواضع من الكتاب. انظر: ص ص ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٨، ٤٠٤، ٤٠٥.

المعاوضة والمشاركة وفى الثانى الولادة وفروعها، وقد نزه الله نفسه المقدسة عنهما، فقال: ﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ﴾ الآية (الاسراء: ١١١) وقال: ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ﴾ الآيتين (الفرقان: ١-٢) وقال: ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن ﴾ الآيتين (الأنعام: ١٠٠) وقال: ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ إلى آخرها.

ومن هنا ضل من ضل من المشركين وأشباههم من المتفلسفة حيث جعلوا لله ما نسبوه إليه نسب الولادة، أوجعلوه كالشريك ولهذا كانوا يتخذون هؤلاء شفعاء فانهم يعبدونهم ليقربوهم إلى الله زلفى، ويتخذونهم وسيطا ووسائل كما يتخذون ذلك عند المخلوقين، فهذا أصل مادة هؤلاء الجهلة الضلال ونحوهم، والقرآن قد حسم هذه المادة، وجرد التوحيد، وبين أنه لا نسبة بين المخلوق والخالق إلا نسبة العبودية المحضة، كما قال: ﴿ بل عباد مكرمون ﴾ (الأنبياء: ٢٦) وقال: ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ﴾ (النساء: ١٧٢) وقال: ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه ﴾[1] (مريم: ٩٠). وفى قياس الصابئة المشركين طريقتهم فى اتخاذ النجوم وسائط معبودة على اتخاذ الحنفاء الرسل متبوعين ينقل الشيخ ما يفسد هذا القياس من كلام ابن تيمية أيضا فيقول: المشركون من الصابئة ونحوهم لما عبدوا الكواكب والملائكة، وجعلوها وسائط بين الله وبين خلقه، جادلوا الحنفاء الذين يتبعون الرسل ولا يعبدون إلا الله فقالوا: نحن نتخذ الروحانيين وسائط، وأنتم تتخذون البشر. فأخذ يعارضهم طائفة كالشهرستانى فى الملل والنحل وغيره، ويذكرون أن توسط البشر أولى من توسط الروحانيين فبنوا معارضتهم على أصل فاسد، وهو مقايسة وسائط أولئك بوسائط الحنفاء، وهذا جهل بدين الحنفاء، فإنه ليس بينهم وبين الله واسطة فى العبادة، وإنما الرسل بلغتهم أمر الله فهم وسائط فى التبليغ كدليل الحاج، وإمام الصلاة، وبعض من دخل دين الصابئة والمشركين ظنوا أن شفاعة الرسول لأمته لا تحتاج إلى دعاء منه، بل الرحمة التى تفيض على الرسول تفيض على المستشفع من غير شعور من الرسول ولا دعاء منه ومثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة فكذلك الفيض لابد فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة، وجعلوا الفائدة فى زيارة قبورهم من هذا الوجه، وقالوا: إن الأرواح المفارقة تجتمع هى والأرواح الزائرة

---

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١٠٢ ص ص ٩٥، ٩٦.

فيقوى تأثيرها، وهذه المعانى ذكرها طائفة من الفلاسفة، ومن أخذ عنهم كابن سينا وأبى حامد وغيرهم، وهذه من أصول عباد الأصنام، وهى من المقاييس التى قال فيها بعض السلف: ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس[1].

وينقل الشيخ أيضا عن ابن تيمية أن أصل كل شرك فى العالم إنما حدث برأى أئمة هؤلاء المتكلمين أصحاب المقاييس المعارضة للوحى فيقول بعد أن ذكر بعض أحوالهم المخالفة: «كل شرك فى العالم إنما حدث برأى جنسهم فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه بل يقر هؤلاء وهؤلاء، وان رجح الموحدين ترجيحا ما فقد يرجح فى غيره المشركين، وقد يعرض عن الأمرين جميعا فتدبر هذا فانه نافع جدا. ولهذا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمرون بالشرك. وكذلك الذين كانوا فى ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك. ويوجبون التوحيد بل يسوغون الشرك أو يأمرون به أولا يوجبون التوحيد وقد رأيت من مصنفاتهم فى عبادة الملائكة وعبادة الأنفس المفارقة. أنفس الأنبياء وغيرهم ما هو أصل الشرك، وهم إذا ادعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد الذى جاءت به الرسل لابد فيه من التوحيد باخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له وهذا شىء لا يعرفونه فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل وذلك لا يكفى فى السعادة والنجاة بل لابد من أن يعبد الله وحده ويتخذه إلها دون ما سواه وهذا هو معنى «لا إله إلا الله». انتهى كلام الشيخ ابن تيمية.

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب[2]:

فتأمل رحمك الله هذا الكلام فانه مثل ما قال الشيخ فهو نافع جدا ومن أكبر ما فيه من الفوائد يبين حال من أقر بهذا الدين وشهد أنه الحق وأن الشرك هو الباطل وقال بلسانه ما أريد منه ولكن لا يدين بذلك إما بغضا له أو عدم محبته كما هى حال المنافقين الذين بين أظهرنا. وإما ايثاراً للدنيا مثل تجارة أو غيرها فيدخلون فى الإسلام ثم يخرجون منه كما قال تعالى: ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه الا من أكره ﴾ إلى قوله: ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ فإذا قال هؤلاء بألسنتهم نشهد أن هذا دين الله ورسوله ونشهد

---

(١) المصدر السابق رقم ١٠٣ ص ص ٩٦، ٩٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص ص ٢٩٩-٣٠٠.

أن المخالف له باطل وأنه الشرك بالله غرّ هذا الكلام ضعيف البصيرة.

ويقول الشيخ سليمان فى شرحه، ولما كان عباد القبور إنما دُهوا من حيث ظنوا أنهم محسنون، فرأوا أن أعمالهم القبيحة حسنة، كما قال تعالى: ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا** ﴾ (فاطر: ٨) نوع المصنف التحذير من الافتتان بالقبور وأخرجه فى أبواب مختلفة ليكون أوقع فى القلب وأحسن فى التعليم، وأعظم فى الترهيب[١].

ويقول الشيخ فى ملخصه عن ابن تيمية: ومما يبين حكمة الشريعة أنها كسفينة نوح أن الذين خرجوا عن المشروع خرجوا إلى الشرك، وطائفة منهم يصلون للميت ويدعو أحدهم الميت، فيقول اغفر لي وارحمني، ومنهم من يستقبل القبر ويصلى لله مستدبرا الكعبة، ويقول القبر قبلة الخاصة والكعبة قبلة العامة[٢]، وهذا يقوله: من هو أكثر عبادة وزهدا، وهو شيخ متبوع، ولعله أمثل أصحاب شيخه، لقوله فى شيخه وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد فى العبادة والزهد يأمر المريد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع وحضور القلب ما لا يجدونه فى المساجد، وآخرون يحجون إلى القبور وطائفة صنفوا كتبا وسموها مناسك حج المشاهد، وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ وان لم يسموه منسكا وحجا، فالمعنى واحد وبعض الشيوخ المشهورين بالزهد والصلاح صنف كتاب الاستغاثة بالنبى ﷺ . . . وذكر فى مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة وكان قبر النبى ﷺ منتهى قصده، ثم رجع ولم يذهب إلى الكعبة، وجعل هذا من مناقبه وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض الشيوخ ممن يقصده القضاة والعلماء قيل عنه انه كان يقول: البيوت المحجوجة ثلاثة، مكة وبيت المقدس، والذى بالهند الذى للمشركين. لأنه يعتقد أن دين اليهود والنصارى حق وجاءه بعض اخواننا العارفين

---

(١) تيسير العزيز الحميد، ص ٢٧٧.

(٢) وقد سمعت عام ١٣٩٨هـ نحو هذه العبارة بل أشد من رجل يتكلم العربية وأظنه من الهنود اللاجئين إلى باكستان جاء زائرا إلى المسجد النبوى، وقد رأيته متجها نحو القبر يدعو رافعا يديه من مسافة بعيدة عن القبر منحرفا إليه عن القبلة، فلما نبهته إلى القبلة قال لى مثل هذه العبارة وزاد بتكفير من يخالفه وقال يخاطبنى: «وهابي كافر»!

وهذه الظاهرة نذير خطر من أخطار الشرك وقد كثرت فى هذه الأيام وأقل ما فيها أنها بدعة منكرة نسأل الله السلامة والاستقامة والهداية إنه هو السميع العليم.

قبل أن يعرف حقيقته ، فقال له أريد أن أسلك على يدك فقال له على دين اليهود ، أو النصارى ، أو المسلمين؟ ، فقال له : اليهود والنصارى أليسوا كفارا؟ قال لا تشدد عليهم ولكن الإسلام أفضل ، ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ كعرفات يسافرون إليها وقت الموسم ، فيعرفون بها كما يفعل بالمغرب والمشرق ، وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله فليسوا على ملة إبراهيم والاستغاثة بالنبى ﷺ بعد موته موجود فى كلام بعض الناس ، مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان ، وهؤلاء لهم صلاح لكن ليسوا من أهل العلم بل جروا على عادة كعادة من يستغيث بشيخه فى الشدائد ويدعوه ، وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم وله فضل وعلم وزهد إذا نزل به أمر خطا إلى جهة الشيخ عبد القادر خطوات واستغاث به وهذا يفعله كثير من الناس ، وهؤلاء مستندهم مع العادة قول طائفة : قبر معروف أو غيره ترياق مجرب ، ومعهم أن طائفة استغاثوا بحي أو ميت فرأوه أتى فى الهوى ، وقضى بعض الحوائج ، وهذا كثير واقع فى المشركين الذين يدعون الملائكة أو الأنبياء أو الكواكب والأوثان فان الشيطان يتمثل لهم ، ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة فى زماننا من هذا لطال المقال ، وقد طاف هذا بجوابه يعنى الذى ذكر فيه جواز الاستغاثة بالنبى على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه ، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذى كتبته فما خالفوه مع أن قوما كان لهم غرض ، وفيهم جهل بالشرع قاموا فى ذلك قياما عظيما ، واستعانوا بمن له غرض من ذوى السلطان مع فرط تعصبهم ، وكثرة جمعهم ، وقوة سلطانهم ومكائد شيطانهم[1] .

ويورد الشيخ آثارا فى سد ذرائع الشرك فيقول :

«وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج» . قال الشيخ رواه أهل السنن .

ويقول الشيخ : فيه تفسير الأوثان[2] ، وتفسير العبادة وأنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه ، وقرنه ﷺ بدعائه أن لا يجعل الله قبره وثنا يعبد اخباره بوعيد اتخاذ قبور الأنبياء مساجد «وذكر شدة الغضب من الله على ذلك وفيه ما هو من أهم هذه المسائل وهو صفة معرفة اللات التى هى من أكبر الأوثان ومعرفة أنه قبر رجل صالح ، وأنه

---

(١) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، رقم ١٠٤ ص - ص ٩٧-٩٩ .

(٢) وقوله : تفسير الأوثان . أي فى الحديث بيان معنى الوثن .

اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية ولعنه زوارات القبور، ولعنه من اسرجها[1].

قال الشيخ سليمان فى شرحه تيسير العزيز الحميد لكتاب التوحيد: أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة أمورا: الأول: التحذير من الغلو فى قبور الصالحين. الثانى: أن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها. الثالث: أنها إذا عبدت سميت أوثانا ولو كانت قبور الصالحين. الرابع: التنبيه على العلة فى المنع من البناء عليها واتخاذها مساجد[2]

وتحت باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟

أورد الشيخ أحاديث فقال فى الصحيح ويعنى فى الصحيحين[3]، عن عائشة: أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله».

قال الشيخ: فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

قال الشيخ ولهما أى للبخارى ومسلم عنها أى عن عائشة قالت: «لما نزل برسول الله ﷺ، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال ـ وهو كذلك ـ: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا» أخرجاه أى البخارى ومسلم. ولمسلم عن جندب بن عبدالله قال سمعت النبى ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «انى أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فان الله قد اتخذنى خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتى خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فانى أنهاكم عن ذلك».

قال الشيخ: فقد نهى عنه فى آخر حياته.

ثم انه لعن ـ وهو فى السياق ـ من فعله. والصلاة عندها من ذلك وان لم يبن

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٦٤ـ٦٥.

(٢) ص ص ٢٩٣ـ٢٩٤.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٢٧٧.

مسجد، وهو معنى قولها: «خشى أن يتخذ مسجدا»، فان الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال ﷺ: «جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا».

وقال الشيخ: ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا «ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم فى صحيحه.

وقال الشيخ فيه:

ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل. وفيه: النهى عن التماثيل فاذا اجتمع الأمران غلظ الأمر.

وفيه: العبرة فى مبالغته ﷺ فى ذلك. كيف بين لهم هذا أولا ثم قبل موته بخمس، قال: ما قال، ثم لما كان فى السياق لم يكتف بما تقدم.

وفيه: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر. وبيانه أنه من سنن اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم. ولعنه إياهم على ذلك. وأن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

وفيه: بيان العلة فى عدم ابراز قبره. وبيان معنى اتخاذها مسجدا. وأنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من تقوم عليه الساعة فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته. وذكره فى خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد[1].

ومن أسباب الشرك ووسائله التى يجب القضاء عليها ومنعها: لمس القبر والتمسح به وبناء القباب على القبور والصلاة عندها وقصدها لأجل الدعاء عندها معتقدا أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء فى غيره أو النذر لله فى هذا المكان ونحو ذلك فهذا ليس من دين المسلمين بل هو مما أحدث من البدع القبيحة التى هى من شعب الشرك.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٦٠-٦٢.

قال الشيخ :

أما بناء القباب على القبور فيجب هدمها ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر، وكذلك الصلاة عنده أى القبر ـ وقصده لأجل الدعاء فكذلك لا أعلمه يصل إلى ذلك، ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك، فيشتد نكير العلماء لذلك، كما صح عنه ﷺ أنه قال: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وذكر العلماء أنه يجب التغليظ على هذه الأمور لأنه يفتح باب الشرك، كما أنه أول ما حدث فى الأرض بسبب ود وسواع ويعوق ونسر، لما عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم يتذكرون بها الآخرة، ثم بعد ذلك بقرون عبدوا، فكذلك فى هذه الأمة كما قال ﷺ : «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»[1] فأول ما حدث الصلاة عند القبور والبناء عليها من غير شرك، ثم بعد ذلك بقرون وقع الشرك. وأول ما جرى من هذا أن بنى أمية لما بنوا مسجد الرسول ﷺ وسعوه واشتروا بيوتا حوله، ولم يمكنهم ادخال بيت النبى ﷺ الذى فيه قبره وقبر صاحبيه، ولكن أدخلوا البيت فى المسجد[2] لأجل توسيع المسجد ولم يقصدوا تعظيم الحجرة بذلك، لكن قصدوا تعظيم المسجد، ومع هذا أنكره علماء المدينة حتى قتل خبيب بن عبد الله بن الزبير بسبب انكاره ذلك، فانظر إلى سد العلماء الذرائع. وأما النذر له «أى للقبر» أو صاحبه ودعائه والخضوع له فهو من الشرك الأكبر، فتأمل ما ذكره البغوى فى تفسير سورة نوح فى قوله تعالى : ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا** ﴾ الآية (نوح : ٢٣).

وما ذكره أيضا فى سورة النجم فى قوله : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى** ﴾ (النجم : ١٩) أن اللات قبر رجل صالح فتأمل الأصنام التى بعثت الرسل بتغييرها كيف تجد فيها قبور الصالحين[3].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى :

---

(١) انظر: تخريجه فى ص ص ٢١٥-٢١٦ من هذا البحث.

(٢) يعنى ببيت النبى ﷺ، الحجرة التى ضمت قبره وقبر صاحبيه فهذه قد أحاطوها بثلاثة جدران على شكل مثلث قاعدته جنوبى الحجرة لأنه لا يمكنهم ادخالها فى المسجد، أما بقية بيوت أزواجه فأدخلوها.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى، ص ٦٠ وص ٦٩-٧١. وانظر: مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ص ٦٧-٦٨. والقسم الأول، مسائل الجاهلية ص ص ٣٤٧-٣٤٨.

المنـــوع مما يفعل عند القبـور : نوعـــان :

أحـدهما محرم ووسيلة للشـرك كالتمسـح بها والتوسل إلى الله بأهلها، والصلاة عندها وكاسراجها والبناء عليها، والغلو فيها وفى أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة.

والنـوع الثـانى شرك أكـبر كدعـاء أهـل القبور والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم، فهذا شرك أكبر، وهو عين ما يفعله عباد الأصنام مع أصنامهم.

ولا فرق فى هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلون فى تحصيل مطالبه، أو متوسطون إلى الله، فان المشركين يقولون ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ و ﴿ **يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ فمن زعم أنه لا يكفر من دعا أهل القبور حتى يعتقـد أنهم مستقلون بالنفـع ودفـع الضـرر، وأن من اعتقـد أن الله هو الفاعل وأنهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم لا يكفر.

من زعم ذلك فقد كذب ما جاء به الكتاب والسنة، وأجمعت عليه الأمة من أن من دعى غير الله فهـو مشـرك كافـر فى الحـالين المذكورين سواء اعتقدهم مستقلين أو متـوسطـين. وهـذا معلوم بالضـرورة من دين الإسـلام. فعليك بهذا التفصيل الذى يحصـل به الفرقـان فى هذا البـاب المهم الـذى حصـل به من الاضطـراب والفتنة ما حصل، ولم ينج من فتنته إلا من عرف الحق واتبعه[1].

وتحت باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله - يورد الشيخ قول الله تعالى: ﴿ **لا تقم فيـه أبـدا لمسجـد أسس على التقـوى من أول يوم أحق أن تقـوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين** ﴾ (التوبة: ١٠٨).

وعن ثابت بن الضحـاك رضى الله عنـه قال: «نـذر رجل أن ينحر إبلا ببوانه، فسأل النبى ﷺ ، فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا - قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا - فقال رسول الله ﷺ : أوف بنذرك، فانه لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم» قال الشيخ: رواه أبو داود واسناده على شرطهما.

قال الشيـخ فيـه: تفسـير قولـه ﴿ **لا تقم فيه أبدا** ﴾ والمنع من تخصيص البقعة

---

(١) القول السديد فى مقاصد التوحيد، ص ص ٨٢-٨٤.

بالنذر إذا كان فيها وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله أو كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله والحذر من مشابهة المشركين فى أعيادهم ولو لم يقصده[1].

ويذكر الشيخ أن الشيطان والعياذ بالله منه أظهر لهؤلاء الغلاة، الذين غلوا فى الصالحين وفى قبورهم أن دعاءهم أو اتخاذ قبورهم مساجد يدعون عندها ويصلون فى صورة المحبة لهؤلاء الصالحين أو القيام بحقوقهم والتعظيم لهم، أما من يخلص لله الدين ولا يغلو فى الأولياء والصالحين فقد أظهر الشيطان عمله هذا لهؤلاء الغلاة فى صورة تنقص الصالحين والتقصير فى حقوقهم[2].

وتحت باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما يورد الشيخ قول الله تعالى: ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ (النجم: ١٩-٢٠).

وعن أبى واقد الليثى قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة: فقلنا: يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، انها السنن قلتم والذى نفسى بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ **اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال: انكم قوم تجهلون** ﴾ (الأعراف: ١٣٨). لتركبن سنن من كان قبلكم».

قال الشيخ رواه الترمذى وصححه.

يقول الشيخ: فيه: تفسير آية النجم ومعرفة صورة الأمر الذى طلبوا، وكونهم لم يفعلوا، وكونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبه، وأنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل، وأن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم، وأن النبى ﷺ لم يعذرهم بل رد عليهم بقوله: «الله أكبر انها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم» فغلظ الأمر بهذه الثلاث، وفيه الأمر الكبير وهو المقصود أنه أخبر أن طلبهم كطلب بنى إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿ **اجعل لنا إلها** ﴾ وأن نفى جعل ذات الأنواط للتبرك والعكوف عندها من معنى لا إله إلا الله مع دقته وخفائه على أولئك، ولذا حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا لمصلحة وفيه أن الشرك فيه أكبر وأصغر لأنهم لم يرتدوا بهذا. وقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر» فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك. وفيه

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد ص ص ٣٨-٣٩.

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ستة أصول عظيمة مفيدة ص ٣٠٣، وانظر: مفيد المستفيد ص ٢٩١.

سد الـذرائـع والنهى عن التشبـه بالجـاهلية وأن العبادات مبناها على الأمر، وأن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين وما ذم الله به اليهود والنصارى فى القرآن تحذير لنا أن نقع فيه وأن المنتقل من الباطل الذى اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون فى قلبه بقية من تلك العادة، لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر»(١).

ويقول الشيخ:

هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع فى أنواع من الشرك لا يدرى عنها فتفيـد التعلم والتحـرز، ومعـرفـة أن قول الجـاهل «التوحيد فهمناه» أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان.

وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدرى فنبه على ذلك فتـاب من ساعتـه أنـه لا يكفـر كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبى ﷺ. وتفيد أيضا أنه لو لم يكفر فانه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله ﷺ(٢).

وفى بيـان حرص الـرسـول ﷺ على ابطال أسباب الشرك العملى يورد الشيخ تحت باب: ما جاء فى حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك:

قول الله تعالى: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم، بالمؤمنين رءوف رحيم. فان تولوا فقل: حسبى الله، لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم** ﴾ (التوبة: ١٢٨، ١٢٩).

وعن أبى هريـرة رضى الله عنـه قال: قال رسـول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبـورا، ولا تجعلوا قبرى عيـدا، وصلوا عليّ، فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم» قال الشيخ: رواه أبو داود باسناد حسن، رواته ثقات.

وعن علي بن الحسـين: «أنـه رأى رجـلا يجيء إلى فرجـة كانت عند قبر النبى ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبرى عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا عليّ، فإن

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد ص ص ٣٢-٣٤.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص ١٧٥.

تسليمكم يبلغنى أين كنتم» رواه فى المختارة[1].

قال الشيخ فيه :

تفسير آية براءة. وإبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد. وذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته. ونهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال ونهيه عن الاكثار من الزيارة. وحثه على النافلة فى البيت. وأنه متقرر عندهم أنه لا يصلى فى المقبرة. وتعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وان بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب. وكونه ﷺ فى البرزخ تعرض أعمال أمته فى الصلاة والسلام عليه[2].

أما بيان حرص الرسول ﷺ على ابطال أسباب الشرك حتى فى الأقوال فيورد الشيخ تحت باب : ما جاء فى حماية النبى ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك :

حديثا عن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه قال: «انطلقت فى وفد بنى عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا. فقال: قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان» قال الشيخ: رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضى الله عنه: «أن ناسا قالوا: يارسول الله، ياخيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. فقال: ياأيها الناس، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل» قال الشيخ: رواه النسائى بسند جيد.

قال الشيخ فيه :

تحذير الناس من الغلو. وما ينبغى أن يقول: من قيل له: أنت سيدنا. وقوله: «لا يستجرينكم الشيطان» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق. وقوله: «ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى»[3].

---

(1) المختارة : كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين، ومؤلفه هو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ ضياء الدين الحنبلى أحد الأعلام، توفى سنة ٦٤٣هـ.

(2) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٦٦، ٦٧.

(3) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ١٤٦-١٤٧.

وعن خطـورة الشـرك وقبحـه وضـرره فالشيـخ يبـين ذلك بيانا بليغا من القرآن والسنـة وأن الحكمـة فى كون الله سبحـانـه يغفـر الكبائر ولا يغفر الشرك هى لأنه أقبح المسبة لله تعالى، وهو الذى لا يبرأ من السوء والنقص والعيب سواه، ولا ينبغى الحمد والثناء مطلقا إلا له سبحانه لكماله، فالشرك أعظم الظلم، ولا تسعه المغفرة التى هى صفة كمال له سبحانه وتعالى عما يشركون[1].

ويقرر الشيخ أن الشرك إذا دخل فى العبادة بطلت ولم تقبل وأن كل ذنب يرجى له العفو إلا الشرك، والدليل قوله تعالى: ﴿ **ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ (الزمر: ٦٥).

وقال تعالى: ﴿ **ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** ﴾ (النساء: ١١٥).

وقـال تعـالى: ﴿ **إنـه من يشـرك بالله فقـد حرم الله عليـه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾[2] (المائدة: ٧٥).

ويقول الشيخ فى موضع آخر: إن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما ان الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهـارة، فإذا دخـل الشـرك فى العبـادة فسدت، كالحدث إذا دخل فى الطهارة، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين فى النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهى الشرك بالله تعالى[3].

ويقـــرر الشيـخ فى موضـع ثالث خطـورة هذا الشـرك ببيـان أن الإنسـان إذا لم يجتنب الشرك فهو كافر ولو كان من أعبد هذه الأمة يقوم الليل ويصوم النهار ـ قال الله تعـالى فى الأنبيـاء: ﴿ **ولـو أشـركـوا لحبـط عنهم ما كانوا يعملون** ﴾ (الأنعام: ٨٨) وتصير عبادته كلها كمن صلى ولم يغتسل من الجنابة أو كمن يصوم فى شدة الحر وهو يزني فى أيام الصوم.

---

(١) مؤلفـات الشيـخ، القسم الرابـع، التفسـير ص ٣٤٧، والقسم الأول، العقيـدة، كتـاب التـوحيد ص ص ٢٠، ٢١.

(٢) الدرر السنية، جـ ٢ ص ص ٣، ٤.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، القواعد الأربع ص ص ١٩٩-٢٠٢.

ويبين الشيخ أهمية معرفة هذا الشرك قبل معرفة الزنا وغيره من المحرمات[1].

ولما كان الشرك ناقضا للعبادة ومفسدا لها وظلما عظيما وأقبح مسبة لله تعالى كان أعظم ذنب عصي الله به، ولهذا رتب الله عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواء من اباحة دماء أهله وأموالهم وسبي نسائهم وأولادهم، وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه. ولما كان الشرك خطيرا مخوفا من وقوعه عقد الشيخ بابا في مؤلفه كتاب التوحيد أورد فيه ما جاء من التخويف منه والتحذير وبيان أنه يقع في الأمة ولذا يخاف منه المسلم فقال الشيخ باب الخوف من الشرك، ثم أورد تحت هذا الباب الأدلة من الكتاب والسنة مثل قول الله تعالى: ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ (النساء: ٤٨، ١١٦). وقول الله تعالى عن الخليل انه قال يدعو ربه: ﴿ **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام** ﴾ (إبراهيم: ٣٥).

وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر، فسئل عنه. فقال: الرياء» رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار» رواه البخاري.

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار».

قال الشيخ فيه:

الخوف من الشرك وأن الرياء من الشرك الأصغر، وأنه أخوف ما يخاف على الصالحين وأن من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار ولو كان من أعبد الناس.

وفيه المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام، واعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿ **رب إنهن أضللن كثيرا من الناس** ﴾ وفضيلة من سلم من الشرك[2].

---

(١) الدرر السنية جـ ١ ص ٩٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ١٨-١٩، وانظر: ص ٢١، وانظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ص ٨٩، ٩٠. والقول السديد في مقاصد التوحيد ص ص ٢٩-٣١.

إذا : فالشـرك خطـير، ينافى التوحيد ويوجب دخول النار والخلود فيها وحرمان الجنة إذا كان أكبر ولا تتحقق وتكمل السعادة إلا بالسلامة منه وكان حقا على العبد أن يخاف منه أعظم خوف وأن يسعى فى الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه ويسأل الله العفو والعافية منه كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق[1].

ولأن عباد القبـور، الـذين يفعلون الشـرك يقولون: انه لا يقع الشرك فى هذه الأمـة المحمـدية وهم يقـولـون: لا إلـه إلا الله محمد رسول الله، ولو ظهر منهم دعاء الأمـوات والـذبـح لهم والطـواف حول قبـورهم والنذر لهم والاعتقاد فيهم فهذا ليس شركـا، والشـرك لا يقـع فقـد أراد الشيـخ الـرد عليهم بالبـاب الـذى عقده فى كتاب التوحيد وترجمته باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان وأورد تحته ما يناسب من أدلـة من كتـاب الله وسنـة رسـوله ﷺ بين فيها ما يدل على تنوع الشرك فى هذه الأمة ورجـوع كثـير منهـا إلى عبـادة الأوثـان، وان كانت طائفـة منهـا لا تزال على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى[2].

وهـذه الأدلـة هى قولـه تعـالى: ﴿ **ألم تر إلى الـذين أوتـوا نصيبـا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، ويقولون للذين كفروا: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** ﴾ (النساء: ٥١).

وقوله تعالى: ﴿ **قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت** ﴾ (المائدة: ٦١).

وقوله تعالى: ﴿ **قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا** ﴾ (الكهف: ٢١).

عن أبى سعيد رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القـذه بالقـذه[3] حتى لو دخلوا جحـر ضب لدخلتموه. قالوا يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» أخرجاه.

ولمسلم، عن ثوبـان رضى الله عنـه: أن رسـول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشـارقهـا ومغاربها. وان أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت

---

(١) انظر: القول السديد فى مقاصد التوحيد لابن سعدى ص ص ٣٠، ٣١.
(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد ص ٣١٥.
(٣) القذة ـ بضم القاف ـ واحدة القذذ وهو ريش السهم.

الكنزين: الأحمر والأبيض. واني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وأن ربي قال: يامحمد، إذا قضيت قضاء فانه لا يرد. واني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا» رواه البرقاني في صحيحه.

وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين. وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان. وانه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين. لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، تبارك وتعالى»[1].

قال الشيخ فيه:

تفسير آية النساء. وتفسير آية المائدة. وتفسير آية الكهف.

وفيها: - وهي أهمها - ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت: هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟.

يقصد الشيخ: أن الذين أوتوا نصيبا من الكتاب وافقوا المشركين في الظاهر أما في قلوبهم فيعتقدون بطلانها ويعرفونه ومع ذلك قالوا: ان الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين فبمجرد هذه الموافقة للمشركين في الظاهر فقد آمنوا بالجبت والطاغوت[2].

---

(١) تقدم ايراد هذا الحديث وتخريجه، وترجمة البرقاني أيضا (انظر: ص ٣٣٠ من هذا البحث).

(٢) انظر: سبب نزولها في تفسير ابن جرير الطبري - قال ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش أنت خير أهل المدينة وسيدهم قال نعم قالوا الا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خيرا منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية قال أنتم خير منه، قال: فأنزلت: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾، ونزلت: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ إلى قوله: ﴿فلن تجد له نصيرا﴾ ابن جرير، التفسير، جـ ٥ ص ١٣٣. والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره من رواية الإمام أحمد قال حدثنا محمد بن أبي عدي به. وذكر قريبا منه من رواية ابن أبي حاتم ثم قال ابن كثير وقد روى هذا من غير وجه عن ابن عباس وجماعة من السلف. (ابن كثير، التفسير جـ ١ ص ٥١٣). وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمآن في زوائد ابن حبان ص ٤٢٨.

قال الشيخ وفيها مسألة : وهى المقصود بالترجمة ـ أن هذا لابد أن يوجد فى هذه الأمة، كما تقرر فى حديث أبى سعيد.

وفيها : التصريح بوقوعها، أعنى عبادة الأوثان فى هذه الأمة فى جموع كثيرة.

وفيها : العجب العجاب : خروج من يدعى النبوة مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق.

وفيه : أن محمدا خاتم النبيين، ومع هذا يصدق فى هذا كله مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار فى آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرة، يعنى فلا يستبعد تصديق من يدعي أن الشرك الأكبر لا يكفر صاحبه إذا كان يقول «لا إله إلا الله» كما جرى من المختار.

وفيه : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية، كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة. والآية العظمى : أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم. وأن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

وفيها : حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين. والتنبيه على معنى عبادة الأوثان(١).

ويعلق الشيخ عبد الرحمن بن سعدى فى القول السديد على هذا الباب : «باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأصنام» فيقول :

«مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه، وأنه أمر واقع فى هذه الأمة لا محالة، والرد على من زعم أن من قال «لا إله إلا الله» وتسمى بالإسلام أنه يبقى على إسلامه ولو فعل ما ينفيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم وسمى ذلك توسلا لا عبادة فان هذا باطل.

فان الوثن اسم جامع لكل ما عبد من دون الله لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين فى هذا الموضع وهو العبادة فانها حق الله وحده فمن دعا غير الله أو عبده فقد اتخذه وثنا وخرج بذلك عن الدين، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر ومنافق، والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسامى والألفاظ التى لا حقيقة لها(٢).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٦٨-٧١، مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد ص ص ٢٩٦-٣١٠ وص ٣١١.

(٢) القول السديد فى مقاصد التوحيد ص ص ٨٩-٩٢.

وقد ذكر الشيخ معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه وصفة الكفر به، فقال: الطاغوت عام فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع فى غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت ورؤوسهم خمسة: الشيطان الداعى إلى عبادة غير الله تعالى، والحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، والذى يحكم بغير ما أنزل الله، والذى يدعى علم الغيب من دون الله، والذى يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة.

وأما صفة الكفر بالطاغوت فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم[1].

وما ذكره الشيخ عن معنى الطاغوت هو ما ذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره - فقال ابن جرير الطبرى: «الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له، كائنا ما كان ذلك المعظم، من حجر أو إنسان أو شيطان، وإذا كان كذلك وكانت الأصنام التى كانت الجاهلية تعبدها كانت معظمة بالعبادة من دون الله فقد كانت جبوتا وطواغيت، وكذلك الشياطين التى كانت الكفار تطيعها فى معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولا منهما ما قالا فى أهل الشرك بالله وكذلك حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف، لأنهما كانا مطاعين فى أهل ملتهما من اليهود فى معصية الله والكفر به وبرسوله ﷺ، فكانا جبتين وطاغوتين[2].

وكذلك ابن القيم ذكر معنى الطاغوت فقال: الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله.

فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس رأيت أكثرهم عدلوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت وعن طاعة الله ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة - وهم الصحابة ومن تبعهم - ولا قصدوا قصدهم، بل خالفوهم فى الطريق والقصد معا[3].

---

(1) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، معنى الطاغوت ص ص ٣٧٦-٣٧٨.

(2) تفسير ابن جرير الطبرى ٥/١٣٣.

(3) اعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزيه جـ ١ ص ٥٠.

هذا وللمشركين شبه كثيرة وحجج ومعارضات يتوصلون بها إلى الشرك وابطال التوحيد، ولو قامت شبههم لقامت الفتنة وأصبح الدين مفرقا ليس كله لله تعالى ولكن الشيخ كشف شبههم واحدة واحدة، ونقضها حتى أبطلها جميعا وحاصل هذه الشبه يمكن تصويره فى سبع شبهات هى :

١ ـ أن الشرك لا يكون فيمن يشهد أن الله هو النافع الضار المدبر ولكنه يقصد أولياء الله والصالحين لأن لهم جاها وشفاعة عند الله تعالى وهو مذنب فيدعوهم ويستغيث بهم ويذبح لهم وينذر لهم ليشفعوا له عند الله تعالى لا غير.

٢ ـ والشرك إنما هو فى من يعبد الأصنام. والأولياء والصالحون ليسوا مثل الأصنام فمن يدعوهم ليس مثل من يدعو الأصنام.

٣ ـ أن من يقصد الصالحين والأولياء بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك ليس مشركا وليست هذه الأمور شركا لأنه وهو يفعل ذلك لا يريد منهم وإنما يطلب من الله شفاعتهم فهذا ليس عبادة لهم ولا شركا بالله تعالى بل توسل بهم.

٤ ـ انه وهو يقصدهم بهذا الفعل إنما يطلبهم مما أعطاهم الله تعالى وقد أعطاهم الشفاعة والجاه والقرب لديه ولا سيما رسول الله ﷺ .

٥ ـ قالوا وقد ذكر النبى ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ ، وكذلك فى قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقى فى النار أن جبريل عرض عليه الاغاثة. قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا.

٦ ـ ويقولون : ان المشركين هم الذين نزل فيهم القرآن أولا وهم لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلى ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك المشركين لأننا قصدنا أولياء الله ليشفعوا لنا فحسب.

٧ ـ ويقولون : إن النبى ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله . . وقال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، وأحاديث أخرى بهذا المعنى فى الكف عمن قالها، فمن قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل.

هذا هو حاصل الشبه التى يشبه بها المشركون ممن يدعى الإسلام، ويريد قلب

الحقائق فيجعل التوحيد إلحادا، والإلحاد توحيدا ـ وقد كشف الشيخ هذه الشبه ونقضها فبطلت بكتاب الله المحكم وسنة رسوله ﷺ الحاكمة، والحق القائم الذى أحقه الله بكلماته الكونية كما أحقه بكلماته الشرعية.

ونورد كيف بين الشيخ كشفه لهذه الشبهات فقال بمعناه :

ان الشبهة الأولى وهى قولهم ان الشرك لا يكون فيمن يشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، ولو دعا غيره واستغاث به وذبح له ونذر له ليشفع له ويقربه عند الله أن هذه مقالة المشركين الأوائل سواء بسواء وهم الذين كفرهم الله ورسوله ﷺ وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم وسبى نساءهم وذراريهم مع اقرارهم بأن الله هو النافع الضار الخالق المدبر بدليل قول الله تعالى : ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله فقل أفلا تتقون** ﴾ (يونس : ٣١).

وغير هذه الآية من الآيات الكثيرة وأن هؤلاء المشركين يقولون ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربى والشفاعة بدليل قوله تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ (الزمر: ٣).

وقوله تعالى : ﴿ **ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ (يونس : ١٨).

وكشف الشيخ الشبهة الثانية وهى قولهم ان الشرك إنما هو فيمن يعبد الأصنام. والأولياء، والصالحون ليسوا مثل الأصنام فمن يدعوهم ليس مثل من يدعو الأصنام بما ذكر الله ورسوله ﷺ فى الكتاب والسنة من الحكم بكفر جميع من يدعو غير الله تعالى مهما كان هذا الغير، سواء كان نبيا أو ملكا أو من دونهما أو دعا طاغوتا أو صنما فالحكم على من دعا غير الله واحد، ولم يفرق الله ولا رسوله ﷺ بين من يعبد الأصنام وبين من يعبد الصالحين فى الحكم بل الجميع يحكم عليهم بأنهم مشركون بالله.

ويقول الشيخ فى قوله تعالى : ﴿ **قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ (الزمر: ٦٤-٦٧).
فيه مسائل : فيها أنواع من بطلان الشرك وتقبيحه :

الأولى : الجواب عن ... المشركين: هذا فى الأصنام وأما الصالحون فلا.
قوله : ﴿ **قل أفغير الله** ﴾ عام فيما سوى الله.

الثانية : أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه فى الظاهر كفر، ولو كان باطنه يعتقد الإيمان، فانهم لم يريدوا من النبى ﷺ تغيير عقيدته، ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب إلى الإسلام فى اظهار الموافقة للمشركين خوفا منهم، ويظن أنه لا يكفر إذا كان قلبه كارها له.

الثالثة : أن الجهل وسخافة العقل هو موافقتهم فى الظاهر، وأن العقل والفهم والذكاء هو التصريح بمخالفتهم ولو ذهب مالك، خلافا لما عليه أهل الجهل من اعتقاد أن بذل دينك لأجل مالك هو العقل، وذلك فى آخر الآية: ﴿ **أيها الجاهلون** ﴾[1].

ويقول الشيخ : فان قال قائل من المشركين : نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحين مقربون، ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة والا فنحن نفهم أن الله هو الخالق الرازق المدبر. فقل : كلامك هذا مذهب أبى جهل وأمثاله، فانهم يدعون عيسى وعزيراً والملائكة والأولياء يريدون ذلك كما قال الله تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ (الزمر: ٣).

وقال تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ (يونس: ١٨).

وكشف الشيخ الثالثة وهى قولهم أن من يقصد الصالحين بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك ليس مشركا وليست هذه الأمور شركا بل هى توسل بهؤلاء الأولياء. فأجاب الشيخ : بأن الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحوهما مما أمر الله أن يتقرب العبد به إليه فهو عبادة وكل أنواع العبادة لا يجوز صرف شىء منها لغير الله تعالى، والشرك إنما هو فى العبادة وفى أنواعها، وصرف شىء من أنواعها كصرف مجموعها لأن الله أغنى الشركاء عن الشرك، فمن أشرك معه غيره تركه وشركه وقولهم ان التوجه بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحوها إلى غير الله لا يريد منه وإنما يريد من الله بشفاعته ليس عبادة قد أبطله الله بأنه سماه عبادة كما تقدم من قوله تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾[2] (يونس: ١٨).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٤٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كشف الشبهات، ص ص ١٦٠ وما بعدها.

وقال الشيخ ـ رحمه الله ـ فى كشف تسميتهم دعاء الأموات والأولياء بالتوسل ليتوصلوا إلى جوازه: «الدعاء الذى يفعل فى هذا الزمان أنواع :

النوع الأول : دعاء الله وحده لا شريك له الذى بعث الله به رسوله ﷺ .

النوع الثانى : أن يدعو الله ويدعو معه نبيا أو وليا، ويقول أريد شفاعته وإلا فأنا أعلم ما ينفع ولا يضر إلا الله، لكن أنا مذنب، وأدعوا هذا الصالح لعله يشفع لى فهذا الذى فعله المشركون وقاتلهم رسول الله ﷺ حتى يتركوه ولا يدعو مع الله أحدا لا لطلب شفع ولا نفع .

النوع الثالث : أن يقول : اللهم إنى أتوسل إليك بنبيك أو بالأنبياء أو الصالحين فهذا ليس شركا ولا نهينا الناس عنه (على انه شرك) ولكن المذكور عن أبى حنيفة وأبى يوسف وغيرهم أنهم كرهوه لكن ليس مما نختلف نحن وغيرنا فيه[1] .

وسئل الشيخ رحمه الله عن قول بعض الفقهاء فى الاستسقاء : لا بأس بالتوسل بالشيوخ والعلماء المتقين، وقولهم : يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح، وقيل يستحب، وقول أحمد: إنه يتوسل بالنبى ﷺ فى دعائه والفرق بين هذا القول وقول أحمد وغيره فى قوله عليه الصلاة والسلام «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» الاستعاذة لا تكون بمخلوق، فما معنى هذا؟ وما العمل عليه منهما؟

فأجاب بقوله : قولهم فى الاستسقاء لا بأس بالتوسل بالصالحين. وقول أحمد: يتوسل بالنبى ﷺ خاصة، مع قولهم أنه لا يستغاث بمخلوق فالفرق ظاهر جدا، وليس الكلام مما نحن فيه فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبى ﷺ وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور انه مكروه فلا ننكر على من فعله ولا انكار فى مسائل الاجتهاد لكن انكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى، ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبدالقادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات، واغاثة اللهفات، واعطاء الرغبات، فأين هذا؟ ممن يدعو الله مخلصا له الدين لا يدعو مع الله أحدا ولكن يقول فى دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده، ولكن لا يدعو إلا الله مخلصا له الدين، فأين هذا مما نحن فيه؟[2] .

(١) الدرر السنية، ط ٢، جـ ٢، ص ٤٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ص ٥٩، ٦٠، ٦٨، ٦٩.

وهكـذا يكشف الشيـخ تلبيسهم حيث جعلوا دعـاء غير الله توسلا ببيان ما هو التـوسـل الحقيقى فى الـدعاء والفرق بينه وبين دعاء غير الله تعالى وأن التوسل مسألة خارجة عن موضوع النزاع وهو دعاء غير الله تعالى .

وكشف الشيـخ الـرابعة وهى قولهم : إنهم يطلبون الأنبياء والأولياء مما أعطاهم الله تعـالى وقـد أعطـاهم الشفاعة والجاه والقرب لديه ولا سيما رسول الله ﷺ بأن الله تعـالى وإن أعطـاهم ما أعطـاهم فقد نهى أن يطلب منهم الشفاعة والزلفى عند الله ، وأمـر بأن يطلب ذلـك منـه وحـده لا شريـك له فيقول : «اللهم شفع فيّ نبيك» مثلا ، ذلـك أن الشفـاعـة لله جميعـا ولا يشفع عند الله أحد إلا من بعد إذنه ، والله سبحانه لم يأذن بأن نطلب من الميت ذلك ، وأما الحي فالذي يطلب منه دعاؤ ه وهذا عام فى جميع الصالحين الأحياء القادرين على الدعاء .

والمقصـود أن الـدعـاء والذبح والنذر والاستغاثة ونحوها مما أمر الله أن يعبد به ، لابد من أن تؤدى لله خالصة لا يشركه فيها ملك مقرب ولا نبى مرسل كما قال تعالى : ﴿ وأن المسـاجـد لله فلا تدعـوا مع الله أحـدا ﴾ وغـير ذلـك من الآيـات والأحاديث الكثـيرة التى بينهـا الشيـخ للدلالة على الاخلاص فى جميع أنواع العبادة ومن أنواعها طلب الشفـاعـة من الله لديـه فيتـوجـه بذلك الطلب والرغبة والقصد إلى الله مباشرة وبـدون واسطـة كما قال تعـالى : ﴿ وإذا سألـك عبـادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ (البقرة : ١٨٦) .

فلا تطلب الشفـاعـة من غير الله تعـالى لأن الشفـاعـة كلهـا له سبحانه ، قال تعالى : ﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾ (الزمر : ٤٤) . ولا يشفع أحد فى أحد إلا من بعد أن يأذن الله تعـالى ـ كما قال تعـالى : ﴿ من ذا الـذى يشفـع عنـده إلا بإذنـه ﴾ (البقرة : ٢٥٥) . وكما قال تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ (الأنبياء : ٢٨) . والله لا يرتضى أن تطلب الشفـاعـة من أحـد إلا بإذنـه ، وهـو سبحـانـه لا يرضى إلا التـوحيـد . قال تعـالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قل إنما أدعوا ربى ولا أشرك به أحدا ، قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ، قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ان الله لا يغفـر أن يشـرك به ، ويغفـر ما دون ذلـك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ (النساء : ٤٧) . وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون مثقـال ذرة فى السمـوات ولا فى الأرض ومـا لهم فيهـما من شرك ، ومـا له منهم من

ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ (سبأ: ٢٢، ٢٣) .

قال الشيخ : قال أبو العباس : «نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عونا لله . ولم يبق إلا الشفاعة . فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب . كما قال : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ فهذه الشفاعة التى يظنها المشركون هى منتفية يوم القيامة ، كما نفاها القرآن وأخبر النبى ﷺ «أنه يأتى فيسجد لربه ويحمده ، لا يبدأ بالشفاعة أولا» ثم يقال له : «ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع» وقال أبو هريرة «من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال : من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه» فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

وحقيقته : أن الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ، ليكرمه وينال المقام المحمود .

فالشفاعة التى نفاها القرآن ما كان فيها من شرك ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه فى مواضع وقد بين النبى ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والاخلاص» أ ـ هـ كلام ابن تيمية .

قال الشيخ :

«فإذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون إلا من بعد إذنه ، ولا يشفع النبى ﷺ ولا غيره فى أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد . تبين لك أن الشفاعة كلها لله فاطلبها منه وقل : اللهم لا تحرمنى شفاعة نبيك محمد ﷺ ، اللهم شفعه فيّ وأمثال هذا» .

وأيضا فإن الشفاعة أعطيها غير النبى ﷺ ، فصح أن الملائكة يشفعون ، والأولياء يشفعون ، والافراط يشفعون أتقول : ان الله أعطاهم الشفاعة فاطلبها منهم فان قلت هذا : رجعت إلى عبادة الصالحين التى ذكر الله فى كتابه وان قلت : لا ـ بطل قولك : أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله[1] .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن فى فتح المجيد : «وأما الاستشفاع بالرسول

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، كشف الشبهات ص ص ١٦٥-١٦٦ ، وكتاب التوحيد باب الشفاعة ص ص ٥١-٥٣ ، ومسائل الجاهلية ص ٣٥١ ، والقسم الخامس ، الشخصية رقم ١٧ ، ص ص ١١٢، ١١٣ ، ورقم ٨ ، ص ص ٥٢ ، ٥٤ .

ﷺ فى حياتـه، فالمراد به استجلاب دعـائـه وليس خاصا به ﷺ بل كل حى صالح يرجى أن يستجـاب له فلا بأس أن يطلب منـه أن يدعـو للسـائـل بالمطـالب الخـاصة والعـامـة، كما قال النبى ﷺ لعمـر لما أراد أن يعتمـر من المـدينة: «لا تنسنا ياأخي من صالح دعائك»(١).

والحديث رواه الإمام أحمد فى المسند عن عبد الله بن عمر «أن عمر استأذن النبى ﷺ فى العمرة فأذن له فقال: ياأخى أشركنا فى صالح دعائك، ولا تنسنا» قال عبد الرزاق فى حديثه. فقال عمر: «ما أحب أن لى بها ما طلعت عليه الشمس لقوله: ياأخي»(٢).

وكشف الشيـخ الخـامسة وهى قولهم: يسـ ـدلون على جواز الاستغاثة بالرسول ﷺ بعد وفاته ودعائه كذلك: بأن النبى ﷺ ذكر أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنـوح، ثم بإبـراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ.

ويستـدلـون كذلك بقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى فى النار عرض جبريل الاغاثة فلو كانت شركا لم يعرضها جبريل عليه السلام ـ فكشفها الشيخ ببيان أن المنكـر هو استغـاثـة العبـادة التى تفعـل عنـد القبر وسائر القبور، أو تفعل فى غيبة المستغاث به والتى يطلب بها ما لا يقدر عليه إلا الله وحده من غير الله تعالى.

أما استغاثة الناس يوم القيامة بالأنبياء ليدعوا لهم فهذا جائز بل يجوز فى الدنيا والآخرة أن يطلب الشخص من حي صالح حاضر يسمع قوله ويقدر أن يدعو الله له.

وكذلك استغاثة إبراهيم بجبريل لو وقعت فهي فى أمر يقدر عليه جبريل عليه السـلام فهـو كما وصفـه الله شديـد القوى ففى مقدوره أن يغيث إبراهيم مثل قوى فى مقدوره أن يغيث عاجزا بقوته كما فعل موسى بالقبطي اغاثة للذى من شيعته.

وكشف الشيـخ السـادسـة ـ وهى أنهم يقولـون: ان الذين نزل فيهم القرآن لا يشهـدون أن: (لا إلـه إلا الله) ويكـذبـون الرسول ﷺ وينكرون البعث، ويكذبون القـرآن ويجعلونـه سحـرا، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونصدق القـرآن، ونؤمن بالبعث. ونصلى، ونصـوم. فكيف تجعلونـنـا مثـل أولئك. فكشفها

---

(١) فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد ص ٥١٥ طبعة راجعها الشيخ عبد العزيز بن باز.
(٢) انظر: المسند جـ ١/ ص ٢٩، ج ٢/ ص ٥٩.

الشيخ ببيان نواقض الإسلام وبيان أحكام المرتد وأنه الذى يكفر بعد إسلامه، وبيان أن النواقض للإسلام لا يصح معها إسلام ولا عمل كما لا تصح الصلاة مع ناقض من نواقض الوضوء - فالشرك مثلا يفسد العبادة ويفسد قول «لا إله إلا الله» مهما كانت العبادة كثيرة ولو أمثال الجبال فالشرك يفسدها ويحبطها ويجعلها هباء منثورا، لأن الإسلام والشرك لا يجتمعان فمن ادعى بقاء إسلامه مع ممارسته الشرك فهو كاذب. قال الله تعالى: ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ (الزخرف: ٦٥).

قال الشيخ فيها: المسألة الكبرى وهى كشف شبهة علماء المشركين الذين يقولون: هذا شرك ولكن لا يكفر من فعله لكونه يؤدى الأركان الخمسة فإذا كان الأنبياء لو يفعلونه كفروا فكيف بغيرهم؟

وأن الذى يكفر به المسلم ليس هو عقيدة القلب خاصة، فان هذا الذى ذكرهم الله لم يريدوا منه ﷺ تغيير العقيدة، بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم فهذا كافر إلا من أكره[1].

وقال تعالى: ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ (الأنعام: ٨٨).

ويقول الشيخ انه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ فى شىء وكذبه فى شىء أنه كافر لم يدخل فى الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه. كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج.

ولما لم ينقد أناس فى زمن النبى ﷺ للحج، أنزل الله فى حقهم ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا. ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ (آل عمران: ٩٧).

ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع، وحل دمه وماله كما قال تعالى: ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض، ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾ (النساء: ١٥٠، ١٥١).

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٤٥.

فإذا كان الله قد صرح فى كتابه أنّ من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا وأنه يستحق ما ذكرت زالت الشبهة.

وهذه هى التى ذكرها بعض أهل الأحساء فى كتابه الذى أرسله إلينا.

ويقال أيضا إن كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ فى كل شىء وجحد وجوب الصلاة انه كافر حلال الدم والمال بالاجماع، وكذلك إذا أقر بكل شىء إلا البعث. وكذلك لو جحد وجوب صيام رمضان وصدق بذلك كله لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا.

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبى ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ ؟ وإذا جحد التوحيد الذى هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟ سبحان الله ما أعجب هذا الجهل.

ويقال أيضا : هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بنى حنيفة، وقد أسلموا مع النبى ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويؤذنون ويصلون.

فإن قال إنهم يقولون: إن مسيلمة نبى، فقل هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبى ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف؟ أو صحابيا أو نبيا إلى مرتبة جبار السموات والأرض، سبحان الله ما أعظم شأنه ﴿ **كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون** ﴾ (الروم : ٥٩).

ويقال أيضا : الذين حرقهم علي بن أبى طالب رضى الله عنه بالنار كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا فى علي مثل الاعتقاد فى يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد فى تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد فى علي بن أبى طالب يُكَفِّر.

ويقال أيضا : بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر فى زمان بنى العباس كلهم يشهدون أن «لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة فى أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء

على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وانكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذى ذكر العلماء فى كل مذهب: «باب حكم المرتد». وهو المسلم الذى يكفر بعد إسلامه.

ثم ذكروا أنواعا كثيرة لكل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى انهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أوكلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضا: الذين قال الله فيهم: ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم** ﴾ (التوبة: ٧٤). أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم فى زمن رسول الله ﷺ ويجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون.

وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ (التوبة: ٦٥، ٦٦).

فهؤلاء الذين صرح الله فيهم انهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح فتأمل هذه الشبهة وهى قولهم: تكفرون من المسلمين أناسا يشهدون أن «لا إله إلا الله» ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها فانه من أنفع ما فى هذه الأوراق.

ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله عن بنى إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم، أنهم قالوا لموسى: ﴿ **اجعل لنا إلها كما لهم آلهة** ﴾ (الأعراف: ١٣٨).

وقول أناس من الصحابة (اجعل لنا ذات أنواط) فحلف النبى ﷺ أن هذا نظير قول بنى إسرائيل اجعل لنا إلها.

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة: وهى أنهم يقولون: ان بنى إسرائيل لم يكفروا بذلك. وكذلك الذين قالوا للنبى ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا.

فالجواب أن تقول ان بنى إسرائيل لم يفعلوا ذلك وكذلك الذين سألوا النبى ﷺ لم يفعلوا ذلك. ولا خلاف أن بنى إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكذلك لا خلاف فى أن الذين نهاهم النبى ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع فى أنواع من الشرك لا يدرى عنها فتفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل (التوحيد فهمناه) أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان.

وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدرى. فنبه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبى ﷺ. وتفيد أيضا أنه لو لم يكفر فانه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله ﷺ .. انتهى.

ويقول الشيخ ان هذه الشبهة هى من أعظم شبههم فأصغ سمعك لجوابها[١]. لذا نقلت جوابه بنصه، وأشير إلى أن الشيخ ألف رسالة أخرى فى هذه المسألة وهى (مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد)[٢].

وكشف الشيخ الشبهة السابعة وهى قولهم ان النبى ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: (لا إله إلا الله)، وكذلك قوله: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) وأحاديث أخر فى الكف عمن قالها ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل، فكشف الشيخ هذه الشبهة ببيان أن من قالها وجب الكف عنه إلا أن تبين منه ما يناقض ذلك كدعاء الأولياء وقصدهم فيما هو من حق الله تعالى، فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفا على دمه وماله.

والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك. وأنزل الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا** ﴾ (النساء: ٩٤). أى فتبينوا فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: ﴿ **فتبينوا** ﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله. معناه ما ذكر أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك. والدليل على هذا أن رسول الله

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص ص ١٧١-١٧٥.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد ص ص ٢٧٩-٣٢٩.

ﷺ قال: «أقتلتـه بعـدمـا قال: (لا إله إلا الله)؟ وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقـولـوا (لا إلـه إلا الله)» هو الـذى قال فى الخـوارج: «أينـما لقيتمـوهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا وتسبيحا، حتى ان الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم (لا إله إلا الله) ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة. وكذلك ما ذكـر فى جوابـه فى الســادســة وكشفها من قتال اليهود وهم يقولونها وقتال الصحابة بنى حنيفـة، وكـذلـك أراد النبى ﷺ أن يغـزو بنى المصطلق لما أخـبره رجـل أنهم منعـوا الــزكـاة، حتى أنــزل الله ﴿ **يا أيهــا الـذين آمنـوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينـوا** ﴾ (الحجرات: ٦) - وكان الرجل كاذبا عليهم.

قال الشيخ: وكل هذا يدل على أن مراد النبى ﷺ فى الأحاديث التى احتجوا بها وجوب الكف عمن قالها حتى يتبين منه مخالفتها[1].

وبهذا انتهى هذا الفصل وبنهايته ينتهى الباب الأول وهو ما يخص عقيدة الشيخ محمـد بن عبـد الـوهـاب السلفيـة وحيث قد أتينـا على ذكر عقيدة الشيخ من جانبيها جانب عرضها من خلال بيان منهجه وجملة عقيدته فى الإيمان وأركانه وفى التوحيد من مقـاميـه المقـام الخبرى والمقام الطلبى، وفى نواقض عقيدة السلف الصالح أو نواقض كمالها للتحذير من ذلك فى هذا الباب الأول.

بقى علينا أن نتعرف على أثرها وذلك ما يتضمنه الباب الثانى وهو ما يلى.

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص ص ١٥٥-١٨١.

الباب الثانى

أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في العالم الإسلامى

الفصل الأول
فى ظهور دعوة الشيخ إلى عقيدة السلف الصالح وأسباب ومبادئ تأثيرها

لقد اتضح لنا مما سبق بيانه عن الشيخ وعقيدته أنها عقيدة السلف الصالح عقيدة سليمة، تعتمد على الكتاب والسنة غاية ووسيلة، وعلما وعملا ومضمونا ومنهجا، ونزيد هنا شيئا من التوضيح فنقول: أما الغاية فإنها تتضح من مواقف الإيمان التى وقفها الشيخ بقوة، وكم نراه فيما قدمنا من سيرته وفيما سنذكر إن شاء الله من مواقفه الجهادية وجهوده المرضية فى سبيل الله مثالا للرجل المؤمن بالغيب القوى فى إيمانه بذلك. البعيد عن البدع والمحدثات فى دين الله.

ولقد اعتقد الشيخ عقيدة السلف الصالح فى حين غربتها وضعف تأثير أصحابها فى المجتمع كما بينا ذلك فى مبحث البيئة التى كانت سائدة فى عصر الشيخ، ثم لما قام الشيخ بالدعوة إلى عقيدة السلف الصالح أصبح أثرها ينتشر شيئا فشيئا لا فى الجزيرة العربية فحسب بل فى العالم الإسلامى كله، ولا أحد ينكر صحوة نشطة فى المسلمين تنشد سنة الرسول ﷺ والعمل على نشرها ونشر ما كان عليه سلفهم الصالح.

وهذا المسلك السلفى الصالح قد اشتهر كأنه طابع خاص بالشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ـ رحمهم الله تعالى ـ على الرغم من أنه لا يخص الشيخ وليس من عنده وإنما هو ميراث رسول الله ﷺ .

حتى إن الشيخ ملا عمران بن رضوان صاحب لنجة لما تبين له حقيقة معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأنه التمسك باتباع النبى محمد بن عبد الله ﷺ قام بتأييده فلقبوه بالوهابى يشنعون عليه ومقصدهم ليترك اتباع النبى ﷺ ولا ذنب

للوهابى عندهم إلا أنه لم تأخذه فى اتباع رسول الله ﷺ لومة لائم ـ فقال الشيخ ملا عمران فى الرد على هؤلاء الشانئين منظومة منها :

ان كان تابع أحمد متوهبا فأنا المقر بانني وهابي
أنفي الشريك عن الإله فليس لى رب سوى المتفرد الوهاب
لا قبة ترجى ولا وثن ولا قبر له سبب من الأسباب
كلا ولا شجر ولا حجر ولا عين ولا نصب من الأنصاب
أيضا ولست معلقا لتميمة أو حلقة أو ودعة أو ناب
لرجاء نفع أو لدفع بلية الله ينفعني ويدفع ما بي
والابتداع وكل أمر محدث فى الدين ينكره أولوا الألباب(١)

وما من شك أن تأثير العقيدة واستمرارها يتم إذا توفر لها أسباب هي :

أولا : وقبل كل شيء : توفيق الله تعالى ومنته بالفضل والهداية .

ثانيا : صلاح النية وسمو الغاية وحسن القصد بالأعمال الصالحة ، التى هى من لوازم العقيدة .

ثالثا : كون العقيدة حقا ثابتا فى نفس الأمر والواقع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

رابعا : علم صاحب العقيدة وبصيرته .

خامسا : سلامة منهج صاحب العقيدة .

سادسا : الإمارة الراشدة والسلطان الوازع .

سابعا : استمرار وجودها بوجود حملتها من عالم وارث للميراث النبوى وسلطان مناصر قوى .

وفيما يلى توضيح لذلك :

أما توفيق الله تعالى ومنته بالفضل والهداية فهو أمر ظاهر من منته سبحانه على أهل هذه الجزيرة العربية خصوصا وأهل الأرض عموما بآخر الرسالات النبوية بالقرآن العظيم المبين والرسول العربى الخاتم ، وبيت الله الحرام ، وضمانته سبحانه لحفظ دينه ونصرته إلى قيام الساعة ودليله القرآن الذى هو كلام الله محفوظا فى الصدور ومتلواً

(١) نقلا عن الهدية السنية جمع الشيخ سليمان بن سحمان ص ص ١١٩ـ١٢٠ ط المنارسنة ١٣٤٤هـ والهدية السنية ط مكة عام ١٣٩٣هـ ص ص ١٤٨ـ١٤٩ .

بالألسن ومكتوبا بالمصاحف لا يوجد له نظير من الكلام فى جلب الخير ودفع الشر، كما أن رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ بشخصه لا نظير له فى الأشخاص وسنته موجودة ودينه باق وهديه خير الهدى وهو مستمر إلى قيام الساعة ولا نظير له فى الهدى وبيت الله الحرام فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولا نظير له فى بيوت الله فى الأرض.

وكل هذه الخصوصيات التى امتن الله بها على أهل هذه الجزيرة، ووفق من شاء منهم للقيام بحقوقها، كل ذلك له دور كبير فى التأثير، وما من شك أن من وفقه الله للقيام بحقوقها فقد حاز نفوذا وتأثيرا قويا لا نظير له، وللشيخ وأنصاره نصيب من هذا كبير، فبناء عقيدته السلفية إنما هو على كلام الله الذى هو خير الكلام، وهدى رسول الله ﷺ الذى هو خير الهدى، وعلى نهج سلف هذه الأمة الذين هم خير هذه الأمة.

وأما سمو الغاية من العقيدة، وكون العقيدة حق ومتانة علم صاحبها وقوة بصيرته وسلامة منهجه فقد بيناه فيما سبق من بيان عقيدته ومنهجه وشىء من سيرته ولا مانع من زيادة توضيح هنا لهذه الجوانب المؤثرة. وفيما يلى أنقل بعضا من كلمات الشيخ تبين سمو الغاية، وتجردها من الحظوظ الدنيوية الزائلة.

يقول الشيخ فى مخاطبته لعبد الوهاب بن عيسى:

«إن كنت تظن فى خاطرك إنا نبغى أن نداهنك فى دين الله، ولو كنت أجل عندنا مما كنت فأنت مخالف، فان كنت تتهمنى بشىء من أمور الدنيا فلك الشرهة»[(١)].

وفى مخاطبته لعبد الوهاب المذكور ولأبيه مرة أخرى يقول:

«اشوف[(٢)] غايتكم قريبة وتحملون الأمر على غير محمله»[(٣)].

ويقول الشيخ لبعض من توجس منهم غاية قريبة:

«ان الخطر عظيم فان الخلود فى النار جزاء الردة الصريحة ما تسوى بضيعة تربح

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٤٠ ص ٢٨٠.

(٢) أشوف: أى «أرى» وفى مختار الصحاح: شاف الشىء جلاه وبابه قال ودينار مشوف أى مجلو. إلى أن قال: «وتشوف إلى الشىء تطلع».

(٣) المصدر السابق رقم ٤٩ ص ٣١٥.

تومـانـا أو نصف تومـان[1]، ويحيل فى هذه المسألة على الإيمان بالله ويستدل بقول الله تعالى : ﴿ **وكأين من دابة لا تحمل رزقها ، الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم** ﴾ (العنكبوت : ٦٠) .

ويقول الشيخ فى مخاطبة بعض من أحس منه خمولا عن الموافقة :

«ان كان جاريـا منى شىء تنقـده فترانى أحب أن تنبهنى عليـه، لا تترك بيان شىء فى خاطرك من قبلي، وان كنتم متجرفين على التغير، أوجتكم[2] الفتنة وودكم ببرد الأرض[3] فهذا شىء آخر» إلى أن قال يذكره بالإيمان والغاية : «فهذا لا ينبغى منـك، ولا يطـاع أحد فى معصية الله، فان وافقتمونا على الجهاد فى سبيل الله واعلاء كلمة الله فلكم الحظ الأوفر والا لم تضروا الله شيئا، وقد ذكر النبى ﷺ : أن الطائفة المنصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم «وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار» وقد ذم الله الذى لا يثبت على دينه الا عند ما يهواه فقال : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف** ﴾ الآيـة (الحـج : ١١) - وينبغى لكم إذا عجـزتم أوجبنتم انكم ما تلومـونـا، ونحمـد الله الـذى يسـر لنا هذا، وجعلنا من أهله، وقد أخبر أنه عند وجود المرتدين، فلابد من وجود المحبين المحبوبين، فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ الآية (المائدة : ٥٤) - جعلنا الله وإياكم من الذين لا تأخذهم فى هذا لومة لائم»[4].

ولقد كانت هذه الغاية ووسيلتها واضحة تمام الوضوح لدى الشيخ فقد ذكر فى الإيمان بالله والإيمان بالرسل ان هاهنا غاية ووسيلة، فأما الغاية فهى الإيمان بالله وأما الوسيلة فهى الإيمان بالرسل. وقال الشيخ : الإيمان بالله مثل الماء والإيمان بالرسل مثل الدلو والرشاء[5].

ولقـد صدق الشيـخ ما يقـول، وطبق ما كان ينـادى به ويقـرره ويدعو إليه لانه عقيـدتـه فلما بين ان من اطـاع الـرسـول ﷺ ووحـد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله

---

(١) التومان عملة نقدية. مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٤ ص ٢٢٤.

(٢) «جتكم الفتنة» : أى «جاءتكم» وقد عبر الشيخ باللهجة التى يفهمونها ليكون أبلغ فى نفوسهم.

(٣) «ودكم ببرد الأرض» : أى «تودون التثاقل إلى الأرض والتخلى عن القيام بأعباء الدعوة والجهاد لنصرة دين الله ورسوله زهدا منكم بأجر ذلك فى الآخرة وإيثارا للحياة الدنيا.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٥٠ ص ص ٣١٩-٣٢٠.

(٥) الدرر السنية، ط ٢، جـ ١ ص ١٠٧.

ورسـولـه ولـو كان أقـرب قريب بدليـل قوله تعالى : ﴿ **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون** ﴾[1] (المجادلة : ٢٢) .

وابتلى الشيـخ نفسـه ولكنه صبر وثبت حتى جاوز الامتحان والابتلاء وما ذلك إلا تأييد الله له بروح منه وتقويته لإيمانه ، وأمثلة ذلك فى حياته كثيرة ـ ولنأخذ مثلا من أحوال الشيخ التى وقعت . ففى حالة اخراجه من العيينة طريدا منها قد افتقد كل حظ من حظـوظـه الدنيوية المباحة افتقد ثقة الأمير وثقة الناس من حوله به ، وبما يدعو إليه من عقيـدة السلف الصـالح ، وافتقد المسكن ، والمكانة والجاه والنفوذ ، وجميع الحظوظ النفسية ، والغايات الدنيوية ، ومشى وحيدا أعزل من أي سلاح ليس بيده إلا مروحة من خوص النخـل ، ولا يأمن مثله على نفسـه أن يقتـل بأهون قتلة لمن أراد ذلك ولن يأبه له أحد ، فيما يظهر من طبائع الأمور المعتادة ، لكن كان على ثقة من ربه والله قد قوى إيـمانـه حتى صغـر فى ميـزانـه أمـر صاحب الأحساء وخذلان ابن معمر له وفراق الـوطن والمـال والأهـل والـزوجـة والمسكن ، وما بقي لديه سوى الإيمان القوى بصحة عقيدة السلف الصالح وحسن الظن بالله تعالى والثقة به سبحانه وانه سيجعل له فرجا ومخرجا وان الله سينصر دينه ويعلى كلمته . وكأنى بالشيخ فى حالته تلك قد ترك الناس وهو محتاج أحوج ما يكون من أجل الله ليس لديه منعة من اتباع وجنود ، ولا حمية من عشـيرة أو حلف ، ولا غيرهـم من أصـدقـاء وأصحاب ونحوهم ، ومع هـذا كله مضى ثابتـا على عقيـدتـه وإيـمانه بأن الله تعالى سوف يجعل له وللمؤ منين فرجا ومخرجا وان غاب عنـه ذلـك ، ولم يفكـر فى اسـترضـاء الأمـير ، والابقاء على أى حظ من حظوظ النفس البشـريـة بالتنازل عن هذه العقيدة ، أو المهادنة فيها طلبا للراحة والابقاء على شيء من حظوظ النفس ورغباتها ، ولو إلى أن تحين الفرصة كما يتحين المتر بصون ، بل مضى فى سبيـل الله عليـه من الله الـرحـمـة والإيـمان زاده ، الإيمان القوى بعزيمة الواثق بموعود الله وحده فى الغيب ، وبصيرة من ميراث رسول الله ﷺ ، يتأسى برسول الله ﷺ ، وما جرى عليه من أذى قومه وطرد ثقيف له من الطائف وغير ذلك ، لا يطلب

---

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، ثلاثة الأصول ص ١٨٦ .

غايته العظيمة، وعوض ما فقده فى سبيل الله الا من الله تعالى وحده، وهو الله الأحد الصمد الذى لا يخيب من رجاه لقد سار من العيينة إلى الدرعية يمشى راجلا ليس معه إلا مزوحة من خوص النخيل فى غاية الحر فى فصل الصيف، لا يلتفت عن طريقه، ويلهج بقوله تعالى: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾، ويلهج بالتسبيح: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولما وصل الدرعية قصد بيت ابن سويلم العرينى فلما دخل عليه ضاقت عليه داره، وخاف على نفسه من محمد بن سعود فوعظه الشيخ وأسكن جأشه، وقال سيجعل الله لنا ولك فرجا ومخرجا»(١).

ما أقوى هذا الإيمان، والاتكال على الله تعالى فى قلب هذا الشيخ رحمه الله فى تلك الأحوال المزلزلة والأهوال التى بلغت معها القلوب الحناجر وتواردت من أجلها الظنون الفواقر، وإيمان الشيخ ثابت فى نفسه، قادر على طمأنة الآخرين المتزلزلين وتثبيتهم أيضا. هذا هو الشيخ المؤمن القوى، القوى بالإيمان لا بالحديد والنار، والدولة والمال، فقد ذهب عن هذا كله، ولم يتبعه منها شىء، ولم يبق معه سوى مهفة من خوص النخل، لا رغبة لأحد بها، وأصبح غريبا، يستوحش منه فهذا أقرب تلامذته إليه فى ملفاه إلى الدرعية يضيق به وبنزوله عليه ذرعا، قد خشى عاقبة أداء الحق فى ضيافة الشيخ، وهى أدنى الحقوق، وما ذاك إلا لشدة غربة الشيخ وهوان دعوته على الناس، وطمعهم فى الباطل، واعجابهم بمنافاة الحق أعظم ما يكون، وتسلط الملوك والأمراء على دعاة الخير وأهله تسلطا ملأ الأفئدة رعبا وزلزل القلوب عن بصيرتها واستنارتها. ولكن الشيخ مازال قاعدة صلبة فى ثباته على الحق وقوة إيمانه، ومضاء عزيمته على المسير فيما دعا إليه من دين الإسلام بالطريقة التى سار عليها رسول الله ﷺ.

يقول الشيخ محمد بن أحمد الحفظى (١١٧٨-١٢٣٧هـ)(٢):

دعا إلى الله وبالتهليلة ... يصرخ بين أظهر القبيلة
مستضعفا وما له مناصر ... ولا له معاون مُوازر
فى ذلة وقلة وفى يده ... مهفة تغنيه عن مهنده

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد ١١/١.

(٢) الاعلام للزركلى، ١٧/٦.

كأنهـا ريـح الصبـا فى الـرعب   والحـق يعـلو بجنـود الـرب
قد اذكـرتـنـى درة لعـمـر   وضـرب موسى بالعصـا للحجـر
ولم يزل يدعـو إلـى ديـن النبي   ليس إلـى نفس دعـا أو مذهب
يعـلم النـاس معـانى أشهـد   أن لا إلـه غير فرد يعـبـد
محمـد نبيـه وعـبـده   رسـولـه إلـيـكـم وقـصـده
أن تعبـدوه وحـده لا تشـركـوا   شيئـا به والابتـداع فاتـركـوا[1]

ما أعظمهـا من عقيـدة، ومـا أسمى غايتهـا، لقد تطهرت عقيدته بل وتجردت غايته حتى صارت خالصة لله وحده وبقى إيمانه قويا لم يهن، ثابتا لم يتزعزع، ماضيا لم يتراجع حتى كانت له العاقبة، وحتى لقى الله وهوعلى عقيدته لم يتغير بالنصر والظفر والغنيمة، وتلك سنة رسول الله ﷺ فى ثباته وصموده كما قال الله تعالى: ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ (يوسف: ١٠٨).

قال الشيـخ: فيهـا : إن الـدعوة إلى الله طريق من اتبع رسـول الله ﷺ والتنبيه على الإخلاص، لأن كثيرا لودعا إلى الحق، فهويدعو إلى نفسه، وأن البصيرة من الفـرائض، وأن من دلائـل حسن التـوحيـد أنه تنزيه لله تعالى عن المسبة وأن من قبح الشرك كونه مسبة لله تعالى، وإبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك وهى من أهم ما فيها[2].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم عنه رحمه الله :

«وفيه مشابهة لنبينا ﷺ فيما ناله من الرؤ ساء والأحبار فى ابتداء دعوته، فانه رحمه الله لما أظهـر الـدعـوة إلى توحيـد الله وافـراده بالعبـادة استصـرخـوا بأهـل الحرمين، والنجـرانيـين وبنى خالد وغيرهـم عليه وألبت تلك الطوائف فثبته الله ومن آواه ونصره على قلة منهم وضعف، وصبروا على مخالفة الناس وتحملوا عداوة كل من عادى هذا الدين، بل أشبه أمر الشيخ ما جرى لخاتم النبيين حتى فى مهاجره وأنصاره وكثرة من

---

(١) الهدية السنية للشيخ سليمان بن سحمان ص ١٢٤ ـ وانظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. لأحمد بن حجـر آل بوطـامى ص ص ٨٢، ٨٣، وتاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلانى ص ٣٢٧، وتذكرة أولى العرفان لابراهيم بن عبيد، جـ ١/ ٢٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٢١.

عاداه وناوأه في حال الابتداء كما هو حال الحق، في المبادىء يرده الكثير ون وينكرونه ويقبله القليل وينصرونه، ثم تكون الغلبة له»(١) أ ـ هـ.

ولا شك أن رسول الله ﷺ هو القدوة المثلى والإمام الأعلى لجميع المسلمين، وكل من كان في محبته واتباعه اتم كان في أحواله إليه أقرب ﷺ.

وقد أفصح عن هذا الاتباع في هذه الحالة في منشوره إلى علماء الإسلام، آنس الله بهم غربة الدين، وأحيا بهم سنة إمام المتقين، ورسول رب العالمين ﷺ، ففي هذا المنشور شكى إلى علماء الإسلام ما جرى من الفتنة بسبب نهيه العوام عن عاداتهم الشركية التي نشؤوا عليها، وعظمت في نفوسهم أن تنقطع عاداتهم تلك، وساعدهم بعض ادعياء العلم وهم من أبعد الناس عنه إذ العالم من يخشى الله ـ فتوهموا أن النهي عن الشرك تنقص للأنبياء والصالحين وهذا بعينه هو الذي جرى على رسول الله ﷺ ـ لما ذكر أن عيسى عليه السلام عبد مربوب ليس له من الأمر شيء، قالت النصارى: انه سب المسيح وأمه، وهكذا قالت الرافضة لمن عرف حقوق أصحاب رسول الله ﷺ وأحبهم ولم يغل فيهم، رموه ببغض أهل بيت رسول الله ﷺ، وهكذا هؤلاء، لما ذكر لهم ما ذكره الله ورسوله ﷺ وما ذكره أهل العلم من جميع الطوائف من الأمر باخلاص الدين لله، والنهي عن مشابهة أهل الكتاب من قبلنا في اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله قالوا له تنقصتم الأنبياء والصالحين والأولياء(٢)، والله تعالى ناصر لدينه ولو كره المشركون»(٣).

فكان هذا من أعظم ما ساعد على انتشار الغلو لأن بقايا أهل الحق كانوا يرون أنهم إذا أنكروا على الغلاة نسبوا إلى ما هم أشد الناس كراهية له من بغض عيسى وتحقيره، ومقتهم الجمهور واوذوا، فثبطهم هذا عن الانكار، وخلا الجو للشيطان وقريب من هذا حال الغلاة الروافض، وحال القبوريين، وحال غلاة المقلدين(٤).

---

(١) الدرر السنية ١٢/٧.

(٢) ولقد أحسن الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي في كتابه: «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» حيث قال: «من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل، ومن أمضى اسلحته ان يرمى الغالي كل من يحاول رده إلى الحق ببغض أولئك الأفاضل ومعاداتهم، يرى بعض أهل العلم ان النصارى أول ما غلوا في عيسى عليه السلام كان الغلاة يرمون كل من أنكر عليهم بانه يبغض عيسى ويحقره ونحو ذلك» جـ١/٦.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٦ ص ص ١٧٦-١٧٧.

(٤) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، جـ١/٦.

ويقول حافظ وهبه : «إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصلح مجدد داع إلى الرجوع إلى الحق، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة، ولا آراء خاصة وكل ما يطبق فى نجد من الفروع هوطبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وأما فى العقائد فهم يتبعون السلف الصالح، ويخالفون من عداهم، وتكاد تكون عقائدهم وعباداتهم مطابقة تمام المطابقة لما كتبه ابن تيمية وتلاميذه فى كتبهم، وان كانوا يخالفونهم فى مسائل معدودة من فروع الدين. وهم يرون فوق ذلك ان ما عليه أكثر المسلمين من العقائد والعبادات لا ينطبق على أساس الدين الإسلامى الصحيح.

إلى أن قال عن الشيخ واتباعه :

«وبالجملة : فانهم يحرصون على العبادات الشرعية ان تكون على السنة التى وردت عن النبى ﷺ بلا زيادة ولا نقص»(١).

هذا وقد شهد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، بأنه متبع وغير مبتدع وأنه إمام مجدد وداع إلى الله على بصيرة كثيرون من الكتاب والعلماء لا يحصون كثرة من الشرق والغرب، من الموالين وغير الموالين، من المسلمين وغير المسلمين.

وقد سبقنا إلى جمع هذه الآراء والشهادات جمع من العلماء والباحثين ونذكر منهم الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي فى كتابه : «الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الاصلاحية وثناء العلماء عليه» فقد قال ان العلماء السلفيين والمؤرخين المحققين قد أكثروا من الثناء على الشيخ والتنويه بدعوته القائمة على دعائم الكتاب والسنة. ثم نقل عن اثنين وأربعين عالما وكاتبا وباحثا ومفكرا من المسلمين وغيرهم ومن الموالين وغير الموالين ومن مستشرقين وغيرهم، فى أزمنة مختلفة وأمكنة متعددة ومن مصارد مختلفة. واستغرق ما نقله من ذلك احدى وأربعين صفحة من ص - ص ٨٠ - ١٢١.

ومن هؤلاء المشائخ الذين سبقونا فى جمع هذه الشهادات وتدوينها، الشيخ عبد الله بن سعد الرويشد فى كتابه الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى التاريخ فقد عقد فى الجزء الثانى من كتابه فصلا هو الفصل العاشر فى آراء العلماء والباحثين والمفكرين من الشرق والغرب، وذكر من ذلك نقولا عن أربعة وأربعين شخصا تزيد وتنقص عما

---

(١) جزيرة العرب فى القرن العشرين، تأليف حافظ وهبه ص ص ٣٢٢-٣٢٣.

أورده الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي ، وهى آراء من أناس كثيرين مختلفى المشارب والمذاهب والأزمنة والأمكنة وكلها تجمع على ان الشيخ يعتقد عقيدة السلف الصالح ويـذهب مذهبهم ، ومـا خرج عنهم قيـد شعـرة ، واستغـرق ما نقله من ص - ص ٢٧٧ - ٣٦٠ ، وأورد أيضا الدكتور عبد الله عبد الماجد إبراهيم كثيرا من هذه النقول فى بحثه الذى قدمه لمؤتمر اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تضمنت كثيرا من كلام العلماء والباحثين من مسلمين وغيرهم ، واستغرق ما نقله وجمعه ص - ص ١٣٩ - ١٦٢ .

وقد نقلوا شهادات كثيرة حتى من الأعداء ، تجعلنا نتمثل بقول القائل :

مناقب شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء

والمقصود ان نشير إلى ما توصل إليه من سبقونا فى جمع هذه الشهادات المختلفة زمانا ومكانا وعقيدة ، الا وهو ان جميع هذه الشهادات تتفق من غير تواطىء وتواعد بين أصحابها على حقيقة واقعية رأوها جميعا على اختلاف رؤيتهم وهى ان عقيدة الشيخ ومنهجه هو ما يقتضيه الإسلام الخالص الذى أتى به رسول الله ﷺ وان أعداء عقيدة الشيخ ومنهجه هم اعداء الإسلام فى الحقيقة .

وقد أوردنا فيما تقدم شيئا من هذه الشهادات وسنورد ان شاء الله تعالى بعضا من هذه الشهادات والآراء الصحيحة والأقوال السديدة التى تبين أثر عقيدة الشيخ الحسن وانتشارها الواسع سيما فيما خرج عن سلطان أنصارها[1]

أما فى هذا الفصل فمن اجل استكشاف أسباب ومبادىء تأثير عقيدة الشيخ نستعرض جهود الشيخ وجهاده قبل مناصرة آل سعود له ، وقبل ذلك اجيب عن سؤال ملح هو : كيف أثر الشيخ فى البيئة من حوله دون سائر مشائخه ، والمشائخ فى عصره؟ وكيف اختص بذلك دون غيره منهم؟

والجواب هو : مع ما سبق أن بينا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ العلم عن اجل علماء نجد فى بلده كما أخذ العلم عن اجل علماء الحرمين والبصرة والتقى بعلماء الأحساء وغيرهم من علماء الأقطار التى زارها وفيهم عدول زمانهم اتصل بهم سند الشيخ إلى من قبلهم ممن اتصل سنده بالسلف الصالح وجميع العلماء الذين أخذ عنهم قد أجازوه وقرروا له التوحيد . واستحسنوا اتجاهه وأقروه على معرفته النيرة

---

(١) انظر: ص - ص ٨٤٦ - ٩١٧ . من هذا البحث .

لحقيقة الإسلام الذى بعث الله رسوله محمدا ﷺ به وحرروا له المعتقد السليم، عقيدة السلف الصالح وشاركوه فى مقت الأعمال المنكرة الشائعة فى بلاد المسلمين وان بعضها قد وصل إلى الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله ولا يصح معه إسلام ولكن عذرهم عدم المساعد لهم فى تحقيق ما تضمنه الكتاب والسنة من اقامة الدين واخلاصه لرب العالمين، والا فهم يدينون لله بأنه لا يستحق العبادة سواه فى أنفسهم وأهليهم وما يقدرون عليه اما ازالة هذه البدع ونهى الناس عما اعتقدوه وعملوه من منافاة الدين فيحتاج إلى سيف قائم وإمام عادل وكان ذلك متعذرا فى وقتهم[1].

أما علماء السوء الذين آثروا الحظ الأدنى على الحظ الأعلى، واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ﴿ فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ﴾ فقد جانب الشيخ محمد بن عبد الوهاب طريقهم وتركهم وترك منهاجهم.

قال ابن غنام عن الشيخ: انه رحمه الله «رفض منهج الغلول والخيانة، وأدى من العلم الأمانة، وترك ما كان علماء السوء قبله له سالكون، وفى قعره العميق راكسون»[2].

ثم قيض الله للشيخ أميرا راشد ينصر دعوته إلى عقيدة السلف الصالح وينشر دين الله ورسوله بسلطانه وسيفه فالشيخ يبين العلم والأمير يقوم بتنفيذه بل ان كلا من الشيخ والأمير قد توحدت جهودهما وتكاملت فحصل لكلام الشيخ بالحق نفاذ لم يحصل لمشائخه وغيرهم وهذا فضل من الله تعالى أكرمه به والله يؤتى فضله من يشاء، وتصديق لما أخبر الله به من نصرة من ينصر دين رسول الله ﷺ، وكما هى القاعدة فى كرامات الأولياء حسب ما حققه شيخ الإسلام أحمد بن تيمية من أن الكرامة الخارقة للعادة عند اشتداد الحاجة إلى اقامة الحجة وتكون على يد اتباع رسول الله ﷺ امتدادا لآيات نبوته ﷺ ومعجزاته وهى فى نفس الوقت كرامة من الله لهم على قدر اتباعهم، والكرامة فعل الله تعالى وليست فعلا لمن وقعت له فلله الحمد والشكر[3].. والله أعلم.

---

(١) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق، ص ١٩، وانظر: مقالة الشيخ ابن حميد ص ٩٠ المطبوعة ضمن تحفة الناسك ورسائل أخرى ط ٧.

(٢) روضة ابن غنام جـ ١/٢٨.

(٣) انظر: قاعدة فى المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات... من قواعد شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢-٣٦، ط ١، ١٣٤٩ مطبعة المنار.

جهود الشيخ المؤثرة فى نشر عقيدة السلف الصالح واستعداده :

عاد الشيخ من رحلاته العلمية المباركة إلى حريملاء، وكان أبوه قد انتقل إليها من العيينة، ولما استقر الشيخ فى هذه البلدة مع أبيه وأسرته أخذ يدرس على أبيه وان كان مستواه العلمى لا يقل عن مستوى أبيه ان لم يزد عليه، لكنه من باب أدبه وتواضعه مع والده وشيخه الأول وموجهه[1]، ومع ذلك أخذ ينكر ما يفعله الجهال من البدع والشرك فى الأقوال والأفعال.

قال ابن بشر: «وكثر منه الانكار لذلك ولجميع المحظورات حتى وقع بينه وبين أبيه كلام وكذلك وقع بينه وبين أناس فى البلد فاقام على ذلك مدة سنين حتى توفى أبوه عبد الوهاب فى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، ثم اعلن بالدعوة والانكار والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتبعه أناس من أهل البلد مالوا معه واشتهر بذلك»[2].

ويقول ابن غنام يصف دعوته وجهوده بعد عودته من رحلته إلى حريملاء ما معناه:

وانتظم فى سلكه رجال فحول، قرأوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير، وحقق لهم منهج الدعوة إلى الله أتم التحقيق وكان رحمه الله يعلن بالتوحيد ويدعو إليه وينادى بابطال دعاء غير الله وينكر على من يمارسه جهارا إذا لم يكف الاسرار، وينصح من عدل عن الحق باسلوب سديد، ويزجر الناس عموما عن الشرك والفساد، وجد واجتهد فى تعليم الواجب وبذل المناصحة للخاص والعام ونشر شرائع الإسلام واقامة سنة محمد ﷺ وكشف الشبه ودحض المفتريات وتحذير الناس - ان داموا على ما هم فيه - وقوع النقمة والعذاب، وكل ذلك قياما بأمانة العلم رغبة فيما عند الله وما أعده تعالى للقائمين بذلك وخشية من الوقوع فى الوعيد الوارد فى القرآن المجيد ﴿ **ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ (البقرة: ١٥٩)[3].

يقول حافظ وهبه: عندما رجع الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وطنه . . .

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد ٨/١، وانظر مبحث عودة الشيخ من رحلاته العلمية ص ١١٣ من هذا البحث، ومبحث نتيجة رحلاته العلمية ص ١١٢ من هذا البحث أيضا.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد ٨/١، ٩.

(٣) روضة ابن غنام جـ ٢٨/١، ٢٩.

جدبه العزم ان ينقذ نجدا مما حل بها فبدأ يدعو الناس أن يعودوا إلى دين الله الصحيح ويتركوا ما جد من البدع وغيرها مما يتنافى مع نصوص الكتاب والسنة .

وفى الوقت نفسه طلب إلى الأمراء ذوى الشأن أن يطبقوا أحكام الشرع ، وقد قام بدعوته مسالما لا يدعو إلى شدة أو عنف وراسل علماء عصره فى البلاد الإسلامية الأخرى وأظهر ألمه لما أصاب المسلمين . وحضهم على أن يكونوا من زمرة المصلحين الدينيين فكان ذلك سببا طبيعيا لغضب خصومه ، أولئك الذين خافوا على سلطانهم من دعوته(١) .

ويصف ابن غنام استعداد الشيخ فى دعوته إلى عقيدة السلف الصالح فيقول : ما معناه «وكان الشيخ رحمه الله قد أعطاه الله استعدادا قويا فلم يخف فى الله لومة لائم ، وصار له توكل على ربه واعتصام به فلم يبال بجحافل الأعداء وجهامة الباطل(٢) وكيد شياطين الجن والإنس ووحي بعضهم إلى بعض بزخرف القول وغرروه وما رموه به من القوادح والمفتريات وما صوبوا له من سهام البغي والحسد والتكبر والتجبر ، وأقام رحمه الله كما يذكر ابن غنام فى بلد حريملاء على هذه الصفة سنين ، ولم يحددها ابن غنام ولا ابن بشر بعدد لكنهما ذكراها بصيغة الجمع . وكان الشيخ على ما يصفه ابن غنام فى تلك المدة يروع كل معاند ومعارض فاشتهر حاله فى جميع بلدان العارض فى حريملاء والعيينة والدرعية والرياض ومنفوحة وجعل الله لدعوته قبولا فى هذه البلدان وهو لا يزال فى حريملاء ، فكان له فى كل بلد من هذه البلدان اتباع كما ان له معارضين وأعداء حسب سنة الله تعالى فقد جعل لمن يقوم بالحق معارضين وأعداء حتى الأنبياء فكيف باتباعهم ولكن الله يجعل العاقبة للمتقين ، ولقد قبل دعوة الشيخ أناس لهم مكانتهم فى بلدانهم كالأمير عثمان بن معمر ، وكان يفد إليه الناس من جميع ما حوله ممن سمع به وهو مقيم فى حريملاء ويسمعون بيانه ودروسه حتى كثر محبوه وتابعوه وانضم لدعوته جم غفير ، وكلما زاد شأن الدعوة كلما تباين الناس فيه حتى انقسموا إلى فرقين - فريق فرح بالشيخ وأحبه وأحب دعوته وعاهده على ذلك وبايعه على نشر الإسلام والقيام به وفريق أنكر عليه وأبغضه وكره دعوته وقام وقعد فى الصد عن الإسلام والقاء الشبه على القائمين بها

---

(١) جزيرة العرب فى القرن العشرين، تأليف حافظ وهبه، ص ٣٢٠ .

(٢) قال فى مختار الصحاح : (الجهام) بالفتح السحاب الذى لا ماء فيه .

ليصدوهم ويثنوا سيرهم الحميد وفى هؤلاء الفريق المعارض كثير من ذوى العلم والافهام ولكن انسلخوا من علمهم واتبعوا أهواءهم وركضوا مع الرؤساء الظلمة والجهلة واستهوتهم الشياطين فقلدهم العوام والطغام وهم الأكثر فاشتدت المحنة ولكن اتباع الشيخ على بصيرة من الأمر يعلمون ان هذه سنة الله تعالى فى الذين خلوا من قبل وهى جارية لا تبديل لها ولا تحويل فمن سنة الله تعالى أن الناس إذا جاءهم بيان الهدى فمنهم من يقبله وهو من سبقت لهم السعادة، ومنهم من يرفضه وهو من كتب عليه الشقاء قال الله تعالى: ﴿ **وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ (البقرة: ٢١٣).

ولذا كان فريق الشيخ مع قلتهم مصممين على المضي معه فى بيان الواجب حتى لا يخسروا دينهم مهما كانت النتائج فأثابهم الله تعالى لما علم صدق نيتهم بأن جعل شأنهم يرتفع وكفتهم ترجح وكل يوم يمر كان فى زيادتهم ونقصان معارضيهم فكان شأن المعارضين بعد ان بلغ نهايته فى البغي ينخفض ويخف، أما اتباع الشيخ فهم يزيدون فى قوتهم وعددهم وبصيرتهم وعلومهم ويقينهم بوضوح رشد طريقتهم وهدايتهم كما قال تعالى: ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين** ﴾ العنكبوت: ٦٩)[١].

ولكن حريملاء كانت غير صالحة لأن تكون منطلقا للدعوة إلى الله تعالى فقد كان رؤساؤها منقسمين إلى قبيلتين أصلهما قبيلة واحدة، وكل منهم يدعى أن القول له وليس للأخرى على الثانية قول وما كان لحريملاء رئيس يزع الجميع ويجنبهم هذا الاختلاف وكان فى البلد عبيد لاحدى القبيلتين كثير تعديهم وفسقهم فأراد الشيخ أن يمنعوا عن الفساد وينفذ فيهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فلم يحصل ذلك لعدم وجود الرئيس الوازع بل ان هؤلاء العبيد المفسدين فى الأرض هموا أن يفتكوا بالشيخ ويقتلوه بالليل سرا، فلما تسوروا عليه الجدار علم بهم أناس فصاحوا بهم فهربوا فانتقل الشيخ بعدها من حريملاء إلى العيينة[٢].

والمصادر الأولى كما قال الدكتور العثيمين لا تشير إلى سنة انتقال الشيخ من

---

(١) انظر: روضة ابن غنام ١/٢٨-٣٠.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد ١/٩.

حريملاء إلى العيينة[1] ويميل الدكتور منير العجلانى إلى ان المدة التى قضاها الشيخ فى حريملاء لا تتجاوز أربعة أعوام سنتين قبل وفاة أبيه ثم سنتين بعد وفاته[2]، وإذا علمنا ان والده توفى سنة ١١٥٣هـ[3] فيكون عام ارتحاله هوما يقارب ١١٥٥هـ. والله أعلم.

تحليل أسباب انتقال الشيخ بدعوته من حريملاء إلى العيينة :

وبالرغم من القبول الذى جعله الله لدعوة الشيخ إلى الإسلام وهو لا يزال فى حريملاء إلا أن حريملاء كما ذكرنا ما كانت تنعم برئيس مطاع يزع جميع سكانها إلى الحق والدعوة إلى الإسلام وان كان الإسلام حقا فانه لابد لها من أمير مطاع يزع الله به الناس جميعا فيكون بمثابة المرجع للجميع يجد فيه المحق تأييدا وتشجيعا وضمانا لحقه ورعاية لجهوده كما يجد فيه المبطل رادعا قويا يمنعه من الفوضوية والتعدى وتخريب أمن مجتمعه وحياة مواطنيه. قال الله تعالى: ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين** ﴾ (البقرة: ٢٥١).

وقال تعالى: ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز** ﴾ (الحج: ٤٠).

ولذا يقول العالم الاجتماعى ابن خلدون فى مقدمته تحت عنوان: «ضرورة العمران البشرى إلى السلطان الوازع بعضهم عن بعض»:

«ان الاجتماع الإنساني ضرورى. . . ثم ان هذا الاجتماع إذا حصل للبشر. . . وتم عمران العالم بهم، فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم. . . فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك، وقد تبين لك بهذا ان للإنسان خاصة طبيعية ولابد لهم منها، وقد يوجد فى بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كما فى الجراد والنحل لما استقرىء فيها من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من أشخاصها متميز عنهم فى خلقه وجثمانه إلا أن

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب. . . للدكتور العثيمين ص ٤٢.
(٢) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٢١١.
(٣) انظر ص ٤٨١ من هذا البحث.

ذلـك موجـود لغـير الإنسـان بمقتضى الفطرة والهداية، لا بمقتضى الفكرة والسياسة ﴿ اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾[1]».

لذلك بعد مواجهة الشيخ للوضع السياسى فى حريملاء أدرك رحمه الله انه لابد للبناء والعمران الإسلامى من سلطان يحميه من هدم الآخرين وأن البناء لا يبلغ تمامه إذا كان يوجد بجانب من يبنى أحد غيره يهدم، وأدرك رحمه الله ان السلطان مختل فى تلك البلدة وإذا كان مختـلا فلا تصلح لأن تكـون مقـرا للدعـوة لما فى طبـاع البشر من العـدوان عنـد فقـد السياسة الشرعية أو السلطة الوازعة. عندئذ تعين لدى الشيخ أن السيـاسـة الشرعيـة فى بناء البيئة الإسلامية وهدم البيئة الجاهلية تقتضى البحث عن أمـير قوى لا ينـازع وليس مجرد أمـير قوى لا ينـازع فحسب بل مع ما أعطـاه الله من السيـادة وحسن السيـاسـة وتـدبـير الملك والرعية وجودة الرأى والفكرة مع هذا يكون بصيرا فى الدين يدين بالإسلام ويقتنع بصحة الدعوة إليه والقيام بنصرته.

وحريملاء ليس فيها من هذه صفته، وكان عثمان بن معمر أمير العيينة ممن توفر فيهم صفة الأمير، وكان الشيخ قد ابلغه الدعوة إلى الإسلام فقبل فكان المرشح من قبـل الشيـخ لسـد الحـاجـة إلى أمير يحمى منجزات الدعوة بسيفه، وينشرها بقيادته وجهاده ونصرته فانتقل إلى العيينة، واختارها منطلقا للدعوة.

قال ابن غنام: «ثم بعد ذلك عزم على المسير عنها (يعنى حريملاء) والارتحال والاقـامـة بالعيينة فجد فى الرحيل والانتقال. وذلك بعد أن هدى الله تعالى عثمان بن معمر لقبول هذا الدين الذى أحياه ذو القلب المنور فدخل منه شىء فى قلبه»[2].

هذا هوحقيقة سبب انتقال الشيخ من حريملاء إلى العيينة الذى هوكما نرى سعي فى مصلحة الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح التى هى الإسلام، وليس شوقا إلى مسقـط رأسـه ومـرتـع صبـاه العيينة ولكن هوما ظهر له من أن العيينة أصلح بلد تنطلق منه الدعوة إلى الله تعالى على نهج السلف الصالح واعتقادهم السليم ولذلك لما جفـاه أمـيرهـا وخـذله على ما سنبينه بحول الله هاجر من العيينة وهجر مرتع صباه ومسكنه يبحث عن ضالته فى غيرها.

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ط مصطفى محمد المصرية، ص ٤١.
(٢) روضة ابن غنام ١/ ٣٠.

أثــر اقــامة الشيخ فى حريمــلاء :

لقـد كان لاقـامـة الشيـخ فى حريملاء تلك المدة أثر كبير فى ما يعود على دعوته إلى الله بالفائدة فكانت اقامته وجهوده خصوصا بعد وفاة أبيه المرحلة الأولى التأسيسية وهى مرحلة البيان والنشر، فان الشيخ بعد أن توفى والده أصبح أكبر شخصية علمية فى البلدة والتفتت الأنظار إليه وإلى ما يقول من بيان للتوحيد الذى هو حق الله على العبيد، مما لا عهد لأكثر الناس به حيث كانوا فى غفلة عن تقرير التوحيد ونقد المجتمع والبيئة فى بعدهم عنه والبراءة من الشرك وأهله حتى ولو كان أهل الشرك من الأقرباء والمعارف والأصحاب، وهذا زاد من انتشار سمعته فى المناطق الأخرى، وجعل بعض الأفـراد من بلدان العـارض المختلفـة يفـدون إليـه فى حريملاء ليستمعوا ما يقول وما يدعو إليه، وبهذه الوسيلة التى هيأها الله له جعل يوضح حقيقة الإسلام الذى جاء به رسول الله ﷺ من عند الله تعالى، ويبين ما يضاده وينقضه من أنواع الشرك والكفر ثم يقارنه بالواقع من هذه الأمور فى البيئة من حوله فانتشرت عقيدة السلف الصالح وبدأ الناس ينتبهون لما كانوا فى غفلة عنه وبدأ الاحساس يقوى واليقظة تزيد، ولقيت دعوة الشيـخ إلى عقيـدة السلف الصـالـح قبـولا وأنصارا فى بعض المدن كالعيينة والدرعية وقدم عليه طائفة من أهل العارض إلى حريملاء وكان أعظم رجل كسبه إلى الدعوة إلى الله خلال هذه المـرحلة هو أمـير العيينـة عثـمان بن معمـر، والذى كان على يديه بداية تطبيق الدعوة عمليا[1].

أثــر عقيــدة الشيخ فى العيينــة :

انتقل الشيخ إلى العيينة، وكان أميرها هو عثمان بن حمد بن عبد الله بن معمر بعد أخيه محمد بن حمد الملقب «خرفاش»، وقد هداه الله تعالى فاقتنع بدعوة الشيخ، وأعلن ذلـك بين رجـالـه المقربين، وتلقى الشيخ بالقبول وأكرمه، وتزوج الشيخ عمته الجوهرة بنت عبد الله بن معمر، وكانت ذات مكانة عالية فقد ذكر المؤرخون أن محمد بن سعـود ورفـاقـه لم ينزلوا من موضع تحصنهم عقب قتل محمد بن حمد بن عبد الله بن

---

(١) انظـر: تاريـخ البـلاد العـربيـة السعـودية للدكتور منير العجلانى، ص ٢١١، والشيخ محمد بن عبد الوهاب. . . للدكتور العثيمين، ص ٤١، ٤٢.

معمر الملقب خرفاش لزيد بن مرخان إلا بعد أن أعطتهم الأمان سنة ١١٣٩هـ(١)

ولعل الشيخ يترسم بذلك الزواج منها خطى رسول الله ﷺ من خديجة ذات المكانة العالية رضى الله عنها، وما من شك أن العلاقة بالمصاهرة تزداد متانة سيما وان الشيخ يرجو نصرة هذا الأمير، لانه رأى بعد ما وجده فى حريملاء أن المتعين اتخاذ سياسة راشدة لحماية منجزات الدعوة ومكاسبها، والقيام بنصرتها لأنه لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بالسمع والطاعة والسمع والطاعة إنما تكون للأمير الذى توفرت فيه ملكات الامارة مع صحة دينه وكان عثمان هذا من المرجوين لهذا المقام الجليل على حد قول الشاعر:

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

لذا فان الشيخ جاء إلى العيينة وعرض على عثمان هذه الرغبة وبين خطورة هذا الشأن وأهميته وقيمته العظمى ورشحه لمقام الإمامة فيه فقال له بعد أن استعرض ما قام به ودعا إليه من التوحيد ورغب إليه فى نصرة دين الله: «إني أرجو ان أنت قمت بنصر لا إله إلا الله، ان يظهرك الله تعالى وتملك نجدا واعرابها»(٢).

ثم بعد ذلك الذى عرضه الشيخ على ابن معمر ورغبه فيه من أمل الخير لمن ينصر الإسلام فى الدنيا ثم الآخرة قام عثمان وساعد الشيخ فأعلن بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتبعه أناس من أهل العيينة(٣).

قال المؤرخ ابن غنام: «قام معه عثمان وقعد وساعده على ذلك واجتهد وأمر الناس بالاتباع، وعدم المشاقة له والنزاع والزم الخاصة والعامة ان يمتثلوا أمره وكلامه ويسلكوا سبل الاستقامة ويظهروا توقيره واكرامه فكان بعد ذلك الأمر والالزام، وصدور ذلك الاعتناء التام وشدة الرغبة والاهتمام وابداء التعظيم له والاحتشام تسمع أقواله وتطاع وتملأ الصدور والاسماع فصار للزيغ ارتداع وقمع واقلاع وللحق والهدى اتباع، ففشا الدين فى بلدان العارض المعروفة وأكثرهم قلوبهم عن ذلك النور مصروفة، وعلى ما كانوا عليه من الأمور المألوفة ملازمة محبوسة موقوفة، ولكن لم يصبر على الاقامة بذلك المكان مع مشاهدته فيه الأوثان فعند ذلك أمر الشيخ محمد، الأمير

---

(١) عنوان المجد، ابن بشر، سابقة سنة ١١٣٩هـ جـ ١/٢٣٤، ٢٣٥، وانظر: الدكتور العثيمين، فى كتابه الشيخ محمد... ص ٤٣.

(٢)، (٣) عنوان المجد... لابن بشر ٩/١.

عثمان بهدم القبب والمساجد المبنية فى الجبيلة على قبور الصحابة وقطع الأشجار التى كانت الخلق لها فى كل ساعة منتابة فبادر عثمان لذلك وامتثل وخرج الشيخ معه وجماعتهم على عجل وخرجوا بالمعاول، والكل للأجر آمل فهدموا تلك المساجد وأزالوا رفيع المشاهد وأزالوا جميع المحظور عن جميع تلك القبور، وعدلت على السنن المشروع واندرس الأمر الممنوع وهدم رفيع ذلك البناء، وبطل ذلك التعظيم لها والاعتناء، وخر شامخ الأحجار وخر ما فى العارض من معبدات الأشجار كشجرة قريوة وأبى دجانة والذيب فلم يكن أحد إلى التبرك بها ينيب، ولم تسألها من لم تتزوج مثل العادات زوجا حبيب[1]، وليس فى تلك الأزمان بغريب وليس وقوع أقبح منه بعجيب، وكان الشيخ رحمه الله تعالى هو الذى باشر قطع شجرة الذيب بيده مع بعض أصحابه فنال من ربه جزيل أجره وثوابه، وقطع شجرة قريوة ثنيان بن سعود ومشارى بن سعود وأحمد بن سويلم وجماعة سواهم فأدركوا من الفوز مناهم، فلم يبق وثن فى البلدان التى كانت تحت يد عثمان، وشاع ذلك واستبان ونعم بذلك أهل الإيمان وصلحوا حالا من ذلك المكان وانتشر الحق من ذلك الأوان واشتهر الأمر وبان وسارت بذلك الركبان»[2] انتهى.

وقد نقلته بنصه من تاريخ ابن غنام لأنه تضمن وصفا واضحا لحماسة الأمير عثمان بن معمر فى مناصرة الشيخ ودقيقا فى ذكره ما تم من تنفيذ أمور العقيدة السلفية وما كان لها من أثر فى انتشار توحيد الله بالعبادة، وزوال الشرك وعُقَدِهِ من أعمال الناس وقلوبهم، فانهم إذا كانوا يعتقدون مثلا ان قبر الولى يحميهم، وان الولى فيه سر النفع والضر ثم وجدوا هذا الولى غير قادر على حماية مقامه وعظمته فى النفوس ولا حماية القبة المبنية على قبره والثأر ممن هدمها وأهانه عرفوا بأنهم كانوا على خطإ فى الاعتقاد بقدرته على النفع والضر ومن ثم خشيته ورجائه وتقريب النذور والقرابين إليه وبذلك تكون الأعمال امضي فى اقناع الناس من الأقوال وأنفع من كلام لا نفاذ له فرحم الله الشيخ رحمة واسعة.

ونستخلص وصفا للحالة النفسية والمقاومة العملية من خلال ما يذكره المؤرخ ابن بشر من قصة هدم القبة المبنية على قبر الصحابى زيد بن الخطاب رضى الله عنه

---

(١) الصحيح (حبيبا) وإنما جرى على السجع.
(٢) روضة ابن غنام جـ١ / ٣٠-٣١.

التى عنـد الجبيلة . قال الشيـخ لعثمان دعنا نهدم هذه القبة التى وضعت على الباطل وضل بها الناس عن الهدى. فقال: دونكها فاهدمها، فقال الشيخ: أخاف من أهل الجبيلة ان يوقعوا بنا، ولا استطيع هدمها إلا وأنت معى، فسار معه عثمان بنحو ستمائة رجـل، فلما قربـوا منهـا ظهر عليهم أهل الجبيلة يريدون أن يمنعوها، فلما رآهم عثمان علم ما هموا به. فتأهب لحربهم وأمـر جموعـه أن تتعـزل للحرب فلما رأوا ذلك كفوا عن الحرب وخلوا بينهم وبينها، وقال ابن بشر ذكر لي أن عثمان لما أتاها قال للشيخ: نحن لا نتعـرضهـا. فقال الشيخ أعطونى الفأس فهدمها الشيخ بيده حتى ساواها. ثم رجعوا فانتظر تلك الليلة جهال البدو وسفهاؤ هم ما يحدث على الشيخ بسبب هدمها فأصبح فى أحسن حال»[1] انتهى.

لا شك أن هذه الأعمال التنفيذية لعقيدة السلف الصالح حين تأتى فى مناسبتها من أعظم وسـائـل التطهـير واقنـاع النـاس بصحة ما يقوله الداعية من بيان لسانى، وايقـاظ الضـمائـر المتبلدة واحيـاء القلوب المـريضة وتصحيح العقائد السقيمة ولا أدل على ذلـك التيقـظ والاحسـاس بالحيـاة من قصـة امرأة من أهل العيينة استيقظ قلبها بالشعور الغامر بفحش الزنا والرغبة فى الطهارة منه على ضوء شرع الله الذى طهر به الشيـخ محمـد بن عبـد الوهاب العيينة من مظاهر الوثنية بهدمها واهانتها واقامة توحيد الله بالخشية والرغبة والمراقبة والتقوى، فما كان من هذه المرأة الا ان تندفع بصدقها فى التـوبـة وتأتى إلى الشيـخ فتعـترف عنده بالزنا والاحصان ترغب فى تطهير نفسها من هذه الفاحشة لتنال ثواب المطهرات عند الله فأعرض الشيخ عنها وتكرر منها الاقرار، فأراد الشيخ تطبيق سنة الرسول ﷺ وكذلك فعل فلقد التمس هل لها من عذر؟ وسأل عن عقلهـا فإذا هى صحيحـة العقـل وقال لعلك مغصوبة؟ وأمهلها الشيخ أياما فلم تزل مستمرة على اقرارها بذلك فكانت أقرت أربع مرات فى أيام متواليات بما يوجب اقامة الحد الشرعى الذى هو الرجم، فلم يكن للشيخ مندوحة عن الأمر برجمها لاقامة حد من حدود الله تعـالى. . «فخـرج الوالى عثمان وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت، وكـان أول من رجمهـا عثمـان المـذكـور، فلما ماتت أمر الشيخ أن يغسلوها وأن تكفن ويصلى عليها[2] كما جرى من سنة رسول الله ﷺ فى مثل هذه الواقعة.

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد ١/٩، ١٠.

(٢) انظر: روضة ابن غنام ٢/٢ وابن بشر فى عنوان المجد ١/ص ١٠.

وهكذا كان الشيخ ـ رحمه الله ـ يطبق عقيدة السلف الصالح فى بلد العيينة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعلم الناس دينهم ويميت ما قدر عليه من البدع ويقيم الحدود ويأمر الوالى باقامتها، ويراسل العلماء والزعماء من غير بلدة العيينة يدعوهم إلى اقامة دين الله، ويرسل الدعاة إلى البلدان النائية لبيان الدين وارشاد الناس إليه ومن بين تلك البلدان الدرعية فقد راسل قاضيها عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب وراسل ثنيان بن سعود وعبد العزيز بن محمد بن سعود وأحمد بن سويلم وراسل أهل الرياض وابن عبد اللطيف من أهل الأحساء وغيرهم من أهل البلدان الأخرى.

نهاية معارضة علماء السوء أمام جهاد الشيخ :

إن جهود الشيخ ودعوته إلى عقيدة السلف الصالح قد لقيت معارضة حتى من علماء! علماء السوء، عارضوا دعوة الشيخ وهى نشر لميراث رسول الله ﷺ واحياء لسنته واتباع لملته، ولكل قوم وارث فكما أن الشيخ رحمه الله وأتباعه يرثون سنة رسول الله ﷺ فلابد أن يكون للشيخ أعداء من شياطين الإنس والجن، الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، وكلما كان الإتباع لرسول الله ﷺ أتم كلما كانت المشابهة فى تطور الأحوال أشد، ولقد بدأ أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ من علماء السوء فى مقاومة الشيخ والكيد له ولدعوته منذ كان فى حريملاء. ففى احدى الرسائل التى بعثها الشيخ من العيينة إلى عبد الوهاب بن عبد الله ذكر الشيخ أن عبد الوهاب هذا منذ خمس سنوات وهو يجاهد جهادا كبيرا فى رد دين الإسلام فإذا جاءه مساعد أو ابن راجح أو صالح بن سليم وأشباه هؤلاء الذين يلقنهم الشيخ شهادة أن لا إله إلا الله وأن عبادة المخلوقات كفر وان الكفر بالطاغوت فرض قام عبد الوهاب يجاهد ويبالغ فى نقض ذلك ويستهزىء به[1].

وقال ابن غنام ما حاصله: «وأشر الناس والعلماء انكارا عليه واعظمهم تشنيعا وسعيا بالشر إليه سليمان بن سحيم وأبوه محمد فقد اتهم فى ذلك وانجد، وجد فى التحريش عليه والتحريض، وأرسل بذلك إلى الأحساء والحرمين والبصرة وحشر علماء السوء ونادى وكذب عليه وبهت وزور، وبعث الطروس مترعة بالباطل والمين

(١) انظر: روضة ابن غنام ١/١٥٧، ١٥٨ وقارن بما فى كتاب: الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . للدكتور العثيمين ص ٤٥.

إلى علماء السوء من تلك الأقطار فقاموا معه فورا بالانكار وافتوا للحكام والسلاطين والأشرار بأن القائم بدعوة التوحيد خارجي وأصحابه خوارج ، وليس له تثبت فى الحق ، وجزم كثير من علماء الأمصار وهم علماء السوء بأن هذا المُبيّن لآثار السلف الصالح من أقبح الضلال وأشر الخوارج وحسبوا انهم إذا حرشوا عليه الحكام يفوزون بقتله وطمس دعوته مع ان بعضهم قد عرف ان الذى جاء به الحق . ولكنهم لذلك كانوا يكتمون : ﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ فصنفوا المصنفات فى تبديعه وتضليله وزعمهم تغييره للشرع النبوى وتبديله وعدم معرفته بأسرار العلوم وتجهيله وسطروا فيها الجزم بكفره وبطلان حجته ودليله وحكموا بأن الشيخ ساحر وكذاب ومفترى وكافر حلال الدم والمال وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا فأطبق أهل الباطل والضلال على قبيح تلك الأقوال وأرهفوا أسنة المقال والكل خاض فى الافك ونال ، والذى تولى منهم هذا الأمر الكبير واقتحم لجج موجه الخطير وشمر فيه أعظم التشمير وتنادى عليه مع أعوانه لاجل التغيير حسدا وبغيا بالاضافة إلى سليمان بن سحيم وأبيه محمد من مطاوعة أهل الرياض كما تقدم عبد الله بن عيسى المشهور بالمويس ولد فى بلد حرمه من بلدان وادى سدير وعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف ، ومحمد بن عبد الرحمن بن عفالق من الأحساء»(1) .

ولقد عارض الشيخ غير هؤلاء ممن يدعى الرفعة والشأن والقدم الراسخة فى العلم والعرفان مع ان أكثرهم يقر على نفسه ويعترف بأن ما أتى به محمد بن عبد الوهاب هو الحق والصواب وان هذا هو التوحيد المطلوب ، ومن لم يتحقق به لم يفرق بين الرب والمربوب لكن انفت قلوبهم واستنكفوا وخشوا ان يكون اقرارهم وموافقتهم سببا فى ان تسلب منهم رئاستهم ودنياهم وجاههم بين الناس فأنكروا بعد المعرفة وأصبحت ألسنتهم فى ذلك مسرفة ووجوههم عن الحق منصرفة حتى أنكروا من الشرع الأمور المعروفة .

قال ابن غنام : «فذكر لنا عن تحقيق ويقين انهم أنكروا على عثمان بن معمر أدبه من تخلف عن الصلاة فى جماعة المسلمين وتأديبهم من لم يصل جملة وجبايته الزكاة وغير ذلك من أمور الدين . وكان كثير من علماء السوء فى نجد يأتون إلى رؤساء البدو

---

(1) روضة ابن غنام ١/٣١-٣٢ بتصرف واختصار.

ويحذرونهم وقوع الصلاة فى حيهم وسماع الأذان، ويحثونهم على التمسك بقبيح تلك الأديان، وما كانوا عليه من الفسق والعصيان[1]، وقد أنكروا على الشيخ أمره الوالى باقامة الحدود فزعموا ان الشيخ لا صفة له تخوله الحكم والأمر برجم من استوجبه مثلا، وقد رد عليهم الشيخ وبين لهم ان ما فعله هو حكم الله المؤيد بالسنة والجماعة ومما قاله الشيخ أن الأئمة من كل مذهب مجمعون على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام فى جميع الأشياء ولولا هذا ما استقامت الدنيا، لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا، ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرف ان أحدا من العلماء ذكر ان شيئا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم، إلى أن يقول: «ولكن أعداء الله يجعلون هذه الشبهة حجة فى رد ما لا يقدرون على جحده، كما إنى لما أمرت برجم الزانية، قالوا لابد من إذن الإمام».

قال الشيخ: «فإن صح كلامهم لم تصح ولايتهم القضاء، ولا الإمامة ولا غيرها»[2].

هذا وقد مر بنا فى مبحث البيئة من حول الشيخ أن نجدا لم يدخلها السلطان العثمانى تحت نفوذه قبيل ظهور الشيخ، وإنما كانت مجزأة بين أمراء متعددين، وكل أمير مستقل بما تحت يده[3].

ومن أسباب مقاومة هؤلاء المخالفين أن الشيخ جاءهم بشىء استغربوه وخالف ما اعتادوه وألفوه وأشربوه فى قلوبهم، ألا وهو اعلان الشيخ رحمه الله تعالى وجوب التمسك والاعتصام بالكتاب والسنة والعمل بما جاء من هدى الأصحاب وبما اختاره الأئمة الأربعة الذين شاعت مذاهبهم فى الأمة، فهو وان كان يختار مذهب الحنابلة فانه لا يقدمه على النص القاطع ولا يتعصب له بل يختار من المذاهب الأخرى مذهب من هو أقرب إلى الدليل والصواب الموافق للشريعة، وقد أسفر كلام الشيخ عن هذا الاتجاه وظهر وشاع، فلذا طارت قلوب متعصبة المذاهب والمقلدة فى العمى فرقا من هذا النور، والذى مداره على اتباع ما أمر الله به من الرد فى حال التنازع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[4].

---

(١) روضة ابن غنام ١/٣٧-٣٨ بتصرف واختصار.

(٢) المصدر السابق: ١/٢٠٧.

(٣) انظر: ص (٢٧) من هذا البحث.

(٤) روضة ابن غنام ١/٣٨، ٣٩، ٤٠.

مع أن الـرد إلى الكتـاب والسنـة هو الصـواب المتعين والحق المطلوب من دين الإسـلام بالضـرورة . وفيه من أسباب الالفة والاجتماع والتوحيد بين المسلمين ، ودحر الشـر والتفـرق ما يغيض تجار الحـروب ، ومستغلى فرص التفـريق والمنازعات ليسودوا ويثروا على انقاض الدمار والفساد وعبادة الأوثان والأنداد .

وكـذلـك قد اعتـبر وا الرد إلى الكتاب والسنة بدعة والحادا وخروجا عن الدين وقـد زين لهم الشيطـان شبهـة أنهم لا يقدرون على فهم كلام الله ورسوله ﷺ وكلام السلف الصالح وأن الأخذ بظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر(١) .

ويمكن أن نحصر نقطة الخلاف بين الشيخ وخصومه من علماء السوء وغيرهم من أنه يقول :

كل ما يعبـد الله به بجميـع أنـواعه يجب أن يكون خالصا لله وحده فلا يصرف منه شيء لغيره كالدعاء والذبح والنذر والتوكل والاستغاثة والاستعاذة والاستعانة وغير ذلـك مما ورد به شرع رسـول الله ﷺ فبـين للنـاس ذلـك وأمـرهم باخلاصه لله وحده ونهـاهم عن الشـرك بذلـك وبـين لهم أن من الشـرك ما هوواقـع من أكثر الناس حين يدعـون الأنبيـاء والأولياء والصالحين بل وغيرهم من الفسقة والطواغيت والمجانين من أهل القبور والمقامات والمشاهد وغيرهم من الأموات والأحياء يتعلقون بهم ويذبحون لهم وينذرون ويتقربون إليهم بأشياء إنما هي من حقوق الله التى شرعها تعالى لرسوله ﷺ وأمتـه ليتعبـد له بها ، وبـين الشيـخ ان أول من ادخـل الشـرك فى هذه الأمـة هم الـرافضـة الملعـونـة الـذين يدعون عليا وغيره ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكـربـات . لذلـك لم يستطـع العلماء المكـابـرون الصمـود للشيخ فى ميـدان الحجة والـبرهـان ، وغلبهم بيـان الحق وأسكتهم برهـانـه عن الـرد عليه ومناظرته ودحضت حججهم وكشفت شبهـاتهم وهـم قد أشـربـوا محبـة ما اعتادوه ووجدوا عليه مجتمعهم وكـبراءهم وأسـلافهم من الآبـاء والأجداد من الشرك والفسوق وأكل الربا والسحت فلجأوا إلى الافـتراء والكـذب والمكـر والحيـل والاستعـانـة بتخـويف الملوك والحكام وأصحـاب المنـاصب من فوات حظهم بظهوره فكتبوا إلى رئيس الأحساء وبنى خالد «سليـمان بن محمـد» لأن هؤلاء الشيـاطين والعياذ بالله عرفوا كيف يدخلون على أمير

---

(١) انظـر: رسـالـة الشيخ إلى عبد الله بن عبد اللطيف فى روضة ابن غنام جـ ١/٥٣ـ٥٧ ، وانظر: تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي ص ١١ .

العيينة من جهته فهو يدور فى فلكه وله عنده خراج ومصالح، وينقاد إلى أمره. فقالوا لأمير الأحساء - فيما قالوه من الأكاذيب: ان عثمان بن معمر قد آوى مطوعا[1]، يريد اخراجكم من ملككم، واثارة الناس عليكم، وأقل ما يقوله للعامة ان المكوس والعشور التى يأخذها الأمراء باطلة لا يقرها الدين، وها هو يرجم امرأة من أجل الزنا بغير أذن منكم... إلى غير هذا من التحريش والبهتان. واثارة الملوك بما يثيرهم ويخوفهم مهما كان.

ويذكر ابن غنام انه لما جرت قضيّة اقامة حد الرجم فى العيينة كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال وطارت قلوبهم خوفا وداخلهم من حصول تلك القضية ما لم يعاينوا قبله مثله ولم يسمعوا به منذ زمن، وذلك لما ألفوه من الفواحش مقارنا لما كانوا عليه من الشرك، ثم لما أعياهم أن يردوا الحكم المشروع بالسنة والاجماع أمام الشيخ وأنصاره، لجأوا إلى ردها بالمكر والحيلة فشكوه إلى شيخهم الظالم سليمان آل محمد رئيس بنى خالد والحسا، وكان قبحه الله مغرما بالزنا مجاهرا به غير مختف بذلك، وحكايته فى ذلك مشهورة وقصصه فيه غير محصورة، فأغروه به وصاحوا عنده وقالوا ان هذا يريد أن يخرجكم من ملككم، ويسعى فى قطع ما أنتم عليه من الأمور والامكاس والعشور[2]، فلما خوفوه بزوال محبوبه وتفويت مطلوبه كتب إلى عثمان يأمره بقتله أو اجلائه عن وطنه والزم عليه وشدد وهدد.

وكذلك ابن بشر فى تاريخه يذكر ان قضية الرجم كانت من الأمور التى استغلها أعداء الشيخ فى التحريش عليه، قال ابن بشر: «فلما صدرت منه هذه أعنى رجم المرأة اشتهر أمره فى الآفاق. فبلغ خبره سليمان بن محمد غرير الحميدى قائد الأحساء والقطيف وما حوله من العربان وقيل له ان فى بلد العيينة عالما فعل كذا وكذا وقال كذا وكذا، فأرسل سليمان إلى عثمان كتاب وقال: ان هذا المطوع الذى عندك فعل وفعل. وتهدد عثمان وقال اقتله فان لم تفعل قطعنا خراجك الذى عندنا فى الأحساء وخراجه عندهم كثير»[3].

---

(١) المطوع: اصطلاح فى نجد أنه الذى يصلى بالناس ويكون عنده شيء من المعرفة.

(٢) روضة ابن غنام ٢/٢،٣٠.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد ١/١٠ وانظر: تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلانى ص ٢١٧، وتاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ تأليف حسين خلف الشيخ خزعل ص ١٤١.

أمـا ابن معمـر فانـه انهـزم أمـام تهديـد ابن غرير ولم يثبت على المبدأ والعهد، فخذل الشيخ واستجاب لداعي الشيطان.

مواصلة الشيخ جهوده رغم خذلان ابن معمر له :

قال ابن غنـام ان ابن معمـر «آثـر الـدنيا على الدين وسلك منهج المبطلين وأمر الشيـخ بالخـروج ولم يكن إلى قتله سلم ولا عروج، وذلـك لما اقتضتـه الحكمة الالهية والعناية الصمدانية من احياء دارس السنة المحمدية والآثار السلفية فخرج الشيخ إلى بلد الدرعية»[1].

ويفصـل ابن بشـر وصف حالـة ابن معمر لما ورد عليه كتاب صاحب الأحساء بقـولـه «فلما ورد عليـه كتـابه، ما وسع مخالفته، واستعظم أمره فى صدره، لأنه لم يعلم قدر التـوحيـد، ولا لمن نصـره وقـام به من العـز والتمكـين، فى الدنيا ودخول الجنة فى الآخرة، فأرسل إلى الشيخ وقال له: انه أتانا خط من سليمان قائد الأحساء وليس لنا طاقة بحربه ولا اغضابه. فقال له الشيخ: ان هذا الذى أنا قمت به ودعوت إليه كلمة لا إلـه إلا الله وأركـان الإسـلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فان أنت تمسكت به ونصرته فان الله سبحانه يظهرك على أعدائك فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك، فانى ارجـو ان ترى من الظهـور والتمكـين والغلبة ما ستملك به بلاده وما وراءها وما دونها» فاستحيـا عثـمان واعـرض عنه ثم تعاظم فى صدره أمر صاحب الأحساء وباع بالآجل العـاجـل. وذلـك لما علم الله سبحانه الذى يعلم السر وأخفى يعز من يشاء ويذل من يشـاء بيـده الخـير وهـو على كل شيء قديـر، ان نصـر هذا الـدين والظهـور والغلبة والتمكـين يكـون لغـيره، وعلى يد غيره، فأرسـل إلى الشيـخ ثانيا وقال: ان سليمان أمـرنـا بقتلك ولا نقـدر على غضبـه ولا مخالفـة أمـره لأنه لا طاقة لنا بحربه وليس من الشيم والمروءة أن نقتلك فى بلادنا فشأنك ونفسك وخل بلادنا»[2] أ ـ هـ.

مما نقلناه عن ابن غنام وابن بشر نتبين ان ابن معمر آثر الدنيا على الدين وباع العاجل بالآجل لما تعارض فى صدره أمر صاحب الأحساء وأمر الله تعالى فأمر الشيخ بالخـروج، وقـد كان الشيخ يهيء ابن معمر لأمر عظيم، ويرجوه لمكان جليل، وملك عريض ولكن خاب الظن فيـه، ولم ينفـذ القتـل الذى أمر به لأن الله تعالى أراد ظهور

---

(١) روضة ابن غنام ٢/٣.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد ١/ ١٠، ١١.

هذا الـدين على يد غيره، وهـو العليم الحكيم، يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. وقـال تعـالى: ﴿ **ومـا كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله** ﴾ (آل عمـران: ١٤٥). أمـا الشيخ فانه كان رغم ما جرى له من خذلان ابن معمر له على ثقة من ربه، وقد قوى الله إيمانـه حتى صغـر في نفسـه وفي ميـزان إيمانه بعقيدة السلف الصالح أمر صاحب الأحساء وخذلان ابن معمر له، واخراجه من الوطن والمال والأهل والمسكن وبقي لديه إيمانه بصحة عقيدة السلف الصالح وان الله ناصر دينه، وبقي حسن الظن بالله تعالى والثقة به وحده لا شريك له.

قال الشيخ حسين بن غنام:

فقـد جاءنـا يدعـو إلى الـدين بعـدما ... عفـى رسمـه والأرض من نوره قفـر
فجـادلـه الأحـبـار فيـما أتـى به ... من الحق والـبرهـان يكشفـه السـبر
ونـوظـر حتـى الـزم الخـصم عجـزه ... وصـار إليـه الفلج والـورد والصـدر
فعـودى بغـيـا واهـتظـامـا ونـصـرة ... لملة آبـاء عليـهـا مضـى الـعـمـر
وهموا بما لم يدركـوا من وقـيـعـة ... فما نالـه مما أرادوا به ضر
نفـتـه الـعـدا لما جفـتـه أقـارب ... فآواه بل ساواه من خصـه الـبر
فجـاهـد حتـى أطـلع الله بدره ... بآل سعـود حين شد له ازر[1]

والآن إلى الفصل الثانى. وهو: «بحث أثر عقيدة الشيخ في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها آل سعود».

---

(١) روضة ابن غنام جـ ٢/ص ٢٤٠، وانظر: عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر، ط المعارف جـ ١ ص ١٤٥، ١٤٦.

الفصل الثاني
أثرها في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها آل سعود

الشيخ في الدرعية :

فيما يلي أسوق خلاصة خبر وصول الشيخ إليها وما جرى له : «لما وصل الشيخ بلد الدرعية دخلها من أعلاها وقت العصر فنزل على عبدالله بن سويلم تلك الليلة فأقام عنده ذلك اليوم ولعله هو الذى تبرم بوجود الشيخ عنده خوفا على نفسه من محمد بن سعود[1] ثم ان الشيخ انتقل من عنده إلى بيت تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم، فعلم به خصائص من أهل الدرعية فزاروه خفية ورأوه لا يزال على سبيل الرسول ﷺ ثابتا يدعو إلى الله على بصيرة ويقرر لهم التوحيد الذى هو أساس الدين والذى وقعت فيه الخصومة فاستقر التوحيد في قلوب هؤلاء الخصائص فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود ويشيروا عليه بنصرته فهابوه فأتوا إلى زوجته (موضى بنت أبى وهطان من آل كثير)[2] وأخيه ثنيان الضرير، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة فأخبروهما بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهى عنه فوقر في قلوبهما معرفة التوحيد، وقذف الله في قلوبهما محبة الشيخ[3].

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . للدكتور العثيمين ص ٥٤ .

(٢) في الأصل من تاريخ ابن بشر بياض والزيادة من بحث حمد الجاسر: المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣، ٤ .

(٣) انظر: ابن بشر، عنوان المجد جـ ١/١١، ١٢ وط ٣ ص ٢٤ وروضة ابن غنام جـ ١/٣.

اللقاء التاريخي بالأمير الراشد :

وهذه خلاصة أيضا أنقلها عن ابن بشر وابن غنام :

دخل محمد بن سعود على زوجته فأخبرته بمكان الشيخ، وقالت له: إن هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة، فاغتنم ما خصك الله به فقبل قولها ثم دخل عليه أخوه ثنيان وأخوه مشاري وأشاروا عليه بمساعدته ونصرته، وألقى الله سبحانه فى قلبه للشيخ المحبة، فأراد أن يرسل إليه فقالوا سر إليه برجلك فى مكانه وأظهر تعظيمه والاحتفال به لعل الناس أن يكرموه ويعظموه، فقام محمد بن سعود من فوره وسار إليه ومعه أخواه ثنيان ومشارى، فدخلوا عليه فى بيت أحمد بن سويلم فسلم عليه ورحب به وأبدى غاية الاكرام والتبجيل، وأخبره انه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده، وقال أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة، فقال الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين، وهذه كلمة (لا إله إلا الله) من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد وهى كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وأنت ترى نجدا وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم لبعض، فأرجو أن تكون إماما يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك. [(١)] وهكذا تم اللقاء التاريخى، وحصلت البيعة المباركة على ذلك كما سيأتى إن شاء الله.

وأما ما يقال عن اختلاف ابن بشر عن ابن غنام فى تفضيلات ما حدث للشيخ محمد منذ وصوله إلى الدرعية حتى اتفاقه مع أميرها محمد بن سعود[(٢)]. فهو ليس اختلافا ينقض بعضه بعضا ولكن غايته أن ابن بشر انفرد بذكر أمور فيها زيادة بيان مثل ذكره خوف ابن سويلم من نتائج حلول الشيخ فى بيته، وزيارة بعض كبار أهل البلد له سرا، واخبارهم زوجة الأمير بالقضية واشتراكها باقناع زوجها بان يستقبله استقبالا حسنا وهذه الزيادات التى انفرد بها ابن بشر لا تتعارض مع ما اتفقا فيه مثل كون الأمير محمد بن سعود سار إلى الشيخ فى بيت ابن سويلم ورحب به، ووعده النصر والحماية وكون الأمير محمد بن سعود اشترط على الشيخ مقابل تأييده له، عدم

---

(١)انظر: ابن بشر، عنوان المجد جـ ١/١١، ١٢، وطبع وزارة المعارف جـ ١/٢٤، وروضة ابن غنام جـ ١/٣.

(٢) انظر: تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلانى ٩٠-٩١ فقد جعل هذا الاختلاف سببا فى تضعيف رواية ابن بشر وتبعه على ذلك الدكتور العثيمين (الشيخ محمد... حياته وفكره) ص ص ٥٤-٥٥.

مغادرته بلدته ، وأن الشيخ وافقه على ذلك ، وكذلك ما انفرد بذكره ابن بشر وهو شرط آخر اشترطه محمد بن سعود على الشيخ وهو أن يقره على ما اعتاد أن يأخذه من أهل الدرعية ، أقول أن هذه الأمور التى زادها ابن بشر على ما ورد فى تاريخ ابن غنام ليست معارضة مع ما اتفقنا على ذكره، فلا يسوغ تضعيفها بمجرد انفراد ابن بشر بها عن ابن غنام فان ابن بشر موثوق، ولا محل لترجيح ما ذكره أحدهما لعدم التعرض بينهما .

وكون أمر الشيخ معروفا لدى خصائص من أهل الدرعية لا ينفى ما ذكره ابن بشر، ولا يضعفه[١] .

ولا شك أن أمر الشيخ ودعوته إلى عقيدة السلف الصالح منذ ابتدأ به فى حريملاء والعيينة من قبل ليس مجهولاً فى الدرعية ، بل كان فيها من يعرفه معرفة جيدة وكان له فيها اتباع وتلاميذ كانوا يترددون عليه فى العيينة ويحضرون حلقات دروسه ويأخذون عنه ويكاتبونه ويجيبهم من هؤلاء الذين يعرفونه ثنيان ومشارى أخوا الأمير محمد بن سعود والشيخ أحمد بن سويلم وجماعة سواهم[٢] وعبد العزيز بن محمد بن سعود فقد كان يكاتب الشيخ وكتب له الشيخ تفسير سورة الفاتحة[٣] وبين له من خلال تفسيره الأمر العظيم الذى خلق الله لأجله الجن والإنس وهو عبادة الله وحده وعدم الاشراك به فى العبادة وفى ثنايا تفسيره كأن الشيخ يرمز لعبد العزيز بمقام من يقوم بالتوحيد فيستشهد له ببيت الشعر المعروف والذى هو :

قد هيئوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل[٤]

ولقد كان أتباع الشيخ فى الدرعية يتتبعون أخباره ويتشوفون إلى نصرته .

البيعة المباركة :

بعد أن تم لقاء الأمير محمد بن سعود بالشيخ محمد بن عبد الوهاب كما أسلفت فى بيت ابن سويلم وسلامه على الشيخ وذكر الشيخ ما كان عليه رسول الله ﷺ وما

---

(١) انظر: تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلانى ٩٠-٩١، والشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور العثيمين ص ص ٥٤-٥٥ .

(٢) روضة ابن غنام ١/٣١، وانظر: تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور العجلانى ص ٩٧ .

(٣) روضة ابن غنام ١/٢٢٢ .

(٤) المصدر السابق ١/٢٢٣ .

دعا إليه وما عليه أصحابه وما أعزهم الله به من الجهاد فى سبيله وأغناهم به وجعلهم إخوانا، ثم ذكر ما عليه أهل نجد فى زمانهم من مخالفتهم بالشرك والبدع والاختلاف والجور والظلم، فتحقق محمد بن سعود معرفة التوحيد وفضله ورأى بعد الناس فى الواقع عنه فقال للشيخ ياشيخ: إن هذا دين الله ورسوله، الذى لا شك فيه وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد، ولكن اريد أن أشترط عليك اثنتين :

الأولى : نحن إذا قمنا فى نصرتك والجهاد فى سبيل الله، وفتح الله لنا ولك البلدان أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا.

الثانية : ان لى على أهل الدرعية قانونا آخذه منهم فى وقت الثمار، وأخاف أن تقول: «لا تأخذ منهم شيئا».

فقال الشيخ :

أما الأولى : فابسط يدك. الدم بالدم والهدم بالهدم.

وأما الثانية : فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها[1].

ويقول الدكتور الغنيمين[2] إن إجابة الشيخ عن الشرط الثانى غير حاسمة ولكن من الواضح ان الشيخ قارن بين المصلحة العامة لدعوته وبين مسألة جزئية كان واثقا من حلها مستقبلا بسهولة، وهو كما قال[3] ثم ان محمدا بسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد فى سبيل الله واقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده. ووقع تحقيق ظن الشيخ فإنه أتى إليهم غنيمة، فقال الشيخ للأمير: هذا أكثر مما أنت أخذته على أهل بلدك فتركها بعد ذلك[4].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد ١/١٢.

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . ص ٥٥.

(٣) علق الدكتور صالح الفوزان على ذلك بقوله: «الذي أراه أن جواب الشيخ كان حاسماً بالمنع حيث قال: يعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها» وهذا «واضح فى المنع لكن بعبارة حكيمة وبشارة بالغنائم بما أباح الله عن الحرام على حد قوله تعالى: ﴿ وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ﴾ أ ـ هـ.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد ١/١٢.

ولا أدل على بركة الإسلام ولله الحمد مما أولاه الله من نعم على هذه البلاد من المال والأمن منذ العهد المبارك والبيعة الصادقة إلى يومنا هذا وما تخلف شيء من ذلك إلا بسبب المخالفة وكلما راجع القوم عهدهم عاد الله عليهم بعائدته ولله الحمد والمنة .

ومعنى قول الشيخ : الدم بالدم والهدم بالهدم أى أقبر حيث تقبرون ومنزلكم منزلى ، وان طلب دمكم فقد طلب دمي وان هدر دمكم فقد هدر دمي[1] وهذا فيه اشارة إلى ما ورد فى سيرة ابن هشام ان أبا الهيثم بن التيهان قال يارسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالا وانا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله ان ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم قال: بل الدم بالدم ، والهدم بالهدم أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم . قال ابن هشام . ويقال: الهدم الهدم أى ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم[2] .

أثر العقيدة السلفية ينشط فى الدرعية :

ولما استقر الشيخ فى الدرعية ومنع ونصر وجهر بالدعوة إلى الله تعالى معززا ، ينشر الإسلام وساعده على ذلك الأمير محمد بن سعود بكل ما لديه بلا فتور ولا ضجر وقام مع الأمير وزراؤه وأعوانه وأنصاره من أهل الدرعية وإخوانه ومن مشاهيرهم ثنيان بن سعود ومشارى بن سعود وفرحان بن سعود والشيخ أحمد بن سويلم والشيخ عيسى بن قاسم ومحمد الحزيمي وعبد الله بن دغيثر وسليمان الوشيقرى وحمد بن حسين وأخوه محمد وغيرهم فجردوا للدعوة هممهم وعزائمهم وقاموا بها من غير كسل ولا تهاون وكانت بداية هذه القومة فى سنة سبع وخمسين ومائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ[3] .

وبقي الشيخ ـ رحمه الله ـ على مناصحة الناس وعرض الحق وبيانه وكشف الشبه عنه قريبا من سنتين ، وخلال ذلك كان قد تسلل إليه أنصاره الذين فى العيينة ومن ينتسب إلى الدين ومعهم أناس من رؤساء المعامرة منهم عبد الله بن محسن واخواه زيد وسلطان المعامرة معاكسين لعثمان بن معمر على ما يقول ابن بشر[4] وعبد

---

(١) انظر: لسان العرب ١٨٥ .

(٢) الروض الانف ١٨٩/٢ ، ٢١٤ .

(٣) عنوان المجد ١٢/١ . روضة ابن غنام ٤/٢ . والمقصود بالمعامرة ـ آل معمر .

(٤) عنوان المجد ٤٠٣/٢ .

الله بن غنام وأخوه موسى وهاجر مع هؤلاء خلق كثير كما أخذ كثير من أنصار الشيخ وتلامذته في مختلف بلدان نجد يقدمون عليه ويهاجرون إليه[1]، حتى ان عثمان بن معمر نفسه على ما يقول ابن بشر لما علم ان محمد بن سعود آوى الشيخ ونصره وان أهل الدرعية فرحوا به والذين كانوا عنده في بلده هاجروا وتركوه وان أمر الشيخ قوى وصار إلى زيادة، ندم ابن معمر على ما فعل من اخراجه وعدم نصرته، وخاف منه أمور تفاقم عليه، فركب في عدة رجال من أهل العيينة ورؤسائها فقدم على الشيخ في الدرعية، وحاوله على الرجوع معه ووعده نصره ومنعه - فقال الشيخ: ليس هذا إلي إنما هو إلى محمد بن سعود، فان أراد أن أذهب معك ذهبت، وان أراد أن أقيم عنده أقمت ولا استبدل برجل تلقاني بالقبول غيره، إلا ان يأذن لي فأتى عثمان إلى محمد، فأبى عليه ولم يجد إلى ما أتى إليه سبيلا فرجع إلى بلده[2]، وكان أهل الدرعية في غاية الجهالة وقد وقعوا فيما وقعوا فيه الشرك الأكبر والأصغر والتهاون بالصلاة والزكاة ورفض شعائر الإسلام[3] وهم يومئذ في غاية الضعف وضيق المؤونة[4]، فتخولهم الشيخ بتعليمهم وتلقينهم التوحيد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأمر بتعلم معنى (لا إله إلا الله) وانها نفي وإثبات.

(فلا إله) تنفي جميع المعبودات - (وإلا الله) تثبت العبادة لله وحده لا شريك له. ثم أمرهم بتعلم ثلاثة الأصول: وهى معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته الدالة على ربوبيته وإلهيته، كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والسحاب المسخر بين السماء والأرض وما عليها من الأدلة من القرآن. ومعرفة الإسلام وانه تسليم الأمر لله وهو الانقياد لأمر الله والانزجار عن مناهيه. ومعرفة أركانه التى بنى عليها وما عليها من الأدلة من القرآن ومعرفة النبى ﷺ واسمه ونسبه ومبعثه وهجرته ومعرفة أول ما دعا إليه وهى (لا إله إلا الله) ثم معرفة البعث وأن من أنكره أو شك فيه فهو كافر. وما على ذلك من الأدلة من القرآن والسنة، ومعرفة دين محمد ﷺ وأصحابه وهو التوحيد ودين أبى جهل واتباعه وهو الشرك بالله تعالى.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) عنوان المجد ١/ ١٣. وروضة ابن غنام ٢/ ٤.
(٣) المصدر السابق ١/ ١٤.
(٤) المصدر السابق ١/ ١٣.

فلما استقر فى قلوبهم معرفة التوحيد بعد الجهالة أشرب فى قلوبهم محبة الشيخ وأحبوا المهاجرين وآووهم[١].

وكان المهاجرون فى أضيق عيش وأشد حاجة وابتلوا بلاء شديدا، وكان الشيخ ينفق عليهم ما استطاع ويستدين لذلك وكانوا فى الليل يأخذون الأجرة ويحترفون، وفى النهار يجلسون عند الشيخ فى درس الحديث والمذاكرة[٢].

انطلاق الدعوة وبدء الجهاد :

ثم ان الشيخ كاتب أهل البلدان ورؤ ساءهم وقضاتهم ومدعي العلم منهم فمنهم من قبل واتبع الحق، ومنهم من اتخذه سخريا واستهزؤ ا به ونسبوه إلى الجهل وعدم المعرفة ومنهم من نسبه إلى السحر، ومنهم من رماه بأشياء هوبرىء منها[٣]، واستمر الشيخ على المناصحة والدعوة والمكاتبة مدة سنتين حتى عام ١١٥٩هـ من غير غزو ولا مقاتلة وممن قام الشيخ والأمير محمد بن سعود بمناصحته دهام بن دواس رئيس بلد الرياض فاجتهدا فى مناصحته غاية الاجتهاد ولكن دهاما لم يقبل الحق واعرض عنه واشترى الحياة الدنيا بالآخرة، فحمله ذلك على البغى والحسد فأبطن عداوة أهل الدين رغم اقراره بانه دين الحق واظهر موالاة المبطلين. وكان قد فشا الإسلام والسنة فى بلده ودخل فى ذلك كثير منهم فصار إذا رأى من جماعته من يحب هذا الدين ويفشيه أخذ يصادره ويتعرض له بصنوف الأذى، وإذا رأى عدوا قربه وآواه وجعل يتزايد فى العداوة ويتظاهر بقمع الحق ويعلن القبائح الشنيعة وقد كانت أخلاقه القديمة وأفعاله السابقة غير محمودة ولما جاءه الحق زاد فى طغيانه وشره، وحاكى بأفعاله الفاجرة نمرود وفرعون فأخاف أهل منفوحة لأنهم دخلوا فى دعوة الشيخ وتبعوا الإمام محمد بن سعود فعدا عليهم صباحا ومعه بعض البوادى من آل ظفير على غرة وغفلة لانهم ما كانوا يتوقعون ذلك منه وهو صديق لمحمد بن سعود فيما يتظاهر به لان محمد بن سعود سبق ان اعانه على ثورة من أهل الرياض ضده ولكنه فجأهم واحتل قصر الامارة وقهرهم ساعة ثم ان الله سبحانه اعقب أهل منفوحة بالنصر والفرج فكانت الدائرة على دهام وحزبه وقتل من أشرارهم ورؤ سائهم أحد عشر رجلا تقريبا

---

(١) المصدر السابق ١/١٤.

(٢) المصدر السابق ١/١٣.

(٣) المصدر السابق ١/١٤.

وجرح دهام نفسه وعقر حصانه فهرب هو ومن معه وقد باء بالفشل، ولكنه قد افتضح باظهاره عداوة أهل الدين فزاده ذلك تماديا وأعلن محاربة محمد بن سعود لاجل ذلك ونذر جزوراً لتاج بن شمسان ان تغلب على ابن سعود[1].

عند ذلك أمر الشيخ بالجهاد وحض عليه[2]، وكان هذا في سنة ١١٥٩هـ بعد مضى سنتين من اتفاق الأمير محمد بن سعود مع الشيخ على القيام بالإسلام لأن وقت الجهاد قد حان وهو من واجبات الدين والخطر أصبح وشيكا على النفس والحرمة والفتنة كائنة على أهل السنة وليس من ذنب ينقمه العدو إلا الإيمان بالله واقامة سنة رسوله ﷺ وقد قامت عليه الحجة.

والأمر كما قال أبو تمام :

وما هو إلا الوحي أو حد مرهف ... تميل ضباه أخدَعيْ كل مائل
فهذا دواء الداء من كل عاقل ... وهذا دواء الداء من كل جاهل
هو الحق ان تستيقظوا فيه تغنموا ... وان تغفلوا فالسيف ليس بغافل[3]

وكما قال شوقي يعني رسول الله ﷺ :

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا ... لقتل نفس ولا جاؤا لسفك دم
جهل وتضليل وأحلام وسفسطة ... فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما اتى لك عفوا كل ذى حسب ... تكفل السيف بالجهال والعمم[4]

وكما قال شاعر :

وما الدين إلا أن تقام شريعة ... وتأمن سبل بيننا وشعاب[5]

وأبلغ من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين** ﴾ (البقرة: ١٩٣).

وقد قال الشيخ في رسالته إلى السويدى : « وأما القتال فلم نقاتل أحدا إلى

---

(١) روضة ابن غنام ٢/٦،٧.
(٢) ابن بشر، عنوان المجد ١/١٤.
(٣) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص ٨٤، وابن بشر، عنوان المجد من تعليق عبد الرحمن بن عبد اللطيف ١/ص ٢٦.
(٤) الشوقيات جـ ١/٢٤٢.
(٥) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص ٨٤.

اليوم إلا دون النفس والحرمة وهم الذين أتونا فى ديارنا ولا أبقوا ممكنا[١] ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وكذلك من جاهر بسب دين الرسول ﷺ بعدما عرفه والسلام»[٢].

ومنذ بلغ ابن سعود وإخوانه من المسلمين غدر دهام بن دواس واعتداؤه على أهل الدين حدثوا نفوسهم بالجهاد فى سبيل الله تعالى وحين رآه الشيخ متعينا لمثل غدرات ابن دواس وغيره بأصحاب السنة المحمدية، أمر به وحض عليه فتعاهدوا على أن تكون أول عدوة يعدونها مبتدئين بها جهاد أعداء الدين على دهام بن دواس فى قصره، فكان ذلك ووفوا بعهدهم[٣].

فأقاموا علم الجهاد فى سبيل الله، لأن الجهاد فى سبيل الله من الواجبات الدينية وهو ذروة سنام أمر الدين[٤].

وما زالوا على ذلك يجاهدون فى سبيل الله وينشرون دين الله تعالى ومحمد بن سعود إمامهم صابر على عداوة الأدنى والأقصى من أهل نجد ومن الملوك المجاورين من كل جهة، وقتل أولاده فيصل بن محمد، وسعود بن محمد، فما زاده إلا قوة وصلابة فى دينه على ضعف منه وقلة فى العدد والعدة، وكثرة من عدوهم وفاء بعهده والتزاما بوعده، واحتسابا لموعد ربه لمن نصر دينه، وفيما جرى منه شبه بما جرى من الأنصار فى بيعة العقبة[٥].

وليس الأمر كما يزعمه بعض الباحثين فى عصرنا هذا حتى ماثل بعض المستشرقين من غير قصد ان الحروب الإسلامية كان يدفعها جوع المسلمين ومشكلات دنيوية فزعم هذا الباحث أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يخطط لدعوته مراحل، وانه أمر بالجهاد «لتنتقل دعوته إلى مرحلة جديدة ينال فيها بالقوة ما عجز عنه بطريقة الاقناع والاغراء»[٦] وان الأمير محمد بن سعود كان مستعدا للقتال من أجل الدعوة خاصة انها وسيلة من وسائل توسيع نفوذه، وامكان تحقيق كثير من

---

(١) المعنى: لم يبقوا شيئا ممكنا من اذانا إلا فعلوه.
(٢) روضة ابن غنام ١/١٥٤.
(٣) روضة ابن غنام ٢/٧، عنوان المجد... لابن بشر ١/١٧-١٨.
(٤) انظر: آخر رسالة الأصول الثلاثة للشيخ.
(٥) انظر: الدرر السنية جـ ١١/ ص ٦١، ٦٢.
(٦) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور العثيمين ص ٨٥.

النجـاح العسكـرى فى بدايـة الأمـر دون تدخـل خارجى ، وأن امكـانيـات الـدرعية الاقتصـاديـة محدودة وكـان على قادتهـا ان يجدوا حلا لمشكلة ازدياد الوافدين إليها من أنصـارهم الفقـراء ، وان هؤلاء الـوافـدين مؤهلون لأن يلعبـوا دورا كبيرا فى تأسيس جيش قوى[1].

فكـل هذه الالتـواءات والتعليـلات مكشـوفـة يراد منهـا ان الشيخ وابن سعود واتبـاعهم إنـما قاتلوا للظفـر والنفوذ وحل المشكلة الاقتصادية . وهذا غير صحيح . أما ان الشيخ رحمه الله أمر بالجهاد فنعم أمر به حين رأى أن وقت الجهاد قد حان تعبدا لله تعالى وجهادا فى سبيله بكل أنواع الجهاد وأحواله التى تحدث لهم بحول الله وتدبيره والشيخ يرصد حاله وأحوال من معه وما يجرى لها من تغيرات ويستلهم من شريعة الله أحكـام تلك الأحـوال المتغيرة فيقوم بتنفيذها تعبدا لله وقياما بالواجب الذى فقهه من دين الله تعـالى ، وكـذلـك من كان معـه على شيء من فقـه الإسـلام والتحدث عن مقـاصـد الشيـخ ومقـاصـد أمثـالـه وأعوانه على ضوء قياسها بمقاصد أهل السياسة الـدنيـويـة والخطـط الماكرة فى سبيل الدنيا يعتبر ظلما وتعديا عليه وقصورا عن مستوى حسن الظن بالمسلم ولكن الـواجب إذا تحدثنـا عن مقـاصد الشيخ ونواياه أن نتحدث عنها على ضوء ما يظهره ويدعو إليه ، أما السرائر وما لا نعلمه فنكله إلى الله تعالى مع وجوب حسن الظن فيمن يظهر منه الخير والرشد والصلاح . وكذلك محمد بن سعود لا نظن به انه قام بنصرة الإسلام لانه وسيلة لتوسيع نفوذه أو استقلاله عن سيادة الاتراك كما يقـولـه صاحب كتـاب الفكر السامى[2] . فانه إنما قام بنصرته لانهُ دين الله ورسوله ﷺ بالـدرجـة الأولى ـ كما قال ذلـك عنـد لقـائـه بالشيخ رحمه الله ، وما كانت ظروف الـدرعيـة المشكلة من ناحيـة الاقتصاد هى الدافع للقتال فان أولئك القوم تركوا تنمية اقتصـادهم مختـارين ليقوموا بتنمية دينهم وعلمهم به فكيف ينحرفون لحل مشكلاتهم الاقتصـاديـة بالقتال وسفك الدماء ليأخذوا أموال الناس ويستولوا على أملاك الغير ، بطـريقـة جاهلية الا يمكن حل مشكلتهم الاقتصادية بالتجارة ومزاولة أسباب المعيشة ولـو فى خارج البلدة لو كانـوا إنما أرادوا حل المشكلة الاقتصادية؟ لكنهم بالجهاد أرادوا

---

(١) المصدر السابق ، نفس الموضع .

(٢) الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى جـ ٢ ص ٣٧٤ .

اعــلاء كلمــة الله ونشــر الإســلام ومــا جاءهم من الغنــائم من غير أن يقصــد، قبلوه وتعاملوا به على ما يرضى الله تعالى.

وليس صحيحا ما يزعمه مؤلف كتاب الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى محمد بن الحسن الحجوى الثعالبى الفاسى من ان ابن سعود توصل بنشر دعوة الشيخ محمــد بن عبــد الــوهــاب لامنيتــه وهى الاستقــلال والتملص من سيــادة الأتراك[1]. والــواقــع ان ابن سعــود ونجدا كلها لم تكن تحت سيادة الأتراك كما أثبتناه فيما سبق[2]، وابن سعود كان مستقلا ليس لأحد عليه ولاية من الأمراء والسلاطين حتى ان العداء كان قائما بينه وبين سليمان بن محمد زعيم بنى خالد ورئيس الأحساء[3].

محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود :

يتفق الدكتور العجلانى والدكتور العثيمين على استقرار إمارة الدرعية عشرين سنــة فى يد محمــد بن سعــود قبــل مبــايعتــه للشيــخ مما يدل على حكمة الرجل وحسن سيــاستــه وقضــائه على دسائس المنافسين فى الداخل والدفاع ضد الأعداء والطامعين من الخــارج ويبــدو انــه على صلات حسنــة مع أمير العيينة لأن ابنه عبد العزيز تزوج بنت عثمان بن معمــر، وأمــا أمــير الــرياض دهام بن دواس فانه كان مدينا لمحمد بن سعود ببقائه فى الامارة لانه أنجده بعدد من الجنود حين ثار عليه أهل الرياض فاستقر له الحكم[4].

وعلى أية حال فإذا كان ليس أحد يصلح للسياسة والحكم والامارة[5] فإن محمد بن سعــود قد امتــاز على غيره بها وهبــه الله من ملكــات الامــارة والحكم وانه كما يقول المؤرخ حســين بن غنــام : «كــان فى جاهليتــه بحسن الســيرة معــروفا وبالوفاء وحسن المعاملة موصوفا، مشهورا بذلك دون من هنالك وكان من وفائه ان وفى بكفالته لزيد

---

(١) الفكر السامى . . . ٢/٣٧٤.

(٢) انظر ص (٢٧) من هذا البحث.

(٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . للدكتور العثيمين ص ٥٣.

(٤) روضــة ابن غنــام ٢/٥، ٦، وانظر: تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور العجلانى ص ٦٣، ٦٤ - وانظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدكتور العثيمين ص ٥٣.

(٥) انظر: فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، رسالة ماجستير، أعدها صالح العبود ص ص ١٢٥-١٢٦.

بن مرخان وفاء كلفه ثمنا باهظا أدى إلى قتل عمه مقرن بن محمد لما خفر الأخير ذمة ابن أخيه بقتله زيد بن مرخان غدرا(١)، ثم ان الأمير محمد بن سعود(٢) قد أدرك بصفاء بصيرته وسلامة تفكيره انه لا مطمع للشيخ فى الامارة ولا فى الرئاسة ولا فى أى علو فى الأرض ولا فساد من دعوته بل ان دعوته إلى صلاح الدين والدنيا معا، إلى عقيدة السلف الصالح وتيقن من خلال ما سمعه من الشيخ ورآه ان نصيحته صادقة وعرضه صحيح وأن القيام بنصر دين الله ورسوله ﷺ سبب للنصر والعز والتمكين وحصول الملك، وزاد يقين الأمير رسوخا ما بينه الشيخ له من ان الله سيمكن من يقوم بنصر (لا إله إلا الله) ويعزه ويورثه الملك، وان الأمة بحاجة إلى اقامة الدين، واصلاح ماأفسد الناس، وأن هذا واجب عليه.

فقبل محمد بن سعود وأصبح هو المؤسس لدولة آل سعود وهو الذى سن سنة حسنة لبنيه بمناصرة دين الله واكرام علماء السنة وهذا ما يحققه الدكتور العجلانى أيضا حيث يقرر ان مؤسس دولة آل سعود هو محمد بن سعود بمبايعته للشيخ محمد بن عبد الوهاب على اخلاص العبادة لله وحده واتباع حكم الإسلام الصحيح فى سياسة البلاد(٣) واقامة علم الجهاد فى سبيل الله تعالى.

وأقول ان مبايعته للشيخ على ذلك لدليل على عظيم عقله، وبعد همته وطموحه وتوفيق الله له.

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم:

«وكفى برهانا على شجاعته وثبات جأشه وشهامته وارادته الحديدية، وعزمه البات، وقوة إيمانه وسائر خصاله الحميدة ايواؤه للشيخ، وقيامه بنصرته، وقد رأى وعلم ما وراء ذلك من الأخطار، وتأليب الملوك والأمراء، وعامة الناس عليه، ولولا انه هو الأوحد، فرد زمانه، لما نجح فى توطيد دعائم ملكه ونشر سلطته على البلدان وتوحيد كلمة التوحيد تحت لوائه بين خطوب سود، ونضراء أقوياء، وتكالب من جميع أطراف جزيرة العرب، فلهو القائد الباسل، والأوحد الحلاحل فما قام بنصرة هذا

---

(١) روضة ابن غنام ٣/٢.

(٤) انظر: عنوان المجد لابن بشر سابقة سنة ١١٣٩ جـ ١/٢٣٤-٢٣٥.

(٣) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ص ٤٦، ٤٧.

الشيخ والأخذ بساعده إلا عن اعتقاد راسخ وإيمان قوى[1].

ونستطيع ان ندرك من خلال حديث اللقاء والبيعة بينه وبين الشيخ أنه مدرك لحقيقة الإسلام ومميز لما هو من دين الله ورسوله من غيره بما آتاه الله من صفاء الفطرة ونفوذ البصيرة وما بلغه من الحجة على يد الشيخ وغيره فكان من صدقه ووفائه استجابته وعدم استنكافه عن قبول الحق لما جاءه وان كان قد جاءه من مستضعف ثم ادرك شيئا بعيدا فاشترط على الشيخ ان نصرهم الله ان لا يرتحل عنهم إلى غيرهم لانه رحمه الله ذو فراسة وذكاء ومن أعظم العقلاء، وانه حين لقى الشيخ ورآه عرف الصدق فى وجهه وبديهته وتحقق فى قوله وحاله حلية أولياء الله وكل عاقل يرغب فى أولياء الله وفى قربهم وفعلا وقع ما كان يتوجسه محمد بن سعود من مجىء ابن معمر نادما يطلب عودة الشيخ إليه[2].

وحيث كان شأن العاقل ان ينقاد لأولياء الله فقد انقاد الأمير محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبد الوهاب لأن الأمير من أعظم عقلاء زمانه والشيخ من أعظم أولياء زمانه.

قال أبو نعيم فى حلية الأولياء: «واعلم ان لأولياء الله تعالى نعوتا ظاهرة وأعلاما شاهرة، ينقاد لموالاتهم العقلاء والصالحون، وذكر من نعوت هؤلاء الأولياء ما رواه بسنده عن رسول الله ﷺ: «رب أشعث ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس لو اقسم على الله عز وجل لابره»[3].

وكان الشيخ فى تلك الآونة ضعيفا مستضعفا أشعث من السفر قد نبت عنه أعين الناس، أهل الدنيا والباس إلا أنه من أولياء الله ومن العلماء بشريعة محمد ﷺ الأمناء، فلا ينقاد له ويوافقه إلا ذو عقل صريح كما هو الشأن من موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح فكان بتوفيق الله ومعونته وفضله على أهل الجزيرة ان وفق لأمير عظيم الفراسة كبير القلب راجح العقل حيث اغتنم أعظم فرصة وغنيمة سيقت إليه وكانت سبب ارتفاعه وارتفاع ذكره وذكر نسله من بعده وعزه فى الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى فرحمة الله عليه وعلى خلفه من اسلاف صالحين وبارك فى المعاصرين

---

(١) الدرر السنية ١٢/ ٢٩.

(٢) انظر: ص ٦٦٥ من هذا البحث.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبى نعيم ١/ ٥-٧.

من خلفه وثبتهم على أسباب رضى رب العالمين، الذى هوعزهم وسبب نصرهم آمين. هذا ومازال الإمام محمد بن سعود وفيا بالعهود حتى لقى ربه.

وبعد وفاة الإمام محمد بن سعود سنة ١١٧٩هـ بويع لابنه عبد العزيز بن محمد إماما للمسلمين، بايعه الخاص والعام، والشيخ محمد هورأس ذلك النظام[١].

وللإمام عبد العزيز مكانة خاصة من أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية فمنذ ان كان صغير السن كان له اهتمام بعلم الشيخ فلقد كتب للشيخ والشيخ إذ ذاك فى العيينة عند ابن معمر يسأله ان يكتب له تفسير الفاتحة، فكتب الشيخ ذلك، وقد ضمن تفسير سورة الفاتحة عقيدة السلف الصالح، وأرسلها إلى الأمير عبد العزيز وقد ناهز الاحتلام[٢]، وما من شك ان تلقي العلم فى هذه الفترة من العمر له كبير الأثر والرسوخ.

ولذا فقد اجتمع فى الإمام عبد العزيز مؤهلات الامارة وملكاتها ومواهبها مع رسوخه فى العلم وسلامة العقيدة منذ نعومة اظفاره فهوليس أميرا يناصر الحق بقوة السلطان فحسب بل مع ذلك عالم ينصر الحق بقوة الحجة والبرهان.

ولهذا الإمام رسالة جليلة القدر، لها أثر كبير وواسع فى نشر عقيدة السلف الصالح افتتحها بالثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله - ثم قال: من عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من العلماء والقضاة فى الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المشرق والمغرب ثم أخذ يشرح عقيدة السلف الصالح بالبيان الواضح والأدلة القويمة والبراهين العظيمة فتكلم عن الحكمة من ايجاد الله الخلق، ومعنى كلمة التوحيد والشفاعة والوساطة وحق الله وحق رسوله ﷺ وأوليائه، وعن خصوم أنصار العقيدة السلفية خصوصا أنصار الشيخ الإمام، وعن ارادة الله القدرية الكونية وارادته الشرعية، وأن المشروع للموتى وللنبى ﷺ الدعاء لهم لا دعاؤهم، وبيان ما يفعل عند قبره ﷺ والمأثور من نهيه عن اتخاذ قبره ﷺ عيدا وحديث شد الرحال، والنهى عن اتخاذ القبور مساجد، وانكار عبادة القبور بالدعاء وغيره وبيان كونها شركا، وأن حقيقة التوحيد تقتضى الإيمان بالله وعبادته وحده وعدم الشرك به

---

(١) روضة ابن غنام ٢/٧٤.
(٢) انظر: روضة ابن غنام، جـ ١ ص ٢٢٢ وما بعدها. وانظر: ص ٤٩٩ من هذا البحث.

ووصف دين المشركين وبيان الشرك الأصغر والأكبر وبيان التوسل الصحيح، والنهى عن الاقسام على الله بمخلوق. ثم يُبين ما هى الوسيلة؟ ويُكمل وجوه الرد على المشبهين بالحديث لتجويز دعاء غير الله تعالى، ويبين ان العادة هى عداوة القبوريين لأهل التوحيد ورميهم إياهم بالعظائم والجرائم، ونسبة كل قبيح إليهم وتنفير الناس عن الموحدين بانهم يتنقصون الصالحين، ثم ختام هذه الرسالة بالتوجيه إلى القرآن الكريم وإلى حديث الرسول ﷺ والعمل بهما والاستغناء بالسنة النبوية عن البدع والشرك والتخرصات والشطحات التى هى وساوس الشيطان والنفوس المتبعة للهوى. وقد استغرقت هذه الرسالة ما يقارب من (٣٤) صفحة كبيرة[١].

وله رسالة إلى من يراه من أهل بلدان العجم والروم أرسلها مع رجل منهم اسمه محمد خلفا النواب وفد عليهم واقام عندهم مدة طويلة واشرف على ما هم عليه من الدين الحق وما يدعون إليه الناس ويقاتلونهم عليه ويأمرونهم به وينهونهم عنه ويقول فى تلك الرسالة ان حقائق ما عندنا يخبركم بها اخونا محمد من الرأس وذكر لهم جملة ما هم عليه من عقيدة السلف الصالح[٢].

وكتب أيضا إلى أهل المخلاف السليمانى بناء على طلب واحد منهم اسمه الشريف أحمد قدم عليهم ورأى ما هم عليه وتحقق صحة ذلك لديه ثم التمس من الإمام عبد العزيز ان يكتب له ما يزيل الاشتباه ليعرف أهل هذا المخلاف دين الإسلام وعقيدة السلف الصالح فضمنها ذلك رحمه الله ومما قال: «فلما منّ الله علينا بمعرفة ذلك وعرفنا انه دين الرسل اتبعناه، ودعونا الناس إليه، والا فنحن قبل ذلك على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله من عبادة أهل القبور والاستغاثة بهم والتقرب إلى الله بالذبح لهم وطلب الحاجات منهم مع ما ينضم إلى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وارتكاب الأمور المحرمات وترك الصلوات وترك شعائر الإسلام حتى أظهر الله تعالى الحق بعد خفائه واحيى أثره بعد عفائه على يد شيخ الإسلام فهدى الله تعالى به من شاء من الأنام وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ احسن الله له فى آخرته المآب فأبرز لنا ما هو الحق والصواب من كتاب الله المجيد وسنة رسوله ﷺ وكلام الأئمة الأعلام الذين أجمعت الأمة على درايتهم. ثم مضى يبين ما هم عليه من التزام عقيدة السلف الصالح.

---

(١) الهدية السنية لابن سحمان. أولها.

(٢) الدرر السنية جـ ١ ص ١٤٣-١٤٦.

وله رسائل أخرى ونصائح رحمه الله موزعة فى الدرر السنية وغيرها[1].

وطلب الإمام عبد العزيز من الشيخ محمد، أن يكتب رسالة موجزة فى أصول الإسلام ليتعلمها الناس، فكتب الشيخ ثلاثة الأصول، وهى معرفة الرب المعبود، والرسول ﷺ، ودين الإسلام بالأدلة، مبنية على مسائل القبر الثلاث من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وأرسلها الإمام عبد العزيز إلى جميع النواحى وأمر الناس أن يتعلموها فى المساجد على يد أئمتها وطلبة العلم، وان يعملوا بها جميعا بدون استثناء، فصاروا يسألون الناس فى المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشائين عن معرفة ثلاثة الأصول.

وقد كتب بصيغ مختلفة مطولة ومختصرة وباللغة الفصحى وبالعامية على حسب طبقات الناس، وعلى مستوى كل طبقة وما يناسبها وكان الشيخ يعلمها الناس فى الدرعية ويأمرهم بتعلمها[2]، والحق بها شروط الصلاة وأركانها ونحوذلك من أمور الدين التى لا يسع أحدا من المسلمين جهله.

وأرسل الإمام عبد العزيز برسائل للشيخ منها كتاب التوحيد إلى الوزير سليمان باشا فى بغداد نصيحة له[3]، فأحالها الباشا إلى عبد الله أفندى الراوى البغدادى خطيب المسجد المنسوب للوزير سليمان باشا، فقام الراوى بالرد عليها برسالة مضمونها ان التوحيد مختص بمعنى الربوبية فالإله اسم مختص بالخالق الرازق الضار النافع فحسب[4]. فرد عليه محمد بن علي بن غريب بالكتاب المسمى: «التوضيح عن توحيد الخلاق فى جواب أهل العراق» وفند شبهه، وكسر تحدياته وأرسل إليهم فى العراق ووجد مخطوطا فى بغداد عند رجل يقال له الملا دليم ـ ليس له عنوان، وليس عليه اسم مؤلفه. ثم طبع عام ١٣١٩هـ بالمطبعة الشرقية بمصر وجعل اسمه: «التوضيح عن توحيد الخلاق فى جواب أهل العراق» ونسب تأليفه للشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وليس له، وإنما هو لشيخه محمد بن غريب المذكور، ذلك أن فى الكتاب مسائل يبعد أن تصدر من الشيخ سليمان فى علمه وتحقيقه، مثل قوله: «فالله تعالى كان ولا مكان، ثم خلق المكان، وهو تعالى كما كان

---

(١) الدرر السنية جـ ١ ص ١٤٦ـ١٤٨، وانظر: ص ١٥٢، ١٥٣.

(٢) عنوان المجد لابن بشر جـ ١ ص ١٤ وص ٩٠، ٩١.

(٣) الدولة السعودية الأولى، للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ص ١٩٢.

(٤) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق فى جواب أهل العراق ص ص ١٠، ١٧.

قبل أن يخلق المكان»[١] ومثل هذه العبارة ليست على طريقة السلف في العقيدة فان المعطلة يقصدون بها: نفي استواء الرب على عرشه استواء حقيقيا يليق بجلاله[٢] بالاضافة إلى أن صاحب السحب الوابلة ذكر أن ابن غريب هو الذى رد على أهل العراق.

ويوجد لكتاب التوضيح هذا نسخة خطية فى المكتبة السعودية بالرياض ناقصة من الآخر قليلا بخط حسن، وعليها تملك الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ عام ١٣١٩هـ ثم انتقلت منه إلى أخيه الشيخ محمد بن عبد اللطيف[٣].

وبغض النظر عن الغلط الموجود فى الكتاب كما ذكرنا فهو ذو أثر بالغ فى نشر عقيدة السلف الصالح خصوصا فى بيان معنى التوحيد.

ويقول ابن بشر:

وكان عبد العزيز كثير الخوف من الله والذكر. آمر بالمعروف ناهيا عن المنكر لا تأخذه فى الله لومة لائم. ينفذ الحق ولو فى أهل بيته وعشيرته لا يتعاظم عظيما إذا ظلم فيقمعه عن الظلم، وينفذ الحق فيه، ولا يتصاغر حقيراً ظلم فيأخذ له الحق ولو كان بعيد الوطن. وكان لا يكترث فى لباسه ولا سلاحه، بحيث ان بنيه وبنى بنيه محلاة سيوفهم بالذهب والفضة ولم يكن فى سيفه شيء من ذلك إلا قليلا. وكان لا يخرج من المسجد بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس، ويصلى فيه صلاة الضحى. وكان كثير الرأفة والرحمة بالرعية، وخصوصا أهل البلدان باعطائهم الأموال وبث الصدقة لفقرائهم والدعاء لهم، والتفحص عن أحوالهم، يقول ابن بشر: وقد ذكر لى بعض من أثق به انه يكثر الدعاء لهم فى ورده. قال وسمعته يقول: اللهم ابق فيهم كلمة لا إله إلا الله حتى يستقيموا عليها ولا يحيدوا عنها. وكانت الأقطار والرعية فى زمنه آمنة مطمئنة فى عيشة هنيئة. وهو حقيق بأن يلقب مهدى زمانه. لأن الشخص الواحد يسافر بالأموال العظيمة أى وقت شاء، شتاء وصيفا، يمنا وشاما، شرقا وغربا فى نجد والحجاز واليمن وتهامة وعمان وغير ذلك، لا يخشى أحدا إلا الله، لا سارقا ولا

---

(١) انظر: التوضيح . . . ص ٤٣.

(٢) حاشية، بقلم محمد بن مانع على كتاب تحفة المستفيد، قسم ٢ ص ١٠٤ حاشية رقم ١. وعلماء نجد خلال ستة قرون للبسام ٩١٥/٣، ٩١٦.

(٣) علماء نجد خلال ستة قرون ٩١٥/٣، ٩١٦.

مكابرا، وكانت جميع بلدان نجد من العارض والخرج والقصيم والوشم والجنوب وغير ذلك من النواحي، في أيام الربيع يسيبون جميع مواشيهم في البراري والمفالي[1] من الابل والخيل والجياد، والبقر والأغنام، ليس لها راعي ولا مراعي بل إذا عطشت وردت على البلدان ثم تصدر إلى مفاليها حتى ينقضي الربيع، أو يحتاجون لها أهلها لسقي زروعهم ونخيلهم. وربما تلقح وتلد، ولا يدري أهلها إلا إذا جاءت وولدها معها، إلا الخيل الجياد فإن لها من يتعاهدها في مفاليها لسقيها وجِدّها بالحديد. وكانت ابل أهل سدير ونجائبهم وخيلهم مسيبات أيام الربيع في الحمادة وفي أراط والعِبلة، ومعها رجل واحد يتعاهدها ويسقيها ويزور أهله ويرجع إليها وهي في مواضعها فيصلح اربطها وقيودها ثم يغيب عنها. وكذلك خيل أهل الوشم ونجائبهم في الحمادة وفي روضة محرقة وغيرهما. وهكذا يفعلون بها. وكذلك خيل عبد العزيز وبنيه وعشيرته في النقعة، الموضع المعروف قرب بلد ضرمي، وفي الشعيب المعروف بقرى عبيد من وادي حنيفة، وليس عندها إلا من يتعاهدها لمثل ما ذكرنا، وكذلك جميع النواحي تفعل ذلك. وكان رحمه الله تعالى مع رأفته بالرعية شديدا على من جنى جناية من الاعراب أو قطع سبلا أو سرق شيئا من مسافر أو غيره بحيث من فعل شيئا من ذلك أخذ ماله نكالا أو بعض ماله أو شيئا منه على حسب جنايته .وأدبه غير ذلك أدبا بليغا[2].

ويذكر ابن بشر: ان السبل والطرق تأمنت كثيرا في عهد الإمام عبد العزيز فكان أهل الأسفار يسافرون ويرجعون إلى أوطانهم لا يخشون أحدا من جميع البوادي مما احتوت عليه هذه المملكة لا بحرب ولا سرق، وليس يؤخذ منهم شيء من الاخاوات والقوانين والجوائز التي يأخذها الاعراب على الدروب يحيون بها سنن الجاهلية فبطلت جميعها ولله الحمد، وصار بعض العمال إذا جاءوا بالاخماس والزكاة من أقاصي البلاد يجعلون مزاود الدراهم أطنابا لخيمتهم وربطا لخيلهم بالليل لا يخشون سارقا ولا غيره ونمت المواشي والثمار وساد الأمن جميع البلاد وهذا من أثر عقيدة السلف الصالح التي أظهرها الشيخ. قال الله تعالى: ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون** ﴾.

---

(١) والمفالي : جمع مفلى أي مراعي بلغة أهل نجد العامية.

(٢) عنوان المجد لابن بشر جـ ١/ ص ص ١٢٤، ١٢٥.

وكـان الإمـام عبـد العـزيـز يوصى عمالـه بتقـوى الله وأخـذ الزكاة على الوجه المشروع واعطاء الضعفاء والمساكين ويزجرهم عن الظلم وأخذ كرائم الأموال، ويكثر العطـاء والصـدقـات للرعيـة من الـوفود والأمراء والقضاة وأهل العلم وطلبته ومعلمة القرآن والمؤذنين وأئمة المساجد، حتى أئمة مساجد نخيل البلدان ومؤذنيهم.

وإذا أراد من الناس الغزو معه أومع ابنه سعود، بعث رسله إلى رؤساء القبائل من العـربـان وواعـد جميعهم يوما معلوما على ماء معلوم، فلا يتخلف أحد عن ذلك الموعـد لا حقـير ولا جليل، لا من بوادى الحجاز ولا العراق ولا الجنوب ولا غير ذلك فمن ذكـر متخلفـا ممن تعـين عليـه الأمر من راجل أو فارس، أدب أدبا بليغا وأخذ من ماله نكالا، والرجل الواحد أو الاثنان إذا أرسلهم عبد العزيز وابنه سعود إلى البوادى من جميع أقطار جزيرة نجد أخذوا منهم النكال من الأموال والخيل والابل وغير ذلك، ويضـربـون الـرجـال ويعذبون المجرم بأنواع العذاب، ولا يتجاسر أحد أن يقول لهم شيئا، أو يشفع فيه، بل كلهم طائعون مذعنون.

قال ابن بشـر: وهـذا الـذى ذكـرت من جهة الأمن وطاعة الحاضر والباد وغير ذلك اتفق فى زمنه وزمن ابنه سعود وصدر من ولاية عبد الله ـ ثم مضى ابن بشر يذكر أمراء عبد العزيز وقضاته[1]، ومن هؤلاء القضاة:

الشيـخ حسـين بن الشيـخ محمد بن عبد الوهاب الذى أخذ عن أبيه واستكمل فنـون العلم وفـاق بالمعرفـة أقـرانـه حتى صار الخليفـة بعـد أبيـه والقـاضى فى بلد الـدرعيـة[2]، وكـان له دور كبـير فى نشـر عقيـدة السلف الصالح وتأثره بها وتأثيره فى الناس لحملها ونشرها وتطبيقها. وله عدة بنين طلبة علم وقضاة.

قال ابن بشـر: «ومعـرفتى منهم بعـلي ومحـمد وحسن وعبد الرحمن وعبد الملك. فأما علي فهو الشيخ الفاضل وحاوى الفضائل العلامة فى الأصول والفروع الجامع بين المعقـول والمشـروع كشـاف المشكلات، مفتاح خزائن أسرار الآيات، قاضي الدرعية بوجـود أعـمامـه، وخليفتهم فيهـا إذا غابـوا زمن سعود وابنه عبد الله، ثم ولي القضاء لتركى بن عبد الله رحمه الله تعالى فى حوطة بنى تميم، ثم كان قاضيا فى بلد الرياض

---

(١) عنـوان المجـد فى تاريـخ نجـد، جـ ١ ص ص ١٢٦-١٢٩، وفى طبعـة وزارة المعـارف سنة ١٣٩٤هـ ص ص ١٦٨-١٧٨.

(٢) الدرر السنية ١٢/٤٦ ومشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٢٨.

عند الإمام فيصل بن تركى أسعده الله تعالى» أ ـ هـ[١].

وذكر ابن بشر ان له اليد الطولى فى معرفة الحديث ورجاله، وانه علق شرحا على كتاب التوحيد تأليف جده محمد بن عبد الوهاب[٢]، لكن عبد الرحمن بن عبد اللطيف المعلق على عنوان المجد ينكر وجود هذا الشرح[٣]، ولا وجه لانكاره فقد يكون فى زمن مبكر، وله رسائل وفتاوى نشرت مفرقة فى الدرر السنية التى جمعها عبد الرحمن بن قاسم وفى الرسائل والمسائل النجدية طبع محمد رشيد رضا[٤].

ومن هؤلاء القضاة أيضا الشيخ الزاهد الورع عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الحصين ـ الذى طبق بركة علمه الافاق، وشهد له بالفضل أهل الافاق القاضى فى ناحية الوشم زمن عبد العزيز وابنه سعود وابنه عبد الله[٥].

أخذ الفقه فى صغره عن الشيخ إبراهيم بن محمد بن إسماعيل ثم أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابنه الشيخ عبد الله، والشيخ حسين، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر وخلق غيرهم، له مجالس فى التدريس مشهورة، وأوقاته بالعبادة معمورة، وله رسالة فى معنى التوحيد وفتاوى، ولي القضاء فى الوشم فى ولاية الإمام عبد العزيز بن محمد وأول ولاية الإمام سعود وأخذ عنه عدة من العلماء منهم الشيخ عبد الله أبا بطين والشيخ إبراهيم بن سيف والشيخ غنيم بن مسفر والشيخ عبد الله بن سيف والشيخ محمد بن عبد الله الحصين والشيخ عثمان بن منصور والشيخ علي بن يحيى بن مساعد والشيخ عبد الله بن سليمان بن عبيد والشيخ محمد بن سيف والشيخ إبراهيم بن حجى والشيخ عثمان بن عبد المحسن أبا حسين والشيخ محمد بن نشوان والشيخ عبد الله القضيبي ولم يل القضاء، والشيخ عبد الكريم بن معيقل وغيرهم ممّن لم يل القضاء الجم الغفير[٦].

وكان للشيخ عبد العزيز الحصين جهود خاصة فى نشر عقيدة السلف الصالح لدى شريف مكة وعلمائها حيث كان الذى وقع عليه الاختيار من قبل الشيخ والإمام

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد . . . ٩٣/١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) هامش ص ٨٧ رقم (١) من جزء (١) من عنوان المجد، طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٨٧هـ.

(٤) الدرر السنية ٤٥/١٢ ومشاهير علماء نجد ص ٤٩.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد . . . ٩٤/١، والدرر السنية ٤٩/١٢، ٥٠.

(٦) ابن بشر، عنوان المجد . . . ١/ ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، والدرر السنية ٥٠/١٢.

عبـد العـزيـز ليكون مفوضا عنهما فى شرح المعتقد وبيان حقيقة الدعوة بناء على طلب شريف مكة .

يقول السباعى : «فى سنة ١١٨٥هـ طلب الشريف أحمد بن سعيد من الإمام عبد العزيز بن محمد ومن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ان يرسلا إليه فقيها منهم ، يبين له حقيقة الدعوة بمحضر من علماء مكة ، فأرسلا الشيخ عبد العزيز الحصين ، ووقعت المنـاظـرة مع بعض علماء مكـة منهم مفتى السلطان فى مكة بحضور الشريف أحمد فى ثلاث مسائل :

١ ــ فى التهمة المفتراة على الشيخ وهى : التكفير بالعموم .

٢ ــ هدم القباب التى على القبور.

٣ ــ طلب الشفاعة عند الله من الأموات[١] .

ويذكر ابن غنام ان الإمام عبد العزيز والشيخ محمد كتبا مع الشيخ عبد العزيز الحصـين رسـالـة إلى الشـريف أحمد بن سعيد ، يهيبان به ان ينصر الشريعة المحمدية ومن تبعها وان يعادى من خرج عنها ، كما هو الواجب على ولاة الأمور، ويذكر ان انهما تجاوبا مع طلبه أن يرسلا إليه طالب علم يشرح له ولعلماء مكة عقيدة السلف الصالح التى قامـا بنصـرتهـا ، فأرسـلا إليـه الشيخ الحصين للحضور مع علماء الحرم فى مجلس الشـــريف فان اجتمعـــوا فالحمـــد لله ، وان اختلفـــوا احضـــر الشـــريف كتبهم وكتب الحنـابلة ، مع قصـد وجـه الله ونصـرة رسـوله ﷺ وقد أخذ الله الميثاق على الأنبياء ان ادركوا محمدا ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه فكيف بأمته فلابد من الإيمان به ونصرته ، لا يكفى احـدهما عن الآخـر، وأحق النـاس وأولاهـم بذلـك أهل البيت الذين بعثه الله منهم ، وأحق أهل البيت بذلك ، من كان من ذريته ﷺ[٢] .

وقال ابن غنام : فذكر لهم الشيخ عبد العزيز الحصين ان نسبة التكفير بالعموم إلينا زور وبهتان علينا ، وأما هدم القباب ، فهو الحق والصواب كما هو مقرر بالأدلة فى كتب كثيرة ، وليس لدى العلماء فيه شك . وأما دعاء الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم فى النوازل فقد نص عليه الأئمة انه من الشرك الذى فعله الأولون ولا يجادل فيه إلا جاهل ظالم .

---

(١) تاريخ مكة للسباعى جـ ٢ ص ٧٧ ، ١٢٤ .

(٢) روضة ابن غنام ، جـ ٢ ص ٨٠ ، ٨١ .

ثم احضروا من كتب الحنابلة الاقناع فرأوا عبارته فى الوسائط وحكايته الاجماع فاقتنعوا وأقروا وتفوهوا بأن هذا دين الله ، وانتشر فيها بينهم وشاع ، وقالوا هذا مذهب الإمام أحمد ، وانصرف عبد العزيز مبجلا ومكرما[1].

ويبدو أن الشريف قد اقتنع بصحة العقيدة وانها عقيدة السلف الصالح ، ولكن ثار آل مساعد على عمهم أحمد بن سعيد هذا ، وانتزعوا من يده ولاية مكة بالقوة فأخرجوه منها ، ووضعوا مكانه شريفا آخر هو ابن أخيه سرور بن مساعد سنة ١١٨٦هـ فمنع أهل نجد من الحج إلا بضريبة ثم تولى أخوه غالب.

وفى سنة أربع ومائتين وألف للهجرة أرسل غالب الشريف إلى الإمام عبد العزيز كتابا ، وذكر فى اثنائه انه يريد إنسانا عارفا من أهل الدين حتى يعرف حقيقة الأمر ، فأرسل إليه الشيخ عبد العزيز الحصين ، وكتب معه الشيخ رسالة يبين فيها عقيدة السلف الصالح التى يدعو إليها ونصها : بعد البسملة من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام فى البلد الحرام نصر الله بهم سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وتابعى الأئمة الأعلام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم ، وسببه هدم بنيان فى أرضنا على قبور الصالحين ، ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين ، وأمرناهم باخلاص الدعاء لله ، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البناء الذى على القبور ، كبر على العامة وعاضدهم بعض من يدعى العلم لأسباب ما تخفى على مثلكم ، أعظمها اتباع الهوى مع أسباب أخر فاشاعوا عنا إنا نسب الصالحين ، وإنا على غير جادة العلماء ، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب وذكروا عنا أشياء ، يستحى العاقل من ذكرها ، وأنا أخبركم بما نحن عليه بسبب ان مثلكم ما يروج عليه الكذب على أناس متظاهرين بمذهبهم ، عند الخاص والعام ، فنحن ولله الحمد متبعون لا مبتدعون على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وتعلمون أعزكم الله ، ان المطاع فى كثير من البلدان ، لو يتبين[2] بالعمل بهاتين المسألتين انها تكبر على العامة ، الذين درجوا هم وآباؤهم على ضد ذلك وأنتم تعلمون رحمكم الله ان فى ولاية الشريف أحمد بن سعيد ، وصل إليكم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ، وأشرفتم على ما عندنا ، بعدما احضروا كتب

(١) روضة ابن غنام ٢/٨١.

(٢) يتبين بالعمل ـ معناه : يظهر العمل.

الحنابلة التى عندنا عمدة كالتحفة والنهاية عند الشافعية، فلما طلب منا الشريف غالب أعزه الله ونصره امتثلنا وهو إليكم واصل، فان كانت المسألة إجماعا فلا كلام، وان كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم انه لا إنكار فى مسائل الاجتهاد، فمن عمل بمذهبه فى محل ولايته لا ينكر عليه، وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم إنى على دين الله ورسوله وإنى متبع لأهل العلم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم ذكر ابن غنام ان غالباً أكرم عبد العزيز الحصين لما قدم عليه مكة المشرفة بهذه الرسالة واجتمع معه مرات عديدة وعرض عليه رسالة الشيخ المفيدة فعرف ما بها من الحق والهدى وما نفته من الباطل والردى فأذعن بذلك وأقر ثم بعد مدة تنكر وتمسك بقديم سنته وطلب منه عبد العزيز الحصين أن يحضر العلماء معه فيقف على كلامهم ويسمعه ويناظرهم فى أصول التوحيد، فأبوا عن الحضور وقالوا هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك ورفع يدك عن معتادك وجوائز بلادك، فطار لبه وارتعش قلبه[1]. فصار يقاتل أهل التوحيد ثم لم يربح، بل خسر حيث عاند الحجة التى أقامها عليه الشيخ عبد العزيز الحصين[2].

ومن هؤلاء القضاة فى عهد الإمام عبد العزيز الشيخ العالم حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر- ولد فى الدرعية وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حتى كان فقيها محدثا زاهدا عابدا كثير الخير، له قدم راسخ فى الفتوى وله رسائل وأجوبة تبلغ مجلدا فرقها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم فى مواضع من الدرر السنية حسب ترتيبه لها[3].

ومن هذه الرسائل رسالة جيدة ألفها الشيخ حمد بعنوان : النبذة الشريفة فى الرد على القبوريين، جوابا لأسئلة أوردها بعض المجادلين على الشيخ محمد بن أحمد الحفظى اليمنى فى جمادى الثانية من شهور سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف من الهجرة فطلب جوابها واستغرقت ستا وستين صفحة وله أيضا فى مجموعة الرسائل والمسائل رسالة له فى معرفة الدليل والتقليد واستغرقت ثلاثين صفحة، وعدة رسائل

---

(١) روضة ابن غنام جـ ٢ ص ص ١٤٤، ١٤٥.

(٢) انظر: تاريخ مكة للسباعى ٢/٧٧، ٨٠، ٩٢-٩٤، ١٢٣، ١٢٤، وعنوان المجد... لابن بشر ١/١٢٢، وروضة ابن غنام جـ ٢ ص ص ١٤٥-١٥٠.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد... ١/٩٤ والدرر السنية ١٢/٤٧. وتوجد فى مجموعة الرسائل والمسائل النجدية جـ ٤ ص - ص ٥٩١-٦٦٢.

أخر فى مسائل فقهية واستغرقت اثنتين وستين صفحة[1]. وكان قاضيا فى الدرعية، وغيرها. ثم أرسله الإمام سعود قاضيا ومعلما فى مكة المكرمة وأقام فيها مدة وتوفي فيها سنة ١٢٢٥هـ[2].

ويذكر الشيخ حسين بن غنام فى حوادث سنة ١٢١١هـ من تاريخه الجزء الثانى انه فى هذه السنة أرسل غالب الشريف رسلا إلى عبد العزيز يطلب منه علماء من أهل الدين والتوحيد ويزعم انه يقصد بذلك تحقيق هذا الأمر، ولينجلى له فى مناظرتهم ما كان خافيا عليه، وكان من حسن سيرة عبد العزيز وعظيم فضل الله عليه انه يدعو إلى الله تعالى بالتى هى أحسن وأحكم ويرشد العباد للتى هى أقوم، فرأى اجابة الشريف غالب إلى ما طلب، فعسى أن يكون له سببا للسعادة، وأرسل إليه جماعة من أهل الدين والعلم، المشهورين بحسن المحاضرة فى المناظرة بالبراهين وكبيرهم حمد بن ناصر بن معمر ورئيسهم وأميرهم، فلما وصلوا دخلوا مكة معتمرين ومعهم جزر مهداة من سعود تذبح فى الحرم فنحروها فى المروة من شعائر الله، فقابلهم الشريف بالاكرام وأحضرهم لديه مع علمائهم ليال وعقدوا للمناظرة مجالس فكانت الغلبة بالحجة للشيخ حمد بن معمر وأصحابه على علماء الشريف غالب، لكن علماء الشريف غالب اجمعوا على المغالطة فى الألفاظ فابرموا ذلك ولكنهم لم يعثروا فى حجج الشيخ وما سرده من صحيح السنة القامعة على شيء فيه لبس لدى العلماء المنصفين سوى لفظة جرى اللسان فيها على اللحن فى الاعراب فارتفع من بعضهم عند ذلك التخطئة فى الجواب مبادرين ومعاجلين، رغم ان الحجة فالجة وقاطعة وملزمة، لكنهم جحدوا وشوشوا وصفة ما جرى انهم حضروا ببيت الشريف تجاه بيت الله الحرام وجرت المناظرة بينهم فى مسألتين : مسألة قتال الموحدين الناس ما وجهها ؟

فطلب من حمد بيان الحجة والدليل والبرهان فأتى لهم بالنصوص القاطعة، وأصّل لهم الأصول الواضحة، وأسمعهم من نصوص الآيات والأحاديث الصحيحة الراجحة والأدلة الواضحة، وأوقفهم على المنصوص فى الكتب المعتبرة عندهم، وكانوا من قبل ينكرون وجودها فى الكتب أصلا، وتفوهوا بذلك بحضرة الشريف. فلما أوقفهم حَمَد عليها خجلوا وخافوا فأقرّوا وسلّموا لتلك النصوص، ثم تفاوضوا بعد

---

(١) انظرها فى مجموعة الرسائل والمسائل النجدية جـ ٢ تحت عنوان رسائل وفتاوى للشيخ حمد بن ناصر بن معمر.

(٢) الدرر السنية . . . ١٢/ ٤٧ .

ذلك فى مجالس عديدة فى دعوة الأموات فأبدى لهم حمد من النصوص الصحيحة والآثار الراجحة والأقوال السديدة ما أدهش العقول مما لا يسع المنصف إنكاره، ولكنهم جحدوا أن يقع ذلك فى الوجود وأنكروا وجوده فى الأقطار رغم وجوده عندهم واقعا مشهودا يشهده الخلق عيانا عندهم وجهارا.

ثم يقول ابن غنام : لا بدع فيما جرى منهم فقد قال كبيرهم أول ما قال وتأهب للمناظرة، وجر ذيول المفاخرة: اعلم إنى لا أناظرك بالدليل من الكتاب والسنة، ولا أطالبك بما قاله علماء المذاهب سوى ما قال به إمامى أبو حنيفة لإنى مقلد له فيما قال فلا أسلم لغير قوله، ولو قلت قال رسول الله ﷺ أو قال الله تعالى، لأنه اعلم منى ومنك، والأخذ بغير قول الأئمة مهلك.

ويقول ابن غنام : فلما انقضت تلك الأيام والليالى وانتهت ساعات الجدال والمناظرة، طلبوا من حمد بن ناصر بن معمر تأصيل ما برهن به واحتج به وقرره، وكتابة ما سجله عليهم أثناء المناظرة، فانتدب لذلك، فحرر من الكتب التى عندهم ما أرادوه رسالة أوجز فيها ما فيه حجة ودلالة، تكفى المنصف العاقل للشهادة بفضل محررها وصحة وصدق مضمونها، ثم أورد الشيخ ابن غنام نصها وشغلت ما يقارب ثلاثين صفحة، من الجزء الثانى من تاريخ ابن غنام[1] وهى فى الهدية السنية التى جمعها الشيخ سليمان بن سحمان وشغلت خمسا وثلاثين صفحة[2]. واستغرقت فى الدرر السنية ثمانيا وعشرين صفحة[3].

وقد أشار إلى هذه المناظرة الشيخ محمد بن علي الشوكانى حيث قال فى ترجمة الشريف غالب : «وبلغنا انه وصل إلى مكة، بعض علماء نجد، لقصد المناظرة فناظر علماء مكة بحضرة الشريف فى مسائل تدل على ثبات قدمه وقدم صاحبه فى الدين»[4]. وطبعت فى رسالة مستقلة بمؤسسة النور بالرياض ويذكر ناشرها انه سمى أجوبة الشيخ حمد المذكورة «الفواكه العذاب فى الرد على من لم يحكم السنة والكتاب»[5].

---

(١) روضة ابن غنام جـ ٢/ ص ٢٠٣-٢٣٢.
(٢) الهدية السنية، ط. المنار، ص - ص ٥١-٨٧.
(٣) الدرر السنية جـ ٢ ص ١٧٦-٢٠٤.
(٤) البدر الطالع جـ ٢ ص ٧.
(٥) المقدمة ص - ص ٢-٣.

ومن هؤلاء القضاة فى زمن الإمام عبد العزيز، الشيخ سعيد بن حجى ، رحل إلى الدرعية فقرأ على الشيخ وأخذ عن ابني الشيخ حسين وعبد الله وقرأ على الشيخ حمد بن ناصر بن معمر وعلى غير هؤلاء من علماء الدرعية وكان قاضيا فى حوطة بنى تميم زمن عبد العزيز وابنه سعود، وله رسائل فى كلمة الاخلاص وفى أجوبة فقهية محررة سديدة نشرت فى مجموعة الرسائل والمسائل النجدية[1].

ومن هؤلاء القضاة : الشيخ حمد بن راشد العريني القاضي فى ناحية سدير زمن عبد العزيز[2].

ومنهم الشيخ : عبد الرحمن بن خميس الذى صار عالما وإماما فى قصر آل سعود وقاضيا فى الدرعية زمن عبد العزيز وابنه سعود[3].

ومنهم : الشيخ حسين بن عبد الله بن عيدان الذى صار قاضيا فى بلد حريملاء زمن عبد العزيز ودرس وأفتى فى مقر عمله[4].

ومنهم : الشيخ محمد بن سويلم الذى صار بسبب الأخذ عن الشيخ محمد عالما وقاضيا فى بلد الدلم وناحية الخرج زمن عبد العزيز[5].

ومنهم الشيخ عبد العزيز بن سويلم العريني الذى صار عالما قاضيا فى ناحية القصيم زمن عبد العزيز وابنه سعود وابنه عبد الله ، وكان مقره مدينة بريدة وما حولها فاستمر فى القضاء مدة طويلة ودرس وأفتى فانتفع بعلمه جماعة منهم الشيخ عبد الله بن صقيه، وبقي بعد خراب الدرعية وهو لا يزال القاضى والمدرس فى القصيم حتى توفى فتولى القضاء بعده تلميذه عبد الله بن صقيه[6].

وغير هؤلاء من القضاة عدد كبير .

وكان القضاة لا يعينون إلا بمشورة من الشيخ محمد لأن منصب القضاء منصب مهم له تأثير كبير، فبالاضافة إلى القضاء يتولون الإمامة والخطابة والتدريس

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية جـ ٤ ص ص ٨٤٠-٨٧٦ وجـ ١ ص ص ٦٠١-٧٢٥. وانظر: عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر ١/٩٤، وعلماء نجد خلال ستة قرون ١/٢٧٣.

(٢) عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر ١/٩٤، وعلماء نجد خلال ستة قرون ١/٢٢٣.

(٣) عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر ١/٩٤، ١٢٩، ١٦٩، ١٧٥.

(٤) عنوان المجد. . . لابن بشر ١/٩٤، وعلماء نجد. . . ١/٢١٤.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد. . . ١/٩٤.

(٦) ابن بشر: عنوان المجد. . . ١/٩٤، وعلماء نجد. . . ٢/٤٦٣، ٥٥٩.

والفتوى والارشاد ويكونون أصحاب الكلمة الفاصلة فى البلد الذى يتولون القضاء فيه، ولا يخفى ما يكون لهم من أثر كبير وعظيم فى نشر عقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

وقد كان لخلق كثير، وجم غفير أثر فى عقيدة السلف الصالح التى تلقوها عن الشيخ محمد زمن الإمام عبد العزيز وبعد زمنه وممن ولي القضاء وممن له يله من العلماء والأعيان ومن دونهم[1].

ومن هؤلاء ابن الشيخ: الشيخ علي.

قال ابن بشر: «كان عالما جليلا ورعا كثير الخوف من الله وكان يضرب به المثل فى بلد الدرعية بالورع والديانة وله معرفة فى الفقه والتفسير وغير ذلك، وراودوه على القضاء فأبى عنه، وأبناؤه صغار ماتوا قبل التحصيل إلا محمدا فانه طالب علم وله معرفة» أ ـ هـ[2].

ومنهم أيضا ابن الشيخ: الشيخ إبراهيم.

قال ابن بشر: «رأيت عنده حلقة فى التدريس وله معرفة فى العلم ولكنه لم يل القضاء قرأت عليه فى صغرى فى كتاب التوحيد سنة أربع وعشرين ومائتين وألف[3].

وأبناء الشيخ على العموم ممن حمل ميراث أبيهم ونشره بصفة خاصة كيف لا وهو عقيدة السلف الصالح وميراث العلماء الصالحين رحمهم الله ورضى عنهم.

قال ابن بشر عنهم: «ولقد رأيت لهؤلاء الأربعة العلماء حسين وعبد الله وعلي وإبراهيم مجالس ومحافل فى التدريس فى الدرعية عندهم من طلبة العلم من أهل الدرعية وأهل الآفاق الغرباء ما يفضى لمن حكاه إلى التكذيب، ولهؤلاء الأربعة المذكورين من المعرفة ما فاقوا به أقرانهم، وكل واحد منهم قرب بيته مدرسة فيها طلبة العلم الغرباء ونفقتهم من بيت المال، ويأخذون عنهم العلم فى كل وقت»[4].

قال محمد الحفظى بعد ثنائه على الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى أولاد الشيخ:

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد... ١/٩٤، ٩٥ ومجلة الدارة ع ٢/ رجب / ١٣٩٨هـ صورة اللوحة من كتاب رفع النقاب رقم ٧٤، ٧٥ ص ٩٧.

(٢) عنوان المجد... ١/٩٣.

(٣) عنوان المجد... ١/٩٣.

(٤) عنوان المجد... ١/٩٣.

أولاده مشـائـخ الـتحـقـيـق وسـدرة فى منتهى الطـريق[1]

ومن هؤلاء غير أبناء الشيخ : الشيخ أحمد بن مانع الوهيبي التميمى .

انتقـل من اشيقـر إلى الـدرعيـة فى أول عهـد الدعوة السلفية فقرأ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وادرك حظه من العلوم الشرعية ، وكان من الموالين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المدافعين عنها ـ قال ابن بسام : «وقد اطلعت له على رسالة يرد بها على عبـد الله المـويس أحـد علماء نجـد المعـادين لدعوة الشيخ محمد» فى ترخيصه للناس فى التخلف عن صلاة الجماعة وتهوين أمرها بحجة ان الإمام من اتباع ابن عبد الـوهـاب فبـيّن ان ابن عبد الوهاب إنما يدعو الناس إلى التوحيد والتبرىء من الشرك وأهله وهـذا دين النبى ﷺ فلا يسع المسلم غيره وبـين الأدلـة الشـرعية على وجوب صلاة الجماعة على الأعيان ، وقد توفي فى الدرعية فى شهر رمضان عام ١١٨٦هـ[2] .

وقد كان لبعض المشائخ الكبار الذين ليسوا من تلاميذ الشيخ المتخرجين على يديـه جهـود طيبـة فى نشر عقيدة السلف الصالح متأثرين بعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ومنهم :

١ ـ الشيـخ المؤرخ حسين بن غنام ـ قد التقى بالشيخ محمد بن عبد الوهاب واستفاد منه ، ودون كثيرا من علم الشيخ ورسائله ، وأرخ للشيخ وأنصاره وللإمام من آل سعود تاريخا مباشرا من أشمل التواريخ ، ودون كثيرا من أخبارهم فتاريخه من أوثق التواريخ التى كتبت فى هذا الشأن ، وسبق أن طلب العلم على علماء بلده (الأحساء) ولذا لما وصل الدرعية كان أهلا لأن يجلس للتدريس .

قال عبـد الـرحمن بن عبـد اللطيف آل الشيـخ : «نزح من الأحساء إلى مدينة الـدرعيـة فقـدمهـا على الإمـام عبـد العزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الـوهـاب فاكـرمـاه وأنزلاه المنزلة الرفيعة . فاستقر فى الدرعية وجلس فيها لطلبة العلم يقرأون عليه فى علم النحو والعروض فقط ، فأخذ عنه جملة من علماء الدرعية وذكر من فضلائهم سليمان بن عبد الله بن الشيخ ، وعبد العزيز بن حمد بن معمر ، وعبد الرحمن بن حسن بن الشيخ»[3] .

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظي (١١٧٨-١٢٣٧هـ) من أهل عسير . الدرر السنية ١٢/ ٤٧ .

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون ١/ ١٨٣ .

(٣) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٤٧ .

ويعتبر الشيخ حسين بن غنام ممن شهد بالحق لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن الذين ناصروها بالقلم وبيان الحق والعلم فمن ذلك ست قصائد قالها وهي :

١ ـ قصيدة في رثاء الشيخ وذكر محاسنه وسبق أن ذكرناها[١].

٢ ـ قصيدة بمناسبة جلاء دهام بن دواس ومطلعها :

كشف الحق ظلمة الاغلاس ومحا الدين جملة الارجاس[٢]

٣ ـ وموعظة لبعض من تزعزع عن لزوم الحق ومطلعها :

نفوس الورى الا القليل ركونها إلى الغي لا يلغي لدين حنينها[٣]

٤ ـ والرابعة رد على قصيدة محمد بن عبد الله بن فيروز ومطلعها :

على وجهها الموسوم بالشؤم قد خطا عروس هوى ممقوتة زارت الشطا[٤]

٥ ـ والخامسة بمناسبة قتل ثويني وتهنئة الأمير سعود ووالده الإمام عبد العزيز بن محمد حين فتح الأحساء ومطلعها :

تلألأ نور الحق وانصدع الفجر وديجور ليل الشرك مزقه الظهر[٥]

٦ ـ والسادسة بمناسبة تهنئة سعود بن عبد العزيز بالحج وذكر في أولها مدح الشيخ محمد ومطلعها :

غياهب ليل الشرك مزقه الفجر فأصبح دين الحق طالعه الغفر[٦]

وله تقريرات حسنة، وكشف شبهات يبين بها عن الحق الذي دعا إليه الشيخ محمد ويشهد له، وقد ألف كتابا سماه : «العقد الثمين في شرح أصول الدين» باشارة من الإمام عبد العزيز كما يقول[٧] بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولا يزال الكتاب مخطوطا، وهو كتاب مفيد ولكن في مسألة القرآن سلك فيها مسلك

---

(١) انظر: ص ١٤٧-١٥٢ من هذا البحث.

(٢) روضة ابن غنام جـ ٢/ ص ـ ص ٨٦-٨٨.

(٣) روضة ابن غنام جـ ٢/ ص ـ ص ٧١-٧٢.

(٤) المصدر السابق، ص ـ ص ١٩٠-١٩٢.

(٥) المصدر السابق، ص ـ ص ٢٣٧-٢٤٢، وعنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر، ط وزاره معارف، جـ ١ ص ١٤٥ وما بعدها.

(٦) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد ط وزارة المعارف جـ ١ ص ـ ص ١٢٣-١٢٥.

(٧) انظر: كتاب العقد الثمين في شرح أصول الدين مخطوطة في المكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٥٧/٨٦، الغلاف ولوحة رقم ١٣.

الأشعرية ، وقد نبه على ذلك تلميذه الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ(١)، وكذلك الشيخ محمد بن مانع(٢).

ومن آثار عقيدة الشيخ فى عهد الإمام عبد العزيز ان بعض معارضيه كأخيه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب بعد ان كان معارضا يؤلف كتبا ضدها اتضح له الحق وتاب إلى الله ، ووفد على أخيه الشيخ محمد فى الدرعية واستقر بها إلى أن توفى ، ذكر ذلك الشيخ عبد العزيز بن باز فى تعليقه على كتاب : «الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي(٣)، ونص هذا الخبر فى عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر فى حوادث ١١٩٠هـ(٤)، وفى روضة ابن غنام كذلك وقال ابن غنام : «وكان من الشيخ إلى أخيه سليمان أعظم تحنن واهتشاشة فدثر حاله حينئذ واراشه ، ووسع عليه قوته ومعاشه ، فكان ذلك سببا لانقاذ سليمان وصدقه مع أهل الإيمان وتحققه بهذا الشأن ، فقام فى هذا الدين بتحقيق وجزم ويقين ، وأقر على نفسه واعترف ، بما قدمه قبل وأسف ، ووفى بما عاهد عليه وما اخلف ومات ولله الحمد على حالة رضى ، بعدما جرى منه ومضى ، فلم يوافه القضا إلا بعدما رفض ما كان عليه وانقضى»(٥) وتوفي سنة ١٢٠٨هـ(٦).

وفى مصباح الظلام للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن نص رسالة من سليمان بن عبد الوهاب فيها رجوعه(٧)، وكذلك فى كتاب الضياء الشارق، تأليف سليمان بن سحمان(٨)، وفى كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان(٩). وفى هذا رد على الشيخ عبد الله بن بسام فى قوله : ان سليمان بقى مصرا على مباينة الدعوة السلفية وأصحابها إلا أنه رضخ لسلطتها وقوتها . . .»

---

(١) الدرر السنية فى الأجوبة النجدية جـ ١ ص ١٥٧ ط ٢.

(٢) انظر: حاشية مخطوطة كتاب العقد الثمين فى شرح أصول الدين، المحفوظة بالمكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٥٧/٨٦، لوحة رقم ٢٨.

(٣) هامش ص ٧٤.

(٤) عنوان المجد . . . ص ٦٥.

(٥) روضة ابن غنام جـ ٢ ص ٩٦.

(٦) علماء نجد خلال ستة قرون ٣٠٤/١.

(٧) مصباح الظلام، تأليف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ص ص ٩٦، ١٠٣.

(٨) الضياء الشارق، تأليف الشيخ سليمان بن سحمان ص - ص ٢٢-٢٥، ط ١، المنار ١٣٤٤.

(٩) صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص - ص ٤٦٨-٤٧٣.

وقال : ان الرسالة المذكورة يرجح انها نسبت إليه لغرض حسن الظن به ، وابعاد المسبة عن أبنائه العلماء الصالحين ، أولغرض الرد على أعداء الدعوة الذين نفروا عنها بحجة ان أقرب الناس إلى صاحبها باينه فيها أولغير ذلك من المقاصد. وأمور الترجيح هذا لدى البسام هى باختصار : لأنه قام وقعد بمحاربة الدعوة السلفية مع علماء وقته ـ وقال : ولم نر أحدا من هؤلاء رجع ، وكل اتباعها هم تلاميذ الشيخ محمد.

ولذكر ابن لعبون فى تاريخه المخطوط انه لم ينزل الدرعية إلا كرها.

ولأن ابن بسام لم ير له نشاطا فى الدعوة غير هذه الرسالة.

ولأن ابن بسام اطلع على جواب تلك الرسالة وفيها الترحم على الشيخ محمد مما يدل على انها كتبت بعد وفاة الشيخ محمد فلوكانت حقيقة لكان جواب فى عهد الشيخ محمد لا بعده. انتهى ملخصا[1].

ولا يخفى أن الشيخ البسام عارض رواية الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن والشيخ سليمان بن سحمان ودليلهما وهو الرسالة المذكورة من سليمان. ولم يذكر البسام رواية ابن بشر وابن غنام ، وكان الشيخ عبد العزيز بن باز قد ذكر رجوعه بناء على ما ذكره ابن بشر والبسام عارض هذا كله بظنون. والظن لا يبنى عليه شيء فكيف يعارض به روايات الثقات ، ويرجع هذا الظن عليها بأمور لا تقوم ولا تتم ـ فأما الأمر الأول فما يدريه عن رجوع من رجع وتاب ثم انه يجوز ويمكن ان من قام وقعد فى محاربة الحق ان يتضح له الحق ويرجع ويتوب ، يجوز ذلك فى العقل والواقع والشرع ، وكونه لم ير له نشاطا ، فالنشاط ليس بلازم ، وربما كان له نشاط غير ظاهر ، مع ان ابن غنام حكى ذلك عنه ، وكون ابن لعبون ذكر فى مخطوطته التى عند البسام أن سليمان قدم كرها فهذا معارض برواية ابن بشر وابن غنام.

الثانية : ثم لو كان الأمر صحيحا فلا مانع من كون العاقبة رجوعه إلى الحق. أنسي أن من أهل الجنة من يقاد إليها بالسلاسل ؟

وكون ابن بسام اطلع على رسالة يذكر كاتبها انها من هؤلاء الثلاثة الذين كتب لهم سليمان تلك الرسالة المذكورة وانها جواب له وان تاريخها متأخر بعد موت الشيخ محمد لا بعد موت الشيخ سليمان بل هى فى حياته فتأخر تاريخها هذا ان صح

---

(١) علماء نجد خلال ستة قرون جـ ١ ص ـ ص ٣٠٤-٣٠٦.

ليس فيه ما يبر ر انها مزيفة أيضا، مادام ان هذه الرسالة حصلت فى حياة الشيخ سليمان والتى استمرت سنتين بعد وفاة أخيه الشيخ محمد واستنتاج البسام من هذه الرسالة ان سليمان كان ساكتا فى حياة أخيه على معتقده الأول ثم بعد وفاة أخيه يعلن رجوعه وموافقته لأخيه وان هذا الأمر من البعيد جدا. فلو صح الاستنتاج لكان من القريب جدا ان سليمان كان فى حياة أخيه يجد فى نفسه، ثم لما مات زال ذلك الوجد المانع من قبول الحق فأعلنه وكم أسلم من أسلم، بعد وفاة من كان يدعوه إلى الإسلام ويأبى فى حياته، وقد قال الإمام أحمد: «قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز»[1]. وزعمه ان كل اتباع عقيدة الشيخ هم تلاميذه يرده الواقع السلفى.

وعلى كل فعقيدة الشيخ محمد السلفية رحمه الله مؤثرة بعد مماته، كما كانت فى حياته وربما أكثر لأنها تكشفت عنها الشبهات، وتجردت من كل ما يخالف عقيدة السلف الصالح، وأثمرت اتحاد الكلمة، واجتماع الشمل، وائتلاف القلوب والأمن والهدى سيما فى عهد الإمام عبد العزيز، فلعمر الله قد أصبحت سلفية خالصة لا يشوبها شائبة، فما للقلوب النافرة عنها أدنى عذر ولا حجة.. والله أعلم.

وأذكر ما يقول ابن بشر معقبا على ما وصف فى عهد الإمام عبد العزيز من اتساع دولة أنصار العقيدة وقوتها وما أنعم الله به عليها من الأمن وطاعة الرعية وانتظام ولا يتهم فيقول:

وهذا الأمر فى هذه المملكة شيء وضعه الله تعالى فى قلوب العباد من البادى والحاضر فى كل ما احتوت عليه هذه المملكة مع الرعب العظيم فى قلوب من عادى أهلها وذلك والله أعلم من سببين:

أحدهما: ان الراعى إذا عف عفت رعيته، فإذا عمل الإمام بطاعة الله وبذل العدل فى الرعية، وصار القريب والبعيد، والغني والفقير والجليل والحقير فى الحق سواء، وكان متواضعا يحب العلماء وطلبة العلم وحملة القرآن، ويعظمهم ويحب الفقراء والمساكين ويعطيهم حقهم ويضع فى المسلمين فيئهم جعل الله له الهيبة فى القلوب وتداعى له كل مطلوب.

والسبب الثانى: ان الله جعل لكل شيء ضدا مخالفا له منافيا أومعاديا، فجعل الشرك ضد التوحيد والعلم ضد الجهل إلى غير ذلك من الأضداد المنافية

---

(١) انظر: تخريج هذه الرواية فى ص ١٤٦ من هذا البحث.

بعضها لبعض، وأما الأضداد المعادية بعضها لبعض كعداوة الحية لبنى آدم وعداوة إبليس لهم، وعداوة السباع لأضدادها وعداوة البادى لأهل القرى عداوات قديمة طبيعية فلا يصلح هذه العداوة بين أهل القرى وبينهم بذل المال، فانه إذا بذل لهم أصلح عداوتهم الظاهرة نحو أسبوع أو شهر، وأما عداوتهم الباطنة كالسرق ونحوه (كالخيانة) فانه لا يصلحها ويصلح الظاهرة معها إلا السيف، ولما عرف عبد العزيز رحمه الله. هذا الداء عرف الدواء فاستعمل لمن عاداه منهم السيف ولمن والاه منهم قوة الجانب والغلظة والشدة فكان يأخذ منهم الأموال الكثيرة على السرقة وقطع السبل، ويجعل رؤ ساءهم فى السجن واغلال الحديد حتى انه جعل الحميدى بن هذال رئيساً بوادى عنزه ورجلا هتيميا فى حديد واحد، وربط وطبان الدويش وابن هذال فى حديد واحد ويأخذ النكال الكثير من أموالهم على من تخلف منهم عن المغزى مع المسلمين من فرس أو ذلول معروفة أو رجل معروف حتى ذكر لى انه لم يوجد عند مطير إلا فرس أو فرسان وذلك لأن البوادى هذه الجزيرة لم يحتاجوا لها لأنهم لم يخافوا من أحد ولا يخاف منهم أحد ولا يطمعون فى أحد، قد حجز عبد العزيز جميع القبائل ويأخذ منهم هذه الأموال مع زكواتهم ويفرقها على أهل النواحى والبلدان» . . . إلى أن قال ابن بشر : «فصار البلد الواحد من قرايا نجد بهذا السبب يركب من هذا الغزو معه ومع ابنه سعود سبعون أو ستون مطية أو أقل أو أكثر، وإذا أرسل عماله لقبض الزكاة من الاعراب أمرهم أن لا يأخذوا من الزكاة عقالا حتى يأخذوا لصاحب الدين حقه ولمن سرق له شيء. قيمة ما له والنكال فقويت البلدان واشتدت وطأتهم على عدوهم فصار الأعرابى يرفع يده ولا يخفضها على شيء من مال أهل القرى ولا من مال البوادى، بعضهم من بعض فى مفازه خالية فضلا عن غيرها، وصار هذا مطردا سائغا فى زمنه وزمن ابنه سعود، وصدر من ولاية عبد الله[1].

ولما توفى الإمام عبد العزيز بن محمد شهيدا سنة ١١٢٨هـ، تولى بعده ابنه سعود فصار هو الإمام، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أمر أهل بلدان نجد وغيرهم أن يبايعوه وأن يكون ولي العهد بعد أبيه، وذلك فى السنة الثانية بعد المائتين والألف (١٢٠٢هـ) بناء على أمر الإمام عبد العزيز، فبايعه جميعهم[2]. وهو صاحب السيرة الحسنة فى السلم والحرب يتتبع سيرة السلف الصالح فى كل ذلك ويطبق

---

(١) عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر، طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩٤هـ، جـ ١/ ص ١٧٠-١٧١.
(٢) عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر جـ ١ ص ٨٣.

مقتضى عقيدتهم السليمة وكان كثيرا ما يُذَكّرُ رعيته خصوصا جيوش المسلمين بما أنعم الله عليهم من الاجتماع على كلمة الإسلام، وان سببه العمل بطاعة الله والصبر فى مواطن اللقاء وان النصر لا ينال إلا بالصبر.

يقول ابن بشر: «وكان متيقظا بعيد الهمة، يسر الله له من الهيبة عند الأعداء والحشمة فى قلوب الرعايا ما لم يره أحد، وكانت له المعرفة التامة فى تفسير القرآن. أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أقام مدة سنتين يقرأ عليه ثم كان يلازم على مجالس الدرس عنده وله معرفة فى الحديث والفقه وغير ذلك، بحيث انه إذا كتب نصيحة لجميع رعاياه من المسلمين أتى فيها بالعجب العجاب وبهرت عقول أولى الألباب. وكان أول ما يصدر النصيحة بالوصية بتقوى الله تعالى ومعرفة نعمة الإسلام ومعرفة التوحيد والاجتماع بعد الفرقة، ثم الحض على الجهاد فى سبيل الله، ثم الزجر عن جميع المحظورات من الزنى والغيبة والنميمة وقول الزور والمعاملات الربوية وغير ذلك، وكل نوع من ذلك يأتى عليه بالأدلة من الكتاب والسنة وكلام العلماء. فمن وقف على شىء من مراسلاته ونصائحه عرف بلاغته ووفور علمه، وإذا تكلم فى المحافل بنصيحة أو مذاكرة بهر عقل من لم يكن قد سمعه، وخال فى نفسه انه لم يسمع مثل قوله وحسن منطقه، وعليه الهيبة العظيمة التى ما سمعنا بها فى الملوك السالفة، بحيث ان ملوك الأقطار لا تتجاسر على مراجعته الكلام، ولا ترمقه بأبصارها إعظاما له وهو مع ذلك فى الغاية من التواضع للمساكين وذوى الحاجة وكثير المداعبة والانبساط لخواصه وأصحابه» الخ ما وصفه به من صفات كريمة، هى من أثر التمسك بعقيدة السلف الصالح[1].

وقال الشيخ راشد بن علي الحنبلي فى كتابه مثير الوجد فى معرفة أنساب ملوك نجد: عن الإمام سعود بن عبد العزيز «تولى ملك نجد وجند منها جنودا تزيد على أربعمائة ألف ما بين فارس وراجل، واخضع جزيرة العرب، وحاول مناهضة ملوك الدنيا وانتزاع الممالك. وكان مدة حياته لم تهزم له راية، وكان عالما ذكيا يحسن الخط والقراءة، وعليه من الأبهة والهيبة والجلال ما يبهر العقول. وكان فصيحا، إذا تكلم انصت له كل سامع[2].

(١) عنوان المجد فى تاريخ نجد جـ ١/١٦٥-١٧٦.

(٢) مثير الوجد . . . ص ٤٢.

وعلى الجملة فهو شجاع فارس صادق فى الحديث وعالم راسخ فى العلم ، وتقي دين ، سلم لأولياء الله حرب على أعدائه ، اجتمعت فيه ملكات الحكم والامارة ومواهب العلم والامامة رحمه الله تعالى وقد تم على يديه دخول الحجاز فى ولاية الدولة السعودية الأولى . وكان انتشار عقيدة السلف الصالح فى عهده انتشارا مستمرا وواسعا حتى شمل الحرمين وساد فى ارجاء الجزيرة وما حولها .

وقد قام الإمام سعود بن عبد العزيز بتقديم كتاب كان موجها إلى سليمان باشا يشرح فيه عقيدة السلف الصالح والتى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود ومن خلفه من أبنائه وفند مطاعن الأعداء وكشف شبهاتهم وان كل ما قالوه ضد عقيدة الشيخ وأنصاره باطل وليس لهم حجة إلا من جنس ما يحتج به أعداء الرسل على الرسل وعلى اتباعهم إلى يوم القيامة فاطلع عليه أهل مكة وعلماؤ هم .

ووقع عليه علماء مكة وقضاتها وأرباب الفتوى فيها من جميع المذاهب الأربعة ووقع الشريف غالب بن مساعد على ذلك وكذلك علماء المدينة المنورة ، وكلهم يقولون نشهد أن هذا الدين الذى قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ودعانا إليه إمام المسلمين سعود بن عبد العزيز من توحيد الله عزوجل ونفي الشرك الذى ذكره انه هو الحق الذى لا شك فيه ولا ريب ، الذى جاء به النبى محمد ﷺ وأن ما وقع فى مكة والمدينة سابقا ومصر والشام وغيرهما ، من البلاد إلى الآن ، من أنواع الشرك المذكورة فى هذا الكتاب انه الكفر المبيح للدم والمال والموجب للخلود فى النار ، ومن لم يدخل فى هذا الدين ويعمل به ، ويوالى أهله ، ويعادى أعداءه فهو عندنا كافر بالله واليوم الآخر ، وواجب على إمام المسلمين والمسلمين جهاده وقتاله حتى يتوب إلى الله مما هو عليه ويعمل بهذا الدين .

ومن هؤلاء المشائخ الشيخ عبد الملك بن عبد المنعم القلعى الحنفي مفتى مكة المكرمة ، والشيخ محمد صالح بن إبراهيم مفتى الشافعية بمكة ، والشيخ محمد بن محمد عربى البنانى مفتى المالكية بمكة المشرفة ، والشيخ محمد بن أحمد المالكى ، والشيخ محمد بن يحيى مفتى الحنابلة بمكة المكرمة وغيرهم[1] .

وبهذا كسر الطاغوت وأرغم الشيطان ولله الحمد ، نصر من الله وفتح قريب ، وهذا النصر العزيز والفتح المبين هو من آثار عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وفوقه مدخل إلى الجنة كريم إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر: الدرر السنية، جـ ١ ص ص ٣١٨-٣٢٠.

ومن أشهـر العلماء العـاملين فى زمن الإمـام سعود ابن الشيخ، الشيخ عبد الله العالم الجليل.

قال ابن بشـر : «هـو الخليفـة بعـد أخيـه حسين والقاضى فى بلد الدرعية زمن سعود فكان آية فى العلم ومعرفته ومعرفة فنونه»[١].

وحصل علما كثيرا حيث أوقف حياته على تحصيل العلم وتعليمه ونشره وأخذ عنـه خلق كثـير من فطـاحل العلماء، وصار مرجع القضاة وله مؤلفات عديدة وفتاوى كثيرة منهـا رد على بعض علماء الـزيدية فيما اعترض به على دعوة التوحيد السلفية، ومختصـرة السـيرة النبـويـة، والكلمات النـافعة، ورسالة طويلة كتبها حال دخوله مكة المكرمة مع الإمام سعود فاتحا سنة ١٢١٨هـ اشتملت على بيان عقيدة شيوخ الدعوة وما هم عليه ورد مفتريات أعداء الإسلام.

جاء فى هذه الـرسـالـة : بسم الله الـرحمن الـرحيم، الحمـد لله رب العـالمـين والصـلاة والسـلام على نبينـا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين، وبعد فانـا معـاشـر الموحدين لما من الله علينا وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت فى ثامن شهـر المحرم الحـرام سنة ١٢١٨ بعد أن طلب أشراف مكة وعلماؤ ها وكـافـة العـامة من أمير الغزو سعود الأمان، وقد كانوا تواطؤ ا مع أمراء الحجيج وأمير مكة على قتاله أو الاقامة فى الحرم ليصدوه عن البيت فلما زحفت أجناد الموحدين القى الله الـرعب فى قلوبهم، فتفـرقـوا شذر مذر كل واحـد يعـد الاياب غنيمة وبذل الأمير حينئـذ الأمـان لمن بالحـرم الشـريف ودخلنـا وشعـارنـا التلبيـة آمنـين محلقين رؤ وسنا ومقصـرين غير خائفـين من أحـد من المخلوقـين بل من مالـك يوم الدين، ومن حين دخل الجند الحرم وهم على كثرتهم مضبوطون متأدبون لم يعضدوا به شجرا، ولم ينفروا صيدا ولم يريقوا دما إلا دم الهدى أو ما أحل الله من بهيمة الأنعام على الوجه المشروع ولـما تمت عمـرتنـا جمعنـا النـاس ضحـوة الأحد وعرض الأمير رحمه الله على العلماء ما نطلب من النـاس ونقـاتلهم عليـه وهـو اخلاص التوحيد لله تعالى وعرفهم انه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع الا فى أمرين : أحدهما اخلاص التوحيد لله تعالى، ومعرفة أنواع العبادة وان الدعاء من جملتها، وتحقيق معنى الشرك الذى قاتل الناس عليه نبينا

---

(١) عنوان المجد . . . ٩٣/١.

محمد ﷺ ، واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة إلى ذلك التوحيد، وترك الاشراك قبل أن تفرض عليه أركان الإسلام الأربعة.

والثاني : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى لم يبق عندهم إلا اسمه وانمحى أثره ورسمه. فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلا وبايعوا الأمير على الكتاب والسنة وقبل منهم وعفى عنهم كافة فلم يحصل على أحد منهم أدنى مشقة ولم يزل يرفق بهم غاية الرفق لا سيما العلماء. ونقرر لهم حال اجتماعهم وحال انفرادهم لدينا أدلة ما نحن عليه، ونطلب منهم المناصحة والمذاكرة وعرفناهم بأن صرح لهم الأمير حال اجتماعهم بانا قابلون ما وضحوا برهانه من كتاب أو سنة أو أثر عن السلف الصالح كالخلفاء الراشدين المأمورين باتباعهم بقوله ﷺ « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » أو عن الأئمة الأربعة المجتهدين ومن تلقى العلم عنهم إلى آخر القرن الثالث لقوله ﷺ « خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وعرفناهم انا دايرون مع الحق اينما دار وتابعون للدليل الجلى الواضح ولا نبالي حينئذ بمخالفة ما سلف عليه من قبلنا، فلم ينقموا علينا أمرا، فألحينا عليهم فى مسألة طلب الحاجات من الأموات ان بقى لديهم شبهة. فذكر بعضهم شبهة أو شبهتين فرددناها بالدلايل القاطعة من الكتاب والسنة حتى أذعنوا ولم يبق عند أحد منهم شك ولا ارتياب فيما قاتلنا الناس عليه انه الحق الجلى الذى لا غبار عليه. وحلفوا لنا الأيمان المغلظة من دون استحلاف لهم على انشراح صدورهم وجزم ضمائرهم انه لم يبق لديهم شك فى ان من قال: يارسول الله ﷺ ، أو يا ابن عباس، أو ياعبد القادر أو غيرهم من المخلوقين طالبا بذلك دفع شر أو جلب خير من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى من شفاء المريض والنصر على العدو والحفظ من المكروه ونحو ذلك انه مشرك شركا أكبر يهدر دمه ويبيح ماله وان كان يعتقد أن الفاعل المؤثر فى تصريف الكون هو الله تعالى وحده لكنه قصد المخلوقين بالدعاء متشفعا بهم ومتقربا بهم لتقضى حاجته من الله بسرهم وشفاعتهم له فيها أيام البرزخ، وان ما وضع من البناء على قبور الصالحين صارت فى هذه الأزمان أصناما تقصد لطلب الحاجات ويتضرع عندها ويهتف بأهلها فى الشدائد كما كانت تفعله الجاهلية الأولى، وكان من جملتهم مفتى الحنفية الشيخ عبد الملك القلعى وحسين المغربى مفتى المالكية، وعقيل بن يحيى العلوى فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يعبد بالتعظيم والاعتقاد فيه ويرجى النفع والضر بسببه من جميع البناء على القبور وغيرها حتى لم يبق فى تلك البقعة

المطهرة طاغوت يعبد فالحمد لله على ذلك ثم رفعت المكوس والرسوم، وكسرت آلات التنباك، ونودى بتحريمه وأحرقت أماكن الحشاشين والمشهورين بالفجور ونودى بالمواظبة على الصلوات فى الجماعات، وعدم التفرق فى ذلك بان يجتمعوا فى كل صلاة على إمام واحد، ويكون ذلك الإمام من أحد المقلدين للأربعة رضوان الله عليهم، واجتمعت الكلمة حينئذ، وعبد الله وحده، وحصلت الألفة وسقطت الكلفة، وأمر عليهم، واستتب الأمر من دون سفك دم ولا هتك عرض ولا مشقة على أحد والحمد لله رب العالمين، ثم دفعت لهم الرسائل المؤلفة للشيخ محمد فى التوحيد المتضمنة للبراهين وتقرير الأدلة على ذلك بالآيات المحكمات والأحاديث المتواترة مما يثلج الصدر واختصر من ذلك رسالة مختصرة للعوام تنشر فى مجالسهم وتدرس فى محافلهم ويبين لهم العلماء معانيها ليعرفوا التوحيد فيتمسكوا بعروته الوثيقة فيتضح لهم الشرك فينفروا عنه وهم على بصيرة آمنين وكان فيمن حضر مع علماء مكة وشاهد غالب ما صار حسين بن محمد بن الحسين الأبريقى الحضرمى ثم الحيانى ولم يزل يتردد علينا ويجتمع بسعود وخاصته من أهل المعرفة ويسأل عن مسألة الشفاعة التى جرد السيف بسببها من دون حياء ولا خجل لعدم سابقة جرم له. فأخبرناه بأن مذهبنا فى أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتنا طريقة السلف التى هى الطريق الأسلم بل والأعلم والأحكم خلافا لمن قال طريق الخلف أعلم» - ومضى الشيخ يبين عقيدتهم السلفية فى الأصول والفروع فى رسالته هذه وهى طويلة ونقلت منها ما نقلت لتضمنه وصفا لأثر عقيدة الشيخ فى نشر دين الله ورسوله ﷺ، وقد أثنى عليها العلماء وصدقوها وزكوها وما علمت أن أحدا نفى ما جاء فيها من وصف ما جرى وما هو واقع، يقول محمد كرد على الدمشقى فى كتابه «القديم والحديث». عن هذه الرسالة: «ورسالة عبد الله بن عبد الوهاب التى كتبها حين فتح الحرمين الشريفين شاهد عدل انه برىء من تلك الافتراءات التى افتروها على عقائده وعقائد أبيه، وبنوا عليها تلك الزلازل والقلاقل وأن مذهبه عين مذهب الأئمة المحدثين والسلف الصالحين»(١).

والحق أن الشيخ أنصف ولم يترك لأحد مقالا، وأحال إلى الواقع الذى لا يقدر أحد أن ينكره يقول فى رسالته تلك:

---

(١) نقلا عن هامش عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر تهميش عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ص ١٦٤ ط المعارف ١٣٩٤هـ.

«ومن شاهد حالنا وحضر مجالسنا، وتحقق ما عندنا علم قطعا أن جميع ذلك وضعه وافتراه علينا أعداء الدين واخوان الشياطين تنفيرا للناس عن الاذعان باخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذى نص الله عليه بأن الله لا يغفره ويغفر ما دونه لمن يشاء». ويشير إلى ما كذب عليهم من أنهم مخالفون لعقيدة أهل السنة والجماعة فى أى مسألة من مسائل العقيدة[1].

ومن هؤلاء القضاه فى زمن الامام سعود:

الشيخ عبد الرحمن بن نامى الذى صار قاضيا فى بلد العيينة، ثم صار قاضيا فى الاحساء زمن سعود وابنه عبد الله[2].

الشيخ محمد بن سلطان العوسجى قاضى المحمل صار قاضيا فى الاحساء زمن سعود[3] وقد حصل فى التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول هذه العلوم، وقام بنشر عقيدة السلف الصالح فى الاحساء[4].

والشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا حسين الذى صار قاضيا فى حريملاء وبلد الزلفى وغيرهما زمن سعود وابنه عبد الله[5].

وعن الأثر العمرانى والحضارى لهذه العقيدة السلفية التى لا ينسى صاحبها نصيبه من الدنيا ويحسن كما أحسن الله إليه - يحدثنا المؤرخ ابن بشر عن مثال رآه وشاهده فيقول: «ولقد رأيت فى الدرعية بعد ذلك فى زمن سعود رحمه الله تعالى وما فيه أهلها من الاموال وكثرة الرجال والسلاح المحلى بالذهب والفضة الذى لا يوجد مثله، والخيل الجياد والنجايب العمانيات والملابس الفاخرة وغير ذلك من الرفاهيات ما يعجز عن عده اللسان ويكل عن حصره الجنان والبنان ولقد نظرت إلى موسمها يوما فى مكان مرتفع، وهو فى الموضع المعروف بالباطن، بين منازلها الغربية التى فيها آل سعود، والمعروفة بالطريف، ومنازلها الشرقية المعروفة بالبجيرى، التى فيها أبناء الشيخ، ورأيت موسم الرجال فى جانب وموسم النساء فى جانب وموسم اللحم فى جانب وما بين ذلك من الذهب والفضة والسلاح والابل والأغنام والبيع والشراء،

---

(١) انظر: نص رسالة الشيخ عبد الله كاملا فى الدرر السنية جـ ١ ص ص ١٢٣ - ١٣٤.

(٢) عنوان المجد فى تاريخ نجد ١/٩٤.

(٣) عنوان المجد فى تاريخ نجد ١/٩٤.

(٤) علماء نجد خلال ستة قرون ٣/٨٠٩.

(٥) عنوان المجد فى تاريخ نجد ١/٩٤.

والأخذ والعطاء وغير ذلك. وهو مد البصر، لا تسمع فيه الا كدوى النحل من النجناج، وقول: بعت وشريت، والدكاكين على جانبيه الشرقى والغربى وفيها من الهدم والسلاح والقماش مالا يعرف ولا يوصف[1]. وكان قوة هذه البلد وعظم مبانيها، وقوة أهلها وكثرة رجالها وأموالها لا يقدر الواصف صفتها. ولا يحيط العارف بمعرفتها. فلو ذهبت أعد رجالها وإقبالهم فيها وإدبارهم فى كتائب الخيل والنجائب العمانيات وما يدخل على أهلها من أحمال الأموال من سائر الاجناس التى لهم مع المسافرين من أهلها، ومن أهل الأقطار لم يسعه كتاب ولرأيت العجب العجاب. وكان الداخل فى موسمها لايفقد أحدا من أهل الآفاق من اليمن وتهامه والحجاز، وعمان والبحرين وبادية الشام، ومصر وأناس من حاضرتهم، إلى غير ذلك من أهل الآفاق ممن يطول عدهم، هذا داخل فيها وهذا خارج منها، وهذا مستوطن فيها. وكانت الدور لا تباع فيها الا نادرا وأثمانها سبعة الآف ريال وخمسة الآف ريال والدانى بألف ريال وأقل وأكثر وكل شىء بقدره، على هذا التقدير، وكروة الدكان الواحد فى الشهر خمسة وأربعون ريالا، وسائر الدكاكين الواحد بريال فى اليوم، وشىء نصف ريال. وذكر لي أن القافلة من الهدم إذا أتت إليها، بلغت كروة الدكان فى اليوم الواحد أربعة أريل، وأراد رجل منهم أن يوسع بيته ويعمره، فاشترى نخيلات تحت هذا البيت، يريد قطعها وتعمير موضعها، كل نخلة بأربعين ريالا، وخمسين ريالا، فقطع النخل وعمر البيت، ولكنه وقع عليه الهدم[2] قبل تمامه. وذكر لي من أثق به أن رجلا، من أهل الدرعية قال له: إنى أردت ميزابا فى بيتى فاشتريت خشبة طولها ثلاثة أذرع بثلاثة أريل وأجرة نجره وبناه ريال. وكان غلا الحطب فيها والخشب إلى حد الغاية حتى قيل إن حمل الحطب بلغ خمسة أريل وستة، والذراع من الخشبة الغليظة بريال وكل بيوتها مقاصير وقصور. كأن ساكنيها لم يكونوا من أبناء ساكنى القبور. فإذا وقفت فى مكان مرتفع ونظرت موسمها وكثرة ما فيها من الخلائق وتزايلهم فيه وإقبالهم وإدبارهم ثم سمعت رنتهم ونجناجهم فيه فكأنه دوي السيل القوي إذا صب من عالى جبل[3]. اهـ

لا شك أن هذا الوصف يصور تطورا، عمرانيا، وحضاريا، متفوقا، على جميع

---

(١) تاريخ نجد ١/١٣، ١٤.

(٢) يعنى هدم الدرعية على يد إبراهيم باشا.

(٣) عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر جـ ١ ص ٢١٤.

الأقطار من حولهم حيث كان الداخل فى موسمها لا يفقد أحداء من أهل الآفاق من اليمن وتهامة والحجاز، وعمان والبحرين، وبادية الشام ومصر وأناس من حاضرتهم، إلى غير ذلك من أهل الآفاق ممن يطول عدهم الخ كلام إبن بشر الذى رأى ذلك زمن الامام سعود.

وأما الامام عبد الله بن سعود:

فيقول الشيخ راشد بن علي بن جريس فى كتابه« مثير الوجد فى معرفة أنساب ملوك نجد» بعد أن ذكر وفاة الامام سعود بن عبد العزيز سنة ١٢٢٩ هـ قال: لما توفي الامام سعود تولى الامامة بعده إبنه عبد الله بن سعود فسار سيرة والده إلا أن إخوته لا يوافقونه على إرادته وكان لا يخالفهم ونازعه أخوه فيصل بن سعود فكان يأمر وفيصل يأمر، فتفرقت شوكتهم ونفر منهم فئام من العرب، واتسع الخرق فى قوتهم، فحاربتهم الدولة المصرية، وانحاز إلى المصريين أكثر العرب من نجد والحجاز واليمن والعراق والشام وكان عبد الله شجاعاء ديناء عفيفاء كريماء سخياء، إلا أنه ليس له من الرأي والألمعية كما لوالده، فلذلك أضاع من سياسة الرعية شيئاء عظيماء فوافاه القدر المحتوم فتوفي فى مدينة قسطنطينية سنة ١٢٣٣ هـ(١).

وقال ابن بشر: «وهذا الذى ذكرت من جهة الأمن وطاعة الحاضر والباد وغير ذلك اتفق فى زمن عبد العزيز وزمن ابنه سعود وصدر من ولاية عبد الله(٢).

حاصل أثر عقيدة الشيخ فى هذا الدور:

يمكننا تحصيل ابرز آثار عقيدة الشيخ فى هذا الدور من أدوار دولة أنصارها فى نقاط هى: اشراق نور الحق من نجد، وإمامة الأئمة والملوك من آل سعود وتحقيق ان منهج السلف يأتى بالخلافة فى الأرض وتحقيق ان عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية قامت عليها دولة عظيمة فاقت أهل زمانها وهى صالحة لأن تقوم عليها دولة عصرية تفوق أهل هذا الزمان بحول الله وقوته وهذه النقاط يمكن استعراضها بشكل موجز فيما يلى:

---

(١) ص ٤٢.
(٢) عنوان المجد. . . ١/١٢٨.

اشـراق نـور الحـق من نجـد :

لقد أشرق نور الحق وإضاء نور هدى رسول الله ﷺ بعد ما أثار طواغيت العالم حوله القتام من نجد هذه المرة كما قال حسين بن غنام :

تلألأ نور الحق وانصـدع الفجـر ... وديجـور ليـل الشـرك مزقـه الظهـر
وشمس الأمانى أشرقت فى سعودها ... ولاح بأفق السُعـد أنجمـه الـزهـر
وجـلا ظلام الخطب بيض صنـائع ... كأن سنـاهـا فى غيـاهـبـه بدر
وأسفـر وجـه الـوقت بعـد تعبس ... وحـالت بصنـع الله احـواله الكدر

إلى أن قال :

تشعشـع من خمسين عامـا ضياؤه ... ولم تبـق أرض ليس فيـهـا له ذكـر[1]

ومن عادة المؤرخين أنهم لا يهتمـون فى تاريخهم بتـدوين الحـوادث فى الأزمنـة والأمكنـة ما لم تكن لها دولـة ذات شأن ، ولـذا فإن البـاحث فى أيـة ناحيـة من نواحى التـاريخ المتعلقـة ببـلاد نجد وما جاورها فى القرون التى تلت القرن الثالث الهجرى حتى زمن ظهـور دعـوة الشيـخ محمـد بن عبد الوهاب رحمه الله تعوزه المصادر ولا يرى اهتماما من المؤرخين بحوادثها ، وكل من كتب من المؤرخين المحدثين يبنى تاريخه على الشهرة القديمة فى صدر الإسلام ويعول على ما ذكره متقدمو المؤرخين عنها[2] .

أمـا بعـد أن أنعم الله على هذه البـلاد بظهـور دعوة الشيخ إلى عقيدة السلف الصالح وإصلاح ما فسد وانحرف من عقائد الناس على أيدى الغر الميامين آل سعود فقد عمت بركتها وشمل يمنها الجزيرة وما جاورها وبلغت أقصى أقطار المعمورة وكان ذلك موضع اهتمام المؤرخين والعلماء فكان همهم الأكبر فهم حقيقة تلك النهضة التى هى حقيقة الإسلام خالصا من كل شائبة ، وكان أول من قام بتدوين تاريخ قيام هذه النهضة المباركة وتصوير كفاح أولئك الأبطال الذين حموا حوزتها ، ودافعوا عنها بالنفس والنفيس عالم جليـل من بلاد الأحسـاء هو الشيـخ حسـين بن غنـام (ت ١٢٢٥هـ) فسجـل حوادث ما يزيـد على نصف قرن من الـزمان ، وجاء بعده عالم جليل آخر هو

---

(١) روضة الأفكار، جـ ١ ص ٢٣٧ ، وص ٣٤٠.

(٢) انظـر: حمد الجـاسـر فى كتـابـه : مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ص ص ٤٥ ـ ٧٩ ، ٨٠ ـ ١٠٠ ، ومقدمته لتاريخ بعض الحوادث لابن عيسى ص ص ٥ ـ ٦ .

عثمان بن بشر (١٢١٠-١٢٩٠هـ) فسجل أهم حوادث أكثر من قرن كامل من الزمان بطريق التسلسل، (من سنة ١١٥٨ إلى سنة ١٢٦٨هـ)[١] ويلاحظ أن ابن بشر قد خصص كتابه لتاريخ تلك النهضة المباركة والدولة الميمونة وما دونه من نتف قبلها اعتبرها سوابق سبقت تلك العصور الزاهرة وقال: إنما دونتها ليعرف من وقف عليها نعمة الإسلام والجماعة والسمع والطاعة ولا تعرف الأشياء إلا بأضدادها[٢] ويرى الدكتور منير العجلاني أن مبدأ تاريخ نجد الحديث والجزيرة العربية والشرق الأدنى هو من السنة التى هاجر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية قال: «ففيها بدأت نجد تكتشف نفسها، وتعى رسالتها، وتصنع وحدتها، وتبنى نهضتها، وقبل ذلك وحتى القرن الثانى عشر، كانت (نجد) تعبيرا تاريخيا أو (جغرافيا) فى الكتب القديمة، وأما فى الواقع فما كان شيء يذكر بوحدتها أو وجودها... وإنما كانت هناك مجموعة كبيرة من الإمارات والمشيخات تنفرد كل واحدة منها بسلطانها، وتعتز باسمها ولا ترى شيئا فوقه، وقد تتحالف أحيانا لقتال الآخرين واستباحة ديارهم وأموالهم، ولكنها متى فرغت من قتال عدوها عادت تتقاتل فيما بينها، ولما يجف مداد عهدها ودم جندها».

إلى أن قال: «فلما تأسست دولة الإسلام فى الدرعية، أخذت الصفوف تتجمع والبلدان تتوحد، فنشأت وحدة فى العارض، ثم وحدة فى نجد، ثم توسع مدلول نجد نفسه، فنشأت دولة نجد الكبرى إن صح هذا التعبير»[٣].

ولقد أيد الدكتور العجلانى هذا الرأى بنقول عن صحيفة «الخليج الفارسى» وعن الدكتور فيليب حتى فى كتابه «تاريخ العرب»، وعن «دائرة المعارف الإسلامية النسخة الإنكليزية، الطبعة الجديدة»[٤].

وإذا اعتبرنا - وهو اعتبار صحيح يؤيده الواقع التاريخى - أن وجود العلماء والمؤرخين إنما يكون بقيام الدول الإسلامية لأن من شأنها الاستقرار والعدل والقضاء على الظلم والجهل فإننا نستطيع القول بأن التاريخ أشرق مرة أخرى بقيام دولة آل

---

(١) إبراهيم بن صالح بن عيسى، عقد الدرر فيما وقع فى نجد من الحوادث والعبر فى آخر القرن الثالث عشر والرابع عشر عام ١٣٧٢ باشراف عبد الله الحاتم ص ١٠١. وانظر: حمد الجاسر: مقدمته لتاريخ بعض الحوادث.. لابن عيسى ص - ص ٥ - ٧، وعلماء نجد... ٣/ ٧٠٠، ٧٠٣.

(٢) ابن بشر ١/ ١٥٧، ١٥٨.

(٣) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ص ٣٥، ٣٦، ٤٠، ٤١، ٤٢.

(٤) انظر: ص ٤٢ - ٤٥ من المرجع السابق.

سعـود بنصـر عقيـدة السلف الصـالـح منذ عقد الإمامان المحمدان العهد بينهما على نصرة دين الله ورسوله ﷺ عام ١١٥٨هـ .

إمامة الأئمة والملوك من آل سعود وتاريخهم :

قال الله تعالى : ﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير** ﴾ .

فمن آتـاه الله الملك وسـار فيـه على النهـج السوى كانت له هيبة مأثورة ومكانة مرهـوبـة وأنسـاب محفوظة ، وتاريخ مجيد ، وآل سعود منذ آووا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ونصروه فى دعوته إلى عقيدة أهل السنة والجماعة ، قد جعل الله لهم ملكا قائما وتاريخا مجيدا بالفضائل مشرقا ، ودونت أنسابهم وسلسلت اعلامهم فى مشجرات الأنسـاب ، وحفظت فى تواريـخ ومؤلفـات ومن هذه المؤلفات كتاب : مثير الوجد فى معرفة أنساب ملوك نجد ، تأليف شيخ من أفاضل السلفيين هوراشد بن على الحنبلى من آل جريس من قرية نعام ومن أهل القرن الثالث عشر كان معاصرا لصديق حسن خان وله ترجمة فى «التاج المكلل» لصديق حسن خان[1] .

ولعل الدكتور منير العجلانى لم يطلع على هذا الكتاب فانه فى بحثه نسب آل سعـود ، قصـر سلسلة نسبهم على مانـع الجد السابع لمحمد بن سعود ، وقال : «هذه هى سلسلة النسب التى نجـدهـا فى كل كتاب يبحث فى تاريخ الدولة السعودية لانها قريبـة العهـد ، وأمـا ما فوق مانـع من الآباء ، فبعض المؤلفين يهمله وبعضهـم ينقص منـه ، وبعض يغلط فيـه ، ولكن المؤلفـين يجمعون على أن مانعاً يتجدر من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان»[2] .

ثم عدد الـدكتـور العجـلانى المـراجع التى اطلع عليها وناقش ماورد فيها من معلومـات ومشجـرات لهذا النسب ولم يذكـر «مثير الوجد فى معرفة أنساب ملوك نجد» هذا ، وهو لعالم من علماء النسب فى نجد الأثبات كما يبدو من ترجمته[3] . وقد ذكر فيه

---

(١) انظر: مقدمة محب الدين الخطيب، لكتاب مثير الوجد ط السلفية بالقاهرة ١٣٧٩هـ ص ص ٣ ـ ٨ . وانظر: التاج المكلل ص ٥١٧ . ط . الهند عام ١٣٨٢هـ.

(٢) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٦٧ .

(٣) المصـدر السـابق ص ص ٦٧ ـ ٧٩ ، وعلماء نجـد خلال ستـة قرون للشيـخ البسام ١/ ٢٥٧-٢٦٠ ، وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد لمحمد القاضى ١/ ١٠٤-١٠٥ . والتاج المكلل . . لصديق حسن ص ٥١٧ .

مشجر ربيعة وتميم الذى تضمن ذكر من فوق مانع حتى ربيعة[١] . وفى ظنى أنه مشجر صحيح . وعلى كل حال فإن ذلك الغموض فى تاريخ من فوق محمد بن سعود يؤكد بأن هذه الأسرة الكريمة لم يظهر صيتها ، ولم يهتم بها المؤرخون حتى اتى الله آل سعود الملك ببركة إتفاق جدهم محمد بن سعود مع محمد بن عبد الوهاب على نصرة الاسلام .

يقول الدكتور العثيمين : « إن تاريخ الاسرة السعودية فى بلدة الدرعية يعود إلى منتصف القرن التاسع الهجرى وكان جد هذه الاسرة مانع المريدى ، مقيماً فى مكان يقال له الدرعية ناحية القطيف . وكان ابن عمه ، ابن درع ، مستقراً فى حجر اليمامة ، ونتيجة لمراسلات بينهما إنتقل مانع إلى منطقة نفوذ ابن عمه سنة ٨٥٠» ا ـ هـ [٢] .

ويقول أيضاً : والمتأمل فى تاريخ هذه الاسرة خلال أكثر من قرنين ونصف القرن يجد أنه لا يختلف عن تاريخ كثير من الاسر التى كانت فى نجد آنذاك على العموم . كانت هذه الاسرة فى بدايتها ضعيفة ، ثم قويت وتوسعت على حساب جيرانها آل يزيد ـ وكغيرها من الاسر قام بين أفرادها صراع حول السلطة والنفوذ حتى ضعف مركزها ، وانتقلت رئاسة بلدة الدرعية إلى رجل من خارج هذه الاسرة يسمى سلطان بن محمد القبس سنة ١١٠٧ هـ ، وعلى أية حال فإن رئاسة البلدة عادت بالقوة إلى أصحابها السابقين بعد ثلاثة عشر عاما وأصبح موسى بن ربيعة أميراء لكنه مالبث أن أبعد عن الامارة وحل محله سعود بن محمد بن مقرن ، وحين توفى سعود سنة ١١٣٧ هـ لم يتول إبنه محمد الامارة بعده وإنما تولاها زيد بن مرخان على أن محمداً كان له تأثير قوي على سير الحوادث فى الامارة ، وكان قد حل بالعيينة وباء سنة ١١٣٨ هـ مات فيه أميرها عبد الله بن معمر وعدد كبير من رجالها وإستغلالاً لذلك أخذ زيد بن مرخان يعد العدة لمها جمتها ، لكن خطته فشلت حين إستدرجه أمير العيينة الجديد محمد بن معمر وقتله غدراً فى السنة التالية وحينما عاد بقية من كانوا معه إلى الدرعية بقيادة محمد بن سعود أصبح هذا الاخير أميراً لها[٣] .

ويقول الدكتور العجلانى : « ويبقى محمد بن سعود رئيساً للدرعية قبل هجرة الشيخ إليها نحو عشرين سنة أى منذ عام ١١٣٩ هـ إلى عام ١١٥٧ هـ ولسنا نعرف

---

(١) مثير الوجد فى معرفة أنساب ملوك نجد ص ص ٣٠-٣٩ .

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . ص ٥١ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٢، ٥٣ .

شيئا من أخبار هذه الفترة الطويلة، ولعله لم يكن فيها شيء يستحق الذكر» ا ـ هـ (١).

هذا هو تاريخ الاسرة السعودية فقبل قيامها بدين الله على منهج السلف الصالح نجده تاريخاً لا يختلف عن تاريخ أى أسرة من الأسر النجدية الأخرى التى كانت كل واحدة منها دولة وفى كل بلدة من بلدانها إمارة أو مشيخة.

تحقيق أن منهج السلف الصالح يأتى بالخلافة فى الأرض:

لما قام آل سعود بدين الله على منهج السلف الصالح وفازوا على غيرهم بايواء حامل لوائه ونصرته ووفوا بما عاهدوا عليه الله آتاهم الله الملك، واستخلفهم فى الارض كما قال تعالى: ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً** » الآية [النور: ٥٥].

فكانت لهم مكانة مرهوبة وهيبة مأثورة وأنساب وتاريخ محفوظ ولا غرو فى ذلك لأنهم نصروا منهج السلف الصالح وامتازوا بذلك على غيرهم، ومنهج السلف الصالح هو الأساس فى بناء الامة الاسلامية وهو قطب رحاها فكما أن الأمة الاسلامية وسط بين الأمم فكذلك منهج السلف الصالح وسط بين المناهج والفرق الاسلامية، والدين الراشد هو الأمر الوحيد الذى ينقاد له العرب وبالدين يأتيهم الملك كما قرر هذا عالم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون فى مقدمته فقال: « إن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة. والسبب فى ذلك أنهم لخلق التوحش الذى فيهم أصعب الأمم إنقياداً بعضهم لبعض، للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة فى الرئاسة فقلما تجتمع أهواؤ هم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم وإجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس فإذا كان فيهم النبى أو الولى الذى يبعثهم على القيام بأمر الله يذهب منهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها ويؤلف كلمتهم لاظهار الحق تم إجتماعهم وحصل لهم الملك والتغلب»(٢).

---

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٦٣.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٥١.

وقال أيضاً: «إن الدولة العامة الاستيلاء، العظيمة الملك أصلها الدين إما من نبوة أو دعوة حق، وذلك لأن الملك إنما يحصل بالتغلب، والتغلب إنما يكون بالعصبية وإتفاق القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة من الله فى إقامة دينه قال تعالى: ﴿ **لو أنفقت ما فى الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم** ﴾ وسره أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف، وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة»[(1)] ا ـ هـ.

وهكذا فإن دولة آل سعود التى عظمت إنما أصلها الدين، أصلها الدعوة إلى الاسلام والسنة التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقبلوها وأقاموها خالصة من أى شيء يخالف عقيدة السلف الصالح ونهجهم السليم.

إن الشيخ وابن سعود وأتباعهم قصدوا إقامة دين الله ونشر الاسلام وإقرار السنة وإماتة البدعة فجعل الله سبحانه وتعالى لهم عاقبة حميدة ونصرهم فى نهاية جهادهم وأوصلهم ما كانوا يأملون به رغم كثرة الخصوم وشراستهم، وعداوة الأمراء والملوك من حولهم لهم ولما قاموا به بالاضافة إلى إستمرار معارضة علماء السوء وما أكثرهم وإبتلاء الأمة بأشخاص عرفوا بالعلم والديانة ثم انسلخوا من أداء الأمانة وقول الصدق وشهادة الحق فى شأن الشيخ وأنصاره وما دعوا إليه من الدين وراحوا يشبهون ويفترون على الاسلام والمسلمين، ولم تحل خشية الله بينهم وبين كتمان ما أنزل الله من البينات بل لم تحل بينهم وبين إفتراء الكذب ولبس الحق بالباطل ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى كتب لدعوة الشيخ النجاح ولمناصريه العز والتمكين ولخاذليه الذل والازالة فها هو عثمان بن معمر الذى طرد الشيخ مهابة من ملك الاحساء، يجد نفسه وقد ذهبت عنه تلك المهابة وبطل عنه كل ما كان يجد من دون الله تعالى وما وجد غير أن يأتى إلى الدرعية نادماً تائباً يرجو من الشيخ أن يعود معه، ثم لما رأى بالبصيرة أن إغتنام بقاء الشيخ قد فاته وظفر به ابن سعود[(2)] لم يجد بداً من أن ينضوى تحت لواء ابن سعود يجاهد فى سبيل الله، وهذا مقتضى العقل وعين الحق

(1) مقدمة ابن خلدون ص ١٥٧.

(2) روضة ابن غنام ٢/٤.

الذى لا مفر منه ثم نلمح الوفاء والكرم من الشيخ ومحمد بن سعود يُكرمون هذا العزيز الـذى ذل! ويجعلونـه أمـير الغزو كله بمثابة القائد العام للجيوش التى هى عدد الأمة وعدتها يريدون بذلك إعادة إعتباره بين قومه والابقاء على مكانته وإشباع طموحه فى الـزعـامـة والذى كان هو سبب ضعفه عن نصرة الاسلام عسى أن يجد فى الاسلام ما فقده فى غيره وعسى أن يغتبط بهذا الفضل وينسى ما يطمح إليه وقد قصر عن مستـــواه[١]، ولكنـــه ظل متأرجحـــاً بين الحق والبـــاطـــل ثم أدركـه حب الـريـاسـة والاستقـلال، وأعمتـه الأنفة عن طريقه الذى سلكه وهو الصواب، ولم يصبر على ما توهم أنه تبعية مذلة لابن سعود وابن عبد الوهاب فنزعت به نفسه إلى سلوك ما يريب منـه ويشينـه ويفتـح عليه باب المؤاخذة والعقوبة فيقتله بعض جماعته من أهل العيينة بسبب ذلك[٢]، والعيينة يحرسها الله بولائها للشيخ وابن سعود من إستشراء الفتن فيها وتمـزيقهـا لها فما كان الا أن تداركهـا الله بسـرعـة مجىء الشيخ إليها وتعيين أمير يخلف الراحل وتستمر العيينة بأهلها فى مسيرتها تحت لواء الدعوة استمراراً يسحق ما يقف فى طريقها حتى ولو كان الواقف فى طريقها أميرهم عثمان[٣] أو قصر آل معمر فيها[٤].

وفشلت كل معـــارضـات علماء السـوء النجـديـين، وخططهم وسعـايـاتهم، وانكشفت تشبيهـــاتهم وزهق باطلهم بإنتشـــار دعـوة الحق ودولتهـا حتى انهـزم أمـير الـريـاض وافتتحهـا عبـد العزيز بن محمد بعد حروب استمرت حوالى ثمانية وعشرين عاماً تخللتها فترات صلح يلجأ إليها دهام بن دواس حين يحس بضعف موقفه فيظهر الطـاعـة ثم ينكث وأخيراً هرب منها فأدخلوها تحت حكمهم الراشد، وغنموا ما فيها من عائدات الدولة[٥].

وخـاضت دولـة الدعوة معارك فى زمان محمد بن سعود كثيرة مع أعداء كثيرين وشـرسـين من أعظمـهم فى زمـان محمـد بن سعـود ثلاثـة أمراء: أمير الرياض ـ وأمير نجـران ـ وأمـير الأحساء فكانا يشتركان بالهجوم على الدرعية وينضم معهم كثير من بلدان نجـد وبـواديهـا يرمـونهم عن قوس واحـدة، وكـانت نهايـة النجرانى ومن تبعه

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد... ٢١/١، وروضة ابن غنام ٩/٢، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤.
(٢) المرجع السابق ابن بشر ٢٣/١، ٢٤. وروضة ابن غنام ٩/٢، ١٠، ١١، ١٣، ١٤.
(٣) روضة ابن غنام ١٤/٢.
(٤) روضة ابن غنام ٥٧/٢. وابن بشر فى عنوان المجد... ٤٣/١.
(٥) روضة ابن غنام ٨٣/٢-٨٨.

الخذلان عام ٨٨ ـ ١١٨٩ فى ولاية عبد العزيز خذلاناً عظيماً ويرجع إلى بلاده مقهوراً مدحوراً هالكاً[١].

أما أمير الأحساء الذى كان يخشاه ابن معمر فقد هلك بعد أن أذله الله وقام خلفه عرعر بن دجين وجمع جموعاً من عشائر بنى خالد وعدداً كبيراً من بلدان نجد المناوئين من أهل سدير والوشم والرياض والخرج وغيرهم وبواديهم من عنزة والظفير وتحزبوا أحزاباً هائلة اشرأب الباطل لها ونقضت عهود لأجلها ووقعت بينه وبين أهل الجبيلة والدرعية عدة وقائع وقتل من جنده عدة قتلى ولم يحصل على طائل فنكس على عقبيه قد فشل وفشل من نقض العهد لأجله[٢]. ثم عاد مع النجراني وأتباعه ليحارب ابن سعود معه ولكن الله لم يوفق بينه وبين النجرانى فلم يدرك شيئاً مما أراده ورجع إلى الأحساء[٣].

ثم إن سعدون بن عريعر الذى تولى أمر الأحساء بعده جاء ليحارب ابن سعود مساعدة لأعدائه ومعه المدافع ولم يفز ورجع إلى بلاده وترك مدافعه فى اليمامة فغنمها أهل الاسلام وذلك فى سنة خمس وتسعين ومائة وألف[٤].

ثم فى سنة مائتين والف دب الخلاف والفتن بين بنى خالد بما كسبت أيديهم فصار ذلك لعز الاسلام مقدمة وأستولت دولة الدعوة على الأحساء وما حولها[٥]، ثم تجمعت أحزاب ثوينى من بغداد وعلماء السوء لديه فهاجموا الحساء فهزمهم الله على يد آل سعود تحت راية التوحيد.

وهكذا تم القضاء على بقية الأمراء الذين وقفوا فى وجه الاسلام وطما على بلدانهم ملك أنصاره كما جرى للسابقين الاولين ـ وكما قال الله تعالى: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً﴾** الآية [النور: ٥٥]. . . والحمد لله رب العالمين.

---

(١) روضة ابن غنام ٢/٨٨-٨٩، ٩١-٩٣.
(٢) روضة ابن غنام ٢/٦٨-٧٢.
(٣) روضة ابن غنام ٢/٦٦-٦٨.
(٤) روضة ابن غنام ٢/١١٠.
(٥) الدرر السنية ١١/٤٧. وانظر: عنوان المجد: . . لابن بشر ص ص ١٢٤-١٢٨.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن فى نصيحته للإمام عبد الله بن فيصل : « تفهم أن أول ما قام به جداك محمد وعبد الله وعمك عبد العزيز أنها خلافة نبوة يطلبون الحق ويعملون به ويقومون ويغضبون له ويرضون ويجاهدون، وكفاهم الله أعداءهم على قوتهم ، إذا مشى العدو كسره الله قبل أن يصل لأنها خلافة نبوة ولا قاموا على الناس إلا بالقرآن والعمل به - كما قال تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم** ﴾ وأخذ عمك فى الإسلام حتى جاوز الثمانين فى العمر، والإسلام فى عز وظهور وأهله يزيدون وحصل لهم مضمون قوله «ليستخلفنهم فى الأرض» وصار أهل الأمصار يخافونهم»[1] .

وما من شك أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية هى التى قامت عليها هذه الدولة العظيمة ، فإنه لم يتوف إلا ومنطقة الأحساء تكاد كلها تخضع لها[2]

وقد استمرت هذه الدولة فى تطور عظيم كلما قامت بنشر العقيدة السلفية وحمايتها ولقد يسر الله من يقوم بنشرها من العلماء والأمراء حتى بعد وفاة الشيخ محمد سنة ١٢٠٦ هـ كما كانوا فى حياته على ما قدمنا ذكره حتى تمكنت دولة العقيدة السليمة من ضم الاحساء ومناطق كبيرة من الساحل الغربى للخليج العربى وعمان كما تمكنت من صد حملتين عسكريتين وجههما إليها باشا بغداد. واستطاعت أيضاً أن تستولى على الحجاز وما يقع إلى الجنوب منه حتى أواسط اليمن وتمكنوا من صد الحملة المصرية وهزيمتها ، فى حياة سعود - وبتلك العقيدة فى أقل من عشرين عاماً من وفاة الشيخ أصبحت مساحة دولة الدرعية تمتد من الشام والعراق شمالاً حتى أواسط اليمن جنوباً ومن البحر الاحمر غرباً حتى الخليج العربى وأوسط عمان شرقاً ، وبذلك تعدى نفوذ سلطانها خارج جزيرة العرب وأصبحت تشن الغارات داخل ألاراضى العراقية والشامية حتى بات كثير من القبائل الموجودة هناك تدفع إليها الزكاة[3] .

قال الشاعر :

وقد ملكوا نجدا وغورا واتهموا ... وشاما إلى البصرى بل الغرب والشرقا
حنيفية فى دينها سلفية ... وكانوا أولى بأس فسل كل من تلقى[4]

(١) الدرر السنية ١١/٤٧ وانظر: عنوان المجد . . لابن بشر ص ص ١٢٤-١٢٨ .
(٢) عنوان المجد . . . ١/١٢٨ .
(٣) انظر الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور العثيمين ص ٦٥ .
(٤) الدرر السنية لابن قاسم ١٢/٣٠.

مجمل إصلاحات الشيخ السلفية :

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هو الذى دعى إلى عقيدة السلف الصالح وقام معه أنصاره بهذا الدين على حين غربة فنشره الله فى الآفاق وبارك الله فى جهوده وجهاده فكل امرىء أخذ منه حظه وقسمه وبعثت العمال لقبض الزكاة بعد أن كانوا يسمون قبل ذلك عند الناس مكاسا وعشارا ، ونشرت راية الجهاد بعد أن كانت فتنا وقتالا ، وعرف الصغير والكبير التوحيد بعد أن كان لا يعرفه إلا الخواص ، واجتمع الناس على الصلوات والدروس والسؤال عن أصل الإسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ومعانى قراءتها وتعلمها الصغير والكبير والقارى والأمى بعد أن كان لا يعرفها إلا الخصائص ، وانتفع بعلمه أهل الآفاق لأنهم يسألون عما يأمر به وينهى عنه . فيقال لهم يأمر بالتوحيد وينهى عن المنكر ، ويقال لهم أن أهل نجد يمقتونكم بذلك ، فانتهى أناس كثير من أهل الآفاق بسبب ما سمعوا من أوامره ونواهيه وهدم المسلمون جميع القباب والمشاهد التى بنيت على القبور وغيرها من جميع المواضع الشركية فى أقاصى الأقطار من الحرمين واليمن وتهامة وعمان والأحساء ونجد وغير ذلك ، حتى لا تجد فيمن شملته ولاية المسلمين الشرك الأصغر فضلا عن غيره إلا الرياء الذى قال فيه النبى ﷺ : «إنه أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل» وأمر جميع أهل البلدان من أهل النواحى يسألون الناس فى المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشائين عن معرفة ثلاثة الأصول : معرفة الله ومعرفة دين الإسلام ومعرفة أركانه وما ورد عليها من الأدلة من القرآن ومعرفة محمد ﷺ ونسبه ومبعثه وهجرته وأول ما دعا إليه وهى : لا إله إلا الله ، ومعرفة معناها ، والبعث بعد الموت وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها وفروض الوضوء ونواقضه وما يتبع ذلك من تحقيق التوحيد من أنواع العبادة التى لا تنبغى إلا لله كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والرهبة والتوكل والإنابة وغير ذلك كما سبق ذكره . وذلك يسأل عنه الناس ويلزمون بتعلمه كل على قدر مستواه . وكان الشيخ هو المرجع فى أمور الدين وما يتعلق به من الأمور الأخرى ، فهو المرجع فى شئون الافتاء ، وكان هو الذى يختار القضاة ويعينهم ، كما كان يرسل المرشدين إلى المناطق المختلفة ويبعث العلماء لمناقشة من يود أن يعرف ما كان يدعو إليه كما طلب الشريف فأرسل إليه الشيخ عبد العزيز الحصين وغيره وقد شرح لعلماء مكة حقيقة الدعوة ، وللشيخ دور كبير فى

تدريس وتخريج كثير ممن أصبحوا قادة فى ميادين العلوم الدينية المختلفة وقاموا بأدوار إصلاحية هامة[1].

وكان رحمه الله تعالى هو الذى يجهز الجيوش ويبعث السرايا ويكاتب أهل البلدان ويكاتبونه، والوفود إليه والضيوف عنده والداخل والخارج من عنده[2].

ولم يزل الشيخ مجاهدا حتى اذعن أهل نجد وتابعوا، وعمل فيها بالحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وبايعوه، فعمرت نجد بعد خرابها وصلحت بعد فسادها ونال الفخر والملك من آواه، وصاروا ملوكا بعد الذل والتفرق والقتال وهكذا كل من نصر الشريعة من قديم الزمان وحديثه فان الله يظهره على أعدائه ويجعله مالكا لمن عاداه، وما مات إلا وقد قرت عينه بنصر الله لدين الإسلام فكان كثيرا ما يتمثل شاكرا لربه بثلاثة أبيات هى :

بأى لسان أشكر الله انه ... لذو نعمة قد أعجزت كل شاكر
حباني بالإسلام فضلا ونعمة ... علي وبالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل ... عليها اعتقادى يوم كشف السرائر[3]

ويلهج دائما بقوله تعالى: ﴿ **رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علي وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين** ﴾ وكان قد ثقل فى آخر عمره. فكان يخرج لصلاة الجماعة يتهادى بين رجلين حتى يقام فى الصف. فكان لا يزال قدوة حتى وهو فى هذه الحال، إلى أن توفى رحمه الله تعالى.

ويمكننا أن نتبين مجمل إصلاحات الشيخ السلفية حسبما ذكره الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عن ذلك، فقال رحمه الله :

«فأتاح الله بمنه فى هذه البلاد النجدية والجهات العربية من أحبار الإسلام وعلمائه الاعلام من يكشف الشبهة، ويجلو الغمة وينصح الأمة، ويدعو إلى محض الحق وصريح الدين، الذى لا يخالطه ولا يمازجه دين الجاهلية المشركين فنافح عن دين الله ودعا إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وصنف الكتب والرسائل وانتصب للرد على

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور العثيمين ص ٧١ بتصرف.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد. . . ١/٩٠. والدرر السنية ١١/٣١.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد. . . ١/٩١.

كل مبطل ومما حل، وعلم من لديه كيف يطلب العلم؟ وأين يطلب؟، وبأى شىء يقهر المشبه المجادل ويغلب؟، واجتمع له من عصابة الإسلام والإيمان طائفة يأخذون عنه وينتفعون بعلمه، وينصرون الله ورسوله حتى ظهر واستنار ما دعا إليه وأشرقت شموس ما عنده من العلم وما لديه، وعلت كلمة الله حتى أغشى اشراقها وضوءها كل مبطل ومماحل، وذل لها كل منافق مجادل، وحقق الله وعده لأوليائه وجنده كما قال تعالى: ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ وقوله: ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم** ﴾ الآية.

فزال بحمد الله ما كان بنجد وما يليها من القباب والمشاهد والمزارات والمغارات وقطع الأشجار التى يتبرك بها العامة، وبعث السعاة لمحو آثار البدع الجاهلية من الأوتار والتعاليق والشركيات، وألزم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت وبسائر الواجبات، وحث من لديه من القضاة والمفتين على تجريد المتابعة لما صح وثبت عن سيد المرسلين مع الاقتداء فى ذلك بأئمة الدين والسلف الصالح المهديين ونهاهم عن ابتداع قول لم يسبقهم إليه إمام يقتدى به، أو عَلمٌ يهتدى به وأنكر ما كان الناس عليه فى تلك البلاد وغيرها من تعظيم الموالد والأعياد الجاهلية التى لم ينزل فى تعظيمها سلطان، ولم يرد به حجة شرعية ولا برهان، لأن ذلك فيه مشابهة للنصارى الضالين، فى أعيادهم الزمانية والمكانية وما هو باطل مردود فى شرع سيد المرسلين.

وكذلك أنكر ما أحدثه جهلة المتصوفة وضلال المبتدعة من التدين والتعبد باللهو واللعب والمكاء والتصدية، والأغانى التى صدهم بها الشيطان عن سماع آيات القرآن وصاروا بها من أشباه عباد الأوثان، الذين قال الله فيهم: ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية** ﴾ وكل من عرف ما جاء به الرسول تبين له أن هؤلاء من أضل الفرق وأخبثهم نحلة وطريقة، والغالب على كثير منهم النفاق وكراهة سماع كلام الله.

وأنكر رحمه الله ما أحدثته العوام والطغام من اعتقاد البركة والصلاح فى أناس من الفجار والطواغيت الذين يترشحون لتأله العباد بهم وصرف قلوبهم إليهم باسم

---

(١) المصدر السابق ص ٩٥.

الـولايـة والصـلاح وان لهم كرامات ومقامات ونحو هذا من الجهالات فإن هؤلاء من أضر الناس على أديان العامة.

وأنكـر رحمـه الله ما يعتقـده العـامة فى البله والمجاذيب وأشباههـم الذين أحسن أحوال أحدهم أن يرفع عنه القلم ويلحق بالمجانين.

وأرشـد رحمـه الله إلى ما دل عليـه الكتاب وسنة رسول الله ﷺ من الفرقان بين أوليـاء الـرحمن وأولياء الشيطـان. وسـاق الأدلـة الشـرعيـة التى يتميـز بها كل فريق ويعتمدها أهل الإيمان والتحقيق. فإن الله جل ذكره وصف الأبرار ونعتهم بما يمتازون به ويعـرفـون، بحيث لا يخفى حالهم ولا يلتبس أمـرهم وكـذلك وصـف تعالى أولياء الشيطـان من الكفـار والفجـار ونعتهم بما لا يخفى معه حالهم ولا يلتبس أمرهـم، على من له أدنى نظر فى العلم وحظ من الإيمان.

وكـذلـك قام بالنكـير على أجـلاف البـوادى وأمـراء القـرى والنـواحى فيـما يتجـاسـرون عليـه ويفعلونه، من قطع السبيل وسفك الدماء ونهب الأموال المعصومة حتى ظهر العدل واستقر، وفشا الدين واستمر، والتزمه كل من كانت عليه الولاية من البلاد النجدية وغيرها، والحمد لله على ذلك[1].

أسباب زوال الدولة وتسليط العدو :

ثم إنـه حصلت ذنـوب من النـاس بعـد ذلـك وأمـور من التقصير والاخـتلاف فكانت سببا فى تسليط الأعداء على المسلمين، ابتلاء وامتحانا وتمحيصا واختبارا كما هى سنة الله تعالى العزيز الحكيم.

وقـد تنبـه إليهـا أبنـاء الشيـخ وهم حسين وإبراهيم وعبد الله وعلي منذ حدوثها واستنكروها ونصحوا كافة المسلمين بمنشورهم إليهم، وحثوا على التوبة منها قبل أن تحل العقوبة وتنزل الكارثة فلا ينفع حينئذ ندم نادم.

ومن هذه الأمور المخالفة : ترك المحافظة على الصلوات الخمس، وهى عمود الإسـلام من حفظهـا وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ومنها الغفلة عن التفقـه فى دين الإسـلام، حتى إن من النـاس من ينشأ وهـو ما يعرف دين الإسـلام ومنهم من يدخـل فيـه وهو ما يعرفه ولا يفعله ظنا منه أن الإسلام هو العهد،

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية جـ ٤ ص ص ٤٤٠-٤٤١.

ومعرفة الإسلام والعمل به واجب على كل أحد ولا ينفع فيه التقليد.

ومنها إن من الناس من يمنع الزكاة، والذى ما يقدر على المنع يجبسها. والزكاة ركن من أركان الإسلام. ومنها: ظهور عقوق الوالدين وقطيعة الرحم من كثير من الناس.

ومنها ما يجرى من بعض الأمراء والعامة من الغلول من المغانم، ومن لم يستطع يتحيل على الغلول بالشراء ولا ينقد الثمن.

ومنها ظلم بعض الأمراء، يأخذون من أموال الناس بصورة الجهاد ولا يصرفه فى الجهاد بل يأكله، وبعض الأمراء يأخذ جميع الزكاة ولا يعطى المساكين منها شيئا، وربما يجرى من هؤلاء تحميل الناس ما لا يستطيعون.

ومنها اختلاط الجيد بالردى، وصاحب الدين بالمنافق، ولا يميز هذا من هذا، ووقع بسببه ظهور الكلام الباطل والذى لو يظهر من أحد فى أول أمر هذه العقيدة أدب أدبا بليغا وعرف ان قائله منافق.

ومنها الظلم والوقوع فيما حرم الله من الدماء والأموال والأعراض، والغيبة والنميمة وقول الزور وبهت المسلم بما ليس فيه، وصار هذا ما يستنكر فإذا بان كذبه وتزويره ما سقط من العيون.

ومنها الجسرة على ذمة المسلم فإذا أعطى أحد من المسلمين أحدا من الكفار ذمته خفر فى دمه أو ماله، والعجب ان بعض الجهال يفعل هذا ديانة ويظن انه معاداة للكفار، واستحلال المحرم أعظم من ارتكابه مع معرفة تحريمه.

ومنها أن بعض الناس يغضب إذا أنكر على رجاله أو من له عُلاقة إذا فعل المنكر وأنكر عليه، وهذا أمر ما يحل.

ومنها التعاطى بمعاملات من الربا، ويمحق الله الربا.

ومنها التثاقل عن الجهاد ومعصية الإمام فى ذلك وغيره وقد فرض الله الجهاد على المسلمين، وبهذا الجهاد أعزهم الله بعد الذلة، وقواهم بعد أن كانوا مقهورين.

ومنها ما يجرى من تطليق على غير السنة، يطلق الرجل زوجته بطريقة مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وغير ذلك من الأمور التى تجرى من الناس قبيل نكبتهم على يد إبراهيم باشا، والعلماء من آل الشيخ وغيرهم من حملة العقيدة السلفية ينبهون على ذلك وينصحون وينكرون وكذلك الإمام سعود وابنه عبد الله لهما

فى ذلك نصائح ، وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم هذه النصائح وأوردها بنصوصها وتفاصيلها[1]، وقد اختصرت منها ما ذكرته من تلك الأمور التى كانت أسبابا فى التغير قال الله تعالى: ﴿ **ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾.

وأهم هذه الأمور والتى كأنها نتيجة لتلك الأمور المنكرة المتقدمة، وسراية لها ما يذكره الشيخ راشد بن علي الحنبلي فى رسالته: «مثير الوجد فى معرفة أنساب ملوك نجد» من تنازع على الإمارة والسلطة واختلاف بسبب ذلك بين القادة فقال ما نصه عن الإمام عبد الله بن سعود: «فسار سيرة والده إلا أن إخوته لا يوافقونه على إرادته، وكان لا يخالفهم. ونازعه أخوه فيصل بن سعود، فكان يأمر وفيصل يأمر فتفرقت شوكتهم، ونفر منهم فئام من العرب واتسع الخرق فى قوتهم، فحاربتهم الدولة المصرية وانحاز إلى المصريين أكثر العرب من نجد والحجاز واليمن والعراق والشام»[2].

ويجمل ابن بشر ذلك بقوله: ان الدولة المصرية سلطت على المسلمين بسبب الذنوب[3].

والمقصود بيان أثر عقيدة الشيخ السلفية حين تقرر وتطبق أما إذا جرى أمور تخالفها فيكون الأثر عكسيا ولا حول ولا قوة إلا بالله. ولقد أثر العدوان على القائمين بها وخذلانهم دمارا رهيبا يصوره لنا ابن بشر رحمه الله فى تاريخه فيقول فى سنة حلول النكبة المصرية: «وكانت هذه السنة قد كثر فيها الاضطراب والاختلاف ونهب الأموال وقتل الرجال وتقدم أناس وتأخر آخرين وذلك بحكمة الله سبحانه وقدرته وقد أرخها بعض الأخوان من أهل سدير وهو محمد بن عمر الفاخرى فقال:

عام به الناس جالوا حسبما جالو ... ونال منا الأعادى فيه ما نالوا
قال الاخلاء ارخه فقلت لهم ... ارخت قالوا بماذا قلت غربال[4]

---

(١) انظر: الدرر السنية، جـ ١٢، كتاب النصائح ص ص ٣-٢١.
(٢) مثير الوجد فى معرفة أنساب ملوك نجد، للشيخ راشد بن علي الحنبلي، ط السلفية بالقاهرة ١٣٧٩هـ ص ٤٢.
(٣) عنوان المجد... ١/١٢٨.
(٤) عنوان المجد... ١/٢١٠.

والشـاهـد كلمة غربال فإنها بحسب حروف الجمل تساوي ١٢٣٣ وهي السنة التي حصلت فيها النكبة.

ويقـول ابن بشـر: «انحل نظام الجماعة والسمع والطاعة وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر، حتى لا يستطيـع أحـد أن ينهى عن منكـر أو يأمـر بطاعة. وعمل بالمحرمات والمكروهات جهرا. وليس للطاعات ومن عمل بها قدر.

وجـر الـربـاب والغناء في المجالس، وسفت الذوارى على المجامع والمدارس. وعمرت المجالس بعد الأذان في الصلاة واندرس معرفة ثلاثة الأصول وأنواع العبادات وسل سيف الفتنة بين الأنام، وصار الرجل في وسط بيته لا ينام. وتعذرت الأسفار بين البلدان، وتطاير شرر الفتن في الأوطان، وظهرت دعوى الجاهلية بين العباد وتنادوا بها على رؤوس الأشهاد، فلم تزل هذه المحن على الناس متتابعة وأجنحة ظلامها بينهم خاضعة[1].

ويقول الشيخ عبد العزيز بن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر من قصيدة نظمها في رثاء أهل الدرعية وذكر ما جرى لهم وعليهم وأولها قوله:

إليـك إلـه العـرش اشكـو تضـرعـا ... وادعــوك في الـضـراء ربي لتسمعـا

إلى أن قال:

وكـم قتلوا من عصبـة الحق فتيـة ... هداة وضـاة ساجـديـن وركـعـا
وكـم دمـروا من مربـع كان آهـلا ... فقـد تركـوا الـدار الأنيسـة بلقعـا
فأصـبـحـت الأمـوال فيـهـم نهائـبـا ... وأصـبـحـت الأيـتـام غرثى وجـوعـا
وفـر عن الأوطـان من كان قاطـنـا ... وفـرق الـف كان مجتـمـعـا معـا

إلى أن قال:

عسى وعسى أن ينـصـر الله ديـننـا ... ويجـبر منـا ما قد تصـدعـا
ويـعـمـر للسـمحـا ربـوعـا تهدمت ... ويـفـتـح سبـلا للهـدايـة مهيـعـا
ويظـهـر نور الحـق يعـلو ضيـاؤه ... فيضحى ظلام الشرك والشـك مقشعا
الهـي فحـقـق ذا الـرجـاء وكـن بنـا ... رؤوفـا رحيـما مستجيبـا لنـا الـدعـا

إلى أن قال:

ألا أيهـا الأخــوان صبراً فانـنـي ... أرى الـصـبر للمقـدور خيراً وأنفعـا

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر: جـ ١/ ٢١٠-٢١١.

ولا تيأسـوا من كشـف ما ناب انـه إذا شاء ربـى كشـف ذاك تمزعـا
ومـا قلت ذلاشكـو إلى الخلق نكبـة ولا جزعـا مما أصـاب فأوجـعـا
فما كان هذا الأمـر إلا بقـدرة بها قهـر الله الخـلائـق أجمـعـا
وذاك عن ذنـب وعـصـيـان خالـق أخـذنـا به حينـا فحينـا لنـرجعـا
وقـد آن أن نرجـو رضـاه وعـفـوه وأن نعـرف الـتـقـصـير منـا فنقلعـا
فيـا محسـنـا قد كنـت تحسـن دائـما ويـا واسـعـا قد كان عفـوك أوسـعـا
نعـوذ بك الله من سوء صنـعـنـا فان لنـا فى الـعـفـو منـك لمطـمـعـا
اغـثـنـا اغـثـنـا وادفـع الشـدة التى اصـابت وصـابت واكشف الضر وارفعا
فجـد وتـفـضـل بالـذى أنـت أهـله من العفـو والغفـران يا غيث من دعـا[1]

وبذلك نأتى إلى نهاية هذا الفصل، وقد تضمن ذكر أثر عقيدة الشيخ السلفية فى الدور الأول من أدوار دولة أنصارها، التى بحول الله وقوته لا تنقطع أبدا فإلى الفصل التالى وهو الفصل الثالث من الباب الثانى، باب أثر عقيدة الشيخ السلفية ويتضمن أثرها فى الدور الثانى من أدوار دولة أنصارها.

(١) عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر، جـ ٢ ص ص ٣٤، ٣٥. وفى ط المعارف ص ص ٤٣-٤٥.

الفصل الثالث
أثرها في الدور الثاني

قال الشيخ أحمد بن علي بن مشرف في قصيدة له :

واقسم قوم انها دولة مضت — وليس لما قد قد فات عود ولا رد
وقلنا لهم : نصر الاله لحزبه — به جاء في القرآن والسنة الوعد
فعادت كما كانت بفضل ورحمة — من الله مولانا له الشكر والحمد
فهذا إمام المسلمين مؤيدا — له النصر والاقبال والحل والعقد[1]

إنه رغم حلول النكبة واصابة المصيبة فإن عقيدة الشيخ السلفية لم تمت ولم تنته ولم تزل ولله الحمد. لقد اتاح الله لعقيدة السلف الصالح، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد ذلك الذى جرى نورا ساطعا، وسيفا لمن أثار الفتنة قاطعا، فكشف الله بسببه المحن، وشهره من غمده في رؤوس أهل الفتن، الإمام الوافي بالعقود والمتم للعهود تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود. وذلك بعد سنوات من حلول النكبة تقارب خمس سنوات أو ستا.

قال ابن بشر عن الإمام تركي : «أطفأ الله به نار الفتنة بعد اشتعال ضرامها وهان على كثير من الناس دينها وإسلامها كأنهم لم يكونوا حدثا بإسلام، ولم يجتمعوا على إمام، وتهاون كثير منهم بالصلاة، وافطروا في البلدان في شهر رمضان، وصار هذا الشهر العظيم عندهم كأنه جمادى أو شعبان وتعذرت بين البلدان الأسفار واتخذوا دعوى الجاهلية لهم شعارا، فحارب البلدان وقاتل العربان، ودعاهم إلى الجماعة والسمع والطاعة حتى ضرب الإسلام بجرانه وسكنت الأمة في أمنه وأمانه[2].

وكان من شأن الإمام تركي فيما يتعلق بنصره دين الله وعطفه على الرعية وحزمه

(١) ديوان ابن مشرف ص ٤٧.
(٢) انظر: تاريخ ابن بشر، عنوان المجد، جـ ٢/ ص ٨.

مع أمرائه ما يذكره ابن بشر قال : «لما خرج من الدهناء نزل على غدير يقال له وثيلان فأمر على رؤساء النواحى أن يجتمعوا ، فلما حضروا قام فيهم وذكرهم نعمة الله عليهم بالاجتماع بعد الفرقة والأخوة بعد العداوة ، والغنى بعد العيلة ، واعترف عند ذلك بنعمة الله عليه وضعفه وعجزه وتقصيره وحقر نفسه ، ثم انه اغلظ الكلام على الأمراء وتهددهم وتوعدهم عن ظلم الرعايا والأخذ منهم غير الحق ثم قال : وإنكم إذا ورد أمرى عليكم بالمغزا حملتموهم زيادة لكم ، وإياكم وذلك فإنه ما منعنى أن أجعل على أهل البلدان زيادة ركاب فى غزوهم إلا الرفق بهم وإنى ما حملتهم إلا بعض ما حملهم الذين من قبلى والله تعالى يقول : ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين** ﴾ وإنه إذا ورد عليكم أمرى فرحتم بذلك لتأكلوا فى ضمنه وصرتم كراصد النخل يفرح بشدة الريح ليكثر الساقطة عليه ، واعلموا إنى لا أبيحكم أن تأخذوا من الرعايا شيئا ومن حدث منه منكم ظلم على رعيته ، فليس أدبه عزله بل أجليه عن وطنه ، ثم قال للرعايا أيما أمير ظلمكم فأخبرونى ، فقام أمير بريدة عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن حسن ، فقال : ياإمام المسلمين خص بقولك ولا تعم به فإن كنت نقمت على أحد منا فأخبره بفعله ـ فقال : إنما القول فيك وفى أمثالك تحسبون إنكم ملكتم البلدان بسيوفكم وإنما أخذها لكم وذللها سيف الإسلام والاجتماع على إمام»[1] .

وكان من توفيق الله للإمام تركى ان أتاح له شيخا من شيوخ العقيدة السلفية هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ قدم على الإمام تركى من مصر ففرح به الإمام وأكرمه ، ووضعه بالمكان الرفيع وقربه إليه فأحيى الله به مدارس العلم بعدما عطلت وتزينت بدروسه المساجد بعدما أقفرت وكان الشيخ من أعلام عقيدة السلف الصالح ومن علمائها العاملين ، كان قد أخذ عن جده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب فى صغره ، وولي القضاء فى الدرعية زمن سعود وابنه عبد الله[2] . ثم أخذ مع من أخذ إلى مصر ، ولكن الله تعالى من عليه بالعودة سنة إحدى وأربعين ومائتين بعد الألف مع ما من به عليه من ثبات على العقيدة ، واتاحة الناصر لها من آل محمد بن سعود وزاده الله فى العلم النافع بسطة فاغتبط بطلعته المسلمون خاصهم وعامهم ،

(١) تاريخ ابن بشر، عنوان المجد، جـ٢ ص ٤٤ .
(٢) عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر، جـ١ ص ٩٤، جـ٢ ص ٢٠ .

وبذل وقته لطالبي العلم وانتفع بعلمه كثير من المستفيدين[1].

قال ابن بشر عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «فممَّن انتفع به وتفقه عليه حتى صار قاضيا يرجع فى الفتوى إليه من ذريته وذرية جده محمد بن عبد الوهاب عدد كثير منهم العالم الفاضل ابنه الشيخ عبد اللطيف قدم من مصر سنة أربع وستين ومائتين وألف ومعه كتب كثيرة وانتفع الناس بعلمه وكان عنده حلقة فى التدريس وكان أخذ العلم عن أبيه فى مصر وأخذ أيضا عن غير أبيه واستعمله الإمام فيصل قاضيا فى الأحساء، ثم كان قاضيا مع أبيه فى الرياض، وتفقه على الشيخ عبد الرحمن بن حسن أيضا الشيخ العالم عبد الرحمن بن القاضى حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكان قاضيا فى ناحية الخرج وتفقه عليه أيضا الشيخ العالم الفقيه حسن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قاضى الإمام تركى فى الرياض ولم تطل مدته مات شابا سنة خمس وأربعين ومائتين وألف، وتفقه عليه أيضا الشيخ العالم عبد الملك ابن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضى فى حوطة بنى تميم للإمام فيصل، وتفقه عليه أيضا الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضى فى الحريق للإمام فيصل، وتفقه عليه أيضا الشيخ حسين بن علي بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضى فى الرياض للإمام فيصل، وتفقه عليه أيضا الشيخ عبد الله بن حسن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخذ عنه ممن لم يل القضاء من ذرية الشيخ وهو الآن فى طلب العلم يترقى حسن بن علي بن حسين: وأبناء الشيخ محمد بن علي بن الشيخ وهم: عبد الله وعبد العزيز وعلي وعبد الرحمن وأبناء القاضى علي بن حسين وهما: عبد الله وحسن»

وقد أخذ عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن من غير قرابته من علماء نجد عدد كثير وجم غفير ممن ولي القضاء وغيرهم، فمنهم العالم الشيخ عبد العزيز بن القاضى عثمان بن عبد الجبار بن شبانه قاضى بلدان منيخ[2]، والزلفى والغاط للإمام تركى ثم لابنه فيصل وأخذ عنه أيضا العالم الشيخ عبد الله بن نصير القاضى فى الرياض للإمام تركى ثم فى ضرما، وأخذ عنه الشيخ ناصر بن عيد القاضى للإمام تركى فى بلد الحلوة وأخذ عنه أيضا الشيخ محمد بن سلطان قاضى بلد عرقه للإمام تركى ثم لابنه فيصل

---

(١) المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٠.

(٢) مُنيخ اسم كان يطلق على المجمعة وما حولها من واديها (معجم اليمامة جـ ٢/ ص ٤٠٢).

وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن حمد الثميري القاضي في سدير للإمام تركي ثم كان قاضيا في الزلفي للإمام فيصل وأخذ عنه الشيخ عبد الله بن جبر القاضي في منفوحة وأخذ عنه الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف القاضي في جبل شمر عند ابن رشيد وأخذ عنه العالم عبد العزيز بن حسن بن يحيى القاضي في حريملاء والمحمل للإمام فيصل وأخذ عنه الشيخ محمد بن إبراهيم بن عجلان القاضي في الحريق وأخذ عنه الشيخ عبد الله بن علي بن مرخان القاضي في ضرما للإمام فيصل وأخذ عنه أيضا الشيخ حمد بن عبد العزيز بن القاضي محمد بن عبد العزيز قاضي بلد ثادق للإمام فيصل وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن عدوان.

وأما من أخذ عنه ممن لم يل القضاء فعدد كثير ونفع الله الطلبة بعلمه بحيث أن الطالب لا يلبث إلا يسيرا عنده حتى يكون فائقا بفهمه فضربت إليه اباط الإبل من أقطار نجد والأحساء وظهرت آثار بركات علمه وتعليمه»[1] وللشيخ عبد الرحمن بن حسن المؤلفات والفتاوى والرسائل المشهورة، والتي عمرت بها المدارس من بعده مثل فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد وهو تهذيب واختصار لشرح التوحيد المسمى تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ وقرة عيون الموحدين وردود كثيرة على أهل الشبه وأعوان الباطل.

يقول ابن بشر: وقد صنف الشيخ عبد الرحمن بن حسن مصنفات في الأصول والفروع أكثرها رد على أهل المقالات ومن غالط منهم في الصفات. وله مصنف فيما يحل ويحرم من الحرير فمن طالعه دله على علمه الغزير.

ويقول ابن بشر: «كتبت له مرة ودعوت له في آخر الكتاب. وقلت في ختام الدعاء إنه على ما يشاء قدير. فكتب إلي وقال في اثناء جوابه ان هذه الكلمة اشتهرت على الألسن من غير قصد وهو قول الكثير إذا سأل الله تعالى قال وهو القادر على ما يشاء وهذه الكلمة يقصدون بها أهل البدع شرا وكل ما في القرآن: وهو على كل شيء قدير، وليس في القرآن والسنة ما يخالف ذلك أصلا لأن القدرة شاملة كاملة وهي والعلم صفتان شاملتان يتعلقان بالموجودات والمعدومات وإنما قصد أهل البدع بقولهم وهو القادر على ما يشاء، أي ان القدرة لا تتعلق إلا بما تعلقت به المشيئة» انتهى.

وقال ابن بشر: «وكتبت إليه مرة أهنيه بقدوم ابنه الشيخ عبد اللطيف من مصر

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد ٢/ ٢١، ٢٢.

وتـوسلت إلى الله فى دعـائى بصفـاته الكاملة التى لا يعلمها إلا هو فكتب إلي فقال: وقـد ذكـرت وفقـك الله فى وسيلة دعـوتـك جزاك الله عنى أحسن الجـزاء عن تلك الـدعـوات قلت وأتـوسل إليك بصفاتك الكاملة التى لا يعلمها إلا أنت. فاعلم أيها الأريب الأديب ان الذى لا يعلمها إلا هو كيفية الصفة وأما الصفة فيعلمها أهل العلم بالله كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول. ففرق هذا الإمام بين ما يعلم من معنى الصفة على ما يليق بالله فيقال استواء لا يشبه استواء المخلوق ومعناه ثابت لله كما وصف به نفسه وأما الكيف فلا يعلمه إلا الله فتنبه لمثل هذا فالإمام مالك تكلم بلسان السلف.

يقـول ابن بشـر: فانظـر إلى سعـة علومـه واطـلاعـاته. ومفهومه وما لديه من التحقيق والتـدقيق. وكـان كثـيرا ما يتعـاهـد أهـل بلدان نجد بالمراسلات والنصائح يعلمهم ما يجب عليهم من أمر دينهم ويذكرهم نعمة هذا الدين، واجتماع شمل أهل الإسلام عليه وما من الله به على أهل نجد فى آخر هذا الزمان[1].

ويقول ابن بشر عن رسالة للشيخ عبد الرحمن بن حسن: وورد علينا منه رسالة بعثهـا إلى بلدان نجـد وأحببت أن أذكـرها فى ترجمته لأنه ذكر فيها بدأ أمر الشيخ جده محمد بن عبد الوهاب وأول ظهور هذا الدين على يديه فى نجد، وأوردها كما أوردها ابن بشر للغرض نفسه ولتأكيد وراثة الشيخ عبد الرحمن بن حسن لجده الشيخ محمد فى حمل عقيدة السلف الصالح ونشرها والتأثير على الناس فى العودة إلى دين الله ورسوله ﷺ كما فعـل الشيـخ محمـد بن عبـد الـوهاب وكأنها بيان للخطة التى يسير عليها عالم الدولة فى دورها الثانى قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. وصلى الله على محمـد سيـد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد: فالذى أوجب هذا الكتاب ذكر ما أنعم الله به عليكم من نعمة الإسـلام الـذى عرفكم به وهـداكم إليه وتسمون به فلا يعنى باسم المسلمين إلا أنتم ومـا أعطـاكم الله تعـالى فى هذا الـدين من النعم أكثر من أن تحصر لكن منها نعم كل واحدة منها حصولها نعمة عظيمة لأن المعارض لها قوي جدا أولها كون الدعوة إلى دين الإسلام ما قام فى بيانها والدعوة إليها إلا رجل واحد فلما شرح الله صدره واستنار قلبه

---

(١) عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر جـ ٢ ص ص ٢٢-٢٣.

بنور الكتاب والسنة وتدبر الآيات وطالع كتب التفسير وأقوال السلف فى المعنى والأحاديث الصحيحة سافر إلى البصرة ثم إلى الأحساء والحرمين لعله أن يجد من يساعده على ما عرف من دين الإسلام فلم يجد أحدا. كلهم قد استحسن العوائد وما كان عليه غالب الناس فى هذه القرون المتأخرة إلى منتصف القرن الثانى عشر ولا يعرف ان أحدا دعى فيها إلى توحيد الله وأنكر الشرك المنافي له بل قد ظنوا جواز ذلك واستحبابه وذلك قد عمت به البلوى من عبادة الطواغيت والقبور والجن والأشجار والأحجار فى جميع القرى والأمصار والبوادى وغيرهم فما زالوا كذلك إلى القرن الثانى عشر فرحم الله كثيرا من هذه الأمة بظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وكان قد عزم وهو بمكة أن يصل الشام مع الحاج فعاقه عائق فقدم المدينة وأقام بها ثم ان العليم الحكيم رده إلى نجد رحمة لمن أراد أن يرحمه بمن يؤويه وينصره وقدم على أبيه وصنوه وأهله ببلد حريملاء فبادأهم بالدعوة إلى التوحيد ونفى الشرك والبراءة منه ومن أهله وبين لهم الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وكلام السلف فقبل منه من قبل وهم الأقلون وأما الملأ والكبراء الظلمة الفسقة فكرهوا دعوته فخافهم على نفسه وأتى العيينة وأظهر الدعوة بها وقبل منه كثير منهم حتى رئيسهم عثمان بن حمد بن معمر ثم إن أهل الأحساء وهم خاصة العلماء أنكروا دعوته وكتبوا شبهات تبين جهلهم وضلالهم واغروا به شيخ بنى خالد فكتب لابن معمر ان يقتل هذا الشيخ أو يطرده فما تحمل مخالفته فنفاه من بلده الدرعية فتلقاه محمد بن سعود بالقبول وبايعه على أن يمنعه مما يمنع منه أهله وولده وهذا أيضا نعمة عظيمة وكون الله أتاح له من ينصره ويؤويه والذى أقوى من ابن سعود لم يحصل منه ذلك وصبر محمد على عداوة الأقصى والأدنى من أهل نجد والملوك من كل جهة وبادأهم دهام بن دواس بالحرب فهجم على الدرعية على حين غفلة من أهلها وقتل أولاد محمد فيصل وسعودا فما زاد محمدا إلا قوة وصلابة فى دينه على ضعف منه وقلة فى العدد والعدة وكثرة من عدوهم وذلك من نعمة الله علينا وعليكم فرحم الله هذا الشيخ الذى أقامه الله مقام رسله وأنبيائه فى الدعوة إلى دينه ورحم الله من آواه ونصره فلله الحمد على ذلك.

وفيما جرى من ابن سعود شبه مما جرى من الأنصار فى بيعة العقبة ثم ان بنى خالد وأهل نجد وأهل العراق والأشراف والبوادى وغيرهم تجردوا لعداوة هذا الشيخ ومن كان آواه ونصره واقبلوا على حربهم بجدهم وجنودهم فابطل الله كيد من عاداهم وكل من رام من هؤلاء الملوك وأعوانهم أن يطفىء هذا النور أطفأ الله ناره وجعلها

رمادا وجعل كثيرا من أموالهم فيئا للمسلمين. وهذه عبرة عظيمة ونعمة جسيمة ثم ان الله بفضله وإحسانه أظهر هذا الدين فى نجد وأذل من عاداه فعمت النعمة أهل نجد ومن والاهم شرقا وغربا وحفظ الله عليكم نعمة الإسلام التى رضيها سبحانه لعباده دينا فلم يقدر أحد أن يقدرها بقوته وقدرته فاشكروا ربكم واقبلوا على التوحيد تعلما وتعليما والأمر بما يجبه من طاعته والنهي عما نهى الله عنه من المعاصى فالواجب علينا وعليكم التواصى بهذه النعمة العظيمة والتنافس فى هذا الدين الذى من الله به عليكم وهو الذى بعث الله به رسوله وأنزل به كتبه وأكمله ورضيه لعباده كما قال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ ـ الآية ـ وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد** ﴾ الآيات ـ فأحذروا نسيان ربكم عما افترضه عليكم واقبلوا على توحيده وطاعته واطلبوا بذلك الجنة والنجاة من النار فكونوا أئمة فى هذا الدين الذى هو معنى «لا إله إلا الله» وقد بين الله معناه فى آيات كثيرة من كتابه فإنها دلت على نفي الشرك والبراءة منه وممن فعله واخلاص العبادة لله وحده وذلك فى آى كثير فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين** ﴾ فقوله فأقم وجهك، فيه الاخلاص وحنيفا فيه نفي الشرك ولا تكونن من المشركين فيه البراءة منهم ومن دينهم ـ قال تعالى : ﴿ **فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص** ﴾ والآيات فى معنى لا إله إلا الله أكثر من أن تحصر كقوله : ﴿ **ان الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾ والمراد فتح الباب لكم فى معنى التوحيد الذى فيه الفلاح والنجاة وصلاح الدنيا والآخرة فلا تنسوا ربكم بالاعراض عن الهدى فينسيكم أنفسكم. ومن عقوبة الاعراض عمى البصر فى الدنيا والآخرة ولا باق معكم إلا دينكم لمن منَّ الله عليه بحفظه والاقبال عليه والعمل به والا تفهمون أن الدنيا ما للإنسان منها إلا ما كان لله، وغير ذلك زائل. هذا ما نوصيكم به وندلكم عليه عامة والعلماء والأمراء خاصة.

فيجب عليكم أن تكونوا صدرا فى هذا الدين بالرغبة فيه والترغيب وأن تكونوا سندا وعونا لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ويتفقدون أهل بلدهم فى صلاتهم وتعليمهم دينهم وكفهم عن السفاهة وما يحرم عليهم لأن الله سائلهم عنهم ومن أحب شيئا أكثر من ذكره. . وبالله التوفيق وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين[1].

---

(١) عنوان المجد جـ ٢ ص ص ٢٣-٢٦.

وللشيخ عبد الرحمن بن حسن ردود ونصائح ورسائل وفتاوى كثيرة فى مجموعة الرسائل والمسائل النجدية والدرر السنية فى الأجوبة النجدية التى جمعها ابن قاسم وكلها فى شرح عقيدة السلف الصالح وبيانها والرد على من عارضها وألصق فيها التهم وشبه عليها.

وقد بارك الله فى عمر الشيخ عبد الرحمن بن حسن كما بارك فى علمه ـ قال عبد الرحمن بن عبد اللطيف فى تعليقه على عنوان المجد: «عاصر الشيخ عبد الرحمن بن حسن ستة من ملوك آل سعود الذين تعاقبوا على الحكم وهم الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود وابنه سعود بن عبد العزيز وابنه عبد الله بن سعود بن عبد العزيز ثم الإمام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود وابنه الإمام فيصل بن تركى وابنه عبد الله بن فيصل بن تركى ومات الشيخ عبد الرحمن فى أول حكم عبد الله بن فيصل سنة (١٢٨٥هـ) رحمه الله تعالى[١].

وفى هذه المدة كلها كان الشيخ عبد الرحمن بن حسن وريث جده وشيخه فى العلم والعمل، كما كان الإمام تركى وابنه فيصل وريثي جدهما محمد بن سعود وأبنائه الأئمة فى مناصرة دين الله ورسوله ﷺ بعد أن خرب أهل البغى مدينة الدرعية وحضارتها الإسلامية وبعد أن ظن الناس كل الظن أن لا رجوع لهم فالحمد لله الذى لا إله إلا هو، صدق وعده، وجعل العاقبة للمتقين وصدق رسوله ﷺ، فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يقاتل آخرهم الدجال ويأتي أمر الله فتنتهى الدنيا وتقوم الساعة وتأتي الآخرة والله المستعان.

هذا وقد ساعده على حمل راية العلم والسنة ابنه الشيخ عبد اللطيف فقد كتب رسائل كثيرة فى بيان عقيدة السلف الصالح التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورد ما ألصق فيها من تهم باطلة وخصص جامع الرسائل والمسائل النجدية الجزء الثالث من مجموعة الرسائل والمسائل لبعضها فبلغت ستا وسبعين رسالة فى أربعمائة وثلاث وخمسين صفحة (٤٥٣) وهى ليست كل رسائله ومؤلفاته وفتاويه فهى كثيرة موزعة فى أجزاء مجموعة الرسائل والمسائل النجدية الأخرى وفى الهدية السنية جزء منها وفى الدرر السنية منها كثير.

---

(١) هامش ص ٢٦٦ من جزء (١) من عنوان المجد، ط المعارف ١٣٨٧هـ.

وعلى سبيل المثال أخص فصلا كتبه الشيخ عبد اللطيف فى سيرة جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعقيدته فقال: «قد عرف وأشتهر وأستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة والمقروءة عليه، وما ثبت بخطه، وعرف وأشتهر من أمره ودعوته، وما عليه الفضلاء والنبلاء من أصحابه وتلامذته، إنه على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين وأهل الفقه والفتوى فى باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله التى نطق بها الكتاب العزيز وصحت بها الأخبار النبوية وتلقاها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم، يثبتونها ويؤمنون بها، ويمرونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل وقد درج على هذا من بعدهم من التابعين وتابعيهم من أهل العلم والإيمان وسلف الأمة وأئمتها.

وفى توحيد العبادة والالهية فلا خلاف بين أهل الإسلام فيما قاله الشيخ وثبت عنه من المعتقد الذى دعا إليه، فقد دعا إلى أصل الإسلام وقاعدته شهادة أن لا إله إلا الله، وهى أصل الإيمان وأفضل شعبه فى العلم والعمل والاقرار بإجماع المسلمين.

ثم أخذ الشيخ عبد اللطيف يفصل هذه الجملة ويستدل بالآيات الكريمة ويبين الأنواع التى تدخل فى العبادة وضدها، وبين أن مجرد الاتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلما بل هو حجة على ابن آدم. وبين مسألة التكفير، وإن الشيخ فيها على ما كان عليه العلماء قاطبة كما هو مذكور فى المختصرات من كتب المذاهب الأربعة بل إن الشيخ لم يكفر أحداً إلا بما أجمع عليه العلماء وهو ترك التوحيد. وبين مسائل القدر والجبر والإرجاء والإمامة والتشيع ونحو ذلك من المقالات والنحل وإن الشيخ فيها على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الهدى والدين، وبيّن عقيدة الشيخ فى القرآن، ورفْض الشيخ للبدع الصوفية وغيرها. وبيّن تقرير الشيخ على شهادة أن محمدا رسول الله من بيان ما تستلزمه هذه الشهادة وتستدعيه وتقتضيه من تجريد المتابعة والقيام بحقوق النبى ﷺ من الحب والتوقير والنصرة والطاعة وتقديم سنته على كل سنة وقول، والوقوف معها حيث وقفت فى أصول الدين وفروعه باطنه وظاهره، ثم صار يبين مآثر الشيخ ومناقبه، ثم أورد الشيخ عبد اللطيف ما قاله أبو الحسن الأشعرى من جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة من المعتقد[1]. وقد لخصت هذا عن الشيخ عبد اللطيف فى هذا

---

(١) انظر: الهدية السنية، ط المنار، الرسالة الرابعة ص ص ٨٨-١٠٠. وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية جـ٣ ص ص ٣٦٧-٣٧٧.

الموضع لبيان أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيهم وإنهم حملوها بقوة فى العلم والحجة والسلطان ـ رحمهم الله تعالى .

وفى هذا المجال نذكر من قضاة الإمامين تركى وفيصل ـ الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، فله مكان كبير من أثر عقيدة الشيخ ونشرها والدفاع عنها تجاه أباطيل المغرضين والأعداء وله رسائل وفتاوى فى مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، وقد أفرد بعضها مثل الرد على داود بن سليمان بن جرجيس طبع بمطبعة الحلبى سنة ١٣٤٤هـ ـ وقد توفى سنة ١٢٨٢هـ ـ رحمه الله تعالى ـ وسبق أن عينه الإمام سعود بن عبد العزيز قاضيا على الطائف وملحقاته عام ١٢٢٠هـ (١) .

ولا ننسى عالما من علماء عقيدة السلف الصالح ومن مشائخ الدعوة إليها وارثى الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن طريق سنده المتصل إليه، ذلك العالم هو الشيخ الإمام العلامة الثقة فى العقيدة والهمة والشجاعة حمد بن علي بن محمد بن عتيق أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه الشيخ عبد اللطيف والشيخ علي بن حسين وغيرهم، وبرع فى العلوم وكان له حظ من المعرفة، وإقدام وشهامة وعبادة وتهجد وطول صلاة ولهج بالذكر، شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه والحث عليه(٢) وهو الذى يعنيه الشاعر محمد بن عثيمين وهو يرثى ابنه الشيخ سعد بن حمد بقوله :

بنى لكم حمد يا للعتيق علا	لم يبنها لكم مالٌ ولا خطر
لكنه العلم يسمو من يسود به	على الجهول ولو من جده مضر(٣)

ويقول فيه الشيخ سليمان بن سحمان :

يعز علينا أن نرى اليوم مثله	لحل عويص المشكلات البوادر
وللشبهات المعضلات وردها	إذا ما تبدت من كفور مقامر
فلله من حبر تصعد للعلى	فحل على هام النجوم الزواهر

إلى أن قال :

ويقفو لآثار النبى وصحبه	يجدد من منهاجهم كل داثر
ويحيى علامات من العلم قد عفت	ويعمر من بنيانه كل دامر

(١) علماء نجد خلال ستة قرون جـ ٢/ ٥٦٧ـ٥٧٣ .
(٢) الدرر السنية . . . جـ ١٢/ ص ٧٧ـ٧٩ .
(٣) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص ٤٨٠ .

إمـام تزيـا بالـعـبـادة فاسـتـما   بها وارتــقـى مجدا سمـي المظـاهــر

إلى أن قال :

عليـم بفـقـه الأقـدمـين محقـق   وقـد كان ذا علم بفـقـه الأواخـر
وقـد حاز فى علم الحـديـث محلةً   تسـامى بها فوق النجـوم الـزواهـر(١)

ولي مناصب القضاء فى عهد حكم الإمام فيصل بن تركى فى الخرج ثم فى الحوطة ثم فى الأفلاج . وأخذ عنه العلم ابنه الشيخ سعد وابنه الشيخ عبد العزيز وابنه الشيخ عبد اللطيف وأخذ عنه الشيخ الحبر عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ سليمان بن سحمان وغيرهم خلق كثير(٢).

وله مؤلفات جيدة منها كتاب إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد وهو حاشية على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك والرد على ابن دعيج والفرقان المبين بين مذهب السلف وابن سبعين وله رسائل ونصائح ومكاتبات مع أعيان البلاد من حكام وعلماء من أجل الدعوة والاصلاح وتوفى على رأس القرن سنة ١٣٠١هـ (٣) ورثاه تلميذه الشيخ سليمان بن سحمان بقصيدة مطلعها :

على الحـبر بحـر الـعلم بدر المنـابـر   وشمس الهدى فليبك أهـل البصـائـر

ومنهـا :

فما حمد فى الـعـلـم إلا متـوج   حميـد المساعى مشمعـل المـآثـر(٤)

ويحسن أن نذكر فى هذا الدور شيخا من الأحساء وشاعرا مجيدا قد تأثر أثرا طيبا وإيجابيا بعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، هو الشيخ الفقيه المحدث الأديب السلفى أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهيبى، ولد بالأحساء فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى، ولما بلغ من النمو أشده وتلقى العلم فى ذلك العهد المبارك، عهد إشراق شمس التوحيد وعقيدة السلف الصالح بدعوة الشيخ محمد ونصرة آل سعود، أدرك فى سائر العلوم إدراكا طيبا ونظم مقدمة رسالة أبى زيد

---

(١) ديوان بن سحمان ص ص ٢٨٦-٢٨٧ .
(٢) الدرر السنية جـ ١٢ ص ص ٧٨-٧٩ .
(٣) مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب إبطال التنديد بقلم اسماعيل بن سعد آل عتيق ص ٤ .
(٤) ديوان بن سحمان ص ٢٨٧ .

القيرواني وهي مقدمة مختصرة مفيدة في عقيدة السلف الصالح نظمها نظماً طريفا ليسهل حفظها على طالبيها واختصر صحيح الإمام مسلم ثم توفي في بلدته الأحساء في سنة ١٢٨٥هـ (١).

وهو صاحب الديوان المسمى ديوان ابن مشرف في العقائد والتوحيد والفقه والأدب وطبع بمطبعة السنة المحمدية، ونشره إبراهيم المحمد الضبيعي ومحمد العبد الله الحواسي، عام ١٣٧٠هـ ، ونورد من ديوانه قطعة من قصيدة جيدة، وسببها انه في السنة التاسعة والستين بعد المائتين والألف ان استولى عايض بن مرعي العسيري على اليمن وأرسل بهدية للإمام فيصل بن تركي ومعها قصيدة لقاضيهم علي بن الحسين الحفظي ومن هذه القصيدة قوله يوصي المرسول :

واشرف على وادئ اليمامة قائلا ... ودمعك سفاحا على الخد والشدى
سلام على عبد العزيز وشيخه ... وتابع رشد للإمام الممجد
دعا الناس دهرا للهدى فأجابه ... فئام، فمنهم عالمون ومقتدى
وقفاهما حذوا سعود بسيفه ... مُمَيِّزُ مُجَوَّدَ النقودِ من الردى
وعرج بها ذات اليمين وقد هوت ... على عرصات للرياض بمقصد
وناد بأعلا الصوت : بشرى لفيصل ... ومن نسل سادات الملوك مسدد

إلى آخر القصيدة فأجابه عن الإمام فيصل الشيخ أحمد بن علي بن مشرف بقصيدة كما ذكرت، ضمنها مدح آل سعود على ايوائهم الشيخ ونصرتهم للتوحيد، منها :

هموا نصروا التوحيد بالبيض والقنا ... فنال المنى بالنصر كل موحد
وآووا إماماً قام لله داعيا ... يسمى بشيخ المسلمين محمد
لقد أوضح الإسلام عند اغترابه ... وقد جد في اخفائه كل ملحد
وجدد منهاج الشريعة إذ عفت ... فأكرم به من عالم ومجدد
وأحيا بدرس العلم دارس رسمها ... كما قد أمات الشرك بالقول واليد
وكم شبهة للمشركين ازاحها ... بكل دليل كاشف للتردد
والف في التوحيد اوجز نبذة(٢) ... بها قد هدى الرحمن للحق من هدى

---

(١) انظر: ترجمته بقلم محمد حامد الفقي ـ في أول ديوان ابن مشرف ص ـ ص د ـ و.
(٢) يعني كتاب التوحيد الذي ألفه الشيخ.

نصوصا من القرآن تشفى من العمى — وكل حديث للأئمة مسند
فوازره عبد العزيز ورهطه — على قلة منهم وعيش منكد
فما خاف فى الرحمن لومة لائم — ولم يثنه صولات باغ ومعتد
وقفى سعود إثره طول عمره — إلى حين ووري فى الصفيح الملحد
وقد جاهدوا فى الله أعداء دينه — فما وهنوا للحرب أو للتهدد

إلى أن قال :

وكم سنة أحيوا؟ وكم بدعة نفوا — وكم هدموا بنيان شرك مشيد

إلى أن قال :

وكم لهم من وقفة شاع صيتها — بها أيد الرحمن سنة أحمد
وكم فتحوا من قرية ومدينة — ودانت لهم بدو وسكان أبلد
وكم ملكوا ما بين ينبع بالقنا — وما بين جعلان[1] إلى جنب مربد
ومن عدن حتى تنيخ بأيلة — قلوصك من مبدا سهيل إلى الجدي
وقد طهروا تلك الديار وطردوا — ذوى الشرك والافساد كل مطرد
بأمر بمعروف ونهي عن الردى — وبالصلوات الخمس للمتعبد
وقد هدموا الأوثان فى كل قرية — كما عمرت أيديهموا كل مسجد

إلى آخر القصيدة وهى طويلة جيدة[2]

ومما قال رحمه الله فى قبة عين نجم بالأحساء بعد أن هدمت بأمر الإمام فيصل رحمه الله سنة ١٢٧٧هـ :

فغادروها كبنيان الذين بنوا — على شفا جرف للشك والرين
بأمر وال طبيب فى رعيته — مبارك الأمر محمود الفعالين
إذ قام يحمى من التوحيد جانبه — وما أصاخ لأهل الزور والمين
لكن اطاع هداة المسلمين بها — افتوا ، وسل حساما ذا غرارين

إلى قوله :

فقال : كم قبة للشرك قد هدمت — بسيفنا فى عمان والعراقين ؟

---

(١) جعلان : بلد فى عمان فى الجنوب منه ، ومربد : يقصد مربد البصرة وعدن فى اليمن والجنوب ، وأيلة بالشام . والشيخ الشاعر يذكر حدود مملكة آل سعود من الغرب إلى الشرق ومن الجنوب إلى الشمال .

(٢) انظر: ديوان ابن مشرف، ص ـ ص ٥٦-٥٩ .

فكيـف نرضى بها تبنى مشيدة — فى أرضنا وهى ما بين الخميسين
جزاه ربى بنصر الدين نصرته — ونال من رحمة الرحمن كفلين(١)

وقال فى الإمام فيصل سنة ١٢٦٣هـ قصيدة مطلعها :

إلى الله نشكو حادثات النوائب — ودهرا دهانا صرفه بالعجائب

إلى أن قال :

وساءلت : هل فى دهرنا من مساعد — على جبر مطلوب واسعاف طالب؟
فلم أر إلا الألمعى أخا الندا — إمام الهدى نسل الكرام الأطايب
كريم المساعى فيصل من يراعه — على طرسه يحكى هتون السحائب
فيممت من أرض هجر عشية — واعملت عيس اليعملات النجائب

إلى آخرها(٢)، وقد مدح الإمام فيصل بما هو أهل له من الكرم وتجديد معالم الدين على ضوء ما فعله أسلافه الميامين(٣).

وكان عثمان بن سند البصرى قد أنشأ قصيدة اقذع فيها بسبب المسلمين وشمت بهم حين نزل إبراهيم باشا الدرعية ـ وقال يخاطب إبراهيم باشا :

لقد فُتِحت للدين أعينه الرمدُ — لدى لاح من بين السيوف له السعد

فأجابه الشيخ أحمد بن مشرف بقصيدة عصماء كَبَحَهُ بها وذلك فى عهد الإمام فيصل ومطلعها :

أليل غشا الدنيا أم الأفق مسود — أم الفتنة الظلماء قد اقبلت تعدو؟

إلى أن قال :

وقد اقذع البصرى فى ذم شيخنا — وأنصاره ، تبا لما قاله الوغد
أيهجو إماما هاديا أرشد الورى — إلى منهج التوحيد فاتضح الرشد
وبصرهم نهج المحجة فاهتدوا — وآبوا إلى الإسلام من بعد أن صدوا

إلى أن قال :

فلما مضت تلك العصابة لم يقم — بعد لهم من ضمه الشام والسند
ولكن فشا فيها الزنى وبدا الخنا — فلم تنكر الفحشا ولم يقم الحد

---

(١) ديوان ابن مشرف، ص ـ ص ٢٨-٢٩.
(٢) انظر: ديوان ابن مشرف ص ص ٣٩-٤٠.
(٣) انظر: الديوان، ص ـ ص ٣٩-٤٢.وص ـ ص ٤٧-٥٢ وص ـ ص ٥٩-٦٩، وص ٧٢.

فكـم فتنـة عمـت؟ وكـم طل من دم حرام؟ وكـم ضلت عصـائب وارتـدوا
وكم قطـع السبـل البـوادى وافسـدوا فصـاروا بها مثـل الـذئـاب التى تعـدوا
فان كان هذا عنـده الـديـن والهـدى فقــد فتحـت للدين أعينـه الـرمـد
الـــخ[1].

أسباب نهاية الدور الثانى لدولة أنصار عقيدة الشيخ :

لقـد حصـل خلل فى التمسك بعقيدة السلف الصالح من الأمر بالاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف بسبب ما جرى من فتنة بين المسلمين وخروج بعضهم على بعضٍ قد جرت له بيعـة وانعقـدت له ولايـة شرعيـة فى الجملة وقـد وصف لنـا الشيخ عبـد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن كيف كان أول هذه الفتنة فى رسالته إلى الشيخ حمد بن عتيق[2] وفى غيرهـا[3] وصفـا دقيقـا حكيـما صادقا لأنه رحمه الله عايش تلك الأمور واتفق أن وقعت الفتنـة والشقـاق فى زمنـه وهـو العالم الخبير، وقد أدرك رحمه الله تعالى ببعـد فراستـه وصـدقهـا أن من وراء تلك الفتنة أصابع الدولة العثمانية، لا بل أصابع أعداء الإسلام المتسترين بثياب الناصحين، وكثيرا ما يجرى من الماكرين الاستحواذ على السلطات بالمخادعة والنفاق، وهم أعداء ألِدّاء لعقيدةِ أصحاب السلطة، فكان الشيـخ عبـد اللطيف رحمه الله فى كثير من رسائله يقيم الحجج والبراهين على وجوب معاداة العساكر التى أرسلت باسم الدولة التركية لابطال التوحيد ومستشاريهم الذين غايتهم بث الشبه والشكوك فى العقيدة، فكان رحمه الله يبين وجوب البراءة من هؤلاء الأعـداء ومجاهـدتهم وهجـرهـم ومقـاطعتهم وتحـريم موالاتهم ومسـاكنتهم ومسـاكنة أنصارهم والاجتماع بهم فى كل ذلك يجاهد جهاد دفاع[4] وجهاد اتباع يجاهد الابتداع ويهمنـا فى هذه النقطـة أن نبـين أثـر عقيـدة الشيخ السلفية حين تستقر فى النفوس وأثر مخالفتها. فيحسن أن نقتبس من قصيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن أبياتا تصف لنا بدقة أثر مخالفة عقيدة السلف الصالح فى تلك الفترة ـ فقال :

ودارت على الإسـلام أكـبر فتـنـة وسـلت سيـوف البـغـى من كل غادر

---

(١) انظر: الديوان، ص ص ٤٥-٤٧.
(٢) مجموعة الرسائل. . . جـ ٣ ص ٢٧٣-٢٧٦.
(٣) المصدر السابق، ص ص ١٦٢-١٧٢، وص ص ٦٩-٧٢.
(٤) المصدر السابق ص ص ١٧٩-١٨١، وص ص ٢٥٦-٢٦٢.

وذلـت رقـاب من رجـال أعـزة ... وكـانـوا على الإسلام أهـل تنـاصـر
وأضحـى بنـو الإسـلام فى كل مازق ... تزورهموا غرثـى الـسبـاع الضـوامـر
وهـتـك ستر للحـرائـر جهـرة ... بأيـدى غواة من بواد وحـاضـر
وجـاءوا من الـفـحشـاء ما لا يعـده ... لبـيـب ولا يحصيـه نظم لشـاعـر

إلى أن قال :

وقـد جاءهم فيـما مضى خير ناصـح ... إمـام هدى يبنـى رفيـع المفـاخـر
ويـنـقـذهـم من قعـر ظلما مضـلـة ... لسـالكـهـا حر الـلظى والمسـاعـر
ويخـبرهـم أن الـسـلامـة فى الـتى ... عليهـا خيـار الصحب من كل شاكـر
فلما أتـاهم نصـر ذى العرش واحتـوى ... أكـابـرهم كنـز اللهى والـدخـائـر
سعـوا جهـدهم فى هدم ما قد بنى لهم ... مشـائـخـهـم واستنصـروا كل داغـر
وسـاروا لأهـل الشـرك واستسلمـوا لهم ... وجـاء وا بهم من كل أفـك[1] وسـاحـر
ومـذ أرسـلوهـا أرسـلوهـا ذميـمـة ... تهدم من ربـع الهـدى كل عـامـر
وبـاؤ وا من الخسـران بالصفقـة التى ... يبـوء بها من دهـره كل خاسـر
وصـار لأهـل الـرفض والشـرك صولـة ... وقـام بهم سوق الـردى والمنـاكـر
وعـاد لديهـم للواط ولـلخـنـا ... معـاهـد يغـدو نحـوهـا كل فاجـر
وشـتـت شمـل الـديـن وانبت حبله ... وصـار مضـاعـاً بين شر العـسـاكـر
وأذن بالـنـاقـوس والطبـل أهـلهـا ... ولم يرض بالـتـوحيـد حزب المزامـر
وأصـبـح أهـل الحق بين معـاقـب ... وبـيـن طريـد فى القبـائـل صائـر[2]

الـخ قصيـدته رحمه الله وانها تشخيص ممن شاهد الداء ، ويصف الدواء بقوله : «وكلما حصل لهذه الطائفة قوة وسلطان فى جهة أو بلد حصل من الملك والعز والظهور لهم بقدر تمسكهم بما جاء به محمد ﷺ . ولذلك صار لشيخنا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ولطائفته وأنصاره من الملك والظهور والنصر بحسب نصيبهم وحظهم من متابعة نبيهم ﷺ والتمسك بدينه فقهروا جمهور العرب من الشام إلى عمان ومن الحيرة إلى اليمن . وكلما كان أتباعهم وأنصارهم أقوى تمسكا كانوا أعز وأظهر وربما نال منهم العـدو وحصـل عليهم من المصـائب ما تقتضيه الذنوب والمخالفة والخروج عن متابعة

---

(١) أفك على وزن أشر أى كثير الافك.
(٢) الدرر السنية، جـ ٧ ص ص ١٨٩، ١٩٠.

نبيهم ﷺ وما يعفو الله عنه من ذلك أكثر وأعظم، والمقصود أن كل خير ونصر حصل وعز وسرور اتصل، فهو بسبب متابعة الرسول ﷺ وتقديم أمره في الفروع والأصول(١).

ومن المشائخ الذين لهم تأثير حسن رغم ضعف المناصر في شرح عقيدة السلف الصالح في الحجاز الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى المتوفى عام ١٣٢٨هـ قاضي المجمعة في مطلع القرن الرابع عشر الهجري وصاحب المؤلفات التالية :

١ ـ الرد على المدراسي والسندي والحلبي في مجموعة الرد الوافر.

٢ ـ شرح نونية ابن قيم الجوزيه.

٣ ـ الرد على ما جاء في تاريخ خلاصة الكلام عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته لدحلان.

٤ ـ الرد على شبهات المستعينين بغير الله تعالى. ألفه عام ١٢٩٤هـ بمكة نشر محمد نصيف طبع دار مصر للطباعة بدون تاريخ ٦١ ص.

قال عنه الشيخ محمد نصيف في ترجمته له في أول مؤلفه «الرد على شبهات المستعينين بغير الله تعالى» المذكور: كان رحمه الله ـ يشتغل إلى جانب عمله في القضاء بالتجارة، وغالب تجارته في الأقمشة القطنية. جالس أمير مكة الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون المتوفى عام ١٣٢٣هـ فاقنعه بهدم القباب المشيدة على قبور الصالحين في مكة وجدة والطائف إلا قبة القبر المزعوم انه قبر حواء، أم البشر في جدة، وقبة السيدة خديجة زوج النبي ﷺ، وقبة قبر آمنة المزعوم انه في مكة، وقبة قبر ابن عباس بالطائف، فانه لم يهدمها خوفا من السلطان عبد الحميد العثماني أن يعزله من الإمارة، فالسلاطين والملوك يبنون القباب على قبور الصالحين وقبور أجدادهم، وقد رأيتها في استانبول وبورسة، والعلماء في كل عصر منهم الخائف من تهمة أنه وهابي، وأما المتصوفة فجاءت على أهوائهم. وفي كل عصر للتهم أنواع، والمسلمون والعرب مظلومون من الأقوياء، سلطهم الله بعضهم على بعض وجعل بأسهم بينهم شديدا.

وكان يتردد بين جدة ومكة لشراء الأقمشة من الشيخ عبد القادر بن مصطفى التلمساني أحد تجار جدة، ومن ذوي الأملاك في القطر المصري. كان يدفع له أربعمائة جنيه ويشتري بألف، ويسدد الباقي على أقساط بضمانة الشيخ مبارك

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل جـ ٤ ص ص ٤٤٣-٤٤٤ وجـ ٣ ص ١٩٨.

المساعد البسام من التجار ومن أهل عنيزة. وقد دام التعامل بينه وبين الشيخ التلمساني زمنا طويلا وكان لصدقه وأمانته ووفائه بوعده أثر طيب فى نفس الشيخ التلمسانى، حتى انه لم ير ضرورة للضامن وأخذ يبيعه ما يحتاج إليه بوثيقة تسدد فيما بعد على أقساط، وقال له: «إنى عاملت الناس أكثر من أربعين عاما فما وجدت أحسن من التعامل معك ياوهابي، يظهر ان ما يشاع عنكم ياأهل نجد مبالغ فيه من خصومكم السياسيين بسبب الحروب التى وقعت بينكم وبين أشراف مكة والمصريين والأتراك، فقد اشاعوا عنكم أقوالا منكرة» فسأله الشيخ أحمد أن يبينها له. فقال الشيخ التلمسانى يقولون إنكم لا تصلون على النبى ﷺ ولا تحبونه. فأجابه المؤلف «سبحانك هذا بهتان عظيم كيف ومن لم يصل عليه فى التشهد فى الصلاة فصلاته باطلة، ومن لا يحبه فكافر؟، وإنما نحن أهل نجد ننكر الاستغاثة والاستعانة بالأموات ولا نستغيث إلا بالله وحده، ولا نستعين الا به سبحانه، كما كان على ذلك سلف الأمة» وقد استمر النقاش بينه وبين الشيخ التلمسانى ثلاثة أيام. وأخيرا هدى الله الشيخ التلمسانى للحق، وصار موحداً ظاهراً وباطناً. ثم سأله الشيخ التلمسانى أن يوضح له بعض أوجه الخلاف بينهم وبين خصومهم، فقال: إننا نعتقد أن الله فوق سماواته، مستوعلى عرشه، استواء يليق بجلاله، من غير تشبيه ولا تجسيم ولا تأويل، وهكذا فى جميع آيات الصفات والأحاديث كما هى عقيدة السلف الصالح وكما جاء عن الإمام أبى الحسن الأشعرى فى كتابيه: الإبانة فى أصول الديانة ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. وقد دامت المناظرة بينهما خمسة عشر يوما لأن الشيخ التلمسانى كان أشعرياً درس فى الجامع الأزهر كتب العقائد السنوسية وأم البراهين وشرح الجوهرة، وغيرها، وقد انتهت هذه المناقشات الطويلة باقتناع الشيخ التلمسانى بأن عقيدة السلف هى الأسلم والأحكم والأعلم. ثم صار الشيخ التلمسانى داعياً من دعاة العقيدة السلفية، وطبع على نفقته كتبا كثيرة كان يوزعها بالمجان مثل: «الصارم المُنكى فى الرد على السبكى ـ لابن عبد الهادى» و«القصيدة النونية المسماة الشافية ـ لابن قيم الجوزيه» و«الاستعاذة من الشيطان الرجيم ـ لابن مفلح» و«المؤمل فى الرجوع إلى الأمر الأول ـ لابن أبى شامة المؤرخ الدمشقى» و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ـ لابن تيمية» و«الرد الوافر ـ لابن ناصر الدين الدمشقى، مع رسائل أخرى ضمن الرد الوافر» و«غاية الأمانى فى الرد على (شواهد النبهانى) لمحمود شكرى الألوسى البغدادى» وشاركه فى نفقات الطبع،

واشترى نسخا من تفسير الطبرى ووزعها على بعض الناس رحمهم الله أجمعين.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد هدى الشيخ التلمسانى على يد الشيخ أحمد بن عيسى، فقد هدانى - أنا أيضا على يده . . . وكان له تلاميذ كثيرون، ومن أشهرهم: الشيخ عبد القادر التلمسانى المغربى، والشيخ أبوبكر بن محمد عارف خوقير المكي الكتبى، وأما فى نجد فكثيرون[1] أ - هـ .

وقال الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى فى كتابه هذا بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ :

أما بعد، فقد وقفت على كراسة لبعض العصريين من أهل العراق، سماها «انموذج الحقائق»، وضمنها كثيراً من الهذيان والشقاشق، مضمونها الانتصار للشرك بالله، المسمى بالتوسل وتجويز دعوة الأموات والغائبين من دون الله تعالى واستحبابه، والتشنيع على من يمنع من ذلك وسبابه، فأحببت أن أبين بطلان ما تضمنته كراسته من الشبهات الواهية، والترهات المتناهية وأن أزيح شبهاته ببراهين التوحيد الساطعة وأوضح ضلالاته بحجج الكتاب والسنة القاطعة، وكلام علماء الإسلام ومصابيح الاهتداء فى الظلام.

والرسالة المذكورة شبه لا شىء، لكن ربما يخيل إلى بعض قاصرى الافهام، أو لعله يحصل عليهم بها ايهام، ونحن نكتب على بعضها ما تنتقض به شبهاته، وتبطل به خيالاته وترهاته . . .

وقد تصدى للرد على رسائله التى مضمونها الدعوة إلى الشرك بالله ووسائله، وانتصب لقمع أباطيله، وايضاح تلبيسه وأضاليله، جمع من العلماء، وجل من الأئمة الفهماء منهم: شيخنا العلامة فقيه زمانه وقدوة عصره وأوانه، عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، وشيخنا العلامة، واللوذعى الهمام، ناصر الموحدين، وقامع الملحدين عبد الرحمن بن حسن، ومنهم شيخنا العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن، ومنهم العلامة المحدث، فخر الديار اليمنية، الشريف محمد بن ناصر الحازمى، والشيخ العلامة المحقق نعمان بن محمود البغدادى. انتهى باختصار[2].

ولقد كان لهؤلاء العلماء الصادقين مؤهلات عالية وأفكار صالحة فى رأب

---

(١) مقدمة الناشر محمد نصيف، ص ص ٣-٥.

(٢) الرد على شبهات المستعينين بغير الله، تأليف الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، ص - ص ٦-٧.

الصدع وجمع الكلمة، واتحاد القوة، ودحض الفرقة ونبذ الخلاف، فهذا الشيخ العلامة عبد الله بن عبد اللطيف الذى سنتحدث عنه وعن سطوع نجمه فى عهد الملك عبد العزيز له رسالة إلى المشائخ وكافة الإخوان من طلبة العلم نتبين منها قوة أثر عقيدة السلف الصالح فى علمه وفكره، أولها بعد البسملة: من عبد الله بن عبد اللطيف إلى جناب الفضلاء والأعلام والمشائخ الكرام إبراهيم بن عبد الله وحمد بن حسين وزيد بن محمد وحمد بن عتيق وصالح الشثرى ومحمد بن علي وعلي بن إبراهيم الشثرى وإبراهيم بن عميقان وسعود بن مفلح وكافة الاخوان من طلبة العلم. الخ.

وفيه بيّن الشيخ وجوب النصيحة لله ولكتابه وللأئمة والعامة من المسلمين بالأدلة من الكتاب والسنة، وحث على التفكير المتزن على ضوء الكتاب والسنة ومن أجل رضى الله وابتغاء ما عنده يوم القيامة، وانه لابد فى التوحيد من العلم به والعمل والدعوة إليه كما هى طريقة الرسول ﷺ واتباعه فى كل زمان ومكان، وهذا واجب على كل إنسان بحسبه وليس مقصورا على العالم لعلمه أو على الفاضل لفضله، بل كل بحسبه ومقداره، يجب عليه العلم بالتوحيد والعمل والدعوة، ومع ذلك فالاخوة الإسلامية باقية، لا يشوبها هوى ولا استكبار عن اتباع الحق مع من كان معه، فإن أشكل فالرد بينهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ عند موارد النزاع. والفتن كثيرا ما يلتبس فيها الحق بالباطل، ولكن يجب على المسلم معرفة الحق فى ذلك بالبحث والمذاكرة وإظهار ما يعتقده ويدين به، فإن كان حقا سأل ربه الثبات والاستقامة وشكره على التوفيق والاصابة، وإلا رده إلى من هو أعلم منه بحجة يجب المصير إليها ويقف المرشد عليها، والله عند لسان كل قائل وقصده، ومجازيه بعمله، فلابد من زلة قلم، وعثرة قدم، ﴿ وفوق كل ذى علم عليم ﴾، ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾.

ثم ذكرهم بنعم الله وأعظمها بعثة رسول الله ﷺ بالإسلام وظهوره. ثم شخص أسباب الكفر وبينها. وأهمها موانع فى النفوس من هوى وارادات ورياسات لا يقوم ناموسها ولا يحصل مقصودها إلا بمخالفة الحق وترك الاستجابة له، وهذا هو المانع فى كل زمان ومكان ولولا ذلك ما اختلف من الناس اثنان، ولا اختصم فى الإيمان بالله واسلام الوجه له خصمان.

ثم تطرق إلى تذكيرهم باختصاص الله إياهم بنعمة التوحيد من بين سائر الأمم وأصناف الناس فى هذه الأزمان، فاتاح لهم من أحبار الأمة وعلمائها حبرا جليلا

وعلما نبيلا فقيها عارفا بما كان عليه الصدر الأول، خبيرا بما انحل من عرى الإسلام، فتجرد للدعوة إلى الله ورد الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح فى باب العلم والإيمان وباب العمل الصالح والإحسان، وترك التعلق على غير الله من الأنبياء والصالحين وعبادتهم، والاعتقاد فى الأحجار والأشجار، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ فى الأقوال والأفعال، وهجر ما أحدثه الخلوف والأغيار، وأثنى الشيخ ابن عبد اللطيف على من وازر الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى تلك الدعوة من أسلاف آل سعود الماضيين وقال: إن الله أظهر لهم من الدولة والصولة ما ظهروا به على كافة العرب، وغدت لهم الرياسة والإمامة رتبة بمجرد السابقة والعادة لا تزحمهم فيها العرب العربا، ولا يتطاول إليها بنوماء السماء، وصالحهم يرجوفوق ذلك مظهرا، وجاهلهم يرتع فى ثياب مجد لا يعرف من حاكها ولا درى، فلم يزل الأمر فى مزيد حتى توفى الله شيخ هذه الدعوة ووزيره العبد الصالح رحمهما الله رحمة واسعة، ثم حدث من فتنة الشهوات ما أفسد على الناس الأعمال والارادات، وجرى من الابتلاء والتطهير ما يعرفه الفطن الخبير، ثم أدرك سبحانه من رحمته والطافه أهل هذه الدعوة ما رد لهم به الكرة ونصرهم ببركته المرة بعد المرة، وبعضكم أدرك هذا ورآه، ومن لم يدركه بلغه كيف كثر الابتلاء والامتحان لأهل هذه الدعوة ثم تكون لهم العاقبة، وذلك سنة الله السابقة، فى أنبيائه ورسله، أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه، وله فى ذلك حكمة بالغة ثم أورد الشيخ ابن عبد اللطيف الأدلة على بعض افراد هذه الحكمة.

ثم يصف تلك المحنة ويقول: «انها فتنة عم شرها وطار شررها وتفرق الناس فيها أحزابا وشيعا ما بين ناكث لعهده، خالع لبيعة إمامه بغير حجة ولا برهان، بغضا للجماعة ومحبة للفرقة والشناعة، وبين مجتهد لما رأى امامه صدر مكاتبة للدولة، وبين واقف عند حده يلوح بين عينيه، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان، والرابع ضعيف العنان خوار الجنان، مع هؤلاء تارة ومع الآخرين تارة يتبع طمعه، وكل فرقة من هذه الفرق تضلل الأخرى وتفسقها أوتكفرها بل وتنتسب إلى طالب علم تأتم به وتقلده وتحتج بقوله عياذا بالله، والمعصوم من عصمه الله، وحساب الجميع على الله، وهو أعلم بسرائرهم وسيحكم بينهم سبحانه بعلمه.

ويقول: «ثم اذهب الله ذلك بالعود إلى الجماعة وتجديد الأخوة الإسلامية وذهاب الشحناء وعاد الأمر إلى ما كان عليه من ثبوت الإمامة والدعوة إلى الجماعة

وتجديد العهود والمواثيق على ذلك فحمدنا الله تعالى وسألناه المزيد من فضله ورحمته وكنا مغتبطين واذهب الله عنا هباء الشبهات وأطفأ نار تلك الضلالات».

ثم جعل الشيخ ابن عبد اللطيف يحذر هؤلاء العلماء خاصة وينصحهم من بوادر بدرت تريد المشاقة وفل جميع المسلمين ـ إلى أن قال محذرا: «فاستأنف النهار يا ابن جبير قبل أن تنفرج ذات البين بينكم معشر العلماء ويضلل بعضكم بعضا أو يفسقه أويكفره فتكونوا بذلك فتنة لجاهل مغرور، أوضحكة لذى دهاء وفجور تستباح بذلك أعراضكم، ولا ينتفع بعلمكم، فاعقدوا لكم محضرا، ولو طال منا ومن بعضكم لأجله سفر، للنظر فيما يصلح الإسلام، وتقوم به الحجة، ولولم يعمل به عامل، تسدوا بذلك عنكم باب الفرقة، نصحا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فإنى والله لا أخال الجرح يندمل، ولا الحية تموت، إلا أن يشاء ربى شيئا، وذلك لكثرة الطلاب لهذا الأمر، فقد وقع والله بكثرتهم البأس واعضل واحتاج العاقل للنظر فيما هو الأصلح لدينه، والارضى لربه، بالاجتماع على الاسد فالاسد، والاجد فالاجد[1]، والأصلح فالأصلح، فإن الشيطان متكىء على شماله متحيل بيمينه فاتح حصنه لأهله، يدأب بين الأمة بالشحناء والعدواة عنادا لله ولرسوله ولدينه تأليبا وتأنيبا يوسوس بالفجور، ويدلى بالغرور، ويزين بالزور، ويمنى أهل الفجور والشرور، يوحى إلى أوليائه بالباطل دأبا له منذ كان، وعادة له منذ أهانه الله فى سالف الأزمان، لا ينجو منه إلا من أحب الأجل وغض الطرف عن العاجل وقط هامة عدو الله وعدو الدين باتباع الحق والعمل به، رضى ذلك من رضيه وسخطه من سخطه[1].

هذا هو الشيخ عبد الله ذوى الرأي السديد، والعقيدة السليمة، والعلم الرشيد وقد كان الملك عبد العزيز كما سيأتى الحديث عنه فى الدور الثالث كان موفقا غاية التوفيق حيث اختاره وقربه إليه، واعتبره المرجع فى بيان منهج السلف الصالح وعقيدتهم، التى صمم العزم على نصرتها واستعادة مكاسبها، كما صمم أسلافه عزمهم وارادتهم التى تضعضعت أمامها الممالك والقوى من حولهم.

هذا وما زال مشائخ الدعوة فى تلك الفترة بعد انتهاء الدور الثانى من أدوار دولة آل سعود مازال مشائخ الدعوة يحملون عقيدة السلف الصالح، ويبثون العلم بها بين

---

(١) انظر: الدرر السنية، ففيها نص هذه الرسالة كاملا جـ ٧ ص ص ٢٦٥ـ٢٧٢. والأجد فالأجد يعنى الأكثر جدا.

الناس رغم ضعفهم وقلتهم وهوانهم على الناس وغيبة الناصر لها لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ دينه، وكما أخبر رسول الله ﷺ من أنه لا تزال طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم إلى قيام الساعة وقد أنعم الله سبحانه على هاتين الأسرتين الكريمتين. فمهما بقيت عداوة من يعاديهما من أجل عقيدة السلف الصالح والمحافظة عليها، فسوف يبقى الله هاتين الأسرتين ما يغيظ أعداءهم الذين ما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، وهذا هو أثر عقيدة السلف الصالح الذى لا يتخلف أبدا حتى قيام الساعة كما قال تعالى: ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾. ولذا فقد قيض الله لأهل هذه العقيدة السلفية السليمة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.

وبقيام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يبدأ الدور الثالث من أدوار دولة أنصار عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ـ فإلى ذلك فى الفصل التالى.

الفصل الرابع
أثرها في الدور الثالث الحاضر

إن الله سبحانه وتعالى عاد بعائدته، كما جرت به سنته للطائفة المنصورة فقيض الله لعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية إماما راشدا وسلطانا نصيرا وملكا حاميا. ألا وهو أبو الملوك، الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمهم الله تعالى، الذى سار على سنة آبائه فى نصرة عقيدة السلف الصالح واعزاز أهل الدين الحق واستعادة مكاسب آبائه من ذلك وتجديد مجدهم واحياء سنتهم الراشدة.

يقول الشاعر الأديب العالم محمد بن عثيمين رحمه الله يخاطبه :

أرضيت آباءك الغر الكرام بما ... جددت من مجدهم من بعد ما بانوا
نبهت ذكرا توارى منه حين علا ... للمارقين ضباب فيه دخان
فجئت بالسيف والقرآن معتزما ... تمضى بسيفك ما امضاه قرآن
حتى انجلى الظلم والإظلام وارتفعت ... للدين فى الأرض أعلام وأركان
دين ودنيا وبأس فى الوغى وندى ... تفيض من كفه بالجود خلجان[1]

ويقول فيه أيضا :

تلألأت بك للإسلام أنوار ... كما جرت بك للاسعاد أقدار
إن الذى قدر الأشيا بحكمته ... لما يريد من الخيرات يختار
والعبد إن صلحت لله نيته ... لابد يبدو لها فى الكون آثار

إلى أن قال يخاطبه :

تألفت بك أهواء مفرقة ... تأججت بينهم من قبلك النار
فأصبحوا بعد توفيق الإله لهم ... بعد الشقا والجفا فى الدين أخيار

إلى أن قال :

كنا نمر على الأموات نغبطهم ... من قبله إذ تولى الأمر أشرار

---

(١) العقد الثمين، من شعر محمد بن عثيمين، جمعه ورتبه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد ص - ص ٨٢-٨٥.

فالآن طابت به الأيام إذ أخذت ... به لأهل الهدى والدين أوتار[1]

ويقول فيه أيضا :

إمام هدى للرشد يهدى ويهتدى ... مُقيمَ سَواءِ بالرعية يرفق

إلى أن قال :

فيا معشر الإخوان دعوة صارخ ... لكم ناصح بالطبع لا متخلق
يود لكم ما يمتنيه لنفسه ... ويعلم أن الحب فى الله أوثق
تحاموا على دين الهدى مع إمامكم ... وكونوا له بالسمع جنداً توفقوا
وإياكم والافتراق فإنه ... هو المهلك فى الدنيا وللدين يوبق
فو الله ثم الله لا رب غيره ... يمين امرىء لا مفتر يتملق
لما علمت نفسى على الأرض مثله ... إماما على الإسلام والخلق يشفق[2]

وصدق ابن عثيمين ، فإن عبد العزيز، الإمام لما خرج من الكويت، خرج وهو يريد أن يسترد مكاسب العقيدة السلفية ، التى اكتسبها آباؤ ه ، حين تأثروا بعقيدة السلف الصالح ، وطبقوها ، وقد علم يقينا أن مفتاح استردادها هو العمل لنصرتها كما كان آباؤ ه وأجداده ، ولن يصلح آخرهم إلا ما صلح أولهم ولا سبيل لبلوغ هذه الغاية إلا التمسك بالشريعة السمحاء وإقامة حدود الله والحكم بما أنزل الله وفى سبيل ذلك لابد من نشر العلم والمعرفة بعقيدة سلفنا الصالح ، وتعليم فرائض الدين وأحكام الشريعة كما كان هذا هو منهجهم أيضا .

وما أن أظهره الله بالاستيلاء على الرياض إلا وكان أول همته تقريبه العلماء ، وتكريمه لآل الشيخ من أجل الشيخ وعهده مع جده ، ولأجل ما يتصفون به من علم راسخ وعمل ثابت . وقد كان الملك يشارك العلماء فى البيان والنصيحة وبيان منهج السلف الصالح فى تطبيق العقيدة تطبيقا لرعيته حتى يجنبهم المخاطر ودروب الهلاك والفرقة مع كونه يجمعهم مع العلماء فى مجالس يبينون لهم ، ويكشفون عنهم الشبه ومن ذلك مجلس عقده وفيه جمع من العلماء وبعده وجه نداء عاما شرح فيه حقيقة ما هو عليه من العقيدة هذا نصه :

---

(١) المصدر السابق ص، ض ١٠٨ ، ١٠٩-١١٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ـ ص ١٢٢-١٢٣ .

بســـم الله الرحمن الرحيم

من عبـد العـزيـزبن عبـد الـرحمن بن فيصـل آل سعود إلى الاخوان وفقنا الله وإياهم إلى فعل الخيرات وترك المنكرات آمين .

السـلام عليكم ورحمـة الله وبـركـاتـه ، وبعـد ذلك : تفهمون ان الله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا بنعمة الإسلام ومنّ علينا بأن جعلنا من أهله . ولا يخفى عليكم ما مضى عليـه أسـلافكم من الأعـراب من انحرافهم عن الدين والتقيد بشريعة سيد المرسلين ، بما يأتـونـه من أرتكـاب الأمـور التى تغضب الله ورسـوله ، ومن استحلال الـدمـاء ونهب الأمـوال وتـرك فرائض الإسـلام ، فأنتم اليـوم لما إن الله جل شأنـه من عليكم بهدايتـه لكم على دينـه القـويم وجب عليكم أن تقيـدوا تلك النعمـة بالشكر المنـع تبـارك وتعـالى . وأعظم الشكر لله هواتباع أمره واجتناب نهيه ، على وفق ما جاء به نبيـه الكـريم عليـه أفضـل الصلاة والسلام ، وان لا تحيدوا عنه ذات اليمين وذات الشـمال ، فتكـونـوا من الهـالكـين . إنى أريـد أن أشرح لكم حقيقة ما نحن عليه من العقيـــدة فى الـــدين ، التى أشـــار إليهـا العلماء فى جوابهم السـابق فى هذا المجلس ، فاسمعـوا واحفظـوا عنى ما أقـولـه لكم تنجوا من المهالك . إن أصل الدين كتاب الله تعـالى ، وسنـة نبيـه محمد ﷺ ، وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان . فهم السلف الصالح ثم الأئمة الأربعة من بعدهم ، أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبـل رضى الله عنهم ، وعن سلف الأمـة من الصحـابة ومن تبعهم إلى يوم القيامة ، فإن هؤلاء الأئمـة المقتـدى بهم عنـد جميع المسلمين من أهل الكتاب والسنة ، فإنه لا خلاف بينهم فى أصـل الـدين ، من توحيـد الله تعـالى فى ربـوبيته وفى الوهيته وأسمائه وصفـاتـه وهـذا الحمـد لله ثابت فى كتبهم المـوجـودة بين أيـديكم ، وإن حصل بينهم اختلاف فى الفروع ، فما ذاك إلا من شدة حرصهم وتمسكهم بكتاب ربهم ، وما صح عن نبيهم ﷺ واستخراج معانيهما ، كل منهم على قدر ما آتاه الله من العلم والفهم فى دينه ، وكلهم إن شاء الله تعالى على حق ، ومن سلك طريقهم وحذا حذوهم إلى يوم القيـامـة ، فهـذا الـذى ندين لله به ، وهـو اعتقادنا نحن واعتقاد مشايخنا وأسلافنا وهو الصراط المستقيم ، والميزان العدل ، فمن استقام عليه فهو المتبع المهتدى ومن حاد عنه وهـو جاهـل فيجب عليـه الـرجوع والتوبة إلى الله تبارك وتعالى ، ومن خالفه معتقدا بطلانه فهذا ليس على شىء من الدين ، لا أصله ولا فرعه ، نعوذ بالله من ذلك ، ولا يقـال عن هذا انـه مكـذب للمشـايـخ ، بل مكذب لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وان من

حضر منكم هذا المجلس المبارك ، وسمع كلام العلماء بغير واسطة ، فقد قامت عليه الحجة ، وليس هو بمعذور بما يأتيه من المخالفة وعلى الشاهد أن يبلغ الغائب ، وإنى أحذركم من التفرق فى الدين وتتبع الخلافات فيه ، فإن هذا من أعظم أسباب الهلاك ، وإنكم فى زمن قد تشعبت فيه الأمة الإسلامية وكثرت فيها الفرق وفشت فيها البدع ، ودنس وجه الدين بما ليس منه ، وكثرت فيه شبه الضالين المضلين ، غير إنه بحمد الله لم يخل زمان من قائم لله فى أمر دينه ينفى عنه غلو الغالين وانتحال المبطلين ، أولئك هم علماء الدين ، وهم ورثة الأنبياء وهم الحافظون لدين الله تعالى ، حيث أقامهم لذلك : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ وكل يدعى إنه القائم لله بحفظ دينه ، ولكن ميزان العدل فى ذلك هو اتباع هذا النبى الكريم : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ إنى أرشدكم إلى أعظم قائم لله تعالى فى نصر دينه ، بعد الأئمة الأربعة رضى الله عنهم ، وذلك بعد أن كثرت الملل والنحل ، وتشعبت الأهواء ، وتفرق الناس شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ، ذلك : هو شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه الإمام محمد بن قيم الجوزيه ـ رحمهما الله تعالى ، ومن هو على طريقتهم فى الدعوة والتحقيق إلى يوم القيامة ، فقد قام هذان الشيخان بما أوجبه الله على العلماء من بيان الحق ، وعدم كتمانه ، ولم تأخذهما فى الله لومة لائم ، فقد توفى الشيخ ابن تيمية رحمه الله بينما كان محبوسا فى قلعة دمشق ، وما ذنبه إلا بيان الحق والدعوة إليه وإبطال ما خالفه من العقائد الزائفة ، والطرائق الضالة الفاسدة ، فهذه كتب هذين الشيخين بحمد الله بين أيديكم قد سهل الله نشرها بعد أن كانت مدفونة فى زوايا الترك والاهمال ، فعليكم بمطالعتها ، فإنها بادلة الكتاب والسنة تجلوعن القلوب صداها ، وبمآثر الصحابة وهديهم تميط عن الأبصار غشاها ، وهذا شيخنا

ذلك الإمام[1] الوحيد فى زمانه ، الجليل القدر رحمه الله تعالى ، قد قام بما قام به هذان الشيخان من الدعوة إلى تحقيق التوحيد لله تعالى فى أسمائه وصفاته وتوحيده فى الوهيته ، بافراده بالعبادة له ، وحده لا شريك له بجميع أنواعها ، وهذا التوحيد هو أصل بعثة الرسل من نوح إلى نبينا محمد ﷺ . قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه إنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ وهذا التوحيد هو أصل الأصول للدين ، الذى لا يجوز التقليد فيها . فعليكم بالتفقه فى دينكم واتباع نبيكم ﷺ

(١) يعنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى .

وسلفكم الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة، وقد تقدم لكم البيان بإننا فى الأصل على القرآن، وفى الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه. إن هذا المقام ليس مقام تفصيل واطالة، بل هو مقام نصيحة وتنبيه لكم فيما تأتونه من أمور دينكم بأن تكونوا فيه على بصيرة. قال تعالى: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر وقصده فى هجره البداوة، وانتسابه إلى الخير طلب رضا الله تعالى والتماس ما عنده من الثواب لمن تاب إليه وأناب فلا يتمسك أحدكم بأمور دينه برأيه، وليس الدين بالاستحسان، فكل طريق إلى الحق غير طريق نبيه ﷺ فإنه مسدود، وكل عمل على غير سنته فهو إلى صاحبه مردود فاتبعوا ولا تبتدعوا، وقاربوا فمن سار على الدرب وصل، وهذا ما يجب لكم علينا من النصيحة، فمن خالف ما بيناه لكم بقول أو فعل فذمتنا وذمة المسلمين منه برئية ولا يأمن البطش بنفسه وبحلاله ومن أنذر فقد أعذر. نرجو الله أن يوفقنا وإياكم للخير وأن ينصر دينه ويعلى كلمته وأن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين»(١).

وفى موضع آخر يقول الملك عبد العزيز: «على انه فى آخر الأمر أظهر الله شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ثم بعدهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله ونفع بهم الإسلام والمسلمين، وخصوصا محمد بن عبد الوهاب، عندما أندرست أعلام الإسلام، وكثرت الشبهات والبدع، فلما رأى أسلافنا موافقة أقوالهم وأفعالهم لما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبلوا ذلك وقاموا بها أظهره الله على أيديهم. ونحن إن شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم، نرجو أن يحيينا على ذلك ويميتنا عليه، وقد عرفناكم بذلك لموجب ذكر المشائخ فى الاعتقاد، والعمدة على ما ذكروه».

إلى أن قال: «ومن اشكل عليه شيء من الأمور فليرده إلى طالب العلم المنصوب عندكم بأمر الولاية ورضى المشائخ»(٢).

وله رسالة إلى من يراه من علماء المسلمين وإخوانهم المنتسبين فى سنة ١٣٣٩هـ

---

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها، تأليف صلاح الدين المختار، جـ٢ ص ص ١٥٢-١٥٥.

(٢) نجد وملحقاته، وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود، ملك الحجاز ونجد وملحقاتها تأليف أمين الريحانى ط ٣ ص ص ٤٣٥-٤٣٦.

يقرر فيها ما كتبه إليهم المشائخ : حسن بن حسين وسعد بن حمد بن عتيق وسليمان بن سحمان وصالح بن عبد العزيز وعبد الرحمن بن عبد اللطيف وعمر بن عبد اللطيف وعبد الله بن حسن ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف وكافة آل الشيخ حيث كتبوا يذكرون بها أظهر الله على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من دين الإسلام والعمل به ، ثم ذريته من بعده سلكوا على منواله وأيدهم الله بولاة الأمر من آل سعود وآخر من قام بهذا الأمر في زمانهم الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف . ثم يبينون انه من المتعين على الجميع لزوم الاقتداء بهم والسلوك على منهاجهم ، وانه لا ينبغي لأحد من الناس العدول عن طريقة آل الشيخ ومخالفة ما استمروا عليه من أصول الدين فانه الصراط المستقيم ، الذي من حاد عنه فقد سلك طريق أصحاب الجحيم ، وكذلك في مسائل الأحكام والفتوى لا ينبغي العدول عما استقاموا عليه ، واستمرت عليه الفتوى منهم . لأن الاختلاف بين الناس خصوصا في جهة نجد لابد أن يكون سبب شر وفساد وفتنة وسد باب الشر والفتن والفساد أمر مطلوب في الشريعة ، بل من أعظم مقاصدها كما لا يخفى . فقرر الملك على ذلك قائلا : هذا كتاب إخوانكم المشائخ تشرفون عليه والعمل إن شاء الله على مافيه ، ثم بعد ذلك مهوب خافيكم أول منشأ هذا الأمر وتقويمه إنه من الله ثم أسباب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، وأوائلنا رحمهم الله ، وما جرى على المسلمين من اختلاف ولايتهم مرارا وكلما اختلف الأمر وشارف الناس لنقض دين الله واطفاء نوره أبى الله وأخرج من ها الحمولتين من يقوم بذلك حتى ان آخرهم والدنا وشيخنا الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف . إلى أن قال الملك : «والحمد لله ما حنا[1] في شك من أمر ديننا ، وتفهمون انه من حين أظهر الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قرن أطيب من وقتنا ورجال أطيب من رجالنا وعلماء أطيب من علمائنا ، فسدد الله به ، وقام بهذه الكلمة وجدد الله أمر هذا الأصل ، وأنقذ الله بأسبابه الناس من الظلمات إلى النور ، فبان أمره لأولى الأبصار وخفي ذلك على كثير من الناس ، وعاند من أزاغ الله قلبه وأعمى بصيرته ، وقبل هذا الحق ورضيه آباؤ نا وأجدادنا وعلماء المسلمين فيما أتى به من الأصل والفروع ويتعين علينا إن شاء الله أن نقتدي بما اقتدوا به .

إلى أن قال الملك : فالآن يكون الأمر على ما ذكر المشائخ أعلاه فمن أفتى أو

---

(١) الدرر السنية جـ ١١ ص ـ ص ١٣١-١٣٤ ، ويلاحظ ان الملك يتكلم بلهجة عامة الرعية وذلك ابلغ في أنفسهم . ومعنى : (ماحنا) : أي ما نحن .

تكلم بكلام مخالف لما عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده عبد الله وعبدالرحمن وعبد اللطيف وعبد الله بن عبد اللطيف فهو متعرض للخطر، لأننا نعرف انه ما يخالفهم إلا إنسان مراوز[1] للشر والفتنة بين المسلمين».

إلى أن قال الملك مستثنيا: «الا ان كان هنا إنسان عنده فى مخالفتهم دليل من الكتاب أو السنة» . . . الخ ما قاله رحمه الله.

ومن كلمات الملك عبد العزيز وخطبه قوله:

«إنى مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم والمغارم التى أرهقت كاهل عباد الله، إنى مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها، فلن يكون بعد اليوم سلطان إلا للشرع، ثم استطرد قائلا . . . الذى أبغيه من هذه الديار أن تعمل بما فى كتاب الله وسنة نبيه فى الأمور الأصلية أما فى الأمور الفرعية فاختلاف الأئمة رحمة[2].

ومن خطبة له بمكة يقول:

«انا بذمتكم وأنتم بذمتى. إن الدين النصيحة. أنا منكم وأنتم منى. هذه عقيدتنا فى الكتب بين أيديكم فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله، فردونا عنه وأسألونا عما يشكل عليكم فيها، والحكم بيننا كتاب الله وما جاء فى كتب الحديث والسنة.

ويقول:

«ما كنا عربا إلا بعدما كنا مسلمين. كنا عبيدا للعجم. ولكن الإسلام جعلنا سادة. ليس لنا فضيلة إلا بالله وطاعته واتباع محمد. ويجب أن نعرف حقيقة ديننا وعربيتنا، ولا ننساها.

«كل حرية باطلة، إلا حرية الإسلام. والإنسان لا ينفع إلا بالدين. ونحن لا نبغى محاربا أوربا، وإنما نطلب حقوقنا باتحادنا فنعتصم بالله. والإسلام أكبر وسيلة وأكبر حصن. هو أكبر مزايا الحسب والنسب. فيجب على المسلم محبة دينه وشعبه ووطنه.

ويقول فى خطبة له بمكة أيضا:

«يسموننا بالوهابيين، ويسمون مذهبنا بالوهابي. باعتبار انه مذهب خاص

---

(١) و(مراوز للشر): هو من يريد موافقة الشر.

(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية، للصف الثالث المتوسط، ط ١ عام ١٣٩٤هـ ص ٢١٠.

وهذا خطأ فاحش، نشأ عن الدعايات الكاذبة التى كان يبثها أهل الأغراض».

«نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، أوعقيدة جديدة. ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هى عقيدة السلف الصالح التى جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح».

«ونحن نحترم الأئمة الأربعة. ولا فرق بين الأئمة مالك والشافعى وأحمد وأبى حنيفة. كلهم محترمون فى نظرنا»[1].

ومن خطبتين له فى مكة إحداهما عام ١٣٥٣هـ يقول :

«هذه عقيدتنا فى الكتب التى بين أيديكم، فإن كان فيها ما ما يخالف كتاب الله فردونا عنه... والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما جاء فى كتب الحديث والسنة.

إننا لم نطع (ابن عبد الوهاب) وغيره إلا فى ما أيدوه بقول من كتاب الله وسنة رسوله. وقد جعلنا الله، أنا وآبائى وأجدادى مبشرين ومعلمين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، ومتى وجدنا الدليل القوى فى أى مذهب من المذاهب الأربعة، رجعنا إليه وتمسكنا به. وأما إذا لم نجد دليلا قويا، أخذنا بقول الإمام أحمد. فهذا كتاب «الطحاوية» فى العقيدة الذى نقرأه وشرحه للأحناف وهذا تفسير «ابن كثير» وصاحبه الشافعى[2].

ويقول ينبه بعض المستعمرين :

«قد فاتكم أن الراعى مسئول عن رعيته وقد فاتكم أن صاحب السيادة لا يستقيم أمره إلا بالعدل والإحسان وقد فاتكم أن العرب لا ينامون على الضيم ولا يبالون إذا خسروا كل ما لديهم وسلمت كرامتهم»[3].

ولما دخلت بلاد الحجاز فى ولاية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود حصل اتفاق بين علماء مكة ونجد وقد نشرته رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية بعنوان: «البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد» وقد اشتمل على بيان ما يجب على الأمة الإسلامية اعتقاده من توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة وتحذيرها من كل ما يخالف كتاب الله

---

(١) الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز، تأليف خير الدين الزركلى ص ٢١٧.
(٢) تاريخ البلاد العربية السعودية، تأليف الدكتور منير العجلانى ص ٢٢٩.
(٣) تاريخ المملكة العربية السعودية للصف الثالث المتوسط ط ١ عام ١٣٩٤هـ ص ٢١١.

وسنة رسوله ﷺ كدعاء غير الله والاستغاثة والاستعانة بالأموات وطلب الشفاعة منهم، والذبح والنذر لغير الله، وكالحلف بغير الله وتعظيم القبور بغير ما شرع الله من البناء عليها واتخاذها مساجد وشد الرحال إليها والطواف حولها والتبرك بها مما عمت به البلوى، وقد سبق نشرها في جريدة أم القرى في أجزاء متفرقة في سنة ١٣٤٣هـ ثم جمعت في رسالة تحت عنوان :

«البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد» وطبعت عام ١٣٤٤ هـ ثم ضم اليها مناظرة في نفس الموضوع جرت بين علماء مكة ونجد نشرتها جريدة أم القرى يوم الجمعة ١٣٤٣/٥/١٥ هـ وطبعت بمطابع دار الثقافة بمكة عام ١٣٩٨هـ طبعتها الثانية ـ وأولها نداء عام من علماء بلد الله الحرام الى امتنا الكريمة والى شعبنا النبيل، بينوا فيه ذلك المضمون الذى ذكرناه، ووقعه كل من الشيخ محمد المرزوقى قاضى مكة المكرمة والشيخ عبدالله بن ابراهيم حمدوه، والشيخ سعد وقاص، والشيخ حسين مكى الكتبى، والشيخ عيسى دهان، والشيخ عبد القادر ابو الخير مرداد والشيخ محمد سعيد ابو الخير والشيخ ابوبكر بن محمد خوقير، والشيخ حسين عبد الغنى والشيخ محمد نور محمد الفطانى، والشيخ محمد عرابى سجينى، والشيخ عباس المالكى، والشيخ محمد امين فوده، والشيخ محمد جمال المالكى، والشيخ محمد عبد الهادى كتبى، والشيخ درويش عجيمى.

ثم اعقبه خطاب رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن بليهد الذى ألقاه فى الاجتماع الذى عقد بين علماء نجد وعلماء مكة المكرمة. ثم ذكر المناظرة التى وقعت بين علماء مكة وعلماء نجد وما توصلوا اليه واتفقوا عليه فى بيان. نذكر نصه كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده :

من علماء حرم الله الشريف وأئمته الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى، والشيخ عمر باجنيد ابى بكر، والشيخ درويش عجيمى، والشيخ محمد مرزوقى، والشيخ أحمد بن على النجار، والشيخ جمال المالكى، والشيخ عباس المالكى، والشيخ حسين بن سعيد بن محمد بن سعيد عبد الغنى، والشيخ حسين مفتى المالكية والشيخ عبد الله حمدوه، والشيخ عبد الستار والشيخ سعد وقاص والشيخ عمر بن

صديق خان والشيخ عبد الرحمن الزواوى الى من يراه من علماء الحكومات الاسلامية وملوكهم وأمرائهم .

أمـا بعـد : فقـد اجتمعنـا نحن المـذكورين مع مشايخ نجد حين قدومهم الى الحـرم الشـريف مع الإمـام عبـد العـزيـز حفظـة الله ، وهـم : الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ، والشيخ عبدالله بن حسن ، والشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم ، والشيـخ عبـد الـرحمن بن محمـد بن داود ، والشيـخ محمد بن عثمان الشاوى ، والشيخ مبـارك بن عبـد المحسن بن باز ، والشيـخ ابـراهيم بن ناصـر بن حسين . فجرى بيننا وبـين المـذكـورين والمحـترمـين مباحثة فعرضوا علينا عقيدة أهل نجد وعرضنا عليهم عقيدتنا ، فحصل الاجتماع بيننا وبينهم بعد البحث والمراجعة فى مسائل اصولية ، منها أن من أقـر بالشهـادتـين وعمل بأركان الاسلام الخمسة ثم أتى بمكفر ينقض اسلامه قولي أو فعـلي أو اعتقـادي إنـه يكـون كافراً بذلك يستتاب ثلاثا ، فإن تاب وإلا قتل ، ومنهـا من جعـل بينـه وبين الله وسائط من خلقه يدعوهم فى جلب نفع أو دفع ضر ، أو يقربونه إلى الله زلفى إنه كافر يحل دمه وماله ومن طلب الشفاعة من غير الله لا يقدر عليه إلا الله إن ذلك شرك ، فان الشفاعة ملك لله ولا تطلب الا منه ، ولا يشفع احد الا بإذنه ـ كما قال تعالى : ﴿**من ذا الذى يشفع عنده الا بإذنه**﴾ وهو لا يأذن الا فيمن رضى قوله وعمله ، كما قال تعالى : ﴿**ولا يشفعون الا لمن ارتضى**﴾ وهو لا يرضى الا بالتـوحيـد والاخـلاص . ومنهـا تحريم البنـاء على القبـور ، واسراجها وتحرى الصلاة عندها إن ذلك بدعة محرمة فى الشريعة ، ومنها إن من سأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراما ومنها انه لا يجوز الحلف بغير الله لا الكعبة ولا الأمانة ولا النبى ولا غير ذلك لقول النبى صلى الله عليه وسلم «من حلف بغير الله فقد أشرك» .

فهـذه المسـائل كلها لما وقعت المباحثة فيها حصل الاتفاق بيننا وبين المذكورين ولم يحصـل خلاف فى شيء ، فاتفقت بذلـك العقيدة بيننا معاشر علماء الحرم الشريف وبين إخواننا علماء أهل نجد ، نسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه آمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم» انتهى .

وهكذا يحصل الاتفاق على الحق ، ويحصل زهوق الباطل «إن الباطل كان زهوقا» .

وكتب الملك عبد العزيز الى الشيخ أبى يسار الدمشقى ، وناصر الدين الحجازى نزيل دمشق ، كتب اليهما فى الشام كتابا يعتبر منشوراً إعلاميا وبيانا لما عليه الملك عبد العزيز من عقيدة السلف الصالح ، ونورد نصه لانه وثيقة لا يقدر أحد ان ينكرها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل الى جناب الاخوين المكرمين الشيخ الفاضل ابويسار الدمشقى ، وناصر الدين الحجازى ، سلمهما الله تعالى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته - «أمابعد» فانى أحمد اليكما الله الذى لا اله الا هو على نعمه التى من أجلِّها نعمة الاسلام ، ونشكره سبحانه اذ جعلنا من اهلها وانصارها والذابين عنها ، ونسأله أن يصلي على عبده ورسوله وحبيبه وخيرته من خلقه محمد وآله وصحبه وحزبه .

وغير ذلك ورد علينا ردكم على عبد القادر الاسكندرانى فرأيناه ردا سديدا وجوابا صائبا مفيدا ، وافيا بالمقصود ، فحمدنا الله على ما من به عليكم من معرفة الحق والبصيرة فيه وعرضناه على مشائخ المسلمين فاستحسنوه وأجازوه .

فالحمد لله الذى جعل لأهل الحق بقية وعصابة تذب عن دين المرسلين وتحمى حماه عن زيغ الزائغين ، وشبه المارقين والملحدين ، فلربنا الحمد لا نحصى ثناء عليه ، بل هوكما اثنى على نفسه ، وفوق مايثنى به عليه خلقه ، وهذه منة عظيمة ، ومنحة جليلة جسيمة ، حيث جعلكم الله فى هذه الأزمان التى غلب على اكثر أهلها الجهل والهوى والإعراض عن النور والهدى ، واستحسنوا عبادة الاصنام والاوثان ، وصرفوا لها خالص حق الملك الديان ، ورأوا ان ذلك قربة ودينا يدينون به ، ولم يوجد من ازمان متطاولة من ينهى عن ذلك أويغيره ، فعند ذلك اشتدت غربة الاسلام واستحكم الشر والبلاء ، وطمست اعلام الهدى ، وصار من ينكر ذلك ويحذر عنه خارجيا قد اتى بمذهب لا يعرف لأنهم لا يعرفون الا ما الفته طباعهم وسكنت اليه قلوبهم ، وما وجدوا عليه اسلافهم وآباءهم من الكفر والشرك والبدع والمنكرات الفظيعة فالعالم بالحق والعارف له والمنكر للباطل والمغير له يعد بينهم وحيدا غريبا .

فاغتنموا رحمكم الله الدعوة الى الله والى دينه وشرعه ، ودحض حجج من خالف ما جاءت به رسله ونزلت به كتبه من البينات والهدى ، وان تكون الدعوة الى

الله بالحكمة والموعظة الحسنة بالحجة والبيان، حتى يمن الله عليكم بمن يساعدكم على هذا، فان القيام فى ذلك من اوجب الواجبات، وأهم المهمات وافضل الاعمال الصالحات لا سيما فى هذا الزمان الذى قل خيره وكثر شره، قال صلى الله عليه وسلم «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير ان ينقص من اجورهم شىء» وقال لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه: «فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم» ونحن إن شاء الله من أنصاركم وأعوانكم.

ومن حسن توفيق الله لكم أن اقامكم فى آخر هذا الزمان دعاة إلى الحق وحجة على الخلق فاشكروه على ذلك، واعلموا أن من أقامه الله هذا المقام لابد أن يتسلط عليه الأعداء بالأذى والامتحان، فليقتد بمن سلف من الأنبياء والمرسلين، ومن على طريقهم من الأئمة المهديين، ولا يثنيه ذلك عن الدعوة إلى الله، فإن الحق منصور وممتحن، والعاقبة للمتقين فى كل زمان ومكان، وهذه[1] هدية نهديها إليكم من كلام علماء المسلمين وبيان ما نحن ومشائخنا عليه من الطريقة المحمدية والعقيدة السلفية ليتبين لكم حقيقة ما نحن عليه وما ندعو إليه، نحن وسلفنا الماضون نسأل الله لنا ولكم التوفيق، والهداية لاقوم منهج وطريق، والسلام[2].

والهدية السنية التى أشار إليها الملك عبد العزيز وقال إنها تبين حقيقة ما نحن عليه وما ندعو اليه، نحن وسلفنا الماضون هى مجموعة رسائل خمس لكبار أئمة نجد وعلمائها جمع وترتيب الشيخ سليمان بن سحمان طبعت بأمر ملك الحجاز وسلطان نجد عبد العزيز آل سعود، وقف على طبعها وعلق عليها بعض الفوائد والايضاحات محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية فى سنة ١٣٤٤هـ بمطبعة المنار بمصر وأعيد طبعها فى مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة ـ على نفقة فهد بن قاسم بن علي آل ثانى عام ١٣٩٣هـ وهى عبارة عن رسالة من الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من العلماء والقضاة فى الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المشرق والمغرب يشرح فيها حقيقة العبادة ويبين التوحيد والفرق بين حق الله وحق أنبيائه وأوليائه ويحذر من الشرك ويبينه ما هو ليجتنب.

وسبق ذكرها فى أثر عقيدة الشيخ فى الدور الأول من أدوار دولة أنصارها[3].

---

(١) اشارة إلى كتاب الهدية السنية للشيخ سليمان بن سحمان المطبوعة بمصر سنة ١٣٤٤هـ.

(٢) الدرر السنية جـ ١ ص ص ٣٠٣ـ٣٠٥.

(٣) انظر: الفصل الثانى من الباب الثانى ص ٥١٠ من هذا البحث.

والثانية من الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد. وسبق ذكرها في أثر عقيدة الشيخ في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها[١]. وفيها شرح مذهب الشيخ وأنصاره واتباعه وانه مذهب أهل السنة والجماعة وهى عبارة عن محضر سجل ما وقع بالفعل ووثيقة تاريخية لا يقدر أحد أن ينكرها.

والرسالة الثالثة هى الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب للشيخ حمد بن ناصر بن معمر، وهى كذلك وثيقة تاريخية سجلت مناظرة وقعت بين الشيخ حمد بن معمر وأصحابه وبين علماء مكة وأعيانها في دعاء غير الله وتمييز الشرك من التوحيد وفى حكم تارك الصلاة والزكاة وفى حكم البناء على القبور. وسبق ذكرها أيضا في أثر عقيدة الشيخ في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها[٢].

والرسالة الرابعة للشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ في نبذة من سيرة جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومجمل عقيدته واتباعه، وهى نبذة أصيلة من مؤتمن لا يشك في أمانته العلمية، فتعتبر أصدق مرجع في زمانها يؤخذ منه حقيقة ما عليه الشيخ محمد وأتباعه وأنصاره. وسبق ذكرها في الدور الثانى من أدوار دولة أنصارها[٣].

والرسالة الخامسة للشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ تتضمن سجلا بما عمله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن من بعثه هذا الشيخ إلى اليمن وعسير وتهامة لينشر عقيدة السلف الصالح هناك ويبين التوحيد ليعمل به والشرك ليجتنب وهى وثيقة تاريخية جليلة لا يقدر أحد أن ينكرها أو أن ينكر صلتها الحاضر بالماضى وبيانها أن الحاضر لم ينحرف عن الماضى، وإنما على سننه - كما قال الملك عبد العزيز: «هدية نهديها إليكم من كلام علماء المسلمين، وبيان ما نحن ومشائخنا عليه من الطريقة المحمدية، والعقيدة السلفية، ليتبين لكم حقيقة ما نحن عليه، وما ندعو إليه، نحن وسلفنا الماضون».

ثم ختامها بقصيدة دالية للشيخ سليمان بن سحمان في جملة عقيدة الشيخ السلفية وقصيدة من صاحب لنجه في بيان طريقة الشيخ، وأرجوزة للعلامة محمد بن

---

(١) انظر: الفصل الثالث من الباب الثاني ص٥٣٦ من هذا البحث.

(٢) انظر: الفصل الثاني من الباب الثاني ص٥٢٥ من هذا البحث.

(٣) انظر: الفصل الثالث من الباب الثاني ص٥٦٦ من هذا البحث.

الشيخ أحمد الحفظى الحجازى اليمنى فى بيان عقيدة الشيخ وذكر مآثر آل سعود لما استجابوا لداعى الحق حتى ظهر دين الله وبان منهاج الشريعة المحمدية[1].

ولا شك أن الملك عبد العزيز كان كأسلافه عقيدته سلفية وكان نصيرا لعقيدة السلف ويستشير العلماء فى أمور الدين وينفذ أحكامهم ويعمل بنصائحهم وفتاويهم مع انه ذو فكر سديد، وادراك عميق، واعتقاد سليم، مبنى على استقلال فى الشخصية، وحرية فى الاختيار، وقوة فى الارادة، ومضاء فى العزيمة، وسعة فى الافق، ويشاركهم فى التوجيه والنصائح والارشاد والدعوة إلى عقيدة السلف الصالح كما ذكرنا[2] مما يدل على علمه ورسوخ قدمه فى عقيدة السلف الصالح وان عليها اعتقاده رحمه الله تعالى.

لكنه مع ذلك يدرك أهمية العالم المتخصص، المعروف بالديانة والصدق ويضعه فى مكانه، ويعلم أن ذلك هو منهج الصواب.

وكان من أبرز هؤلاء المشائخ الذين استعان بهم هو العلامة التقى الورع شيخ الإسلام الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ ولد فى الاحساء سنة ١٢٦٥هـ وقدم بلد الرياض سنة ١٢٧٢هـ وأخذ العلم عن أبيه وجده والشيخ حمد بن عتيق وغيرهم وبرع فى جميع الفنون، الأصول والفروع والتفسير والنحو وغيرها، وصار رفيع القدر جم الفضائل، انتهت إليه الرئاسة فى العلم والرأى والكرم، له اليد الطولى فى التدريس ومجالسه المحفوفة بفحول العلماء والمدرسين وأهل الرأى، وله صدور المجالس والمحافل، وإلى قوله المنتهى فى الفصل بين العشائر والقبائل، له رسائل وفتاوى ونصائح كثيرة مفيدة ورأى راجح فى الحوادث المدلهمة، وهيبة البسها بين الأمة وأخذ عنه العلم جم غفير ترعرعوا ونموا فى مدرسته ونالوا من اكرام الملك ونصرته ما تمم نموهم وادراكهم فكانوا خير عون له، وعلى رأس هؤلاء التلاميذ للشيخ عبد الله علامة الديار النجدية ومفتى المملكة العربية السعودية الشيخ لمحمد بن إبراهيم رحمه الله.

وهذه قائمة بأسماء التلامذة الأوائل الذين ضمتهم مدرسة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وأخذوا عنه مباشرة، وقربهم الملك عبد العزيز واستعان بهم :

---

(١) انظر: الهدية السنية، والتحفة الوهابية النجدية، لجميع اخواننا الموحدين من أهل الملة الحنيفية، والطريقة المحمدية، جمع وترتيب الشيخ سليمان بن سحمان النجدى، طبعت بأمر جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد عبد العزيز آل سعود، بمطبعة المنار، الطبعة الثانية سنة ١٣٤٤هـ.

(٢) وانظر أيضا: الدرر السنية جـ ١١ ص ـ ص ١٥٦ـ١٦٠، ص ـ ص ١٧١ـ١٧٤.

١ ــ الشيخ عبد الملك بن عبد الله .
٢ ــ الشيخ عبد اللطيف بن عبد الله .
٣ ــ الشيخ محمد بن عبد الله .
٤ ــ الشيخ صالح بن عبد الله .
٥ ــ الشيخ اسحق بن عبد الرحمن بن حسن .
٦ ــ الشيخ محمد بن عبد اللطيف .
٧ ــ الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف .
٨ ــ الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف .
٩ ــ الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف .
١٠ ــ الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن .
١١ ــ الشيخ محمد بن إبراهيم .
١٢ ــ الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم .
١٣ ــ الشيخ عبد الرحمن بن اسحق .
١٤ ــ الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف .
١٥ ــ الشيخ عبد الملك بن ابراهيم بن عبد الملك .
١٦ ــ الشيخ عبد الله بن حسن بن ابراهيم بن عبد الملك .
١٧ ــ الشيخ على بن عبد العزيز .
١٨ ــ الشيخ عمر بن حسن .
١٩ ــ الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد .
٢٠ ــ الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد .
٢١ ــ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقرى .
٢٢ ــ الشيخ عبد الله بن فيصل .
٢٣ ــ الشيخ عبد العزيز بن بشر .
٢٤ ــ الشيخ عبد الرحمن بن سالم .
٢٥ ــ الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن داود .
٢٦ ــ الشيخ عبد العزيز بن حمد بن عتيق .
٢٧ ــ الشيخ عبد الله بن سليمان السيارى .
٢٨ ــ الشيخ عبد الله بن حمد الدوسرى .

٢٩ ـ الشيخ سالم الحناكي.
٣٠ ـ الشيخ محمد الحناكي.
٣١ ـ الشيخ عمر بن سليم.
٣٢ ـ الشيخ عبد الرحمن بن عودان.
٣٣ ـ الشيخ محمد بن عثمان الشاوى.
٣٤ ـ الشيخ ناصر بن سعود بن عيسى.
٣٥ ـ الشيخ مبارك بن عبد المحسن.
٣٦ ـ الشيخ عبد الله بن زاحم.
٣٧ ـ الشيخ عبد الله بن بليهد.
٣٨ ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله النمر.
٣٩ ـ الشيخ سعد بن سعود.
٤٠ ـ الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك.
٤١ ـ الشيخ ابراهيم بن سليمان بن راشد.
٤٢ ـ الشيخ عبد الله بن عتيق.
٤٣ ـ الشيخ عبد اللطيف بن عتيق.
٤٤ ـ الشيخ ابراهيم بن حسين.
٤٥ ـ الشيخ عبد الرحمن بن حسين.
٤٦ ـ الشيخ عبد الله بن رشيدان.
٤٧ ـ الشيخ سليمان بن حمدان.
٤٨ ـ الشيخ محمد بن علي البيز.
٤٩ ـ الشيخ فالح بن عثمان بن صغير.
٥٠ ـ الشيخ عبد العزيز الشثرى.
٥١ ـ الشيخ عبد العزيز بن مرشد.
٥٢ ـ الشيخ حمد بن محمد بن موسى.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وأخذ عن الشيخ عبد الله خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى[1].

---

(١) الدرر السنية جـ ١٢ ص ص ٩٨، ٩٩.

وقد أخذ عن هؤلاء أضعاف مضاعفة ممن صاروا علماء وقضاة ودعاة إلى عقيدة السلف الصالح(1).

وتوفى الشيخ عبد الله سنة ١٣٣٩هـ رحمه الله تعالى ـ ورثاه العلماء والشعراء وممن رثاه: الشيخ محمد بن ابراهيم بقصيدة مطلعها :

على الشيخ عبد الله بدر المحافل نريق كصوب الغاديات الهواطل

ورثاه غيره(2)، ومن الشعراء: الشاعر محمد بن عثيمين والذى من مرثيته قوله :

شيخ مضى طاهر الأخلاق متبعا طريقة المصطفى بالله معتصما
بحر من العلم قد فاضت جداوله لكنه سائغ فى ذوق من طعما
تنشق اصدافه فى البحث عن درر تهدى إلى الحق مفهوما وملتزما
فكم قواعد فقه قد أبان وكم اشاد رسما من العليا قد انثلما
نعى إلينا العلا والبر مصرعه والعلم والفضل والاحسان والكرما
هذى الخصال التى كانت تفضله على الرجال فاضحى فيهم علما
فليت شعرى من للمشكلات اذا ما حل منها عويص يبهم الفَهِما
وللعلوم التى تخفى غوامضها على الفحول من الأحبار والعلما

إلى أن قال :

لهفى عليه ولهف المسلمين معى لو ان لهفا شفى من لاهف سدما
ولهف مدرسة بالذكر يعمرها ومسجد كان فيه ينشر الحكما(3)

ولا ننسى فى خضم هذا الأثر علما بارزا من تلاميذه هو الشيخ سليمان بن سحمان، العالم العلامة حسان زمانه وشاعر عقيدة السلف الصالح فى وقته، المجاهد بنثره ونظمه والمنافح بجهده وبيانه عن عقيدة الشيخ السلفية، أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه عبد اللطيف وابنه عبد الله، وكان له دور فى التدريس ونشر العلم النافع، وهو من العلماء الذين استعان بهم الملك عبد العزيز فى الدعوة إلى

(1) انظر: تراجمهم فى كتاب علماء نجد خلال ستة قرون لابن بسام ثلاثة أجزاء، ومشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف.

(2) انظر: الدرر السنية جـ ١٢ ص ص ٩٦-١٠٤، وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد، لمحمد بن عثمان القاضى جـ ١/٣٦٢، ٣٦٣.

(3) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص ـ ص ٤٦١-٤٦٥.

التمسك بالعقيدة السليمة، وطلب العلم النافع والالتزام بالعمل الصالح وتخريج العلماء وتنشئتهم، وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء الذين نفع الله بهم، وله المؤلفات النافعة منها :

١ ـ الضياء الشارق، فى رد شبهات الماذق المارق.

٢ ـ الهدية السنية. جمعها ورتبها وفى آخرها المنظومة الدالية له.

٣ ـ تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين.

٤، ٥ ـ منهاج أهل الحق والاتباع، وارشاد الطالب. فى مجلد واحد.

٦ ـ الصواعق المرسلة.

٧ ـ وديوان شعر، ومؤلفات غيرها.

وهو القائل :

نعم نحن وهابية حنفية ... حنيفية نسقى لمن غاضنا المرا

ومن هاضنا أوغاضنا بمغيضة ... سنصعقه صعقا ونكسره كسرا

وكم من اخى جهل رمانا بجهله ... فعاد حسيرا خاسئا نائلا شرا

بمحكم آيات وسنة أحمد ... نصول على الأعداء فنأطرهم اطرا

إلى أن قال :

والفت كتبا نشرها ونظامها ... يؤيد أهل الحق ارجوبها الاجرا[1]

وله جهود فى جمع وتحقيق رسائل علماء الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح كمجموعة الرسائل والمسائل النجدية أربعة أجزاء فى مجلدات كبار، وقد طبعها الملك عبد العزيز ونشرها ضمن ما اتفق عليه وعلى طبعه من كتب علماء العقيدة السلفية فى جميع فنون العلم.

وقال فى الانتصار لها الشاعر محمد بن عثيمين سنة ١٣٤٦هـ :

شموس من التحقيق فى طالع السعد ... تجلت فاجلت ظلمة الهزل والجد

قواطع من آى الكتاب كأنها ... باعناق أهل الزيغ مرهفة الحد

إلى أن قال :

كفاناهم من لم يزل متجردا ... لنصر الهدى والدين أكرم به مهدى

سليمان من سارت فضائل مجده ... مسير مهب الريح فى الغور والنجد

---

(١) ديوان ابن سحمان، ص ٥٢ وص ٥٩ طبعة هندية قديمة، وانظر: الدرر السنية جـ ١٢ ص ٩٢.

إلى أن قال :

تمسك بها فى محكم النص ظاهرا ... وبالسنة الغرا عن الصادق المهدى
وطالع تصانيف الإمام أحمد ... وأبنائه أهل الدراية والنقد
فإن بها ما يطفىء الغلة التى ... بها من اوار الجهل وَقْدٌ على وقد
هم قدوة فى ذا الزمان وحجة ... وميزان عدل لا يميل عن القصد[1]

وكانت وفاة الشيخ سليمان سنة ١٣٤٩هـ فى الرياض رحمه الله تعالى[2].

وقد رثاه حمد الجاسر، ورثى معه سعد بن عتيق - ومن ذلك قوله ·

مضى عنها سليمان محثا ... يؤم امامه قد سار سعد
فاضحى العلم بعدهما يتيما ... يحاربه كثير وهو فرد[3]

ومن هؤلاء العلماء الجهابذة الذين حملوا عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، وقربهم الملك عبد العزيز وصدر عن علمهم، العالم الحافظ الشيخ سعد بن الشيخ حمد بن عتيق - أخذ العلم عن والده، ثم سافر لطلب العلم نحو تسع سنين فأخذ عن الشيخ نذير حسين الدهلوى، والشيخ شريف حسين، والشيخ محمد بشير السهسوانى، والشيخ سلامة الله الهندى والشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى النجدى، وكلهم أجازوه، وأخذ عن جماعة من علماء مكة منهم: الشيخ حسب الله الهندى، والشيخ عبد الله الزواوى، والشيخ أحمد أبو الخير، وجم غفير، ولما رجع من رحلته لطلب العلم من الهند ثم من مكة إلى بلده الأفلاج قال الشيخ سليمان بن سحمان فيه :

على بلد الأفلاج أشرق سعده ... فآبت لها الالطاف من كل جانب
هنيئا لكم أهل العمار[4] بمن له ... مآثر تزهو كالنجوم الشواقب
هنيئا لكم هذا القدوم بعالم ... سلالة حبر فاضل ذى مناقب[4]

---

(١) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص - ص ٤٣٧-٤٤٢.

(٢) الدرر السنية جـ ١٢ ص ٩٢.

(٣) المصدر السابق ص ٩٣.

(٤) ديوان ابن سحمان ص - ص ٢٤٧-٢٤٨، وانظر: الدرر السنية جـ ١٢/ ص - ص ٩٣-٩٦. والعمار من قرى الأفلاج جنوب الرياض.

ولما فتح الملك عبد العزيز الرياض عام ١٣١٩ واستولى على الأفلاج، نقله منها إلى الرياض قاضيا في جميع قضايا البادية وجميع الدماء من القتل فما دونه من أنواع الجراحات، كما عينه الملك عبد العزيز إماما في جامع الرياض الكبير، وفي هذا المسجد الواسع عقد له حلقتين للتدريس إحداهما بعد طلوع الشمس حتى امتداد النهار، والثانية بعد صلاة الظهر، وكان حريصاً على ما يلقيه من الدروس، شديد التثبت لمعنى ما يقرأ عليه، فلا يلقى درسه، ولا يسمعه من الطالب، حتى يراجع عليه شروحه وحواشيه، وما قاله العلماء عليه، وضبطه لغة ونحوا وصرفا حتى يحرر الدرس تحريرا بالغا. وقد أوقع الله محبته في القلوب، وأمده بسعة العلم، وكان كثير الدعاء والابتهال، متواضعا عند العامة، رفيع القدر عند الخاصة، مجالسه معمورة بالعلماء، مشحونة بالفقهاء والمحدثين، مشتغلا بنفسه، وبالقاء الدروس المفيدة على أصحابها كما وصفنا، وأخذ العلم عنه الجم الغفير، منهم أبناؤه محمد وعبد العزيز وحمد، وأخذ عنه إخوته الشيخ عبد العزيز والشيخ عبد اللطيف والشيخ عبد الله، ومحمد بن أخيه عبد العزيز، والشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ محمد، والشيخ عبد اللطيف، والشيخ عبد الملك أبناء الشيخ ابراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ عبد الله والشيخ عمر أبناء الشيخ حسن بن حسين والشيخ سعد بن سعود بن رشود، والشيخ عبد الرحمن وابراهيم ابنا حسين، وعبد الرحمن بن الشيخ اسحاق، والشيخ عبد اللطيف بن محمد بن عبد الرحمن آل الشيخ، والشيخ محمد بن عثمان الشاوى، والشيخ سليمان بن حمدان، والشيخ عبد الله بن حمد الدوسرى، والشيخ ابراهيم بن سليمان، والشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك، والشيخ عبد العزيز بن مرشد، والشيخ عبد الله بن حسن بن ابراهيم بن عبد الملك، والشيخ عبد العزيز بن محمد الشثرى، والشيخ عبد الله بن رشيدان، والشيخ عبد الرحمن بن عودان، والشيخ محمد بن رشيد، والأستاذ حمد الجاسر، وغيرهم خلق كثير[1].

كما تصدى لنشر العلم بالكتابة والرسائل والنصائح، وحرر الفتاوى والأجوبة على الأسئلة فرقها الشيخ ابن قاسم في مجموعه، المسمى: الدرر السنية ونظم مختصر المقنع المسمى: زاد المستقنع حتى كاد أن يتمه، وأتمه الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز

(١) انظر: الدرر السنية جـ ١٢/ ص - ص ٩٣-٩٥، وعلماء نجد خلال ستة قرون جـ ١/ ٢٦٦-٢٦٩. وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد لمحمد بن عثمان القاضى جـ ١/ ١٠٦-١١١.

بن سحمان وطبع بعنوان: نيل المراد بنظم متن الزاد بمراجعة الشيخ اسماعيل بن سعد بن عتيق، وله رسالة سماها: «حجة التحريض فى تحريم الذبح للمريض» فى مكتبة جامعة الملك سعود برقم ٢١٥، ورسالة أخرى سماها: «عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية» وقد طبعت.

قال فيها بعد أن حمد الله وصلى وسلم على رسوله - اللهم صل وسلم على رسولك - «أما بعد: فقد سألنى بعض الأحباب أن أكتب ما اعتقده ويعتقده مشايخى من أهل بلدى فيمن يأتى إلى قبر النبى ﷺ ويقول يارسول الله أغثنى أو أشفع لي أو غير ذلك من أنواع السؤال، وكذلك ما نعتقده فى شد الرحل إلى قبر النبى ﷺ، وما نعتقده فى التوسل بالنبى ﷺ ثم أورد عقيدة السلف الصالح، أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية. إلى أن قال: «ونعوذ بالله من كل قول أو فعل يخالف ما شرعه الله ورسوله، ومن يعرف أحوالنا يعلم إنما ينسبه إلينا أكثر الناس لا أصل له، بل هو من البهتان، وسبب ذلك أن الرجل المشهور الذى أقام الله به هذه الملة الحنيفية ونفع بدعوته جمعا غفيرا من الأمة وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، لما دعا إلى تجريد التوحيد واخلاص العبادة لله والتخلى من الرسوم العادية والوسائل الشركية شرق بذلك أكثر الناس واستعظموه قائلين ما قال إخوانهم الأولون: ﴿ **أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشىء عُجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد، ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة، إن هذا الا اختلاق** ﴾ وجنوا عليه وعلى اتباعه بالسب والتكفير، واستحلوا دماءهم وأموالهم وسعوا لهم بالغوائل. كل ذلك عند قوله: ﴿ **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ﴾ كما قال رحمه الله تعالى فى تفسير الفاتحة ومن عرف البردة ومن فتن بها عرف غربة الإسلام، وعرف أن العداوة واستحلال دمائنا وأبنائنا ونسائنا ليس عند التكفير والقتال، فإنهم الذين بدأونا بالقتال، بل عند قوله: ﴿ **لا تدعوا مع الله أحدا** ﴾ وعند قوله: ﴿ **له دعوة الحق، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء** ﴾ وعند قوله: ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب** ﴾ انتهى، وجعل أهل العداوة والحسد خصوصا بعض علماء السوء، يرمونه بالعظائم ويلفقون من الأكاذيب ما الله به عليم. ومرادهم بذلك تنفير الناس عنه وعن ما دعا إليه، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون، والكلام فى هذه المادة على وجه الكمال لا تحتمله هذه الأوراق.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومما يجب أن يعلم ان أكثر الناس فى هذه الأزمان قد غرهم الشيطان ولبس عليهم حتى وقعوا فى الشرك وغيروا اسمه وأسموه توسلا فتجدهم يدعون الأنبياء والصالحين من الأموات والغائبين ويسألونهم ما لا يقدر عليه إلا الله ويسمون ذلك توسلا فيخدعون الجهال بهذه التسمية ويلبسون على خفافيش البصائر بقولهم هذا الذى نفعل توسلا وليس بشرك، والله يعلم وملائكته وعباده المؤمنون انه هو الشرك الذى قال الله فيه: ﴿ **ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾[1] وعلى العموم فكتاباته وفتاواه تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه وحسن تصوره، وهو فى عداد كبار علماء نجد المقربين من الملك عبد العزيز ويعتمد عليه فى مهام الأمور الدينية كما ذكرنا وهو معزز محترم عند علماء الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح يجلونه ويقدرونه ويعرفون له حقه ومكانته العلمية ونشاطه فى الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح وموالاة أهلها، ومازال على أحواله الكريمة وسجاياه الحميدة، حتى توفى فى الرياض فى اليوم الثالث عشر من جمادى الأولى عام **١٣٤٩**هـ ودفن فى مقبرة العود فى الرياض وبكاه الناس ورثاه الشعراء[2].

وممن رثاه الشاعر محمد بن عثيمين بالقصيدة التى مطلعها:

أهكذا البدر تخفى نوره الحفر ... ويفقد العلم لا عين ولا أثر

إلى أن قال:

وابك على العَلَمِ الفرد الذى حسنت ... بذكر أفعاله الاخبار والسير
من لم يبال بحق الله لائمة ... ولا يحابى امرءا فى خده صعر
بحر من العلم قد فاضت جداوله ... أضحى وقد ضمه فى بطنه المدر
فليت شعرى من للمشكلات اذا ... حارت بغامضها الافهام والفكر
من للمدارس بالتعليم يعمرها ... ينتابها زمر من بعدها زمر
هذى رسوم علوم الدين تندبه ... ثكلى عليه ولكن عزها القدر
طوتك ياسعد أيام طوت أمما ... كانوا فبانوا وفى الماضين معتبر
ان كان شخصك قد واراه ملحده ... فعلمك الجم فى الآفاق منتشر
والاسوة المصطفى نفسي الفداء له ... بموته يتأسى البدو والحضر

---

(١) عقيدة الطائفة النجدية فى توحيد الالوهية تأليف الشيخ سعد بن عتيق ص ٥-٢١.
(٢) انظر: علماء نجد خلال ستة قرون، للشيخ البسام ١/٢٦٨-٢٦٩.

بنى لكم حمد يالعتيق علا ... لم يبنها لكم مال ولا خطر
لكنه العلم يسمو من يسود به ... على الجهول ولو من جده مضر[1]

ورثاه الشيخ عبد الملك بن ابراهيم بن عبد اللطيف بمرثية مطلعها :

مصاب دهى بالمعضلات النوازل ... ورزء عظيم قد اهاج بلابل

إلى أن قال :

لدن جاءنا الناعى مساءا مخبرا ... بموت إمام العلم زاكى الشمائل
هو الشيخ سعد من غدا متفردا ... بكل فنون العلم بين القبائل
إمام لعمرى ناسك متورع ... تقى نقى ما له من مماثل
إمام لعمرى كان بالعلم عاملا ... يراقب ربا ليس عنه بغافل
إمام لعمرى كان للعلم باذلا ... يقرر للتوحيد بين المحافل

إلى أن قال :

له مجلس بالعلم يزهر دائما ... تشد إليه مضمرات الرواحل
يأمونه الطلاب من كل وجهة ... تراهم عكوفا بين قار وسائل
فيلقون حبرا للغوامض كاشفا ... يحل عويص مشكلات المسائل[2]

رحمه الله رحمة واسعة ورحم جميع العلماء وسائر المسلمين.

ومن هؤلاء العلماء المحققين المجاهدين ذوى العقول الكبيرة صاحب السماحة ذو العقل الراجح، الطود الثابت والعالم الراسخ الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ مفتى المملكة العربية السعودية، ورئيس قضاتها ومرجع علمائها ورئيس رابطة العالم الإسلامى، والجامعة الاسلامية فى زمانه ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ حفظ القرآن عن ظهر قلب ثم أخذ فى تلقى العلم عن والده الشيخ ابراهيم بن عبد اللطيف الذى كان قاضيا لمدينة الرياض فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى، وقد قرأ على والده فى مختصرات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومبادىء النحو والفرائض ثم أخذ العلم عن عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وقد مر ذكره قبل قليل[3]. قرأ على عمه هذا، كتاب التوحيد تأليف جده شيخ الإسلام محمد بن عبد

---

(١) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص ـ ص ٤٧٤-٤٨٢.
(٢) الدرر السنية، جـ ١٢/٩٦.
(٣) انظر : ص ٤٥٨.

الوهاب وغيره من كتب عقيدة السلف الصالح كالواسطية والحموية وقرأ على عمه أيضا فى أصول التفسير والحديث، وقرأ على الشيخ سعد بن الشيخ حمد بن عتيق فى الفقه ومصطلح الحديث ولازمه ملازمة تامة، وقرأ على الشيخ حمد بن فارس فى الألفية وغيرها من المؤلفات النحوية وفي الفقه، وقرأ على الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود فى الفرائض. ولم يزل مجدا في طلب العلم أن صار مرجع العلماء وأبرز الفقهاء ونادرة الأذكياء.

وكان عمه وشيخه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف كما ذكرنا من قبل ممن أعان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل بعلمه وعمله ومحض النصيحة والولاء والإخلاص، فلما مرض مرض موته أوصى الملك عبد العزيز به خيرا وأخبره بكفاءته العلمية والدينية وإنه بموجب ذلك يصلح أن يكون خليفة بعده وتوفى سنة ١٣٣٩هـ، فعينه الملك عبد العزيز خلفا لعمه فى الفتيا وإمامة المسجد والتدريس فباشر ذلك بكفاءة وإخلاص، وعزيمة ومضاء وفى سنة ١٣٤٥هـ أرسله جلالة الملك عبد العزيز إلى أهل الغطغط لما شددوا تشديدا ينافي الشرع فمكث عندهم ستة شهور يبين لهم معانى الكتاب والسنة وعبارات رسائل علماء دعوة التوحيد السلفية، ويحذرهم من الغلو ومجاوزة الحدود ثم رجع إلى الرياض واستمر فى نشر العلم وتعليمه.

ويقول مؤلف كتاب مشاهير علماء نجد :

«وكان رحمه الله لا يدع طالب العلم المبتدىء يقرأ عليه فى الفقه والمطولات حتى يقرأ فى مختصرات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وهى شروط الصلاة وأركانها وأربع القواعد وثلاثة الأصول وكشف الشبهات، وآداب المشى إلى الصلاة، وكتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، فإذا قرأ عليه هذه المختصرات عن ظهر قلب سمح له فى القراءة عليه فى مختصر المقنع وغيره من كتب الفقه، وفى القراءة فى بلوغ المرام وغيره من كتب أحاديث الأحكام وشروحها، والروض المربع شرح زاد المستنقع وهذه قاعدته وقاعدة من تقدمه من علماء دعوة التوحيد السلفية ـ رحمهم الله ـ»[1].

---

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٣٩.

ومـازال الشيـخ مستمرا فى إمامة مسجد عمه المعروف بمسجد الشيخ وتدريس الطلاب فيه من عام ١٣٣٩هـ إلى قبيل وفاته رحمه الله.

وقـد تخرج على يديـه أفـواج من العلماء كثـير ون شغلوا منـاصب القضـاء والتدريس والدعوة إلى الله والإرشاد والبحث العلمي.

واذكر اثنين هم أبرزهم :

١ ـ الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الذى كان نائبه فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، ثم اسندت إليه رئاسة الجامعة بعد وفاة شيخه ورئيسها ثم اسند إليه منصب رئيس إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.

٢ ـ الشيـخ عبـد الله بن محمـد بن حميـد ـ رحمـه الله ـ وكـان آخر ما اسند إليه منصب رئيس المجلس الأعلى للقضـاء. وقـد قضى الشيـخ محمد بن إبراهيم خمسين عامـا من بعـد وفـاة عمه فى الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح والجهاد فى سبيل الله، والذب عن الإسلام بجد وحزم وصبر.

هذا ومـع أعمـالـه الكثيرة التى قام بها وهى تشق على الجماعة من الرجال، قد خلف وراءه من الفتاوى ما يبلغ المجلدات الكثيرة وقد جمع بعضها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وأكثرها فى ملفات دار الافتاء ويجرى طبعها حاليا، وطبع منها حتى الآن عدة مجلدات. وله نصائح توجيهية عامة وخاصة، ورسائل قيمة كبيرة الفائدة قد طبع كثير منها[1].

وتـوفى رحمـه الله عام ١٣٨٩هـ ـ ورثى بمـراثى كثيرة ما بين شعـر ونثـر ومنهـا قصيدة للشيخ عبد الله بن ادريس تبلغ أبياتها عشرين بيتا ـ ومطلعها :

ما عاش إلا للعلوم وشرعـة الإنصـاف وقضى الحيـاة مـكرم الاوصـاف

ومنها قصيدة للدكتور كامل الفقي تبلغ اثنين وثلاثين بيتا ـ ومطلعها :

دهـى الجـزيـرة خطـب ليس يحتمـل فلتـنـفطـر مهـج ولـتـنهمـر مقـل[2]

وقـد أصـدرت صحيفـة الدعوة التى تصدر بالرياض عددا خاصا عنه، وذلك عددها ٢٣١ الصادر يوم الاثنين ١٣ شوال عام ١٣٨٩هـ يشتمل على سبع وعشرين مقالة نثرا وشعرا[3]

(١) عالم جهبذ وملك فذ، ص ـ ص ١٢-١٣.
(٢) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٤٢، وعلماء نجد خلال ستة قرون جـ ١ ص ٩٦.
(٣) عالم جهبذ وملك فذ ص ـ ص ١٨-٢٢.

وقد عنى بترجمته وتدوينها أتم ما يعنى بتراجم علماء الأمة الإسلامية، الذين هم لأمتهم رواسى، ترسيهم أن يجهلوا أو يميدوا، كما هى الجبان، أوتاد ورواسى للأرض أن تميد أو تضطرب. أولئك حملة عقيدة السلف الصالح والمتأثرون بها والدعاة إليها، وناشروها ومعلمو أممهم إياها ـ والذين وصفهم الشاعر المفلق محمد بن عثيمين بقوله :(١)

الثابتين على الايمان جهدهم   والصادقين فما خانوا ولا ختروا
الصادعين بأمر الله لو سخطوا   أهل البسيطة ما بالوا ولو كثروا
والسالكين على نهج الرسول على   ما قررت محكم الآيات والسور
والعادلين عن الدنيا وزهرتها   والامرين بخير بعدما أئتمروا
لم يجعلوا سلما للمال علمهم   بل نزهوه فلم يعلق به وضر(٢)

إلى أن قال :

هذى المكارم لا تزويق أبنية   ولا الشفوف التى تكسى بها الجدر(٣)

ولقد صدق الشاعر العثيمين فى وصفهم فإنهم قد سلكوا منهج الرسول ﷺ وصدعوا بأمر الله غير مبالين، ولا طامعين فى الدنيا بديلا عن الآخرة.

وذلك الذى ذكرته عن العلماء ونشرهم العقيدة السلفية هو من آثار قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة إلى عقيدة السلف الصالح. وقد كانوا فى عهد الملك عبد العزيز وعهد أبنائه من بعده وما ذكرناه من ذلك أمثلة يسيرة، ثم لا يعزب عن البال ان الحاضرة من الناس تبع لهؤلاء العلماء ويصدرون عنهم فى عقيدتهم وعبادة ربهم لاسيما تحت حزم الحكومة على ذلك.

أما ما يختص بالبادية الذين شملهم الله تعالى بنعمة الأمن والاستقرار تحت ولاية الملك عبد العزيز وقيادته وحزمه الموفق، فقد شمل إكرامه جميع عشائر البدو

---

(١) انظر: علماء نجد خلال ستة قرون للبسام جـ ١/ ص ـ ص ٨٨-٩٧، ومشاهير علماء نجد وغيرهم ص ـ ص ١٣٤-١٤٦، وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد جـ ٢ ص ـ ص ٣٠٢-٣٠٨، وعالم جهبذ وملك فذ ترجمتان موجزتان للشيخ محمد بن إبراهيم والملك فيصل رحمهما الله ص ـ ص ٧-١٧.

(٢) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص ٤٧٧.

(٣) المصدر السابق ص ٤٧٨.

الرحل، وسعى فى تحضيرهم ولم شملهم وتشجيعهم على الاستقرار يعاونهم على بناء المدن والقرى وهى ما يسمى بالهجر وسكناها لأن حياة البداوة والغزو والسلب والتفرق وسفك الدماء لا تقوم معها حياة دينية ولا دنيوية صحيحة مستقرة فأخذ يسكنهم هذه الهجر ويشجعهم على التعلم وتلقى علوم دينهم وأصول عقيدة السلف الصالح ومختصرات الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى ذلك على أيدى المشايخ وأئمة المساجد وطلبة العلم وصار يبعث إليهم من يعلمهم ويرشدهم ويبث فيهم عقيدة السلف الصالح بكل عناية وحزم. وذلك ابتداء من سنة ١٣٣٠هـ تقريبا، حيث كانت هجرة الأرطاوية أول هجرة بنيت سنة ١٣٣٠هـ (١).

ويقول حافظ وهبه : إن من أعظم المشروعات الإصلاحية التى قام بها الملك عبد العزيز: مشروع تحضير البادية واقطاعهم الأراضى للسكنى والزراعة، وتعليم المبادىء الدينية ومكارم الأخلاق، ولا شك انه حصل نجاح عظيم لإصلاحات الملك عبد العزيز واقبال على دين الله خاصة من البدو الرحل فقد اقبلوا على الهجر يبنونها بمساعدة الملك عبد العزيز، ويبنى لهم المساجد ويبعث إليهم المشايخ والأئمة وطلبة العلم يعلمونهم دين الله ورسوله ﷺ ، حتى تم تهجيرهم واقبل الناس على بناء حضارة إسلامية، وأغدق الله عليهم من نعمه الكثيرة فى التدين والدنيا، والعلم والقراءة، والأمن والاستقرار، وما لا يحصى من النعم.

ويذكر حافظ وهبه : انه فى سنة ١٣٤٧هـ فى ثامن شهر جمادى الأولى أمر الملك بعقد المؤتمر النجدى أو الجمعية العمومية(٢)، وكان مؤتمرا عاما، وفى هذا المؤتمر، قال الملك علنا وبصراحة تامة: «إنى لم اطلب منكم ان تجتمعوا اليوم فى هذا المكان خشية منكم، فإنى قد أسست هذه المملكة بقدرة الله وحده الذى عاضدنى وساعدنى والذى كتب لي الفوز وكتب لي التوفيق، وان خوفي من الله وحده هو الذى حدا بي لأن أجمع شملكم اليوم لنتباحث معا وقد فعلت ذلك حتى لا أقع فى نقيصة الاعجاب بالنفس والكبرياء».

وقال الملك : «أيها الاخوان تعلمون عظم المنة التى من الله بها علينا بدين

---

(١) حافظ وهبه ، جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢٨٩ .
(٢) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢٩٨ .

الإسلام إذ جمعنا به بعد الفرقة ، وأعزنا به بعد الذلة ، واذكروا قوله تعالى : ﴿ **فسيرى الله عملكم** ﴾ الآية ، ان شفقتي عليكم وعلى ما من الله به علينا وخوفي من تحذيره سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ كل هذا دعاني لأن أجمعكم فى هذا المكان لتذكروا ـ أولا : ما أنعم الله به علينا فنرى ما يجب عمله لشكران هذه النعمة .

وثانيا : لأمر بدا فى نفسى وهو إننى خشيت أن يكون فى صدر أحد شيء يشكوه منى أو من أحد نوابى وأمرائى باساءة كانت عليه أو بمنعه حقا من حقوقه ، فاردت أن أعرف ذلك منكم لا خرج أمام الله بمعذرة من ذلك وأكون قد أديت ما علي من واجب .

وثالثا : لأسألكم عما فى خواطركم وما لديكم من الآراء وما ترونه يصلحكم فى أمر دينكم ودنياكم » .

وقال الملك : « ان القوة لله جميعا ، وكلكم يذكر إننى خرجت عليكم وكنتم فرقا وأحزابا يقتل بعضكم بعضا وينهب بعضكم بعضا وجميع من ولاه الله أمركم من عربى أو أجنبى كانوا يدسون لكم الدسائس لتفريق كلمتكم ، واضعاف قوتكم لذهاب أمركم ويوم خرجت كنت محل الضعف وليس لي من عضد وساعد إلا الله وحده ولا أملك من القوة إلا أربعين رجلا تعلمونهم ولا أريد أن أقص عليكم ما من الله به علي من فتوح ولا بما فعلت من أعمال معكم كانت لخيركم ، ان تاريخ ذلك منقوش فى صدر كل واحد منكم وأنتم تعلمونه جميعا وكما قيل (السيرة تبين السريرة) إننى لم أجمعكم اليوم فى هذا المكان خوفا أو رهبا من أحد منكم ، فقد كنت وحدى من قبل وليس لي مساعد إلا الله فما باليت الجموع والله هو الذى نصرنى ، وإنما جمعتكم كما قلت لكم خوفا من ربي ومخافة من نفسي أن يصيبها زهو أو استكبار ، جمعتكم هنا فى هذا المكان لأمر واحد ولا أجيز لأحد أن يتكلم فى غيره ، ذلك هو النظر فى أمر شخصي وحدي فيجب أن تجتنبوا فى هذا المجلس الشذوذ عن هذا الموضوع ، أما الأشياء الخارجة عن هذا فسأعين لكم اجتماعات خاصة وعامة ننظر فيها .

أريد منكم أن تنظروا أولا فيمن يتولى أمركم غيرى ، وهؤلاء أفراد الأسرة أمامكم فاختاروا واحدا منهم ومن اتفقتم عليه فأنا أقره وأساعده وكونوا على يقين بانني لم أقل هذا استخبارا ، لأنني ولله الحمد لا أرى لأحد منكم منة علي فى مقامى هذا

بل المنة لله وحده، ولست في شيء من مواقف الضعف حتى أترك الأمر لمنازع بقوة، ولا يحملني على القول إلا أمران :

الأول : محبة راحتي في ديني ودنياي .

والثاني : إني أعوذ بالله من أن أتولى قوما وهم لي كارهون . فإن اجتمعوني إلى هذا فذلك مطلبي ولكم أمان الله، فإن من يتكلم في هذا فهو آمن ولا أعاتبه لا آجلا ولا عاجلا، فإن قبلتم طلبي هذا فالحمد لله، وان لا تزالوا مصرين على ما كلمتموني به على إثر دعوتي لكم فإني أبرأ إلى الله أن أخالف أمر الشرع وفي اتباع ما تجمعون عليه مما يؤيد شرع الله .

ثم قال : «ابحثوا في شخصي وأعمالي، من كان له علي أنا عبد العزيز شكوى أو حق أو انتقاد في أمر دين أو دنيا فليبينه، ولكل من أراد الكلام عهد الله وميثاقه وأمانه إنه حر في كل نقد يبينه ولا مسؤولية عليه، وإني لا أبيح لإنسان من العلماء ولا من غيرهم أن يكتم شيئا من النقد في صدره، وكل من كان عنده شيء فليبينه ولكم علي أن كل نقد تذكرونه أسمعه فما كان واقعا أقررت وبينت سببه واحلت حكمه للشرع يحكم فيه، وما كان غير بين وهو عندكم من قبيل الظنون فلكم علي عهد الله وميثاقه إنني أبينه ولا أكتم عليكم منه شيئا، وأحكم في كل ما تقدم شرع الله فما أثبته أثبته وما نفاه نفيته .

أنتم أيها الاخوان : ابدوا ما بدا لكم وتكلموا بما سمعتموه وبما يقوله الناس من نقد ولي أمركم أو من نقد موظفيه المسؤول عنهم . وأنتم أيها العلماء اذكروا أن الله سيوقفكم يوم العرض وستسألون عما سئلتم عنه اليوم، وعما أمنكم عليه المسلمون، فابدوا الحق في كل ما تسألون عنه، ولا تبالوا بكبير ولا صغير، وبينوا ما أوجب الله للرعية على الراعي، وما أوجب للراعي على الرعية في أمر الدين والدنيا، وما تجب فيه طاعة ولي الأمر، وما تجب فيه معصيته، وإياكم وكتمان ما في صدوركم في أمر من الأمور التي تسألون عنها ولكل من تكلم الحق عهد الله وميثاقه أنني لا اعاتبه . إني أكون مسرورا منه، وإني أنفذ قوله الذي يجمع عليه العلماء، والقول الذي يقع الخلاف بينكم فيه أيها العلماء، فإني أعمل فيه عمل السلف الصالح، إذ أقبل ما كان أقرب إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أو قول أحد العلماء الأعلام،

المعتمد عليهم، عند أهل السنة والجماعة، وإياكم أيها العلماء أن تكتموا شيئا من الحق تبتغون بذلك مرضاة وجهي، فمن كتم أمرا يعتقد انه يخالف الشرع فعليه من الله اللعنة، اظهروا الحق وبينوه وتكلموا بما عندكم»(١).

وقد بين الملك لهم انه فاوض البريطانيين حول المخافر التي بنيت على حدود السعودية من جهة العراق ولكنهم أصروا على ذلك وتمسكوا بمبانيهم بسبب ما افتاته الدويش عليه حيث غزاهم بحجة الجهاد من غير أذن الإمام فقتلوا عمال المخفر وبعض شرطته وأخذوا أموالهم واستباحوها غير مرة وبدون أذن الإمام فالدويش هو المسؤول عن فشل المفاوضات التي لولا ما فعله الدويش لنجحت، وعلى كل فالجهاد لابد فيه من أذن الإمام فهو يرى ما فيه المصلحة وهو نائب عن المسلمين ورأيه لهم خير من رأيهم لأنفسهم.

ولنعد إلى خطبة الملك نتأمل ما ورد فيها على ضوء عقيدتنا السلفية كما هو موضوعنا: فهذا الملك قد خرج من الكويت ممتشقا سيفه يقطع به رؤوس الفتن ويخضع به كل معاند مستكبر حتى ذلت له كل صعبة وانقاد له كل مستعص وأمسك بيده زمام الأمور حتى أصبح أعظم ملك في زمانه عندئذ قال كلمة العقيدة السلفية الخالصة قالها من مركز القوة، مركز من يقول ويفعل، لانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، وقالها من مركز التضحية والفداء، لان بذل حظوظ النفس بسخاء هكذا، دليل صدق القائل بقوله.

أما مكاسب عقيدة السلف الصالح التي نصرها واستردها من غاصبيها فذلك أمر لا يتنازل عنه بحال، كيف؟ وقد كان يوم خروجه من الكويت يسترد مكاسب عقيدتهم السلفية على ما وصف من القلة والذلة ومع ذلك لم يبال بالجموع ولا من بأقطارها من الدول ثقة بالله وحده وطمعا في نصره سبحانه لهذه العقيدة المهضوم أهلها، والمستباح بيضتهم من أنفسهم، ولكنه كان مستعدا لتنازله عن مكاسبه الشخصية وحظوظه النفسية وهي وان كان يستحقها لكنه يتنازل عنها في سبيل ظهور العقيدة السلفية وانتصارها وعدم المساس بشيء من مكاسبها التي استردها، فحين يحيل في خطابه المؤتمرين إلى أحد أفراد الأسرة ليختاروا منها غيره هو دليل صدقه في تنازله عن حظوظه الشخصية مع عدم تفريطه بأي شيء من مكاسب عقيدة السلف

---

(١) انظر: تذكرة أولي النهى والعرفان، للشيخ ابراهيم بن عبيد، جـ ٣ ص ـ ص ١٨٣-١٨٦.

الصالح والأسرة السعودية هى من مكاسب عقيدة السلف الصالح التى دعا إليها الشيخ ، فلم تنعم الجزيرة كما هو المعروف من التاريخ بأنصار لعقيدة السلف مثل هذه الأسرة المباركة كما ان هذه الأسرة لم يكن لها شأن يميزها بالأفضلية قبل أن تنصر عقيدة السلف الصالح ، وكأن الكلام الذى جرى بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب «الدم بالدم والهدم بالهدم» هو ترجمان هذا الالتحام المصيرى ومنذ تبايعا وتعاهدا وتعاقدا على نصرة دين الله ورسوله كان قد تم ظهور عقيدة السلف الصالح بائتلاف علماء العقيدة السلفية مع أنصارها لأن هذا الائتلاف من ماهية هذه العقيدة ومن ذاتيتها لا يتخلف إلا إذا تخلفت قلوب الناس عنها .

ولذا فإن حملة العقيدة السلفية لا ينسون لهذه الأسرة تاريخها ولا يرتابون فى صدق وفائها لعهودها وعقودها ، ولا يمكن أن تطمئن نفوسهم من خلال تجاربهم التاريخية لغيرهم ، وحملة عقيدة السلف الصالح هم أهل الحل والعقد ، لأن هذه العقيدة هى مركز ثقل المسلمين وثقتهم وقد جربوا غياب هذه الأسرة عن الحكم فرأوا فى غيبتهم ضعف العقيدة والتفرق وعدم الأمن ، وهذا ما يفهمه الملك عبد العزيز راسخا فى نفوس المؤتمرين ، بل انه يذهب إلى أبعد من ذلك فى سبيل تحقيق مكاسب عقيدة السلف الصالح ، انه لا يتأخر عن تقديم نفسه وأسرته ضحية فى سبيل ذلك .

قال رحمه الله من خطبة له :

«أنا مبشر ادعو لدين الإسلام ، ولنشره بين الأقوام» .

«أنا داعية لعقيدة السلف الصالح . وعقيدة السلف الصالح هى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين . أما ما كان غير موجود فيها ، فارجع بشأنه إلى أقوال الأئمة الأربعة ، فآخذ منها ما فيه صلاح المسلمين» .

«أنا مسلم ، وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين . وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشى . وإننى لا اتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية فى سبيل ذلك»[1] .

ويقول : «ليس لهذا الملك وعظمته عندي من قيمة وإنما الذى أحبه وأريده هو رضاء الله تعالى» .

---

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، تأليف خير الدين الزركلي، ط ٢ ص ٢١٦ .

ويقول : «ارجو الله أن يوفقنا للخير وافهموا إننا لا نعز أحدا ولا نُذِل أحدا وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى ومن التجأ إليه نجا ومن اعتز بغيره هلك»(١) .

وقد بين العلماء ونصحوا كما أمرهم الملك الإمام وقد كانوا من أول الأمر ينصحون للراعي والرعية ، ومازالوا يسايرون الأحداث ويداوونها بعقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

وكم كان للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف من مواقف حاسمة وارشادات صحيحة تنبيء عنها مراسلاته للاخوان فى عهد الملك عبد العزيز يحذرهم الضلال والفرقة ويبين الهدى والجماعة ، وهذه المراسلات موجودة فى الدرر السنية فى الجزء ٧ من ص ٢٦٥ـ٢٧٨ ـ ومن ذلك قوله فى بعضها :

«قد بلغنى عن بعض من غره الغرور من الطعن فى العلماء ورميهم بالمداهنة وأشباه هذه الأقاويل التى صدت أكثر الخلق عن دين الله وزين لهم الشيطان بسبب ذلك الطعن فى الولاية بأمور حقيقتها البهتان والطعن بالباطل»(٢) .

وقد كتب هو وعدد من العلماء للملك عبد العزيز رسالة سنة ١٣٣٨هـ هذا أولها بعد البسملة : من عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن وحسن بن حسين وسعد بن حمد بن عتيق ومحمد بن عبد اللطيف ، إلى جناب عالى الجناب الإمام المفخم والرئيس المقدم عبد العزيز بن الإمام عبد الرحمن آل فيصل» .

ثم ذكروا السبب لتحريره وانه محض النصيحة وبينوا له نعمة الإسلام ، ومن ذلك انه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بالسمع والطاعة «كما لا يخفى على الملك ولا على أحد له معرفة بالإسلام ومن ذلك منة الله تعالى فى آخر هذا الزمان الذى اشتدت فيه غربة الإسلام بهداية غالب بادية أهل نجد خصوصا رؤ ساؤ هم وما جعله الله من حظ وافر للملك عبد العزيز فى اعانتهم ببناء مساجدهم ومدنهم ، وفشو الإسلام فى نجد جنوبا وشمالا ، وعناية الله بعباده ، وحكمته لا يعلمها إلا هو، ولكن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ومن معه رأوا أمرا يوجب الخلل على أهل الإسلام ويدخل التفرق فى دولتهم وهو الاستبداد من دون إمامهم بزعمهم انه بنية الجهاد ، ولم يعلموا أن حقيقة الجهاد ومصالحة العدو وبذل الذمة للعامة واقامة الحدود انها مختصة

---

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية ، للصف الثالث المتوسط ، ط ١ عام ١٣٩٤هـ ص ٢١٠ .

(٢) الدرر السنية جـ ٧ ص ٢٧٦.

بالإمام ومتعلقة به، ولا لأحد من الرعية دخل فى ذلك إلا بولايته، والذى يعقد له راية ويمضى فى أمر من دون أذن الإمام ونيابته فلا هو من أهل الجهاد فى سبيل الله، إلى آخر ما دونوه فى هذه الرسالة(١).

وفى رسائل أخرى ومناسبات متعددة كان جميع المشايخ من علماء الدعوة يبينون عقيدة السلف الصالح للناس ويحثونهم على الجماعة والسمع والطاعة، ويبينون حقوق الراعي والرعية وما يجب لكل وما يجب عليه ويحذرون من خطر القول على الله وعلى رسوله ﷺ بلا علم، والتحذير من أمور الشيطان التى يدخلها على أهل الدين من المسارعة فى التكفير والتهاجر والتقاطع واتهام علماء المسلمين بالمداهنة واساءة الظن بهم وعدم الأخذ عنهم مما هو سبب للحرمان من العلم النافع واساءة الظن بولي الأمر وعدم الطاعة له وعلى العموم فقد كانت للمشايخ فتاوى سديدة ومواقف حميدة، تجاه كل حادثة وفى كل مناسبة وما قصروا فى بيان عقيدة السلف الصالح واستقصاء ذلك يطول، وحصره يصعب، ومن أراد الاطلاع على شيء من ذلك فنحيله على مجموعة الدرر السنية جـ ٧ ص ٢٧٧-٣٤٥.

وهكذا كان أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية يخمد الفتن ويداوى الأمراض ويجمع الأمة تحت راية واحدة، ويلم شعثها على إمام واحد، وينبذ الفرقة والخلاف ولا يقر الشذوذ والاعتساف، ويميت الهوى والبدعة، ويدعو إلى الائتلاف واقامة السنة ولا غرو فعقيدة الشيخ هى مذهب أهل السنة والجماعة وعقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

ومازال أثر عقيدة الشيخ يحمله العلماء والزعماء وكلما مضى علماء وزعماء ورثهم علماء وزعماء آخرون حتى وصل إلينا عن طريق علمائنا وزعمائنا المعاصرين واذكر منهم بالثناء طبقة الشيخ محمد بن إبراهيم وتلاميذه الذين كانت لهم حلقات علم فى المساجد وغيرها.

وكذلك من تخرج من الكليات الشرعية فى جامعات المملكة وتلقى عقيدة السلف الصالح بالقبول والرضى والعمل.

وأخص بالذكر الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية والتى تحولت إلى

---

(١) الدرر السنية ج ٧ ص، ص ٢٧٧، ٢٧٨.

جامعة باسم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وتعددت فروعها فى أنحاء المملكة خصوصا معاهدها العلمية، فقد كان لها أثر طيب فى نشر عقيدة السلف الصالح. وأذكر بالثناء والولاء والعرفان الزعماء الذين عاصروا أولئك العلماء إلى يومنا هذا من آل سعود ومن وازرهم فى نشر الإسلام، منذ الملك عبد العزيز رحمه الله، كما ذكرنا جانبا من أثر عقيدة الشيخ السلفية على يديه ويدى من بعده إلى يومنا هذا. وانه بعد أن توفى الملك عبد العزيز تولى بعده الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله والذى تم على يديه فتح الجامعة الإسلامية، وكان فى المناسبات يشكر الله على ما حبا به الشعب السعودى من نعمة التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فى السمع والطاعة ولزوم طريق أهل السنة والجماعة ويذكر أن أول ما يهم الجميع هو الاعتصام بحبل الله المتين واتخاذ الوسائل التى تمكن روح التوحيد الخالص فى قلوب أفراد الشعب كافة حتى يخلص الجميع العبادة لله وحده، والسير فى ذلك بهدى الكتاب والسنة فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فى كل مجال وعلى الأخص فى المدارس، ومراقبة ذلك وحث الناس على كل ما يأمر به الشرع الإسلامى ومنعهم من كل ما ينهى عنه، لأن فى ذلك خيرى الدنيا والآخرة ولانه ليس شىء من الخير، إلا أمر به الإسلام، وليس شىء من الشر إلا ينهى عنه الإسلام[1].

ثم الملك فيصل بن عبد العزيز ذو الأفق الواسع والجهد الصادق فى السير مع المسلمين والدول الإسلامية فى ما يحقق للمسلمين جميعا تضامنهم عملا بقوله تعالى: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾ ومادام أن العالم الإسلامى يشكل كتلة واحدة تربط أجزاءه وشعوبه عقيدة واحدة، كما ورد ذلك فى القرآن الكريم ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ (الأنبياء: ٩٢). ويتعرض العالم الإسلامى كله لهجمات سياسية وفكرية من أعدائهم فكل ذلك يحتم على المسلمين أن يتضامنوا لاسيما فى مقابل تضامن أعدائهم عليهم من اليهود والصهيونية فى كل أنحاء العالم، وان جمع أكثر من ستمائة مليون مسلم على الشعور بالرابطة الإسلامية وتوحيدهم بذلك كفيل بالوقوف دون أعدائهم أن يستبيحوا بيضتهم وأن يتسلطوا عليهم، ويحتلوا ديارهم كفلسطين وغيرها. ولهذا تبنى الملك فيصل رحمه الله الدعوة إلى مؤتمر القمة الإسلامى بالرباط سنة ١٣٨٩هـ، ثم تلته مؤتمرات إسلامية أخرى.

---

(١) انظر: تاريخ الدولة السعودية، عهد سعود بن عبد العزيز، تأليف أمين سعيد، المجلد الثالث ص - ص ١٧-١٨.

ومن خطاب له ألقاه فى موسم الحج للدعوة إلى تضامن المسلمين :

«إخواني . . إننا اليوم فى هذا العصر الذى يتعرض فيه الإسلام إلى امتحان واختبار، نتجه بأفئدتنا إلى العلي القدير ضارعين أن يثبتنا جميعا وأن يهدينا سواء السبيل، وأن ينير لنا طريقنا القويم.

أيها الأخوة . . ان الإسلام هو دين المحبة دين الأخوة دين السلام، دين القوة، دين العلم، دين البناء، دين التقدم، دين الفضيلة . . لم يبق فضيلة ولا مكرمة إلا دعا إليها، ولم يبق رذيلة إلا حذر منها، فحينما نقوم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإلى اتباع ما جاء به فى كتابه وسنة نبيه، فإنما تؤدون واجبا مفروضا عليكم تجاه ربكم ودينكم وتجاه أنفسكم، وان واجب المسلمين أن يتكاتفوا وأن يثبتوا لما يصيبهم من مكاره وما يعترض سبيلهم من صعاب، وعليهم أن يسعوا إلى ما يؤلف قلوبهم ويقرب بينهم، ويبذر بذور المحبة والأخوة والتعاون فيما يصلح دينهم ودنياهم[1].

وقال رحمه الله فى خطبته التى ألقاها فى موسم الحج عام ١٣٨٨هـ ، وهو يتحدث عن تحرير المسجد الأقصى :

«أيها الأخوة المسلمون : نريدها غضبة ونهضة إسلامية، لا تدخلها قومية ولا عنصرية ولا حزبية، إنما دعوة إسلامية دعوة إلى الجهاد فى سبيل الله، فى سبيل ديننا وعقيدتنا دفاعا عن مقدساتنا وحرماتنا، وارجوا الله سبحانه وتعالى انه إذا كتب لي الموت أن يكتب لي الموت شهيدا فى سبيل الله» انتهى.

ونرجو أن يكون قد نال الشهادة التى تمناها[1].

ومن كلمة له ارتجلها فى الحفل الذى اقامته الجامعة الاسلامية بمناسبة زيارته لها قال :

«ليس غريبا أن أرى وأسمع وألمس فى هذه الجامعة ما يثلج الصدور ويبهج الخاطر من انطلاقة إسلامية كبرى وارجو لها النجاح وارجو أن تؤتى ثمارها فى أقطار

---

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية، للصف الثالث المتوسط ط ١ عام ١٣٩٤هـ ص ٢٩١.

(٢) عالم جهبذ وملك فذ، بقلم عبد المحسن العباد ص، ص ٢٦، ٢٧.

العالم الإسلامى لخدمة هذه الدعوة المباركة والنهوض بها والسعى إلى نشرها بين أبناء الملة الإسلامية والدعوة إليها بين أبناء الملل الأخرى وإننى لارجو لها نجاحا باهرا مادامت ترتكز على مثل هذه السواعد ومثل هذه الروح الوثابة المنطلقة بحول الله لنشر هذا الدين والدعوة إليه والجهاد فى سبيله .

أيها الأخــوة :

ان المسئولية الملقاة على عواتقكم وعواتق الجميع مسئولية فاسعوا إلى التفقه فى دينكم ومعرفة كل ما يمكن معرفته لتكونوا مسلحين بسلاح العلم وسلاح الفقه وبسلاح المعرفة حتى تكونوا مستعدين لما يجابهكم من صعاب ومن دعوات مضللة ومن مجهودات يرغب ويأمل أصحابها أن يأخذوا من هذا الدين وان يحطوا من قدره وأن يهاجموه بكل ما أوتوا من قوة ، وإننى لارجو الله مخلصا أن يهبكم الصبر والشجاعة والقوة لتكافحوا فى سبيل هذا الدين ولتبصروا الناس بما يحتويه هذا الدين وما تحتويه هذه الدعوة والشريعة من مزايا ومن مكارم ومن أسس هى أصلح ما يكون للبناء الذى يهدف إلى صالح البشر وإلى خير الأمة ولا يهدف إلى التزوير وإلى البدع والمضللات وإلى هدم الكيانات البشرية وإلى هدم الأخلاق وكل ما هو كريم فى بني الإنسان .

أيها الأخــوة :

إن أمامكم طريقا شاقا وطريقا طويلا وصعابا جمة ، وارجو أن تتسلحوا لها بالعلم والعرفان والنفس المطمئنة الصابرة الحكيمة فى الدعوة إلى الله ـ وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾ وجادل الكفرة وجادل المشركين وجادل المرتدين والملحدين والمعاندين حتى تلقمهم الحجة وتتغلب عليهم بالحكمة والعقل والصبر . فهذا هو السبيل إلى الدعوة وهذا هو السبيل إلى تنوير أذهان الناس وتبصيرهم فيما تحتويه هذه الدعوة وما يحتويه الشرع الإسلامى ، والدين الإسلامى من مزايا وخصائص لا يمكن أن تخطر على قلب بشر ولا يمكن أن ينكرها أو يجحدها إلا جاحد أو مكذب .

إلى أن قال :

«ان ما نقوم به فى سبيل نشر العلم والدعوة إلى الله ونشر الثقافة الإسلامية ما هو إلا قليل مما يجب علينا ، ولكننا نسير حسب الامكانيات وحسبما يتحمله أو يقتدر عليه مجهود البشر، ولكن ثقوا بحول الله ، إننا سائرون بكل ما أوتينا من قوة لنصر ديننا

ولخدمة الإسلام وللدفاع عنه ولتبصير الناس به ، فمن أراد الحق ومن أراد الخير فسبيله واضح ، ومن أراد غير ذلك استعنا عليه بالله سبحانه وتعالى ثم بقوة العقيدة والاصرار على التمسك بها ، فان أخشى ما يخشى على المسلمين هو إدخال الشك فى نفوسهم من عقيدتهم ومن دينهم ، وهذا ما يخشى على المسلمين منه ، وإننى ارجو الله مخلصا أن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه وأن يحفظنا بالإسلام وأن يوفقنا لسبيل الحق والصواب(١) .

ومن كلمات الملك فيصل رحمه الله :

«ان غيرنا من الحكام مقلدون وليسوا مبتكرين ونحن لسنا فى حاجة إلى استيراد تقاليدنا من الخارج ، وقد كان لنا تأريخ مجيد وقُدْنا العالم ، نحن لنا أجداد وأمجاد وتاريخ وتراث ، فلماذا نتنصل من هذا ونلتفت يمينا وشمالا نتلمس الطريق ونتلمس المبادىء ، تراثنا أشرف تراث وتاريخنا أشرف تاريخ وأمتنا خير أمة أخرجت للناس ونحن لا نقبل أبدا أن يقال عن ديننا وعن شريعتنا إنه دين التأخر والجمود نحن نريد لأمتنا أن تكون قائدة لا مقودة وأن تكون فى المقدمة لا فى المؤخرة وبإمكاننا أن نتقدم ونمسك الأمر إذا اتبعنا كتاب الله وسنة نبيه»(٢) .

ومن ضمن ما تدعو إليه مفاوضات الملك فيصل مع رؤ ساء الدول الإسلامية هو التمسك برسالة الإسلام الخالدة نصاً وروحاً .

وقام الملك فيصل برحلات إلى الأقطار الأفريقية والآسيوية وبعض الدول الأوربية لشرح وجهة نظر المملكة من منطلق إسلامى تجاه الخطر الصهيوني على العرب والمسلمين . وكان فيصل رحمه الله قد تربى فى بيت جده لأمه العلامة الحبر الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ والذى تقدم ذكر شيء عنه . وتعهده منذ نعومة أظفاره بتلقينه أصول الدين الحنيف ومبادىء العلوم ، وحفظ فى رحاب أبيه الملك عبد العزيز كثيرا من تجاربه . وقال : «ان والدى هو مدرستى الحقيقية»(٣) .

---

(١) المرجع السابق ص ـ ص ٣٢ـ٣٨ .

(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية للصف الثالث المتوسط، ط ١ عام ١٣٩٤هـ، ص ـ ص ٢٨٩ـ٢٩٠ .

(٣) انظر: تاريخ المملكة العربية السعودية للصف الثالث المتوسط وفق المنهج الجديد، ط ١ عام ١٣٩٤هـ ص ـ ص ٢٢١ـ٢٩١ .

ثم الملك خالد ـ وكان رحمه الله رجلا فاضلا متواضعا ذا سجايا حسنة وأخلاق فاضلة وزامل كبار تلاميذ الشيخ محمد بن إبراهيم فى الدراسة، كالشيخ عبد الله بن حميد ـ وقد حدثنى الشيخ ابن حميد رحمه الله، وكان مما أعلنه الملك خالد فى أول جلسة لمجلس الوزراء بعد توليه الملك شعوره بعظم المسؤولية ومشقتها التى تحملها هو وأعضاء حكومته وبيّن أن الواجب هو الاستعانة بالله وحده والحرص على بذل المجهود والاهتمام بكل ما من شأنه اسعاد هذه الأمة وحفظ دينها وإصلاح دنياها وبين أن البلاد السعودية ليست مثل بلاد العالم من الناحية الإسلامية لأن كل المسلمين يتطلعون إليها وان أهل هذه البلاد مغبوطون بشريعة الله وسنة رسوله كما هم مغبوطون بثروتهم المادية.

وقد عاضده ولي عهده الملك فهد بن عبد العزيز وإخوانه فى تحمل هذه المسؤولية وفى عهده عقد مؤتمر القمة الإسلامى فى مكة والطائف وعن ذلك المؤتمر صدر بلاغ مكة للعالم الإسلامى.

ثم الملك فهد بن عبد العزيز أيده الله وأعز به الإسلام، وهو الرئيس الأعلى للجامعة الإسلامية، وكان فى كل مناسبة يحث على التمسك بالعقيدة الإسلامية ويؤكد أن قوتنا مستمدة من العقيدة الإسلامية وتنفيذ العقيدة الإسلامية حرفيا ونفتخر بذلك.

ويقـــول:

«هذه الجامعة عندما أسست قصد بها شيء معين فى الواقع هو المساهمة فى بث روح العقيدة الإسلامية الصحيحة الخالية من الشوائب».

ويقول عن نشاط الجامعة فى الخارج:

«نؤكد أن الأساس هو كيف يمكن أن تعطى المملكة مجالا بواسطة الجامعة الإسلامية وان تبرز العقيدة الإسلامية فى اطارها الصحيح الخالى من الشوائب وأظن الاخوان يدركون تماما انه فاتت مئات السنين وأدخلت على العقيدة الإسلامية أمور كثيرة والعقيدة الإسلامية براء منها، وقد أدخل هذه الأمور من أراد أن يبرز العقيدة الإسلامية بأنها عقيدة غير صالحة وغير مفيدة وأن دورها انتهى، والواقع أن دور العقيدة الإسلامية يتجدد دائما . . . . . . كذلك أبانت الطريق وأنارته لما فيه خير

المجتمع سواء كان من ناحية العبادات أو من ناحية التشريع وبهذا يكون البشر سعيدا إذا ألتزم بمبادىء العقيدة الإسلامية . هذا الباب طُرِقَ من مستشرقين غير مسلمين وأبانوا بشكل أو بآخر التنظيمات والتشريعات التى أنزلها رب العزة والجلال على نبيه ، على أنها صالحة فى هذا العصر وفى هذا الوقت ، لأن العالم جرب مبادىء وعقائد مادية مختلفة ووجد انها غير كافية ولا تستطيع أن تسعد البشر ووجد فى العقيدة الإسلامية الرأفة والرحمة والمحبة والقوة التى تبنى على الحق ، فلذلك نأمل أن نوفق ونؤدى واجبنا فى هذا الإطار» .

إلى أن قال :

«الآن وهذا من فضل الله أصبحت البلاد الإسلامية وغير الإسلامية حرة تتمتع بالحرية التامة وقادة المسلمين فيها هم المسؤلون مسئولية مباشرة عن ان يجعلوا العقيدة الإسلامية هى الأساس فى تكوينهم سواء فى العبادات أو فى أمورهم الخاصة والعقيدة الإسلامية والحمد لله صريحة وواضحة المعالم ومن سلك الطريق الإسلامى على الأسس الصحيحة ، لابد أن يصل إلى فضيلتين : فضيلة ما ينعم به الله عليه فى هذه الدنيا والرصيد الأكبر فى الآخرة ، ربنا أبان لنا الطريق . . . إنما الدنيا كلها زائلة ولا يبقى إلا ما قدم الإنسان من عمل صالح .

ثم قال : «بقى شىء واحد وهو أن أوجه كلمة قصيرة لطلبة الجامعة الإسلامية هى أن يواصلوا هذا المجهود الخير ، سواء فى ذلك إخواننا الذين قدموا من جميع البلدان الإسلامية أو من السعوديين الموجودين فيها ، ان يستبصروا العقيدة الإسلامية التبصر الصحيح . . العقيدة الإسلامية والحمد لله أبانت الأمور بشكل غير قابل للنقاش إلا من أراد أن يوهم بأشياء أخرى . . الدين الإسلامى وسط . . لا رهبنة فى الإسلام . . لانه يمكن الكثير يعتقد فى ناحية التصوف أو النواحى الأخرى التى هى بعيدة عن منطق الإسلام . هذا هو الإسلام . بالعكس الإسلام فيه المرونة والمحبة والتقوى والعمل والجد والنشاط ، لم تأمر العقيدة الإسلامية بالكسل أو التكاسل أو التصوف على غير معنى . . . لأن هذا البلد والحمد لله بلد إسلامى وكل ما ارجوه أن يكونوا رسل البلاد الإسلامية الذين شرفوا المملكة العربية السعودية ورحبت بهم أن يعودوا إلى أوطانهم دعاة للإسلام فى الاطار الصحيح كلنا نعرف ما أدخل على العقيدة الإسلامية والسبب من المسلمين أنفسهم . . ليس من العقيدة الإسلامية . . العقيدة الإسلامية إلى أن تقوم الساعة وهى القمة فلذلك ارجو أن ندرك معنى

العقيـدة الإسـلاميـة، ولا نقع فيما وقع فيه الغير بواسطة من يريد أن يبعدنا عن مسار العقيدة الإسلامية الصحيح.

إلى أن قال :

«وسوف نسير فى الخط المستقيم إن شاء الله، ونجعله دائما الهدف الرئيسى .. نتمسك بعقيدتنا الإسلامية وربنا وعدنا بالحق: ﴿ ان تنصروا الله ينصركم ﴾ (محمد: ٧).»

وكل هذه الكلمات قد سمعناها من الملك فهد خلال لقائه مع منسوبى الجامعة الإسـلاميـة وغـيرهـم بالمدينة المنورة يوم الثلاثاء ١٦ محرم ١٤٠٣هـ [1]. وعلى العموم فولاة الأمـر قد فهمـوا ان من واجبهم والـلازم عليهم أن يكـونـوا حماة لمهـد الإسـلام ومكـاسب عقيـدة السلف الصـالح، والتى تحققت على أيديهم وأن يكونوا أمناء على خدمة الإسلام ونشره بالنفس والنفيس، وأن يكونوا قدوة فى التمسك بعقيدة السلف الصالح والعمل بأحكام الشريعة الإسلامية.

يقول حافظ وهبه فى أثر التمسك بعقيدة السلف الصالح :

«ان العقيـدة الـراسخـة عنـد النجديين ـ أمرائهم وعلمائهم ـ أن الله مكنهم فى جزيرة العرب، وأن سلطانهم فى تلك الجزيرة لإحياء معالم الشريعة، واظهار دين الله وجعل سلطان التوحيد فى الجزيرة هو السلطان الأول. وازالة كل أثر من آثار الشرك».

ولقد قال الإمام سعود فى خطبته بعد دخول مكة سنة ١٢١٨هـ :

«إنـا كنـا من أضعف العـرب، ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا إليه، وكل يهزأ بنا ويقاتلنا» ـ وكان الملك عبد العزيز رحمه الله فى كل مناسبة يشير إلى هذا ذاكرا فضـل الله عليـه وعلى أجـداده من قبل وأن ما وقع على آل سعود فى أيامهم الأولى لم يكن إلا عقـوبـة لهم من الله تعـالى لتهـاونهم فى أمر المحافظة على الدين والانصراف إلى أمور الدنيا.

ولـذا فإن المشـايخ من وقت لآخر ـ مازالوا يقدمون النصيحة لإمامهم ويوصونه

---

(١) انظـر: الكتيب الـذى أصـدرتـه وزارة الاعـلام ـ الاعـلام الداخلى، بعنوان الفهد فى رحاب الجامعة الاسـلاميـة ص، ص ١٠، ١٦-١٧، ٢٣-٣٤، ٣١، ٣٩، ٤٠. وانظـر الكتـاب الـذى أصـدرته إدارة العلاقات العـامـة بالجـامعـة الاسـلامية فى ٣٠ صفر ١٤٠٣هـ. عن لقاء الملك فهد بن عبد العزيز مع أبنائه طلاب الجامعة الاسلامية، وبلغت صفحاته (٢٣٩) ص.

بالمحافظة على الدين والأخذ على أيدى المتهاونين به، إذا رأوا شيئا من التراخى والتهاون من ذوى النفوذ والسلطان[1].

وكما قال حافظ وهبه لا يزال العلماء وذوو الحجى فى كل عهد يقدمون النصيحة ولا يتوانون فى لفت نظر ولي الأمر منهم إلى ما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين ويذكرونه بعاقبة التفريط وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم[2].

وقد ثبت الله بهؤلاء جميعا الأمة، ونفع بعلم العلماء منهم الناس وقمع بهم بوادر الفتن بسلطان العلم وسلطان السيف ـ كما قال الشاعر فى الملك عبد العزيز :

فجئت بالسيف والقرآن معتزما　　　تمضى بسيفك ما أمضاه قرآن

وابلغ من ذلك قول الله تعالى : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز** ﴾ (الحديد : ٢٥).

هذا ومن يتأمل عهد آل سعود وأثر عقيدة الشيخ السلفية فيه يجده متكامل البناء متصل الحلقات، وكم لهم من يد طولى فى نشر كتب السلف الصالح وطباعتها وبذل الأموال الطائلة على التعليم ونشر الإسلام فى الآفاق وهم بذلك أسبق أمم أهل الأرض فى هذا الزمان قاطبة وأسدهم منهجا، وأسلمهم طريقا، فمنذ عهد الملك عبد العزيز وكتب السلف تطبع وتنشر وتوزع مجانا، هذه مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، والدرر السنية ومجموعة فتاوى ابن تيمية وكتب ابن القيم وكتب الفقه والتفسير والحديث فى ذلك بين أيدينا شاهدة بآثارهم، وغيرها مما لا يحصيه إلا الله تعالى وقد تمت طباعة ذلك ونشره فى هذا العهد المبارك، مما كان له أعظم سبب فى نشر عقيدة السلف الصالح ولولا فضل الله تعالى بهذا العهد الميمون ما وصل إلينا من ذلك عين ولا أثر، ونخص رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد بالذكر لما لها من اختصاص بهذه الناحية وأعمال جليلة ظاهرة من نشر لكتب السلف، ودعوة وإرشاد وافتاء فى عقيدة السلف الصالح رحمهم الله.

ويحسن هنا استعراض كيفية انتشار مؤلفات وآثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب بصفة خاصة لما لها من أثر فى نشر عقيدة السلف الصالح واعادة الناس إليها غير انه

---

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين، تأليف حافظ وهبه ص ٣٢٨.

(٢) المصدر السابق.

تمشيا مع ما تقتضيه طبيعة الدراسة الجامعية وهى الافادة من جهود السابقين إذا كانت جهودا علمية صادقة وعدم اهدارها أو اغفالها، لأن الدراسات العلمية متكاملة، وتهدف إلى الوصول إلى الحقيقة العلمية، فسأكتفى فى هذه النقطة بالاحالة على مجهود سبقنى قد أتى عليها وفرغ من بحثها صاحبه ألا وهو :

دليل ببليوجرافى :

أصدره الدكتور أحمد الضبيب وهو عميد شؤون المكتبات بجامعة الرياض فى كتاب عنوانه : «آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب، سجل ببليوجرافى لما نشر من مؤلفاته»[1].

ومقصود مؤلفه أن يجد الباحث بغيته ميسرة، توخى فيه مؤلفه أن يكون كتابا جامعا للمتفرق من أعمال الشيخ ولجميع ما سطره مما وصل إلى علمه مطبوعا، يدل على مظانها وتواريخ طبعها، وأماكن نشرها، وعدد هذه الطبعات وصورها المختلفة.

وجعله فى ثلاثة أبواب خصص أولها وأضخمها لما كتبه الشيخ فى العقيدة ذلك أن معظم ما كتبه الشيخ يتعلق بالعقيدة، والثانى لما كتبه الشيخ فى الفقه، والثالث لما كتبه الشيخ فى التفسير والحديث والسيرة النبوية.

وقسم الباب الأول إلى فصول ثلاثة :

١ ــ الكتب والرسائل والنبذ، ويشتمل على ما كتبه مستقلا فى شكل كتاب، أو عالجه فى رسائل قصيرة أو مطولة، أو سطره فى هيئة نبذ قصيرة تتعلق بموضوعات معينة وقد طبع بعض ذلك مستقلا، وطبع بعضه ضمن مجموعات الدعوة السلفية.

٢ ــ المسائل والأجوبة، وأكثر هذه ردود على أسئلة موجهة للشيخ حول موضوعات معينة فى العقيدة، أجاب عنها أجابات تختلف طولا وقصرا.

٣ ــ المكاتبات، وتشمل رسائله الخاصة التى بعثها إلى أشخاص بأعيانهم أو منشوراته العامة التى يوجهها إلى أهالى القرى والمدن ومن يراها من المسلمين.

---

(١) طبع طبعة أولى في الرياض، بالمطابع الأهلية للأوفست في ١٩٩ ص عام ١٣٩٧هـ.

والباب الثانى لما كتبه الشيخ فى الفقه، وضمنه فصلين :

الأول : الكتب والرسائل والنبذ.

الثانى : الفتاوى والأجوبة الفقهية.

والبـاب الثـالـث : لما كتبه الشيخ فى تفسير القرآن الكريم والتعليق على بعض آياته، وما ألفه فى الحديث والسيرة النبوية، وأشتمل هذا الباب على فصلين :

الأول : ما كتبـه فى تفسـير القرآن الكريم والتعليق على بعض آياته واستمداد بعض المسائل من هذه الآيات.

والثانى : ما كتبه فى الحديث والسيرة النبوية، وتعليقات الشيخ على بعض الأحاديث.

إلا أن البـاحث فى عقيـدة الشيـخ السلفيـة لا يستغنى بهذا القسم الـذي سماه الدكتور قسم العقيدة عن ما كتبه الشيخ رحمه الله فى التفسير والحديث والسيرة وفروع الـدين مما له صلة وثيقـة بالعقيدة، فإن الشيخ رحمه الله بين الوحدة الموضوعية الجامعة لهذا الدين برسالته العظيمة الأصول الثلاثة، الرب، المعبود، والعبادة ودين الإسلام بمراتبه الثلاث وأدلته من الكتاب والسنة، والرسول بخصائصه وحقوقه ﷺ .

ولذا لابد من الإلمام بجميع ما أثر عن الشيخ بقدر الطاقة.

وقـد ألحق الـدكتـور الضبيب بكتابه فصلا مستقلاً يشتمل على بعض ما كتب من شروح على بعض مؤلفـات الشيـخ، وضم إلى ذلـك قائمة ببعض الكتب التى تناولت شخصية الشيخ بالترجمة.

وهذا السجل لا يستوفى جميع ما سطره الإمام المجدد ونشر من بعده وللمؤلف عذره فى هذا، لكن فاته مما توخى أشياء :

فانه مثلا أغفل ذكر مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، الأجزاء ١، ٢، ٣ وفى الأول منهـا آثـار للشيـخ ورسائل، بينما نجده ذكر الجزء الرابع من هذه المجموعة وذكر جميـع أجـزاء الـدرر السنيـة حتى جزئى : ٩، ١١ رغم خلوهما من ما سطره الشيخ ولم يذكر نبذة كتبها الشيخ وهى موجودة فى الجزء الثانى من الدرر السنية فى صفحة ١٢، كما لم يذكر وجود النبذة التى أولها : «الواجب عليك أن تعرف إرسال الرسل فى الدرر السنية جـ ١ ص ٩٥.

ولم يحقق نسبة بعض ما نسب للشيخ من مؤلفات وآثار كما وقع له في كتاب «نصيحة المسلمين بأحاديث سيد المرسلين» ونسبه للشيخ[1]. وهو ليس له كما حققناه في الكلام عن مؤلفاته في المدخل.

وانظر: المواد ٦٩-٧٤، ص ، ص ٣٢، ٣٣، ومادة ٨٨٩-٨٩١، ص ص ١٥٣-١٥٤ من كتابه المذكور.

وجعل لرسالة قواعد الدين الأربع عنوانين للمطولة عنوان وللمختصرة عنوان آخر وموضوعهما واحد، إلا أن الأولى مطولة، والثانية مختصرة ووقع خطأ في ترقيم الصفحات المحال عليها في المادة ٤٢٩ ص ٨٧ - وقد التزم أن يذكر طرفا من أول كل مادة[2]، في كتابه ولم يذكر أول المادة رقم ٣٤-٣٥ ص ٢٧.

وكرر مادة واحدة من غير فائدة فانظر: مادة ٢٩٧ هي مادة ٣١١، ومادة ٢٩٨ هي مادة ٣١٢.

وخلط في الاحالة على الصفحات مادة مع مادة، في المادة رقم ٢١٣ ص ٥٢ «كلمة لا إله إلا الله . . » دمج معها رسالة أخرى أولها «اعلم أرشدك الله . . » وكان قد ذكرها تحت المادة ٢١١ ص ٥١ بعنوان: كلمة التوحيد، ولم يذكر وجودها في الدرر السنية، جـ ٢ ص ، ص ٦٢-٦٥.

وحصل خطأ في كتابه تعليق على مادة «٤٢٢» وهو إنما يصلح لمادة ٤١٦.

وعلى الرغم من ذلك فهو أول دليل يسجل معظم أعمال الشيخ محمد بن عبد الوهاب من مؤلفات وآثار حسب قواعد علم البيليوجرافيا الحديثة وهو نافع في ذلك، ففيه مادة لا يستغني عنها باحث جاد في آثار الشيخ، وقد استفدت منه ونسأل الله أن يجزيه خيرا ولله الحمد والمنة.

سأكتفي بهذه الاحالة فيما يختص بهذه النقطة تفاديا للتكرار والاطالة بذلك. غير أني أذكر ما جد في هذا الموضوع وهو ما قامت به جامعة الإمام محمد بن سعود فقد طبعت جل مؤلفات الشيخ محققة ومقابلة على مخطوطات، وطبعت مؤلفات للشيخ لأول مرة كما سبقت الاشارة إلى ذلك عند ذكر مؤلفات الشيخ في المدخل، ثم قامت

---

(١) المقدمة ص ٩.

(٢) المقدمة ص ٩.

بتوزيع هذه المؤلفات على كثير من الباحثين في البلدان الإسلامية ، ووفرت لديهم ذلك ، وهذا له قيمته الواضحة في تأثير عقيدة الشيخ أثرا صحيحا مباشرا من آثار الشيخ الصحيحة الموثوقة وفي تعريف طلاب العلم على حقيقة عقيدته والبحث الموضوعي العلمي في ذلك ، وعلى أثر ذلك استكتبت الجامعة عددا كثيرا من العلماء والباحثين عن دعوة الشيخ وعقيدته ثم وصلتها بحوث في ذلك قامت بطبعها أيضا ولكن على الآلة الكاتبة وبلغت ما يقرب من ستة مجلدات ثم وزعتها على مجموعة كبيرة من طلبة العلم والكتاب والعلماء والمثقفين ومن ضمن ذلك مصورات جغرافية تبين أماكن انتشار أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي بلغت أربعا وعشرين لوحة يمكن من أراد ذلك مراجعتها . وهذا عمل يبين مدى أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وما من شك أن هذا الاعتناء والنشر لمؤلفات الشيخ وآثاره ، يوضح جانبا من أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، وما كان ليتم بهذا الشكل الجيد ولا يكون لعقيدة الشيخ هذا الأثر لولا ما أنعم الله به على أهل المملكة العربية السعودية رعاة ورعية وعلى الخصوص ورثة الشيخ في علمه وورثة أنصار الشيخ في قوتهم وسلطانهم .

هذا ومن أعظم ما قامت به حكومة المملكة العربية السعودية تجاه العالم الإسلامي لتعليم العلم النافع والدعوة إلى الخير هو إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في عام ١٣٨١هـ (١)، وهي مؤسسة علمية ، ذات فائدة ومنفعة كبيرة في الدين والدنيا، عامة وخاصة .

فهي منذ تأسيسها تؤتي ثمارها ويتخرج منها أفواج من أبنائها ، ينتشرون في أنحاء المعمورة محققين بذلك بحول الله وقوته ما تهدف إليه الحكومة من تأسيسها ، فنرجو الله سبحانه أن يفتح بها آذانا صما عن استماع الحق وقلوبا غلفا قد استحكم عليها غلافها حتى صارت بعيدة عن الحق ، وأعينا عميا عن النظر في الأدلة والبراهين التي نصبها الله لتدل على وجوده وانه المستحق للعبادة دون ما سواه .

وكذلك إنشاء رابطة العالم الإسلامي للقيام بمهمة الدعوة لدين الله الحق ،

---

(١) الشيخ عبد المحسن العباد، عالم جهبذ وملك فذ ص ٥ .

والعمـل فى سبيـل الله، والـدفـاع عن الإسـلام وحث المسلمـين على احترام الأخوة الإسلامية والدعوة إلى التضامن الإسلامى بالحكمة والموعظة الحسنة.

وان ما ينعم فيه أهل البلاد السعودية من نعمة لا مثيل لها فى العالم كله فى هذا الزمان من أمن فى الأوطان وصحة فى الأبدان، واتحاد تحت راية التوحيد تحت ولاية آل سعود ما هذا إلا من أثر تلك العقيدة السلفية.

وإننا ولله الحمد كما يشهد الواقع نمتاز فى هذه المملكة عن جميع من حولنا ومن فى أقطـار المعمـورة كلهـا بهذه الميـزة، وكلما كنا متمسكين بعقيدة السلف الصالح كلما كانت آثارها من الأمن والهداية أرسخ وأقوى ـ كما قال الله تعالى: ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ (الأنعام: ٨٢).

ومن يخالجه شك فليستقرىء الواقع فى العالم الإسلامى بل وفى غيره وسيجده شاهـدا بذلـك، وهـذا شأن عقيدة السلف الصالح لأنها قطب رحى المسلمين، ويوم يحققونها تكون لهم الإمامة والتمكين وعد الله لا يخلف الميعاد ـ قال تعالى: ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبـلهم وليمكنن لهم دينهم الـذى ارتضى لهم وليبـدلنهم من بعـد خوفهم أمنـا، يعبدوننى لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ (النور: ٥٥).

ونـزل الـوحى فى الجـزيـرة العـربية، ومن الجـزيـرة أضـاء، والمسلمون جميعا يستقبلون البيت الحرام ويأتمـون بأهل الحرم وحماته وولاته فهم فى وحدة مدارها على عقيـدة السلف الصـالح، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكذلك تنتصر عقيدة السلف الصالح ولله الحمد.

وعلى كل حال فالكـلام عن أثـر عقيـدة الشيخ فى داخل سلطانها مهما بلغ من استيعـاب ودقـة لا يفى بوصف الـواقع كما ان وصف الواقع يعجز عنه جهد الباحث ويخـرج بنـا عن حدود ما رسم لهذا البحث من حجم وجهـد ووقت، ولكن حسبنا أن نبـين صلة هذا الأثـر الحـاضـر بالماضى ليعلم مشاهد هذا البناء الضخم المتماسك فى وحـدة المملكـة العـربية السعودية أن سنده وأساسه وأصله هو عقيدة السلف الصالح التى اعتقـدهـا الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعا إليها ونصرها الإمام محمد بن سعود رحمـه الله تعـالى، فأظهـرها الله بذلك على ما سواها وتوارثها بعدهم بنوهم إلى يومنا

هذا ونسأل الله بانه الأحد الصمد الذى لا إله إلا هو أن يثبتهم على عقيدة السلف الصالح وأن يوفقهم لنشرها والقيام بحقوقها وهو المجيب القريب الجواد الكريم. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

ولعل فيما قدمته من نقول وبيان كفاية فى الدلالة على أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية فى داخل المملكة العربية السعودية. وحيث عرفنا أثر تلك العقيدة السلفية فى بناء ذلك السلطان القوى، والذى هو أصل أثرها فى خارج سلطانها ننتقل إلى تعرف أثرها فى الخارج وهو ما يشتمل عليه الفصل التالى.

الفصل الخامس
أثرها في خارج سلطانها

تمهيـــد :

من الثابت فى الحقيقة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لم يأت الناس بعقيدة جديدة، بل هو عالم عامل بيّن عقيدة السلف الصالح، وعمل على تطبيقها ووفق بأنصار أحرار ينصرون عقيدة السلف الصالح عن وعى وادراك كما قال الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل رحمه الله بعد أن ذكر الإمام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب قال: (فلما رأى أسلافنا [يعنى آل سعود] موافقة أقوالهم وأفعالهم [يعنى هؤلاء الأئمة] لما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبلوا ذلك وقاموا بما أظهره الله على أيديهم، ونحن إن شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم، نرجو الله أن يحيينا ويميتنا عليه)(١).

والدليل على ذلك أننا نسمع دائما لمز المتمسك بالسنة والمجانب للبدعة صوفية أو كلامية أو غيرها ليعمل بالسنة فهو وهابى وطريقته وهابية، و لو لم يكن قد أخذ عن الشيخ أو لقيه أو عاصره أو أخذ عمن أخذ عنه، أو درس حتى كتبه. وهؤلاء الذين يحاولون لمز من يعمل على نشر سنة رسول الله ﷺ بالوهابية على حد قولهم إنما يريدون محاربة انتشار السنة والطريقة التى كان عليها السلف الصالح بذلك فيلمزون كل من عمل بالسنة وجانب البدعة انه ينشر الوهابية، ويقصد توسيع نفوذ سلطانها ومد رقعتها فيحاربونه بهذه الفرية ويصمونه بأنه عميل يعيش على أموال السعوديين لينشر ما يسمونه بالوهابية وبأمثال هذه التشنيعات يحاربون سنة رسول الله ﷺ وطريقة السلف الصالح ومعلوم أن أصل مذهب السلف الصالح هو اتباع سنة رسول الله ﷺ

---

(١) نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز . . . أمين الريحاني ص ٤٣٦ .

وسنة خلفائه الراشدين وسبيل المؤمنين ولم ينفرد به الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحده، ولم ينحصر فى دعوته واعتقاده، بل حمله عدول عن عدول. فى كل زمان وفى أمكنة متباعدة ليس فى زمان عن زمان ولا مكان عن مكان.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله صار إماما كغيره من أئمة السنة وشرف ونبل بذلك وكذلك أتباعه وأنصاره شرفوا باتباعهم مذهب السلف الصالح، واتخاذ طريقهم فى الوسيلة والغاية. لذلك فإنى فى هذا البحث لا أزعم أن كل أثر من آثار عقيدة السلف الصالح هو من أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، إلا إذا وجد ما يدل على ذلك، لأن السلفية كما ذكرنا ليست محصورة إلا من طريق الشيخ، فأتباع السلف الصالح لا يزالون فى كل زمان ومكان يقومون لله بحجته على خلقه قياما يفيد العلم اليقينى إلى قيام الساعة ولله الحمد والمنه.

كما أننى لا أزعم أيضا أن الدعوات الاصلاحية أو الحركات السياسية فى العالم الإسلامى قد تأثرت بدعوة الشيخ وحركته وحركة أنصاره من أجلها ما لم أجد دليلا يفيد ذلك سيما وأن أكثر هذه الحركات والدعوات مشوبة بما يخالف عقيدة الشيخ السلفية إما فى الوسيلة أوفى الغاية وإن كان ينتسب هؤلاء الدعاة المصلحون والمتحركون السياسيون إلى الإسلام والسنة، فليس اجتماع حركة الشيخ وأنصاره مع غيرها من الحركات فى قدر مشترك فى الذهن يسوغ لنا أن نحكم بأن تلك الحركات متأثرة بحركة الشيخ، لأن الشيخ وأنصاره إنما قاموا بنصرة دين الله ليس لهم غرض سوى ذلك، لا يبتغون زعامة ولا دنيا، إلا أنهم يريدون رضوان الله وما وعدهم الله به، فإن جاءهم فضل من الله لا منة لأحد فيه، أو مكسب لا يمس عقيدتهم، وليس على حساب تنازل منهم عن شيء من عقيدة السلف الصالح فهم يقبلونه شاكرين، وليس من عقيدتهم تصدير الحركات السياسية والثورات والاغتيالات فى بلدان العالم، ولا من شأنهم التفريق وتشتيت الشمل والتحزبات والتشيع، على العكس من ذلك، انهم دعاة تأليف واجتماع واتحاد على الحق. دعاة إلى الله على طريق رسول الله ﷺ ويسرهم أن يجيب المدعوون داعى الله وأن يقبلوا هدى رسول الله ﷺ لينجي هؤلاء المدعوون أنفسهم من الهلاك ويهتدوا إلى الصراط المستقيم إلى سعادة من أنعم الله

عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يقول: (نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله فهو المسلم في أي زمان وأي مكان)، ولا يقول: (ان من تبع دين الله ورسوله ﷺ ما يكفيه حتى يجيء عندنا ويوالينا ولا يقول: (إن الذي ما يدخل تحت طاعتي فهو كافر) ولا يقول: (إنه مبطل مذاهب أهل السنة والجماعة، وإنه ليس لهم كتب إلا ما بيده، وليس لهم علماء إلا من شهد له بالعلم لا بقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذا ولا غيره مما وصفه به أعداء الحق وليس من عقيدته ذلك بل مراده اتباع دين الله ورسوله ﷺ واظهاره في أي أرض وطائفة كانت[1] ومن أي جهة.

وقد سئل أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى، من لم تشمله دائرة إمامتكم ويتسم بسمة دولتكم هل داره دار كفر وحرب على العموم؟. فأجابوا: الذي نعتقده وندين الله به ان من دان بالاسلام وأطاع ربه فيما أمر وانتهى عما نهى عنه وزجر فهو المسلم حرام المال والدم كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع الأمة ولم نكفر أحدا دان بدين الاسلام لكونه لم يدخل في دائرتنا ولم يتسم بسمة دولتنا بل لا نكفر إلا من كفر الله ورسوله، ومن زعم أنا نكفر الناس بالعموم أو نوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه ببلده فقد كذب وافترى[2]. وإذا كانت عقيدة الشيخ السلفية هكذا إنما هي تمسك بالكتاب والسنة ودعوة إلى الله وحده بهذا التمسك الراشد.

فكذلك هي ليست مصدر تزمت وترك للدنيا ورفض للمصالح فيها. وإنما هي عقيدة الصلاح والأصلح في الدنيا والآخرة، كيف لا وهي مبنية على أن صريح العقل يوافق صحيح النقل.

---

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٠ ص ٦٠ ورقم ٩ ص ٥٨ ورقم ص ١٢ ورقم ١١ ص ٦٤.

(٢) الدرر السنية، جـ ٧ ص ٣٥٥.

وعلى ضوء هذا التمهيد وضوء ما قدمت فى الفصل الأول من الباب الثانى عن أسباب تأثير عقيدة الشيخ السلفية سأبحث عن أثر عقيدة الشيخ السلفية فى خارج سلطانها فى هذا الفصل. فأقول انه ما من شك أن تطهير البيت للطائفين والركع السجود وتطهير الحرمين عموما من عبادة القبور، وأنواع البدع والفجور والضرب على أيدى العابثين وتأمين الطرق إليهما من القطاع والسراق مع تعظيم حرمتهما، وخدمة حجاج بيت الله، والعمل على تيسير أدائهم فريضة الحج التى هي الركن الخامس من أركان الإسلام بكل وسائل الأمن والراحة والمعيشة أيضا. هو أثر من آثار عقيدة السلف الصالح رحمهم الله فهذا شأنهم فى ولاية البيت، قال تعالى: ﴿ **ان أولياؤه الا المتقون** ﴾ (الأنفال: ٣٤). وبالتالى فله من الأثر العظيم فى انتشار عقيدة الشيخ السلفية فى العالم الاسلامي ما لا يستطيع أحد جحده وإنكاره، وكل ما يدرك بالبداهة أثر ولاية أنصار العقيدة السلفية الطيب المشكور غير أن تتبع ذلك الأثر ليس فى وسع الباحث، وحسبنا بهذا اشارة إليه.

ونشير إلى سبب آخر وهو الرسائل التى كان يرسلها أئمة وعلماء عقيدة السلف الصالح من ورثة الشيخ وورثة أنصاره إلى عموم المسلمين فى الخارج فلها أثر بالغ أيضا.

فمنذ ظهور الشيخ محمد رحمه الله، وتلك الرسائل تتوالى فقد أرسل الشيخ نفسه إلى السويدي عالم من أهل العراق يجيبه على كتاب ورد إلى الشيخ منه فبين الشيخ في جوابه أنه متبع وليس بمبتدع وأن عقيدته ودينه الذى يدين الله به هو مذهب أهل السنة والجماعة الذى عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة[١].

ورسالة إلى فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام، بناء على ما ذكر راشد بن عربان للشيخ من كلام حسن عن فاضل وأنه طالب منه المكاتبة بسبب ما يجيئه من الكلام فذكر له الشيخ صفة الأمر وأنه الدعوة إلى الإسلام[٢]. ورسالته إلى البكيلى

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٥ ص، ص ٣٦-٣٨.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٤ ص، ص ٣٢-٣٣.

صاحب اليمن[1]، وإلى إسماعيل الجراعي[2]، وإلى عبد الله بن عبد الله الصنعاني[3]، ورسالته إلى أهل المغرب[4]. وغير هذه الرسائل، من رسائل شخصية ورسائل عامة ومؤلفات شاملة تبعث في كل اتجاه حسب القدرة والطاقة كما فعل الإمام عبد العزيز بن محمد حين بعث كتاب التوحيد وغيره إلى والي بغداد[5]، كل ذلك لاشك أن له أثرا في انتشار عقيدة السلف الصالح وتأثيرها في تلك المواطن خارج سلطانها.

ومن بعد الشيخ محمد مازالت الرسائل ترسل فتلك الرسالة المهمة الجليلة رسالة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود التى أرسلها إلى من يراه من العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المشرق والمغرب يبين فيها حكمة خلق الله الخلق وأنها ليعبدوه فأمرهم بها وحذرهم مخالفته وأن الجزاء واقع لا محالة وأخذ يشرح ذلك ويدلل عليه من الكتاب والسنة وهي رسالة عظيمة التأثير.

والرسالة الأخرى التي أرسلها الإمام عبد العزيز بن محمد[6] إلى من يراه من بلدان العجم والروم وشرح فيها عقيدة السلف الصالح بعثها مع محمد خلف النواب الذى قدم الدرعية مع الحاج وجلس مدة يتعلم العقيدة فلما فقه أرسل معه تلك الرسالة وأحالهم عليه ليبين لهم. ورسالته أيضا إلى من يراه من أهل المخلاف السليماني مع الشريف أحمد الذى قدم عليهم ورأى وحقق صحة ما هم عليه والتمس أن يرسل الإمام معه إلى قومه رسالة فكتبها[7]. وسبق ذكر شيء من ذلك[8].

---

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٤ ص، ص ٩٤-٩٨.
(٢) المصدر السابق رقم ١٥ ص، ص ١٠٠-١٠١.
(٣) المصدر السابق رقم ١٦ ص، ص ١٠٣-١٠٧.
(٤) المصدر السابق رقم ١٧ ص، ص ١١٠-١١٥.
(٥) انظر: ص ٥١٦ من هذا البحث.
(٦) الدرر السنية جـ١ ط٢ ص، ص ١٤٣-١٤٦.
(٧) المصدر السابق جـ١ ط٢ ص، ص ١٤٦-١٤٨.
(٨) انظر: ص ط٢ من هذا البحث.

ورسالة الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب التى كتبها لما مكنهم الله مع الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد من ولاية الحرمين وقد شرح فيها دعوة الشيخ محمد وبين عقيدتهم وأنها عقيدة السلف الصالح وشرح مذهب أهل السنة والجماعة في الأصول والفروع ورد المفتريات عليهم بالقول والفعل وكل يشهد مصداق ذلك، وما من شك أنها تقدم للحجاج والعمار والوافدين من خارج الدولة فيكون لها تأثير بالغ عظيم وسبق ذكرها[٤].

ومن الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد إلى سليمان باشا جوابا على خطاب من سليمان مبني على خطاب سابق من الإمام سعود إلى يوسف باشا، يبين فيها الإمام أنهم متبعون ما أمر الله به رسوله وعباده المؤمنين، ويرد عليه افتراءاته وتلبيساته، ويبين له طريقة رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعيهم بإحسان[٥].

وللشيخ اسحق بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن رسالة جليلة في بيان معتقد الشيخ وكان قد سافر للهند بطلب العلم على أهل الحديث وعلماء السنة هناك وينشر الحق باستطاعته ولعله كتبها لمواجهة بعض الاشاعات والترويجات على الشيخ في الهند وغيره فنشرها بين طلبة العلم وجاء فيها بعد الثناء على الله سبحانه وبحمده والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، أما بعد فانه ابتلي من استحوذ عليه الشيطان بعداوة شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ومسبته وتحذير الناس عنه وعن مصنفاته لأجل ما قام بقلوبهم من الغلو في أهل القبور وما نشؤوا عليه من البدع التى ملأت الصدور، فأردت أن أذكر طرفا من أخباره وأحواله ليعلم الناظر فيه حقيقة أمره فلا يروج عليه الباطل، ولا يغتر بحائد عن الحق مائل مستنده ما ينقله أعداؤه الذين أشتهرت عداوتهم له في وقته وبالغوا في مسبته، إلى أن قال:

---

(١) انظر: ص٥٣٦ من هذا البحث.

(٢) الدرر السنية جـ ١ ص، ص ٣٠٥-٣١٨.

والذى يقضى به العجب قلة انصافهم وفرط جورهم واعتسافهم وذلك أنهم لا يجدون زلة من المنتسبين إليه، ولا عثرة إلا نسبوها إليه وجعلوا عارها راجعا عليه وهذا من تمام كرامته وعظم قدره وإمامته.

وقد عرف من جهالهم، وأشتهر من أعمالهم أنه ما دعا إلى الله أحد، وأمر بمعروف ونهى عن منكر في أي قطر من الأقطار إلا سموه (وهابيا) وكتبوا فيه الرسائل إلى البلدان بكل قول هائل يحتوى على الزور والبهتان ومن أراد الانصاف وخشى مولاه وخاف، نظر في مصنفات هذا الشيخ. أ ـ هـ.

ثم ذكر الشيخ بعض ما وقف عليه من كلامه وما عرف واشتهر واسفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقروءة عليه وما ثبت بخطه وعرف وأشتهر من أمره ودعوته وما عليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته أنه على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى ثم سرد عقيدة الشيخ رحمه الله حسب ما ذكر(١).

وهذا سنلاحظ أثره الواضح في تلك الديار التى سافر إليها في الهند وغيرها كما في صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للشيخ محمد بشير السهسواني الهندي، وغيره فيما يأتى من بحث أثر عقيدة الشيخ السلفية في الهند.

ثم في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن، كانت رسائل مثل رسالة محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن إلى من يراه من أهل القرى ورؤساء القبائل من أهل اليمن وعسير وتهامة وشهران وبنى شهر وقحطان وغامد وزهران وكافة أهل الحجاز.

يقول فيها:
إنه لما كان في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وألف من الهجره: (بعثنا الإمام المقدم،

---

(١) الدرر السنية، جـ ١ ص ٢٥٦-٢٦٨.

والرئيس المفضل المفخم، صاحب السعادة والسيادة عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، أعلا الله سعوده، وأدام للمسلمين وجوده، لأجل تعليمكم ما أوجبه الله عليكم وتعبدكم به من دين الإسلام، الذى معرفته والعمل به والبصيرة فيه سبب لدخول الجنة، والجهل به والاعراض عنه وعدم قبوله والانقياد له سبب لدخول النار. فلما قدمنا بعض جهاتكم رأينا أهلها قد جال بهم الشيطان والهوى، وتمادوا في الغي والطغيان والاعراض عن النور والهدى، وفرقوا أمرهم وكانوا شيعا، وغلب عليهم الجهل وايثار الشهوات، واستجابوا لداعي الشبهات، فوقعوا في وادى جهل خطير، فهم على شفا حفرة من السعير، وغلب على أكثرهم الاعتقاد فى أهل القبور والأحجار والغيران، وتعظيم أهل الصلاح من المقبورين، وهذا هو دين أهل الجاهلية الأولين. ثم أخذ يشرح عقيدة السلف الصالح ويدعو إليها بالحجج والبراهين[1].

ورسالة أخرى من الشيخ محمد بن عبد اللطيف إلى من ذكرنا فى الرسالة التى قبلها من أهل تلك الجهات ومنها جهة اليمن، وفي هذه الرسالة يركز الشيخ محمد بن عبد اللطيف على أن عقيدتهم ودينهم هو دين الإسلام، وهو عقيدة أهل الحق، أهل السنة والجماعة، وهم السلف الصالح[2].

وما من شك أن مثل تلك الجهود والرسائل كان لها أثر جيد في جهات اليمن مما خرج عن سلطان أنصارها، على ما سنبينه قريبا في مبحث أثرها في اليمن ويضاف إلى ما تقدم من الأسباب تشجيع ولاة الأمور في المملكة للوافدين من أجل طلب العلم وتوفير المنح الدراسية لهم من جميع أنحاء العالم الإسلامي لاسيما في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أول عاصمة للخلافة الإسلامية.

ويشكل الطلاب الوافدون إليها من خارج المملكة من غير السعوديين، من أبناء العالم الإسلامي في شتى أقطار المعمورة وينتمون إلى (٨٨) قطراً، يشكلون ٨٥٪ من طلاب الجامعة الاسلامية البالغ عددهم (٦٦٦٠) طالبا حسب احصائيات

---

(١) الدرر السنية، جـ ١ ص ٢٨٣-٢٩٠.

(٢) الدرر السنية، جـ ١ ص ٢٩٠-٢٩١.

شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠٣هـ. وهؤلاء الطلاب الوافدون يتلقون العلم المستمد من الكتاب والسنة وفقا لما كان عليه سلف الأمة الإسلامية.

ولا ننسى ما تسهم به جامعة الإمام محمد بن سعود في هذا المجال لاسيما بالفروع التي تم فتحها في خارج المملكة وهي تابعة لها كمعهد تعليم اللغة العربية بأندونيسيا والمعهد العلمي برأس الخيمة، والمعهد العلمي في موريتانيا.

وكذلك رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد في نشاطها خارج المملكة ومن ذلك مبتعثيها في سائر أنحاء العالم للدعوة والإرشاد. وهذا له أثر حسن في نشر عقيدة السلف الصالح، وكل ذلك من أثر عقيدة الشيخ السلفية.

أثرها في اليمن :

يذكر محمد رشيد رضا أن علماء السنة في اليمن قد بلغهم كل ما قيل في الشيخ محمد بن عبد الوهاب فبحثوا وتثبتوا وتبينوا كما أمر الله تعالى فظهر لهم أن الطاعنين فيه مفترون لا أمانة لهم وأثنى عليه فحولهم في عصره وبعد عصره، وعدوه من الأئمة المصلحين المجددين للإسلام ومن فقهاء الحديث كما نراه في كتبهم[1].

وإذا تذكرنا قصيدة الإمام الصنعاني التي يمدح فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويثني على طريقته ويؤيد عقيدته ومسلكه، بدا لنا كيف وصل تأثير عقيدة الشيخ إلى هناك، ودورها في نشر عقيدة السلف الصالح، يقول الأمير الصنعاني بين يدى قصيدته الدالية المشهورة التى مطلعها :

سلام على نجد ومن حل في نجد وان كان تسليمي على البعد لا يجدى

قال : لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد يقال له محمد بن عبد الوهاب ووصل إلينا بعض تلاميذه وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات سنة ١١٦٣هـ. وأرسلناها من طريق مكة المشرفة وهي : ثم أوردها في ديوانه ويقول فيها :

(١) مقدمة محمد رشيد رضا، لكتاب صيانة الانسان تأليف محمد بشير السهسواني ص ١٤ ط ٥.

قفـى وأسألـى عن عالم سوحـهـا ... به يهتـدى من ضل عن منهج الـرشـد
محمـد الهـادى لسـنـة أحمـد ... فيـاحبـذا الهـادى وياحبـذا المهـدى
لقـد أنـكـرت كل الطـوائـف قولـه ... بلا صدر في الحـق منهـم ولا ورد
ومـا كل قول بالـقـبـول مقـابـل ... ولا كل قول واجـب الـرد والطـرد
سوى ما أتـى عن ربـنـا ورسـولـه ... فذلـك قول جل قدرا عن الـرد
وأمـا أقـاويـل الـرجـال فانهـا ... تدور على قدر الأدلـة في الـنـقـد
وقـد جاءت الأخـبـار عنـه بانـه ... يعيـد لنـا الشرع الشريف بما يبـدى
ويـنـشـر جهـرا ما طوى كل جاهـل ... ومـبـتـدع منه فوافـق ما عنـدى
ويـعـمـر أركـان الشـريعـة هادمـا ... مشـاهـد ضل الناس فيهـا عن الـرشد
أعـادوا بها معـنـى سواع ومـثـلـه ... يغـوث وود بئس ذلـك من ود
وقـد هتفـوا عنـد الشـدائـد باسمهـا ... كما يهتـف المضطـر بالـصمـد الفـرد
وكـم عقـروا في سوحـهـا من عقـيرة ... أهـلـت لغـير الله جهـلا على عمـد
وكـم طائـف حول الـقـبـور مقبـل ... ومـلـتـمس الأركـان منهـن بالـيـد

إلى أن قال يصف ما في دلائل الخيرات من غلو :

غلو نهى عنـه الـرسـول وبـدعـة ... بلا مريـة فاتـركـه ان كنت تستهـدى
أحـاديـث لا تعـزى إلـى عالم فلا ... تسـاوى فليسـا ان رجعت إلى النقـد[1]
وصـيرهـا الجـهـال للذكـر ضرة ... يرى درسهـا أزكى لديهم من الحمـد
لقـد سرني ما جاء لي من طريـقـه ... وكنت أرى هذى الطـريقـة لي وحـدى

إلى آخر قصيدته الطويلة المفيدة، والتى تدل على أن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجته غير أن الشيخ رحمه الله رزق بأنصار يبتغون وجه الله وحده، وهذا فضل من الله تعالى، ويدل كلام الأمير الصنعاني في قصيدته هذه على أن أثر الشيخ في اظهار مذهب أهـل السنـة والجماعة قد وصل إلى اليمن، وانظر الأمير يقول في قصيدته هذه التى قالها في الشيخ ومن أجله واصلاحه :

سلام على أهـل الحـديـث فانـني ... نشأت على حب الأحـاديث من مهدى
هم بذلـوا في حفـظ سنـة أحمـد ... وتنقيحهـا من جهـدهم غايـة الجهـد

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص ٣١٠.

إلى أن قال :

إليــك طوت عرض الفيــافي وطــولهــا ... فكــم جاوزت غورا ونجــدا إلى نجــد
أنــاخــت بنجــد واســتراح ركــابهــا ... وعــاد خليــا عن رحيــل وعــن شد
فأحــســن قراهــا بالــقــراءة ناظــما ... جوابا فقـد أضحت لديك من الـوفـد
وصــل على المــخــتــار والآل انهــا ... لحسن ختــام النظم واسطــة العقــد(١)

وكانت ولادة الصنعاني سنة ١٠٩٩هـ. ووفاته سنة ١١٨٢هـ(٢).

ونجـد في اليمن عالما جليـلا من علمائـه الأعـلام هو الشيخ حسين بن مهدى النعمي التهـامي ثم الصنعـاني، وفـد من مدينة صبيا بتهامة إلى صنعاء لطلب العلم فأخذ بها في العلوم النقلية والعقلية الفرعية والأصولية. فأقرأ في كتب السنة في صنعاء وكثر الآخـذون عنه من الخاصة والعامة، وعملوا بالسنن من رفع اليدين عند الركوع والـرفـع، وقبضهـما على الصدر، وتأمين الإمام والمأموم وغيرها من السنن في الصلاة وهو معاصر للأمير الصنعاني، واستمر على الاقراء في كتب السنة، والعمل بها مجللا محترما وقد أذن له المهدى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وان كان المخالف من خاصـة المهـدى. وتـوفي في سنـة ١١٨٧هـ. وخلفه تلميذه يحيى بن حسن الكبسي، وطريقته طريقة شيخه المذكور، انتهى ملخصا مما نقله سليمان بن عبد الرحمن الصنيع من مخطوط كتاب (نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف)(٣).

وقـد عرضت عليـه أجوبـة علماء الحـرم الشـريف من مختلف المـذاهـب والتى اتفقت أجـوبتهم على ابقـاء القباب والأضرحة والأبنية على القبور، بناء على سؤال رفـع إليهم بشأن هدم القبـاب وتسـوية القبور، بسبب ظهور أمر الشيخ محمد بن عبد الـوهـاب بذلك وسعيه في هدم تلك الأضرحة ومحاربة ما ترتب على وجودها من وثنية

---

(١) ديوان الأمير الصنعاني ص، ص ١٢٨-١٣٢. وانظر: بعضها في عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر، جـ ١ ص، ص ٥٤، ٥٥. وانظر: بيتا واحدا منها في مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص ٣١٠. وانظر: تبرئة الشيخين الامامين من تزوير أهل الكذب والمين للشيخ العلامة سليمان بن سحمان، طبع بأمر الامام السلطان عبد العزيز آل سعود بمطبعة المنار سنة ١٣٤٣هـ. وانظر: روضة ابن غنام، جـ ١ ص، ص ٤٦-٤٩.

(٢) انظر: مقدمة الديوان، ص، ص ٥، ١٢.

(٣) انظر: ترجمته في أول كتاب: معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ص - ص ١٣-١٥ ط ٢ سنة ١٣٩٣هـ.

وعبادة لغير الله من دونه فتصدى هذا الشيخ النعمي للرد عليها وجعله كتاباً اسمه «معارج الألباب في مناهج الحق والصواب»، وبامعان النظر فيه يتضح لنا ما وهبه الله من المقدرة وسعة الاطلاع وقوة اليقين مما حمله على اعلان الحق وعدم المبالاة بمخالفة الناس والمفتين وأرباب المناصب والجاه[1]. قال الشيخ النعمي في مقدمة كتابه هذا:

وبعد: فلما كان في شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وسبعين ومائة وألف من الهجرة النبوية. وقفت على صورة سؤال، وغير ما جواب في شأن ما يسر الله هدمه وافتقاده من المشاهد والقباب، وازالة ما أزيل منها بالتدمير والخراب لما تفاحشت خطوب مفاسدها في هذا الزمان، وضاهت رسوم الجاهلية الجهلاء المنافية للتوحيد والإيمان. مع كون وضع القباب أمرا صادم المأثور الصحيح من النهي الصريح فهو بمجرده ممنوع شرعا كما قد شرحت ما جاء فيه ضمن رسالة مستقلة وجيزة، أسفرت، عن وجهه الصبيح واسمها: (مدارج العبور، على مفاسد القبور). وكان قبل هذا التاريخ بمدة يسيرة: ألقي إليّ بعض أعيان الزمن بمدينة صنعاء اليمن. . . كتابا ورد عليه من مكة المشرفة، ذكر فيه ما حاصله أنه وصل إلى هنالك سؤال في هذه المسألة وأنه أجاب فيه مفتوا الأربعة المذاهب. بما يتضمن التشنيع على من دل على هدم القباب والمشاهد، وأشار بتخريب تلك المعاقل والمعاهد[2].

ثم ذكر أنه اطلع على الأجوبة وإذا هي أحموقات حرية بالاطراح، وأغاليط خليقة أن يتسلى عنها ويستراح، وأن لا يرفع لبيب إليها رأسا، ولا يتسنم للرد عليها قرطاسا، لأنها لم ترح رائحة التحقيق، ولا تمسك من تحرى السداد بحبله الوثيق[3].

ثم قال: (ولولا وجوب النصح والارشاد، ورفع اللبس: لاتجه في السكوت عن فتاويهم الحاق اليوم بالأمس)[4].

وذكر أن المجيبين أضاعوا عهود العلم والهدى وأهملوها، وليس سبيل من هذا شأنه إلا التنبيه، وازاحة الضرر عمن لم يعلم ما في مقاله من التمويه، لأنه لم يسلك

---

(١) انظر: كلمة الافتتاح للطبعة الثانية لكتاب معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، ص، ص ٣، ١٤.

(٢) معارج الألباب في مناهج أهل الحق والصواب ص ٢١.

(٣) معارج الألباب في مناهج أهل الحق والصواب ص ٢٢.

(٤) معارج الألباب في مناهج أهل الحق والصواب ص ٢٠-٢٢.

معـك مسلك المحـاورات بين أهـل التحصيل، بل سد عليك طريق أخذ الحكم من دليله، فما الذى تبتغيه عنده بعد؟ وأي سفاهة علمت أقبح مما صنع هؤلاء الجماعة؟

ويقـول: (إن طفقنـا نقـول لهم: هذا حرام لدلالـة هذه الأحاديث الصحيحة على ذلك، أجابوا: بأنه صرح به في المنهاج وشرحه، وهو الذى فهمه ابن عبد الحق من عبارة الروضة بالجواز، قلنا ما هى الحجة على الآخر؟ قالوا: لا يحل لنا ولا لك. أن نقول: يحل كذا، يحرم كذا، لقول رسول الله ﷺ كذا، ومحال في زماننا هذا شيء من ذلـك، فلم يبق حجـة إلا ما ذكـر سنان أفندى في كتاب «تبيين المحارم»، والشيخ زكـريـا في شرح المنهاج، وحواشيه لنور الدين الزيادي، وما ذكرته مطرح وأنت عاص بهذا الصنيع) إلى آخر ما ذكره عنهم من أصلهم الذى حرروه وهو امتناع أخذ الحكم من دليله، وتعـذر ذلـك في هذه الأعصـار مع أنهم نقضـوه بشيء كثـير من كلامهم. فأورد أمثلة من قولهم قال رسول الله ﷺ: كذا وكذا، مرارا كثيرة وهو من عجيب ما يستظرفه العقلاء، ودليل على بطلان أصلهم بديهة وطبعا ووضعا إلى آخر ما قال[١].

ثم حصر الكلام في ثلاثة أبواب: الأول في أبحاث متفرقة تتعلق بتلك الأجوبة[٢].

والبـاب الثـاني في ذكر جملة شافية من الأحاديث الصحيحة، والأخبار الصريحة الشـاهـدة بأن وضـع القبـاب والبناء على القبور من أصله وتشريفها، والكتابة عليها وتجصيصهـا واتخـاذهـا مسـاجـد، وما يتصل بذلك: أمر تقرر في الشرع منعه، وسبق الحكم الجـازم بالنهي عنـه، والكف عن ارتكـابـه، وثبتت القضيـة في ذلك، ومضت كلمـة الحق بسـد ذريعتـه، تحذيـرا لنـا أن نسلك سنن من قبلنـا، مع قطع النظر عن المفاسد المترتبة على ذلك[٣].

والبـاب الثـالث في سوق ألفـاظ من ذلك السؤال وتلك الأجوبة، مع الاشارة إلى ما فيها من فساد[٤].

---

(١) انظر: معارج الألباب فى مناهج أهل الحق والصواب، ص - ص ٢٢-٢٨.
(٢) من ص ٢٨ إلى ص ١٠٥.
(٣) من ص ١٠٥ إلى ص ١٣٧.
(٤) من ص ١٣٧ إلى ص ٢٥٥

وهو كتاب عظيم النفع، سديد في جوابه وبيانه رحم الله مؤلفه وجزاه خيرا عن الإسلام والمسلمين. ومن بعد الأمير الصنعاني والشيخ حسين النعمى الإمام الشوكاني المولود سنة ١١٧٣هـ. والمتوفي سنة ١٢٥٠هـ[1].

وقد عايش الشوكاني أحداث باشا مصر وما حل من مصائبه، وكان لهذه الأحداث وما يصحبها من اشاعات وبلبلة في الأخبار وتضارب أثر في ما يكتبه إلا أنه لا يشك في الإمام سعود ومعتقده فقد قال: (وبعض الناس يزعم أنه يعتقد اعتقاد الخوارج، وما أظن ذلك صحيحا، فان صاحب نجد وجميع أتباعه يعملون بما تعلموه من محمد بن عبد الوهاب وكان حنبليا ثم طلب الحديث بالمدينة المشرفة فعاد إلى نجد وصار يعمل باجتهادات جماعة من متأخرى الحنابلة كابن تيمية وابن القيم وأضرابهما وهما من أشد الناس على معتقدى الأموات، وقد رأيت كتابا من صاحب نجد الذى هو الآن صاحب تلك الجهات أجاب به على بعض أهل العلم وقد كاتبه وسأله بيان ما يعتقده فرأيت جوابه مشتملا على اعتقاد حسن موافق للكتاب والسنة[2]. ويقول: ويلغنا أنه وصل إلى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبات قدمه وقدم صاحبه في الدين وفي سنة (١٢١٥هـ) وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان لطيفان أرسل بهما إلى حضرة مولانا الإمام حفظه الله أحدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الارشاد إلى اخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذى يفعله المعتقدون في القبور وهى رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة والمجلد الآخر يتضمن الرد على جماعة من المقصرين من فقهاء صنعاء وصعدة ذاكروه في مسائل متعلقة بأصول الدين وبجماعة من الصحابة فأجاب عليهم جوابات محررة مقررة محققة تدل على أن المجيب[3] من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة وقد هدم عليهم جميع ما بنوه وأبطل جميع ما دونوه لأنهم مقصرون متعصبون فصار ما فعلوه خزيا عليهم وعلى أهل صنعاء وصعدة وهكذا من تصدر ولم يعرف مقدار نفسه وأرسل صاحب نجد مع الكتابين المذكورين بمكاتبة منه إلى سيدى المولى الإمام فدفع حفظه الله جميع ذلك إليّ فأجبت عن كتابه

---

(١) انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع جـ ١ ص ٤٧٨، وجـ ٢ ص ٢١٤.

(٢) البدر الطالع جـ ٢ ص ٦-٧.

(٣) ويعني به الشيخ عبد الله الشيخ محمد في جوابه لهم المسمى: جواب أهل السنة في نقض كلام الشيعة والزيدية. انظره في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ص ص ٥٤٧-٢٢٢.

الذى كتب إلى مولانا الإمام حفظه الله على لسانه بما معناه أن الجماعة الذين أرسلوا إليـه بالمـذاكـرة لا ندرى من هم وكـلامهم يدل على أنهم جهـال والأصـل والجـواب موجودان في مجموعى[1].

ويقول الشـوكـانى عن الإمـام سعود سمعنا أنه قد استولى على بلاد الحسا والقطيف وبـلاد الـدواسـر وغـالـب بلاد الحجاز. ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعدة غالبهم إما رغبة وإما رهبة وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعـرفـون من الإسـلام شيئـا ولا يقـومـون بشيء من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على ما في لفظهم بها من عوج. وبالجملة فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت بذلـك الأخبـار إلينـا ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقـاتها ويأتون بسائر الأركان الاسلامية على أبلغ صفاتها[2].

وقـد صارت جيـوش صاحب نجد في بلاد يام وفي بلاد السراة المجاورين لبلاد أبي عريش ومن تبعه من هذه الأجناس اغتبط بمتابعته وقاتل من يجاوره من الخارجين عن طاعته فبهذا السبب صار معظم تلك البلاد زاجعا إليه[3].

ويقول :

وفي سنـة ١٢١٧هـ. دخلت بلاد أبي عريش وأشـرافها في طاعة صاحب نجد ثم تزلـزلت الـديـار اليمنية بذلك واستولى أصحابه على بعض ديار تهامة وجرت أمور يطول شرحها وهي الآن في سريان وقد أفردت ما بلغنا من ذلك في مصنف مستقل لأن هذه الحـادثـة قد عمت وطمت وارتجفت لها أقطـار الـديـار الشامية والمصرية والعراقية والـروميـة بل وسـائـر الـديـار لاسيما بعد دخول أصحاب النجدي مكة المشرفة وطرد أشـرافهـا عنهـا ولله أمـر هوبالغـه. ثم في سنة (١٢٢٢) وصل إلينا جماعة من صاحب نجـد سعـود بن عبـد العـزيـز لبعضهم معرفة في العلم ومعهم مكاتيب من سعود إلى الإمـام المنصـور بالله رحمـه الله تعالى وإليّ أيضا ثم وصل جماعة آخرون كذلك في سنة

(١) البدر الطالع، جـ ٢ ص ٧.
(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع جـ ٢ ص ٥.
(٣) البدر الطالع جـ ٢ ص ٦.

(١٢٢٧) ثم وصل جماعة آخرون كذلك في سنة (١٢٢٨) ودار مع هؤلاء الواردين ومع غيرهم من المكاتبة ما لا يتسع المقام لبسطه[١].

ويقول في ترجمة الإمام سعود بن عبد العزيز (وكان جده محمد بن سعود شيخا لقريته التي هو فيها فوصل إليه الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب الداعي إلى التوحيد المنكر على المعتقدين في الأموات). فأجابه وقام بنصره ومازال يجاهد من يخالفه وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية وصار الإسلام فيها غريبا ثم مات محمد بن سعود وقد دخل في الدين بعض البلاد النجدية وقام ولده عبد العزيز مقامه فافتتح جميع الديار النجدية والبلاد العارضية والحسا والقطيف وجاوزها إلى فتح كثير من البلاد الحجازية ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة وغالب جزيرة العرب. وغالب هذه الفتوح على يد ولده سعود ثم قام بعده ولده سعود فتكاثرت جنوده واتسعت فتوحه ووصلت جنوده إلى اليمن فافتتحوا بلاد أبي عريش وما يتصل بها، ثم تابعهم الشريف حمود بن محمد شريف أبى عريش وقد تقدمت ترجمته وأمدوه بالجنود ففتح البلاد التهامية كاللحية والحديدة وبيت الفقيه وزبيد وما يتصل بهذه البلاد ومازال الوافدون من سعود يفدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور وإلى حضرة ولده الإمام المتوكل بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة ويكتب إليّ أيضا مع ما يصل من الكتب إلى الإماميين. ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها وفي جهة ذمار وما يتصل بها[٢].

ولنذكر قصيدته الجيدة التى رثى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما توفي ومطلعها :

مصاب دهى قلبي فاذكى غلائلى ... وأصمى بسهم الافتجاع مقاتلى

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع جـ ٢ ص، ص ٧-٨.

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع جـ ١ ص، ص ٢٦٢-٢٦٣.

وانظر: الدرر السنية ١٢ / ٢٠-٢٤. وتذكرة أولى النهى والعرفان لابراهيم بن عبيد ١ / ٥٠-٥٤. وأثر الدعوة الوهابية لمحمد حامد الفقى ص ٧٨-٨٠. والشعر يواكب الدعوة لابن خميس، بحث قدم إلى أسبوع الشيخ ص ٢-٣. والامام الشوكانى مفسرا، رسالة دكتوراه إعداد محمد حسن بن أحمد الغامدى ض ٣٢ في جامعة أم القرى.

إلى أن قــال :

إمام الهدى ماحي الردى، قامع العدى　　ومـروى الصـدى من فيض علم ونـائل

وقـــال عنـــه :

إمـــام الـــورى علامـــة العصـر قُدْوَتي　　وشيــخ الشيــوخ الحـبر فرد الفضــائـل

محمــد ذو المــجــد الــذى عز دركــه　　وجــل مقــامــا عن لحوق المطــاول

إلــى عابــد الــوهــاب يعــزى أنــه　　سلالــة أنـجـاب زكي الـفضــائــل

إلى أن قــال :

لقــد أشــرقت نجــد بنــور ضيــائــه　　وقــام مقــامــات الهــدى بالــدلائــل

إلى آخر القصيدة وهي طويلة تنيف على المائة بيتا أوردت منها شطرا فى ترجمة الشيـخ فيمن رثـاه رحمـه الله ، ومـا أوردته هناك يناسب ايراده هنا ولكن تفاديا للتكرار أحيل عليه .

وأمـا في العصـر الحاضر ففي اليمن كثير من أهل السنة والجماعة وبعضهم كان سبب هدايتـه إلى مذهب السلف هوما تلقـاه فى جامعـات المملكـة ، ومـا سمعه من مشـايـخ الـدعوة وما توصل إليه من بحثه في ميراث الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فاقتنـع اقتنـاعـا حرا بصحـة عقيدة السلف الصالح ، وصارمن الدعاة إليها وإلى نشرها في بلاده .

أثرهـا في الشـــام :

وفي الشـام كان لها أثـر جيـد وقـد أطلعت على رسـالتـين صغـيرتـين أحدهما بعنـوان : النفخـة على النفحـة لمؤلفهـا الشيـخ ناصـر الـدين الحجازي الأثري وقد شغلت ٥٦ صفحة من الوسط ، والثانية بعنوان : نظرة في النفحة الزكية في الرد على الـوهـابيـة مؤلفهـا أبـو اليسار الدمشقي الميداني في ٣٤ صفحة من الوسط وكأنها ذيل للأولى وتعليق عليها طبعتا في مجلد واحد سنة ١٣٤٠هـ. بمطبعة الترقي بدمشق .

والأولى عبارة عن رد بليغ صدر من عالم محقق يتقي الله ، ويلتزم في رده الحكمة والموعظة الحسنة والانصاف في المحاجة . جاء في أولها بعد البسملة والحمد لله ، والثناء على الله والصـلاة والسـلام على رسـول الله ﷺ أنـه بينما كان سائرا في إحدى طرق مدينـة دمشق إذ بصـر برجـل عليـه سيما العلم وبيده رسائل يوزعها فأهداه رسالة وهو يرتجف ويشـير إلى أنـه أبـدع فيـما كتب ، فذهب ناصـر الدين إلى أحد مساجد البلد

ووجد أحد أهل العلم فيه فلما أبصره والرسالة بيده هز رأسه وقال ما هذه الرسالة؟ فأجابه بأنه رأى عنوانها وأن من حاكها أسماها (النفحة الزكية في الرد على شُبَه الفرقة الوهابية) ومؤلفها يزعم أنه من أكابر علماء دمشق يقال له الشيخ عبد القادر الاسكندراني المنتحل لنفسه لقب الكيلاني، فأجابه ذلك العالم الذى في المسجد بأن مدعي هذه الرسالة إنما أغار على كتاب الفجر الطالع لجميل صدقي الزهاوي وعلى ما لفقه الشيخ دحلان فأخذ ما اختاره منهما ولم يزد من عنده إلا أحرفا يسيرة فدهش ناصر الدين وأخذ الرسالة يتصفحها ثم رآها على غير قاعدة المحققين، وإنما هي تلفيقات فانتدب لنقضها بأسلوب العالم المتزن ومسلك المحقق الذى بينه كمنهج لرده. ويمكن تلخيصه، بنقاط هي :

١ ــ أن المحققين ينزهون أنفسهم عن السباب والشتم لمن يردون عليه.

٢ ــ يجعلون نصب أعينهم قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾ .

٣ ــ وان من يرد على أحد في كلامه يأخذ جملة من كلامه فيبين الغلط فيها ثم جملة وجملة حتى يستوفي الكلام بلا تحامل ولا اعتساف.

٤ ــ وأن يتلو قوله تعالى : ﴿ **ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ .

ولكن صاحب الرسالة كما قال ناصر الدين لم يسلك في رده ذلك المسلك فأراد ناصر الدين خدمة الحقيقة فقال إن صاحب النفحة صدر رسالته بما لفقه الشيخ أحمد دحلان في آخر تاريخ أمراء البيت الحرام وسلك موطىء قدمه حذو النعل بالنعل بلا تأمل ولا تدبر، ولاشك أن الله تعالى يجمع الكل يوم القيامة ثم ينبئهم بما كانوا يعملون.

قال ناصر الدين : وقبيح بمؤلف يملأ كتابه بالافتراء والتعدى وفي قصة الافك أعظم رادع لمن كان يؤمن بالله ورسوله، ويطلب النجاة لنفسه فيحاسبها خاليا، ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾. ومهما تملق المتملقون، واستتر المراؤون فان الله لا تخفي عليه خافية، ولابد أن يشف الباطل عن الحق، فيظهر ناصعا واضحا، وإليك جملا من كلام صاحب الرسالة تدل على افترائه بما ادعاه.

إلى أن قال: «ومن طبعه الوقوع في أعراض الناس يرى لذلك لذة ولا يحلو في ذوقه إلا الغيبة والنميمة واتباع الهوى» ثم نقل عنه قوله عن محمد بن سعود. أمير الدرعية بلاد مسيلمة فقال ناصر الدين له: «هب أننا سلمنا أنها بلاد مسيلمة فما الذى

تراه من ذمها؟ أليست مصر كانت بلاد فرعون وهامان وقارون؟ . وما الاسكندرية إلا من بعض بلاد مصر؟ . أليست بابل كانت بلاد نمرود؟ أليست مكة كانت موطن أبى جهل وأبى لهب وأضرابهما؟ أليست فلسطين كانت بلاد قوم لوط؟ .

هل ضر هذه البلاد شيء من ذلك؟ أم هل تناقص قدرها؟ ألم تعلم أن أول من أسس هذا القياس من أخبر الله عنه أنه قال: (أنا خير منه خلقتني منْ نار وخلقته من طين)؟ وما اخا لك يرعاك الله إلا أنك بعد هذا تتبع الحق وتحسن النظر في القضية .

وقال ناصر الدين عن صاحب الرسالة أنه قال عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب : «وممن أخذ عنهم الشيخ محمد حياة السندى والشيخ محمد بن سليمان الكردى وكانا يتفرسان فيه الالحاد ويحذران الناس من دسائسه» فقال ناصر الدين : أقول «لو أنصف لعلم أنه يطعن في هذين العالمين وذلك أن كلا منهما أجاز ابن عبد الوهاب باجازة مطولة ، وأجاز له أيضا الشيخ عبد الله بن إبراهيم نزيل المدينة والمشهور بها كما ذكره صاحب كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق ، وأخذ أيضا عن الشيخ اسماعيل العجلوني محدث الديار الشامية والشيخ علي أفندى الداغستاني وكلهم أجاز له . فكيف يتفرسان فيه الالحاد ويجيزانه ويمدحانه فى اجازاتهما وهل هذا إلا مكابرة؟ إلى غير ذلك مما افتراه من غير دليل ولا ثبت ، سوى سوء الظن بذلك الرجل فالله يلهمنا رشدنا ويهدينا سواء السبيل . وقال ناصر الدين : (ادعى ذلك الكاتب أنه يتعجب من شرذمة تروج في دمشق العقيدة الفاسدة والآراء المضللة الخ) .

فقال ناصر الدين ياالله العجب . هل من يدعوإلى الله ورسوله ﷺ وإلى عقيدة السلف يعد ضالا مضلا؟ والذى يدعوإلى الترهات يعد صالحا؟ . على رسلك تمهل وانظر ما كان عليه السلف الصالح والأئمة المجتهدين من الاعتقاد، وتأمل مقالات أبى الحسن الأشعرى في الإبانة وعقيدة الإمام الطحاوي ، وما قاله الإمام البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ، وما قاله الإمام الذهبي وغيرهم من أساطين العلماء في التوحيد ثم ارجع إلى نفسك وقل ما شئت وتأمل أيضا ما قاله علماء المذاهب الأربعة الموثوق بهم فيما الناس عليه من البدع ثم احكم بما شئت (ألم يأتك والأنباء تنمى) ما قاله الإمام الشاطبى وابن الحاج في المدخل وأبو شامة في كتابه الباعث وابن وضاح وغيرهم من الأئمة ، فان كنت تعد أمثال هؤلاء وهابية فيا برد الذى قالت على كبدى .

وهكـذا يمضي حتى أجهـز على نفحتـه التي ليست بزكيـة بنفخـة أطـارتها.

وكذلك الرسالة الثانية والتي عنوانها : نظرة في رسالة النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية مؤلفها أبو اليسار الدمشقي الميداني.

قال إن صاحب هذه النفحة تناول في ذمه النجديين والشاميين، وآذى في سبه وشتمه الأحياء والأموات، وجعل في طليعة نفحته ترجمة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمـه الله تعـالى ما أظن أن أحـدا ممن رزق حظـا من التحقيق والمعرفة بحال المترجم وجانبا من الانصاف يرضى عنها، لاسيما إذا خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

وقال : لا أحب أن أخوض معه فيما كتبه عن الوهابيين ومن يتهمه بالانتساب إليهم من الدمشقيين، فإن السب لا يعمد إليه إلا عاجز أو صاحب هوى.

ثم نقل عنه قوله : فوا خجلتاه كيف يروق للشرذمة المنتسبة إليهم الموجودة في دمشق المتصفـة بالتمـدن والحضـارة أن تكون تابعة لسكان البوادي وتفتتن بعقائدهم البديهية البطلان، مع أن فيهم من ينتسب إلى العلم، ويدعي الفهم؟ إلى أن قال : كيف افتتنـوا بتلك الـترهـات، وانخـدعوا بالمموهات، ونهضوا يروجون تلك العقائد الزائفة، والأضاليل الباطلة، ويبثون في أفكار العوام هذا المذهب الذى أطبقت عقلاء الأمة على فساده» أ. هـ. قال أبو اليسار : أقول هذه جمل من عباراته العالية، وآدابه السـاميـة، في وصف إخـوانـه الدمشقيين ـ دع النجديين وما وصفهم به ـ عرضناها على القـارىء الكـريم ليعـرف بها مبلغـه من الأدب، ودرجتـه من الحرص على جمع الكلمة والتأليف بين المسلمين في هذا اليوم الأيوم.

وقد نقل لنا غير واحد عن هذا الرجل أنه صار في درسه يذم بعض علماء دمشق وغـيرهـم من أمـوات وأحيـاء ويصرح بأسمائهم وأسماء بعض محلاتهم وأحيائهم وينفر ممن أخذ العلم عنهم، أو سمع شيئا منهم. إلى أن قال :

ثم ليت شعرى كيف يتهم الفئة الدمشقية بالانتساب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجماعته، ثم يقول بعد : وقد سألت رجلا منهم (يعني الدمشقيين) عن مذهبه يومـا : أشـافعي أو حنفي؟ فأجابني بأنه أثرى يعني لا ينتسب إلى أحد من المجتهدين رضي الله عنهم. أ. هـ.

فإذا كنت تفسر قوله بأنه اثرى بعدم الانتساب إلى أحد من الأئمة المجتهدين أنفسهم (رحمهم الله تعـالى ورضي عنهم) فكيف تنسبـه إلى رجـل من أتباع أحمد بن

حنبـل وهـو محمـد بن عبـد الـوهـاب (رحمـه الله تعالى) وكيف يمكنك أن تطابق بين الدعوى والدليل؟ .

ثم كيف جاز لك أن تملأ رسـالتـك من دعـوى أن الـوهـابـين قاطبـة يكفروننا ويزعمون أنا مشركون وها نحن أولاء نراهم في مساجدنا يصلون خلف أئمتنا مقتدين بهم ، ولا تكـاد تدخـل مسجـدا من المسـاجـد وقت الصـلاة إلا وتجـد بعضهم يؤدى الصـلاة فيـه مؤتمـا بإمـامـه؟ فإذا كانـوا يرمـوننا بالشرك كما زعمت فكيف يقتدون بنا ويصلون معنـا؟ وهب انـه كان التطـرف والـرمي بالشـرك والكفـر من بعض جهـالهم وغلاتهم فهل يصح أن يؤخذ الكل بذنب البعض، ألم يقل تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخـرى ﴾ وهـل يمكنـك أن تبرىء جهـالنا وغلاتنا من مثل هذا التطرف؟ ولم لا تنصح لعوامنا وتندد بهم وتزجرهم عن تكفير غيرهم كما فعلت بأولئك؟

ثم ما معنى قولـه : كيف يروق للشـرذمـة المنتسبـة إليهم المـوجـودة في دمشق، المتَصفـة بالتمـدن والحضـارة أن تكـون تابعـة لسكـان البـوادي؟ أي مدخل للتمدن والحضارة فيما نحن فيه؟ أليس الكلام في التوحيد وما دخله من البدع؟ أليست العقائد والعبـادات من الـدين الـذى أكمله الله تعـالى على يد رسـوله ﷺ أليس مبنى الدين على الاتبـاع المحض؟ هل يجوز فيـه التغيـير والتبـديـل والزيادة والنقصان؟ ما معنى التمدن والحضارة في هذا المقام؟

ثم أي تمدن وحضـارة تعني؟ إن كنت تعني مدنيتنـا وحضـارتنـا في هذا الـزمان فالجواب أنا لا نرى أثراً لهذه المدنية بيننا لا فى اختراع ولا في صناعة ولا زراعة ولا تجارة وان كنت تريـد مدنيـة أسـلافنـا فلا يحق لنـا أن نفتخـر بها ونحن قد أضعنـاها . ولقد تذكـرت أن أحـد الأوربيـين كان يذكر لأحد أفاضل المسلمين ما انتهت إليه أوربا من البسطـة في العلم، والسعـة في الملك، والاخـتراع في الفن ويبـاهي بذلـك، فقال له المسلم لنا الفخر لأن هذا الرقي قد أخذتموه عن أساتذتكم العرب وهم آباؤ نا . فأجابه الأوربي : لا حق لكم بهذا الفخـر ونحن أحق به منكم لأنـا أخـذنـا علوم سلفكم ونشرناها فكنا بعلمهم عاملين، أما أنتم فقد أضعتموها وكنتم لهم عاقين.

قال أبـو اليسـار : وان كنت ترى المـدنيـة في الافتتان باللباس والتفنن بالطعام والشـراب والاستكثـار من الوظائف والمرتبات من أجل ذلك، فهذا أقبح ما سرى إلى صنف العلماء من الأمـور الـذميمـة ، وصـدهم عن تخريج الطلاب في العلوم والأدب وتصنيف الكتب واحيـاء العلوم . إلى أن قال وان عنـد كثير من علمائنـا الأغنيـاء من

العلوم والمال ما يستطيعون أن يخدموا به كثيرا من الطلاب، فلو كانت هممهم متوجهة لاحياء العلوم الشرعية والعربية لقاموا بهذه الوظيفة المقدسة حق القيام، وإذا لازدهرت هاتيك العلوم في هذه الديار أيما ازدهار. وإنك لتجد بعض الشبان والكهول من المشتغلين المجدين الذين قضوا شطرا كبيرا من حياتهم في الجمع بين المعقول والمنقول، والتدقيق في الفروع والأصول، يفتشون عن وظيفة علمية تسند إليهم لينفعوا بعلمهم ويستزيدوا منه ويتمرنوا على العمل، وليستعينوا بالمرتب على أمر معيشتهم فلا يجدون إلى ذلك سبيلا، ولا من أحد من أهل العلم مساعدة، ولو بالتخلي عن وظيفة ومرتب زائدين عن حاجتهم، فيضطرون هناك إلى الاشتغال بما يقيهم ذل السؤال والأمر لله.

وقد كان الواجب يتقاضى من يزعم الغيرة على الدين وأهله، ويدعي أنه من حماته ودعاته، أن يساعدهم بكل ما يمكن رحمة بهم، وبمئات الطلاب التى كان يمكن أن تُحَصِلّ عندهم وتخرج على أيديهم.

من ذا الذى يخدم الدين للدين، والعلم للعلم خدمة خالصة من كل شائبة لا يتقاضى عليها أجرا أو ليس له في مقابلها شيء؟ ألا ليت أصحاب الوظائف الموكول إليهم أمرها يقومون بها ويوفونها حقها كيلا يأكلوا أجورها من دون عمل وهي لم توقف أو تخصص إلا لمن عمل. ثم يقارن أبو اليسار بين الفريقين فيقول :

(حالنا وحال النجديين)

«إذا أردنا أن نقابل بيننا معشر أهل التمدن والحضارة وبين سكان البوادي النجديين الذين تزعم، وتوازن بين سخائنا على نشر العلم وسخائهم وغيرتنا على الدين وغيرتهم، وكانت حالنا ما قدمنا ــ ورأينا كثيرا من كتب العلم الدينى قد طبعها تجارهم، وجعلوها وقفا لله تعالى، ووزعوا الألوف منها على المسلمين في عامة الأقطار، سواء في ذلك أهل البوادى وسكان المدن والأمصار، ولايزالون دائبين على طبع الكتب النفيسة، حريصين على نشرها مجانا يخرجون بها الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة ولم تكن تلك الكتب من تأليف أهل نجد فحسب، بل معها كتب أئمتنا واجلائنا الدمشقيين وغيرهم كابن تيمية وابن القيم وابن قدامة، وهم يطبعونها ويوزعونها على المسلمين لا يريدون منهم جزاء ولا شكورا، فأي المدنيتين قد عم خيرها، وظهر أثرها، وحق أن يفخر بها أهلها المدنية التى أفسدت

علينـا ديننـا ومروءتنا، وسلبتنا جل أوصافنا الحميدة، وأكسبتنا أخلاقا ذميمة كالبخل، والكـذب، والكـبر، والبـذخ، والـريـاء، وتقـديم المصلحـة الخـاصة على المصلحة العامة، أم تلك المدنية الفطرية التى لم تشبها شائبة الفساد؟ بربك انصف ثم احكم.

وهكذا حتى انتهى منها فوقع الحق وبطل ما كانوا يأفكون. وقد نقلت ما نقلت من هاتـين الـرسـالتـين لأبـين كيف يعـاني أصحـاب العقيدة السليمة عقيدة السلف الصالح وكيف يعاني من تأثر بالحق والتزمه حيث لا سلطان له، وكيف يتكلمون بالحق وليس معهم سيف ولكن الله يؤيـدهم بلطفـه وييسـر لهم من ينصرهم كما نصر الذين من قبلهم ويستخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم.

وقد كتب الإمام الملك عبد العزيز كما ذكرنا في الفصل الرابع لهما كتابا يحمد الله فيـه إليهـما على ما من به عليهـما من معرفة الحق والبصيرة فيه ومعه هدية هي مجموعة الهـديـة السنيـة التي جمعها الشيخ سليمان بن سحمان ويوصيهما بلزوم الحق والاستمرار والصبر عليه ويؤيدهما ويدعو لهما ويشكرهما على ذلك. وتقدم ايرادنا نص رسالته[1].

وفي مقـدمـة هذه المجمـوعـة التى كتبهـا الشيـخ سليمان بن سحمان يقول بعد البسملة والثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

(أمـا بعـد) فقد وقفت على ما كتبه العالمان الجليلان التقيان المنصفان الشيخ ناصر الدين الحجازى الأثرى نزيل دمشق والشيخ أبو اليسار الدمشقى الميداني على ما افـتراه... الاسكنـدراني، مما لفقـه من الأكـاذيب الشنيعـة، والمفـتريـات الـواهية الـوضيعـة، أو تلقـاه عن جميـل أفندى البغدادي[2]. وقد اعتمد هذا وغيره في كل ما

---

(١) انظر : ص ٥٩٣ من هذا البحث .

(٢) قال محمد رشيد رضا هو جميل الزهاوى المتفلسف الذى طعن في الشريعة بأشد مما طعن في المستمسكين بعروتها من أهل نجد وقد نشر طعنه وانكاره لتعدد الزوجات وقسمة الميراث في الأسلام في جريدة المؤيد المصرية فكفره بها العلماء الكثيرون.

افتروه على ما لفقه إمام ضلالتهم أو بدعتهم أحمد بن زيني دحلان[1]. من الخرافات والخزعبلات، التي لا تصغى إليها إلا القلوب المقفلات ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون** ﴾ (فاطر: ٨) وقوله تعالى: ﴿ **ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون** ﴾ (الأنعام: ١١٣).

فلما تصدر وانتصب هذا الرجل لعداوة أهل الإسلام أتباع الملة الحنيفية والطريقة المحمدية، وشرق بهذا الدين، الذى منَّ الله به على إخواننا الدمشقيين لما تبين لهم حقيقة ما عليه أهل الإسلام الموحدين من أهل نجد المشهورين بالوهابية وأنهم كانوا على ما كان عليه سلف هذه الأمة وأئمتها من اخلاص العبادة لله رب العالمين وترك عبادة ما سواه مما كان عليه أهل الكفر والشرك برب العالمين، وإنكار البدع المحدثة في الدين، وكتب ردا على الوهابية، المستمسكين بالطريقة المحمدية والملة الحنيفية، ورماهم بما هم برئيون منه من هذه الأكاذيب والأوضاع، التى تمجها الطباع وتستك عند سماعها الأسماع، وبئس ما انتحله من الأكاذيب والأوضاع الوبية، وقد تبع فيها أقوال قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل.

رد عليه هذان العالمان الجليلان، وغارا لله وللمسلمين من تلفيق أهل الكذب والبهتان، فأزالا بما كتباه من الرد عن القلوب صداها، وأماطا به عن العيون قذاها. فجزاهما الله عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء، فلما قرأناها وتأملناها علمنا وتحققنا أن في الزوايا خبايا، وانه قد بقي من فحول الرجال بقايا فله الحمد وله الشكر والمِنّة.

ثم اعلموا أيها الاخوان، أنا على ما كان عليه أئمتنا أهل الإسلام، والعلماء الأئمة الأعلام، الذين ينفون عن كتاب الله وسنة رسوله تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، كشيخ الإسلام وعلم الهداة الأعلام، تقي الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، وتلميذه شمس الدين محمد بن أبى بكر (ابن قيم الجوزية) والحافظ الذهبيّ الشافعي والعماد ابن كثير الشافعي، ومحمد بن جرير الطبري، والحافظ الإمام عبد الرحمن بن رجب الحنبلي[2]

---

(١) قال محمد رشيد: هو الذى كان مفتيا فى مكة زمن ظهور الدعوة وكتب ما كلفه كتابته سادته ومُوظِّفُوه من الأمراء والحكام، من غير تبين ولا تثبت فيما جاء به أولئك الفساق الطغام.

(٢) قال محمد رشيد: إنما خص هؤلاء بالذكر لما في كتبهم المتداولة من النصوص الواضحة.

وغيرهم من علماء أهل الإسلام الذين هم القدوة، وبهم الأسوة، وقد كان لهم قدم صدق في العالمين، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا. وقد سلك شيخ الإسلام، وعلم الهداة الأعلام، الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على طريقهم وسار على منهاجهم وأثرهم في الدعوة إلى الله واقامة حججه وبيناته، وساعده على ذلك أئمة أهل الإسلام من آل سعود رحمهم الله. فنصروه وآووه وجاهدوا في الله حق جهاده، حتى ظهر دين الله وانتشر في البلاد والعباد فله الحمد وله الشكر.

ثم انا لما تحققنا ما أنتما عليه من الحق والتحقيق، وسلوك طريقة أهل الهداية والتوفيق، أحببنا أن نهدى إليكما ونخبركما بما كنا عليه من المعتقد وما ندين الله به وما كان عليه أئمتنا من مشايخ أهل الإسلام، وما قالوه وما قلناه في ذلك نظما ونثرا، والله المسئول المرجو الاجابة، أن يسلك بنا وبكما وإخواننا الموحدين طريق الاصابة، وأن يجزل لنا ولكما الأجر والاثابة، انه ولي ذلك والقادر عليه وإليكما وإلى جميع إخواننا المسلمين، ما نهديه ونرفعه ليعلم حقيقة ما كنا عليه بعد علم اليقين عين اليقين. انتهى[1].

فما من شك ولا ريب أن هذا النشر والبيان لعقيدة الشيخ وأنصاره له أثر كبير في نشر عقيدة السلف الصالح في الشام وتمكين الله أنصارها في الأرض، ونصرهم لما نصروا دين الله ورسوله ﷺ.

ونجد من علماء الشام الشيخ محمد بهجة البيطار الذى عينه الملك عبد العزيز رحمه الله مديرا لدار التوحيد بالطائف أول ما أنشئت ومن مؤلفاته «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، محاضرات ومقالات ودراسات، ونشره المكتب الإسلامي بدمشق عام ١٣٨٠هـ»:

ويرد في هذا الكتاب على (الفريد غيوم) في كتابه الإسلام، ترجمة محمد مصطفى هدارة، والدكتور شوقي اليماني السكري الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨م بالقاهرة ومن رده عليه رده ما جاء في ص ١٠٠ من كتابه، وهو قوله: (في المملكة الوهابية) (حيث يسود المذهب الوهابى) قال محمد بهجة البيطار: الجواب: ليس للوهابية، ولا للإمام محمد بن عبد الوهاب مذهب خاص، ولكنه رحمه الله كان مجددا

---

(١) الهداية السنية والتحفة الوهابية النجدية لجميع اخواننا الموحدين من أهل الملة الحنيفية والطريقة المحمدية جمع الشيخ سليمان بن سحمان ص، ص ٦-٨.

لدعوة الإسلام، ومتبعا لمذهب أحمد بن محمد بن حنبل[1].

هذا وللمكتب الإسلامي في دمشق وبيروت نشاط ملموس في طبع ونشر مؤلفات الشيخ وسائر مؤلفات السلف الصالح.

ومن تعليق للأمير شكيب أرسلان من أهل الشام على الوهابية على حد تعبيره نقتطف من قوله ما نصه: (ولكن المقرر أنها حركة انابة إلى العقيدة الحق وهدى السلف الصالح واقتفاء أثر رسول الله ﷺ والصحابة، ونبذ الخرافات والبدع وحظر الاستغاثة بغير الله ومنع التمسح بالقبور والتعبد عند مقامات الأولياء، ولذلك يسمونها عقيدة السلف، ويلقب الوهابيون أنفسهم سلفيين، وأكثر اعتمادهم في الاجتهاد على الإمام أحمد بن حنبل، والإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية[2]. أ. هـ. وشكيب أرسلان عضو من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، وكانت له صلة وثيقة بمحمد رشيد رضا، وقد قابل الملك عبد العزيز أثناء رحلته إلى الحجاز سنة ١٣٥٤هـ[3]. وقال: (لله در الملك ابن سعود يقول: ما أخشى على المسلمين إلا من المسلمين ما أخشى من الأجانب كما أخشى من المسلمين، وهو كلام أصاب كبد الصواب، فانه ما من فتح فتحه الأجانب من بلاد المسلمين إلا كان نصفه أو قسم منه على أيدي أناس من المسلمين، منهم من تجسس للأجانب على قومه، ومنهم من بث لهم الدعاية بين قومه، ومنهم من سل لهم السيف في وجه قومه، وأسال في خدمتهم دم قومه.

وقال محمد رشيد رضا مضيفا إلى ما نقله شكيب أرسلان عن الملك عبد العزيز من كلام صائب انه في حفل حافل بحجاج الأقطار ـ وقد طالب مصرى أزهرى الملك عبد العزيز بمحاربة الأنكليز والفرنسيين المعتدين على المسلمين ذاكرا عداوتهم، لهم فقال الملك عبد العزيز: الأنكليز والفرنسيين معذورون إذا عادونا لأنه لا يجمعنا بهم جنس ولا دين ولا لغة ولا مصلحة. ولكن المصيبة التى لا عذر لأحد فيها أن المسلمين

---

(١) حياة شيخ الاسلام ابن تيمية، بقلم محمد بهجة البيطار ص ٢٠٠.

(٢) هامش حاضر العالم الاسلامى جـ ١ ص ٢٦٤.

(٣) انظر: الاعلام للزركلى، جـ٣ ص ـ ص١٧٣ـ١٧٥. وانظر كتابه: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، تأليف الأمير شكيب أرسلان مقدمة ص، ص٢٥ـ٢٧.

أصبحـو أعـداء أنفسهم ، وأنـا والله لا أخاف الأجانب وإنما أخاف من المسلمين ، فلو حاربت الأنكليز لما حاربوني إلا بجيش من المسلمين(١) .

وهـذا محمـد كرد على من أهل الشام في كتابه (القديم والحديث) منتقيات من مقالاته ، وهو عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق يقول :

ومـا ابن عبـد الـوهـاب إلا داعيـة ، هداهم من الضلال ، وساقهم إلى الدين السمح وإذا بدت شدة من بعضهم ، فهي ناشئة من نشأة البادية ، وقلما رأينا شعبا من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والاخلاص ، مثل هؤلاء القوم .

وقـد اختـبرنا عامتهم وخاصتهم ، سنين طويلة ، فلم نرهم حادوا عن الإسلام قيد غلوة ، وما يتهمهم به أعداؤهم ، فزور لا أصل له(٢) .

أثرهـا في بلدان الخليج العربي :

نجـد في قطـر أن حكـامه آل ثاني كانوا يسهمون إسهاما كبيرا في طبع مؤلفات علماء السلف الصالح ولا تنكر صلتهم الوثيقة بأنصار عقيدة الشيخ من قديم وكان في قطـر من العلماء الـذين يحملون عقيـدة سلفيـة سليمة ، ولهم دور لا ينكر في ذلك الأثر الحميـد ، كالشيـخ محمـد بن عبـد العـزيز بن مانع الذى كان مديرا عاما للمعارف في المملكـة العـربيـة السعـودية ثم طلبه أخيرا حكام قطر ، ليستفيدوا من علمه ، ويشير عليهم بما كانوا متقبلين له ، من نصر لعقيدة السلف الصالح ونشر لكتبهم كمجموعة التوحيد النجدية وكتب فقه الحنابلة وغيرها .

وأخـيرا يخرج إلينـا كتـاب للشيخ أحمـد بن حجر بن محمد آل بوطامي قاضي المحكمة الشرعية بقطر ، قدم له وصححه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وأمر بطبعه الملك فيصل بن عبد العزيز ، عام ١٣٩٥هـ . وهو عن الشيخ محمد بن عبد الـوهـاب وعقيـدتـه السلفية ودعوته الاصلاحية وثناء العلماء عليه ، وهو كتاب علمي جيـد ، من أجـود ما كتب في هذا المـوضوع ، قال في مقدمته : ان الشيخ محمد بن عبد الـوهـاب النجـدي الـداعي إلى توحيـد الله تعالى من المجددين العدول والمصلحين

---

(١) انظر : كتاب : لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم ، تأليف الأمير شكيب أرسلان ص ٦٣ .

(٢) نقـلا عن كتـاب : الشيـخ محمـد بن عبـد الـوهـاب للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامى ص ٩٦ . وانظر الاعلام للزركلى ج ٦ ص - ص ٢٠٢-٢٠٣ .

المخلصين قام يدعو إلى تجريد التوحيد، واخلاص العبادة لله وحده بما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين ﷺ، وقام بنبذ البدع والمعاصي وعبادة الأولياء والصلحاء والأشجار والغيران، ويأمر باقامة شرائع الإسلام المتروكة وتعظيم حرماته المنتهكة.

ومع ذلك فالناس لازالوا من عصره إلى اليوم بين مادح وقادح. ثم يبين أن السبب في القدح هو دعاية الأتراك وأشراف مكة في ما مضى ضد ما قام به الشيخ وأنصاره والتي نالت رواجا وانتشارا في الأقطار الإسلامية وتأثر بها الأكثرون، بالاضافة إلى كتب ألفها بعض أدعياء العلم ينقدون عقيدة الشيخ وأنصاره بما لفق عليها من غير تثبت وراجت الدعاية لدى الجمهور وظنوا أنها صحيحة.

وقد جهل أولئك المؤلفون أو تجاهلوا: أن الواجب على الشخص ولاسيما من انتسب إلى العلم - أن لا يقبل كل ما يقال عن شخص أو مذهب أو طائفة حتى يثبت لديه بأنه يسمع من ذلك المنسوب إليه ما أذيع عنه، أو يقرأ كتابه ويتأكد من صحة نسبة الكتاب إليه، وهكذا القول فيما سمعه عن مذهب أو طائفة.

ثم يقول الشيخ أحمد بن حجر: أما في هذا العصر، فقد خفت وطأة تلك الدعاية السيئة، وعرف كثير من العقلاء في سائر الأقطار والبلدان، حقيقة دعوة الشيخ وصحتها، وذلك بفضل انتشار العلم والوعي في العالم، وبفضل ما اتصفت وأشتهرت به الدولة السعودية من التوحيد، وتحكيم الشرع المبين، واقامة شعائر الإسلام، واقامة الحدود الشرعية، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونشر العدل والأمان، وتمسكها بالسنة الصحيحة والقرآن ومحاربة أهل البدع، والاهتمام بالعلم والتعليم، ونشر المدارس والمعاهد والكليات في سائر أرجاء المملكة العربية السعودية، وفتح الأبواب للطلاب الوافدين من مختلف البلدان، واعانتهم بالوسائل النافعة الكافية، كما اشتهرت بالكرم والبذل، لجميع الوافدين إليها من غير فرق بين مذهب وبلد وعنصر.

ثم قال الشيخ أحمد: وبالرغم مما قلنا من انتشار الوعي واتصاف الدولة العربية السعودية بتلك الصفات الكريمة، لازال كثير من المنتسبين إلى العلم، فضلا عن العوام، يزعمون أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، لم يكن على الصواب، وأن الفئة الوهابية، تكفر المسلمين، ولا ترى للأنبياء مقاما ولا احتراما ولا شفاعة كما لا تحترم الأولياء والصالحين ولا ترى زيارة قبر الرسول ﷺ ولا غيره. إلى غير ذلك

من الأقاويل الزائفة التى لاتعتمد إلا على الوراثة والسماع عن الماضين الجاهلين، والاغترار ببعض كتب المخرفين.

قال: فمن أجل ذلك رأيت أن أكتب في سيرة الشيخ المجدد لما اندرس من معالم الإيمان والإسلام، وعقيدته، ودعوته الاصلاحية مؤلفا وسطا، اعتمدت فيه على ما ذكر المؤرخون لنجد كابن غنام، وابن بشر، والآلوسي، والريحاني وغيرهم ممن ذكر الشيخ ودعوته في ثنايا كتبهم كما اعتمدت على بعض رسائل إمام الدعوة وأبنائه وأحفاده، وسأختمه - إن شاء الله - بثناء العلماء الراسخين، وبعض المؤرخين المحققين من المسلمين والغربيين، على ذلك الإمام الجليل الذى شغل عصره، وبعده بعلومه وآرائه واصلاحه. ودعوته المقيدة بالكتاب والسنة والذى دوى صوته بعلومه ودعوته في نجد وفي الخارج، وجادل وناضل بقوة جنانه وفصاحة لسانه، وواضح برهانه[1].

• وللشيخ محمد بن حسن المرزوقي القطري رد على النبهاني في تهجمه على شيخ الإسلام ابن تيمية ومحمد رشيد رضا، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[2].

أما عن أثرها في البحرين :

فننقل قصة طريفة جرت ابان نكبة الدرعية والتجاء بعض علماء الدعوة إلى البحرين وإلى عمان وغيرهما.

قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، تأليف الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر في قصة تأليف الكتاب المذكور ما ملخصه (ان الأنكليز أرسلوا مندوبا إلى البحرين من القسس، ليعمل على بث الدعاية النصرانية وشكوكها، لفتنة الناس في البحرين عن دينهم، كما هي سياسة أعداء الإسلام من الصليبيين في الشرق الإسلامي كله، فقام ذلك القسيس بتأليف كتاب ضمنه شبهاتهم حول الإسلام، ودفعه إلى أمير البحرين عبد الله بن خليفه

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب. . . بقلم أحمد بن حجر آل بوطامى ص، ص ١٠-١٣.

(٢) ترجمة الألوسي فى أول كتابه غاية الأماني في الرد على النبهاني، بقلم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل ص ١١.

وطلب منه أن يعرضه على المشايخ ليقولوا رأيهم، فرد عليه الشيخ عبد العزيز بن حمد آل معمر بكتابه: «منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب» ودفعه إلى أمير البحرين ففرح به الأمير أشد الفرح ودعا القنصل الأنكليزي القسيس وأعطاه الرد فاندهش جدا لأنه كان يظن عجز علماء البحرين، ثم قال: (هذا الرد لا يكون من هنا، وإنما هو من البحر النجدي)[1]

ولعل ما نقلناه فيما تقدم يبين لنا مدى أثر عقيدة الشيخ السلفية في نشر الحق والعمل به واتباع السلف الصالح في منهجهم الاصلاحي والحكم بعدل وانصاف على عقيدة الشيخ السلفية في تلك الربوع الخليجية وغيرها.

أثرها في العراق:

وإذا جاوزنا الخليج إلى العراق فإننا نجد مدرسة أهل السنة والجماعة يتصدرها آل الألوسي أمثال العلامة نعمان خير الدين الألوسي، والعلامة محمود شكري الألوسي.

أما نعمان خير الدين الألوسي الشهير بابن الألوسي البغدادي ولد سنة ١٢٥٢هـ. وولي القضاء في أماكن متعددة في العراق ثم ترك المناصب، وزار مصر في طريقه إلى الحج ثم الاستانه ومكث سنين هناك ثم عاد يحمل لقب رئيس المدرسين فعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي ببغداد سنة ١٣١٧هـ. وله مؤلفات كثيرة ويعنينا منها مؤلفه: شقائق النعمان في رد شقاشق ابن سليمان ويعنى داود بن سليمان بن جرجيس وسيأتي طرف من خبره. وكذلك مؤلفه الآخر المشهور جلاء العينين في محاكمة الأحمدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، وأحمد بن محمد بن حجر الهيتمي وهو دفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية ما اتهمه به وتهجم به عليه أحمد بن حجر وقد أقذع ابن حجر في السباب والشتم والمهاترة تجاه شيخ الإسلام من غير دليل ولا حجة ولكن عمى البغي وصمم الهوى، يدفعان صاحبهما إلى مجاوزة حدود أدنى العقول[2].

---

(١) انظر: كتاب منحة القريب المجيب فى الرد على عباد الصليب، ط ٣ منشورات دار ثقيف بالطائف، ص، ص ٣-٥.

(٢) انظر: جلاء العينين: ص ١٦-٣٧، وص ١١٩ وغيرها.

أما صاحبنا نعمان الألوسي فكما قال فيه بهجت الأثرى في كتاب أعلام العراق كان عقله أكبر من علمه، وعلمه أبلغ من انشائه وانشاؤه أمتن من نظمه، وكان جوادا، وفيا، زاهدا، حلو المفاكهة سمح الخلق[1].

وقد انتهج في انتصاره لشيخ الإسلام ابن تيمية في عقيدة السلف الصالح أسلوب المناقشة في هدوء واقامة الدليل، وتوضيح الحجة، وسطوع البرهان بروح العالم الراسخ، والعاقل الثابت، وهذا منهج يرتضيه علماء السلف الصالح من أهل السنة والجماعة[2].

وأما العلامة محمود شكري الألوسي أبو المعالي فهو ابن أخي نعمان خير الدين الذى تقدم ذكره ولد سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف من الهجرة أبوه عالم أديب وكاتب بارع اسمه عبد الله بهاء الدين، وأما جده فهو الإمام محمود شهاب الدين صاحب التصانيف المشهورة وأشهرها روح المعاني في التفسير وقد أخذ محمود شكري العلم عن أبيه وتأثر به في حسن السمت، وصفاء الطوية، وحب الأدب والعلم، ولما توفي أبوه عام ١٢٩١هـ. كفله عمه العلامة نعمان خير الدين الألوسي الذي سبق ذكره آنفا ثم أخذ العلم من مشايخ بغداد وجد واجتهد في مواصلة الدرس ومتابعة البحث، وكلف بالتاريخ والسيرة واللغة، وزاول الكتابة، له الاطلاع الواسع، والمادة الغزيرة والتحقيق النادر، والرأى الصائب، وتصدر للتدريس في داره، وفي جامع عادل خاتون، وعين مدرسا رسميا في جامع الحيدرية، ثم في جامع السيد سلطان علي، ثم عين مدرسا في مدرسة مرجان، وجعل رئيس المدرسين، ونفع الله به وتخرج منها خلق كثير[3].

وله نشاط في إحياء الكتب الدينية، ونشر مذهب السلف وله اليد الطولى فى اذاعتها ونشرها، وكان يرى أن مذهب السلف هو الواسطة الوحيدة لتحرير العقول من رق التعصب الذميم ولم يكن يحب الفخر والظهور، وإنما يرمي إلى حصول الغرض من أي طريق، مباشر أو غير مباشر، وكان يحمل على أهل البدع في درسه

(١) انظر الاعلام للزركلى، ط ٤ جـ ٨ ص ٤٢ ومعجم المؤلفين العراقيين، كوركيس عواد ج ٣ ص ٣٩٩.

(٢) انظر مقدمة جلاء العينين للمدني، ص - ص ٢-٦.

(٣) ترجمة مؤلف كتاب غاية الأمانى بقلم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل، ص، ص ٧-٨.

وفي داره وفي المسجـد، . ويـرد عليهم برسـائل فعاداه كثير من الناس، وسعوا به لدى والي بغـداد عبد الوهاب باشا، فكتب عبد الوهاب إلى مرجعه السلطان عبد الحميد الثـاني العثـماني فصـدر الأمر بنفيه إلى بلاد الأناضول، فلما وصل إلى الموصل في سنة ١٣٢٠هـ. قام أعيـانها فمنعـوه من تجاوزهـا، وكتبـوا للسلطـان يحتجون، فسمح له بالعودة إلى بغداد فعاد إليها، وقد اتصل بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في نجـد عام ١٣٣٣هـ. وبحث مع الملك بعض الشؤون ثم عاد مكـرمـا محترما. ولما كانَ في سنة ١٣٤٢هـ. توفي في العراق رحمه الله[١].

ولأصـالتهم في عقيـدة السلف الصـالح فإننا لنجد عقيدة الشيخ محمد بن عبد الـوهـاب السلفية لديهم يحكيها العلامة أبو المعالي. محمود شكري الألوسي في مؤلفه تاريـخ نجـد فقـد قال رحمه الله أعلم أن أهل نجد كلهم مسلمون موحدون بل وجميع سكنـة جزيـرة العرب وقد دخلوا في الإسلام في العصر الأول عند ظهور أنوار الشريعة الغـراء. وهم على عقـائـد السلف الصـالـح ثم ذكـر اعتقـادهم في الله تعـالى وذكر اعتقادهم في الرسول ﷺ واعتقادهم في الآل والأصحاب-إلى أن قال: (والحاصل أن مذهبهم في أصـول الـدين مذهب أهـل السنـة والجماعة وأن طريقتهم طريقة السلف التى هي الطريق الأسلم، بل الأحكم).

ثم ذكـر: (وأنهم في الفـروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ولا ينكـرون على من قلد أحـدا من الأئمـة الأربعـة دون غيرهم لعدم ضبط مذهب الغير كالشيعة والزيدية والكرامية ونحوهم. إلى آخر ما حكاه في هذا الموضوع إلى أن قال:

وأما ما يكذب عليهم سترا للحق، وتلبيسا على الخلق، بأنهم يفسرون القرآن برأيهم ويأخـذون من الحـديث ما وافق فهمهم من دون مراجعـة شرح ولا معول على شيخ وأنهم يضعون من رتبة النبي ﷺ وأنه ليس له شفاعة وأن زيارته غير مندوبة وأنهم لا يعتمـدون أقـوال العلماء وأنهم يتلفـون مؤلفات أهل المذاهب لكون الحق والباطل فيهـا وأنهم مجسمـة، وأنهم يكفـرون النـاس على الاطلاق من بعد الستمائة إلى هذا الـزمـان إلا من كان على ما هم عليـه، وأنهم لا يقبلون بيعـة أحد إلا إذا أقر عليه انه كان مشركا وان أبويه ماتا على الشرك بالله وأنهم ينهون عن الصلاة على النبي صلى

---

(١) انظر: ترجمته في كتاب غاية الأماني بقلم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل ص ١٠-١١.

الله تعـالى عليـه وسلم، وأنهم يحرمـون زيـارة القبور المشروعة مطلقا، وأنهم لا يرون حقـا لأهـل البيت، وأنهم يجبرونهم على تزويـج غير الكفـء لهم ـ إلى غير ذلك من الافـتراءات، فكـل ذلـك زور عليهم وبهتـان وكذب محض من خصومهم أهل البدع والضـلال بل أقـوالهم وأفعـالهم وكتبهم على خلاف ذلك كله. فمن روى عنهم شيئا من ذلك أو نسبه إليهم فقد كذب عليهم وافترى، ومن شاهد حالهم وحضر مجالسهم وتحقق ما عنـدهم علم قطعـا أن جميـع ذلـك وضعـه عليهم، وافـتراه أعداء الدين، وإخـوان الشيـاطـين، تنفيرا للناس عن الاذعان لاخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذى نص الله على أنه لا يغفره وانه يغفر ما دون ذلك لمن يشاء. فانهم يعتقدون أن من فعل أنواعا من الكبائر كالقتل للمسلم بغير حق والزنى والربا وشرب الخمر وتكرر منه ذلك لا يخرج بفعل ذلك عن دائرة الإسلام، ولا يخلد في دار الانتقام، إذا مات موحدا لله تعالى في جميع أنواع العبادة... والذى اعتقدوه في رتبة النبي ﷺ أن رتبتـه أعلى مراتب المخلوقـين على الاطـلاق، وانـه حي في قبره حيـاة مستقرة أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل إذ هو ﷺ أفضل منهم بلا ريب. وأنه يسمع سلام من يسلم عليه، وأنه تسن زيارته غير أن لا تشد الرحال إلا لزيـارة المسجـد والصـلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، ومن أنفق أنفس أوقـاتـه بالصـلاة عليه الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفي همه وغمه كما جاء في الحـديث. وأنهم لا ينكـرون كرامات الأولياء ويعترفون لهم بالحق، وأنهم على هدى من ربهم مهما ساروا على الطريقة الشرعية، والقوانين المرعية، غير أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادة لا حال الحياة ولا بعد المات. بل يطلبون من أحدهم الدعاء في حال الحيـاة بل ومن كل مسلم فقـد جاء في الحـديث «دعـاء المـرء مستجاب لأخيه» ويثبتون الشفاعة للنبي ﷺ يوم القيامة حيثما ورد وكذا سائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حيثما ورد أيضا. ويسألونها من الله تعالى المالك لها والآذن فيها لمن شاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد فانهم يقولون متضرعين إلى الله تعالى: اللهم شفـع نبينـا محمـدا ﷺ فينـا يوم القيـامـة أوعبادك الصالحين أوملائكتك ونحو ذلك. ولا يلزم أن يكونوا مجسمة وان قالوا بالجهة كما ورد الحديث بها. ويقولون فيمن مات تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون. ولا يقـولـون بكفـر من صحت ديـانتـه وأشتهر صلاحه وعلمه وورعه وزهده وحسنت سيرتـه وبـالـغ في نصح الأمـة وان كان مخطئـا في هذه المسألـة أوغيرهـا (كابن حجر

الهيتمي المكي) رحمه الله، فانهم يعلمون كلامه في (الدر المنظم) ولا ينكرون سعة علمه، ولهذا يعتبرون ما بقي من كتبه كشرح الأربعين والزواجر وغيرها ويعتمدون على نقله.

هذا ما هم عليه. وقد كتبوا في ذلك عدة رسائل خاطبوا بها من له عقل وعلم وهو متصف بالانصاف، خال من الميل إلى التعصب والاعتساف، ينظر إلى ما يقال، لا إلى من قال.

وأما من شأنه لزوم مألوفه وعادته سواء كان حقا أو غير حق مقلداً فهو ممن قال: ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ عادته وجبلته أن يعرف الحق بالرجال، لا الرجال بالحق، فلا يخاطب هذا وأمثاله فجنود التوحيد بحمد الله منصورة، وراياتهم بالسعد والإقبال منشورة.

وما كتبناه في هذا الحاصل هو مضمون رسالة كتبها أحد فضلاء علماء نجد وهو الشيخ (عبد الله ابن العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) عليهم الرحمة، وقد قرئت عند دخول الأمير (سعود بن عبد العزيز) في الحرمين الشريفين بمحضر علماء المذاهب الأربعة وبمسمع منهم. فمن الواجب على طالب معرفة الحق وادراك الحقائق أن لا يبادر بالانكار قبل التبصر، ولا يحكم على شيء قبل الوقوف على حقيقة الحال، فالخطأ في ذلك عظيم.

فلا تحكم بأول ما تراه   فأول طالع فجر كذوبُ

والقصد بما ذكرناه التنبيه على خطأ من نسب إلى القوم ما هم بريئون منه مما يخل بالديانة حتى أساء الظن بقسم عظيم من الأمة العربية وانطوى على بُغضهم الذى هو من أعظم أسباب النفاق.

وغالب من أشاع ذلك هم أهل البدع والأهواء الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وكذبوا بأقوالهم وأفعالهم على الدين المبين الذى هو بعيد عنهم بمراحل. وهم الدجالون الجالبون على الإسلام كل عار، وإلا فأهل الإيمان هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

ثم (ذكر مناظرة جرت بين عراقي ونجدي تحريرا) فقال:

هذه مناظرة اتفقت بين عالم عراقي من سكنة بغداد، وبين فاضل كامل، وعالم

عامل، من علماء نجد: كتب بها العراقي إلى العالم النجدي، فأجاب عنها بما سيأتي :

ولكونها تزيد الحق وضوحا والواقع بيانا أدرجناها على سبيل التلخيص والاختصار ليتجلي بها الحقَ المستور، ويرد بها الباطل المشهور، رجاء الفوز بثواب ذلك إن شاء الله تعالى.

ثم ذكرها ويقصد بالعراقي داود بن سليمان بن جرجيس صاحب التلبيس والذي زار عنيزة واتصل بالشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين في أثناء عشر سنين ومائتين وألف وحصلت منه تشبيهات لينصر دعواه: أن وقوع الشرك في الأمة المحمدية مستحيل ويزعم أن دعاء غير الله طلبا للزلفى عند الله ليس شركا. ثم رد عليها الشيخ عبد الله المذكور بكتاب طبع سنة ١٣٤٤هـ. بمطبعة الحلبي بعنوان: كتاب تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن سليمان بن جرجيس، استوفى مائة وعشرين صفحة ثم طبع ملخصاً بعنوان الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين عنى بنشره الشيخ عبد الملك بن ابراهيم آل الشيخ وكان طبعه بالمطبعة السلفية بالقاهرة واستوفى تسعا وثلاثين صفحة: وقد رد عليه أيضا شيخ المسلمين ومفتي نجد الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ، ولذلك ابنه الشيخ عبد اللطيف رد على داود هذا بمؤلف اسمه (منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس).

والألوسي يعنى بالعالم النجدي الشيخ عبد اللطيف فان من مؤلفاته تتمة لمنهاج التأسيس الذى ألفه الشيخ عبد اللطيف، وقد لخصها الشيخ الألوسي على شكل مناظرة فيقول :

قال السائل العراقى : ثم يورد قوله وبعد نهايته يقول: قال العالم النجدي: ثم يورد جوابه وبيانه حتى أتى على شبهات الخصوم أعداء التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، ثم ذكر الألوسي طرفا من معتقد المغالين في القبور والصالحين وحقيقة ما هم عليه من الدين المخالف لدين المرسلين ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالأمن ان كان الواقف ممن اختصه الله بالفضل والمن لئلا يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعا وتوسلا واستظهارا مع ما في التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق ثم أخذ يبين ذلك.

ولما انتهى من البيان، أخذ يقص شيئا من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ويذكر طرفا من أخباره، وأحواله ليعلم الناظر فيه حقيقة أمره، فلا يروج عليه تشنيع من استحوذ عليه الشيطان وأغواه وبالغ في كفره واستهواه ثم مضى في ذلك يقرر الحق ويبين الرشد ويقارن أقوال الشيخ بأقوال من سلف من علماء المسلمين وأئمتهم المهديين ونقل عبارة أبي الحسن الأشعري في كتابه مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين في نقله جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة، إلى نهايتها وهي قوله: «فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه. وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وانتهى الألوسي من بحثه هذه المسألة عند ذلك[1].

هذا وللألوسي رحمه الله مؤلف جيد في نقض شبه المخالفين للرسل والسالكين غير منهج السلف الصالح من المسلمين والمؤمنين هذا المؤلف هو«غاية الأماني في الرد على النبهاني» وكان قد ألفه ولم يصرح بذكر اسمه عليه، ولكنه كنى عنه: بأبى المعالى الحسينى وزاد عليها السلامي الشافعي لئلا يتضح اسمه خوفا على نفسه، ويقول محمد رشيد رضا في تقريظه: غاية الأماني في الرد على النبهاني، كتاب مؤلف من سفرين كبيرين، لأحد علماء العراق الأعلام، المكنى بأبى المعالي الحسيني السلامي الشافعي، رد فيها ما جاء به النبهاني في كتابه شواهد الحق من الجهالات والنقول الكاذبة، والآراء السخيفة، والدلائل المقلوبة، في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى، وما تعدى به طوره في سب أئمة العلم وأنصار السنة، كشيخ الإسلام ابن تيمية، إلى أن قال: وفي هذا الكتاب ما لا أحصيه من الفوائد العلمية، في التوحيد، والحديث، والتفسير، والفقه، والتاريخ، والأدب، وما انفرد به بعض المشاهير فأنكره العلماء عليه، كالانكار على الغزالي وابن عربي الحاتمي وغيرهما.. فعلى هذا الكتاب نحيل الذين يكتبون إلينا في الشرق والغرب، يسألوننا أن نرد على النبهاني، وكذا من اغتروا بقوله ونقوله وظنوا أن قولنا فى الاعتذار عن عدم قراءة كتبه والرد عليها أنه لا يوثق بعمله ولا نقله هو من قبيل السب، وحاشا لله ما هو إلا ما نعتقده فيه وفي كتبه بعد النظر في بعضها، ورؤية ما فيها من الأحاديث الموضوعة والنقول المكذوبة، والاستنباطات الباطلة ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهدا وهو ينكر الاجتهاد،

---

(١) انظر: تاريخ نجد للألوسي ص - ص ٤٠-٨٧.

ويعترف بأنه ليس أهلا له. انتهى كلام صاحب المنار[1]. ولتأليفه هذا الكتاب دون أن يصرح باسمه عليه قصة ذكرها الشيخ محمد السبيل في ترجمته للألوسي فقال:

عندما عزمت على كتابة هذه الترجمة اتصلت بالعالم السلفي، الشيخ محمد نصيف بجدة، والذى كان له مساهمة فعالة في سبب تأليف الكتاب وطبعته الأولى، فأفاد بما ملخصه: انه عندما ظهر كتاب النبهاني المسمى (شواهد الحق) وقرأه الشيخ محمد نصيف، ورأى ما فيه من التلفيق والتحريف الواهي، وتهجمه على المحققين من علماء السلف، وتجويزه دعاء الأموات والاستغاثة بهم، وغير ذلك ما يخالف صريح الكتاب وصحيح السنة، عندما قرأه كتب للعالم العلامة الشيخ محمود شكري الألوسي، يطلب منه أن يقوم بالرد على النبهاني، ويدحض أباطيله، وينتصر للحق وأهله، فلم يمض سنة إلا وقد جاء الرد المسمى (غاية الأماني في الرد على النبهاني) للشيخ محمود شكري الألوسي، واتفق الشيخ محمد نصيف والشيخ عبد القادر التلمساني ـ من تجار جدة المحسنين، والعلماء السلفيين ـ على أن يقوما بطبعه وتكاليف الطبع بينهما نصفين. وكان الشيخ التلمساني آنذاك في مصر، فاتفقا أن يقوم بطبعه فرج زكي الكردي بمطبعته في مصر فقام بطبعته الأولى وقد وضع المؤلف على طرة الكتاب: تأليف أبي المعالي الحسينى، اشارة إلى كنيته ونسبه الحسيني، وزاد عليها السلامي الشافعي لئلا يتضح اسمه خوفا على نفسه، وذلك أن العلماء السلفيين في ذلك العصر يخافون على أنفسهم من معارضة أهل البدع والخرافيين ـ كالنبهاني وغيره ـ والسبب في ذلك أن السلطان عبد الحميد سلطان الدولة العثمانية قد قرب المشايخ من أهل الطرق، من الصوفية أنصار البدع، فلذاك خاف السيد محمود شكري الألوسي من اظهار اسمه على طرة الكتاب، وكذلك صاحب المطبعة فرج الله زكي خاف على نفسه، ولم يذكر اسمه إلا رمزا (ف، ج، ز) ولا اسم مطبعته، ولا البلد التي فيها المطبعة، وكذلك الشيخ عبد القادر التلمساني والشيخ نصيف خافا على أنفسهما من نفس العلة، لأن السلطان عبد الحميد في ذلك الوقت له النفوذ في بغداد ومصر والحجاز وهي البلدان التى فيها المؤلف والطابع والمطبعة، ولهذه المضايقات والخوف عندما تم طبع الكتاب لم يتمكنوا من توزيعه إلا عندما أخذت حكومة اسطنبول بالقوانين الوضعية الأوروبية وأعلنت الدستور وكان الدستور

---

(١) المنار ١٢ ص ٧٨٥ نقلا عن ترجمة مؤلف كتاب غاية الأماني فى الرد على النبهاني، بقلم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل، فى نفس الكتاب جـ ١ ص ٩، ١٠.

يقضي بحرية العقائد والأديان، فعند ذلك أرسلت حصة الشيخ محمد نصيف من الكتاب إليه في الحجاز، ووزعها، ووضع على كل نسخة وزعها اسم المؤلف بخط يده، وكذلك الشيخ عبد القادر وزع نسخه في مصر وغيرها، ثم ان الشيخ محمد نصيف عندما لم يخف من جراء اظهار الكتاب أعلن في جرائد بيروت في ذلك الحين أن لديه كتابا في الرد على النبهاني للشيخ الألوسي اسمه (غاية الأماني في الرد على النبهاني)، ثم انبرى بعض تلامذة النبهاني وأعلن عن الرد، وحاول أن يحط من قدر الكتاب ولكن كما قيل :

وقل للعيون الرمد للشمس أعين سواك تراها في مغيب ومطلع[1]

وله مؤلفات كثيرة منها غير ما تقدم في خدمة السنة :

١ ـ الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى، ألفه ردا على النبهاني لما شن الغارة في سب شيخ الإسلام ابن تيمية، ورشيد رضا، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

٢ ـ (فتح المنان) تتمة منهاج التأسيس للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

٣ ـ فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبع بعنوان مسائل الجاهلية[2].

وهذا في بغداد أحمد بن سعيد البغدادي قال في كتابه (نديم الأديب) :

كما نقله الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز فقال: إليك أيها القارىء نص كلام أحمد سعيد منقولا بتمامه من كتاب (نديم الأديب) ص ١١ (وأما) حقيقة هذه الطائفة فإنها حنبلية المذهب وجميع ما ذكر المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرف وفيه تناقض كلي لمن اطلع عليه بتأمل لأن غالب مؤرخي الشرقيين ينقلون عن الكتب الافرنجية فان كان المؤرخ المنقول عنه صاحب دراية وصادق الرواية تجد أن من يترجم كتابه يجعل الترجمة على قدر اللفظ فيضيع مزية الأصل وان كان المؤرخ غير صادق الرواية فمن باب أولى ومنهم من يقول ان هذه الطائفة تنهى عن وصف النبي

---

(١) ترجمة مؤلف كتاب غاية الأماني، في نفس الكتاب جـ ١ ص ـ ص ٨ـ٩.

(٢) انظر: ترجمة مؤلف كتاب غاية الأماني في الرد على النبهاني، في أول الكتاب المذكور بقلم محمد بن عبد الله السبيل ص ١٠ـ١١. ومعجم المؤلفين العراقيين تأليف كوكيس عواد ص، ص ٢٧٤ـ٢٧٥.

ﷺ بأوصاف المدح والتعظيم ويقول انها تؤمن بقدم القرآن[1] وبهذا يظهر بداهية التناقض لأن من يؤمن بقدم القرآن[1] يؤمن بما فيه وفي القرآن الشريف مدح النبي عليه الصلاة والسلام قال تعالى : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ وآيات غير هذه كثيرة أما ما نهى عنه محمد بن عبد الوهاب إنما هو الوصف بأوصاف الألوهية كالقدرة والارادة وعلم الغيب كما وصف النصارى عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام فقد قال عليه الصلاة والسلام : «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد» ومن أراد أن يعرف جليا اعتقاد هذه الطائفة فليطالع كتب مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فانه مذهبهم وأما سبب حرب صاحب مصر لهذه الطائفة فقد ذكره المؤرخ الشهير الموسيو (سيديو) الفرنساوي وكلامه هذا محذوف من ترجمة كتابه التى أمر بها المرحوم علي باشا مبارك وخلاصة معناه هي أن انكلترا وفرنسا حين علمتا بقيام محمد بن عبد الوهاب وابن سعود وبانضمام جميع العرب إليهما لأن قيامهما كان لإحياء كلمة الدين، خافتا أن ينتبه المسلمون فينضمون إليهما وتذهب عنهم غفلتهم ويعود الإسلام كما كان في أيام عمر رضي الله عنه فيترتب على ذلك حروب دينية وفتوحات إسلامية ترجع أوربا منها في خسران عظيم فحرضتا الدولة العلية على حربهم وهي فوضت ذلك إلى محمد علي باشا وحصل ما حصل (ولكل أجل كتاب) وهذه الطائفة برئية مما ينسب إليها الجاهلون ومن سبها يأثم والله أعلم بغيبه وأحكم.

انتهى ما كتبه المذكور في كتابه نديم الأديب بكماله[2].

---

(١) القرآن كلام الله، ونوع كلامه سبحانه قديم،وآحاد كلامه محدثه وليس كل محدث مخلوق قال الله تعالى : ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ (الأنبياء : ٢) وقال تعالى : ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين﴾ (الشعراء : ٥) ويعنى بالذكر القرآن، قال ابن كثير : أي جديد انزاله كما قال ابن عباس : «ما لكم تسألون أهل الكتب عما فى أيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرأونه محضاً لم يشب» رواه البخارى، انظر: تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٧٤. وانظر: صحيح البخارى، كتاب الشهادات باب ٢٩ ص ١٦٣، وكتاب الاعتصام باب ٣٥ ص ١٦٠، وكتاب التوحيد باب ٤٣ ص ٢٠٨.

(٢) انظر: حاشية كتاب: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي رقم ١ ص ٩٧.

أثرها في فارس والهند :

وإذا تجاوزنا العراق وعرجنا على فارس في طريقنا إلى الهند، فإننا نجد في «لنجة» بلد من البلدان الفارسية الشيخ مُلا عمران بن علي بن رضوان يرد على بعض قصائد الملحدين المعادين للشيخ ويثني خلال ذلك على الشيخ بقصيدة، هذا مطلعها :

جاءت قصيدتهم تروح وتغتدى ... في سب دين الهاشمي محمد

إلى أن قال :

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة ... يدعون أصحاب القبور الهمّد
تاجا وشمسانا ومن ضاهاهما ... من قبة أو تربة أو مشهد
يرجون منهم قربة وشفاعة ... ويؤملون كذلك أخذا باليد
ورأى لِعُبَّاد القبور تقربا ... بالنذر والذبح الشنيع المفسد
ما أنكر القراء والاشياخ ما ... شهدوا من الفعل الذى لم يحمد
بل جوزوه وشاركوا في أكله ... من كان يذبح للقبور ويفتدى
فأتاهم الشيخ المشار إليه بالنصـ ... ـح المبين وبالكلام الجيد
يدعوهم لله أن لا يعبدوا ... إلا المهيمن ذا الجلال السرمد
لا يشركوا ملكا ولا من مرسل ... كلا ولا من صالح أو سيد
فتنافروا عنه وقالوا ليس ذا ... الا عجيب عندنا لم يعهد
ما قاله آباؤنا أيضا ولا ... أجدادنا أهل الحجى والسؤدد
انا وجدنا جملة الآبا على ... هذا فنحن بها وجدنا نقتدى
فالشيخ لما أن رأى ذا الشأن من ... أهل الزمان اشتد غير مقلد

إلى أن قال :

لو أنصفوا لرأوا له فضلا على ... اظهار ما قد ضيعوه من اليد
ودعوا له بالخير بعد مماته ... ليكافئوه على وفاق المُرْشِدِ
لكنهم قد عاندوا وتكبروا ... ومشوا على منهاج قوم حسد
ورموه بالبهتان والافك الذى ... هم يعملون به ومنهم يبتدى
كمقالهم هو للمتابع قاطع ... بدخول جنات وحور خرد
حاشا وكلا ليس هذا شأنه ... بل انه يرجو بها لموحد

إلى أن قــال :

قالــوا له يا كافـرا يا فاجـرا ... ما ضره قول الـعـداة الحـسـد
قالــت قريش قبـلهـم للمـصطفى ... ذا ساحـر، ذا كاهـن، ذا معـتـدي

إلى أن قــال :

هل قال إلا وحـدوا رب الـسـما ... وذروا عبـادة ما سوى المـتـفـرد
وتمـسكـوا بالـسـنـة البـيضـا، ولا ... تـتـنطـعـوا بزيـادة وتـردد
هذا الـذي جعـلوه غشـا وهـو قد ... بعـثـت به الـرسـل الكـرام لمن هدى
من عهـد آدم ثم نوح هكـذا ... تترى إلـى عهـد الـنـبـي محمـد
وكـذلـك الخـلفـاء بعـد نبـيـهـم ... والـتـابـعـون وكـل حبر مهـتـدي
منهـاجـهـم هذا عليـه تمـسكـوا ... من كان مسـتـنـابهـم فليـقـتـد

إلى آخر القصيدة وهي طويلة مفيدة[1].

وقد أوردت في أول هذا الباب للشيخ ملا عمران هذا أبياتا سبعة من قصيدة له أخرى مطلعها :

ان كان تابـع أحمـد متوهـبـاً ... فأنـا المـقـر بأنـنـى وهـابـي[2]

ومن فارس إلى الهند فنجد علماء السنة في الهند قد بلغهم ما يقوله دحلان وأمثالـه في الشيـخ فبحثـوا وتثبتـوا وتبينـوا كما أمر الله تعالى، وكما هومنهج أهل السنة والجماعـة من سلفنـا الصـالح، فظهر لهم أن الطاعنين في الشيخ مفترون لا أمانة لهم فأثنى عليـه فحـولهم في عصـره وبعـد عصـره وعـدوه من أئمـة المصلحـين المجددين للإسلام ومن فقهاء الحديث كما نراه. في كتبهم وكما قال محمد رشيد رضا[3].

ومن هذه الكتب : كتـاب صيـانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، تأليف

---

(١) انظـر: كتـاب كشف غياهب الظلام عن أوهـام جلاء الأوهـام تأليف الشيـخ سليمان بن سحمان ص ١٣٨-١٤٣. وكتـاب الأسنـة الحـداد في رد شبهـات علوى الحـداد تأليف الشيـخ سليمان بن سحمان ص ٥٨-٦٢. وانظـر: كتـاب الامـام الشيـخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ، تأليف عبد الله بن سعد الرويشد جـ ٢، ص - ص ٣٥٧-٣٥٩.

(٢) انظر : ص ٤٧٤ .

(٣) مقدمة محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية من صيانة الانسان ص ١٤ من الطبعة الخامسة عام ١٣٩٥هـ.

العلامة الكبير، المحدث الفقيه النحرير، محمد بشير السهسواني الهندي، يقول عنه مؤلف كتاب: «الياقوت والمرجان»، في ذكر علماء سهسوان ما ملخصه:

كان من المجددين وأحد المحققين المتأخرين ولد في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وتعلم في لكنو، ثم ذهب إلى دهلي فأخذ عن سيد نذير حسين كتب الصحاح والسنن الستة وغيرها سماعا وقراءة، واستجاز من الشيخ حسين بن محسن الأنصارى اليمنى، والشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى النجدى نزيل مكة والشيخ محمد السهارنبوى المهاجر بمكة.

وبعد فراغه من الطلب اشتغل بالتدريس وكان وحيد عصره في سعة المعلومات والاطلاع على مذاهب السلف، يصرف أكثر أوقاته في التدريس والتصنيف والوعظ والارشاد وله من المؤلفات اتمام الحجة على من أوجب الزيارة كالحجة، وكان الشيخ محمد بشير على جانب عظيم من الورع والتقوى والعبادة وقيام الليل، وكان يغلب عليه في وعظه رقة القلب والخشية حتى تدمع عيناه، وفي ٥ المحرم سنة ١٢٩٥هـ. استدعاه النواب صديق حسن خان بهادير من آكره إلى بهوبال وفوض إليه رئاسة المدارس الدينية في إمارة بهوبال.

وقد أقر له أهل الهند كافة بقوة الاجتهاد والفضيلة العلمية واعترفوا له بها.

تناظر الشيخ محمد بشير والشيخ أحمد دحلان مفتى مكة في مسألة التوحيد، فكتب الشيخ ردا عليه، كتابه المسمى (صيانة الإنسان، عن وسوسة الشيخ دحلان). وأشتهر الكتاب وطبعه علماء نجد ولم يرد عليه أحد من المخالفين.

وناظر مرز اغلام أحمد القادياني في دلهي بأمر بيكم بهوبال زوجة صديق حسن خان حتى انقطع القادياني عن المناظرة.

وتوفي رحمه الله سنة ١٣٢٦هـ عن عمر بلغ أربعا وسبعين سنة[١].

وفي مقدمة كتابه صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان قال الشيخ محمد بشير بعد البسملة والحمد له والثناء على الله والشهادتين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

أما بعد فاني وقفت على الرسالة التي جمعها الشيخ أحمد بن زيني دحلان، أنقذه

---

(١) انظر: ترجمته في أول كتاب صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص ـ ص ١٨-٢٣.

الله من دحلان الخذلان، وسماها (الدرر السنية، في الرد على الوهابية) ورأيت مؤلفها يدعي في ديباجة رسالته الباطلة الساقطة الدنية الردية، أنه جمع فيها ما تمسك به أهل السنة في زيارة النبي ﷺ والتوسل به من الدلائل والحجج القوية، من الآيات والأحاديث النبوية. فتعجبت منه التعجب الصراح، كيف وليس في الباب حديث واحد حسن فضلا عن الصحاح. فتأملت فيها تأمل الناقد البصير، لكي أعلم أنه هل صدق في تلك الدعوى أم كذب كذب المجادل الضرير، فوجدت دعواها عارية عن لباس الصدق والحق المبين، محلاة بحلية الزور والكذب الباطل المهين، فانه ليس فيها من الأحاديث إلا ما أورده التقي السبكي (في شفاء الاسقام) وهي دائرة بين الاحتمالات الثلاثة السقام: أما موضوعة عملتها أيدي الوضاع اللئام، أو ضعاف واهية رواها من وسم بمثل كثرة الغلط والأوهام. أوشيء يسير من الصحيح والحسن في زعمه، قاصر عن افادة المرام، كما بين ذلك كله الإمام أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادى في (الصارم المُنكى) وليس فيها من الآيات والأحاديث الصحاح والحسان ما يدل على المطلوب المحكى.

وكان حقا على المؤلف تعاطي واحد مما يذكر، لئلا يعد كلامه مما يهجر وينكر: أما ايراده لأحاديث صحيحة أوحسنة دالة على المطلوب غير ما أورد في الشفاء أو الاجابة عما تكلم به عليها صاحب الصارم وغيره من الأئمة الأذكياء. وإذ لم يفعل هذا ولا ذاك فليس لها فائدة ولا يؤول هذا الطول إلى منفعة وعائدة.

ومن عجائب صنيعه أن المؤلف مع زعمه أنه من جملة المقلدين، يستدل بالأدلة الشرعية وهومنصب المجتهدين. فعن لي أن أنبه على ما وقع فيه من مساوىء المفاهيم وزخارف الأقوال، وأراجيف الاستدلال، لئلا يغتر بها من يقف عليها ممن لا خبرة له بحقائق علم السنة من المتون والرجال[1].

ثم صار يورد جملة من كلامه وبعدها يقوم بردها وبيان زيفها. ولقد انتصر للشيخ المظلوم، وذب عن عرضه، ونصر التوحيد بحجته ومنطقه وآزر الحق بدلائل القرآن والسنة، وكل ذلك بأسلوب العالم المنصف، قال عنه محمد رشيد رضا: (ومن فضائل هذا الكتاب ومؤلفه علو أدبه في عباراته، وتحاميه المبالغة في ذم المذموم، ومدح

(١) صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان، ص، ص ٢٥، ٢٦.

الممـدوح، فهـو لا يطـرى الامام المجدد الذى يدافع عنه، ولا يهجو المتجرم الذي يرد عليـه هجـوا شعـريـا يدخـل في مفهوم السباب المذموم وان كان جزاءا وفاقا، ومقابلة للسيئـة بمثلهـا فتراه يقـول في كل فريـة من مفترياته على الشيخ نفسه، أونقوله غير المسندة: هذا قول لم تصح به رواية فليأتنا بروايته وما قيل في تعديل رواتها لنجيب عنها.

وجملة ما يقال في هذا الكتاب أنه ليس ردا على الشيخ دحلان وحده، ولا على من احتج بما نقله عنهم من الفقهاء مما لا حجة فيه كالشيخ تقي الدين السبكي والشيخ أحمد بن حجر الهيتمي المكي بل رد على جميع القبوريين والمبتدعين حتى الذين جاءوا بعده إلى زماننا هذا[1].

وفيـما يلي أسـوق مثـالا من كلامـه الـذى ينصر به الحق وهو قوله حين يرد على دحلان في افترائه على الشيخ أنه يكفر الأمة إلا من وافقه قال الشيخ السهسواني:

وأمـا قولـه (فسعى بالتكفـير للأمة خاصها وعامها، وقاتلها على ذلك جملة إلا من وافقـه على قولـه) فهـذه العبـارة تدل على تهور في الكـذب، ووقـاحة تامة، وفي الحديث (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت).

وصـريـح هذه العبـارة أن الشيخ كفر جميع الأمة من المبعث النبوي[2] إلى قيام الساعة، إلا من وافقه على قوله الذى اختص به، وهل يتصور هذا عاقل عرف حال الشيـخ، ومـا جاء به ودعا إليه، بل أهل البدع كالقدرية والجهمية والرافضة والخوارج لا يكفـرون جميـع من خالفهم، بل لهم أقـوال وتفـاصيل يعرفها أهل العلم. والشيخ رحمه الله لا يعرف له قول انفرد به عن سائر الأمة، ولا عن أهل السنة والجماعة منهم، وجميـع أقـوالـه في هذا البـاب ـ أعني ما دعـا إليه من توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العمـل والعبـادات ـ مجمـع عليه عنـد المسلمـين، لا يخالف فيـه إلا من خرج عن سبيلهم، وعـدل عن منـاهجهم، كالجهمية والمعتزلة، وغلاة عباد القبور، بل قوله مما اجتمعت عليـه الـرسل، واتفقت عليه الكتب، كما يعلم ذلك بالضرورة من عرف ما

---

(١) مقدمة محمد رشيد رضا لكتاب: (صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان) ص، ص ١٦، ١٧.

(٢) قال محمد رشيد رضا فى تعليقه: وزعم غير هذا المعترض أنه كفر الأمة منذ مئات من السنين، لا من أولهـا كما اقتضـاه اطـلاقه، بل منذ فشا فيها تشييد القبور، وبناء المساجد عليها، والطواف بها، ودعاء الموتى، فإن هذا لم يكن فى القرون الأولى ولكن الحق الواقع أن الشيخ لم يكفر الأمة كلها فى زمنه، فضلا عما قبله، وإنما كفر من أشرك بالله بغير عذر الجهل. وهو كما قال.

جاءوا به وتصوره، ولا يكفر إلا على هذا الأصل، بعد قيام الحجة المعتبرة، فهو في ذلك على صراط مستقيم متبع لا مبتدع وهذا كتاب الله، وسنة رسوله، وكلام أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل العلم والفتوى معروف مشهور، مقرر في محله، في حكم من عدل بالله وأشرك به وتقسيمهم الشرك إلى أكبر وأصغر، والحكم على المشرك الشرك الأكبر بالكفر مشهور عند الأمة، لا يكابر فيه إلا جاهل لا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم وما جاءت به الرسل.

وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف غير واحد من أهل العلم، وحكى الاجماع عليها، وأنها من ضروريات الإسلام، كما ذكره تقي الدين ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن عقيل، وصاحب الفتاوي البزازية، وصنع الله الحلبي والمقريزي والشافعي، ومحمد بن حسين النعمي الزبيدي، ومحمد بن اسماعيل الصنعاني ومحمد بن علي الشوكاني وغيرهم من أهل العلم[١]،[٢].

ويظهر من مطالعة كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، أن مؤلفه الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي، قد وصلته رسائل كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب واطلع على كثير من مؤلفاته ومؤلفات من بعده فهو ينقل عن الشيخ نفسه من كتبه ورسائله وينقل عن المؤرخ ابن غنام من تاريخه روضة الأفهام وينقل عن ابن الشيخ عبد الله وينقل عن حفيد ابنه الشيخ عبد اللطيف[٣].

ولا نغفل ذكر العلامة النواب أمير بهوبال صديق حسن خان، الذى أحيا بمصنفاته السنة، وانتشرت بسببه علومها المولود سنة ١٢٤٨ هـ.، ولما شب تلقى العلم عن شيوخ جهابذة كالشيخ أحمد بن عبد الرحيم المدعوبـ (شاه ولي الله المحدث الدهلوى، والشيخ حسين بن محسن السبعى الانصارى اليمنى تلميذ الشريف محمد بن ناصر الحازمي تلميذ الإمام الشوكاني. والشيخ عبد الحق بن فضل الهندي تلميذ الإمام الشوكاني أيضا[٤]، وهو الذى استدعى الشيخ بشير السهسواني صاحب كتاب

---

(١) قال محمد رشيد رضا يعنى أن هؤلاء وأمثالهم صرحوا بأن ما عليه كثير من المسلمين الجاهلين من عبادة القبور ودعاء الموتى شرك جلى، وأما أصل المسألة فقد أجمع عليها الفقهاء قبلهم.

(٢) صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص - ص ٤٢٦-٤٢٧.

(٣) انظر مثلا: صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص - ص ٤٠٨-٤٢٢ وص - ص ٤٢٣-٤٣١، وص - ص ٤٦٤-٤٨٧.

(٤) ترجمة صديق حسن خان فى أول مؤلفه: الدين الخالص جـ ١ ص - ص ز - ح.

صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان سنة ١٢٩٥هـ. من آكره إلى بهوبال وفوض إليه رئاسة المدارس الدينية في إمارة بهوبال(١).

وكان معجبا بالإمام الشوكاني ومحصلا لمؤلفاته وله كتاب الدين الخالص في التوحيد والتحذير من ضده.

وجرت من بعض مشايخ الدعوة له مكاتبات كالشيخ حمد بن عتيق، فقد أرسل إليه الشيخ حمد رسالة أولها بعد البسملة: (من حمد بن عتيق إلى الإمام المعظم، والشريف المقدم محمد الملقب صديق زاده الله من التحقيق، . . .

وذكر الشيخ حمد أنه وصله تفسيره وأثنى عليه وبين له أمورا لاحظها وهي بسيطة بجانب ما أحسن فيه من تفسيره(٢). ورحل إليه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأخذ عنه في الهند وعن غيره(٣).

كما ارتحل الشيخ اسحق بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ إلى بهوبال وأخذ عن الشيخ محمد بشير السهسواني والشيخ حسين بن محسن الانصارى شيخ صديق حسن خان(٤) وغيرهما في مدرسة بهوبال السلفية تحت رعاية عالمها صديق حسن خان رحمه الله تعالى. وكذلك الشيخ سعد بن الشيخ حمد بن عتيق رحل إليهم لطلب العلم ولما سألوه عن معتقد مشايخه من أهل بلده أجابهم سنة ١٣٠٢هـ وكتب لهم في ذلك(٥).

وممن ألف في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته من كلية ندوة العلماء بالهند الأستاذ مسعود عالم الندوي وهو من الأحناف في أول أمره وتتلمذ على الدكتور محمد تقي الدين الهلالي من أول سنة ١٣٤٩هـ إلى سنة ١٣٥٢هـ. في الهند ثم في بغداد بعد ذلك التاريخ أقام عند الدكتور الهلالي مدة سنة وبصحبة الأستاذ عاصم الحداد، وكان أحد رؤساء الجماعة الإسلامية التي يرأسها الأستاذ المودودي فسجن معه في الباكستان وبقي سنين في السجن فلم يجد سبيلا إلى التأليف فعكف على نيل

---

(١) صيانة الانسان ص ٢٠ ط ٥ عام ١٣٩٥هـ.
(٢) الدرر السنية جـ ١٠ ص ١١.
(٣) الدرر السنية جـ ١٢ ص ٩٣.
(٤) الدرر السنية جـ ١٢ ص ٨٠.
(٥) طبع تحت عنوان: «عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية» انظر المقدمة ص ٣.

الأوطار للشوكاني فتبين له أن التعصب للمذهب الحنفي من غير حجة لا يرضاه الله ولا يرضاه السلف الصالح ومنهم الإمام أبوحنيفة نفسه فرجع عن التعصب والتزم اتباع الكتاب والسنة[1].

وقد ألف هذا الأستاذ كتابا عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما ذكرنا وعنوانه : محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه باللغة الأردية، وترجمه منها إلى اللغة العربية الأستاذ عبد العليم بن عبد العظيم البستوي وقدم له الدكتور محمد تقي الدين الهلالي فقال فيه : (وإذا كان الفضل في اخراج هذه الدرة الثمينة يرجع إلى تلميذي مسعود عالم الندوي فإن الفضل في اخراجها من عالم العجمية إلى عالم العربية إلى تلميذي عبد العليم بن عبد العظيم البستوي المتخرج في الجامعة الاسلامية)[2].

ويقول المترجم وهوزميلنا عبد العليم عبد العظيم البستوي ما ملخصه: ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب من المجددين المجاهدين، ولذا درست سيرته وتعرفت طريقته في كتب كثيرة ألفت في ذلك فرأيت كتاب الأستاذ مسعود عالم الندوي رحمه الله يمتاز بأنه ألف لنصرة الحق وأداء الواجب والتزم الانصاف فى ما ناقشه من قضايا وبحوث مع الاطلاع على كثير من الكتب حول الشيخ من عربية وأعجمية، وسيجد القارىء في هذا الكتاب سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته وأنها سيرة إسلامية ودعوة إسلامية خالصة وأنها دعوة تحاول أن تعود بالمسلمين إلى الرقي والمجد والازدهار كما كانوا في القرون الأولى. انها دعوة دعا إليها جميع الأنبياء والمرسلين وان محمد بن عبد الوهاب لم يبتدع شيئا من عنده ولا خرج عن عقيدة المسلمين التى اتفق عليها أئمة الإسلام كلهم[3].

وفي الهند جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة يتحدث عنها زميلنا عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي في كتابه بهذا العنوان الذى نشرته ادارة البحوث الاسلامية والدعوة والافتاء بالجامعة السلفية في بنارس بالهند.

---

(١) انظر: مقدمة الدكتور تقي الدين الهلالي على كتاب: محمد بن عبد الوهاب، لمسعود الندوي ص - ص ٧-٨.

(٢) مقدمة الدكتور تقي الدين الهلالي على كتاب محمد بن عبد الوهاب، لمسعود الندوي ص ٨.

(٣) انظر: كتاب محمد بن عبد الوهاب، لمسعود الندوي، كلمة المترجم، ص - ص ١١، ١٢.

وحركة الانطلاق الفكري بالهند وجهود الشاه ولي الله الدهلوي وغيرها من نشاطات إسلامية والجامعة السلفية ببنارس بالهند التى أنشئت في سنة ١٣٨٣هـ. تحت اشراف جمعية أهل الحديث الهندية.

وهذه كلها وان لم تكن قد أخذت عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية مباشرة فهي تلتقي معه في عقيدة السلف الصالح على الأغلب، وهذا ما تحرص على أن تؤكده كتاباتهم ففي كتاب بعنوان حركة الانطلاق الفكري بالهند وجهود الشاه ولي الله الدهلوي تأليف محمد اسماعيل السلفي وتعريب مقتدى حسن الأعظمي: يقولون أن تسمية ما هم عليه بالوهابية كذب محض وافتراء عظيم، فالمركز الرئيسي للوهابيين الحجاز ونجد. ويقولون: إنهم هم الذين أخذوا علم الحديث من الهند أو استفادوا من العلامة حياة السندي والحافظ الشوكاني في الحديث، فكأن الوهابيين أيضا قد أخذوا السلفية من الهند أو اليمن والحجاز(١).

وكانت تطبع بعض مؤلفات الشيخ بالهند وتاريخ ابن غنام، وينتشر هناك ما ينتشر من ذلك ولهذا أثر كبير في بث الوعي الإسلامي السليم والعقيدة السلفية بالهند.

أثرها في مصر:

ونعود من الهند إلى مصر، وما أدراك ما مصر. إذا تذكرنا الحملة المصرية وما أعقبها من ترحيل من قدروا عليه من آل سعود وآل الشيخ من الدرعية إلى مصر بحريمهم وذراريهم ومعهم علمهم وعقيدتهم السليمة، التي لا تزول وان زالت الدولة والرواسي فالعقيدة أمر ثابت يبقى ولا يزيله حتى الموت ومفارقة الروح الجسد سيما إذا كانت عقيدة صحيحة ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومع هذه الحال لابد وأن يظهر أثر العقيدة ونلتمس مما كتبه المؤرخ المصري الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ما يبين أثر هذه العقيدة فنجده ينتقد محمد علي باشا وجميع من شاركه في محاربته، وينتقد احتفالهم الهائل بوصول من قدروا على أسره من أنصار العقيدة السلفية وحملتها: ويقول عن احتفالهم: وكان ذلك من أغرب الأعمال التي لم يقع نظيرها بأرض مصر، وما يقرب من ذلك).

---

(١) نقلا عن مجلة الجامعة السلفية (صوت الجامعة) السنة السادسة العدد الأول شعبان ١٣٩٤هـ. ص، ص ٧٧-٧٨.

إلى أن قال: وقد ذهب في هاتين الملعبتين من الأموال ما لا يدخل تحت الحصر، وأهل الاستحقاق يتلظون من الفشل والتفليس مع ما هم فيه من غلاء الأسعار في كل شيء وانعدام الأدهان.

إلى أن قال: وأعوان المحتسب مرصدون لمن يرد من الفلاحين والمسافرين بالسمن فيحجزونه لمطالب الدولة ومطابخهم ودورهم في هذه الولائم والجمعيات)(١).

وكان قد ذكر زينتهم ووصف اسرافهم وألمح إلى أن معظمها كان حيث مساكن الافرنج والأرمن فانهم تفننوا في عمل التصاوير والتماثيل وأشكال السرّج وغيرها، وذكر أنها ملاهي وأغاني وتسماعات وقيان وجنك رقاصات(٢).

وتظهر العقيدة في مقابلة الباشا المزهو بغرور النصر المؤقت للامام عبد الله المصاب الصابر ويحدثنا عن ذلك الجبرتي فيقول:

وصل عبد الله الوهابي فذهبوا به إلى بيت اسماعيل باشا ابن الباشا فأقام يومه وذهبوا به في صبحها عند الباشا بشبرا فلما دخل عليه قام له، وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه، وحادثه وقال له (ما هذه المطاولة؟) فقال: (الحرب سجال) قال: (وكيف رأيت ابراهيم باشا؟) قال: (ما قصر وبذل همته، ونحن كذلك.. حتى كان ما كان قدره المولى) فقال: (أنا إن شاء الله تعالى أترجى فيك عند مولانا السلطان) فقال: (المقدر يكون..)(٣).

ثم لما قتل الامام عبد الله شهيدا ومن معه قال الجبرتي: (فذهبوا مع الشهداء)(٤) وهذا يعني تأثره بعقيدة السلف الصالح.

وذكر ان ابن الامام عبد الله هو وخواصه ومن معهم نحو أربعمائة نسمة أسكنوا بدور بالقشلة، ولم يكن على ابن الامام هو وخواصه حرج يذهبون ويجيئون ويترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون في الأسواق ويشترون البضائع والاحتياجات.

---

(١) نقلا عن كتاب: من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي تلخيص محمد أديب غالب ص ١٩٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص،ص ١٩٤-١٩٥.

(٤) نقلا عن كتاب: من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي، ص،ص ١٩٧، ١٩٩.

ونجد الجبرتي ينكر بيعهم بعض الأسرى ويقول (هم مسلمون أحرار)[1].
وهذا قديم في أمثالهم فقد باعوا يوسف عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام.
ولعل هذا مما دس على الجبرتي، إذ الحوادث التى جرت أثناء تلك الحروب مشهورة وهذا ليس منها في الشهرة.

وما من شك أن مثل هذه الأمور تبين همجية أعداء السلف الصالح وبعدهم عن الشريعة الإسلامية. وتبين صفاء العقيدة لدى أصحابها ونقاءها حتى في الحالات التى قد ذهب عنهم كل شيء وفسدت دنياهم عليهم هم لا يزالون مشاعل خير وعلامات رشد تدعو إلى عقيدة السلف الصالح ان لم يكن بلسان مقالهم وسلطانهم فبلسان حالهم.

وقد ذكرت قبل قليل كلام أحمد سعيد البغدادي في بحث أثر عقيدة الشيخ السلفية في العراق ومن كلامه ذلك كلامه عن سبب حرب صاحب مصر لهذه الطائفة، وأنه كما ذكره (سيديو) الفرنسي وخلاصته أن انكلترا وفرنسا حين علمتا بقيام محمد بن عبد الوهاب وابن سعود وبانضمام جميع العرب إليهما لأن قيامهما كان لاحياء كلمة الدين، خافتا أن ينتبه المسلمون فينضمون إليهما وتذهب عنهم غفلتهم ويعود الإسلام كما كان في أيام عمر رضي الله عنه فيترتب على ذلك حروب دينية وفتوحات إسلامية ترجع أوروبا منها في خسران عظيم فحرضتا الدولة العلية على حربهم وهي فوضت ذلك إلى محمد علي باشا وحصل ما حصل (ولكل أجل كتاب)[2].

ويؤيد ما أفاد به أحمد سعيد الكاتب الأمريكي لوثروب ستودارد حيث يقول وبدافع من ولائه للصليبية عن محمد علي في حملته المشؤومة على المسلمين ما نصه: (وكان هذا المقدام الألباني سيد مصر وأميرها، واقفا حق الوقوف على قدرة أوربة وشدة بأسها وتفوقها، فدعا إليه ضباطاً من أهل الغرب فنظموا له جيشا قويا، ودربوه تدريبا على الطراز الغربي، وجهز بمعدات الأسلحة الغربية، وكان غالب هذا الجيش مؤلفا من المقاتلة الألبانيين الأشداء، فسرعان ما أجاب محمد علي نداء السلطان فأيقن حينئذ أن الوهابيين على شدة غيرتهم الدينية وحماستهم لن يستطيعوا

---

(١) نفس الهامش السابق: نقلا عن كتاب من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتى ص ١٩٧، ١٩٩.

(٢) انظر: ص ٦٦٠ من هذا البحث.

بعد الوقوف في وجه البنادق والمدافع الأوربية يطلق عيارها جنود مجربون)[1].

ويذكر الأستاذ مسعود الندوي: أن الحكومة البريطانية هنأت ابراهيم باشا على تدميره الدرعية وقضائه على حضارتها[2] وهذا تأكيد على أن عدو عقيدة الشيخ وأنصارها هم أعداء الإسلام والمسلمين.

وها هو الشيخ الجبرتي المؤرخ المصري المشهور يصف ابراهيم باشا بما هو متصف به من صفات يتصف بها كل أضداد السلف الصالح ذوى الإسلام الخالص. فيقول: (ورجع ابراهيم باشا من هذه الغيبة متعاظما في نفسه جدا وداخله من الغرور ما لا مزيد عليه حتى ان المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه والتهنئة بالقدوم عليهم فلما أقبلوا عليه ـ وهو جالس في ديوانه ـ لم يقم لهم ولم يرد عليهم السلام فجلسوا وجعلوا يهنئونه بالسلام فلم يجبهم ولا بالاشارة بل جعل يحادث شخصا سخرية عنده. وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسرين[3].

ولاشك أن مثل هذا يكون حافزا للمتشايخ وغيرهم من أهل مصر أن يعيدوا النظر في عقيدة السلف الصالح التي يحملها من أوفدوا عليهم ويعلموا أن ابراهيم باشا المتسلط إنما احتقرهم لأنه إنما كان قد انتصر على أمثالهم فكيف يهنئونه على ذلك لولا هوانهم عند أنفسهم وقد احتقرهم لأنهم كذلك، وهذا دليل لهم صارخ على أن من حاربهم الباشا من أهل نجد ما حاربهم إلا لأنهم مسلمون من أتباع السلف الصالح من المسلمين وأن نظرته إلى جميع المنتسبين إلى الإسلام واحدة هي نظرة ازدراء

---

(١) حاضر العالم الاسلامي، جـ ٢٦٢/١. وأحب أن أوضح بأنه ليس سبب هزيمة المسلمين، أمام محمد علي هو قدرة أوربة الصليبية وشدة بأسها وتفوقها كما يقول الكاتب الأمريكي لوثروب وغيره ولكنه كما ذكرنا في نهاية البحث في أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في الدور الأول لدولة أنصارها، وخلاصته أنه التغير الذى حصل في نفوس المسلمين عن الاستمساك التام بعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية كما كان عليه الشيخ وأئمة آل سعود وعلماؤ هم فانهم لما كانوا على حالة مستقيمة على عقيدة السلف الصالح نصرهم الله وأعزهم وجعل لهم الغلبة والتمكين كما كان في عهدهم الأول ثم لما حصل ما حصل من التغير تغيرت الأحوال والدولة، قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد: ١٢) وانظر: آية ٥٤ من الأنفال. انظر: ص ص ٥٥٤ ـ ٥٥٨ من هذا البحث.

(٢) انظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه، تأليف الأستاذ مسعود الندوي ص ـ ص ١٥ـ١٥٤.

(٣) انظر: كتاب (من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتى) تأليف محمد أديب غالب ص ٢٠٠، باشراف دار اليمامة ط (١) عام ١٣٩٥هـ.

واحتقار لهم ولما تسموا به من الإسلام فهو قد انتصر عليهم بزعمه وعلى دينهم فلم يبق في نفسه لهم احترام وان كانوا من المشايخ العظام، وأصحاب العلوم والفهوم. وهذا بلاشك يعطي ردود فعل متعاطفة مع أبناء الشيخ العلماء وسائر حملة عقيدة السلف الصالح خصوصاً الذين نقلهم الباشا إلى مصر، ويكون له دور كبير في التأثير، ومؤشره تأثر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي رحمه الله تعالى والذى ألمحنا لطرف منه هنا.

ونورد ما ذكره عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ في تعليقه على عنوان المجد من أسماء آل الشيخ الذين نقلهم الباشا إلى مصر، فيقول ما خلاصته ان ابن بشر لم يذكر في تاريخه أسماءهم مع أنهم محدودو العدد ومشهورو الأسماء بل هم قادة الدعوة وزعماء الاصلاح في ذلك الوقت ولمزيد الفائدة نذكر أسماءهم فهم: الشيخ عبد الله بن الشيخ وصحبته حرمه وابنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله، والشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد وصحبته حرمه وابنه الشيخ عبد اللطيف، وكان عمر الشيخ عبد اللطيف ذلك الوقت لا يزيد عن ثمان سنوات. والشيخ علي بن الشيخ محمد، والشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد. هؤلاء هم الذين نقلهم الباشا إلى مصر، فأما الشيخ عبد الرحمن بن حسن فمكث بمصر ثمان سنوات ثم رجع إلى الرياض بعد تولي الإمام تركي بن عبد الله الحكم بسنة أي سنة ١٢٤١هـ. وأما ابنه الشيخ عبد اللطيف فبقي بمصر واحدا وثلاثين عاما ثم رجع إلى الرياض في ولاية الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٦٤هـ[١]. وأما الشيخ عبد الله بن الشيخ فتوفي بمصر سنة ١٢٤٢هـ[٢].

ويقول ابن بشر: (وكان لعبد الله المذكور ابن اسمه عبد الرحمن جُلب معه إلى مصر وهو صغير وذكر لي أنه اليوم في رواق الحنابلة في الجامع الأزهر وعنده طلبة علم وله معرفة تامة ودراية عظيمة[٣]. ولعل ذلك من عوامل نشر عقيدة السلف الصالح واقامة الحجة بها وكذا الشيخ علي بن الشيخ فقد توفي بمصر في سنة ١٢٤٥هـ. على أغلب الظن كما يقول عبد الرحمن بن عبد اللطيف[٤].

---

(١) هامش عنوان المجد فى تاريخ نجد، تأليف عثمان بن بشر، تحقيق وتعليق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩٤هـ. ص ٢٨٦.

(٢) الدرر السنية ١٢/٤٥ ومشاهير علماء نجد ص ٤٩.

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد ١/٩٣، وط المعارف سنة ١٣٩٤هـ. ص، ص ١١٨، ١١٩.

(٤) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٥١ وانظر الدرر السنية ١٢/٤٧.

وكـذلـك الشيـخ ابـراهيم بن الشيـخ فانه توفي بمصر ولم يقف ابن قاسم على تاريخ وفاته لكنه كان موجودا سنة ١٢٥١هـ. في مصر[1]. ووجود مثل هؤلاء المشايخ إلى هذا الزمن في مصر، واحتكاكهم بطلبة العلم والمشايخ والعلماء سيكون له أثر في نشر عقيدة السلف الصالح وهم أبناء الشيخ المشهود لهم بالعلم والتحقيق كما قال الحفظي :

أولاده مشـايـخ الـتـحـقـيـق وسـدرة في منـتـهـى الطـريـق [2]

وعلى كل حال فالأثـر لم يبـد بارزا حتى أعاد الله الكرة لعقيدة السلف الصالح بالإمام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل. عندئذ وجدنا مطبعة المنار بمصر، ومجلة المنـار بمصـر وصـاحبهـا محمـد رشيد رضا، يقبل الخير ويتجاوب مع الملك عبد العزيز في نشر مؤلفات وآثار علماء الدعوة وعلى رأسهم الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب.

فهـذه مجمـوعة الرسائل والمسائل النجدية أربعة مجلدات كبار وغيرها وكثير من كتب السلف الصـالـح في الفقـه والتفسـير والحديث وغير ذلك بلغ المجلدات الكبار وبلغ قدرا كبيرا من ذلك كان له أثر كبير في بث الوعي بين المسلمين ونشر ضالتهم من الحق في تلك المؤلفـات السلفيـة ومحمـد رشيـد رضا يخدمها بالتعليق والاشراف على طبعها وكانت له مواقف حميدة وكتابات منصفة وبيانات للحق ناصعة في مجلته الكبيرة مجلة المنار التى بلغت ما يربو على عشرين مجلدا واستمر صدورها سنين عديدة وكان ينشـر دفـاعـا مجيـدا عن دعـوة السلف الصـالح، وما يدفعه إلى ذلك إلا تأثره بعقيدة السلف الصالح وتطلعه إلى نهضة المسلمين إذا استيقظوا من غفلتهم إلى دينهم بهذه العقيـدة السليمـة ومن كتاباته أجد بين يدي طائفة من المقالات نشرت في مجلة المنار، وجريدة الأهرام جمعت وأصدرت بعنوان: «الوهابيون والحجاز» وكانت طبعتها الأولى سنـة ١٣٤٤هـ. وأصبحت كتـابـا بذلـك العنـوان ويضم من الأبحاث أضواءاً على حقيقة العقيدة السلفية،مثل تسجيله: شهادة التاريخ للوهابيين، وبيان عجز الشريف الحسـين عن القيـام بعقيـدة السلف الصـالـح وأنه والى الأجانب على العرب وجعل الحجـاز دولـة حربيـة ونفسـه ملكـا للعرب وعزم على اخضاع نجد واليمن بالقوة مع

---

(١) الدرر السنية ١٢/٤٦.
(٢) الدرر السنية ١٢/٤٧.

عداوتـه لابن سعـود وطعنـه في عقيدته السلفية مما جعلها الله أسبابا لزحف ابن سعود على الحجـاز وتمكينـه من ولايتـه وتطهـيره ثم شخص السبب لعـداوة أشـراف مكـة المستـولـين عليهـا لأهـل نجد عن مؤرخ مصري ، وأنه ليس السبب في غير العقيدة ، فأهـل نجـد يعتقـدون عقيـدة السلف الصالح ، وأولئك على خلافها ، ثم ذكر أشهر وقـائـع تعدى أهل الحجاز على النجديين ومنها منعهم من الحج ودسائس الشريف في نجد واغراؤ ه جيرانها بها واحباطه مؤتمر الكويت[1] والوثائق الرسمية لنجد على أهل الحجاز ثم يتحدث عن صبر سلطان نجد وأنه صبرَ لم يعهد له نظير من قوى يعتدى عليه دينيا ودنيويا حتى علم هووأمته بعد التر وى واستفتاء العلماء أن انقاذ الحرمين من الحسـين واجب شرعـا ولـو لم يكن لذلـك موجب إلا منـع أهل نجد من الحج لكفى . ويقـول محمـد رشيـد رضا فكيف إذا أضيف إلى ذلك سائر ما أشرنا إليه فيما أجملناه في الأهـرام وفصلنـاه في المنـار من إلحاده بالظلم لأهل الحرمين والحجاج ، وادخاله للنفوذ الأجنبي في البـلاد وخطـره على الأمة العربية وما بقي لها من البقعة الصغيرة المستقلة في جزيـرتهـا وتكفـيره للترك وللمصـريـين كالنجديين ثم تنحله منصب الخلافة . أما السلطـان عبـد العزيز ففي تصريحه نص قطعي باعتر افه هووعلماء بلاده بإسلام جميع الشعـوب الإسـلاميـة والرغبة في التعارف والتواد معها وبأن هؤ لاء الأمراء الحجازيين ورثوا عن سلفهم تكفير النجديين والطعن فيهم والتنفير منهم .

وقـال محمـد رشيد : وقد استفتينا واستفتى غيرنا في شأن هذا الباغي الشريف حسـين في سنـة ١٣٤١هـ . فأفتى بعض علماء الأزهـر بأنـه من البغاة المتغلبين الذين يجب قتالهم على امام المسلمين وكتبنا فتوى مطولة نشرناها في المنار الذى صدر في ذى الحجة من تلك السنة جـ ٨ م ٢٤ ص ٥٩٣-٦١٦ ونشرناها في جريدة الأهرام أيضا أجملنـا فيهـا صفـاتـه وجنـايـاتـه ، ولكننا استدركنا على من جعل حكمه حكم البغاة متسائلين أين إمام المسلمين الأعظم الذي يجب عليه قتاله؟؟ ثم بيَّنا أن انقاذ الحرمين من بغيـه وظلمـه يجب على كل من يقـدر عليـه من جماعـات المسلـمين وأمرائهم وأن أقدرهم على ذلك سلطان نجد وإمام اليمن وذكرنا ما يقال في المانع المشترك لهما من

---

(١) انظر: الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت، ١٣٤٢هـ =١٩٢٣-١٩٢٤م، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠١هـ، اعداد موضي بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود، ط ١ عام ١٤٠٢هـ. نشر مؤسسة تهامة جدة.

ذلك وهو الخوف أن يفضى إلى تدخل الانكليز في الحجاز لأنه جعله تحت حمايتهم[1].

وفي مقالة لمحمد رشيد يبين نهضة الوهابيين كما يسميهم بالاصلاح وما آلوا إليه وأن آل سعود أهل نهضة اصلاحية اسلامية وخصوصا السلطان عبد العزيز، السلطان العامل الصامت بخلاف ملوك الدعاية القوالين ثم كتب ملخصا لسيرة السلطان ابن سعود وملخصا لسيرة الشريف. ورد على الدعايات الكاذبة[2]. إلى آخر ما كتب وبين فكان لكتاباته أثر في تنبيه المصريين خصوصا والمسلمين عموما إلى رشد حملة عقيدة السلف من أهل نجد وصحة عقيدتهم، وانه لأثر كبير لاشك فيه، سيما والشيخ محمد رشيد رضا عالم محقق يأمر بالسنة وينهى عن البدعة خصوصا بدع القبوريين في العبادة كما في مقالاته هذه ويقصد نهضة المسلمين جميعا ويهدف لمصلحتهم، ومحمد رشيد رضا حين يدعو للملك الإمام عبد العزيز وللعلماء الذين معه، يعلم أن عقيدتهم السلفية هي الأصلح للمسلمين عامة. ويقول الشيخ محمد رشيد رضا في رسالته التى بعنوان: (السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة):

(ولما رأيت ما رأيت من سوء أمر مؤتمر النجف لشيعة العراق، ومن أمارات نشر الالحاد في ايران والأفغان، ومن تجديد الشيخ العاملي في تواليفه والشيخ عارف الزين في مجلته ألطعن في السنة، وتنفير المسلمين من دولتها الوحيدة في اقامتها ونصرها، ومن بث الرفض والخرافات بين المسلمين، رأيت من الواجب عليَّ أن أظهر للمسلمين ما يخفى على جمهورهم من الحقائق التى لم يكن العاملي ولا الزين يعلمان بوقوفي عليها، لعلهما يفيئان إلى أمر الله، فكتبت الفصول الآتية بهذه النية).

وتشير الرسالة إلى أن العاملي المسمى محسن الأمين وهو الرافضي المتعصب ألف كتابا استغرق خمسمائة صفحة، جعل عنوانه (الرد على الوهابية). ودس فيه ما يبغى من الخرافات القبورية والرفضية، والطعن في حكم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وعلى ابن تيمية وابن عبد الهادي والشيخ محمد بن عبد الوهاب ويرد الشيخ محمد رشيد بقوله: (أقول: أولا: إن الوهابية يدعون بحق أنهم

(١) انظر: ص ـ ص ٤٠ـ٤١ من الكتاب المذكور.
(٢) انظر: كتاب «الوهابيون والحجاز» ط ١٣٤٤هـ.

موحـدون وحـامون لحمى التوحيد من تطرق الشرك، وكان يدعي هذه الدعوى بحق قبلهم شيخ الإسلام يعني ابن تيمية.

ثانيـا : أن الـوهـابية لم يدعوا أنهم هم الموحدون وحدهم وأن غيرهم من جميع المسلمين مشركون كما افترى عليهم هذا الرافضي المتعصب وغيره، بل لم يدعوا أنهم فرقة أو أهل مذهب مستقل. . . وإنما يقولون كما يقول غيرهم من العلماء بتوحيد الله الذى دعت إليه جميع رسله)[1].

ويأتي من بعـد المنـار وصـاحبـه، جماعـة أنصار السنة المحمدية ورئيسها محمد حامـد الفقى ومطبعتهم، فقـد كان لهم دور في بث العقيدة السلفية ونشر كتب عقيدة السلف الصـالـح وبيـان الحق والـرد على طوائف الصوفية المنحرفة عن السنة، وكان لرئيس جماعـة أنصـار السنـة المحمـدية الشيخ محمد حامد الفقي نشاط خاص في هذا المجـال ولـه كتـاب سماه أثـر الـدعـوة الوهابية في الاصلاح الديني والعمراني في جزيرة العـرب وغـيرهـا كتبـه وتحـدث به في نادي جماعـة أنصار السنة المحمدية بمصر وهذا النـادي يحضـره كثـير من المصـريـين وغـيرهم وقـد نفع الله به وطبع عام ١٣٥٤هـ. بمطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر، وقال الشيخ محمد حامد الفقي في مقدمته: أمـا بعـد فهـذ نبـذة لطيفـة في بيـان حقيقة الدعوة الوهابية وإمامها وشيعتها وأنصارها وقصة ازاحة الأوهام وابطال الأكاذيب التى نسجت حولها. وذلك للتخبط الكثير من الناس في شأنها[2]. وغيرهما، ويتعاون معهم في نشر عقيدة السلف الصالح بدافع من إيمانه وإيمان جماعته بسلامة منهجهم.

ونـذكـر من أبـرزهم شيخنـا الـدكتـور محمد خليل هراس فقد كتب عن منهج الشيخ وأنصاره وسمى ما كتبه: الحركة الوهابية وهو رد على مقال للدكتور محمد البهي في نقـده للوهـابيـة وطبعتـه الجـامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٦هـ. وقال في مقـدمتـه ما ملخصه: لأستاذنا الدكتور محمد البهي كتيب نشرته (دار الفكر ببيروت) عالج فيه الفكر الاسلامي في أدواره وعقد فيه فصلا عن الحركة الوهابية وملأه بمزاعم لا تتفق مع الحق، ولا سند لها من الواقع، ونقدها نقدا جانب فيه الانصاف ولم يراع فيه موازين البحث العلمي[3].

---

(١) نقلا عن كتاب انتشار دعوة الشيخ. . . تأليف محمد كمال جمعة ص ١٦٩.

(٢) أثر الدعوة الوهابية، لمحمد حامد الفقى ص ـ ص ١-٢.

(٣) الحركة الوهابية بقلم الدكتور محمد خليل هراس ص ٧.

ثم إنَّ الدكتور الهراس نقض نقده ورد عليه ردا منصفا أجاد فيه وأفاد رحمه الله تعالى .

ولا ننسى محمد منير بن عبده آغا النقلى الدمشقي الأزهري : صاحب «دار الطباعة المنيرية» في القاهرة . تفقه في الأزهر سلفيا وأصبح من علمائه . وأنشأ دار الطباعة المنيرية (١٣٣٧هـ) ونشر كثيرا من المصنفات القديمة والحديثة . وصنف كتاب : نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية ـ مطبوع أنجزه في شعبان ١٣٥٨هـ . وله (ارشاد الراغبين في الكشف عن آى القرآن المبين) مطبوع وتوفي بالقاهرة[١]، وله المجموعة المنيرية وهي مجموعة رسائل سلفية لشيخ الإسلام ابن تيمية والصنعاني والشوكاني والصابوني وأبو محمد الجويني وغيرهم . وسماها المجموعة المنيرية وله عليها تعليقات وقد خدم كثيرا من رسائل السلف خاصة ومؤلفاتهم ، ومن ذلك مجموعة بعنوان : (الأصول الثلاثة وأدلتها ويليها شروط الصلاة وواجباتها وأركانها ، والقواعد الأربع للشيخ محمد بن عبد الوهاب علق عليها وصحح أصولها وكساها حواشي مفيده محمد منير الدمشقي ، طبعت في القاهرة ، إدارة الطباعة المنيرية بلا تاريخ[٢] ومنها : كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب نشر المكتبة القيمة ، بمباى والقاهرة، دار الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٤هـ[٣]. ومنها : كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب علق عليه وصححه محمد منير الدمشقي ، وفي ذيله نبذة في الحث على اتباع الكتاب والسنة والعمل بهما للمعلق طبع القاهرة في إدارة الطباعة المنيرية ، سنة ١٣٥١هـ[٤].

وفي مقدمة الأصول الثلاثة وأدلتها يقول الشيخ محمد منير عبده أغا الدمشقي الأزهرى بعد الثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ . أما بعد :

سألني كثير من أهل العلم والمعرفة أن أطبع رسالة الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في الأصول الثلاثة وأدلتها وشروط الصلاة وواجباتها وأركانها وأنشرها بين المسلمين لاسيما العوام منهم لينتفعوا بها ويعملوا بأحكامها ، وهى سهلة

(١) الأعلام للزركلي، ط ٤ جـ ٧ ص ٣١٠ .
(٢) آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب سجل ببليوجرافي مادة رقم ١٨ ص ٢٥ ومادة رقم ٥٢ ص ٣٠ .
(٣) المرجع السابق مادة رقم ٩٧ ص ٣٦ .
(٤) المرجع السابق مادة رقم ١٩٦ ص ٤٩ .

موجزة صحيحة على مذاهب أهل السنة والجماعة فأجبتهم لذلك[1].

كما نذكر المطبعة السلفية ومكتبتها وصاحبها محب الدين الخطيب، وقد طبعت كثيرا من كتب السلف الصالح مع التحقيق والعناية من ذلك طبعهم لمجموعة التوحيد النجدية وعنايتهم بها، ولازالت حتى بعد وفاة مؤسسها تحت اشراف ابنه قصي.

وكذلك مطبعة المدني المؤسسة السعودية في مصر وغيرها من المطابع التى تطبع آثار الشيخ ومؤلفاته وسائر مؤلفات السلف الصالح مما يكون له تأثير في نشر العقيدة السلفية.

وما يزال مدد تأثير عقيدة السلف الصالح في زيادة واستمرار خصوصا لما نهضت المملكة بالتعليم واستوفدت مدرسين من مصر لجامعة الإمام محمد بن سعود والجامعة الاسلامية، وغيرهما من جامعات المملكة فإن هؤلاء الأساتذة يعودون بانطباعات ومشاعر يحملونها ويبثونها في مجتمعاتهم وهذا ليس خاصا بمصر غير أنه في مصر أكثر ظهورا، ونذكر على سبيل المثال أستاذا زائرا بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية في العام الجامعي ١٣٩٥-١٣٩٦هـ. وهو المستشار عبد الحليم الجندي، والرئيس السابق لادارة قضايا الحكومة في جمهورية مصر العربية ورئيس لجنة تجلية مبادىء الشريعة الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وعضو بالمجلس الأعلى لرغاية الفنون والآداب، جاءنا زائرا ثم عاد يخرج كتابا اسمه (الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي) يقول في مقدمته :

ومن أجل الاعتبار بما صنعه ابن عبد الوهاب وحاجة العصر الحالي إلى التأسي بكل كلمة قالها وكل صنيع صنعه وضع هذا الكتاب، ليذكر كل ذى بصر أن صفحات هذا التاريخ العظيم تتكرر ويعني تاريخ الإسلام إلى أن قال:

(بهذا أصبحت المملكة العربية السعودية دولة رائدة في المجتمع العالمي، معلمة للمجتمع الإسلامي، بانتصار الشريعة على الجريمة والرذيلة والتواكل والجهل والفشل بسيادة العدالة والطمأنينة وانتشار الجامعات وازدهار الأخلاق الرغيبة والائتمار

---

(١) ص ٢. ضمن مجموعة تضم الأصول الثلاثة وأدلتها وكتاب التوحيد والأربعين النووية وغيرها. مطابع الاشعاع - الرياض.

بالمعروف والتناهي عن المنكر. وبهذا قامت جماعة إسلامية حقا هي آدى للأمانة وآكد في التعـامـل، وأبعد من التبذل، وأصون للحرمات، تتواصل فيها الطبقات وتكدح، وتجـد وتجتهـد، وتثبت لعـالم تتخاذل دوله، وتتسلل شعوبه أن العذاب يحل بالأمم من أنفسها، ولا يصيب الذين ظلموا خاصة، وأن الله صادق وعده ناصر جنده، وان غبي عن ذلك عبدة القوة أو المادة، أو عمي الآخرون عن رؤية الواقع)[1].

---

(١) انظر تقديم كتاب: الامام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي ص ٨-٩.

حول مايقال في تأثر بعض الحركات والدعوات بعقيدة الشيخ السلفية

وما قيل من تأثر بعض الحركات والدعوات في خارج سلطان أنصار عقيدة الشيخ مثل حركة السنوسي في ليبيا وحركة أحمد بن عرفان في الهند، وحركة الفرائضيين في الهند، وحركة نزار علي في الهند أيضا، وحركات البدري الثلاث في أندونيسيا، وحركة الاخوان المسلمين، وبعض دعاة في البلدان قيل إنهم تأثروا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثل الشيخ محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، والجمعية الشرعية في مصر، وما قيل أيضا أن الثورات التى انطبعت بطابع ديني تأثرت بدعوة الشيخ كالثورة المهدية في السودان وثورة ايش محمد كول في التركستان، وما قيل من أن اصلاح سلطان المغرب المولى سليمان بن محمد في المغرب، وعبد الحميد بن باديس في الجزائر، قد تأثروا بدعوة الشيخ[1]، كل ذلك يحتاج إلى دقة وتحقيق ودليل يثبت أن هذه الدعوات والحركات تأثرت بعقيدة الشيخ وحركته ودعوته وقيام أنصاره.

---

(١) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الاسلامي رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة، ص - ص ٤٣٩-٤٩١. وكتاب انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، تأليف محمد كمال جمعة، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز وطبع على نفقة وزارة التعليم العالى ص - ص ٩٧-١٠٥ وص ٢١٣-٢٢٠ وص - ص ٢٢٣-٢٢٥. الفصول: الثالث والرابع، والخامس، والسادس، والسابع، والثامن. وكتابات الدكتور محمد عبد الله ماضي أستاذ التاريخ بكلية أصول الدين فى حاضر العالم الاسلامي، النهضات الحديثة في جزيرة العرب.

في المملكة العربية السعودية ص - ص ٦٢-٧٠ ط ٢ عام ١٣٧٢هـ الحلبي.

وانظر: بحث الدكتور محمد سلام مدكور من مصر ص، ص ١٦-٢١ وبحث الدكتور وهبه مصطفى الزحيلي من الشام ص، ص ٢١-٤١. وبحث عبد الفتاح مقلد الغنيمي، عن غرب أفريقيا ص، ص ٣-١٩. وبحث أنور الجندى عضو المجلس الأعلى للشئون الاسلامية القاهرة ص، ص ٢، ٤-٩. وبحث الدكتور عبد الحليم عويس ص ١٤-١٩، ٢٠-٣١. وبحث الشيخ عطية محمد سالم ص - ص ١٤-١٦، ٢١-٢٢، ٣٥-٣٦. وبحث الدكتور مصطفى محمد سعد هرجس ٨، ١٦-١٧، ١٨. وبحث الدكتور محمد السعيد جمال الدين بعنوان دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأصداؤ ها فى فكر محمد اقبال وكل هذه البحوث قدمت لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب فكتبت على الآلة وجمعت فى مجلد سمى: (تأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ثم وزع على المشاركين في المؤتمر وبعض الحضور والمدعوين وهو المنعقد فى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في ٢١/٤/١٤٠٠هـ.

وأغلب ما تعتمد عليه هذه الأقاويل على مصادر غربية بعيدة معادية لا دقة لديها ولا تحقيق، ولكن تعتمد على الظنون وما تريده من تشويه للصورة الصحيحة حتى لا يفهم الناس الحقيقة.

والحقيقة أن هذه الدعوات والحركات والثورات نابعة من أهلها، وهم بأنفسهم لا يذكرون انهم من أتباع الشيخ ولا أنهم تتلمذوا عليه أو قرأوا كتبه ومؤلفاته وأرادوا تطبيقها ولا أحد يثبت ذلك فيذكره، بل إن هؤلاء لا يعترفون بهذه التبعية، ولا بالتأثر به. وربما أن أكثرهم لا يعرفه إلا عن طريق أعدائه ودعاياتهم الكاذبة وبصورة مشوهة غير حقيقية، أو يعرفه بعضهم ولكن لا يعترف بطريقته السلفية وان كان ينتسب إلى السلف، كما هو شأن الأشعرية والصوفية وأهل الكلام وأهل السياسة الدنيوية التي تريد العلو في الأرض والرئاسة أو تريد الدنيا ولا تريد الآخرة.

فكل هذه المذاهب وما كان على هذه الشاكلة لا تعترف بعقيدة السلف الصالح وهي العقيدة التي يعتقدها الشيخ. فأصحابها يخالفونها في كثير أو قليل والأمثلة على ذلك كثيرة فهذا السنوسي قد سئل عنه أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمهم الله فقال السائل السنوسي المغربي مصنّف السنوسية المعروفة بعلم الصفات فهل تنقمون عليه شيئا من ذلك؟ الخ. فكان جوابهم أن السنوسي ليس من أئمة السنة والجماعة فإن أهل السنة والجماعة هم الذين نعتهم النبي ﷺ لما ذكر أن (بنى اسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) قالوا ما هي يارسول الله؟ قال: (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)[1] والسنوسي المذكور صنف كتابه أم البراهين على مذهب الأشاعرة وفيها أشياء كثيرة مخالفة ما عليه أهل السنة، فإن الأشاعرة خالفوا ما عليه السلف الصالح فى مسائل، منها: مسألة العلو، ومسألة الصفات، ومسألة الحرف والصوت. الخ جوابهم[2].

وبعضهم الآخر في نصوص الصفات سلك مسلك من يفوض المعنى والكيف ولا يقول بأن، المعنى معلوم والكيف مجهول إذ لا فرق عنده بين المعنى والكيف، ثم صحح مذهب الخلف أهل التأويل المذموم وهو صرف اللفظ عن معناه الراجح من

---

(١) سبق تخريجه في ص ٢٠٣ من هذا البحث.

(٢) الدرر السنية جـ ٣ ص ١٩١.

ظاهره إلى المعنى المرجوح بحجة فرارهم من التشبيه والتمثيل وهم قد وقعوا في شر مما توهموه وفروا عنه، ورجح مذهب أهل التفويض وجعلهم هم السلف[1]، ولم يذكر مذهب السلف الصحيح الذى عبر عنه الإمام مالك حيث قال: (الاستواء معلوم والكيف مجهول، ففرق بين المعنى والكيف وأن المعنى معلوم والكيف مجهول)، وكذلك الإمام الطحاوي قال العلم علمان علم موجود وعلم مفقود[2]، فالموجود علم المعنى والمفقود علم الكيف في باب صفات الله المقدسة.

وقد رد الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ قول من قال في وسيلة دعوته الله وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة التى لا يعلمها إلا أنت فقال الشيخ عبد الرحمن: اعلم أن الذي لا يعلمها إلا هو كيفية الصفة، وأما الصفة فيعلمها أهل العلم بالله كما قال الإمام مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول) ففرق هذا الإمام بين ما يعلم منه معنى الصفة على ما يليق بالله فيقال استواء لا يشبه استواء المخلوق ومعناه ثابت لله كما وصف به نفسه، وأما الكيف فلا يعلمه إلا الله فتنبه لمثل هذا فالإمام مالك تكلم بلسان السلف[3].

ويدعي هذا البعض من أولئك الدعاة أن في نصوص الصفات ما يوهم التمثيل والتشبيه[4]. بينما أنه ليس في نصوص الصفات ما يوهم ظاهره اللائق بالله تعالى تمثيلا أوتشبيها، ومن توهم شيئا من ذلك فهو لأنه لم يعط النص حقه من التأمل والتدبر وإمعان النظر، ولو فعل ذلك لم يجد في ظاهره اللائق بجلال الله تعالى ما يوهم تمثيلا أو تشبيها وحاشا أن يكون ظاهر كلام الله وكلام رسوله يوهم ذلك، والسلف والأئمة لم يكونوا يتوهمون أن ظاهرها التمثيل ولا يرضون بذلك كما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية[5] وعلى ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسائر السلف الصالح.

وفي تعاليمهم أن أركان بيعتهم عشرة أولها الفهم ويريدون بالفهم أن يفهم

---

(١) انظر: العقائد، للامام الشيخ حسن البنا، ص ـ ص ٧٠ـ٧٨.

(٢) انظر: العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق محمد ناصر الدين الألباني ص ٣٤.

(٣) الدرر السنية، جـ٣ ص ٢٩٩.

(٤) انظر: العقائد، للامام الشيخ حسن البنا، ص ـ ص ٧٤ـ٧٥.

(٥) انظر: التدمرية، القاعدة الثالثة ص ٢٧ ضمن مجموعة نفائس.

الإسلام في حدود ما يسمونه بالأصول العشرين وفي أكثرها نظر. ومن ذلك تأصيلهم أن الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء وهو مادة وثروة أو كسب وغنى وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة كما هو عقيدة صادقة وعبادة[١].

وهذه كلمات مجملة غامضة يدخل فيها ما هو من الإسلام وما ليس منه، ولا يفهم منها تحديد للمقصود كما يفهم من تعريف السلف الصالح للإسلام وعلى رأسهم رسول الله ﷺ فلما سأله جبريل عن الإسلام قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله الحرام ان استطعت إليه سبيلا[٢].

وقال ﷺ بنى الإسلام على خمس (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام)[٣].

ولما كان أصل هذه المباني هو شهادة أن لا إله إلا الله كما بين الرسول ﷺ ذلك حين بدأ بها وحين بعث معاذا إلى اليمن أمره أن يبدأهم بها وقد ذكر ذلك البخاري في أول كتاب التوحيد من صحيحه لذلك قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب (الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله وهو ثلاث مراتب الإسلام والإيمان والإحسان وكل مرتبة لها أركان فأركان الإسلام خمسة ...) الخ[٤].

ويرون الاستعاذة بالمقبورين ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم. وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر[٥] بينما هي شرك ينقض الإسلام وليست مجرد كبائر ومبتدعات على المصطلح في مفهوم الكبائر والمبتدعات التى لا تخرج من الملة، وهكذا.

---

(١) رسالة التعاليم، للامام الشيخ حسن البنا ص ٣.

(٢) انظر: صحيح البخارى، كتاب الايمان، باب ٣٧، ٣٤، وكتاب الشهادات باب ٢٦ وتفسير سورة ٣١ ... وصحيح مسلم، الايمان ٥، ٧، ٨ وغيرهما.

(٣) انظر: صحيح البخارى، كتاب الايمان باب ١، ٢ تفسير سورة ٢، ٣٠ وصحيح مسلم، الايمان ١٩-٢٢ وغيرهما.

(٤) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٨٩ وما بعدها.

(٥) رسالة التغاليم للامام الشيخ حسن البنا ص ٦.

لا يركزون في دعوتهم على ابعاد الناس عن الشرك مثل دعاء غير الله والنذر له طلبا للنفع ودفع الضر ليصححوا التوحيد وهو أول شيء ولكن يركزون على الحاكمية تركيزا جعل دعوتهم أشبه بدعوة سياسية تطلب الحكم بينما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تتركز على أنه لا يدعى إلا الله ولا يذبح إلا له ولا يصرف شيء من أنواع العبادة المشروعة لغيره فهي دعوة توحيد الله بالعبادة التى شرعها الله لرسوله ﷺ ولاتباعه. ثم طلب من الأمير الموهوب ملكات الامارة أن ينصر ذلك. وبين له أن الدولة والملك ثواب لمن نصر ذلك لا أن الإسلام هو الدولة كما توهمه تعاليمهم بأن الإسلام دولة ووطن أو حكومة وأمة.

وضياع الحكومة والملك من المسلمين إنما يكون عقوبة للتفريط منهم بدينهم فإذا عادوا إلى حفظ دينهم وصححوا توحيدهم عاد الله عليهم بالعز والتمكين، كما في حديث ابن عباس (احفظ الله يحفظك) فمشكلة المسلم ليست في نزع الملك من يده وإنما مشكلة المسلم هي عدم تصحيحه شهادة أن لا إله إلا الله فإذا صححها وعمل بمقتضاها وصبر على ذلك ملكه الله بها العرب ودانت له بها العجم والله أعلم.

وهذا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد التى ألفها لا يذكر تعريف التوحيد الذى هو حق الله على العبيد حين أراد أن يعرف علم التوحيد ويبين معناه وقد استدرك عليه تلميذه محمد رشيد رضا فقال: (فات الأستاذ أن يصرح بتوحيد العبادة، وهو أن يعبد الله وحده ولا يعبد غيره بدعاء ولا بغير ذلك مما يتقرب به المشركون إلى ما عبدوا معه من الصالحين والأصنام المذكرة بهم، وغير ذلك كالنذور والقرابين التى تذبح بأسمائهم أوعند معابدهم، وهذا التوحيد هو الذي كان أول ما يدعو إليه كل رسول قومه، بقوله: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)[(١)].

وقال شيخنا محمد خليل هراس: (وقد غلط الشيخ عبده في اعتباره توحيد الربوبية والانفراد بالخلق هو الغاية العظمى من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فإن هذا النوع من التوحيد كانت تقربه الأمم التى بعثت إليها الرسل، ولم يقع فيه نزاع بينهم وبين الرسل، وإنما كان النزاع في توحيد الالهية والعبادة، ولهذا لم يجىء على لسان الرسل عليهم السلام الدعوة إلى اعتقاد أن الله وحده هو الخالق، وإنما

---

(١) رسالة التوحيد، تأليف محمد عبده، تعليق محمد رشيد رضا، الطبعة ١٢ عام ١٣٦٦هـ. ص ٤.

كان مدار دعوتهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، فكل منهم كان مفتتح دعوته لقومه (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره).

إلى أن قال الشيخ الهراس: (ولعل فضيلة الشيخ عبده في هذا كان متأثرا بالأشعرية الذين جعلوا الانفراد بالخلق هو أخص خصائص الالهية، واهتموا في كتبهم باقامة البراهين على هذا النوع من التوحيد دون أن يشيروا إلى توحيد الالهية الذى هو أقصى الغايات ونهاية النهايات)[1].

وغير ذلك من شطحاته في الملائكة والجن ونحو ذلك كما في تفسير المنار نقلا عنه.

وذلك المهدي في السودان رضي أن يطلق عليه المهدي، بل أعلن أنه قد رأى رؤ ية للنبي ﷺ يدعوه فيها إلى قيادة المؤمنين كمهدي مخلص أرشده الله. وتدافع عليه الألاف يحلفون له على الطاعة[2].

وهذا يدل على أنه اغتر بنفسه أنه المهدي بناء على اعلانه أنه رأى رؤ ية للنبي ﷺ، ثم ان هذه الرؤ ية لم يبين هل هي منام أويقظة كما يدعيه جهلة الصوفية أنهم أو أحدهم يرى النبي ﷺ في اليقظة ويحضر المولد أوما أشبه ذلك ـ وهذا أقبح الغلط وغاية التلبيس وأعظم الخطأ المخالف للكتاب والسنة واجماع أهل العلم لأن الموتى إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة لا في الدنيا ومن قال خلاف ذلك فهو كاذب كذبا بينا أو غالط ملبس عليه لم يعرف الحق الذى عرفه السلف الصالح ودرج عليه أصحاب الرسول ﷺ وأتباعهم بإحسان.

ولو تبين أن هذه الرؤ ية رؤ ية منام فعلى كلا الاحتمالين هي ليست بصحيحة لأن رسول الله ﷺ لا يدعو إلى خلاف الحق ولا يشير ولا يقول بخلاف الحق لا في حياته ولا بعد موته[3] وقد تبين أن مهدي السودان ليس هو المهدي الذى يقود المؤمنين كمهدي مخلص أرشده الله، بل لم يخلص حتى أهل السودان من الخرافات ومخالفة التوحيد، ومن الاستعمار النصراني فقد استولى كتشنر الانكليزي على السودان وأمر

---

(١) دعوة التوحيد، أصولها، الأدوار التى مرت بها ـ مشاهير دعاتها، تأليف محمد خليل هراس ص،ص ٩، ١٠.

(٢) انتشار دعوة الشيخ. . . تأليف محمد كمال جمعة، ص ٢٢٤.

(٣) انظر: التحذير من البدع للشيخ عبد العزيز بن باز، ص ـ ص ١٨-١٩.

بتدمير قبر المهدي والتمثيل بجثته وعرض رأسه في القاهرة[1] وكان أتباعه يعتقدون بمعجزة رجوعه[2].

وقد سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عن الرؤ يا السارة في المنام فقال: (الرؤ يا أرجو أنها من البشرى، ولكن الرؤ يا تسر المؤ من ولا تغره)[3].

وكل تلك الدعوات والحركات لا تخلو واحدة من سمة تدل على عدم ارتباطها بعقيدة الشيخ دلالة واضحة فليس من عقيدة الشيخ شيء من هذه الطرق الصوفية ولا الأشعرية ولا القبورية ولا المذاهب السياسية التى تريد التسلط ولا النزعات الشورية كل ذلك ليس من عقيدة الشيخ السلفية كما هو ليس من عقيدة السلف الصالح جميعا في شيء، وما وافقوا فيه الإسلام من أمور فهذه الموافقة ليست دليلا على أنهم تأثروا بالشيخ كما قررنا وكون أحدهم حج مرة أو مرتين وحتى لو قابل أحدا من حملة عقيدة السلف الصالح ليس هذا اللقاء مقتضيا لتأثره ما لم يثبت دليل من أدلة التأثر أو صيغة من صيغ التحمل والاقتناع. هذا بالاضافة إلى أن هؤلاء لا يقولون بأنهم من أتباع الشيخ كما قررنا ولا الشيخ وأتباعه وأنصاره يحتضنون شيئا من هذه الدعوات بقصد احتوائهم وجعلهم تبعا لهم. ولا يطمئنون لبعض طرقهم المخالفة كالنزعات الصوفية أو الكلامية، أو البدع الأخرى، حتى في تعريف العبادة فأكثر هؤلاء لا يعرف أن العبادة مبناها على الأمر الشرعي ولا يعرف أن التوحيد من مقامين مقام توحيد المعرفة والاثبات، ومقام توحيد القصد والطلب ولا يعرف أن توحيد القصد والطلب الذى هو توحيد الألوهية والعبادة متضمن لتوحيد الربوبية ولا عكس لكن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية وكثير منهم إذا عرف التوحيد إنما يعرفه بأنه هو توحيد الربوبية كما ذكرت عن الشيخ محمد عبده، وسائر من تأثر بالأشاعرة، الذين أشتهر عنهم هذا المنهج في تعريفهم التوحيد. ومعلوم أن الاقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي عن الاتيان بلازمه وهو توحيد الألوهية، وكم من يقر بالربوبية وينكر توحيد الالهية؟!

---

(١) انظر: انتشار دعوة الشيخ... تأليف محمد كمال جمعة، ص ـ ص ٢٢٤ـ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ١١ ص ٥١. وانظر: روضة ابن غنام جـ ١٩٨/١.

ولعل في ذلك كفاية في بيان عدم صحة الرأى القائل بأن مثل هذه الدعوات والحركات متأثرة بالشيخ ودعوته وحركته وحركة أنصاره من أجل نصرة دين الله ورسوله ﷺ والله أعلم. وبهذا نأتى على ختام هذا الفصل وبختامه أختم الباب الثاني في أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في العالم الإسلامي ونأتي إلى خاتمة البحث كله سائلين الله حسن الخاتمة.

الخاتمة

وتشتمل على خلاصة البحث ونتيجته

نحمـد الله تبـارك وتعـالى ونشكـره على ما يسـر من هذا البحث وقد أتيت فيه على مقـدمـة بدأتهـا بالثنـاء على الله بما هو أهله وثنيت بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ ، وأشـرت إلى خير الحـديث وخـير الهـدى، وحالة الناس حين أرسل الله خاتم الـرسـل ﷺ ، وظهـور دين الله ورسـولـه ﷺ على الدين كله. ثم حدوث ما أخبر به الرسول ﷺ من الفتن في الأمة الاسلامية، وبقاء طائفة منها على الحق لا يضرهـم من خذلهم ولا من خالفهـم إلى قيـام السـاعـة لتقوم بهم الحجة الرسالية ومن هذه الطائفة المجـددون في الإسـلام، ومن هؤلاء المجـددين الشيـخ محمـد بن عبـد الوهاب ومن ناصره من آل سعود.

وإنني أخـترت عقيـدة الشيـخ محمـد بن عبـد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي موضوعا لرسالة الدكتوراه التى أدرس للحصول عليها إن شاء الله تعالى، لأهمية هذا الموضوع، ولأسباب ركزتها في ثلاثة خلاصتها أنها عقيدة نعتمدها في ديننا ودنيـانـا وهي أسـاس وحـدة المملكـة العـربيـة السعودية، فأردت تذكير ناشئة الجيل الجديد بها على هذا المستوى الجامعي، ليكون اعتقادنا السليم عن علم واتباع لا عن تقليد وابتداع.

وفي ضمن ذلك أردت الرد بأسلوب علمي على أعدائها والمفترين عليها وذلك عن طريق عرضهـا عرضـا أصيـلا وصحيحـا من مصـادرهـا الكثيرة الأصلية وبينت فضائل من سبقني في ذلك وشكرت من أسدى إلي معروفا ودونت خطة البحث ومنهجه.

ثم أتيت إلى المـدخـل واشتمل على مبحثين أولهما في البيئة من حول الشيخ في العـالم الإسـلامي وثـانيهـا في حيـاة الشيـخ خصوصا الناحية العلمية، وقد ذكرت في مبحث البيئـة وصفـا لها من النـاحيـة السيـاسيـة والـدينيـة ومـا يتبع ذلك من الناحية الاجتـاعيـة والاقتصادية وغير ذلك من النواحي المتفرعة وتوصلت إلى أنها بيئة يغلب عليهـا أمـر الجـاهلية من عبادة غير الله تعالى كالذبح للمقبورين ودعائهم والاستغاثة

بهم والنــذر لهم من أجــل أن يشفعـوا لفـاعـل ذلـك عنـد الله تعـالى ، ومن فوضى واضطـراب وتفـرق وعـداوة ونهب وسلب وخيـانة ومعاملات كانت كلها سببا في دمار الاقتصـاد وخـرابـه وفسـاد في الأخـلاق وخوف وقلاقل وفتن هذا في الغالب فبينت أن البيئة بما غلب عليها من غربة لهذا الدين شديدة كانت بحاجة إلى مصلح يعيد للدين ظهوره وانتشاره وعهده بعد غربته فقيض الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب أبرز هؤلاء المصلحين .

وأمـا مبحث حياة الشيـخ فقد تضمن ترجمته ونشأته ورحلاته العلمية وشيوخه وتـلاميـذه ومؤ لفاته ووفاته ورثاءه ، وذكرت مصادر ترجمته وما يعتمد عليه وما لا يعتمد عليه منها ، ونسبه ، وأسرته العلمية ، ونشأته في هذه الأسرة نشأة علمية ، ورحلاته من ناحيـة خط سيرهـا وزمـانهـا والأمكنـة التى رحـل إليهـا ، وشيـوخه من أهل الحديث وغـيرهـم في الحـرمـين والبصرة والاحساء وذكرت أن نتيجة هذه الرحلات زيادة معرفة الشيـخ وتسلحـه بسـلاح العلم النـافع ، واليقين الراسخ وحرر علم التوحيد الذى هو حق الله على العبيـد من الكتـاب والسنـة على علماء أهـل السنـة والجـماعة في مهابط الوحى إلى رسول الله ﷺ ، وامتلأ وطابه من الآثار وعلم السنة وبرع في مذهب أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، ورجع من رحلاته وهو في مستوى علمي يفوق علماء زمانه .

وفي ذكـرى لمؤلفـاته بينت عدم صحة نسبة بعض المؤلفات إليه وحققت نسبة بعض منها إليه وهي التى حصل تشكيك من البعض في نسبتها إليه .

هذا مع ذكر شيء عن كل مؤلف وأثر من مؤلفات الشيخ من ذكر مكان وجوده وصفته وشيء من موضوعه بشكل موجز ومختصر.

ثم وصلت إلى البـاب الأول وهـو ما يختص بعقيدة الشيخ السلفية وقد تضمن أربعة فصول أما الفصل الأول فهو في منهج الشيخ في عقيدته ودعوته وتوصلت إلى أن منهجـه هو منهـج السلف الصـالـح في العلم والعمل ، وأما الفصل الثاني فهو في مجمل عقيدة الشيخ السلفية وتوصلت إلى أنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره جملة وتفصيلا كما يؤمن بذلك سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، ويقول في الإيمان ما يقولونه واكتفيت بذكر أدلته من الكتاب والسنة على كل مسألة من مسائل عقيدته لبيان أصالة اعتقاده وصلته بمذهب السلف الصالح والتقائه معهم في المصير والمرجع كما التقى معهم في المنهج والوسيلة .

وأمـا الفصـل الثـالث فهو في التوحيد من مقاميه المقام العلمي والعملي ويكمن فيه الأمر الذى واجه به الشيخ مجتمعه واستنكره عليه عامة الناس ثم أظهره الله به على من ناوأه وعـاداه، وأمـا بقيـة أركـان العقيـدة فلم يحصـل فيها من النزاع ما حصل في التوحيد، ولأنها في الحقيقة مبنية على التوحيد، فلذا لم أجد من تفاصيلها ما وجدته في التوحيد فاكتفيت بما ذكرته منها عن الشيخ في مجمل عقيدته.

وقد أتيت في هذا الفصل الثالث على ذكر عقيدة الشيخ في التوحيد من مقاميه المقـام العلمي الخـبري والمقام العملي الطلبي فالمقام الأول هو توحيد المعرفة والاثبات ويـدخـل فيـه توحيـد الـربوبية وتوحيد الأسماء والصفات والمقام الثانى توحيد الطلب والقصد ويدخل فيه توحيد الألوهية والعبادة.

وتـوصلت إلى أن الشيـخ يعتقـد في كل ذلك عقيدة السلف الصالح وما خرج عنها في شيء من ذلك بين هذا من أدلته وبراهينه من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمـة واتفـاق أهـل المـذاهب الأربعـة، مذهب أبى حنيفـة ومـذهب مالك ومذهب الشـافعي ومـذهب أحمـد بن حنبـل إمـام كل حنبلى في أصـول العقيدة السلفية وفي مسائلها الأصلية ودلالتها.

والفصـل الـرابع تضمن التحذير من نواقض عقيدة السلف الصالح أو نواقض كمالها وأتيت فيـه على نواقض الإسـلام وتفاصيل عن الشرك وأقسامه وأفراده وخطره وامكـان وقـوعـه وبيـان وسـائله وأسبابه وطرق مقاومته والحذر الشديد من ذلك وحماية جنـاب التـوحيـد وتصحيـح الاعتقاد بترك الشرك كله وسد ذرائعه والرد على شبهات المشركين وكشفها ثم وصلت إلى الباب الثاني وهو ما يختص بأثر عقيدة الشيخ السلفية في العـالم الإسـلامي وقـد تضمن خمسة فصـول، فالفصـل الأول ذكرت فيه أسباب ومبادىء تأثير عقيدة الشيخ وأول ظهورها فى حريملاء لما رجع من رحلاته العلمية ثم أثرها فى العيينة وما حصل عليه من آثار في البلدان الأخرى وأتباع في تلك المرحلة قبل قيام دولة العقيدة.

ثم في الفصـل الثـاني بينت كيف تم لقـاء الشيخ بالأمير محمد بن سعود وكيف تأثر بما عرضه الشيخ محمد من عقيدة السلف الصالح وحصلت البيعة المباركة وبينت أن ذلك التأثر دليل على فضل الأمير وطيب معدنه وخيريته ورجحان عقله وشجاعته وبينت أنـه المؤسس لمكـاسب آل سعود من دولة إسلامية بسبب تلك العقيدة السلفية

التى من شأنها أنها تأتى بالخلافة والملك الاسلامي، وأن من مكاسبهم صلاح دينهم ودنياهم وظهورهم على الملوك والأمراء ونصرهم على أعدائهم واتساع مملكتهم حتى شملت غالب جزيرة العرب وما حولها وارتفع ذكرهم فى الخافقين، وبينت ظهور الدين وانتشاره، واندحار الشرك واختفاءه وحصول الأمن والأمان.

وفي الفصل الثالث وهو ما يخص الدور الثاني من أدوار دولة أنصارها، بينت ما تم من أثرها على يد الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود وابنه فيصل وما تم من آثارها العلمية على يد الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وابنه عبد اللطيف وغيرهما من علماء الدعوة وأتباعها.

وفي الفصل الرابع بينت كيف عاد الله بعائدته على أهل هذه الجزيرة المرة بعد المرة وهيأ لها الإمام الملك عبد العزيز يستعيد مكاسب عقيدة السلف الصالح التى حققها أجداده وآباؤه، ويعمل على نشر هذه العقيدة والقيام بما تقتضيه وهو الدور الثالث الحاضر الذى لايزال متصل الحلقات، يرتبط حاضره بماضيه، ويعمل لمستقبله منطلقا من حاضره وبينت أبرز ما في هذا الدور من أثر العقيدة وهو استعادة مكاسبها وتوحيد البلاد تحت راية واحدة واسم واحد والتقيد بأحكام الشرع وتطبيقها ومحاربة البدع والمنكرات ومظاهر الشرك والقضاء على الأفكار الالحادية المنافية للعقيدة، ودعوة العالم الاسلامي للتضامن ونشر الدعوة إلى الاسلام وبذل الجهود في التعليم وبناء المساجد وتعميرها والاهتمام بخدمة الحرمين الشريفين، وذلك الأمن الوارف الذى لا يوجد في غير هذه المملكة العربية السعودية كل ذلك من أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وأما الفصل الخامس وهو الأخير فهو يختص بأثر عقيدة الشيخ في خارج سلطان أنصارها من بلدان العالم الاسلامي بينت فيه كيف وصل أثرها إلى خارج سلطانها وأثرها في اليمن ثم في الشام ثم في بلدان الخليج والعراق وفارس والهند ومصر وبينت عدم ثبوت صلتها بالحركات السياسية والدعوات وان كانت منتمية إلى الاسلام مثل حركة السنوسي في ليبيا، والفرائضيين في الهند، وأحمد بن عرفان الشهيد في الهند، والبدري في أندونيسيا، ومثل دعوة محمد عبده وجمال الدين الأفغاني والاخوان المسلمين، والجمعية الشرعية وثورة المهدي في السودان وايش محمد كول في تركستان واصلاح سلطان المغرب وابن باديس في الجزائر كل ذلك لم يثبت شيء منه أنه تأثر بعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته فبينت ذلك.

والنتيجة العامة التى توصلت إليها من بحثي هي : أن عقيدة السلف الصالح قطب رحى المسلمين، وأنها تعود على المتمسك بها بالنصر والتمكين في العاقبة ومن تخلى عن نصرتها فقد تخلى عن نصرة الاسلام الخالص وتكون عاقبته الهلاك والزوال، وكلما رجع المسلمون إلى دينهم وعادوا إلى عقيدتهم السليمة كلما عاد الله عليهم بعائدته ورد لهم الكرة بعد الكرة : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾.

وأما النتيجة الخاصة فاني وجدت أن نور الحق والاسلام الخالص قد أشرق بدعوة الشيخ واستجابة آل سعود إلى نصرة عقيدة السلف الصالح، وبسبب ذلك صار ورثة الشيخ من أبنائه وغيرهم الذين ورثوا علمه فصاروا مشايخ الدعوة الاسلامية، وصار أنصارها من آل سعود هم الأئمة والملوك، وتحققت أن منهج الشيخ منهج السلف الصالح الذى يأتي بالخلافة والملك الاسلامي في الأرض، كما تحققت أن عقيدة الشيخ السلفية كما قامت عليها دولة سعودية فاقت أهل زمانها فهي صالحة لأن تقوم عليها دولة سعودية معاصرة تفوق أهل هذا الزمان في الدين والدنيا والعلم والعمران في جميع أقطار المعمورة بحول الله وقوته، كيف لا ؟! وهي تحقيق لا إله إلا الله، التى تميل كفتها بكل كفة. وإننا على الطريق إن شاء الله سائرون، قال الله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ (النور: ٥٥).

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قائمة بالمراجع من الكتب

قائمة بالمراجع من الكتب

ـــ القــرآن الكــريم .
ـــ الســـنة الشــريفة .

رتبت ما يلى من الكتب حسب حروف الهجاء من أسماء المؤلفين أو المحققين أو الجامعين .

« أ »

ابراهيم بن صالح بن عيسى .

١ ـــ تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ) . أشرف على طبعه وقدم له وحققه ووضع له فهارس حديثة وعلق عليه الأستاذ حمد الجاسر . ط ١ عام ١٣٨٦هـ . منشورات دار اليمامة ـ الرياض .

ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم الفرضي .

٢ ـــ العذب الفائض شرح عمدة الفارض . المقدمة ط ١/١٣٧٢هـ . الحلبي ، على نفقة الشيخ عبد الرحمن الطبيشي .

ابراهيم بن عبيد آل عبد المحسن .

٣ ـــ تذكرة أولى النهى والعرفان ـ الجزء الأول ، مطابع النور، الرياض ـ الطبعة الأولى .

ابراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري البغدادي (١٢٣٥ـ١٣٠٠هـ) .

٤ ـــ عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ، ألفه سنة ١٢٨٦هـ . وصورة مخطوطته بقسم المخطوطات فى المكتبة المركزية بالجامعة الاسلامية ، بخط عبد الرزاق الملا محمد الحاج فليح البغدادي في ٢ جمادى الأولى عام ١٣٥٠هـ .

الامام أبو اسحاق : ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ت ٧٩٠هـ .

٥ ـــ الاعتصام وبه تعريف العلامة محمد رشيد رضا ، مطبعة السعادة .

أحمـد أمـين.
٦ ـ زعماء الاصلاح في العصر الحديث. سنة ١٩٦٥م، مكتبة النهضة المصرية.

أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي آل بن علي. قاضي المحكمة الشرعية بدولة قطر.
٧ ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عقيدته السلفية ودعوته الاصلاحية، وثناء العلماء عليه. تقديم وتصحيح الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩٥هـ.
٨ ـ تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران ـ طبع بمطابع مؤسسة دار العلوم، الدوحة ـ قطر.

الامام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ).
٩ ـ الرد على الجهمية والزنادقة، فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله. ويليه: كتاب السنة. تصحيح اسماعيل الانصاري ـ نشر رئاسة البحوث العلمية السعودية.
١٠ ـ مسند الامام أحمد بن حنبل. وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تصوير المكتب الاسلامى ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت.

أحمـد السباعى.
١١ ـ تاريخ مكة. دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران. ط ٢، مطابع دار قريش بمكة ١٣٨٢هـ.

شيخ الاسلام، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني (٦٦١-٧٢٨هـ).
١٢ ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق محمد حامد الفقي، ط ٢ عام ١٣٦٩هـ. مطبعة السنة المحمدية.
١٣ ـ التدمرية ضمن مجموعة نفائس بتحقيق محمد حامد الفقي ـ الطبعة الثالثة ١٣٧٤هـ. مطبعة السنة المحمدية،
١٤ ـ رسالة الفتوى الحموية الكبرى وقف على تصحيحها بقدر الامكان وتعليق حواشيها محمد عبد الرزاق حمزة ـ الطبعة السادسة، مطبعة المدني.

١٥ ــ نقض المنطق. حقق الأصل المخطوط وصححه الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة والشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع، وصححه ووضع عنوانه محمد حامد الفقي بمشورة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ، وكتب مقدمته الشيخ عبد الرحمن الوكيل وعمل فهارسه رشاد سالم. الطبعة الأولى عام ١٣٧٠هـ. بمطبعة أنصار السنة المحمدية. وهوجواب سؤال عن مذهب السلف في الاعتقادذ ومذهب غيرهم من المتأخرين ما الصواب منهما؟.

١٦ ــ العقيدة الواسطية. بشرح وتحقيق الشيخ محمد بن مانع. مطبعة الاقتصاد بالقاهرة، وط المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٤٧هـ.

١٧ ــ قاعدة في المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومنافعها ومضارها ضمن مجموعة الرسائل والمسائل للشيخ وهي القسم الثالث من أقسام المجموعة. ط مطبعة المنار بمصر. الطبعة الأولى عام ١٣٤٩هـ.

أحمد عبد الغفور عطار.

١٨ ــ محمد بن عبد الوهاب ـ الطبعة السادسة عام ١٣٩٧هـ.

الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفي (٤٣٠هـ).

١٩ ــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. ط ٣ عام ١٤٠٠هـ.

أحمد بن عطية بن عبد الرحمن الزهراني.

٢٠ ــ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الاسلامي. رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة من جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٠٢هـ.

الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ).

٢١ ــ تقييد العلم ـ تحقيق يوسف العش ـ ط ٢ سنة ١٩٧٤م، نشرته دار احياء السنة النبوية.

٢٢ ــ كتاب اقتضاء العلم العمل ـ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ضمن رسائل أربع من كنوز السنة، نشر وتوزيع دار الأرقم ـ الكويت.

الحافظ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن الكناني العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ).

٢٣ ــ فتح الباري بشرح صحيح الامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري. تصحيح وتحقيق واشراف ومقابلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية . ط السلفية بمصر - بدون تاريخ الطبع ولا عدد الطبعة .

٢٤ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . ط ١ بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية في الهند سنة (١٣٤٨) .

الشيخ أحمد بن علي بن مشرف الاحسائي تلميذ المؤرخ حسين بن غنام .

٢٥/أ ـ ديوان بن مشرف - ط ٣ عام ١٣٧٠هـ، مطبعة السنة المحمدية .

الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبى عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني ت (٢٨٧هـ) .

٢٥/ب ـ كتاب السنة ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، ١٤٠٠هـ. المكتب الاسلامي .

أحمد محمد شاكر .

٢٦ ـ تحقيق ترجمة الإمام أحمد من تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي - ط دار المعارف للطباعة والنشر عام ١٣٦٥هـ .

الدكتور أحمد محمد الضبيب .

٢٧ ـ آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب سجل بيليوجرافي لما نشر من مؤلفاته ط ١ عام ١٣٩٧هـ. - الرياض المطابع الأهلية .

أبو المنتهى أحمد بن محمد المغنيساوي الحنفي .

٢٨ ـ كتاب شرح الفقه الأكبر - ضمن مجموعة بعنوان الرسائل السبعة (هكذا) في العقائد، الطبعة الثانية بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن عام ١٣٦٧هـ.

الحافظ ابن كثير، الامام الحافظ أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤) .

٢٩ ـ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ط ٣، الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٦هـ.

٣٠/أ ـ البداية والنهاية (تاريخ ابن كثير) ج ٥-٦ المجلد الثالث ط/١٣٩٨هـ. دار الفكر بيروت .

٣٠/ب ـ البداية والنهاية (تاريخ ابن كثير) جـ ١، ٣ تحقيق ومراجعة وتعليق وتصحيح محمد عبد العزيز النجار، طبعة جديدة منقحة كاملة، يطلب من مكتبة

الفلاح بالرياض، مطبعة الفجالة الجديدة ـ مصر.

المحدث الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني.

٣١ ـ كشف الخفاء ومزيل الالباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. ط ٣ سنة ١٣٥١هـ. تصوير دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

الشيخ اسماعيل الأنصارى.

٣٢ ـ بحث ضمن مجلد (حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية) وهو عبارة عن بحوث مقدمة لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب المنعقد في الفترة من ٢١/٤/١٤٠٠هـ إلى نهاية ٢٧/٤/١٤٠٠هـ.

أمين الريحاني.

٣٣ ـ نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز ط ٣، دار الريحاني للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٦٤م.

أمين سعيد.

٣٤ ـ تاريخ الدولة السعودية، عهد سعود بن عبد العزيز، المجلد الثالث، ط ١ توزيع دار الكاتب العربي، بيروت ١٣٨٥هـ.

« ت »

تركي بن محمد بن تركي بن ماضي أمير أبها سابقا توفي رحمه الله.

٣٥ ـ تاريخ آل ماضي، طبع سنة ١٣٧٦هـ. مطبعة الشبكشي بالأزهر بمصر.

« ح »

حافظ وهبه (١٣٠٧-١٣٨٧هـ).

٣٦ ـ جزيرة العرب في القرن العشرين، ط ٥، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٧هـ.

الامام حسـن البنا.

٣٧ ــ العقائد، طبع ونشر دار الكتاب العربي بالقاهرة عام ١٣٧١هـ.

٣٨ ــ رسالة التعاليم، مطابع دار الثقافة للطباعة بمكة المكرمة.

حسين خلف الشيخ خزعل.

٣٩ ــ تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبعة أولى ١٩٦٨، مطابع دار الكتب، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت ـ لبنان.

الشيخ حسين بن غنام.

٤٠ ــ تاريخ نجد، المسمي روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الإسلام. جزءان. الطبعة الأولى عام ١٣٦٨هـ. على نفقة الشيخ عبد المحسن بن عثمان أبا بطين، صاحب المكتبة الأهلية بالرياض نجد، مطبعة الحلبي بمصر.

٤١ ــ كتاب العقد الثمين في شرح أصول الدين ـ مخطوط.

حسين بن مهدى النعمى (ت سنة ١١٨٧هـ).

٤٢ ــ معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، حققه للمرة الأولى محمد حامد الفقي، ط ٢ عام ١٣٩٣هـ. بمطابع الرياض.

الشيخ حمـد الجاسـر.

٤٣ ــ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ط ١ عام ١٣٨٦هـ. من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

٤٤ ــ المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. بحث قدمه إلى أمانة أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٤٥ ــ جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد. جزءان ـ ط ١ عام ١٤٠١هـ. منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض.

٤٦ ــ مقدمة وتعليق على تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، لابراهيم بن صالح بن عيسى، ط ١ عام ١٣٨٦هـ. منشورات دار اليمامة ـ الرياض.

٤٧ ــ مجلة العرب، الجزء التاسع، السنة الأولى ربيع الأول سنة ١٣٨٧هـ. ص ٩٥٣ ـ ٩٥٧.

٤٨ ــ والجزء التاسع والعاشر الربيعان سنة ١٣٩٨هـ. ص ١٢٩.
٤٩ ــ مجلة العرب، الجزء العاشر، السنة الرابعة، ربيع الثاني ١٣٩٠هـ. ص ٩٤١.

٥٠ ــ مجلة العرب، الجزءان التاسع والعاشر، السنة الثانية عشرة (الربيعان سنة ١٣٩٨هـ). و«السحب الوابلة» ومؤلفها، النجديون المترجمون في «السحب الوابلة» ص ٦٤١ - ٧٣٦.

الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق. توفي سنة ١٣٠١هـ.
٥١ ــ ابطال التنديد باختصار شرح التوحيد، الطبعة الثالثة عام ١٣٨٨-١٣٨٩هـ.
٥٢ ــ مجموعة رسائل الشيخ حمد بن علي بن عتيق - تقديم محمود أحمد غضنفر السلفي، طبع عام ١٣٩٦هـ. بلاهور - باكستان.

حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر ت ١٢٢٥ بمكة المكرمة.
٥٣ ــ الفواكه العذاب، في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب (تحرير أجوبته على ثلاث مسائل من علماء مكة المكرمة) طبعت مفردة في مؤسسة النور بالرياض.

«خ»

خير الدين الزركلي.
٥٤ ــ الاعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٤ عام ١٩٧٩م، دار العلم للملايين.
٥٥ ــ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ط ١ عام ١٣٩٠هـ، مطابع دار القلم، بيروت.
٥٦ ــ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ط ٢، على مطابع الشركة العامة للمطابع، بيروت سنة ١٣٩٢هـ.

« ر »

الشيخ العالم راشد بن علي بن جريس الحنبلى النجدى من قرية نعام ومن أفاضل القرن الثالث عشر الهجرى.

٥٧ ــ مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد ـ تقديم محب الدين الخطيب، ط بالمطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ١٣٧٩هـ.

« س »

ســاطع الحصـــرى.

٥٨ ــ البلاد العربية والدولة العثمانية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت، ط ٢، ١٩٦٠م.

سعد بن حمد بن عتيق (ت ١٣٤٩هـ).

٥٩ ــ عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية، كتبها في الهند سنة ١٣٠٢هـ. طبع بالمطابع الأهلية للأوفست ـ الرياض.

الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ).

٦٠ ــ المعجم الكبير ـ حققه وخرج أحاديثه حمدى عبد المجيد السلفي. ط ١ الدار العربية للطباعة ـ بغداد.

الامام الحافظ أبو داود ـ سليمان بن الاشعث بن اسحاق الازدى السجستانى.

٦١ ــ سنن أبى داود، تعليق أحمد سعد علي، ط ١، سنة ١٣٧١هـ. مطبعة الحلبي بمصر.

الشيخ العلامة سليمان بن سحمان (١٢٦٨-١٣٤٩هـ).

٦٢ ــ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٤ أجزاء، طبعة المنار في ١٣٤٤هـ و١٣٤٥هـ.

الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية مجموعة خمس رسائل لكبار أئمة نجد وعلمائها، ط ٢ المنار سنة ١٣٤٤هـ. وط مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة عام ١٣٩٣هـ.

٦٣ ــ كتاب الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق. الطبعة الأولى، مطبعة المنار سنة ١٣٤٤هـ.

٦٤ ــ الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد. ط ٢ في سنة ١٣٧٦هـ. مطابع الرياض.

٦٥ ــ كتاب تبرئة الشيخين الامامين من تزوير أهل الكذب والمين. ط ١ بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٣هـ.

٦٦ ــ كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام. ط ٢ عام ١٣٧٦هـ. مطابع الرياض.

٦٧ ــ ديوان بن سحمان. طبعة هندية قديمة.

الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان.

٦٨ ــ الدر النضيد على أبواب التوحيد، ط ١ عام ١٣٩٦هـ. بالمطبعة السلفية بالقاهرة.

الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٠-١٢٣٣هـ).

٦٩ ــ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. نشر مكتبة الرياض الحديثة.

سليمان بن وائل التويجري.

٧٠ ــ حصر مخطوطات مكتبات القصيم ومكتبات منطقة حائل ـ بحث نشر في مجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي، ع ٢ عام ١٣٩٩هـ. وع ٣ عام ١٤٠٠هـ.

« ش »

الأمير شكيب أرسلان. عضو المجمع العلمي العربي بسورية.

٧١ ــ فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الاسلامية وتطورها الحديث على هامش كتاب: حاضر العالم الاسلامي، للمؤلف الأمريكي لوثروب ستودارد ط ١٣٥٢، نشر وطبع مكتبة ومطبعة الحلبي بمصر.

٧٢ ــ لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم؟. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت عام ١٩٦٥م.

« ص »

صالح بن عبد الله العبود.

٧٣ ـ فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام، رسالة ماجستير وطبعت بمطبعة المدني الطبعة الأولى، نشر: دار طيبة، الرياض، السعودية.

الأستاذ صالح محمد الحسن.

٧٤ ـ تعقيب حول مقال الدكتور العثيمين ـ في مجلة الدارة، ع ١ س ٥ ربيع الثاني ١٣٩٩هـ. ص ـ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٨.

الشيخ صالح بن محمد العمرى الشهير بالفلانى. رحمه الله (١١٦٦-١٢١٨).

٧٥ ـ ايقاظ همم أولى الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار، وتحذيرهم عن الابتداع الشائع فى القرى والأمصار من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الاعصار. دار نشر الكتب الاسلامية ـ باكستان ط أولى ١٣٩٥هـ.

صلاح الدين مختار.

٧٦ ـ تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

المستشار عبد الحليم الجندي. في جمهورية مصر العربية.

٧٧ ـ الامام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي، نشر: دار المعارف.

« ع »

الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسنى الادريسى الكتاني الفاسي.

٧٨ ـ فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. طبع بالمطبعة الجديدة، ج ١/١٣٤٦هـ. جـ ٢/١٣٤٧هـ. (جعله مؤلفه قاموسا عاما لتراجم المؤلفين في السُنّة من القرن الثامن إلى أواسط القرن الرابع عشر الهجري).

الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المعروف بأبى شامة الشافعي (٥٩٦-٦٦٥).

٧٩ ـ الباعث ـ على انكار البدع والحوادث، ٨٩ ص، وسط، مطابع دار الأصفهاني وشركاه بجدة ـ بدون تاريخ، وعدد للطبع.

الشيخ عبد الرحمن الأنصاري المدني. المولود سنة ١١٢٤هـ. والمتوفي سنة ١١٩٧هـ.

٨٠ ـ تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الانساب ط تونس ١٣٩٠هـ.

عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيرى.

٨١ ـ الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب، صححه وأشرف على طبعه الأستاذ ابراهيم محمد الأصيل، مطبعة المدني بمصر، ١٣٨٢هـ.

أبو الفرج، الحافظ الامام عبد الرحمن بن رجب الحنبلى (٧٣٦-٧٩٥).

٨٢ ـ غربة الاسلام، ويسمى: (كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة). تحقيق وتعليق وشرح أحمد الشرباصي من علماء الأزهر، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ط ١ ١٣٧٣هـ.

عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائى.

٨٣ ـ جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة عنى بالطبع والنشر ادارة البحوث الاسلامية بالجامعة السلفية بنارس، الهند ط أولى عام ١٤٠٠هـ.

عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ.

٨٤ ـ تحقيق وتعليق على عنوان المجد فى تاريخ نجد بأمر من وزارة المعارف، وطبع على نفقة وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٩٤هـ. ط ٣ بدون ذكر لاسم المطبعة ولا مكان الطبع.

٨٥ ـ تحقيق وتعليق على كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز رقم ٢، المطابع الأهلية للأوفست الرياض.

٨٦ ـ مشاهير علماء نجد وغيرهم. باشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ط ١ عام ١٣٩٢هـ. بالمملكة العربية السعودية.

٨٧ ـ دعوة الشيخ ومناصروها، مطبعة المدني بمصر عام ١٣٨٤هـ.

٨٨ ـ علماء الدعوة، مطبعة المدني بمصر عام ١٣٨٦هـ.

الشيخ الامام عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، (١١٩٣-١٢٨٥).

٨٩ ـ فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد. تحقيق محمد حامد الفقي، ط ٩،

مطابع الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٧هـ. وط ٥ عام ١٣٩١هـ. نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ومخطوطة له بعنوان: (كتاب التهذيب والتجريد لشرح كتاب التوحيد) ناسخها عبد العزيز بن عبد الله العامر، فرغ من نسخها عام ١٢٩٨هـ.

العلامة عبد الرحمن بن خلدون.

٩٠ ــ مقدمة ابن خلدون ـ المكتبة التجارية بالقاهرة لصاحبها مصطفى محمد.

الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (١٣١٩-١٣٩٢هـ).

حقق ورتب وجمع مجموعة الدرر السنية في الأجوبة النجدية ورسائلهم.

٩١ ــ الجزء الأول: كتاب العقائد.

٩٢ ــ الجزء الثاني: كتاب التوحيد.

٩٣ ــ الجزء الثالث: كتاب الأسماء والصفات.

٩٤ ــ الجزء الرابع: كتاب العبادات.

٩٥ ــ الجزء الخامس: كتاب البيع.

٩٦ ــ الجزء السادس: كتاب النكاح.

٩٧ ــ الجزء السابع: كتاب الجهاد.

٩٨ ــ الجزء الثامن: كتاب أحكام المرتد.

٩٩ ــ الجزء التاسع: كتاب مختصرات الردود.

١٠٠ ــ الجزء العاشر: كتاب تفسير القرآن.

١٠١ ــ الجزء الحادي عشر: كتاب النصائح.

١٠٢ ــ الجزء الثاني عشر: كتاب تراجم أصحاب تلك الرسائل والأجوبة مجموعها ١٢ جزءا.

من مطبوعات دار الافتاء بالمملكة العربية السعودية ط ٢ عام ١٣٨٥هـ. ط ٢ مطابع المكتب الاسلامي بيروت. ماعدا التاسع والحادي عشر فقد طبعا في مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر ط ٢ عام ١٣٨٨هـ. باشراف وتصحيح الأستاذ عبد العزيز بن سليمان الهيشه.

والعاشر والثاني عشر فقد طبعا بمؤسسة النور للطباعة والتجليد ـ الرياض.

١٠٣ ــ مجموعة فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية. جمع وترتيب. الطبعة الأولى ١٣٨١هـ مطابع الرياض.

عبد الرحمن بن ناصر بن سعدى. ت سنة ١٣٧٦هـ.

١٠٤ ــ القــول السـديـد في مقاصد التوحيد. مؤسسة مكة للطباعة والاعلام توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي اليماني. رحمه الله (١٣١٣-١٣٨٦هـ).

١٠٥ ــ التنكيـل بما في تأنيب الكـوثري من الأباطيل. قام على طبعه وتحقيقه والتعليق عليه محمد ناصر الدين الألباني، طبع على نفقة الشيخ محمد نصيف وشركاه ١٣٨٦هـ.

الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم.

١٠٦ ــ الدولة السعودية الأولى ١١٥٨هـ ــ ١٢٣٣هـ. الطبعة الثانية مزيدة ومنقحـة ١٩٧٥م. معهـد البحـوث والـدراسـات العـربية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز. رئيس إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.

١٠٧ ــ محاضـرة بعنـوان: (محمـد بن عبـد الوهاب، دعوته وسيرته)، ط ٢، الدار السعودية ١٣٨٩هـ.

١٠٨ ــ مقـدمـة الطبعة الثانية وتعليقات على كتاب: الشيخ محمد... بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي.

١٠٩ ــ مقال في مجلة البحوث الاسلامية مجلد (١) ع ٢.

١١٠ ــ التحـذيـر من البدع، طبع في مؤسسة مكة للطباعة والاعلام، توزيع الجامعة الاسلامية عام ١٣٩٦هـ.

الحافظ أبو محمد المنذرى. عبد العظيم بن عبد القوى (٥٨١-٦٥٦هـ).

١١١ ــ مختصر سنن أبى داود ـ تحقيق أحمـد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٧هـ.

الشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم آل الشيخ ت ١٣٨٦هـ. رحمه الله.

١١٢ ــ مجلة راية الاسلام، العدد الأول.

الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (١٢٢٥-١٢٩٢هـ).

١١٣ ــ مجمـوعـة الـرسـائـل والمسـائل النجدية، الجزء الثالث ـ جمعها الشيخ

سليمان بن سحمان، ط ١ سنة ١٣٤٥هـ. مطبعة المنار بمصر.

١١٤ ـ مصباح الظلام ـ في الرد على من كذب على الشيخ الامام ونسبه إلى تكفير أهل الايمان والاسلام ـ تعليق محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية ـ مصر.

الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن عبد العزيز آل الشيخ.

١١٥ ـ البيان الواضح لأسرة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب حتى سنة ١٣٩٣هـ. طبع بدار بوسلام للنشر بتونس.

أبو محمد عبد الله بن أبى زيد القيرواني، المتوفي سنة ٣٨٦.

١١٦ ـ كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازى والتاريخ. حققه وقدم له وعلق عليه: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ. ط ١ عام ١٤٠٢هـ. نشر المكتبة العتيقة تونس ومؤسسة الرسالة بيروت.

عبد الله بن سعد الرويشد.

١١٧ ـ الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ. نشر مكتبة عيسى البابى الحلبي بمصر عام ١٣٩٢هـ.

الدكتور عبد الله الصالح العثيمين.

١١٨ ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره، ط مطبعة المتوسط، بدون تاريخ نشر، دار العلوم ـ الرياض.

١١٩ ـ مقال في مجلة الدارة ع ٣ س ٤، شوال ١٣٩٨هـ. بعنوان: (نجد من القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، الحالة الدينية ص ٣٢ ـ ٤٦.

١٢٠ ـ (الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب) طبع على الآلة ضمن مجلد حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية وهو مجموعة بحوث في ذلك قدمت لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٤٠٠هـ.

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين.

١٢١/أ ـ تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن سليمان بن جرجيس ـ طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٤٤هـ.

١٢١/ب ـ الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين. المطبعة السلفية القاهرة ١٣٧٨هـ.

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام.

١٢٢ ــ علماء نجد خلال ستة قرون، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ط ١ ١٣٩٨هـ.

الامام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي. المتوفى سنة ٢٥٥هـ.

١٢٣ ــ سنن الدارمي. طبع بعناية محمد أحمد دهمان، وطبع بمطبعة الاعتدال بدمشق عام ١٣٤٩هـ.

الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد.

١٢٤ ــ مقال بعنوان: (الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته) طبع ضمن هداية الناسك ومعه مجموعة رسائل، الطبعة السابعة ١٣٩٨هـ.

١٢٥ ــ المجموعة العلمية السعودية من درر علماء السلف الصالح. مطبعة النهضة بمكة عام ١٣٩١هـ.

الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس.

١٢٦ ــ الشعر يواكب الدعوة بحث قدمه لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبع على الآلة الكاتبة ضمن مجلد بعنوان: تأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٤٠٠هـ.

عبد الله بن يوسف الشبل ـ الأمين العام لجامعة الامام محمد بن سعود.

١٢٧ ــ الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

الشيخ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى المعروف بابن بدران (ت ١٣٤٦هـ).

١٢٨ ــ المدخل إلى مذهب الامام أحمد بن حنبل، قام بتصحيحه ونشره جماعة من العلماء باشراف إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي.

عبد المتعال الصعيدي (١٣١٣-١٣٧٧هـ).

١٢٩ ــ المجددون في الاسلام من القرن الأول الهجري إلى الرابع عشر ١٠٠-١٣٧٠هـ. نشر مكتبة الآداب ومطبعتها بمصر دار الحمامي للطباعة.

الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد.

١٣٠ ــ دراسة حديث (نضر الله امرءا سمع مقالتي . . .) رواية ودراية ط ١ عام ١٤٠١هـ.

١٣١ ــ عشرون حديثا من صحيح مسلم، دراسة أسانيدها وشرح متونها، ط ١ عام ١٣٩١هـ. المطبعة السلفية بالقاهرة.

١٣٢ ــ عالم جهبذ وملك فذ، ترجمتان موجزتان للشيخ محمد بن ابراهيم والملك فيصل رحمهما الله، ط في عام ١٤٠٢هـ، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة.

الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر، المتوفي سنة ١٢٨٨هـ. أو ١٢٩٠هـ. وكان قد أدرك عهد سعود بن عبد العزيز بن محمد (١٢١٨-١٢٢٩هـ).

١٣٣ ــ عنوان المجد في تاريخ نجد. ويبتدىء هذا التاريخ من سنة ٧٠٠ - ١٢٦٧هـ. طبع بالمطبعة السلفية بمكة المكرمة ١٣٤٩هـ.

١٣٤ ــ عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ بأمر من وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٩٤هـ. ط عام ١٣٩٤هـ الطبعة الثالثة، لم يذكر مكان الطبع ولا اسم المطبعة.

الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، المتوفي سنة ٨٠٧هـ.

١٣٥ ــ مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد بتحرير الحافظين الجليلين، العراقي وابن حجر - الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ. منشورات دار الكتاب العربي بيروت.

١٣٦ ــ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان حققه ونشره محمد بن عبد الرزاق حمزة، تصوير دار الكتب العلمية بيروت.

علي بن سلطان القاري الحنفي، المتوفي سنة ١٠١٤هـ.

١٣٧ ــ شرح ملا علي بن سلطان القاري الحنفي، على الفقه الأكبر للامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (٨٠-١٥٠هـ). الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

علي بن سليمان بن يوسف.

١٣٨ ــ اربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة، طبع على نفقة علي آل ثاني بمشورة محمد بن عبد العزيز بن مانع ط ٢ عام ١٣٧٩هـ.

علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (٧٣١-٧٩٢هـ).

١٣٩ ــ شرح العقيدة الطحاوية - حققها وراجعها جماعة من العلماء، وخرج

أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني. ط ٤ عام ١٣٩١هـ. المكتب الاسلامي بيروت.

العلامة علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندى البراهان فورى، المتوفي سنة ٩٧٥هـ.

١٤٠ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. نشر وتوزيع دار اللواء ـ ارياض. ومكتبة التراث الاسلامي حلب.

« ك »

كوركيس عواد.

١٤١ ـ معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ميلادى، مطبعة الارشاد ـ بغداد ١٩٦٩م.

« ل »

لوثروب ستودارد الأمريكي.

١٤٢ ـ حاضر العالم الاسلامى ـ نقله إلى العربية الأستاذ عجاج نويهض وفيه فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الاسلامية وتطورها الحديث بقلم الأمير شكيب أرسلان (٤ جـ) ط ١٣٥٢هـ. نشر وطبع مكتبة ومطبعة الحلبي وشركاه بمصر.

الامام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الأثير ٥٤٤-٦٠٦هـ.

١٤٣ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحى طبع الحلبي، الطبعة الأولى عام ١٣٨٣هـ.

الحافظ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٦٧٣-٧٤٨).

١٤٤ ـ التلخيص على المستدرك على الصحيحين للحاكم، وأقره على ما لا كلام فيه وتعقب ما فيه الكلام. مطبوع بذيل المستدرك للحاكم تصوير دار الكتاب العربي ـ بيروت.

الامام المعروف بابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد ابن أبى بكر بن أيوب.

١٤٥/أ ـ اعلام الموقعين عن رب العالمين، ط ١ عام ١٣٧٤هـ. مطبعة السعادة بمصر.

١٤٥/ب ــ القصيدة النونية، تصوير دار المعرفة بيروت ط ١، مطبعة التقدم العلمية بمصر سنة ١٣٤٥هـ.

محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت بعد ٦٦٠هـ.

١٤٦ ــ مختار الصحاح ـ طبعة ١٣٦١هـ. مطبعة الحلبي.

محمد أديب غالب.

١٤٧ ــ من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي، باشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.

أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي (١٩٤-٢٥٦هـ).

١٤٨ ــ صحيح البخاري ـ ط المكتبة الاسلامية باستانبول محمد أوزدمير ١٩٧٩م.

محمد اسماعيل ابراهيم وزملاؤه.

١٤٩ ــ تاريخ المملكة العربية السعودية للصف الثالث المتوسط، وفق المنهج الجديد طبعة أولى عام ١٣٩٤هـ.

الامَام محمد بن اسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني.

١٥٠ ــ ديوان الأمير الصنعاني، طبع على نفقة الشيخ علي بن ثاني ١٣٨٤هـ. مطبعة المدني، ط ١.

العلامة محمد اسماعيل السلفي (١٩٠٠-١٩٦٨م).

١٥١ ــ حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد. تعريب الدكتور مقتدا حسن الأزهري، مطبوعات الجامعة السلفية (١) ملتزم الطبع والنشر، إدارة البحوث الاسلامية والدعوة والافتاء بالجامعة السلفية بنارس.

العلامة المحدث، الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي (١٢٥٢-١٣٢٦).

١٥٢ ــ صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان، ط ٥ عام ١٣٩٥هـ. مطابع نجد التجارية الرياض.

الشيخ محمد بهجت البيطار.

١٥٣ ــ حياة شيخ الاسلام ابن تيمية، منشورات المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ١٣٨٠هـ.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠).

١٥٤ ــ جامع البيان عن تأويل آى القرآن (تفسير ابن جرير الطبري) ط ٢ عام ١٣٧٣هـ. مطبعة الحلبي بمصر.

١٥٥ ــ تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك تحقيق أبي الفضل ابراهيم، ط ١ دار المعارف بمصر ١٩٦٢م.

محمد حامد الفقي، رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، وقد توفى رحمه الله.

١٥٦ ــ تقديم وتعليق على كتاب: (معارج الألباب في مناهج الحق والصواب تأليف حسين بن مهدى النعمي، لأول مرة ط ٢ عام ١٣٩٣هـ. بمطابع الرياض.

١٥٧ ــ أثر الدعوة الوهابية في الاصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها. ط مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر عام ١٣٥٤هـ.

محمد بن الحسن الحجوى الثعالبي الفاسى (١٢٩١-١٣٧٦هـ).

١٥٨ ــ الفكر السامي، في تاريخ الفقه الاسلامي، خرج أحاديثه وعلق عليه عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، ط ١ أولى ١٣٩٦هـ. دار مصر للطباعة. الناشر: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

محمد حسن الغماري.

١٥٩ ــ الامام الشوكاني مفسرا، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى عام ١٤٠٠هـ.

العالم السلفي، الشيخ محمد بن حسين نصيف، من أعيان أهل الحجاز رحمه الله.

١٦٠ ــ ترجمة للشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى المتوفي عام ١٣٢٨هـ. في أول كتاب الرد على شبهات المستعينين بغير الله للشيخ أحمد المذكور، ط دار مصر للطباعة.

الشيخ العلامة محمد حياة السندي، المتوفي (١١٦٣هـ).

١٦١ ــ تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه السلام. والايقاف على سبب الاختلاف ضمن مجموعة تضم رسالة أخرى بعنوان الاتباع لابن أبى العز الحنفى. تحت اشراف المكتبة السلفية بلاهور باكستان طبعة أولى ١٤٠١هـ.

محمد خليل هراس (ت ١٣٩٥هـ).

١٦٢ ــ دعوة التوحيد، أصولها ـ الأدوار التى مرت بها مشاهير دعاتها. ط ٢ مطبعة عاطف بمصر.

١٦٣ ـ الحركة الوهابية، رد على مقال للدكتور محمد البهي في نقد الوهابية. من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦هـ (١٠).

أبو الفضل محمد خليل المرادي.

١٦٤ ـ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، يطلب من مكتبة المثنى ببغداد.

محمد رشيد رضا (١٢٨٢-١٣٥٤هـ). منشىء مجلة المنار بمصر.

١٦٥ ـ تاريخ الامام محمد عبده، ط ١٣٥٠هـ. بمطبعة المنار.

١٦٦ ـ الوهابيون، والحجاز، طائفة من مقالات نشرت في المنار والأهرام، ط ١ عام ١٣٤٤هـ.

١٦٧ ـ مقدمة صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان.

١٦٨ ـ تفسير المنار، ط ٤ عام ١٣٧٣هـ.

محمد زهرى النجار.

١٦٩ ـ ترجمة مؤلف الدين الخالص، محمد صديق حسن فى مقدمته ص - ص ز - ل.

الدكتور محمد بن سعد الشويعر.

١٧٠ ـ بحث: من تراثنا، ابن ضويان وآثاره ١٢٧٥-١٣٥٣. نشر فى مجلة الدارة، ع ٢ س ٤، رجب ١٣٩٨هـ. ص - ص ٨٢-٩٩.

محمد سعيد العامودى وأحمد علي.

١٧١ ـ المختصر من كتاب نشر النور والزهر فى تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، تأليف الشيخ عبد الله مرداد أبو الخير. مطبوعات نادى الطائف الأدبى، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ. مؤسسة مكة للطباعة والاعلام.

العلامة الشيخ محمد السفارينى الحنبلى.

١٧٢ ـ نفثات صدر المكمد، وقرة عين المسعد لشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد. الطبعة الأولى عام ١٣٨٠هـ. منشورات المكتب الاسلامى للطباعة والنشر بدمشق.

محمد شفيق غربال، باشرافه تم تأليف:

١٧٣ ـ الموسوعة العربية الميسرة، صورة طبق الأصل من طبعة ١٩٦٥م حقوق طبعها محفوظة لمؤسسة فرانكلين للطباعة وللنشر، دار الشعب بالقاهرة.

محمد صديق حسن القنوجي البخاري من علماء الهند (١٢٤٨-١٣٠٧هـ).

١٧٤ ـ الدين الخالص ـ مطبعة المدني عام ١٣٧٩هـ. توزيع مكتبة دار العروبة القاهرة.

١٧٥ ـ التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ـ تصحيح وتعليق الدكتور عبد الحكيم شرف الدين، طبع على نفقة علي بن ثاني. المطبعة الهندية العربية ١٣٨٢هـ.

١٧٦ ـ الحطة فى ذكر الصحاح الستة ألفه سنة ١٢٨٢هـ. ط ١ عام ١٣٩٧هـ. مطبعة المكتبة العلمية بلاهور.

شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى (٨٣١-٩٠٢هـ).

١٧٧ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع جـ ٦. منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.

الحافظ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى ١٢٨٣-١٣٥٣هـ.

١٧٨ ـ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى. أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف، مطبعة المدني بالقاهرة ط ٢ عام ١٣٨٣هـ.

محمد بن عبد الحي اللكنوى الهندى (١٢٦٤-١٣٠٤هـ).

١٧٩ ـ الفوائد البهية فى تراجم الحنفية، مع التعليقات السنية على الفوائد البهية، عني بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه محمد بدر الدين أبو فراس النعماني. دار المعرفة للطباعة والنشر.

الشيخ محمد بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

١٨٠ ـ ترجمة للشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر فى أول منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ـ للشيخ عبد العزيز بن معمر، ط ٣ عام ١٤٠٠هـ. منشورات دار ثقيف الطائف.

الشيخ محمد بن عبد الله السبيل.

١٨١ ـ ترجمة مؤلف غاية الأماني فى الرد على النبهاني، محمود شكرى الألوسى فى أول الكتاب المذكور ص ـ ص ٦-١٢، طبع بمطابع نجد التجارية، ط ٢ عام ١٣٩١هـ.

الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر الاحسائي الأنصاري .

١٨٢ ــ تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء القديم والجديد ، أشرف على طبع القسم الأول وعلق عليه بعض الحواشي حمد الجاسر ، ط ١ـ١٣٧٩هـ . بدمشق المكتب الاسلامي . والقسم الثاني باشراف محمد زهير الشاويش ط ١ـ١٣٨٢هـ .

الدكتور محمد عبد الله ماضي .

١٨٣ ــ حاضر العالم الاسلامي ، النهضات الحديثة في جزيرة العرب ، في المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية عام ١٣٧٢هـ . دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

الحاكم أبو عبد الله . محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ النيسابوري المعروف بابن البيع والملقب بالحاكم ٣٢١ـ٤٠٥هـ .

١٨٤ ــ المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ، تصوير دار الكتاب العربي ، بيروت .

محمد بن عبد الله بن عثيمين (١٢٧٠ـ١٣٦٣هـ) .

١٨٥ ــ العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ، جمعه ورتبه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد ، ط دار المعارف بمصر .

الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ـ١٢٠٦هـ) .

١٨٦ ــ الرسالة الثالثة : تفسير كلمة التوحيد ضمن مجموعة التوحيد النجدية ، ط السلفية بمصر ١٣٧٥هـ ، عني بتصحيحها واخراجها محب الدين الخطيب .

١٨٧ ــ كشف الشبهات . قام بتفصيله وكتابة الترجمة والمقدمة والتعليق : علي الحمد الصالحي . وذيله الشيخ عبد الرحمن المحمد الدوسري ، ط ٣ في ١٣٨٨/١٢/١هـ . مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض .

مؤلفات الشيخ الإمام :

١٨٨ ــ القسم الأول ، العقيدة ، مجلد .

١٨٩ ــ والقسم الثاني ، الفقه ، في مجلدين .

١٩٠ ــ والقسم الثالث ، مختصر سيرة الرسول ﷺ والفتاوى ، مجلد .

١٩١ ــ والقسم الرابع ، التفسير ومختصر زاد المعاد ، مجلد .

١٩٢ ـ القسم الخامس، الرسائل الشخصية، مجلد.
١٩٣ ـ وقسم الحديث، خمسة مجلدات وملحق المصنفات مجلد.
هذه اثنا عشر مجلدا، جمعتها لجنة من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وصنفها وأعدها للتصحيح تمهيدا لطبعها عبد العزيز بن زيد الرومي، والدكتور محمد بلتاجى، والدكتور سيد حجاب وطبعت بمطابع الرياض.

١٩٤ ـ رسالة مخطوطة بعنوان (مسألة في رجل تفقه في مذهب من المذاهب الأربعة. . . وهي حول المقلد القاصر إذا تبين له أحاديث تخالف مذهبه ويظهر أن الشيخ يخاطب عبد الله بن عيسى الملقب بالمويس في أول الأمر.
وهذه الرسالة مخطوطة ضمن مجموعة رسائل مخطوطة وفيها قليل من رسائل الشيخ غير هذه وقد طبعت. وهذه المجموعة المخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان في المغرب، أخذ عنها الشيخ حماد الأنصارى صورة ومن صورته أخذت.
١٩٥ ـ آداب المشى إلى الصلاة. مقرر الفقه للسنة السادسة، القسم الأول والثاني قرر دراسته وعلق عليه الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع مدير المعارف العام. مطابع دار الكتاب العربي بمصر. ونشر مكتبة محمد سعيد كمال بالطائف.
١٩٦ ـ مختصر تفسير المعوذتين لابن القيم، صورة نقلت عن مخطوطة بالمتحف العراقي وقف ابراهيم فصيح الحيدرى.
وانظر: تفصيل الكلام عن مؤلفات الشيخ في مبحث حياة الشيخ العلمية من المدخل ص ـ ص ١٥٠ـ١٨٥.
١٩٧ ـ الرسائل المرقومة. مخطوطة، الناسخ محمد بن حبيب الحلبي الحنفى، ساكن الافلاج سنة ١٣١٧هـ. صورة.

أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادى السندى، المتوفي ١١٣٨هـ.
١٩٨ ـ حاشية السندى، على صحيح البخارى، طبعة نور محمد، كراتشى، ط ثانية ١٣٨١هـ.

الشيخ محمد عبده.
١٩٩ ـ رسالة التوحيد ـ طبعها وصححها وعلق عليها: محمد رشيد رضا، ط ٢ في سنة ١٣٦٦هـ. أصدرتها دار المنار.

محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي .

٢٠٠ ــ روضة الناظرين عن مآثر علما نجد وحوادث السنن، ط ١ عام ١٤٠٠هـ. مطبعة الحلبي .

محمد عطاء الله حنيف .

٢٠١ ــ ترجمة للشيخ محمد حياة السندى فى أول رسالة تحفة الأنام فى العمل بحديث النبي عليه السلام للشيخ العلامة محمد حياة السندى، ضمن مجموعة رسائل له . الطبعة الأولى جمادى الأولى ١٤٠١هـ. طبع بالمطبعة العربية باشراف المكتبة السلفية ـ لاهور، باكستان .

محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠) .

٢٠٢ ــ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ط ١ سنة ١٣٤٨هـ. مطبعة السعادة محافظة مصر القاهرة، جزءان . تصوير: بنشر: دار المعرفة ببيروت .

٢٠٣ ــ الدر النضيد فى اخلاص كلمة التوحيد، عنى بنشره وطبعه محمد علي الكتبى، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٠هـ. ونشر صورتها ضمن مجموعة باسم الرسائل السلفية للشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت .

محمد بن علي بن غريب ت ١٢٠٩هـ.

٢٠٤ ــ التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونسبة تأليفه إلى سليمان بن عبد الله بن الشيخ خطأ[١]. الطبعة الأولى بالمطبعة العامرة الشرقية سنة ١٣١٩هـ.

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذى الحافظ ت سنة ٢٧٩هـ.

٢٠٥ ــ جامع الترمذي فى أعلا صحائف تحفة الأحوذي، أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف، مطبعة المدني بالقاهرة ط ٢ عام ١٣٨٣هـ.

محمد كمال جمعة . الباحث بدارة الملك عبد العزيز، ١٣٩٧هـ.

٢٠٦ ــ انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية . مطبوعات دارة الملك عبد العزيز. طبع على نفقة وزارة التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية، مطابع نجد التجارية .

---

(١) انظر ص ٥١٦ من هذا البحث .

محمد منير عبده أغا الدمشقي الأزهري المتوفي سنة ١٣٦٧هـ.

٢٠٧ ــ مجموعة الرسائل المنيرية، عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الأولى سنة ١٣٤٦هـ. إدارة الطباعة المنيرية.

الشيخ محمد بن الموصلي.

٢٠٨ ــ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف الامام محمد بن أبى بكر عرف بابن قيم الجوزية، الجزء الأول بتصحيح محمد حامد الفقي، والجزء الثاني بتصحيح محمد عبد الرزاق حمزة. طبع بنفقة المطبعة السلفية بمكة المكرمة عام ١٣٤٨هـ.

محمد ناصر الدين الألباني.

٢٠٩ ــ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، منشورات المكتب الاسلامي.

٢١٠ ــ تخريج أحاديث شرح الطحاوية.

٢١١ ــ تحقيق رسالة اقتضاء العلم العمل للبغدادي ضمن رسائل أربع.

٢١٢ ــ ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، في مذهب الامام أحمد. طبع المكتب الاسلامي، الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ.

٢١٣ ــ ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبى عاصم، ط ١ عام ١٤٠٠هـ. المكتب الاسلامي.

٢١٤ ــ مختصر العلو للعلى الغفار للذهبى، ط ١ عام ١٤٠١هـ. المكتب الاسلامي.

٢١٥ ــ تخريج أحاديث كتاب اصلاح المساجد من البدع والعوائد لمحمد جمال الدين القاسمى. ط ٢ سنة ١٣٩٠، المكتب الاسلامي، بيروت.

٢١٦ ــ التوسل، أنواعه وأحكامه، ط ٣، المكتب الاسلامي ١٤٠١هـ.

الامام محمد بن نصر المروزي (٢٠٢-٢٩٤هـ).

٢١٧ ــ السنة، ط مطابع دار الفكر بدمشق، بدون تاريخ للطبع. نشر دار الثقافة الاسلامية بالرياض.

محمد بن وضاح القرطبي (١٩٩-٢٨٧هـ).

٢١٨ ــ البدع والنهي عنها، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط ٢ عام ١٤٠٠هـ. دار البصائر بدمشق.

أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المتوفي بمصر سنة ٥٢٠-٥٢٥ .
٢١٩ ــ كتاب الحوادث والبدع . تحقيق محمد الطالبي (٢٣١ ص، صغير) دار الأصفهاني وشركاه بجدة، بدون تاريخ، وعدد للطبع .

الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة .
٢٢٠ ــ سنن ابن ماجة . بعناية محمد فؤاد عبد الباقي، طبع بمطبعة الحلبي عام ١٣٧٢هـ .

أبو المعالي محمود شكري الألوسي (١٢٧٣-١٣٤٢هـ) .
٢٢١ ــ تاريخ نجد، عنى بتحقيقه محمد بهجة الاثرى، طبع السلفية بالقاهرة عام ١٣٤٣هـ .
٢٢٢ ــ غاية الأماني في الرد على النبهاني، طبع بمطابع نجد التجارية، ط ٢ عام ١٣٩١هـ .

اللواء الركن محمود شيت الخطاب .
٢٢٣ ــ بحث بعنوان الامام محمد بن عبد الوهاب في مدينة الموصل، قدم لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٤٠٠هـ . مطبوع على الآلة ضمن مجلد حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية .

مسعود عالم الندوي ـ رحمه الله .
٢٢٤ ــ محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه . ترجمة وتعليق : عبد العليم عبد العظيم البستوي، مراجعة وتقديم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، مطبعة زمزم، الطبعة الأولى ربيع أول ١٣٩٧هـ .

الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ) .
٢٢٥ ــ صحيح مسلم خدمة محمد فؤاد عبد الباقي، طبع رئاسة البحوث العلمية السعودية سنة ١٤٠٠هـ .

الشيخ منصور بن يونس بن ادريس البهوتي ١٠٠٠-١٠٥١هـ .
٢٢٦ ــ كشاف القناع عن متن الاقناع . مطبعة الحكومة بمكة عام ١٣٩٤هـ .

الدكتور منير العجلاني، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق، أستاذ تاريخ الحقوق في الجامعة السورية سابقا.

٢٢٧ ــ تاريخ البلاد العربية السعودية. نشر: دار الكتاب العربي، مطابع دار الغد بيروت.

المــــودودي (أبو الأعلى).

٢٢٨ ــ موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه أو واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم. ط ١، دار الفكر بدمشق.

أبو النجا شرف الدين موسى الحجاوي المقدسي، المتوفي سنة ٩٦٨هـ.

٢٢٩ ــ الاقناع ـ تصحيح عبد اللطيف محمد موسى السبكي ـ المطبعة المصرية بالأزهر سنة ١٣٥١هـ.

« ن »

الدكتور ناصر الدين الأسد.

٢٣٠ ــ تحرير وتحقيق تاريخ نجد للشيخ الامام حسين بن غنام. وقابله على الأصل الشيخ عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ. مطبعة المدني ط ١ عام ١٣٨١هـ.

الشيخ ناصر الدين الحجازي الاثرى.

٢٣١ ــ النفخة على النفحة والمنحة. وتليها نظرة في النفحة... لأبى اليسار الدمشقي الميداني ـ مطبعة الترقى سنة ١٣٤٠هـ.

« ى »

أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت (٦٢٦هـ).

٢٣٢ ــ معجم البلدان. تصوير دار صادر بيروت.

أبو اليسار الدمشقي الميداني.

٢٣٣ ــ نظرة في النفحة... في الرد على الوهابية. مطبعة الترقي سنة ١٣٤٠هـ. طبعت مع النفخة كما تقدم.

الفهارس

الموضـــــوع | الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

مطابع الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة



مطابع الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة